

تثبيت كالأئمة النبوة

لقاضي القضاة
عبد الحبيب بن أحمد الهذلي
المتوفى سنة ٤١٥ هـ.

حَقَّقَهُ وَقَدَّمَ لَهُ
الدكتور عبد الكريم عثمان

دار العربية
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الجزء الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١/٢

وصلى الله على سيدنا محمد وآله ، الحمد لله الذي منّ على عباده بإرسال
رُسُلِهِ ، وختمهم بسيدهم محمد صلى الله وعليهم اجمعين ، فأرسله بالهدى ودين
الحق ، « لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » .
هذا كتاب « تثبيت دلائل نبوة نبينا محمد ، رسول الله صلوات الله
عليه وسلامه ، والادلة على معجزاته وظهور آياته ، والرد على من
انكر ذلك .

بَاب

فنبداً من ذلك بما في القرآن ، وبما يجري مجراه مما يعلمه من سمع
اخباره ، كالعلم بالقرآن ، فقد علم كل من اخباره عليه السلام انه ظهر بمكة ،
فأكفر اليهود وبرىء منهم ، والنصارى والروم وبرىء منهم ، والفرس
والمجوس وبرىء منهم ، والهند وبرىء منهم ، وقومه من قريش والعرب
وبرىء منهم ، وعاب آلهتهم ، وأكفر اسلافهم ، وضلل اديانهم ، وفرق

آلافهم ، وقال لهم : الله ارسلني واصطفاني من العالمين ، وجعلني حجة على كل من بلغته دعوتي من الاولين والآخرين ، وجعلني خاتم النبيين وآخر المرسلين ، وإن ديني يظهر على الاديان كلها ، وان كلمتي وكلمة اتباعي تملو ، وإنهم هم الغالبون القاهرون المالكون .

وهو اذ ذاك فقير وحيد ، اجير مُعيل ، قد اغضبهم وغازبهم بهذه / الدعوة ، وألبسهم الذل مع وحدته ، وبالغ في إسخطهم ، فنهوه وزجره ، بعد ان عاتبوه وعذلوه ؛ ثم قوعده بالاستئصال والبوار ، بعد ان رغبوه . فغلبهم على امره ، وقال : إني قد قلت لربي حين ارسلني : إني ان قلت هذا لقريش رضخوا رأسي ، فقال لي : قل ، وبلغهم ، فسيغضبهم ذلك ، وسيبعثون مكروهم عليك ، وسيحزبون ويحلبون (١) في عداوتك ، ويجمعون المساكر لحربك ، فأعصمك منهم ، وأبعث جنوداً لك منهم ومن غيرهم ، فتكون العقبى لك ، فقال هذا وما هو اشد منه .

ب / ٢

يعلم ذلك كل من سمع اخباره من صدقه او كذبه ، وهو لا يعتصم بمخلوق ، ولا يصوب ملكاً من ملوك عصره ، ولا يلوذ بأحد من البشر . بل قد رماهم كلهم عن قوس واحدة بالعداوة ، وأسخطهم اجمعين ، وبعثهم بهذا الصنيع على عداوته . ثم ما رضي ان يجعل ذلك قولاً ثم صفحاً ، بل خلد وودونه ، وجعله كتاباً يقرأ ، وقرآناً يتلى ، يسمعه عدوه وقال : ربي قال لي ، وربي وربكم اوحى به اليّ ، فقال : « وإذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس (٢) » ، وقال : « يا ايها الرسول بلغ ما انزل

(١) جلب ، توعده بالشر

(٢) الاسراء ٦٠

اليك من ربك وإن لم تفعل فما بَلَّغْتَ رسالته والله يعصمك من
الناس (١) .

فانهم (٢) زادوا غيظاً عليه ، وصاروا هم واليهود والنصارى والفرس
والمجوس يداً واحدة في عداوته ، وطلب نفسه ، والحرص على قتله ،
وهم اشد الناس حقداً وأنفة وجبرية (٣) وطلباً بطائله ، لا يقارئون من
عاب / خيولهم وجمالهم فكيف بن عاب آلهتهم وآباءهم وعقولهم
وضلال اديانهم ، فعصمه الله منهم وهو رجل فريد بينهم ، وهو في مشوية
الموت ، وخذق الخوف ، وذل اليتيم ، ووحشة الوحدة ، لا يعتصم منهم
بمخلوق ، فصرفهم الله عنه وهذه حاله ، فلو لم يكن من آياته ودلائل
نبوته الا هذا لكفى وأغنى وزاد على الكفاية ، لأنه إخبار بغيوب
كثيرة ، لأنه قال لجميع قريش ولجميع العرب ولجميع اليهود ولجميع
النصارى ولكل واحد منهم : لا تقتلونني ، مع ما قد جاءهم به مما قد
غاظهم وأغضبهم ، وهو في هذا القول كالباعث لهم على نفسه ، وكالحامل
لهم على مكروهه وهو يذكرهم بذلك ، فسلم منهم مع هذه الأحوال ،
فهذا باب كافٍ شافٍ .

بَابُ أَحَدٍ

وهذا مقام لا يقومه عاقل إلا ان يكون على غاية الثقة بالله عز وجل
والسكون الى وعد الله لأنه لو لم يكن كذلك لم تلبث ان تغضب أمم

(١) المائدة ٦٧

(٢) في الاصل ، فإن

(٣) الجبرية والجبرية : التكبر ، انظر القاموس ، مادة : جبر

العرب والمعجم لأديانهم ، ويأنفوا لأنفسهم وأهنتهم ، فيستأصلونه ويضطلمونه (١) ويقتلونه ويمحون أثره . فلما سلم مع الحرص على قتله ، وآلت الامور الى ما قال ، علمت وتيقنت أنه من قبل الله ، لأن مثله في هذا مثل من قال اني أخوض هذه النار المضرمة فلا تحرقني ، او كمن قال : أتردي من شاق علي / الأسنة وانا عريان فلا تنفذ في ، او كمن قال : أدخل من هذه السباع الضارية الجائعة التي قد أغضبتها وقتلت اولادها وهي حريصة على افتراسي ومحتاجة الى قتلي والراحة مني فأسلم منها ولا تقتلني ، فهذا باب شاف .

ب / ٣

وَبَابِ آخِر

وهو ما كان وعد وقال وهو في وحدته ، اني سأصير في جماعات وعساكر فكان كما قال وأخبر ، لأنه حين دعاهم أنكروا قوله وأكفروه وتلقوه بالرد والتكذيب ، ثم ما زال والنفر بعد النفر يخبئونه ، حتى صار في عساكر ، فاعتقدوا بصدقه ونبوته ، وصاروا له جنداً مطيعين ، وحزباً متفقين ، ينفقون أموالهم ويسفكون دماءهم في طاعته ، ويفرون من آباءهم ويقتلون أبناءهم ويفارقون أوطانهم لأجله وامثالاً لأوامره ، وأزكى الأعمال عندهم ما أرضاه بلادنيا بسطها فيهم ، ولا أموال دفعها اليهم ، ولا لرئاسة كانت له عليهم ، بل كان يقيماً فقيراً وحيداً معيلاً محتاجاً .

ثم جاءهم مجيئاً ما جاء نبي قبله في مثل حاله ، فان موسى صلى الله عليه وسلم أتى قومه من بني إسرائيل ، وهم أولاد الأنبياء ، قد اعتقدوا الربوبية وعرفوا

(١) اصطلم الشيء : استأصله . انظر القاموس ، مادة : صل

أ / ٤

الطريق إليها واعتقدوا النبوة وعرفوا الأنبياء قبل موسى ، كآدم ونوح ، ثم الى ابراهيم واسحق ويعقوب والأسباط ، وألّفوا عبادة / الله ، واعتقدوا المعاد وعرفوه . ثم جاءهم في ذلك وأسرّ وقهر في أيدي الجبابرة من القبط والفراعنة ، يقتلون أبناءهم ، ويستحيون نساءهم ، ويمنعونهم الصنائع الشريفة والاحتراف ، ويقصرونهم على ضرب اللبن وقطع الأحطاب والاعمال الشاقة المؤلمة ، فجاءهم موسى بما يعتقدون من الربوبية والنبوة ، ثم أخرجهم من النذلّ الى العزّ ، ومن الشقاء الى الرفاهية والدعة ، ومن الفقر الى الغنى .

ثم جاءهم من بعد موسى من الأنبياء بما جاءهم به موسى ، الى أن انتهت النبوة الى المسيح عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم ، فأتى بني اسرائيل بسنن موسى ، وشرائع التوراة .

فقدم هو والأنبياء قبله على أمر ممهّدٍ مألوفٍ معروف ، وعلى قوم قد ألفوا وعرفوا ، وجاء محمد صلى الله عليه وسلم قومًا لا يعرفون الربوبية ، ويعبدون الأصنام ، وينكرون البعث والمعاد أشد الإنكار ، لا يعرفون نبوة ولا طهارة ولا صلاة ولا صيامًا ولا زكاة ، أشد الناس نخوة وجبرية وأنفة ، قساة جفافة ، معاشهم من شن الغارات ، يسفكون دماءهم ويثدّون ذريتهم فراراً من العار .

ودعاهم صلى الله عليه وسلم الى الربوبية ، والى الاقرار بالنبوة والبعث والقيامة ، وأخذهم بالصدق والوفاء وأداء الأمانة والخضوع للحق ، وبالطهارة والصلاة والصيام والاعتكاف والزكاة ، وصِلات الأرحام ، وقطع السارق ، وجلد / القاذف والزاني وشارب الخمر ، ومساواة الموالي والفقراء والأعاجم والضعفاء في الدماء ، وأخذهم بالبراءة من آلهتهم التي يعبدونها من دون الله ، ومن

ب / ٤

آياتهم ومن أديانهم ، وبالإقرار بضلالهم ، والتدين بالبراءة منهم ، وببذل دمائهم وأموالهم في طاعته ، وبمجاهدة الأمم ومعاداة الجبابرة والملوك في طاعته (١) ، فأخذهم بكل شدة ، وأخرجهم من الراحة الى الكد ، ومن المسالمة الى العداوة ، وألزمهم ما لم يكونوا ألفوا ولا عهدوا ، وألزمهم الكلف والمؤن ، فأجابوه بهذه الشرائط ، فكان مجيئه على الوجوه التي قدمنا ذكرها من آياته ودلائل نبوته صلى الله عليه ، ولم نجعل طاعة اصحابه له وتصديق القوم له ومصيره في عساكر وجماعات من دلائل نبوته إلا لأنه اخبر قبل ذلك ان هذا سيكون فكان كما اخبر وكما قال على تلك الوجوه التي شرحناها وبيّناها . لأنه دعاهم الى امور وشرائط ظاهر التدبير وموجب الرأي واقتضاء الحزم ألا يجيبوه ولا يتبعوه إلا ان يكون من قبل الله ، وواقعاً بوعد الله ، فان سبيله في ذلك سبيل من قال : هذه النملة الضعيفة تهزم هذه العساكر المعدة ، او هذه الزجاجة الرقيقة ترض هذه الجبال الصلبة الشديدة ، لأنه قد كان في الضعف

(١) كانت الصبغة الغالبة على أديان العرب في الجاهلية هي الصبغة الوثنية، أي عبادة الالهة ، الا ان هذا لم يمنع وجود عدد من الاديان الاخرى. فقد كان بين العرب صابئة يعظمون الكواكب والنجوم ويعبدونها ، ودانت بعضهم وخاصة في البحرين بالمجوسية الثنوية ، كما وجدت مراكز صغيرة لليهودية والنصرانية . ووجد بعض الافراد من اعتقد بتوحيد الله ، ومعظم هؤلاء كان متأثرأ بالاديان السماوية السابقة ، ومنهم زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى ، وورقة بن نوفل بن أسد ، وعبد الله بن جحش ، وعثمان بن الحويرث بن اسد .

وليس غرضنا هنا تفصيل أديان العرب في الجاهلية ، فان ذلك يعرف في مواضع من كتب العقائد والديانات وخاصة كتاب الآراء والديانات للتونجي ، والملل والنحل للشهرستاني ، والفصل في الملل والنحل لابن حزم .

الا اننا نحب ان نشير الى ان القاضي عبد الجبار تعرض لهذا الموضوع بالتفصيل في الجزء الرابع من موسوعته الكبيرة المغنى .

والوحدة على ما قد علمه الناس ، ثم دعاهم الى ما يكرهون ، وأخذهم بكل شدة ، وفرض عليهم الامور الغليظة الصعبة على ما تقدم من شرح ذلك ، فعلمت وتيقنت / أنه نور الله ومن قبل الله .

أ / ٥

فإن قيل : أوليس قد اباحهم الغنائم ، فما تنكرون ان تكون اجابتهم له هذه العلة ؟ قيل له : هذا لا يسأل عنه من يعقل ولا من يفكر لأن القوم قد اعتقدوا صدقه ونبوته فكانت اجابتهم له لهذا وعلى هذا القربى الى الله عن رضى بذلك ، فمن ادعى غير هذا فقد أنكر المعلوم ، او يكون لم يسمع الاخبار . فهم إنما أجابوه على ان ينفقوا أموالهم ويسفكوا دماءهم ويقتلوا آباءهم وأبناءهم في طاعته ولأجله ، فكيف يسوغ لما قل فكّر وتدبّر ان يقول إنما اجابوه طلباً للدنيا ورغبة في الراحة والدعة والأمر بالضد من ذلك . وبعد فان لم يكن تبعوه (١) إلا للغارة وللغنائم لكانوا يقولون له : حاجتنا اليك في الغارة والغنائم ونحن أعلم بها منك ، وهي صناعتنا نحن وعادتنا ، وما الذي يدعوننا الى اتباعك وما معك وما تبعك إلا ان تبعتنا على الغارة والغنائم ؟ أمن أجل سعة أموالك وكثرة كنوزك ومروج خيولك واصطبلات دولك ؟ أم لخزائن سلاحك . ومن أخذنا بأن نكفر آباءنا ونشهد بضلالمهم ونسحق أجلاءهم ، ونسوء اختيارهم ، ونعادي الأمم وجباية الملوك ، ونسفك دماءنا في طاعتك ، ونقتل كل من عاداك وخالفك وإن كانوا آباءنا وأبناءنا أو إخواننا ، ونفارق اوطاننا وأزواجنا ، ونهجر اللذات من شرب الخمر ولبس الحرير وشفاء الغيظ بقتل / من سبنا أو عاب آباءنا كعادتنا في ذلك ، ثم لا نحصل إلا على شيء اذا غنمناه بقوتنا وغلبنا عليه بأسياقنا بعد المخاطرة بدمائنا

ب / ٥

(١) في الأصل ، تبعه

أن نسله إليك فتعطينا بعضه ، هذا لا يختاره بله النساء فكيف بالمهاجرين
والانصار الذين أجابوه فصار بهم في عز ومنعة ، وصبروا على تلك الشرائط
التي شرطها .

وبعد فإن لم يكن نبياً فهم لا يدرون هل يصل الى غنيمة ؟ ولعله
لا يتم له شيء مما يعدّ ، فما كانوا ليتبعوه لما يظنه الخصم ، ولولا أن هذا
قد كان في أهل الذمة وطبقات الزنادقة ، وتمعدوا الى قوم زعموا أنهم
من المسلمين لما ذكرناه ، ولكنه شيء يستزلون به المسلمين الذين لا ينظرون
فيما هذا سبيله ، ويفترون بالظاهر .

هؤلاء الذين ادعوا أنهم من المسلمين ، وأنهم من خاصة الخاصة (١) ،
ومن قد عرف ما لا يعرفه غيره ، وأن الأمور غوامض وبواطن قد
عرفها ، فيعتقد من يسمعه في المهاجرين والانصار الغفلة والبله وقلة العقل ،
ومن تدبّر ، يعلم أنهم أوفر عالم الله عقولاً ، وأحسنهم تحصيلاً ، وأسرعهم
استدراكاً لحفريات الامور وغوامضها ، لا فرق بين من رمى المهاجرين
والانصار بذلك ، وبين من رمى رسول الله ﷺ بذلك . فإن آثار عقول
المهاجرين والانصار معروفة في أفعالهم ، وتدبيرهم الدنيا ، وسياسة أهلها ،
وترتيب خواصهم وعوامهم ، وأخذها من أيدي دهاة الملوك وعقلاء الناس ،
وتفصيل ذلك يطول .

أ/٦

فإن قيل : ومن سلم لكم عقل صاحبكم حتى تقولوا إن من دفعنا عن
عقول المهاجرين والانصار كمن دفعنا عن عقل رسول الله ﷺ ؟

(١) يقصد بهؤلاء الباطنية ، فقد وقعوا بأكثر الصحابة وهاجموهم ، فادعوا أن اسلامهم
انما كان لمال او جاه ، ولم يستخلصوا من الصحابة الا عدداً محدوداً .

قيل له : إن أعداءه لا يدفعونه عن ذلك ، فإنهم قالوا : ما جمع المهاجرين والانصار وهو فقير وحيد أجير معيل وقد دعاهم الى ما قدمنا وعلى الشرائط التي ذكرنا إلا بعقل وافر ، وحلم واسع ، وبلطف في التدبير ، وحسن تأتٍ وعلم بالعواقب ، وسعة في الفطن ، وهذا قول عدوه فيه . فأما وليه فيقول : هذا لا يبلغه عاقل بعقله ، ولو كان أتم الناس عقلاً ، وأوسعهم علماً وحلماً ، وأكثرهم مالاً ، ولا يكون هذا على تلك الشرائط إلا بتدبير الله عز وجل ، الذي يملك العقول ، ويقطب القلوب ، ويوحى منه عز وجل .

فإن زعم الأعداء أن الذي تم له كان مع قلة العقل وبالعجز فيه والخبط فقد خرجوا من كل معقول ، وتبرؤوا من كل تمييز ومحصول ، وجعلوا أنفسهم ضحكة وأحلوا بها المكاره ، وأعطوا خصمهم اكثر مما طلب ، وشهدوا بأن الله قد نقض له العادات اكثر مما نقضها لأحد من الناس كلهم ممن ادعى النبوة والحكمة وغيرهم لأنهم زعموا أنه تم له ما تم بتلك الشرائط وعلى تلك بعقل ضعيف وخلق سخيف وبالذهاب عن الحزم والحلم ومع طول الغفلة ، فاذا تبين عقله لمن تفكر من / عدوه ، علم أن عقول المهاجرين والانصار مثل عقله أو قريب منه ، وكذا عقول قريش ثم العرب ؛ فإن العقلاء والحكماء يقولون : الأمم المعاقلة هم : العرب والفرس والهند والروم ، ثم قالوا : أعقل الاربع للعرب والفرس ، ثم اختلفوا أيهما أعقل وأحكم وأفطن ، الفرس أم العرب ؟ وخاضوا في ذلك ، وذكروا ما لكل أمة من وصية وحكمة ، وتدبير وسياسة ، وهذا ما لا يدفعه العاقل المتفكر المتدبر .

فإذا كان عقل رسول الله ﷺ قد عرفه عدوه ووليّه ، فمن هذا عقله

لا يأتي تلك الامم ويستقبلها بتلك المكاره التي فصلنا وحاله في الوحدة ما ذكرنا ثم يقول : لا تقتلونني مع حرصهم على قتله ، ويقول : ستصيرون أنصاري مع شدة ما دعوتكم إليه وهو غير واثق بما قال ، ولا ساكن الى ما أخبر ، ثم لا يرضى او يجعل ذلك كتاباً يُقرأ ، وقرآناً يُتلى ، ويجعله في يد عدوه فيقول : «سئيرهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق» (١) .

يريد بالآفاق : ظهور الاسلام عليها ، وبلوغ دعوته إليها ، لأنه قد كان وعد بذلك وهو بمكة ، وحين ادعى النبوة ، فكانوا يقولون : أيطمع محمد أن يظهر على الآفاق ؟ لا ، ولا على مكة ، ولا على دار من دور مكة ؛ « وفي أنفسهم » يريد : في اسلام من يسلم منهم بعد الرد والتكذيب / ومن يقيم على تكذيبه ويموت على شركه على ما لعته ان يرد تفصيله عليك .

وفي هذا المعنى قوله عز وجل : « خلق الانسان من عَجَل ، سأريكم آياتي فلا تستعجلون » (٢) لأنه ﷺ كان اذا ذكرَ ظهور دينه ، وغلبه اصحابه ، وقتلهم لأعدائه ، استبعدوا هذا بل أحالوه ، وقطعوا الشهادة بأن هذا لا يكون أبداً ، فيقول في جواب ذلك : « خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون » .

وفي هذا المعنى قوله عز وجل : « فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها كافرين » (٣) يعني هؤلاء : مثل أبي جهل ، وأبي لهب ،

(١) فصلت ٥٣

(٢) الأنبياء ٣٧

(٣) الانعام ٨٩

وعقبة بن أبي معيط ، والوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل وأشباههم
وأمثالهم من اعداء رسول الله ﷺ . فعزى الله نبيه ، وبشره بقوم يطيعونه
ويتبعونه ، فيسر له المهاجرين والأنصار كما وعده .

وقد أذكره بإنجاز هذا الوعد ووقوع الوفاء به ، فقال عز وجل :
« وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره
وبالمؤمنين . وألّف بين قلوبهم لو انفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت
بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم إنه عزيزٌ حكيم » (١) لأن اجتماع
المهاجرين والأنصار له ، واعتقادهم نبوته ، وإخلاصهم في طاعته على تلك
الشرائط التي تقدم ذكرها ، وعلى الوجوه التي / قرر دعوته عليها
لا يكون ولا يتم باتفاق جميع ما في الارض ، ولا يكون ذلك إلا بتدبير
الله وصنعه ، وهو من آياته التي نقض العادات بها .

٧/ب

ومثله قوله : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فالّف
بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً . وكنتم على شفا حفرةٍ من
النار فأنقذكم منها . كذلك يُبينُ الله لكم آياته لعلكم
تهتدون » (٢) ، وهم قد كانوا عقلاء قد عرفوا هذا ، ولا يجوز في
العقل ان يقول رئيس قوم لأتباعه : قد كنتم اعداء يعادي بعضكم بعضاً
ثم صرتم اخواناً يخلص بعضكم لبعض المودة وبني هداكم الله وجمعكم

(١) الانفال ٦٢ و ٦٣

(٢) آل عمران ١٠٣ و ١٠٤

(٣) يشير القاضي الى الدعوة المباشية التي حمل المبعث الأكبر في تأسيسها ابراهيم بن محمد
ابن علي بن عبيد الله بن العباس ، وقد يبيع بعده لأخيه أبي العباس عبد الله بن محمد وذلك في
سنة ١٣٢ هـ .

وهو يعلم انهم يعلمون انه قد كذبهم ؛ هذا في رئيس لا يدعي النبوة فكيف بمن يدعي الصدق والنبوة ؟ وهذا قول قد سمعه عدو النبي ﷺ من اليهود والنصارى وقريش والعرب ، وأخرسهم صدقه ، وبهر عقولهم تمامه والوفاء به ، لأنهم اجتمعوا له بتلك الشرائط التي قد تقدمت ، وهو بخلاف اجتماع الاتباع لخطاب الملك وطلاب الدنيا .

فان قيل : أفليس علي بن عبدالله ابن العباس ابن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ ، وابنه محمد وبنو محمد ، كإبراهيم الامام وإخوته ، كأبي العباس ، وأبي جعفر ، وغيرهما ، قد كانوا مقهورين ومغلوبين ببني امية ، فدعوا الى انفسهم بخراسان فأجيبوا ، وصاروا في عساكر وجاعات ، فغلبوا بني امية على الملك ، وقتلوهم وأخذوا كل ما في ايديهم الا بلاد الاندلس من ارض المغرب ، فلم لا يكون سبيل نبيكم وغلبته هذه السبيل ؟ وإلا فقد لزمكم ان تقولوا بنبوة بني العباس كما قلتم بنبوة صاحبكم .

قيل له : قد فرغنا من هذا مرة وتبيننا الجواب فيه ، وهو أنا لم نقل بنبوة محمد ﷺ لأنه صارت له رئاسة وصار متبوعاً وصارت له عساكر ، ولكن لأنه أخبر بالأمور قبل كونها على غير مجرى العادة ، بل على ما هو نقص للمعادات ، لأنه أتى الناس وهو وحيد فقير أجير ، فأغضبهم وغازظهم وجادلهم وعادوه ، وأخبر أنهم سيغلبون ، وأنه يغلبهم ويقهرهم ، وقالوا : بل نحن نغلبك وندبرك ، وكان موجب التدبير ومقتضى الحزم أن تكون الغلبة لهم لا له ، إلا أن يكون من قبل الله ورسولاً ، لأنهم واليهود والنصارى والفرس والمجوس يدُّ واحدة في عداوته والقصد

لقتله وإطفاء نوره ولمنع اتباعه ، والرجال والكرع (١) والسلاح مع عدوه لا معه ، فألت الأمور الى ما قاله ، وكما أخبر ، وعلى ما فسر .

ولم تكن هذه سبيل بني العباس ؛ فإنهم ما ادعوا نبوة ولا رسالة ، ولا أتوا مثل ما أتى من الإخبار بالغيوب .

٨/ب

وأخرى ان بني العباس قصدوا ، المسلمين من اهل خراسان ، الذين قد اعتقدوا نبوة محمد ﷺ ، فتدينوا باقامة شريعته وحد حدوده ، بانكار ما أنكروه وباكروا من اكرمه ، وإجلال من اجله ، وباهانة من ارتكب الكبائر فشكوا اليهم ما نزل ببني هاشم خاصة ثم بالمسلمين عامة من بني أمية . وبنو هاشم اذ ذاك كلمة واحدة ، ما اختلفوا ولا تباينوا . فكان ولد العباس وولد علي وولد جعفر وولد عقيل (٢) وسائر بني هاشم متفقين ، وانما اختلفوا بعد مصير الدولة والملك الى بني العباس أيام أبي جعفر المنصور ، فجرى بينه وبين بني عمه من ولد الحسن ما هو معروف ، فحينئذ اختلفوا ، فذكر بنو هاشم لأهل خراسان ما صنعه بسر بن أرطاة بعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وانه قصده وهو عامل امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، فهرب من يده ، ووجد له ابنين طفلين فقتلها وقتل جماعة من اصحابه (٣) . وأذكروهم بقتل حجر بن عدي

(١) الكراع من الدابة : ما دون الساق ، يريد القاضي ان يشير الى الخيل وغير ذلك من الحيوانات التي يتقوى بها على القتال . انظر لسان العرب ، مارد كرع

(٢) يقصد : العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلي بن ابي طالب ، وجعفر بن ابي طالب ، وعقيل بن ابي طالب رضي الله عنهم جميعاً .

(٣) انظر لتفصيل هذه الحادثة الطبري ١ : ٣٤٥١ و ٣٤٥٢

وأصحابه^(١) ، وبكربلاء ومن قتل من بني هاشم بها ، وبقتل مسلم بن عقيل^(٢) ، وبالحرّة^(٣) ، وبمسكر التوابين^(٤) من اهل عين الوردية ، وبما أنزلوه بالكعبة في قتال آل الزبير^(٥) ، ثم بمن قتلوه من القراء او الفقهاء الذين ثاروا مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث^(٦) في الإنكار على الحجاج وعبد الملك بن مروان ، وبقتل زيد بن علي ويحيى بن زيد^(٧) ، وبصنيع

(١) لتفصيل حادثة مقتل حجر بن عدي من قبل بسر بن أبي أرطاة عامل معاوية انظر الطبري ٢ : ١١١ .

(٢) قتل مع الحسين رضي الله عنه سنة ٦١ هـ هو واخوه وابنه الطبري ٢ : ٣٨٨
(٣) الحرّة في الأصل هي الارض ذات الحجارة السوداء النخرة كأنها أحرقت بالنار، وهناك أماكن كثيرة أطلق عليها هذا الاسم . والمقصود هنا حرّة المدينة حين وردها مسلم بن عقبة من قبل يزيد بن معاوية وكانت فيها وقعة الحرّة سنة ٦٣ هـ حيث استبيحت المدينة بعدها ثلاثة ايام . انظر معجم البلدان ٢ : ٢٤٧ والطبري ٢ : ٤١٢ وما بعدها .

(٤) المقصود بهم من خرج من اهل العراق يطلبون دم الحسين رضي الله عنه سنة ٦٥ هـ وقالوا : أخرجتنا التوبة من ذنوبنا والطلب بدم ابنة نبينا صلى الله عليه وسلم . انظر تفصيل ذلك في الطبري ٢ : ٥٣٨ - ٥٧٦ .

(٥) كان رمي الكعبة بالمنجنيق بأمر من الحجاج سنة ٧٣ هـ وقيل ٧٤ ، وكان اميراً لجيوش بني امية المحاصرة لعبد الله بن الزبير في مكة ، وقد قتل عبد الله بن الزبير في تلك السنة . ابو الفداء ١ : ١٩٧ .

(٦) خرج عبد الرحمن بن الأشعث على الحجاج سنة ٧٥ واستولى على خراسان وغلب على الكوفة ، لكن الحجاج قضى على حركته في نفس السنة ، وكان قد خرج مع الأشعث مجموعة من القراء والفقهاء . ابو الفداء ١ : ١٩٧ .

(٧) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ٧٩ - ١٢٢ هـ كان فقيهاً ، وقرأ على واصل بن عطاء واقتبس منه بعض آراء المعتزلة . خرج على الامويين سنة ١٢٠ في العراق وكان عامل الامويين فيه يوسف بن عمر الثقفي ، وقد قاتله والي الكوفة الحكم بن الصلت ، واستشهد سنة ١٢٢ هـ . الطبري ٨ : ٢٦٠ ، ٢٧١ ، فوات الوفيات ١ : ١٦٤ .

أ/٩ الوليد بن يزيد/ بن عبد الملك^(١) وما أتى من شرب الخمر والمجاهرة بذلك .
فأثار بنو العباس ودعاتهم أهل خراسان بذلك ، فقدم بنو العباس على
أمر ممد وجند مجند ، وعلى قوم مسلمين قد صدقوا رسول الله ﷺ ، ورضوا
بما رضي رسول الله ، وغضبوا بما يغضب منه رسول الله ﷺ . فبنو العباس
إلى رسول الله ﷺ ، وبأتمته والمصدقين به استجاروا ، فالذي تم لهم
فبرسول الله ﷺ تم ، وبظله تقيثوا ، وبه تستروا ، وهذه سبيل كل من ادعى
بعده ﷺ الإمامة من بني هاشم ومن جميع قريش أو ادعى أنه من قريش .
وكلهم برسول الله ﷺ تشبثوا ، وبه تستروا واستعاذوا ولاذوا ، ولأجله تم
لهم ما تم . وأنت تجد ذلك في واحد واحد منهم في مشارق الأرض
ومغارها ، وتعرف الحق منهم من المبطل ، والداعي من الصريح ، فأين هذا
من دعوة رسول الله ﷺ وسبيلها ما قدمنا وشرحنا .

فإن قيل : أوليس مع ادعائه النبوة قد حمل السيف على من خالفه ،
وحارب بمن أطاعه من عصاه ، فما تنكرون أن يكون الذي تم له من أوله
إلى آخره إنما تم بالسيف وبالمكابرة ، لا بالآيات والمعجزات ؟

ب/٩ قيل له : ما إنكرنا أنه حمل السيف ، وإنما كلامنا في الذين صاروا سيوفاً
له وعساكر / وبهم استطال على عدوه ، فإن هؤلاء قد أجابوه بلا دنيا ولا
سيف كما قد قدمنا وبيننا ، وبصيرهم إلى طاعته صحت نبوته فظهرت دلائل
رسالته ، لأنه ما خلق قوماً حملوا السلاح معه ، وإنما أجابه المهاجرون

(١) الوليد بن يزيد هو الخليفة الحادي عشر من خلفاء بني أمية ، تولى إمرة المسلمين سنة
١٢٥ هـ وعكف على شرب الخمر وسماع الغناء ومعاشرة النساء ، وقد ثقل أمره على الرعية والجند
فثاروا عليه سنة ١٢٦ هـ بعد أن دعا يزيد بن الوليد بن عبد الملك إلى نفسه ، وقد قتل الوليد في
نفس السنة . تاريخ أبي الفداء ٢٠٥ - ٢٠٦ .

والأنصار الذين هم من قريش وغيرهم من العرب وقد أتاهم بإكفارهم وإكفار آباؤهم على ما شرحنا وبيننا ، وهو من الوحدة والفقر على ما ذكرنا ، فكثت بمكة بعد ادعائه النبوة خمسة عشر سنة يدعو الى دينه ، فيجيبه النفر بعد النفر على خوف شديد ، وقد تجردت قريش وغيرهم من اعدائه له ﷺ ولمن اتبعه وأطاعه ، فيقصدونهم بالضرب والتعذيب الشديد ، ويمنعونهم الأوقات ، ويتعاهدون على ان لا يبايعوهم ولا يشاروهم ولا يناكحوهم ، وقد كتبوا في ذلك الصحف (١) ، وقد قتلوا منهم قبل الهجرة رجالاً ونساء وكانوا يرصدون لرسول الله ﷺ ولدعائه إذا خرج الى الموسم لدعاء الناس وإظهار ما معه وتلاوة القرآن ، فيقولون للعرب : هذا منا وقد صبا وهو ساحر كذاب ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا لما معه ، فنحن اعلم به ، وقد سفه احلامنا ، وضلل ادياننا ، واكفر آباءنا ، وفرق آالفنا ، وأفسد أحداثنا وعبيدنا ونساءنا .

ثم كان هو ﷺ يُرجم ويضرب الضرب المبرح ، ويداس ويطرح على رأسه الفرث والتراب / ويلقى من المكاره هو ومن اتبعه ما يطول شرحه (٢) . فلم يكن لأصحابه مع شرفهم وشرف أهلهم قرار ، ولا أمكنهم المقام للشدائد التي قنأهم ، حتى فروا بأديانهم في الأمصار والبلدان حتى عبروا البحار وصاروا الى ارض الحبشة (٣) ، فتعرف قريش أخبارهم

(١) لما رأَت قريش ان امر النبي صلى الله عليه وسلم في ازدياد وان عمه ابا طالب يحميه منهم ائتمرت بينها ان يكتبوا بينهم كتاباً يتعاقدون فيه على ان لا ينكحوا الى بني هاشم وبني المطلب ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً ولا يتباعوا منهم ، وقد انحازت بنو هاشم وبنو المطلب الى ابي طالب فدخلوا معه في شعبة إلا عمه ابو لهب فانه ظاهر قريشاً . وقد اقام المسلمون على ذلك

سنتين او ثلاثاً حتى جهدوا . الطبري ١ : ١١٩٠ .

(٢) انظر الطبري ١ : ١١٩٨ - ١١٩٩ .

(٣) كانت الهجرة الاولى الى الحبشة في السنة الخامسة من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال بعض المؤرخين ان عدد المسلمين المهاجرين منها كانوا احد عشر رجلاً وأربع نسوة . الطبري ١ : ١١٨١ ، وقال بعضهم بل كانوا اثنين وثمانين رجلاً . الطبري ١١٨٣ .

والى أين توجهوا ، فترسل في طلبهم وتغري بهم وتنفّر عنهم وتنفق في ذلك الاموال . فأرسلوا الى النجاشي ملك الحبشة وهو اذ ذاك نصرانيّ بن ينفّره عن المسلمين الذين فرّوا بأديانهم الى ارض الحبشة ، وحملت اليه قريش هدايا ولاطفوه ، وقالوا له : إن هؤلاء قوم منا ، وقد اتبعوا رجلا منا فأفسدتم ، وهو عدونا وعدو النصارى ، وهو يقول في المسيح : أنه عبد مخلوق ، فسلموهم اليه .

وكان هناك عثمان بن عفان ومعه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ ، وجعفر بن أبي طالب ومعه أسماء ابنة عميس ، وخالد بن سعيد بن أبي أحمية ، والزبير بن العوام^(١) ، وعمار بن ياسر^(٢) ، وأبو حذيفة بن عتبة^(٣) ، ونحو مائة من وجوه المهاجرين ، وكانت لهم مع رسول قريش الى النجاشي مجالس وخصومات طويلة ، فصارت العقبي للمسلمين ، وقامت حجّتهم ، وعرفها النجاشي ملك الحبشة فأسلم واستبصر^(٤) .

وما زال رسول الله ﷺ يعرض نفسه على اهل المواسم اذا اجتمعت / قبائل العرب ، وخرج الى الطائف^(٥) يدعو الى الله ويقول : أنا رسول الله

ب / ١٠

(١) للزبير بن العوام الصحابي المشهور المتوفي سنة ٣٦ هـ ، ولمعرفة خالد بن سعيد بن ابي أحمية (العاص) انظر الاصابة ١ : ٩١ ، ولبنّت عميس وجعفر الاصابة ١ : ١١ ، وأسماء هي زوجة خالد بن سعيد .

(٢) عمار بن ياسر الصحابي الجليل المتوفي سنة ٣٧ هـ ، وقد شهد بدرأ وأحدأ والخندق وليلة الرضوان ، انظر الاستيعاب بهامش الاصابة ٢ : ٤٦٩ .

(٣) هو ابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، هاجر الى الحبشة ومعه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو .

(٤) كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر النجاشي بالخير دائماً ، وقد نعلم بنفسه للمسلمين سنة تسع من الهجرة .

(٥) كان ذلك بعد وفاة ابي طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد خرج الى الطائف يلتمس النصرة من تقيف فرده سادتها : عبد يا ليل بن عمرو ، ومعهود بن عمرو ، وحبيب بن عمرو . رداً قبيحاً ، وأغروا به سفاهم وعبيدهم يسبونهم ويصيحون به ، حتى التجأ الى حائط لعتبة ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة . الطبري ١ : ١٢٠٠ .

فمن يجبرني حتى أبلغ رسالة ربي؟ وقريش تتبعه وتمنع من اتباعه . وقد عرض نفسه على القبائل (١) ، ومعه ابو بكر الصديق وعلي بن ابي طالب ، وعمه ابو هب يقول لتلك القبائل : نحن اهل وأعلم به فلا تسمعوا منه ولا تقبلوا قوله ، فتلقى تلك القبائل رسول الله بالجفاء ، ويقولون له : قومك أعلم بك ، ولو كان عندك خير لاتبعوك ، فأمسك عنا ، الى ان انتهى الى ربيعة والى ذهل بن شيبان ، فكلمهم وتلا عليهم القرآن ، فقالوا : إنا على هذا الماء من ذي قار ، وقد اخذ علينا كسرى ألا نحدث حدثاً ، ولا نؤوي محدثاً ، وهذا الذي أتيت به ودعوت اليه تكرهه الملوك ، فإن شئت ان نجريك إلا من الملوك فعلنا ، فقال ﷺ : ما أسأتم بالرد إذ أفصحتم بالصدق ، إن هذا الدين لا يكون من اهل إلا من حاطه من جميع جوانبه ، رأيتم إن أظهركم الله عليهم ، وأورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وأفرشكم نساءهم أتطيعونه وتعبدونهم حق عبادته ؟ فتمعجبوا من قوله ومن إقدامه على ان ملك كسرى يزول بدعوته ويصير ملكه لأصحابه ، استبعاداً لذلك ، واستعظاماً للملك كسرى ان يزول يجابرة الملوك الأقوياء الاغنياء ، فكيف يزول بهذا الوحيد الفقير ؟ ثم / يقولون هذا عاقل ، ولم يكن ليقول هذا ويعرض نفسه للملوك إلا وهو على ثقة ، ثم انصرف عنهم وما اجابوه .

١١ / أ

وما زال يدعو ويعرض نفسه في المواسم اذا اجتمعت العرب ، الى ان لقيته الانصار (٢) ، فسمعت منه وأجابوه واسلموا ، وخرجوا الى المدينة

(١) انظر تفاصيل عرض النبي نفسه على القبائل في الطبري ١ : ١٢٠٠ - ١٢٠٩ .
(٢) كان اول من تلقى الرسول من اهل المدينة ستة نفر من الخزرج قدموا مكة في موسم الحج ، وعادوا الى المدينة بعد ان أسلموا ، فدعوا قومهم الى الاسلام ، وتوالت الوفود من المدينة الى مكة في مواسم الحج اللاحقة ، وكانت بيعة العقبة الاولى التي حضرها اثنا عشر رجلاً من الانصار ، ثم كانت العقبة الثانية التي شهدها سبعون رجلاً ومعهم امرأتان من نساءهم . انظر تفاصيل ذلك في الطبري ١ : ١٢٠٨ - ١٢٢٢ .

ودعوا الى الاسلام ، ثم عاد قوم آخرون في سنة اخرى وبايعوه وهو مقيم
بمكة ، ثم عادوا في سنة ثالثة مع آخرين فبايعوه ورجعوا الى المدينة ،
وظهر الاسلام بها .

والانصار رضي الله عنهم انما هم قبيلتان عظيمتان من قبائل اليمن ،
ذو بأس وشدة وأموال ، وذو شوكة (١) شديدة وعدد وعدة ، قد ترددوا
اليه ، وسمعوا دعوتيه واحتجاجه ، فأجابوه على البراءة من اديانهم التي كانوا
عليها ، ومن آباؤهم ، وعلى ان يبذلوا اموالهم ودماءهم ، وعلى معاداة ملوك
العرب والمعجم في طاعته وله ولأجله .

وكم قد اسلم وأجاب على هذه السبيل من قبائل العرب ، كقبيلة اسلم ،
وكقبيلة غفار ، وهما من قبائل خزاعة وكنانة (٢) ، وكالذين اسلموا من عبد
القيس (٣) وهم من فرسان ربيعة ورجالهم ، ومن قبائل فزارة (٤) ، ومن
قبائل جهينة ، على هذه السبيل . وكم اسلم من اهل اليمن من ملوكها من
حمير وغيرهم ، الى من اسلم من ملوك عمان من ولد الجلندي بن كركر (٥)

(١) كذا في الاصل

(٢) انظر اسلام قبيلة غفار وقبيلة غفار وفزارة وجهينة وفضائل هذه القبائل في البخاري
ومسلم باب المناقب .

(٣) وكان قدوم وفد عبد القيس في السنة العاشرة للهجرة .

(٤) كان اسلام فزارة وكثير من قبائل العرب في العام التاسع للهجرة ، وكان على رأس وفدهم
الى النبي خارجة بن حصن ، الطبري ١ : ١٧٢٠ .
وقد سمي العام التاسع بعام الوفود لكثرة ما ورد المدينة من قبائل العرب معلنة اسلامها .

(٥) انظر لفضل عمان والجلندي صحيح مسلم في المناقب . وكان عمرو بن العاص رسولا من
الرسول صلى الله عليه وسلم الى ملكي عمان جيفر وعبد بن الجلندي . السيرة الحلبية ٣ : ٢٥٢ .

وكم قد اسلم من المعجم والانباط بصنعاء الذين كانوا جنود كسرى، واخرجهم مع سيف بن ذي يزن ليلتصروا له من ملوك الحبشة الذين قتلوا اباہ . ولعل قصتهم ان ترد عليك بأكثر من هذا الشرح .

فالذين اجابوه صلى الله عليه وسلم وبهذه الشرائط وبلا حرب خلق كثير، وامم عظيمة هي مذكورة، يعرفها اهل العلم، ومن اراد ان يعرف / ذلك حتى يصير في مثل حالهم قدر على ذلك ووجد السبيل اليه . فهؤلاء الذين اسلموا لله ومن خوف وتقرباً الى الله، وهم عساكره .

ب/١١

ولما نشأت بدعة الخارجية ^(١) وهي اول بدعة نشأت في الاسلام، ثم بعدها وبعد دهر طويل نشأت بدعة الارجاء ^(٢)، ثم بعدها بدهر طويل نشأت بدعة القدر ^(٣)، وبعد بدعة القدر بدهر طويل نشأت بدعة الوفض ^(٤). فكان العلماء يقولون: لا تسبوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فانهم اسلموا من خوف الله وأسلم الناس من خوف اسياقهم .

(١) طائفة من المسلمين كانوا من اصحاب علي بن ابي طالب رضي الله عنه ثم خرجوا عليه بعد قبوله للتحكيم واتهموه بالكفر لذلك وطلبوا منه ان يتوب ويحدد اسلامه، وقالوا ان مرتكب الكبيرة كافر . وقد حاول علي ان يقنعهم فلم يستطع فحاربهم، ثم حاربهم خلفاء بني امية . لم يبق منهم الآن إلا عدد قليل في عُمان وليبيا والجزائر .

(٢) المرجئة على التقيض من الخوارج، فقد قالوا ان مرتكب الكبيرة مؤمن وانه لا يضر مع الايمان كفر، وهم على درجات في عقيدتهم هذه .

(٣) يقصد من يقول ان العبد لا يقدر على فعله وان افعال العباد مخلوقة من الله فيهم .

(٤) الرافضة طائفة من الشيعة، ويسمى القاضي احياناً بالباطنية، واصلح الاقوال في سبب تلقيبهم بذلك انهم طلبوا من زيد بن علي بن الحسين (وتنسب اليه الزيدية) ان يسب ابا بكر وعمر فرفض ذلك فرفضوه، ولم نجد ضرورة لتفصيل القول في هذه الطوائف لأنه ليس من مجال حديثنا .

وقاض الاسلام بالمدينة وفي هذه القبائل ، وأقيمت فيها الصلاة ، وأديت
الزكاة ، وأقيمت الجماعات والجمعة ، وأقرئ القرآن ، وصارت المدينة دارَ
الهجرة؛ ورسول الله ﷺ مقيم بمكة محصور في الشعب يُؤذى ويُقصد بأنواع
المكارة هو ومن اتبعه ، الى ان هاجر الى المدينة ومعه ابو بكر الصديق
الهجرة المعروفة .

فهؤلاء الذين اجابوا بلا حرب ، وقبل الحرب احتججنا ، وهو موضع
دلالتنا في هذه الآية التي اخبر وهو في تلك الحال انكم ستجيبونني ، وإن كانت
لنا في الحروب والمحاربين دلائل اخرى لعلنا نذكرها لك في كتابك هذا ان
شاء الله .

فإن قيل : أوليس قد كان يدافع عنه عمه ابو طالب وإن كان على غير
دينه ، ويشفع الى قريش فيه ، ويمعاتهم في بابه ، ويذكرهم بصدقه وأمانته
وقد كان ﷺ معروفاً فيهم قبل الرسالة بمحمد الامين ، ويسألهم الكف عنه
وعن اذيته . وقد نصره ابو بكر الصديق وصدقه وكاشف^(١) في بابه ،
وأنفق ماله في / نوائب الاسلام وفي عتق المعذبين في الله واتبعه من اهل مكة
جماعة . وأسلم عمر قبل الهجرة وكاشف ، وقال : لا نعبد الله سراً ، فكيف
ادعيت له الوحدة وعليه الغلبة وهو بمكة ؟

قيل له : قد علمنا انه حين دعا كان وحده والناس كلهم على خلافه ،
وليس في اجابة هؤلاء ومدافعة ابي طالب طعن^(٢) فيما استدللنا ، بل هو من
الدلائل على ما قال صلى الله عليه قبل ان يجاب انه يستجاب وينصر ، ثم مع

(١) كاشفه بالمدواة : بادأه بها . انظر القاموس : مادة كشف

(٢) وقد كتب فوقها في الاصل : به ، وهي زائدة من الناسخ او المعلق .

نصرة هؤلاء وإجابتهم له ﷺ ومدافعة ابي طالب ، ما خرجوا ولا هو
خرج من ان يكون ويكونوا بمكة مقهورين مغلوبين ، حتى فروا من عدوهم
بأديانهم .

فإن قيل : فاذا كان الله قد وعد هؤلاء الانبياء بزعمك بالنصر والظهور
فلم يفرّون من اعدائهم؟ فقد فرّ موسى من فرعون ببني اسرائيل ليلاً وخفية
ومنع من إيقاد النيران لئلا يراها فرعون وجنوده فيستدلوا بها عليهم ومعه
الآيات والمعجزات، وفرّ عيسى من مكان الى مكان بزعمك وزعم النصارى،
فانها تقول في اخبارها وأناجيلها ان يوسف النجار فرّ بعيسى وأمه الى مصر
من بيت المقدس خوفاً من هيريدس^(١) ملك بني اسرائيل ، فأقاموا بها اثني
عشر سنة ومعه بزعمك وزعم النصارى الآيات والمعجزات ، وفرّ صاحبكم من
قريش وأقام بالغار ومعه ابو بكر ثلاثة ايام ومعه كما زعمتم الآيات والمعجزات .

قلنا : ليس في فرارهم طعن في اعلامهم ، وما قالوا لا يفرّ ولا يتوقى
فيكون في فرارهم تكذيب ، فإن كل شيء وعدوا به وقالوه قبل ان يكون
قد كان وتم على ما قالوه وشرطوه/ قبل ان يكون ، وليس في فرارهم ايضاً
مقاربة لعدوهم ولا مدهانة ، بل انما احتاجوا الى الفرار لتترك المدهانة
والمقاربة ، ولشدة المكاشفة لعدوهم ، والمبالغة في اسخاطه وإرغامه ، ولو
قاربوا العدو واتقوه لما احتاجوا الى الفرار .

ب/١٢

فاحفظ هذا فانك محتاج اليه ، فإن قوماً زعموا انهم اتباع الانبياء من
المسلمين ، اجازوا على انبياء الله وعلى من هو حجة الله على خلقه المدهانة

(١) هيرودس او هيرودوس هو حاكم فلسطين الروماني آنذاك . وانظر لقصة هرب يوسف
النجار وعيسى عليه السلام وامه مريم : الاصحاح الثاني ١٣ مق

والمقاربة للمشركين ولأعداء الدين ، وأن الانبياء يمدحون المشركين ويزكون
اعداء الدين ويظهرون ذلك ، ويذمون المؤمنين ويتبرؤون من الأنبياء
والمسلمين خوفاً من المشركين ، ويزعمون ان حجبتهم في ذلك فرار رسول الله
ﷺ واستتاره في الغار ثلاثة ايام^(١) . وقد بينا انه لا حجة لهم في ذلك ،
بل هو الحجة عليهم ، وأن الذي اخرج الانبياء الى الفرار شدة المكاشفة ،
ومترك المقاربة ، وقائل هذا لا يثق بأفعال الأنبياء وأقوالهم ، ولا بتزكية
من زكوه ، ولا بلعن من لعنوه ، لأنهم قد قالوا انه قد يجوز ان يكون
ظاهر الانبياء بخلاف اسرارهم وضمائرهم ، وأيضاً فان الأنبياء لا يجوز
ان يكون ظاهرهم بخلاف باطنهم وإن خافوا وإن قتلوا ، وهذا اصل كبير
فاعرفه .

فإن قيل : ادعيتم ان اعداء نبيكم من قريش والعرب واليهود والنصارى
حرضوا على قتله وهو بمكة ، وهو في تلك الحال من الوحدة والذلة وضعف
الاتباع ، فمن اعطاكم هذا ، ومن سلمه لكم ؟

قيل له : ان من سمع اخباره واخبار القوم معه يعلم ذلك ، علماً لا يرتاب
به ، كما يعلم انهم قد كذبوه وعادوه واغضبهم ما اتاه وشرعه ودعا اليه ، ولا
فرق / بين من قال : انهم ما حرضوا على قتله ، وبين من قال : ولا كذبوه
ولاعابوه ولا برثوا منه ، ولا انكروا شيئاً اتى ، ولا خالفوه ، وادعى انه
هو ايضاً ما خالفهم ، ولا عاب اديانهم وآلهتهم ، ولا ادعى النبوة ، ولا
خالفهم في البعث والنشر .

وقد حرضوا ايضاً على ذلك وهو بالمدينة ، واعدائه فيها معه من العرب

(١) يقصد بهؤلاء الباطنية

واليهود والنصارى وهم كثير ونزول بالمدينة وحولها في أطامهم وحصونهم
مصدقون بها كالإكليل ، وقد غدروا به ، وارسلت قريش اليهم في ذلك ،
ودست غير واحد ، وكان من عامر بن الطفيل وأزيد في الاحوال التي كان
يكون فيها وحده فيصرفهم الله عنه بألوان الصرف ، كما صرف ابا جهل
وعقبة بن ابي معيط والذين كانوا بمكة ، كما هو مذكور . وكما دسوا له السم في
الطعام فصرفه الله عنه ، وقد راموه منه في طول حياته ، وقد كان معهم
وهو بالمدينة في التبذل والتفرد والتطرح اكثر زمانه ، على مثل حاله وهو
بمكة . وانما كان يكون في جماعة في اسفاره وفي حروبه ، فأما بيوته
وحجرات نسائه فمن جريد النخل ، وقد علم اهل العقول والتحصيل الفتك
يجبارة الملوك في حصونهم وقصورهم وهم وراء الابواب الحديد ، وقد
تحرزوا بصنائعهم المشاركين لهم في نعمهم بعبيدهم ، كصنيع شيرويه
بكسرى ابرويز^(١) ، وقبله من ملوك فارس من كانت هذه سبيله . وكما
جرى على المتوكل من المنتصر ، ثم على ولده ، الى ما جرى من الفتك بمحمد
بن المعتضد / المسمى بالقاهر بالله ، الى المتقي ، والى المستكفي ، والى ما
جرى بالإحساء على ذكيره الاصفهاني من جنوده واعوانه سني نيف
وخمسين وثلاثمائة للهجرة في جوف داره واحصن قصوره ، وحوله وفي حجراته
ومعه ممن له نوبة في حراسته وحفظه من الرجال المتسلحين اكثر من الفين ،
فقتل وحده من بينهم ، ورفع رأسه .

١٣/ب

(١) يقصد الاشارة الى ما صنعه شيرويه في سبيل الحصول على الملك ، اذ شارك في قتل ابيه
كسرى ابرويز وكان من اعظم ملوك فارس ، وقد عاصر الرسول كليهما وكانت هجرته عليه
الصلاة والسلام ايام كسرى ابرويز . انظر الطبري .
ثم ما كان يفعله الخلفاء العباسيون في سبيل الوصول الى الحكم من قتل آباؤهم او اخوانهم او اقاربهم .
وكذلك ما فعله خادم ذكيره (ذكرويه) الاصفهاني القرمطي من قتله .

وليس في هؤلاء من أغضب الناس إغضاب رسول الله ﷺ ، ولا من ادعى دعواه ، ولا من أذكر عدوه بعداوته وأيقظه وبعثه على قتله وخرج إليه بذات نفسه وما يريد ان يعمل ، مثل رسول الله ﷺ . فانه أتاهم على الوجه الذي ذكرنا في الوحدة والفقر ورماهم بتلك العداوة ، ثم قال : ولا تقتلوني ، بل أنا أقتلكم وأسيبكم وأستبيح حصونكم ، فكان كما قال .

فإن قيل : ومن سلم لكم أن المهاجرين والانصار كانوا يعتقدون نبوتهم وصدقه ، سيما وفي اهل ملتكم اليوم من طوائف الشيعة من يقول : إن أبا بكر وعمر وعثمان وتلك الجماعات والمهاجرين والانصار ما آمنوا به قط ، ولا اعتقدوا صدقه ولا تعظيمه ولا إجلاله ولا توقيره ، وما كانوا إلا زائرين^(١) عليه ، معتقدين تكذيبه وافتعاله واحتياله ، وانما كان اتباعهم له هزءاً به ، واغتيالاً له ، وسخرية منه ، وإرصاداً لزلالته وإفساد امره ، ولإبطال تدبيره ، ونفالبته على الرئاسة ، وأنهم ما أقاموا له وزناً قط . وانما كان الذين يمتقدون ما ادعيتم فيه نفراً يسيراً ، كانوا مغلوبين مقهورين بهذه الجماعات من المهاجرين والانصار ، وأنهم خرجوا من الدنيا على حال القهر والغلبة من هؤلاء المهاجرين والانصار ، ومعهم بذلك روايات وأقوال ونصوص يدعون انها من صاحبكم ، وتصنيفات قد ملأت الدنيا .

قيل له : إنا ما قلنا في أبي بكر وعمر وعثمان وتلك الجلة والوجوه من المهاجرين والانصار انهم قد اعتقدوا تبرئته وصدقه ، لمجاعة من ادعيت من الشيعة لنا ، وانما قلنا ذلك بالتأمل لأحوالهم وبالاستنباط الذي قد ذكرنا

(١) هذه الكلمة في الاصل تختلط مع زارين ، والزئير صوت الأسد من صدره ، والزائر اسم الفاعل . يعني للقاضي هنا بيان شدة موقف الصحابة بزعم الباطنية من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لك ، فلن يقدح ذلك في علومنا ، ولن يوحشنا خلاف من خالفنا كأننا من كان من خلق الله ، وقد شرحنا كيف كانت دعوته وعلى اي شرط كان إجابة القوم له ؛ وقد علمنا قبل العلم بنبوته وصدقه انه ﷺ قد كان يحب أبا بكر وعمر وعثمان ، وتلك الجماعة من المهاجرين والانصار يحبونه ، ويواليهم ويوالونه ، وأنهم كانوا ثقافته وبطانته وأمناءه على نفسه ودينه وأهله ، وأنه ﷺ كان أحب اليهم من اهلهم وآبائهم وأنفسهم ؛ كما قد علمنا ان أبا جهل وأبا لهب ، والوليد بن المغيرة ، وعقبة بن ابي معيط ، والنضر بن الحارث بن كعدة ، والعاص بن وائل ، وابن العيطلة ، وأمية بن خلف ، وأبي بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأولئك الملأ من قريش ، كانوا اعداءه ، وكذلك الملأ من اليهود ، وكبني قريظة ، والنضير ، وكبني القمقاع ، وكخبير ، وتلك القبائل من ثقيف ، وغيرها من العرب ، كانوا اعداءه وكان عدواً لهم يبغضهم ويبغضونه ، ويعتقدون كذبه ، وأنه مبطل ، ولا فرق / بين من ادعى في ابي بكر وعمر وعثمان وتلك الجماعات من المهاجرين والانصار انهم ما اعتقدوا نبوته ، وبين من ادعى فيمن ذكرنا من قريش والعرب واليهود والنصارى انهم ما اعتقدوا بغضائه ولا كذبه ؛ ومن انتهى الى هذا فقد بلغ الغاية في الجهل ، ولا فرق بين ادعى هذا على هؤلاء من المهاجرين والانصار ، ومن ادعى ان الروم والفرس والهند الذين كانوا في زمانه وزمان نبوته ما اعتقدوا تكذيبه وإن كان قد ظهر منهم ما قد ظهر .

فإن قيل : فكيف صدت طوائف الشيع عن هذا ؟

قيل له : هذا إنما يعرف بالتأمل والتدبر وإن كان يسيراً ، فمن لم يتأمل ولم يتدبر ولم يستنبط يذهب ذلك عليه ؛ وبما يزيدك علماً بذلك ، وأن باطن هذه الجماعة من المهاجرين والانصار كظواهرهم ، وسريرتهم كعلانيتهم ،

وأن رسول الله ﷺ كان أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم ، أنهم قد بقوا بعده وملكوا الأمر واستولوا عليه ، وامتدت أيديهم الى ملوك الدنيا وبمالكها ، فجازوها وأنفقوها في إعزاز دينه وتأكيد شريعته ، وزهدوا في المباح المطلق ، وحموا نفوسهم وأبنائهم منه ، وأدخلوا الأمم من الفرس والروم والهند وغيرهم في دينه ، وفرضوا عليهم تصديقه وإجلاله ، ومن أبي القبول جعلوا دمه له ، وأوطئوا أعداءه وشائبه الذلّ والسيف في مشارق الارض ومقاربها .

وقدم رحمك الله زهد رسول الله ﷺ ، فقد كان أزهد الناس فيما تناحر الناس عليه وتطاعنوا فيه وتفاؤنا لأجله . فقد كان ﷺ ملكاً من أقصى اليمن الى بحر عمان الى أقصى / الحجاز الى عرار العراق ، واستولى على جزيرة العرب وكانت مقسومة بين خمسة ملوك ، لكل واحد منهم شأن عظيم . هاداه غير واحدٍ من الملوك ، وجبى ذلك كله فبذله ، وحمى نفسه منه وأهله ، وخيّر أزواجه على ارادة الله ورسوله والدار الآخرة ، وعلى أن من أراد الحياة الدنيا وزينتها متمه وسرحه سراحاً جميلاً (١) .

وكان ﷺ مع هذا الملك العظيم أبيض الناس عيشاً ، وأخشنهم لباساً . واعتبر من ذلك ببرده الذي يلبسه خلفاؤنا من بعده وقيمته مقدار دانقين ، وبقدحه وخاتمه ، وجميع ما صار عند خاصة أهله وعامة أنصاره . ثم توفى ولم يترك عيناً ولا دينساراً ولا شيداً قصرأ ولا غرس شجرأ ولا شقاً لنفسه نهراً ولا استنبط لنفسه عيناً ورغب لأهله وأصحابه في مثل ذلك .

(١) نزلت آيات التخيير في سورة الأحزاب « يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتمكن وأسرحكن سراحاً جميلاً . وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للجنسات ممنكن أجرأ عظيماً » الأحزاب ٢٨ و ٢٩ .

وملك بعده أبو بكر الصديق رضي الله عنه جميع ذلك ، ونفذ فيه أمره ،
وامتدت يده الى بني حنيفة وقوم مسيلة ، وغزا فارس ، وافتتح الحيرة
والقادسية وعين التمر (١) وصاروا ذمة له ، وجباهم الأموال العظيمة . وافتتح
الشام وأوائلها ونفذ أمره فيها ، فكان حاله في الزهد تلك الحال التي كان
عليها رسول الله ﷺ .

وقام بعده عمر رضي الله عنه فحوى ذلك كله ، وافتتح الى اقصى الشام
وأخرج ملوك الروم منها واعتصموا منه بالحلججان والجبال ، وافتتح مصر
والصعيد الأعلى ، وافتتح الجزيرة والعراق والسواد وفارس وكرمان
وسجستان وكورة الاهواز ، وما سقته دجلة ، وما سقته الفرات / وما سقاه
النيل ، وحملت اليه خزائن الملوك وذخائرهم ، ومكث على ذلك عشر سنين
ثم قبض وحاله في الزهد تلك الحال .

ب / ١٥

ثم قام بعده عثمان رضي الله عنه ، فحوى تلك الممالك كلها ، وافتتح
خراسان عن اقصاها ، وأخذ ملوكها وأصفهان من الجبال ، وفي زمانه قتل
المسلمون يزيدجرد بن شهريار ملك فارس ، وافتتح اذربيجان ، وافتتح
ارمينية ، وجرجان وطبرستان وغير ذلك ، واستولى على ملوكها وممالكها ،
وقتح المغرب وهي مسيرة سنين برأ وبحراً وطولاً وعرضاً ، وافتتح من جزائر
البحر عدة جزائر عظيمة تكون مسيرة شهر طولاً وعرضاً ، وجبى ذلك كله ،
ومكث على ذلك اثني عشر سنة ، وكانت مدته اطول ، وامتدت يده ،

(١) بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة سميت كذلك لكثرة التمر فيها ، افتتحها
المسلمون في أيام ابي بكر على يد خالد بن الوليد في سنة ١٢ للهجرة . معجم البلدان ٣ : ٧٥٩ ،
ارسل اليها معاوية النعمان بن بشير فأخذها من عامل علي سنة ٣٩ . الطبري ١ : ٣٤٤٥

وملك وحوى اكثر مما ملكه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنها ، ثم نفض يده من جميع ذلك وزهد فيه مع قدرته عليه وتمكنه منه ونفوذ أمره فيه ، وصار عند قوم عمر أزهد منه ، لأنه رحمة الله عليه برّ أقاربه من مال وولّاهم ، ولم يفعل ذلك عمر ، فكان زهده يصغر في جنب زهد عمر .

ثم قام بعده عليّ رضي الله عنه ، فحوى جميع ما حواه الخلفاء قبله وجباه ونفذ أمره فيه ، إلا الشام ، ومكث على ذلك نحو ست سنين ، فنفض يده من جميعه وزهد فيه .

ثم اعتبر بزهد عمال ابي بكر وعمر والخاصة من أعوانها ، كعتبة بن غزوان ^(١) وأبي عبيدة ^(٢) ومعاذ بن جبل ^(٣) وشرحبيط بن حسنة ^(٤) وسعد بن ابي وقاص ^(٥) وعمار بن ياسر ^(٦) / وبلال ^(٧) والنعمان بن

أ / ١٦

(١) هو عتبة بن غزوان بن جابر ، يكنى أبا عبدالله وأبا غزوان ، من حلفاء بني نوفل بن عبد مناف ، قديم الاسلام ، هاجر الى الحبشة الهجرة الثانية ، وهو الذي مصر البصرة واختطها ، توفي في خلافة عمر وروى عن الرسول . الاصابة ٤ : ٢١٥ ، الطبري ٣ : ٢٣٧٦ .

(٢) ابو عبيدة عامر بن عبدالله بن الجراح ، قديم الاسلام ، هاجر الهجرتين وشهد بدرأ وبشر بالجنة ، مات في طاعون عمواس بالشام سنة ١٨ هـ . الاصابة ٤ : ١١ .

(٣) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عدي ، شهد المشاهد مع النبي وكان احد الذين أرسلهم رسول الله (ص) الى اليمن لدعوة اهلها الى الاسلام ، روى عن النبي (ص) ومات بطاعون الشام سنة تسع عشرة او بعدها . الاصابة ٦ : ١٠٧ .

(٤) هو شرحبيط بن حسنة نسبة الى أمه على الأغلب ، كان ممن سيره أبو بكر في فتوح الشام ، توفي بطاعون عمواس في الشام سنة ١٧ هـ . الاصابة ٣ : ١٩٩ .

(٥) هو سعد بن مالك بن أهبب ، احد العشرة وآخرهم موتاً ، كان اول من رمى بسهم في سبيل الله واحد الستة اهل الشورى وقائد فتوح العراق ، توفي بعد الخمسين من هجرة الرسول . الاصابة ١ : ٣٠ .

(٦) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك حليف بني مخزوم وأمه سمية مولاة لهم ، كان من السابقين الاولين ومن عذب في الله ، شهد المشاهد كلها مع النبي ، استعمله عمر على الكوفة ، قتل مع علي بصفيين سنة سبع وثلاثين . الاصابة ٤ : ٢٧٣ - ٢٧٤ .

(٧) هو بلال بن رباح مؤذن الرسول (ص) . الاصابة ١ : ١٨٩ .

مقرن (١) واخوته ، وغيرهم ممن يطول الكتاب بذكرهم وشرح أحوالهم ، وهو المذكور في مواضعه ، ولا يشك في زهد هؤلاء إلا من شك في زهد رسول الله ﷺ ، ولا يبلغ ذلك إلا الجاهل القليل النظر البطيء التأمل .

فأما من نظر واعتبر وكان قصده التعرف والتبين ، فإن ذلك يفضي به الى العلم بأنه ما صحب نبياً قط قومٌ أزهد ولا أردع ولا أعلم من هؤلاء قبل ان يرجع الى قوله عز وجل : « كنتم خير أمةٍ أُخرجت للناس » (٢) . فلو كان غرض رسول الله ﷺ وأصحابه الدنيا والملك لكانوا وإن ابتدأوا بذكر الزهد في اول أمرهم إذا ملكوا وقدروا عليها قد ساروا فيها سيرة طلاب الدنيا وملوكها وخطاياها ، وما لبثوا ان تظهر سرائرهم وضمائرهم عند القدرة . بهذا جرت العادة ، وهكذا أُخرجت العبرة ، فإن من تخلَّق للناس وتصبَّر خوفاً منهم واتقاء لهم ومداراة لهم ، اذا قدر وتمكن تغير وزال عما كان ، وظهر مكنونه ، فلما دام أمر رسول الله ﷺ وهؤلاء واتصل على طريقة واحدة ، علم العامل المتأمل ان سريرتهم كعلانيتهم ، وظاهرهم كباطنهم .

وقد رغب قوم منهم في المباح وفيما أحله الله لهم ، ولا لوم عليهم ولا تعنيف ، وإنما كان كلامنا فيمن زهد في المباح المطلق منهم ، وقد ملك هؤلاء ما لم يملك ابراهيم وإسحق ويعقوب والأسباط وموسى وهرون وداود ومتى وعيسى ، وإن كان الأنبياء خيراً منهم .

(١) هو النعمان بن مقرن بن عائذ المزني، أخو سويد واخوته، له ذكر كثير في فتوح العراق وفارس . توفي سنة احدى وعشرين هجرية .

(٢) آل عمران : ١١٠

وانما ذكرنا هذا لأن اليهود والنصارى والمجوس وأعداء رسول الله / ﷺ يقولون جهاراً ، بحضرة المسلمين وفي دواوين السلاطين ، وفي المحافل بحضرة الأمراء الأشراف : أما الاسلام فقد كفيناه ودفع بعضه بعضاً ، وقد كنا نقول سراً بيننا في أصحاب محمد ونفسه أشياء تقولها اليوم الشيعة جهاراً وتزيد علينا فيه ، من ان اصحاب هذا الرجل وأتباعه وأنصاره ما كانت لهم بصيرة في أمره ولا يقين مع الصحبة وطول المشاهدة ولا أقاموا له وزناً ، وانما طلبوا الدنيا والنهب والفارة ، وقد بيّنا فساد ذلك ، وفيه من البيان اكثر من هذا ، وفيما ذكرناه كفاية .

فإن قيل : أفستدلون على صحة دينكم بأن هؤلاء قد اعتقدوا بنبوّة صاحبكم وصدقه ، وان ظاهرهم فيه كباطنهم ، وها هنا قوم من اليهود والنصارى والمجوس والمناينة (١) والهند هذه سييلهم في أديانهم .

قيل له : ما ندفع هذا ولا نمنع منه ، ولا نستدل على صحة الاسلام باعتقاد المهاجرين والأنصار بنبوّة محمد ﷺ وصدقه ونبوّته وزهده وزهدهم في الدنيا ، وانما نعرف صحة الاسلام وانه دين الله بغير هذا . وانما كان كلامنا على من ادّعى ان هؤلاء ما اعتقدوا صدقه ولا نبوته ، فبيّنا فساد قولهم وبطلان اعتقادهم وانه جهل ، ثم صرنا الى ذكر الدلائل والأعلام .

(١) المناينة والمناينة نسبة الى ماني بن بابك بن ابي رزام ، يقال انه كان اسقفاً ثم اتاه الوحي بتغيير ديانته . ومن اهم مبادئه أن العالم كوني : احدهما نور والآخر ظلمة ، وكل واحد منهما منفصل عن الآخر . وقد فصل كتاب العقائد والفرق وأصحاب المقالات من الاسلاميين الحديث عن هذه النحلة . انظر الملل والنحل للشهرستاني ، والفهرست لابن النديم ، والآراء والديانات للتوبختي ، والمنفي للقاضي عبد الجبار الجزء الرابع ، وغيرهم . وبجمل مذهب المناينة مستخرج من المجوسية والنصرانية .

فمن ذلك أشياء نزل القرآن بها قبل كونها .
 فمن ذلك قصة ابي لهب ، وقد كان من المؤذنين لرسول الله ﷺ ،
 والمجردين / في مكروهه وطلب نفسه ، وفي الصدّ عن اتباعه ، فبشره الله
 بأن ذلك لا يضره ﷺ ، ولا يغني عن ابي لهب فيما قصد ما كسب
 من جاه ومال وأهل وولد وصداقة واخوان ، وانه يخسر ذلك كله ،
 وانه وامرأته يموتان على الكفر به ويصيران الى النار . نزل ذلك بمكة
 وهما حيّان سليمان ، فكان ذلك كله على ما قال وعلى ما أخبر وكما فصل
 وفسّر . وهذه غيوب كثيرة لا يكون مثلها بالاتفاق ولا بالحدس ولا
 بالزرق (١) ، ولا يتفق لحدّاق المنجمين أقلّ القليل من هذا . ومن عجيب
 الأمور انها نزلت بمكة ، وتلاها رسول الله ﷺ ، وسمعها ابو لهب وجميع
 أعداء رسول الله ﷺ من قريش والعرب وغيرهم وهم أعوان ابي لهب ،
 فهاجهم هذا القول في عداوته ، وزاد في غيظهم وحنقهم ، وأذكرهم بنفسه
 وهو معهم وفي أيديهم وفي قبضتهم ، فما ضره ، ولا تمّ لهم أمر في الظفر
 بقتله ، ولا على زلة يتبين فيها كذبه وسقوط قوله ، وهذا لا يقدم عليه
 العاقل إلا وهو على غاية الثقة بما يقول ، ورسول الله ﷺ ممن لا يدفع
 عدوه عقله . ومنذ نزلت هذه السورة والى هذه الغاية يحرص أعداء
 رسول الله ﷺ ان يجدوا في ذلك مطعناً فما وجدوا . وقد رجع بعضهم
 الى بعض في ذلك وتشاوروا فيه ، وتعاضدوا وتعاونوا ، فكان عليه ما
 انتهى اليه كيدهم أن قالوا : لما رأى عمه وامرأته قد صمما في تكذيبه
 وعداوته قال ذلك فيها .

(١) الزرق: الخداع ، وفي اللسان : رجل زراق اي خداع .

قيل لهم : قبل كل شيء قد تم ما قال على ما فسر وشرح ،
وحصل ذلك على وجه انتقضت العادة به ، وظنونكم هذه لن تقدح في
هذا العلم ، وهذا كاف في جوابكم .

ثم قيل لهم : قد صنع مثل صنيع ابي لهب خلق كثير فما قال هذا
فيه ، ومنهم من أسلم . وايضاً فلو قال في ابي لهب انه يسلم قبل اسلامه
وأسلم لأمكن الخصم ان يقول : ما في هذا دلالة ، لأن الرجل عمه ،
وقد رأى اخوته حمزة والعباس وقد أسلما ، وقد أسلم ولد أخيه ابي
طالب جعفر وعلي ، فكيف لا يسلم هو ايضاً ؟ فهذا كان أقرب وأظهر
في الرأي والتدبير ، فلم يقل ذلك وقال غيره وخلافه ، لتعلم ان هذا
قول علّام الغيوب وكلامه عز وجل .

وقالوا لو أسلم لكان له ان يقول : انما قلت انه سيصلى النار إن لم
يسلم ، وإن أقام على الكفر ، كما قال : « إنه من يُشرك بالله فقد حرمَّ
الله عليه الجنة . »

قيل له : قبل كل شيء قد تم ما قال وما وجد له خلف ، وحصل
على وجه انتقضت العادة به كما بينا وقدّمنا ، وأخذت انت ايها الخصم
تقول لو لم يكن هذا ويتم بأي (١) شيء كان يعتذر ، وحصلت على تدبير
ما لم يكن ، وجهلت ايضاً اللغة وموضع العربية لأن قوله عز وجل :
« انه من يشرك بالله فقد حرمَّ الله عليه الجنة » انما هو جزاء ،
وليس بخبر عن احد انه سيفعل ذلك ، وهذا كقول القائل : من سرق

(١) في الأصل : بأن ، والقراءة اجتهادية

مالي قطعته ، ليس بإخبار عن احد أنه سيسرق ما له ، ويجوز ان لا يسرق ماله أحد البتة مع هذا القول .

وقوله تبارك وتعالى في أبي لهب وامرأته انه : « ما أغنى عنه ماله وما كسب » من تلك / الأمور ، وانه سيصلى وامرأته فاراً ذات لهب ، إخبار عن أمور ستكون فكانت كما قال ، كقوله عز وجل : « قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد » (١) ، وكقوله : « سيهزم الجمع ويولون الدبر » (٢) . وكقوله عز وجل « فسيفضون اليك رؤسهم » (٣) . فهذا باب .

أ / ١٨

وَبَابِ آخِرِ

وهو أن قريشاً والعرب لما أعيتهم الحيل في أمر رسول الله ﷺ ، كانوا يستروحون الى أدنى غمّ يناله ﷺ ، فمات ابنه ابراهيم وهو أكبر ولده وبه كان يكنى ، ومات ابنه عبد الله ، فسرت قريش بذلك ، وقال بعضهم لبعض : ابشروا فقد انبتر محمد ، فأنزل الله عز وجل : « إنا أعطيناك الكوثر . فصل لربك وانحر . إن شئت لك هو الأبتى » (٤) . فانبترت ديانات قريش والعرب كلها وبطلت عن آخرها ، ولم يبق على ذلك الدين عين تطرف ، وتم أمره ﷺ وسطع نوره وعلا وقهر .

(١) آل عمران ١٢

(٢) القمر ٤٥

(٣) الاسراء ٥١

(٤) الكوثر ١ و ٢ و ٣

وفي هذا غيوب كثيرة أخبر بها قبل ان تكون ؛ ثم وردت على وجه يغيظ ويغضب ويبعث على الوثوب به وعلى قتله وعلى إطفاء نوره ، وقد حرصوا على ذلك فما تم . وهذا قول لا يورده العاقل على الوجه الذي أورده رسول الله ﷺ إلا وهو على غاية الثقة بالله والسكون الى ما يوحيه اليه عز وجل ، ورسول الله ﷺ ممن لا يدفع عدوه عقله ، وكانت قريش تقول فيه لمات بنوه : محمد 'صنبور' (١) ، أي منقطع الأصل منبتر الذكر .

ب / ١٨

وقيل لأعرابي : كيف نخلك ؟ / فقال : صنبر أسفله وعشش أعلاه ، أي ضعف أصله وعشش أعلاه فبطل كله وزال الانتفاع به .

والكوثر هو على وزن فَوْعَل ، كنوفل وحوقل ، وهو الكثير من الجميز خاصة . فيريد عز وجل : إنا أعطيناك الكثير من التأييد والنصرة والحجة والعزّ والثواب والأجر ، وفيه دلالة على بطلان قول من قال : إن أبا بكر وعمر وعثمان وتلك الجماعات من المهاجرين والأنصار كانوا أعداء رسول الله ﷺ وشائبه ، وأنهم قصدوا تغيير القرآن ، وتبديل دين رسول الله ﷺ ، وإماتة نصوصه ، ودفع وصيته وخليفته ، ففعلوا ذلك وقهروا وغلبوا وكانت الغلبة لهم ، وخليفة رسول الله هو المغلوب المقهور ، وهم الغالبون القاهرون ، وان خليفة رسول الله ﷺ ووصيته ما تمكن الى ان خرج من الدنيا .

قلنا : فلو كان الأمر كما قلتم لكان هذا قد كذب وكان يكون : إن

(١) جاء في لسان العرب: الصنبور: النخلة المنفردة من جماعة النخل، ورجل صنبور: فرد ضعيف ذليل لا اهل له ولا عقب ولا ناصر . لسان العرب مادة صنبر

شانئك هو الأقهر والأغلب والأظهر ، وأنت الأبر ، فلو أنصفوا وتدبروا
القرآن لما قالوا في المهاجرين والأنصار هذا القول .

وَبَابِ آخِر

وهو ان قريشاً لما حرضوا على قتل رسول الله ﷺ وإبادته وإطفاء
نوره ، وعلى التنفير منه والصدّ عنه والله تعالى يصرفهم بالطفاه عنه
مشوا اليه ، وهم : الوليد بن المغيرة ، وعقبة بن ابي معيط ، والنضر بن
الحارث بن كعدة ، وأمّية بن خلف ، وعتبة بن خلف ، والجماعة من قريش ،
قالوا : يا محمد ، انك قد سفهت أحلامنا ، وكفرت أسلافنا ، وعبت آلهتنا
وأدياننا / ، وشتت كمتنا ، وقطعت أرحامنا ، فهلم الى أمر يكون
بيننا وبينك ، فتعبد أنت آلهتنا التي نعبدها ونعبد إلهك ، وتعبد آلهتنا
التي كنا عبدناها ونعبد إلهك ، ثم تعبد ما عبدنا ونعبد ما عبت ؛
فإن كان معنا خير كنت قد أصبت منه ، وان كان معك خير كنا قد
أصبنا منه ، وتكون كمتنا سواء ، وتسالنا ونسالملك ، وتكون لنا
ونكون لك ؛ فأنزل الله تعالى : « قل يا أيها الكافرون . لا أعبد
ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا انا عابد ما عبدتم ،
ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولي دين » فأخبر انه لا يصير
ولا يجيب الى ما قالوا ، ولا يقبلهم بهذا الشرط ، ولا يكونون على
هذا الوجه عابدين لله على الوجه الذي عبده ، فكان كما قال .

أ/١٩

وفي هذا غيوب كثيرة مفصلة جاءت كما أخبر ، وهذا لا يكون إلا
من علام الغيوب ، ولو لم يكن من آياته إلا هذا لكفى وأغنى . فهذا

يدلك على خضوع قريش واليهود والنصارى وجميع اعداء رسول الله ﷺ وانقطاعهم في يده ، وانه لا مطعن في آياته . ولهذا المعنى قال الله : « فلا تطع المكذبين ، ودثوا لو تدهن فيدهنون » (١) ، أي لو قاربتم وأجبتهم الى ما دعوك لأجاوبك ، ولو داهنتهم لداهنوك . فتأمل قوله : « قل يا أيها الكافرون » كيف يجبههم بالإكفار والتجهيل والتضليل ، وهم أشد عالم الله أنفة ونخوة وجبرية ، ودفاعاً عن انفسهم ، وموآنية لعدوهم ، وهو بمكة معهم وفي ايديهم وفي قبضتهم ، والعزوة والغلبة والكثرة لهم لا له ، فهيجهم على نفسه بهذا القول ، وبعمهم على مكروهه ، فنجاه الله منهم .

وهذا قول / لا يقوله عاقل وحاله ما وصفنا إلا وهو على غاية الثقة بالله ، بدفعه عنه ، ورسول الله ﷺ من لا يدفع عدوّه عقله ، فمن أي شيء تعجب رحك الله ؟ أم إن إقدامه ، أم من مصير الأمر الى قوله وحكمه .

فاعرف هذه القصة واحفظها فانها عظيمة جليلة ، ولهذا قال رسول الله ﷺ : « من قرأ سورة « قل يا أيها الكافرون » فكأنما قرأ ثلث القرآن » . وكان يقال في صدر الاسلام لـ (قل يا أيها الكافرون) و (قل هو الله أحد) المقشقستان (٢) ، أي هما براء من الشرك ، يقال للجرح اذا برأ واندمل : تشقشش الجرح .

(١) القلم ٩

(٢) قشش : في اللسان يقال تشقشش الجرح : تعرض قرحه للبرء ، والقشششة : تهيؤ البرء ، والمشقششان : قل هو الله احد وقل اعوذ برب الناس لأنها كانا يبرأ بها من النفاق ، وقيل : هما قل يا أيها الكافرون وقل هو الله احد . اللسان مادة قشش .

وقوم من الكتاب وعمال السلطان يعرفون ببني ابي البغل^(١)، يدعون
انهم من المسلمين ومن الشيعة وهم يملون ميل القرامطة ، ويلزمون صنعة
النجوم ، وبقاياهم بالبصرة في سكة قريش ، ومنهم ابو محمد بن ابي البغل ،
وهذا خلقه وصنعه ، وهو حي الى هذه الغاية وهي سنة خمس وثمانين
وثلاثمائة ، يقولون في « قل يا ايها الكافرون » : هي من البوارد ومن الأشياء
التي لا معنى لها ، ويتحدثون بذلك في دواوينهم ومحافلهم ، ويضربون في
ذلك الأمثال ؛ وهذا لجهلهم بالأسباب ، ولو كان لهم تحصيل وتدبير
وقصدوا الانصاف وطلبوا العلم من موارد علماء ان هذا من معجزاته ،
ولكن العجب قد شغلهم ، وهم يعدون انفسهم من الخاصة وهم أسقط من
سقاط الغوغاء ، ولولا ان هذا شيء قد شاع في الكتاب وأشباههم في
جميع البلاد لما ذكرته لك ، ولكنه شيء قد دار وصار اهل الذمة مع
القرامطة يلقون / به العامة والضعفاء من المسلمين ، وليس للاسلام قيم
ولا ناصر بل كل السيوف عليه ، فالله المستعان .

وأخرى تبين لك جهل هؤلاء ونقضهم ونقض كل طاعن في القرآن ،
ان الذي جاء بهذا القرآن ادعى انه كلام الله وقوله ، وان الجن والإنس
لا يأتون بمثله ولا بمثل سورة منه ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، وانه
حجة الله على خلقه الى يوم القيامة ؛ وقد سمعه الناس كلهم منه ، وقد

(١) ورد في الفهرست تحت عنوان ابن ابي البغل : اسمه محمد بن يحيى بن ابي البغل ويكنى
ابا الحسين ، استدعى من اصفهان ، وكان يلي الوزارة في ايام المقتدر ، وكان بليغاً مترسلاً فصيحاً من
اهل المروءات ، وكان شاعراً ايضاً مجرداً مطبوعاً ، فله ديوان رسائل كتاب رسائله في فتح البصرة .
الفهرست ١٩٧ .

طالبهم ان يأتوا بمثل سورة منه فلم يأتوا مع شدة الحاجة الى ذلك ، وقد بذلوا ما هو أعزّ وأعظم في دفعه وإبطال أمره من الأموال والأنفس والأولاد . واذا كان هذا شأنه من السخف والركاكة ، وفيه الكذب والتناقض على ما يدّعي هؤلاء ، أعداء الاسلام ، فكيف يحتاج عاقل بما هذا سبيله ؟ وكيف لم يقل أعداؤه له : تتحدّانا بشيء ركيك بارد غثّ متناقض ؟ وكيف لم يقل أعداؤه له ذلك ؟ وكيف يُتبع ويُطاع مَنْ هذا سبيله ؟ وكيف لم يقل أعداؤه لأتباعه : يا ويحك فارقتم دينكم ، وأنفقتم أموالكم ، وسفكتم دماءكم ، وعاديتم الأمم ، واتبعتم رجلا حجته هذا القرآن وفيها الكذب والتناقض ؟ ومثل هذا لا يُطاع ولا يُتبع ، بل يكون في سقوط المنزلة بمحل من يركب قسبة ويركض في الاسواق ويقول : انا الملك ، وانا الأمير ، ويشتم الملوك والأمم والرؤساء ، ويتعادى خلفه الصبيان ؛ ومثل هذا لا يعاديه أحد ولا يضربه ولا يسبه فضلا ان يقتله / ، لأنه لا يضّرّ احداً ولا يغضب عاقل من فعله وقوله وإن شتمه وتواعده . فلم غضب أولئك العقلاء من قريش والعقلاء من العرب والدهاة من اليهود والنصارى وطبقات الأمم والملوك منه ومن أفعاله ، وبذلوا أموالهم وأولادهم ودماءهم في عداوته وفي الصدّ عنه والمنع من اتّباعه ، ورحلوا الى الملوك يشكونه ويضجّون منه ، ويبعثونهم على قتله ، ويخوفونهم سطواته وغلبته على ممالكهم ؟ فقد رحلت قريش الى النجاشي ملك الحبشة في هذا ، ورحلت نصارى العرب الى قيصر ملك الروم في هذا ، وقد صار النضر بن الحارث بن كلدة الى الفرس في هذا ، وكان من كسرى أبرويز في هذا ما هو المذكور ولعله ان يرد عليك ، وهذا مع (١) انه جواب لكل عدو لرسول الله ﷺ ، فهو كاف .

(١) في الاصل : مع ما

وَبَيِّنْ لَهُمْ

وهو ما وعد أصحابه من المهاجرين والأنصار والمكيين في حال ضعفهم ان الله سينصرهم ويمكنهم ويقوتهم ويظهرهم ، فيقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وتكون العقبي لهم ؛ وتلا بذلك القرآن وخلده وأسمعه عدوه ووليته ، فقال عز وجل : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله . ولولا دفع الله الناس... (١) » الى قوله : « والله عاقبة الأمور » ؛ فتمكن أصحابه وخلفاؤه ، فأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، وكانت العقبي لهم / » .

أ/٢١

وفي هذا غيوب كثيرة أخبر بها قبل ان تكون فكانت كما فصل وكما أخبر وفسر ، لتعلم ان هذا قول الله وكلامه ، وان محمداً رسوله . وهذا في سورة الحج وهي مكية ، ولو كانت مدنية لكان فيها من الدلائل مثل ذلك ، ولكنها اذا كانت مكية كانت آكد في الحجة لأن ضعفهم إذ ذاك أشد ، « الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق » (٢) ، ولقولهم : « ربنا الله » ، ولكفرهم بديانات قريش والعرب هم المهاجرون

(١) الحج ٣٩ وما بعدها

(٢) الحج ٤٠ ، والآيات هي : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز . الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور » ٢٥

خاصة . وفي هذه الآية دلالة على صحة إمامة أبي بكر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، وشهادة بأنهم أئمة هدى ، وأن طاعتهم طاعة الله ، لأنهم من المهاجرين والمكيين والتابعين ومن الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق لقولهم : « ربنا الله » ، وهم الذين تمكنوا وتولوا الأمر ودعوا الى الله وفعلوا ما قال الله ، كما هو مذكور في الآية .

ولو كانوا منافقين أو مشركين أو مرتدين كما تدعى ذلك عليهم طوائف الرافضة لكان هذا الخبر قد أخلف وكذب ، وكان الذي أتى به وتلاه ليس بنبي بل كذاب ، لأن هؤلاء الذين تملكوا وتمكنوا وكان الأمر والسلطان والقهر والغلبة لهم ؛ فزعمت الرافضة انهم بدلوا القرآن وأحرقوه ، وغيروا النصوص ، وعطلوا الدين ، وغيروا الطهارة والأذان والمواقيت والصلاة والصيام والمناكح والطلاق ، وأماتوا السنن ، وأحيوا البدع ؛ وكان خليفة رسول الله ﷺ ووصيه (١) مغلوباً مقهوراً يظهر ما يظهرون من الشرك ، ويجوز أحكامهم عليهم ، فأين صدق هذه الآيات . وقد كان ينبغي أن يكون / على ما يدعيه الرافضة أن تكون التلاوة : « والذين إن مكنهم في الأرض عطّلوا الصلاة والزكاة وأماتوا النصوص وقهروا الوصي المنصوص عليه ، وأمروا بالنكر ونهوا عن المعروف » فتعلم أن هؤلاء قد ذهبوا عن القرآن وفارقوا الدين ، وتعلم ان هؤلاء السلف على الحق ، وان الله تولى نصرهم كما وعدهم ، والله لا ينصر إلا أوليائه وأحبيائه وأهل طاعته . وقد كان المهاجرون يحتجون بهذا . قال صعصعة بن صوحان (٢) - وقد كان رحل الى عثمان في شأن قوم كانوا

(١) يقصدون علياً رضي الله عنه .

(٢) انظر الطبري حوادث سنة ٣٣ ، فيه تفصيل حادثة النفر الذين اخرجهم سعيد بن العاص =

قد أساءوا فسيّرهم وحالهم معروفة - : ما رأيت أسرع جواباً من امير المؤمنين عثمان ، قلنا له : أخرجنا من ديارنا أن قلنا ربنا الله ، فقال : كذبت ليست لك ولأصحابك ولكنها نزلت فينا معشر المهاجرين ، أخرجنا من ديارنا ان قلنا ربنا الله ، فمننا من مات بأرض الحبشة ، ومننا من مات بالمدينة ، فنصرنا الله ومكننا ، وأقمنا الصلاة وآتيننا الزكاة ، وأمرونا بالمعروف ونهينا عن المنكر ، وكانت العقبي لنا . وهذا لا يذهب على متأمل وإنما ذهب على اهل الغفلة .

بَاب آخِر

وهو انه صلى الله عليه وسلم أُسري به في ليلة واحدة من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ثم عاد من ليلته الى مكة ، ومدة السفر في ذلك مقدار شهرين اي ذهاباً وإياباً ، وهذا لا يفعله الله إلا للأنبياء في زمن الأنبياء . ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدث بذلك في أهله ، فقالت له ام هانئ بنت ابي طالب : لا تتحدث بهذا ، فوالله لا صدقك الناس ، وليكفرن بك من / آمن بك ، وليكذبنك من صدقك . فقال صلى الله عليه وسلم : ان ربي أمرني ان أخبر الناس بذلك وان ابا بكر يصدقني ويشهد لي . فخرج وأخبر قريشاً بذلك فسرّهم هذا ، وقالوا : الآن يظهر كذبه وينقطع الناس عنه ، قوموا بنا الى صاحبه ابن ابي قحافة لنخبره بما قال صاحبه . وكان ابو بكر

أ/ ٢٢

= من الكوفة بعد ان اتهموا بالشغب فيها، وكان فيهم: مالك بن الاشتر، وثابت بن قيس، وكميل ابن زياد النخعي ، وضعمة بن صوحان .

ثقل الوطأة على قريش وأعداء رسول الله ، فانه كان يدعو الى نبوته ، ويخطب بآياته ، وكان وجيهاً في الناس ، عالماً بقريش ، باين الفضل فيهم ، فكانوا يقصدونه بالمكاره لهذه الخصال التي كانت تضرمهم . وقد استدعى خيارهم ووجههم الى الاسلام ، وأنفق ماله في نوائب الاسلام ونصرته ، وكانوا يطلبون شيئاً يصدّه عن رسول الله ﷺ وينعنه من اتباعه . فأتوه وقالوا له : يا ابا بكر ، ما زال صاحبك حتى أتى بكذبة خرج بها من أقطارها . قال ابو بكر : حاشاه ، وما هو ؟ قالوا : زعم انه أسري به في ليلة الى بيت المقدس . فقال ابو بكر : إن كان قال ذلك فقد صدق . قالوا : يا ابا بكر ، أتصدقه في هذا والعرير تطرد في ذهابها شهراً وفي رجوعها شهراً ، أبلغه في ليلة واحدة ؟ قال ابو بكر : انه ليخبرني ان الخبر يأتيه من السماء الى الارض في ساعة واحدة فأصدقه ، وُبعد السماء عن الارض اكثر من بُعد بيت المقدس من مكة ؛ قوموا بنا اليه نسأله عن ذلك . فأتوه ، فقال له ابو بكر : ما شيء بلغني عنك يا رسول الله انك أتيت بيت المقدس في ليلتك ؟ فقال : نعم يا ابا بكر ، صليتُ بكم في هذا الوادي ، فأتاني آتٍ ، فأيقظني وأخرجني وجاء بدابته فقال : اركب فأرقت^(١) ، فقال لها جبريل : اسكني ، فما حملت خيراً منه . فسارت بي ، واذا حوافرها تقع مدى / بصرها ، وكنت اذا أتيت صعوداً قصرت قوائمها ، واذا أتيت حذوراً طالت قوائمها ، فأتيت بيت المقدس ؛ وذكر صلته ودخوله اليه ورجوعه . فقال له ابو بكر : يا رسول الله ، هل تستطيع ان تصف لنا بيت المقدس ؟ فقال : نعم . فوصف مدخله والمسجد

(١) ارفقت الناقة اذا رعت وحدها والراعي ينظر اليها ، وتعنى هنا النفور والترك . انظر القاموس . مادة : رقص .

وسقوفه وما فيه شيئاً شيئاً ، وكان إذ ذاك في أيدي الروم ، وكان ملك الشام لهم وبعضه في أيدي اليهود ، فقال ابو بكر : أسمعون ؟ وكان فعل ابو بكر ذلك ليعرف الناس صدق رسول الله ﷺ فيما ادعى . فقالت قريش : فان لنا غيراً بالشام عرفت خبرها ؟ فقال : نعم ، مروت بهم في ذهابي ، وهم في موضع كذا ، وقد ندد لهم بعير من حسن دابتي فدللتهم عليه ، ورجعت عليهم وهم نيام وقدح فيه ماء وقد خمره ، فنزلت وكشفته وشربت وخمرته .

ثم قال : وآية اخرى أنهم يردون عليكم يوم كذا وقت طلوع الشمس ، وتقدم غيرهم من ثنية كذا ، يقدمها جبل أورق عليه غرارتان ، إحداهما برقاء والأخرى سوداء . فأرصدت قريش لذلك اليوم ، فقال قائلهم : هذه الشمس قد طلعت ، وقال آخر : وهذه العير قد أقبلت وأمامها الجبل الأورق وعليه الغرارتان كما وصف . وسألوهم عن البعير الذي ندد وعن القدح الذي كان فيه الماء فأخبروهم بذلك كما وصف ، وأنهم وجدوا القدح فارغاً بعد ان كان فيه ماء .

فتأمل ما في هذا من الآيات والمعجزات والعلامات الواضحات البينات التي لو لم تكن إلا هذه لكفت وأغنت في الدلالة على نبوته .

فنها مصيره ورجوعه في ليلة واحدة ، ومنها إخباره بالوقت التي ترد فيه عير قريش على أي سبيل ترد / فكم في هذا من الغيوب .

أ / ٢٣

فإن قيل : ومن سلم لكم أن هذا قد كان على ما وصفتم لنا ، وكيف علمتم هذا ، وما طريق العلم به ؟

قيل له : قبل كل شيء قد علمنا انه ﷺ قد احتج بالإسراء وجعله قرآناً يتلى (١) ، وقد سمع هذا جميع اعدائه من قريش واليهود والنصارى وهم معه وجيرانه وأشد الناس عليه وأحرصهم على عثرة تكون له او عيب يكون فيه ، وهنالك اصحابه ومن قد اعتقد صدقه ونبوته ولم يتبعه إلا لأنه نبي صادق وعاقل لا يحتج على عدوه ووليه بما لا يقوم برهانه ، ثم لا يرضى أو يأتي في ذلك بقرآن يتلى ويضيفه الى ربه ويستطيل بذلك على عدوه ووليه ، وليس معه في ذلك إلا الدعوى الخالية من كل الحجج ؟ هذا لا يفعله عاقل ، وعقل رسول الله ﷺ عند عدوه فضلاً عن وليه فوق العقول .

وأخرى أن من فعل هذا على ما يدعيه الخصم لا يتبعه احد ولا يصدقه احد بل يرجع عنه من قد اتبعه ، إذ ليس معه إلا الدعوى على ما يدعيه الخصم ، وكل احد يمكنه ان يدعي انه قد أسري به في ليلة واحدة من البصرة الى بيت المقدس او من العراق الى بلاد الهند وما تبينت بما هذه سبيله ، فتعلم ان الحجة بذلك قد قامت واتضحت .

وأخرى ما جرى بين قريش وبين رسول الله ﷺ ، وبين قريش وأبي بكر الصديق ، وما كان في ذلك من طول المراجعة ، ومن عني بذلك يعلم ان الأمر كما حكينا ووصفنا علماً يقيناً لا يرتاب به ، كما يعلم فرار المهاجرين الى ارض الحبشة ، وإخراج قريش عمرو بن العاص وعمارة ابن الوليد بن المغيرة في طلبهم ، وما كان لهم معها مع النجاشي من

(١) تنازلت سورة الاسراء قصة الاسراء بقوله تعالى : « سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لئريه من آياتنا انه هو السميع العليم » .

المخاطبات / والمراجعات ، الى ان صارت العقبى للمسلمين . وكما يعلم خروج رسول الله ﷺ الى المواسم وعرضه نفسه على القبائل ، وما كان له معهم من المحاورات والمراجعات والمخاطبات . وكما يعلم خروجه الى الطائف وعرضه نفسه ، وما كان له معهم من المراجعات والمخاطبات . وكما كان له مع قريش بمكة في حفل بعد حفل ومرة بعد مرة ، وفي مشيهم الى ابي طالب ليكفه عن مخالفتهم وتجهيلهم وذكر آهنتهم ، وما تعاهدوا عليه من عداوته وعداوات اصحابه ، ومن التجريد في قصدهم بالمكارة ، وما كتبوه في ذلك . وفي ترك مبايعتهم ومناكحتهم ومعاملتهم ، وما أشبه ذلك من الخطوب التي كانت منهم . فمن رسخ فيما هذا سبيله ، عرف قصة الاسراء وما كان لرسول الله ﷺ في ذلك مما تقدم ذكره ، ومن لم يكن هذه سبيله لم يعلم ، ولكل احد سبيل الى ان يعلم ذلك .

فتأمل رحمك الله ما في ذلك ، وقول أم هانئ ، واحتجاج قريش في ان المسير في ذلك يكون في شهرين فكيف تم في ليلة واحدة ، ومطالبتهم بالحجة في ذلك ، ثم مسألتهم عن عيرهم التي بالشام ، ثم مصيرهم الى المكان في الوقت الذي ذكر رسول الله ﷺ أن العير ترد فيه وتفقد صورتها وما تقدمها ، ثم مسألتهم اهل العير عن القدح لتعرف عقول قريش وشدة فطنتها وعنايتها بأمر النبي والتفقد لأحواله . وانظر كيف قد سألوا عن ذلك مما يمكن العاقل ان يسأل عنه ويتكلم فيه .

وانظر الى فطنة أم هانئ بنت ابي طالب وخوفها مما يخاف مثله ، وأن هذا الأمر إن لم يقم على الدعوى به حجة لم يصدق احد ، بل

يكذبه / من صدق به ويكفره من آمن به ، لتعلم كذب الحداد ،
 وأبي عيسى الوراق (١) ، والحصري (٢) ، وابن الراوندي (٣) ، وهؤلاء
 علماء الإمامية ورؤساؤهم ، وعليهم يعولون ، والى كتبهم يرجعون .
 ولكل هؤلاء كتب يطعنون فيها على الانبياء ، ويدعون على قريش
 والعرب الجهل والبلادة والغباء وان رسول الله ﷺ خدعهم
 وسخر منهم .

وهذه الكتب منقوضة قد نقضها غير واحد من المعتزلة ، والمطاعن
 على الانبياء ، كلهم انما هي من جهة هؤلاء الشيع ، والإمامية تواليهم
 وترجع الى اقوالهم ، فاعرف هذا فإنه من العجائب وبك الى معرفته
 أشد الحاجة .

فمن كتب الحداد في هذا الشأن كتابه « الجاروف » وكتابه
 « الاركان » ، وكتاب الحصري « في تسوية اصحاب الكلام بالعوام » ،
 وكتاب « الزمردة » وكتاب « غريب المشرقي » وكتاب ابي عيسى الوراق ،
 وكتاب حنين « البهائم » ، وكتاب « التاج » في القدم لابن الراوندي ،
 و « الزمردة » و « الفريد » و « التصفح » وكتاب « نعت الحكمة » في الطعن
 في حكمة الله ، وكتاب « الدامغ » يطعن فيه في القرآن وغير ذلك
 من كتبهم .

(١) ابو عيسى محمد بن هارون الوراق المتوفى سنة ٢٤٧ هـ . منجم المقال ٣٢٨

(٢) هو احمد بن يحيى بن اسحاق الراوندي ، ذكره القاضي في الطبعة الثامنة من رجال
 الاعتزال ، وذكر انه ألد وخرج عن الدين كما ذكر انه يقال بأنه تاب آخر عمره . من كتبه
 التاج في الرد على الموحدين ، والدافع في الرد على القرآن ، والفريد في الرد على الانبياء . المنية
 والأصل ٩٢ .

وفضيحتهم في هذه الكتب واضحة ، وليس لرسول الله ﷺ اعداء مثلهم ، والشيع تتوالاهم لأنهم عملوا كتباً لهم في الطعن في المهاجرين والأنصار .

فمن هذا العجب ، ان قوماً يدعون انهم من المسلمين يوالون هؤلاء ويرجعون الى كتبهم ، فتبين زحمك الله الحال في ذلك ، لتعلم انه لا يطعن على المهاجرين والأنصار إلا من يطعن على الأنبياء صلوات الله عليهم ، وإنما تستر هؤلاء الملحدة والزنادقة بالتشيع والإمامة ليستوي لهم الطعن على الانبياء وتشكيك المسلمين في الدين فاعلم ذلك / .

ب/٢٤

وَبَابُ آخِر

وهو ما نزل بمكة في رجال بأعيانهم انهم يصرون على شركهم الى ان يموتوا ، وان الله سيذيقهم من عاجل الخزي في الدنيا ، وقد صنع مثل صنيعهم قوم علم الله انهم يدخلون في الاسلام فلم يأت من عند الله فيهم ما أتى في اولئك .

فمن ذلك ما نزل في أبي جهل : « فلا صدق ولا صلي ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى أهله يتمطى . أولى لك فأولى » (١) . فقال أبو جهل : لم يهدني رب محمد وأنا أعز اهل البطحاء وأكرمهم ؟ فأنزل الله في استهزائه بالزقوم وقوله : انه التمر بالزبد فقال : « إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كلهل يغلي في البطون كغلي الحميم . خذوه فاعتلوه الى سواء

(١) القيامة ٣١ وما بعدها

الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحمم . ذق انك انت العزيز
الكريم ، (١) أي بزعمك .

نزل هذا كله فيه وهو يومئذ حيّ سليم ، فأذاقه الله حرّ الحديد
بيدر ، ومات على الكفر كما قال وكما أخبر .

ونزل في الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة من قريش :
« ويل لكلّ همة لمزة (٢) . الذي جمع مالاً وعدده . يحسب أن ماله
أخلده . كلا ليُنْبَذن في الحطمة » فمات على كفره .

ومنهم النضر بن الحارث بن كلدة أخو بني عبد الدار ، وكان شديد
الرد على الله وعلى رسوله ، شديد العداوة والإرصاد . وقد كان رحل في
عداوة رسول الله ﷺ إلى فارس ، وطلب ما يكيد به الاسلام
والمسلمين ، فوجد احاديث رستم وأسفنديار والفرس (٣) ، فاشتراها وقدم
بها مكة فجعل يتحدث بها . وكان رسول الله ﷺ اذا قام من مقعده
خلفه فيه النضر / وحدثهم بتلك الأحاديث وقال : حديث محمد عن
عاد وثمود والأمم من هذا ، بل هذا احسن . فأنزل الله فيه : « ومن
الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها

(١) الدخان ٤٣ وما بعدها

(٢) ذكر الطبري في تفسير سورة « ويل لكل همة » ان بعض المفسرين قالوا : عني بالآية
رجلا من اهل الشرك بعينه ، فقال بعضهم هو جميل بن عامر الجمعي وقال آخرون هو الاخنس
ابن شريق . الطبري ٣٠ : ١٦٢ .

(٣) ذكر ابن النديم كتاب رستم واسفنديار بين اسماء الكتب التي ألفها الفرس . الفهرست
لابن النديم ٤٢٤ .

هزواً وأولئك لهم عذاب مهين . واذا تتلى عليه آياتنا ولتى مستكبراً
 كان لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً فبشّره بعذاب أليم ، (١) ، ونزل فيه
 غيرها ايضاً . وقيل : يوم بدر أصابته جراحة ذهب بقحف رأسه ،
 وحصل مع المسلمين في جملة المأسورين وقال : لا أذوق لهم طعاماً ولا
 شراباً ما دمت في ايديهم ، فمات من الضربة وصار الى النار بعد ان
 أذاقه الله العذاب المهين في الدنيا كما قال وكما اخبر .

ومنهم الوليد بن المغيرة المخزومي ، وكان من الأشداء على المسلمين ،
 فقال لقريش حين حضر الموسم : ان الناس قادمون عليكم وسائلوكم عن
 صاحبكم ، يعني رسول الله ﷺ ، فماذا تقولون ؟ قالوا : نقول مجنون ، قال :
 يكلمونه فلا يجردونه مجنوناً ، قالوا : نقول شاعر ، قال : فهم اصحاب الشعر
 يقولونه ويروون بسيطه وهزجه فلا يجردونه شاعراً . قالوا : فنقول كاهن ،
 قال : فقد رأوا الكهنة وتكلمتهم وكذبهم . قالوا : فما نقول يا ابا عبد
 شمس ؟ ففكر وقدّر ونظر وعبس وبسر (٢) كما وصفه الله تعالى في سورة
 المدثر ، ثم قال : « إن هذا إلا سحر يُؤثر » . وكان له عدة بنين ، وكان
 ذا مال واسع ، فكان بنوه يحضرون ويُشهِدون عقلاء ، فأنزل الله فيه :
 « ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً . وجعلتُ له مالا ممدوداً . وبنين مُشهوداً .
 ومهدتُ له تمهيداً . ثم يطمع أن أزيد . كلا انه كان لآياتنا عنيداً » .
 الى قوله : « سأصليه سقر » (٣) فلم يزد الله مالا ولا ولداً بعد هذا كما
 أخبر ، ثم مات كافراً كما قال الله . وقد كان عند نزول ذلك حياً سليماً .

٢٥ / ب

(١) لقمان ٦

(٢) قد تشبهه الكلمة في الاصل ب : وبصر ، والصحيح ما اثبتناه

(٣) الآيات من سورة المدثر ، وأكثرها حول الوليد بن المغيرة

فانظر كم في ذلك من الآيات من الإخبار بالغيوب ، ومن عجزهم عن القرآن ان يأتوا بمثله في الفصاحة والبلاغة والجزالة ، فلم يتأت لهم ذلك مع حاجتهم اليه واجتهادهم فيه . وفصاحة القرآن وجزالته وبلاغته دلالة اخرى غير دلالة الإخبار بالغيوب .

بَابُ آخِرٍ

وهو ما كان بمكة من انشقاق القمر ؛ فان رسول الله ﷺ مر بمكة في ليلة قمرء ومعه نفر من اصحابه ، فاجتاز بنفر من المشركين ، فقالوا له : يا محمد ، إن كنت رسول الله كما تزعم فاسأل ربك ان يشق هذا القمر ، فسأل الله ذلك فشقه ، فقال المشركون : ساحروا بصاحبكم من شتم فقد سرى سحره من الارض الى السماء . فنزلت القصة في ذلك ^(١) . وهذا من الآيات العظام والبراهين الكرام على صدقه ونبوته ﷺ .

فإن قيل : ومن أين لكم ان القمر قد انشق له كما ادعيتم ؟ أتعلمون ذلك ضرورة ام بدلالة ؟ أوليس النظام ^(٢) قد شك في هذا وقال : لو كان قد انشق لعلم بذلك اهل الغرب والشرق لمشاهدتهم له ؟ وهذا شيء سيكون عند قيام الساعة ومن أشراط / القيامة ، فبأي شيء تردون

أ / ٢٦

(١) انزل الله في انشقاق القمر سورة القمر وأولها : اقتربت الساعة وانشق القمر . وان يروا آية يمرضوا ويقولوا سحر مستمر .
(٢) هو ابراهيم بن سيار ابو اسحق النظام ، احد أئمة المعتزلة المشهورين ، انفرد بأراء خاصة تابعه فيها فرقة من المعتزلة سميت النظامية . توفي سنة ٢٣٢ هـ . الاعلام ١ : ٣٦ .

قوله وتبينون غلطه إن كان قد غلط؟ قيل له : ما نعلم ذلك ضرورة ولكن نعلمه بدلالة ، فمن استدلّ عرف ، ومن لم يستدلّ لم يعرف ، ومن قصر عن الاستدلال والنظر غلط كما غلط ابراهيم النظام .

فوجه الدلالة على ذلك ان رسول الله ﷺ قد احتج بذلك على المسلمين والمشركين وتلا هذا القول عليهم من سورة القمر : « اقتربت الساعة » . ولم يكن ليقدّم ويحتج على العدو والوليّ بما لا حاجة فيه ، ويشير الى أمر ظاهر يُشار اليه ويشاهده الناس ، فلو أراد ان يكذب ويردّ قوله ما زاد على هذا ؛ هذا لا يقع من عاقل ولا يختاره محصل كائناً من كان ، فكيف يقع ممن يدّعي النبوة والصدق وهو أشد حرصاً بالناس كلهم على تصديقه واتباعه ؟ فلو أراد ان يكذّبوه ويردوا قوله ما زاد على هذا ، وهذا لا يذهب على متأمل .

فإن قيل : فما تنكرون على من قال انه صلى الله عليه وسلم ، ما احتج بهذا على نبوته ؟ قيل له : لا فرق [بين] (١) من ادّعى ذلك او ادّعى في جميع ما أتى به من القرآن وغيره انه ما احتج بشيء من ذلك على صدقه ونبوته .

وما يزيدك علماً بذلك وبين لك غلط النظام وجهل كل من ذبّ عن ذلك قوله تبارك وتعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر . وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمر » فانظر كيف قال : اقتربت الساعة ، وأخبر عن امر قد كان ومضى ، ثم قال على نسق الكلام :

(١) ما بين القوسين انشافة من عندي ليتصل الكلام .

« وانشق القمر » ، فجاء بأمر قد كان وانقضى ومضى فنسق على الماضي بالماضي ، ولو كان على ما ظنَّ النظام لقال : اقتربت الساعة وانشقاق القمر ، او كان / يقول وسينشق القمر ، فلما لم يقل ذلك وقال : وانشق القمر ، علمت انه اخبر عن شيئين واقعين قد وقعا وكانا وحصلا . ثم قال على نسق الكلام : « وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » فأخبر انها آية مرئية وحجة ثابتة . ثم قال على نسق الكلام : « ولقد جاءهم من الأنبياء ما فيه مزدجر . حكمة بالغة فما تغني النذر » ، وهذا لا يقال فيما لم يقع ولم يكن . فتأمل هذا التقريع والتعنيف لتعلم انه امر قد كان ، ولا يسوغ ان يقال في امر لم يكن ، ولم يقع هذا القول .

وأيضاً فإن ما يقع في القيامة وعند قيام الساعة لا يكون حجة على المكلفين ، ولا يعتفون في ترك النظر والتأمل له ، فإن التكليف - ينشأ زائل مرفوع ..

فأما قول النظام : فلم لا يشاهد هذه الآية كل الناس ، فليس هذا بلازم ، لأن الناس لم يكونوا من هذا على ميعاد وإنما هو شيء حدث ليلاً وما كان عندهم خبر بأنه سيحدث وسيكون في وقت كذا فينظرونه ، وإذا كان كذلك فقد بطل ما ظنه . يزيدك بياناً ان القمر قد ينكسف كله فلا يرى ذلك من الناس إلا الواحد بعد الواحد والنفر اليسير لنومهم (١) ، فكيف بانشقاق القمر الذي انشق ثم التأم من ساعته بعد ان رآه أولئك القوم الذين طلبوه .

(١) وقد تقرأ : لتوم .

وأيضاً فقد يجوز ان يحجبه الله عز وجل لمصالح العباد إلا عن أولئك القوم ، لأنه قد يجوز ان يكون في بعض البلاد من المكذبين والمحتالين في تلك الساعة من لو رأى ذلك لقال : انما انشق شهادة لي على صدقي ، ولا يكون ما ذكره النظام قد جاء في ذلك من هذا الوجه ايضاً ، وبطل ما توهمه .

ومدار / الأمر ان يكون هذا أمراً قد كان ، وقد ذكرنا الدلالة على كونه فلا عذر لمن شك فيه .

أ/ ٢٧

ومن الدلالة ايضاً ان ذلك قد كان ، ان الصحابة بعد رسول الله ﷺ قد تذاكروه فما فيهم من شك ولا ارتاب ولا توقف ، بل وقع إجماع منهم على كونه ووقوعه ، فلا معتبر بمن جاء بعدهم ممن خالفهم .

وقد ذكر انشقاق القمر علي بن ابي طالب ، وعبدالله بن مسعود ، وجبير بن مطعم ، وابن عمر ، وابن عباس ، وأنس بن مالك ، وخطب الناس مدينة بن مالك بالمدائن وذكر فيه انشقاق القمر . وكانوا يقولون : خمسٌ قد مضين : الروم والقمر والدخان والبطشة والالزام^(١) ، يتذاكرون هذا بينهم رحمة الله عليهم . وقد ذكرنا ما في العقل من الحججة في ذلك ، وهي تازم كل عاقل بلغت الدعوة ، سواء كان من المسلمين او من غيرهم ،

(١) يقصد بالروم غلبة الفرس على الروم وما تنبأ به القرآن من غلبة الروم بعد ذلك في سورة الروم ، والقمر حادثة انشقاق القمر الذي ورد في القرآن في سورة القمر ، اما الدخان فما ورد حوله في سورة الدخان ، وأما البطشة فيقصد بها وقعة بدر لقوله تعالى : « يوم نبطش البطشة الكبرى » ، وأما الالزام فقد قيل ان المقصود بها بدر ايضاً ، وقد ذكر ذلك ابن الاثير في النهاية ٤ : ٥٦ .

وفي ذلك أتم كفاية . ثم ذكرنا تذاكر الصحابة بذلك وهي دلالة اخرى ،
 إذ لا يجوز ان يقول عاقل بحضرة جماعة ، وقد أقبل على من يحدثه :
 قد كنا في وقت كذا حتى حدث كذا وكذا - وهو يستشهد بالذي
 حدث بحضرتهم ويدعى عليهم وما عندهم علم - فيمسكون عن تكذيبه
 والردّ عليه . ثم ذكرنا الاجماع السابق من الصحابة ليتأكد ذلك على كل
 من كان من اهل الصلاة .

بَاب آخِر

بما كان بمكة . وهو ان الفرس غلبت الروم على أرض الجزيرة وهي
 أدنى ارض الروم وممالكها من سلطان فارس ، فسّر ذلك مشركي قريش
 لشدة فارس على الاسلام والمسلمين ، وكانت الروم ألين كتفاً على المسلمين
 لأنهم اهل كتاب ، وكانوا يصغون / الى ما يرد عليهم من أخبار رسول
 الله ﷺ وما يدعو اليه وما يأمر به وما ينهى عنه وكيف سيرته ،
 ويتعجبون من ذلك ويستحسنونه ، ويكون من مَلِكِهِمْ ما لعله يردُّ
 عليك . وساء المسلمين ظهور فارس عليهم ، فأخبر الله نبيه ﷺ ان الروم
 ستظهر على فارس بعد سبع سنين ، وان غمّ المسلمين سيعود فرحاً ،
 وأنزل بذلك قرآناً يُتلى ، فقال عز وجل : « ألم . غلبت الروم في أدنى
 الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين . لله الأمر من
 قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر (١) من يشاء وهو

(١) في الاصل : ينصر الله ، وهو خطأ

العزیز الرحیم . وعدَ الله لا یُخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا
یعلمون . یعلمون ظاهراً من الحیاة الدنیا وهم عن الآخرة هم غافلون .

فلما نزلت هذه الآیة تلاها رسول الله ﷺ علی ابی بکر الصدیق ،
وبشره وبشر المسلمین ؛ فخرج ابو بکر الی المشركین وأخبرهم بذلك
وتوعدهم وجادلهم وأغضبهم وأغاظهم . فقال أُبَی بن خلف : والله لا
تغلب الروم اهل فارس ولا تخرجنهم من أرضهم . فقال ابو بکر : بل
تغلبهم وتخرجهم ، فإن شئت بايعتك ، فبايعه علی تسع من الإبل الی ثلاث
سنین . ثم دخل ابو بکر علی رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، فقال له
رسول الله ﷺ : انها سبع سنین فزده فی الخطر (١) ومدّ فی الأجل .
فرجع ابو بکر الی أُبَی بن خلف فاستقبله فأقاله ، وقال : ان الذي یجیء
به صاحبك باطل . فعاوده ابو بکر المبايعة وزاد فی الأجل اربع سنین ،
وزاد فی الخطر / ثلاثاً من الإبل ، وأخذ أُبَی ابا بکر بكفیل ، لأن ابا
بکر علی الهجرة مع رسول الله ﷺ ، وقد كان یذكر هذا وقد بدأ
فی فرار المسلمین بأديانهم ، فأقام له ابو بکر عبد الله ابنه كفیلاً ، وأخذ
ابو بکر أُبَی بن خلف بذلك فأقام له ابناً كفیلاً ، فأخرجت الروم فارس
من أرضها یوم الحديبية ، فأخذ عبد الله بن ابی بکر من أُبَی بن خلف
وكان الخطر إذ ذاك مباحاً طلقاً .

فانظر كم فی هذا من دلالة وآیة بینة ، وأنه اخبر ان الروم ستغلب
فارس ، وأن ذلك سیکون بعد سبع سنین ، فكان كما اخبر وعلی ما فصل

(١) تخاطر : ترامن ، والخطر : السبق یترا من علیه .

وبيّن ، والبضع فوق الثلاث ودون العشر ، وانظر الى هذا الإقدام وهذه الثقة من رسول الله ، وانظر الى قوله : « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » ، يريد بهذا النصر ظهور حجة رسول الله ﷺ وما أقدم عليه أبو بكر وجاهد المشركين وبايع ، فهذا المراد بالنصر لا بظهور الروم على فارس لأن ذلك معصية ، وفارس والروم كفار والله لا ينصر الكفار بعضهم على بعض . وانظر الى هذا التقرّيع والتوبيخ وتأكيده الوعد بقوله : « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون » وانظر كيف يستخف بهم ويستجهمهم وهم يسمعون وهو معهم وفي قبضتهم وفي أيديهم والغلبة لهم ، وانظر كيف يقول له في آخر السورة : « فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون » ، فتأمل هذا البيان /

وهذا الافصاح وهذه المكاشفة والاستظهار والعلو والاستطالة بالحجة والعلم بهذا ، وانه قد كان على ما ذكرنا وبيننا يجري مجرى العلم بقصة المهاجرين الى ارض الحبشة ونظائرها مما قدمنا في قصة الاسراء وغيرها ، فاحفظه وارجع اليه .

وتأمل حال أبي بكر الصديق في الاسلام وإسلامه في اول الاسلام وفي حال ضعفه وقلة اهله وغلبة الشرك والمشركين عليهم ، وفي الحال التي قد كان المستبصر فيها لا يظهر دينه ويخفي ما في نفسه ، وانظر الى بصيرة هذا الرجل ومكاشفته واستبداله بالمسالمة عداوة وبالراحة شقوة وبالغنى فقراً وبالكرامة هواناً ، كل ذلك للإسلام . ثم كان لسان المسلمين وأكبر داعية للرسول وأجلّ أعضاده وأنبه أعوانه ، لم يقم مقامه احد من المسلمين ولا سدّ مسدّه ولا حلّ من رسول الله ﷺ محله . وانظر

الى مقامه في شأن الاسراء ، وفي شأن الروم ، وفي غير ذلك مما يطول شرحه . وانما احتجنا الى ذكر هذا والتنبيه عليه لأننا في زمان يقول الكثير من اهله انه ما أسلم قطّ وما زال عدواً لرسول الله ﷺ وللمسلمين ، وأن عداوته كانت أشد وأضر من عداوة ابي جهل وعقبة ابن ابي معيط وأمثالهم ، وأن القرآن كان ينزل على رسول الله ﷺ بإكفار أبي بكر وعمر وعثمان وسعد وسعيد وأبي عبيدة وعبد الرحمن^(١) والجماعة من المهاجرين والأنصار ، وكان رسول الله ﷺ يتلوه في المحاريب ويسمعه الناس / كلهم ويحفظهم إياه ، وأنه مكث نيفاً وعشرين سنة يفعل ذلك . وعند العلماء والفقهاء وأهل التحصيل والانصاف ، انه كان يتقدم المسلمين في الاسلام ، وأنه كان أشدهم غنى ، وأن امير المؤمنين عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه كان يقدمه ويقدم عمر على نفسه ويفضلها على منابره وهما من الأموات ، حتى يقول ابو القاسم البلخي^(٢) : ومن يفضل أمير المؤمنين لا يمكننا ان ندفع قوله ، ألا ان خير هذه الأمة بعد نبيّها ابو بكر وعمر ، ولا يدفع هذا من له بالعلم بصيرة أوله فيه نصيب ولكنه عندنا ما أراد نفسه ، وقد كانت الشيعة الاولى تفضل

أ/ ٢٩

(١) سعد بن ابي وقاص الصحابي الجليل المتوفى سنة ٥٥ هـ . وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي ، احد العشرة المبشرين بالجنة توفي بعد الحسين من الهجرة ، وأبو عبيدة عامر بن عبد الله الجراح ، احد المبشرين بالجنة وفاتح الشام وامين توفي سنة ١٨ هـ . وعبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري احد العشرة المبشرين بالجنة ، لعب دوراً كبيراً مع رجال الشورى بعد وفاة عمر حتى بايع لعثمان رضي الله عنه بالخلافة توفي سنة ٣٢ هـ .
(٢) هو عبد الله بن احمد بن محمود ، ابو القاسم البلخي او الكمي ، احد أئمة المعتزلة ، له فرقة تنتسب اليه ، وكان يفضل علياً رضي الله عنه . انظر تاريخ بغداد ٩ : ٣٨٤ ، ووفيات الاعيان ١ : ٢٥٢ ، والاعلام ٤ : ١٨٩ .

أبا بكر وعمر عليه . قال : وقال قائل لشريك بن عبد الله (١) : أيها أفضل ؟ أبو بكر أم علي ؟ فقال : أبو بكر ، فقال له السائل : أتقول هذا وانت من الشيعة ؟ فقال : نعم ، إنما الشاعي من قال مثل هذا ، والله لقد رقى امير المؤمنين هذه الأعواد فقال : ألا ان خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر ، أفكنا نردّ قوله ؟ أفكنا نكذبه ؟ والله ما كان كذاباً .

ذكر هذا ابو القاسم البلخي في النقض على ابن الراوندي إغراضه على ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، في كتابه « في نظم القرآن وسلامته من الزيادة والنقصان » . وينبغي ان تعلم ان الذين وضعوا هذا انما قصدوا به رسول الله ﷺ وأهل بيته لشدة عداوتهم له وتستروا بالتشيع ، وكان غيظهم على ابي بكر وعمر وعثمان وتلك الجماعة لأنهم هم الذين اشمئوا على رسول الله ﷺ في حياته ونصروه ، ثم كانوا بعد وفاته أشد نصرة في دينه منهم في حياته ، وأحدقوا بأبي بكر / فغزاهم ، وقتل مسيلمة ، وأسر طليحة ، ورد الردة ، وغزا فارس والروم ، وأذل أعداء رسول الله ﷺ بكل مكان . واستخلف عمر ، فأزال ملك فارس وهو أشد الملوك وأدخل ملكه في الاسلام ، وألحق ملوك الروم بيجال الروم وخلصانها وأخرجهم من الشام ومصر ومن الجزيرة وأدخل هذه الممالك في الاسلام ، وقتل الشرك وأماته وأحيا الاسلام وبثه ونشره وبسطه وبناه وشيّدته وجعله عالياً على الأديان كلها وظاهراً على أمم الشرك جميعها . فغاظهم ذلك أشد الغيظ ، ولم يمكنهم المكاشفة بشتم رسول الله ﷺ ، فاشتفوا

ب / ٢٩

(١) شريك بن عبد الله : هو شريك بن عبد الله بن الحارث النخعي ، عالم بالحديث وفقية ولي القضاء للمنصور العباسي في الكوفة سنة ١٥٣ توفي سنة ١٧٧ هـ . تذكرة الحفاظ ١ : ٢١٤ ، وفيات الاعيان ١ : ٢٢٥ .

منه بستم هؤلاء وغرّوا مَنْ لا يعرفهم وقالوا لهم : ما هذا القرآن بشيء ، وهو مغيّبٌ لا تقوم به حجة ، والاسلام مبدّل ، والفقهاء جهّال كفار ، الى غير ذلك مما هذا سبيله وشرحه يطول ، فاغترّوا بهم وقبلوا منهم وصدّوهم عن الاسلام فأوردوهم ما أصدرّوهم . وانت تجد كثيراً من ذلك في التفسير لأبي علي (١) ، وفي نقضه الإمامة على ابن الراوندي ، وفي غيرها من كتبه ، وفي كتب غيره من المعتزلة والله أعلم .

بَابُ آخِرٍ

فمن أعلامه التي حدثت وهو صلى الله عليه وسلم بمكة ، انقضاء الكواكب وامتلاء السماء بها من كل جانب على وجه انتقضت به العادة وخرج عن المعتاد . وهذه آية عظيمة ، وبيّنة جليّة ، وواضحة جسيمة . وقد نطق القرآن بها فقال حاكياً عن الجن : « وأنا لمسنا السماء / فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً . وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً » (٢) .

أ/٣٠

فان قيل ومن أين لكم هذا وقد سبقكم زمانه ونحن لا نؤمن بكتابكم ولا نقرّ بنبيكم ؟ وخبرونا عن طريق معرفتكم بذلك هل هو ضرورة

(١) هو محمد بن عبد الوهاب الجبائي (٢٣٥ - ٣٠٣ هـ) شيخ المعتزلة في عصره وإليه تنسب الجبائية . نسبته الى جبي من قرى البصرة ، وتفسيره المذكور من أهم مؤلفاته ، استفاد منه من بعده القاضي عبد الجبار والحاكم ابوالسعد والزخري . وفيات الاعيان ١ : ٤٨٠ . دائرة المعارف الاسلامية ٦ : ٢٧٠ .

(٢) الجن ٨ وما بعدها .

أم اكتساب؟ قيل له: العلم بذلك طريقه الاستدلال والاكتساب، ويتنبأ لكل عاقل من كافر ومؤمن ان يعرف ذلك ويجب عليه ان يعرف، وسبيله سهلة قريبة، فمن نظر واستدل عرف، ومن لم يستدل لم يعرف.

والدليل على ان ذلك قد كان، ان رسول الله ﷺ قد تلا هذه السورة واحتج بذلك على المدوّ والولي، فعلمنا انه أمر قد كان ووقع، فإن الحجة به قد قامت وظهرت وقهرت، لأنه لا يجوز ان يقصد عاقل الى قوم يدعوه الى صدقه ونبوه ويحرص في أجابتهم الى طاعته والانقياد له ويريد منهم ذلك ثم يقول: من علامة نبوتي ودلائل رسالتي ان النجوم لم تكن تنقض وانها الآن قد انتقضت، وهو يعلم انهم يعلمون ان هذا أمر لا اصل له وأنه قد كذب فيما ادعى. هذا لا يقع من عاقل كائناً من كان، فكيف بمن يدعي النبوة، وعقله العقل المعروف الراجح الموصوف، ثم يقصد الى امر ظاهر مكشوف في السماء البارزة للخلق أجمعين المشاهدة للأولين والآخرين، سيما والعرب أعلم الناس بالكواكب والأنواء ومطالعها وسيرها، والثابت الراسد

ب/ ٣٠

الذي لا يغيب منها. وقد كتب الناس عنهم علمهم بذلك، ودونوا منه شيئاً كثيراً، وأكثرهم مأواه تحت السماء، هي تسقفهم، ورؤيتهم لها ولكواكبها امر دائم متصل لا يفتر، وقد سبقوا رسول الله ﷺ في السن والزمان والعلم بالكواكب، فكيف يقدم على قوم هذه سبيلهم فيدعي هذه الدعوى وهم من العداوة له والطلب لعثراته وزلاته، ولأمر ينفرون به اصحابه عنه على حال لا مزيد عليها؟ فأين كانوا عن هذا الكذب الظاهر الذي لا ينفع معه صدق يقدمه ولا صدق يكون بعده؟ ومن هذه سبيله لا يكون لها رئاسة، ولا يتبعه احد، ولا يكون له قدر. وقد يتبعه قوم عقلاء ألباء^(١) فضلاء لأنه

(١) ألباء: جمع لبيب. انظر القاموس المحيط

نبي ولأنه صادق ، وطاعة لله وتقرباً الى الله ، واستبدلوا باتباعه بالعز ذلاً وبالراحة كدأ ابتغاء مرضات الله ، وتكلفوا في اجابته بتلك الشدائد التي قد قدمنا شرحها ، فكيف اقاموا عليه وهو يكذب هذا الكذب الظاهر .

وهناك من اعدائه قريش والعرب واليهود والنصارى وكيدهم عظيم ، كيف لم يوافقوا على هذا ويجمعوا الناس عليه؟ وكيف لم يقولوا لأصحابه وهم إخوانهم واولادهم ومنهم : يا هؤلاء ، فارقتم أديانكم ، وجهلتم اسلافكم ، واكفرتم آباءكم وشهدتم عليهم بالفضيحة ، طاعة لرجل فرض عليكم مجاهدة الأمم ، وبذل دمائكم واموالكم في ذلك ، وألزمكم التكاليف الشديدة من شريعته ، وهو يكذب هذا الكذب الظاهر البارز للعقول / والأبصار؟ وفي تركهم لذلك دليل على صحة هذه المعجزة .

أ / ٣١

وأعجب الامور انه يتلو عليهم قول الله جل وعز : « فإنهم لا يُكذِّبونك ولكن الظالمين بآياتِ الله يحدون ^(١) » اي لا يحدوا بك كذاباً ، ولا يحدون في قولك كذاباً وإن حرصوا على ذلك واستفرغوا وسمعهم ، ولو قدروا ان يحدوا له عثرة او ذلة او ادنى شبهة لما واثبه قبل الناس كلهم إلا اصحابه ، ولا قبله إلا خاصته وثقاته وبطانته .

فإن قيل : فلعلهم لم يفعلوا هذا به وإن وقفوا على كذبه لئلا يفضحوا أنفسهم ويشتموا عدوهم ، ولئلا يقول الناس لهم خدعتم فامسكوا لهذا .

قيل له : هذا لا يسأل عنه يميز ، لأنه إن كان قد كذب فأقاموا عليه وقد عرفوا كذبه ، فقد تعجلوا الفضيحة بإقامتهم عليه وأشتموا بنفوسهم

(١) الانعام ٣٣

الاعداء ، [وخسروا الدنيا والآخرة (١)] .

وجواب آخر :

وهو ان هؤلاء الذين اتبعوا الاعلام التي كانت معه من القرآن وغيره وقد شهدوا على انفسهم وآبائهم بأنهم كانوا في ضلال وباطل وفضائح وما استنكفوا من الرجوع عن ذلك ، فلو حسوا (٢) بأدنى شبهة فضلا عن كذب لبادروا ورجعوا وكان ذلك ارواح لهم ، وأخف عليهم ، وأبين في عذرهم وقيام حجتهم ، فان مراجعة الحق اولى من التماذي في الباطل .

وجواب آخر :

وهو انهم لو وقفوا على امر يرتاب به لسألوه عنه ، وعنف بعضهم بعضاً في الإقامة عليه وفي ترك قتله والبراءة منه ، / ولأذاعوه وأظهوره وإن ضرهم وغمهم وساءهم ، فان الجماعة الكبيرة لا يجوز ان تكتم ما قد عرفت وإن ساءهم وإن ضرهم وإن ذهب برئاستهم وحط من اقدارهم . فأعرف هذا فانه اصل كبير . هذا فيما يقفون عليه خاصة ، فكيف بأمر الشبه وهو شيء يعرفه الناس عامة من وليّ وعدوّ ، فتعلم انها آية عظيمة وحجة ظاهرة .

وانظر كيف اوردها وأدلّ على العدوّ والولي واستطال بها فقال : « قل أوحى اليّ انه استمع نقر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجيباً ، يهدي الى الرشد فآمننا به ولن نشرك بربنا احداً . وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً . وأنه كان يقول سفيهننا على الله شططاً ، وأنا ظننا ان لن

(١) ما بين القوسين كتب قريباً من حاشية الورقة ، فيحتمل ان تكون من الاصل او ان تكون من المعلق على الكتاب .

(٢) حسست الشيء : احسسته ، وحسست به ايقنت به . انظر القاموس المحيط .

تقول الانس والجن على الله كذباً . وأنه كان رجالاً من الانس يعوذون
 برجال من الجن فزادوهم رهقاً . وأنهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله أحداً .
 وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً . وأنا كنا نقعد منها
 مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً . وأنا لا ندري اشرٌ اريد
 بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشداً ، فانظر كيف ذكر هولها وعظمتها
 وارتياع الجن والانس لحدوثها ، وانهم لا يدرون لأي شيء حدث وهل
 حدوث ذلك لعذاب اهل الارض بذنوبهم ، ام لموعظتهم وإرشادهم .

وقد جاء مع هذا ايضاً ان ^(١) الكواكب لما انتقضت اخذ الناس في
 الخروج من / اموالهم ، وقالوا : ما حدث هذا إلا لفناء الدنيا وانقضاء مدتها ،
 فقال عبد نائلة بن عمر والثقفى ^(٢) لأهل ثقيف : أمهلوا فإن افادة المال بعد
 اتلافه تشق وتصعب ، فانظروا الى الكواكب المنقضة ، فإن كانت من
 الكواكب المعروفة المتقدمة فهو لفناء الدنيا ، وإن كانت كواكب الآن
 حدثت والآن خلقت فهو لأمر . فحدثت إحدى الليالي ، فنظروا فإذا هي
 كواكب الآن حدثت ، فأمسكوا عن اموالهم وترقبوا ما يأتيهم من الاخبار ،
 فاذا قد اتاهم ان رجلاً من قريش بمكة قد زعم ان الله ارسله الى خلقه
 لينذرهم ، فقالوا : لعل هذا الانقضاء شاهد لهذا المنذر ، وتبركوا برأي
 هذا الرجل المشير وصار مفخراً له ولولده من بعده ، حتى يقولوا لثقيف
 ابونا الذي حبس عليكم اموالكم .

٣٢ / أ

(١) في الاصل : من ، ولعل الصحيح ما اثبتناه .

(٢) انظر ما اورده ابن كثير في تفسير سورة الجن عن هذه الحادثة .

فإن قيل : اوليس قد ذكر ان في شعر الشعراء الأولين ذكراً لانقضاء الكواكب ، وفي كتب المعجم ذكر لذلك .

قيل له : إن ابا علي وابنه ابا هاشم ^(١) واصحابها قالوا : ما ننكر ان يكون قد كان قبل مبعث النبي شيء من انقضاء الكواكب ، ولكننا قد علمنا بالدليل الذي قدمنا انه قد حدث عند مبعث النبي شيء انتقضت به العادة ، وامتألت السماء به ، فتلك الزيادة على الامر المعتاد هي الحجة ؛ فصار ذلك بمنزلة الطوفان ، فإن الماء قد كان قبل نوح عليه السلام يزيد زيادات كثيرة معروفة معتادة ، فلما جاء نوح صلى الله عليه زاد / الماء زيادة انتقضت به العادة وخرج عن الأمر المعتاد ، فكانت تلك الزيادة هي الآية وهي الحجة . فليس في شعر الشعراء ولا فيما وجد في كتب القدماء مطعن في هذه الدلالة ، ولا تكذيب لهذا الخبر ، وهذا جواب سديد شاف كاف ، لأن النبي ﷺ انما احتج بامتلاء السماء بالشهب لا بالأمر المعتاد ، هذا لا يفعله عاقل ولا يقع منه كائناً من كان ، فكيف بمن يدعى الصدق والنبوة ويريد من الناس كلهم تصديقه واتباعه ، فلا يجوز ان يحتج عليهم بأمر قد عرفوه قبل ان يخلق ويخلق آباؤه فيقول : هذا من آياتي ومن اجلي حدث وبسبب تصديقي خلق ، فيكون بمنزلة من قال : من الدلالة على نبوتي ان الشمس ما كانت تطلع عليكم وانها الآن قد صارت تطلع .

فأما ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله ، فانه يذكر في كتاب « الحيوان » انقضاء الكواكب ، وذكر ما فيه من الآية والحجة في النبوة ،

(١) ابو هاشم الجبائي هو عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي « ٢٤٧ - ٥٣٢١ » من كبار رجال المعتزلة له طائفة تنسب اليه تسمى بالبشمية ، ويعتبر القاضي عبد الجبار من تلاميذه ورجال مدرسته . وفيات الاعيان ١ : ٢٩٢ وتاريخ بغداد ١١ : ٥٥ .

وذكر الشعر الذي ذكر في هذا المعنى لهؤلاء الشعراء ، فقال هو و ابراهيم النظام وغيرهما : إنه ليس في هذا الشعر امر بين قد اراد به صاحبه انفضاض الكواكب ولكنه امر محتمل . وذكروا في بعض هذا الشعر أنه مولد وقد قيل في الاسلام ، قاله بعض الزنادقة ونسبه الى الأوائل ، وذكروا في بعضه ان قائله وان كان كافراً جاهلياً فقد ادرك المبعث وأوائل المبعث ؛ فأبطلوا ان يكون في هذا متعلق / او يحتاج فيه الى جواب .

أ / ٣٣

واستبعد ابو عثمان ان يكون هذا امر قد كان ظاهراً قبل الاسلام . قال : وإلا فأين كان القدماء من الشعراء ، كامرئ القيس ومن تقدمه ، وكنانة وزهير^(١) وشعراء القبائل القديمة ، كيف لم يذكروا هذا في اشعارهم وهو أمر بارز لأبصارهم ؟ وهم قد شبهوا بالحيات والعقارب والجعلان والحنافس والبراغيث وبالقمل وبكل شخص وبكل ما دب ودرج؟ وليس ببعيد ما قاله . فأما جواب أبي علي واصحابه : فما نبالي ولو كان الشعر ملء الدنيا للأوائل ، فما له في هذا تأثير .

قال ابو عثمان : وأما ما يُدعى من ذكر الشهب في كتب المعجم الاوائل فهو امر لا سبيل الى العلم به لأنها منقولة في الاسلام ، وانما نقلها الواحد بعد الواحد من أعداء الاسلام ، ومن هو اشد الناس حرصاً على تكذيب النبي ﷺ وتشكيك المسلمين ، فهو لو كان عدلاً مسلماً ما علم ذلك بخبره ، فكيف وحاله ما وصفنا ؟ .

وبعد فمن اين لنا انه علم باللغتين ويقصد واضعي الكتب حتى يُوثق بنقله وبأخباره ؟ وهو كما قال ابو عثمان ، فإن هذه الكتب التي وضعت في الاسلام ،

(١) يقصد زهير بن ابي سلمى .

ونسب بعضها الى الهند ، وبعضها الى الروم ، وبعضها الى اليونانية ، وبعضها الى القبط ، وبعضها الى النبط ، وبعضها الى الفرس ، فانما وضعها الواحد بعد الواحد ، وزعم انه وجده لأهل تلك اللغة ، وزعم انه عالم بتلك اللغة فنقله ، فهو امر لا يقع به علم وليس معنا اكثر من دعوى هذا الواضع ، فبمقدار ما يكتبه ويترجمه ويلقيه الى الوراقين فيدور / في ايدي الناس فيقول من لا علم له ولا عادة له بمجالسة المعتزلة ومن اخذ عنهم ومن لا سبيل له الى طرق اهل العلم : هذا من كتب الأوائل ؛ فاعرف هذا ، فانه باب كبير وكل احد أمس الحاجة اليه فان الجهل وترك التأمل غالب على الناس ، وأعداء الاسلام كثير ، وهم بينهم ، يكيدونهم بأنواع الكيد من حيث لا يشعرون .

فمن ذلك خطب ورسائل ووصايا وحكم وضعت في ايام بني العباس ونسبت الى أمم المعجم ، لا سبيل الى العلم بما ادعوا واضعوا من أنهم وجدوها للأوائل ، وانما كان غرضه شغل الناس عن القرآن وعن عهد رسول الله ﷺ ووصايا السلف بعده ، ولعله انما اخذ ذلك وحصل معانيه من القرآن ومن حديث رسول الله ﷺ ، وغير اللفظ ونسبه الى أمم المعجم والعلماء . وأهل التحصيل يتهمون عبد الله بن المقفع فيما وضعه من « كيلة ودمنة » وكتاب « اليتيمة » ، وما زعم انه وجده للفرس ، فقالوا : ما معنا في هذا اكثر من الدعوى ، وهو رجل بليغ اللسان بليغ العلم ، فارسي الأصل ، قد جرى من المجوسية على عرق ، فقد كان فيها طويلا ، وهو كثير الرواية لآداب العرب وعلومها ، متعصب لقومه ، قد أسلم بعد الكبر ، وكان متهماً في دينه .

وهكذا قالوا في أبان بن عبد الحميد اللاحقي^(١) . وقد وضع سهل بن هارون بن رهبونة^(٢) الكاتب الفارسي صاحب المأمون، كتاب «ثغرة وثغلة»، يعارضه به كتاب «كلىة ودمنة» ، وجعله على السن الطير والبهايم، وذكر فيه حكم العرب كما صنع ابن المقفع^(٣) في كلىة ودمنة عن هذا / الذي سماه برزوي الطبيب ، فقدمه في صدر الكتاب كأنه ما أراد إلا تشكيك أهل الديانات وأتباع الأنبياء صلى الله عليهم في اديانهم. وقد دار في أيدي قوم من المنجمين كتاب زعموا انهم وجدوه لجابان منجم كسرى ملك فارس ، وقد أخبر فيه بزعمهم أن نبوة تحدث في العرب يكون مدة صاحبها كذا وكذا سنة . فذكر ايام رسول الله ﷺ ، ثم ايام ابي بكر الصديق ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي رضي الله عنهم ، ولم يذكر اسماءهم ، وفصل من أحوالهم وسيرهم وأعمالهم شيئاً كثيراً . فافتتن به المنجمون حتى ظنوا ان^(٤) صنعتهم حق ، وأنها تؤدي الى علم ، وفتنوا بذلك خلقاً كثيراً مما لا يدري من الامراء والوزراء وطبقات الكتاب ، وجعلوا ذلك شاهداً لصناعة النجوم ونفقوها ، فجرى ذلك بحضرة رجل من علماء المعتزلة فقال للمنجم الذي احتج بذلك في صحة صناعة النجوم وهو إسحق بن فليت اليهودي احد

(١) هو ابان بن عبد الحميد بن لاحق ، شاعر مكة ، اتصل بالبرامكة ومدحهم ونظم لهم كلىة ودمنة شعراً وكتباً اخرى فارسية ، توفي سنة ٢٠٠ هـ . دائرة المعارف الاسلامية ١٦: ١ والاعلام ١ : ٢٠ .

(٢) كاتب بليغ فارسي الاصل ، ومن واضعي القصص ، ولاء المأمون رئاسة خزانة الحكمة ، وكان شعوبياً يتعصب للعرب على المعجم . معجم الأدباء ٤ : ٢٥٨ ، فوات الوفيات ١ : ١٨١ .

(٣) كتب المعلق في حاشية الكتاب العبارة التالية : « في نسبه ذلك الى المفيد وقد قال الناس ان الذي حكاه عن هذا الرجل الذي سماه » .

(٤) في الاصل : انهم ، ولعل الصواب ما اثبتناه .

رؤساء المنجمين في زمانه ببغداد ، وكان يتقدم عند كثير منهم على رؤساء منجمي زمانه ومن كان في عصره كابن زكريا (١) النوبختي ، وكابن فرخان شاه النصراني (٢) و غلام زحل (٣) : من اين لك يا أبا الطيب ان هذا الكتاب وضعه جانان لكسرى ؟ فقال هذا مشهور دائر بين المنجمين لا يشكون فيه ، فقال له : عن هذا وصحته سألتك ، هل هو اكثر من انك وجدت كتاباً مكتوباً منسوباً الى جانان منجم كسرى ؟ من اين ان هذا كما كتبه هذا الكاتب وأخبر به هذا الخبر وما معنا وما معكم اكثر من الدعوى ؟ وانا هذا رجل وجد كتابه في الاسلام / وفي ايام بني العباس وفي زمان الديلم منها ، وادعى فيه انه قديم وجده فارسياً فنقله ، وانا وضعه بعد ان مضت ايام رسول الله ﷺ وأيام خلفائه و ايام بني امية والصدر الكبير من بني العباس وعرف ذلك وتيقنته ، فوضع الكتاب بعد ذلك ، وحذف اسماء القوم ليظن انه قد وضعه قبل ان يخلقهم الله ، فيدعي من يقرأ كتابه من لا علم له له الصدق والحدق ، ولصنعة النجوم الصحة . وإلا فأرنا إن كان قد اخبر فيه عمن يأتي من الخلفاء او غيرهم ، او ذكر ايامهم واعمارهم على التحقيق كما ذكرها عن تقدم ، حتى يكون لك في ذلك شبهة ، فتحير ابن فليت من هذا بعد الخطاب الطويل ، ولان بعد شدته ، وسكن بعد نزوته ، وقال : لعل الأمر ان يكون كما قلت ، فقال له المعتزلي : ما اسرع ما رجعت عن تلك الدعوى ، فقال : انا اخبرك ، قد قرأت اربع نسخ من

ب / ٣٤

(١) في الاصل ابن كريا ، ولعله ابن زكريا النوبختي.

(٢) ابن فرخان شاه النصراني : هو ابن نضير بن فرخان شاه المنجم الاعجمي المتوفي سنة

٣٦٧ . القفطي ٣٥٦ .

(٣) هو عبيد الله بن الحسين ابو القاسم المعروف بغلام زحل ، قال القفطي من افاضل الحساب

والمنجمين ، توفي سنة ٣٧٦ . تاريخ الحكماء ٢٢٥ ، الفهرست ٣٩٥ .

هذا الكتاب المنسوب الى هذا الرجل ، وكلها مختلفة ، وقد ذكر فيها ان البيت يسقط حجته وتعظيمه ، وانا اتوقع كل سنة واسأل عن الحاج فاذا هو لا ينقطع حجته . ولم يكن بنا قول ابن فليت ولا استدلاله فانه ليس بشيء قوي ، ويمكن الخصم ان يدعي ان ذا سيكون ، او يشغب بغير هذا ، ولكن الذي ذكره واضع الكتاب ليس في صنعة النجوم شيء منه ومن الاصابة على طريق التفصيل ، وانما تتفق لهم الإصابات عن غير علم كما تتفق للعبابين الخاتم والزوج والفرد ، والمتفائلين / برؤية الثعلب ، وللمتطيرين بالغراب والبوم ، وما يتفق لهؤلاء من الاصابة اكثر واحسن واسرع لحذاق منجمي الملوك ، وهذا يكفيك في بطلان صنعة النجوم ، ولم نكن في الرد عليهم ، ولكن عرض هذا فذكرناه ، وستجد في الرد عليهم اكثر من هذا .

أ / ٣٥

ولكن ذكر الكتاب المنسوب الى جانان وامثاله ، يضعه أعداء الأنبياء ليشتكوا في اخبارهم ، وليجعلوا صوابهم جارياً مجرى إصابة المنجمين ، ولينفقوا صنعة النجوم ، وليرغبوا الناس في الفرع اليهم وفي التمويل عليهم ويستأكلوهم ، ولتم حيلتهم عليهم وهذا الجنس يسميه المنجمون الهاذور ، وانت تجد هذا كثيراً ، فيقولون : قال ما شاء الله ابن أبري اليهودي ^(١) في القرانات كذا وكذا وقد صح ، وقال الحسن بن سهل والفضل للمأمون ^(٢) : كذا وكذا قبل

(١) واسمه ميشابن ابري المنجم اليهودي المشهور ، عاش زمن المنصور وبقي حق ايام المأمون . قال القفطي : وكان فاضلاً اوحد زمانه في الاخبار بأمور الحدان وكان له خطر قوي في سهم الغيب ومن مؤلفاته كتاب القرانات . تاريخ الحكاء للقفطي ٣٢٧

(٢) هما اخوان من اصل مجوسي ، اسما واشتهرا بالذكاء والادب والفصاحة ، ووزرا للخليفة المأمون العباسي ، وكان الفضل يلقب بندي الرياستين .

أن يكون فكان كذلك .

وربما وقع لبعض المؤرخين والاختباريين من لا علم له بصنعة الكلام مثل هذه الكتب والاختبار فيذكرها ويضمنها كتبه ، فيقرؤها من لا علم له ولا سأل العلماء عنها فيتحير ويضل . وقد صنع الناس في الاسلام مثل هذا ، فقصدوا الى امور قد كانت ووقعت فعملوا فيها اشعاراً ونسبوا الى قوم قد تقدموا وادعوا انهم قد عرفوها قبل ان تكون ، كما صنعوا في قصيدة نسبوا الى رجل يقال له ابن ابي العقب ذكر فيها دولة بني العباس وكيف ابتدأوها ، وذكر جماعة من خلفائهم وابن ماتوا وابن قبورهم ، وادعوا انه اخذ هذا عن الأئمة وعن الاوصياء ، وهو امر لا اصل له وكذب لا يشك / فيه ، وانما سيبله ما ذكرنا ، فاعرف ذلك فانه باب كبير ، والمخرق به والمشاكل به كثير ، وللجهل به ضلت طوائف من هذه الأمة ممن خالف المعتزلة من طوائف الشيع وغيرهم .

ب / ٣٥

وهذه سيبل الكتب المنسوبة الى اليونانية كأفلاطن وأرسطاطالس وغيرهم ، فانها نقلت في الاسلام ، وناقلوها ومدرسوها انما هم الواحد بعد الواحد الذين لا يعلم بأخبار جماعتهم شيء ، وهم مع هذا أعداء رسول الله ﷺ وأشد الناس حرصاً على التشكيك في الاسلام وصدأهله عنه ، وهم يتسترون بالنصرانية والنصارى لا يرضونهم ، ويشهدون عليهم بالاحاد وتعطيل الشرائع والظمن في الربوبية وفي جميع النبوات ، وقد حرموهم ونهوا عنهم ، كقسطا

ابن لوقا (١) ، وحنين بن اسحق وابنه اسحق (٢) ، وقويرى (٣) ، ومتى بن يونس (٤) ، ويحيى بن عدي (٥) ، وهؤلاء مع قلتهم ما جمعهم زمان واحد . وكان يوحنا القس (٦) مدرس أقليدس والمجسطي وغيره يقول : قد حذف الذين نقلوا كتب هؤلاء كثيراً من ضلالهم وفاحش غلطهم عصبية لهم وابقاء عليهم ، واعاروهم واعطوهم ما ليس لهم من معاني الاسلاميين وبيانهم ، والعدو اذا كان متديناً لم يؤمن حنقه ، فكيف بن لا يعتقد معاداً ، ولا يرجو حساباً ، ولا يخاف عقاباً .

ثم عدت الى ما كتب عليه من ذكر الشهب .

وقد تصفح العلماء الكتاب المعروف بالعلوي (٧) المنسوب الى ارسطاليس

(١) هو فيلسوف شامي نصراني ، اشتهر بالترجمة من اليونانية الى العربية ، وبرع في علوم كثيرة . عاصر يعقوب بن اسحق الكندي . انظر تفصيل كتبه في الفهرست ٤١١ ، والقفطي ٢٦٢ .

(٢) انظر ترجمة حنين بن اسحق وابن اسحق في هامش ص ٥٣

(٣) واسمه ابراهيم قويري ويكنى ابا اسحق ، ممن اخذ عنه علم المنطق ، وعليه قرأ ابو بشر متى بن يونس . الفهرست ٣٦٧ ، وطبقات الأطباء ٧٧ .

(٤) ابو بشر متى بن يونس النصراني المنطقي . قال القفطي : وكان ببغداد في خلافة الرازي بعد سنة عشرين وثلاثمائة وقبل سنة ثلاثين وله مناظرة جرت بينه وبين ابن سعيد السيرافي النحوي . القفطي ٣٢٣ .

(٥) هو ابو زكريا يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا المنطقي ، قال ابن النديم : واليه انتهت رياسة اصحابه في زماننا . قرأ على ابي بشر متى وعلى ابي نصر الفارابي وعلى جماعة مذهبه من مذاهب النصارى اليعقوبية . الفهرست ٣٦٩ .

(٦) يقصد يوحنا بن ماسويه ، كان نصرانياً شامياً سريانياً في ايام الخليفة هرون الرشيد ، وقد ولاه ترجمة الكتب الطبية القديمة ، وله في تاريخ الحكاء للقفطي ترجمة طويلة . انظر القفطي ٣٨٠ .

(٧) يقصد كتاب الآثار العلوية لأرسطو ، نقله الى العربية ابو بشر متى . الفهرست لابن

النديم ٣٥١

فإنه نقله بعض هؤلاء لبعض الخلفاء من بني العباس ليتحفه به ، فما وجدوا فيه ذكراً مصرحاً لانقضاء الكواكب ، وإنما هو قول محتمل يتأوله بعضهم ويدعى انه أراد به ذلك ، وهو بأنه شيء يثور من الارض ويرقى الى الجو / أشبه .

وقد كان هرون الرشيد ضغط الروم وحاصرهم في بلادهم واذلهم الى ان اجابوا الى اداء الجزية واتقوه بها فأخذها منهم ، وكتب اليهم كتاباً بيّن لهم توحيد الله وانقراذه بالقدم وصدق نبيه ﷺ ، وذكر فيه قطعة كافية حسنة من اعلام النبوة وأنفذه الى ملك الروم مع رجل من المعتزلة إما معمر او غيره ، والكتاب إنشاء ابي الربيع محمد بن الليث الكاتب القرشي (١) ، وهو موجود في رسائل تاج الاصفهاني (٢) لا اشك ، وقد حدثني بعض اهل العلم انه المذكور في « المنثور والمنظوم » لابن ابي طاهر (٣) . وقد ذكر في هذا الكتاب آية الشهب وانقضاء الكواكب واستوفى الحجة فيها ، ولم ينفذ هذا الكتاب الى ملك الروم إلا بعد تصفح كتب الاعاجم واستقصاء كل ما يمكن

(١) هذا ابو الربيع محمد بن الليث الخطيب ، كتب ليحيى بن خالد ، وله ولاء ببني امية ، وكان بليغاً مترسلاً كاتباً فقيهاً متكلماً ، ذكر له صاحب الفهرست كتاب « جواب قسطنطين عن الرشيد » وعلله هو المقصود هنا . إلا ان صاحب الفهرست يضيف رواية تشير الى ان نسبه يتصل بداراء ، احد ملوك الفرس ، بعد ان ذكر انه كان شديد الميل على العجم وأن البرامكة كانوا يكرهونه لذلك . ابن النديم ١٧٥

(٢) هو محمد بن بحر ابو مسلم الاصفهاني ، معتزلي ومن كتاب الكتاب . كان عالماً بالتفسير وغيره من صفوف العلم توفي سنة ٣٢٢ . ذكر له ياقوت في معجم الادباء كتاباً باسم « مجموعة الرسائل » لعله هو المقصود هنا . « ٢٨٠ هـ . » معجم الادباء ٦ : ٢٠٤

(٣) هو احمد بن طيفور الخراساني مؤرخ وأديب ، له كتاب تاريخ بغداد ، وأما كتاب المنثور والمنظوم فيقع في اربعة عشر جزءاً . ياقوت ١ : ١٥٦ .

ان يقال ، لتعلم صحة هذه الآية وخوض العلماء فيها قديماً .

وقد قال ابو علي رحمه الله واصحابه كما قد ذكرنا عنهم ما لا يضرننا ولو ذكر الاوائل كلهم الحجة في الزيادة الناقضة للعادة وامثلاً السناء به عند مبعثه . وقد جاء في الاثر ان كوكباً انقض فقال النبي ﷺ : ما كنتم تقولون في هذا في الجاهلية (١) ؟ فقال اصحاب ابي علي لأصحاب ابي عثمان (٢) : هذا يدل على انه قد كان لانقضاء الكواكب اثر ثم زاد في المبعث زيادة انتقضت العادة به ، فقال اصحاب ابي عثمان : إنما اراد النبي ﷺ بقوله لهم : ما كنتم تقولون في ذلك في الجاهلية ، يريد قبل اسلامهم وقبل تصديقهم له . وعلى كلا القولين فالآية ثابتة والحجة قائمة ، وليس / في هذا خلاف في كونها ووقوعها .

ب / ٣٦

وأما ارسطالس هذا فلا معول على ما يقوله ، وإن كان اصحابه قد صدقوا عليه فهو غير كامل العقل ، لأنهم حكوا عنه ان هذه الاجسام العلوية من الشمس والقمر والكواكب لا يجوز ان تنقسم ولا تتجزأ ولا تلبعض ، وان الشمس ليست حارة ومحال ان تكون حارة ، وان هذه الاجسام محال ان تكون حارة او باردة ، او رطبة او يابسة ، او ثقيلة او خفيفة ، او لينتة او خشنة ، ومحال ان تكون هذه الكواكب اكثر مما هي بكوكب واحد ، او ينقص منها كوكب واحد ، ومحال ان تكون الشمس اكثر مما هي او اقل ، ومحال ان يكون لها لون او ريح او طعم .

(١) انظر لما ورد في انقضاء الكواكب من آثار تفسير ابن كثير ٤ : ١٩٢ و ٤٢٩ .

(٢) يقصد اصحاب ابي علي الجبائي وأبي عثمان الجاحظ .

وهذا الذي احواله هذا الرجل جوازه قائم في العقل ، يعله كل عاقل من عالم وجاهل ، ونظار وغير نظار ، فإن كان عاقلا وبلغ به المحل واللجاج الى أن ركب هذه المجاهدة والمكابرة فيما هو في فطر العقول كلها وفي اوائها ، فمن يعده او يعتد بقوله او يذكره فيمن يرد عليه ويتتبع عوراته وهو عورة كله من اوله الى آخره ؟ ولو لم يكن له من الجهل والخروج من العقل إلا هذا لكفاه وأغناه ، بل لو قسمت هذه الجهالة على جميع اهل الارض ، من اولهم الى آخرهم لحطت منازلهم ، واسقطت اقدارهم ، حتى لا يعدوا فيمن ينقض عليه ويرد قوله . كيف ، وله من الجهالات المستخفة المسقطة غير هذا بما إن طلبته وجدته ووقفت عليه .

ومن جهله انه اعتقد ان السماء والشمس والقمر والكواكب ، عاقله مميزة سميمة بصيرة ضارة نافعة تحيي وتميت / ، وان كل حادثة في هذا العالم من فعلها وتأثيرها . والعلم بأن السماء والشمس والقمر والنجوم جمادات وموات كالعلم بأن شعاع الشمس وشعاع القمر وضوء الكواكب والبرق والغيمة والرياح والمطر والبحر والماء والهواء والارض والنار جمادات وموات ، ولا فرق بين من ادعى في الارض والنار والماء والهواء والنبات ذلك او ادعاه في الكواكب ، بل كانت دعواه في الطعام والشراب والهواء واشباه ذلك انها حية قادرة نافعة ضارة تحيي وتميت اجدر وأدخل في الشغب بمن ادعى ذلك في الشمس والقمر والسماء والكواكب ، فيقول : وجدت الهواء حيث كان جاز ان يكون معه الحيوان ، وحيث لا يكون لا يكاد يوجد حيوان ، وإذا ركد مرض الأصحاء ونهك المرضى وتعفّن عنده الثمار والطعام والنبات ، فعلت انه حيّ سميع بصير قادر يحيي ويميت .

ثم بصير الى الماء فيقول : عند وجوده يوجد الحيوان والنبات وعند عدمه

يتلف الحيوان والنبات ، فعلت انه حي ناطق سميع بصير نافع ضار .

ثم يصير الى الارض ومرافقها فيذكر منها مثل ذلك ، لما فيها من النبات
والمعادن .

وكذلك في النار قال : ألا ترى انها تعقد شيئاً كالبيض وما أشبهه ،
وتحل شيئاً كالنحاس والرصاص والذهب والفضة وما أشبه ذلك ، وتبيض
شيئاً وتسود شيئاً ، فعلت ان هذه الأشياء كلها حية ناطقة سميعة بصيرة
فعالة .

وهذا قول ماني ، حتى قال في اجسام العالم كلها وفي كل جزء منها ، حتى
قال ذلك في الحديد والحجارة والحطب . والمنانية تقول في الاصوات التي
تسمع عند قلي السمسم والباذنجان واصواك / غليان القدور واصوات
الحطب عند التشقيق ، هذا كله صراخ وضجيج منها ، لما تجره من الآلام .

ب / ٣٧

والمنانية تزعم ان الفلاسفة عنها اخذت هذه المذاهب ، وانما ذكرت لك
بهذا المكان لتعرف مقدار عقول الزنادقة والملحدة ، ولولا فتنة قوم من
الرؤساء والكتّاب والوزراء بهم لما ذكرناهم ، ولكن هؤلاء لغفلتهم
وسوء تمييزهم قد اغتروا بهم لما ذكرناهم . وصارت هذه الباطنية تدعو
اليهم ، وتضع الروايات الكاذبة عن اهل البيت فيهم ، فوجب ان نذكرهم
بما فيهم ويصدق عليهم ، ليعرفهم الناس .

وَبَابِ آخِر

ومن آياته ﷺ ، انهم لما كذبوه وآذوه في نفسه واصحابه دعا عليهم
فقال : اللهم اشدد وطأتك على مضر ، وابعث عليهم سنيّ كسنيّ يوسف ﷺ ،

فأمسك عنهم القطر حتى جفت النباتات والشجر وماتت الماشية، وحتى اشتوا القد (١) وأكلوا العلهر (٢) ، وتفرقوا في البلاد لشدة الحال . فوفد حاجب ابن زرارة الى كسرى فشكا اليه ما نالهم ، وسأله ان يأذن له في الرعي بالسواد ورهنه قوسه ، وهي قصة معروفة نزل بها القرآن وجرى فيها الخوض ، وهو قوله عز وجل : « فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ، يغشى الناس هذا عذاب أليم (٣) » . والدخان الجذب (٤) ، ثم سمي دخانا لأن العبار يرتفع في عام الجذب فيكون كأنه دخان ، ولذلك سميت سنة الجذب غرباء لارتفاع العبار فيها ، وهذا شيء قد كان ومضى ، ولا يجوز ان يكون هذا مما لم يأت ، لأنه عز وجل يقول : « يغشى الناس هذا عذاب أليم (٥) » . ثم ورد على نسق / « إننا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون ، يوم نبطش البطشة الكبرى إننا منتقمون » يعني يوم بدر ، وهذا كله يدل على ان الدخان قد انقضى ومضى ، وانه بدعائه ، لأن العذاب في الآخرة لا يجوز ان ينكشف ولا يخف . وقد قال في هذا : « إننا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون » والعود الى المعاصي في الآخرة لا يقع ايضا . وكان انكشاف العذاب عنهم بدعائه ايضا ، فاتاهم الغيث وكثر ، ثم عادوا الى طغيانهم .

أ / ٣٨

(١) القد في الاصل هو القطع المستأصل او المستطيل او الشق طولاً ، ويطلق على جلد النحلة . انظر القاموس المحيط .

(٢) في حاشية الكتاب ان العلهر هو الدم يخلط بالوبر .

(٣) الدخان ١٥ وما بعدها

(٤) في الحاشية : الدخان ، الجذب

(٥) الدخان ١٥ وما بعدها

قال اصحاب عبد الله بن مسعود (١) : كنا عند عبد الله جلوساً وهو مضطجع بيننا ، فأتى رجل فقال : يا أبا عبد الرحمن إن قاصاً عند ابواب كندة - يعني الكوفة - يقصّ ، يزعم ان آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار ، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام . فقال عبد الله : - وجلس وهو غضبان - ايها الناس اتقوا الله ، ومن علم شيئاً فليقل بما يعلم ، ومن لا يعلم فليقل الله أعلم ، فإن الله قال لنبيه ﷺ : ('قل' ما أسألكم عليه من أجرٍ وما أنا من المتكلمين) (٢) . إن النبي ﷺ لما رأى من الناس إدياراً قال : اللهم سبعاً كسني يوسف صلى الله عليه ، فأخذتهم سنة حصدت كل شيء حتى اكلوا الجلود المنتنة والجيف ، وينظر احدهم الى السماء فيرى دخاناً من الجوع ؛ فأتاه ابو سفيان بن حرب ، فقال : يا محمد إنك حيث تأمر بالطاعة وبصلة الرحم ، وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم . قال ابن مسعود : فكانت الدخان سنين كسني يوسف عليه السلام فكشف عنهم ، اما تروونه قال : (إنا كاشفو العذاب قليلاً إنكم عائدون) بعد ان قال له : فارتقب فارتقب ﷺ ووقع ، ثم دعا فكشف . والبطشة / الكبرى يوم بدر . وقد مضت آية الروم وآية الدخان والبطشة والالزام .

ب / ٣٨

بَاب

ومن آياته بمكة ، أنه ﷺ لما جمعهم ووعظهم ودعاهم الى اتباعه ومفارقة ما هم عليه من ديانات آباءهم ردّوا قوله ، ومشى بعضهم الى بعض وقالوا :

(١) اسلم بن مسعود قديماً وهاجر المجرتين وشهد بدرأً والمشاهد كلها ، ولازم النبي صلى الله عليه وسلم . وحدث عنه الكثير ، ثم شهد فتوح الشام ، عينه عثمان على الكوفة ثم عزله ، توفي سنة ٨٣٢ . الاصابة ٢ : ٣٦٠

(٢) سورة ص ٨٦

(امشوا واصبروا على آلهتكم ، أجمعل الآلهة إلهاً واحداً ؟) (١) وتوعده
بكثرتهم وعزهم وأموالهم ، ووثقوا بذلك ، وغرهم ما رأوا من ضعف
رسول الله ﷺ ووحده وتوعدهم رسول الله وهو في تلك الحال ، فأنزل
الله (جنداً ما هنالك مهزومٌ من الأحزاب) فكان كما أخبر وكانت
العقبى له .

فتأمل الامر في ذلك تجده عظيماً لأنه توعدهم بالحرب قبل الحرب وقبل
الجماعة وفي حال الضعف ، وهو معهم وفي أسرهم وفي قبضتهم ، فبعثهم على
قتله واستنصاه ، وهيجهم على بذل المجهود واستفراغ الوسع في مكارهه ،
وهذا لا يقع من عاقل إلا ان يكون واثقاً بالله ، ساكناً الى تنزيله ووحيه .
واذا وقيت النظر حقه لم تجد لرسول الله ﷺ في اخوانه من النبيين والمرسلين
صلوات الله عليهم اجمعين نظيراً في الضعف والوحدة ، ومن خالف قومه تلك
المخالفة وهاجمهم وأسخطهم ذلك الاسخاط ، واخبرهم بما سيكون من قوته
وغلبة الجبابرة من الأمم قبل ان يكون ذلك او يكون له امارة تقتضى ،
فصارت الامور في القوة والظهور الى ما قال ، فابتدأ ابتداء الشمس وامتدَّ
امتداد النهار .

بَاب

ب / ٣٩

بما كان بمكة ، حين تلا عليهم سورة « اقتربت الساعة » وقص عليهم أمة
أمة من الذين كذبوا الرسل ، وما نزل بهم من النكال والبوار ، الى ان انتهى
الى قوله : (أكنفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبُر أم يقولون نحن

جميع منتصر. سيهزم الجمع ويولون الدبر^(١) فكان إدلالهم بكثرتهم وكثرة من يساعدهم على عداوته ومحاربتة ، وانه ان صارت له جماعة فجموعهم أكثر ، والأموال والسلاح والكرام والعدة معهم لا معه ، فكان ظاهر الرأي ومقتضى الحزم ان يكون لهم لا له ، إلا ان يكون من الله عز وجل مالك القلوب وناقض العادات لأنبيائه ، فكان كما قال ، وكانت العقبي له .

بَاب آخِر

مما نزل بمكة قوله : « فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم ، وإنه لذكر لك ولقومك »^(٢) أي شرف ونبل وجلالة ، فهو عز ومعجز . ثم قال : « وسوف تسألون » أي عن شكر هذه النعمة ، فكان كما أخبر وكما فسر فان القرآن بان آياته ، وظهرت بيناته ، وقامت حجته ، وكملت النعمة على رسول الله ﷺ وعلى صحابته به ، فشرفوا وعزوا بمكانه ، وذلك من الأمور البينة الواضحة ؛ فانك تجد الفقهاء والعلماء قد أجلوا القرآن ومن قرأ القرآن ومن عرف علوم القرآن ، ولهذا قال عز وجل لقريش في ابتداء المبعث : « قل هو نبي عظيم أنتم عنه معرضون »^(٣) يريد القرآن ، وانه عز ونبل وشرف ، وستشرف به امم ممن / تمسك به ودعا اليه ، وقد فاتكم ذلك لإعراضكم ، فكان ذلك كما أخبر .

ب / ٣٩

(١) سورة ص ١١

(٢) الزخرف ٤٣

(٣) القمر ٤٣

وفي هذا المعنى قوله عز وجل « أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى » (١) فتأمل ما في هذا ، فإنه ﷺ ما عرف العزَّ بالأوين كما يعرف من ربه أبواه ؛ فان أباه مات وهو حنن ، وماتت أمه وهو رضيع ، فأواه الله اكرم إيواء ، فلما كمل ، آتاه النبوة وعصمه وصانته ، وأخبره ان الآخرة خير له من الأولى ، فإن آخر أمره في عاجل الدنيا في النصره والعز ، وثواب الآخرة خير من الأولى ؛ « ووجدك ضالاً فهدى » ، أي ذاهباً عن النبوة لا تدري ما هي ولا تعرف القرآن .

وفي مثل هذا المعنى قوله عز وجل : (أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ . وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ . الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ . وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) فإن ذكره ارتفع بالصدق والوفاء وقياس الحجة ، فما وجد له اعداؤه كذبة ولا ذلة ولا هفوة مع حرصهم على ذلك ، وما بارت له حجة ، ولا زلت له قدم ، ولا أسكنته خصم ، مع كثرة الخصوم له ، وطلب العسل وطول المجادلة .

بَابُ آخِرٍ

من أعلامه ، وهو قوله عز وجل « قُلْ : لَسِنُ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » (٢) وفي هذا إخبار عن غيوب كثيرة ، لأنه قال لكل واحد من الإنس والجن : إنك لا تأتي بمثل هذا القرآن ولا أحدٌ يأتي بمثله في كل حال منفردين ولا مجتمعين ، فما أتوا به مع حاجتهم الى ذلك وشدة حرصهم عليه ، أفمن هذا تعجب ؟ أم من إقدامه على الإخبار بذلك وهو لا يعرف العرب كلها ولا

(١) الضحى ٦

(٢) الاسراء ٨٨

يحصى قبائلها / ورجالها ونساءها ، والفصاحة والبلاغة مشبوتة في رجالها ونساءها وعبيدها وإمامها وعقلائها ومجانينها ، وقد علم ﷺ أنهم في اللغة والبلاغة قبله ، وهو منهم تعلم ، وهو عاقل ، فلولا أنه قد تبين أنهم لا يأتون بذلك لما أقدم على الإخبار بذلك ، سيما والذي ادّعاه امر عظيم وخطب جسيم ، وهو النبوة والصدق والمصمة ونفاذ امره في النفوس والأموال ووجوب طاعته على كل احدٍ الى ان تقوم الساعة ، وحجته في ذلك كله هذا القرآن ؛ وهذه من الآيات التي نزلت بحكمة ، ولو نزلت بالمدينة او أين نزلت لكانت الحجة بذلك قائمة لا تأثير للأماكن في ذلك ولا للأزمنة ، وإنما نذكر الأماكن لأن الأعداء لما أفلسوا واقتضحوا ، أخذوا في تشكيك الملوك والمترفين ومن يجب الرخص ومن لم ينظر ويتأمل ويسمع من العلماء ، أن هذا القول إنما قاله في آخر امره وفي آخر عمره .

واعلم أن القرآن حجة من ثلاثة أوجه : فكل سورة منه حجة من طريق الفصاحة والبلاغة ، وهو حجة لما فيه من الاخبار بالغيوب ، وهو حجة لما فيه من التنبيه على دلائل العقول ، فإن ذلك جاء على طريقة انتقضت به العادة ، وقد مرّ بك طرف منه في المصباح ^(١) ، ولعل اكثر منه ان يرد عليك ، فانما انت في ذكر الاخبار بالغيوب وما يجري مجراها ، ثم نصير الى البابين الآخرين والى مسائل الخصوم في ذلك والأجوبة عنه إن شاء الله .

من دلائله وإعلامه ﷺ ، وهو إخباره عما في الكتب المنزلة وما تضمنته من / خلق آدم صلى الله عليه ، وما كان له مع الملائكة صلوات الله عليهم ،

(١) لعل القاضي يقصد بالمصباح اسم كتاب له ، الا اننا لم نعثر لهذا الكتاب على اثر في كتب القاضي التي اطلعنا عليها ولا في الكتب التي نقلت عن القاضي او ذكرته .

ومع ولده ، ومع ابليس ، وما كان لنوح مع قومه ، ثم ابراهيم ، وإسحق ، ويعقوب ، والاسباط ، وعيسى ، وأيوب ، وموسى ، وهرون ، وغيرهم من النبيين صلوات الله عليهم اجمعين ، وهو ما قرأ تلك الكتب ولا عرف ما فيها ولا اختلف الى اهلها ولا اختلفوا اليه ، فتعلم انه ما علم ذلك إلا بوحي الله اليه واطلاعه عليه ، وهي اخبار كثيرة لا يقع الصدق فيها إلا بالوحي من الله عز وجل .

فإن قيل : أين لكم انه ما قرأ الكتب ، ولا كان يختلف الى اهلها ولا اختلفوا اليه وأنتم ما أدركتم زمانه ، وقد قال له عدوه : « انها اساطير الأولين اكتبها فهي تمتلى عليه بكرة وأصيلا (١) » وقالوا : « ان هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون (٢) » ؟

قلنا : ما ادّعينا ان خصومه ما ادّعوا ذلك عليه ، وليس دعواهم حجة عليه ، بل لما انقطعوا وقامت حجته ادّعوا هذا عليه ، ونحن وإن لم نكن في زمانه ﷺ ، فقد علمنا انه ما قرأ هذه الكتب ولا اكتبها ولا اختلف الى اهلها ، ولا اختلفوا اليه ، ولا تلقى ذلك عن احد من الناس ، لأنه ما من أحد يطلب فناً من الفنون إلا وله في ذلك تارات وطبقات ؛ فأول ذلك ان يكون طالباً وسائلاً عن عنده هذا الادب وهذا الفن من العلم والادب ، ثم يختلف الى اهله ويصحبهم ، فيكون تارة مبتدئاً ، ثم متوسطاً ثم ماهراً متقدماً . وكل هذه الاحوال معروفة معلومة لأهل زمانه ، لا يجوز ان يذهب عليهم ، ولا يجوز ان يخفى ولا يكتم عن احد كائناً من كان . فلو كان قد

(١) الفرقان هـ

(٢) الفرقان ؤ

تعاطفه ﷺ / ثم اکتتم عليه ، لكان ذلك من اكبر آياته وأعظم معجزاته ،
 فاذا العادة قد انتقضت به ، فقد اعطاه الخصم اكثر مما ادعى ، ولو جاز ان
 يخفي ذلك ويتستر على احد من الناس ، لما استتر ذلك على محمد ﷺ لأن
 عدوه وطالبه والمتبع لأمره والمفتش عن احواله من قريش والأقربين من أهله
 ومن دهاة اليهود والنصارى وغيرهم كثير ، والطلب منهم شديد ودعواه
 النفسية عظيمة ، وقد ادعى عليهم الفرية والكذب ولنفسه الصديق ، وحجته
 عليهم ألا يكذب في شيء ولا يناقض ، ثم إن الذين اتبعوه لأنه نبي وصادق .
 وقد عرف عدوه ووليّه مدشاه ومتقلبه ومثواه ، ومعهم سافر ، وبينهم تربي
 ونشأ ، وأزواجه إنما هن بنات اعدائه وأوليائه الذين اعتقدوا صدق نبوته ،
 وهن ممن يمتقد صدقه ونبوته ، فمن هذه سبيله ، يتعلم الكتابة بالقلم الواحد
 او بالأقلام المختلفة ، ويكتب ويقرأ ، ويختلف الى اهل هذه اللغات ويصحبهم
 ويأخذ عنهم ، ويتستر ذلك على اهله ونسائه وعدوه ووليّه ؟ هذا لا يعتقده
 من تأمل الامور وتدبرها . بل لو كان ذلك له ﷺ يوماً واحداً او ساعة
 واحدة ، لعلم به الأولون والآخرون للاحوال التي اختص بها ، ما قدمنا
 ذكره . ولا فرق بين من ادعى هذا عليه ، او ادعى انه قد كان مرة تهوّد
 وأظهر اليهوديّة ، وخرج فأقام مرة ببابك ، ومرة ببيت المقدس ، وأنه
 كان مرة تنصّر ولبس المسوح وأقام في البيع ، وخرج مرة وأقام ببلاد
 الروم وصام صوم النصارى وأقام أعيادهم وكان يخلق وسط رأسه كصنع
 الرهبان ، وأن ذلك / كله تم له وخفي على اهله ونسائه وعدوه ووليّه .
 فتأمل رحمك الله هذه الآية فإنها عظيمة جليلة ، ولو لم يكن له الا هي لكفت
 وأغنت . وانظر كيف يقول ، قد اقتص قصة نوح عليه السلام ثم قال في
 آخرها : (تلك من انباء الغيب نوحيها اليك . ما كنت تعلمها انت ولا

قومك من قبل هذا . فاصبر إن العاقبة للمتقين^(١)) وانظر كيف يقول له :
إن هذا ليس من علمك ولا من علم قومك ، والعدو والولي يسمع ذلك .

وقامل قوله عز وجل في قصة يوسف عليه السلام (ذلك من انباء الغيب
نوحيه إليك ، وما كنت لديهم إذ أجمعوا امرهم وهم يكفرون)^(٢) ثم عزاه
وقال له : آيتك بيئنة وحجتك قائمة وإن عصوك ، فماها هنا شبهة في
مخالفتك ، ولا أمر يصدُّ عن اتباعك ، ولست اول من قامت حجته فلم
يتبع ، فقال له : « وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين . وما تسألهم عليه
من اجر إن هو إلا ذكر للعالمين . وكأين من آية في السماوات والأرض يرون
عليها وهم عنها معرضون »^(٣) .

وانظر كيف يدل ويستطيل ويصول على العدو والولي بأن هذا إنما ناله
بالوحي ، وانه ما قرأ كتاباً ولا خط ، وأنه قد كان في غفلة من هذا فقال :
« وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب إلا رحمة من ربك . وما كنت
تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطون »^(٤) .

وقال له في أول سورة يوسف : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما
أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين »^(٥) . ثم يقول في
آخر السورة : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى
ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء / وهدى ورحمة لقوم

(١) هود ٤٩ وما بعدها

(٢) يوسف ١٠٢

(٣) يوسف ١٠٤ وما بعدها

(٤) العنكبوت ٤٨

(٥) يوسف ٣

يؤمنون ، (١) .

وتأمل قوله عز وجل في سورة القصص : « وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا الى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين (٢) » الى قوله : « وما كنت ثورياً في اهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكننا كنا مرسلين . وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك » وانظر الى هذا الاحتجاج بأنه ما نال هذا ولا عرفه إلا بوحي من الله .

وانظر الى قوله في سورة طه : « وقالوا لولا يأتينا بأية من ربه ، او لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى (٣) » . فتأمل هذا الاستعلاء على العدو والولي بأن من آياته وعلاماته ما في الصحف الأولى .

وكان مما طعن به ابن الراوندي في هذه الآية ان قال : إن كان معرفته بهذا دلالة على نبوته فمعرفة اليهود بذلك دلالة على نبوتهم ، وهذا جهل من هذا الأحق ، لأن اليهود قد قرؤوا ذلك وكتبوه واخذوه عن آباءهم وشاهدوه فلا يكون حجة لهم ، وهذا ما قرأه ولا كتبه ولا اخذه عنهم ولا عن احد من الناس كما دلت عليه العقول ، فهو حجة عليهم وعلى غيرهم ، ولو ان إنساناً ادعى النبوة ، وجعل دلالاته بأن اخبرك عن كتاب معك ما قرأه ولا وقف عليه وإنما وقفت انت عليه فيما لا يقع بالاتفاق ولا بالحدس ، لكان ذلك دلالة في نبوته ولم يكن دلالة لك ، وكذلك إذا اخبرك عما اكلت وشربت وادخرت ، ولكن اشتبه على هذا الملحد لفرط جهله وبعده من التحصيل ، ولولا ان الاشعرية والرافضة والنصارى والزنادقة يرون هذا الرجل بعين المحصلين لما ذكرنا اسئلته لراكتها ، ولكنه صنف شيئاً للمشبهة ،

(١) يوسف ١١١

(٢) القصص ، الآيات ٤٤ و ٤٥ و ٤٦

(٣) طه ١٣٣

وشيثاً / للمجبرة ، وشيثاً للرافضة ، فسروا به لنقصهم ، وشهدوا له بالحدق لفرط غباوتهم وانهم لا يعرفون الاسلام وأهله ، فمن اظهر لهم التصويب قبلوه لضعفهم وسوء احوالهم ، وقبله اليهود والنصارى وخذقوه ، لأنه شتم محمداً رسول الله وأظهر تكذيبه ، وهو فقد شتم ابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وهارون ويحىى وعيسى وجميع النبيين صلوات الله عليهم اجمعين وكذبهم ، ولكن اليهود والنصارى بلا حجة ولا بصيرة في مخالفتهم المسلمين ، فمن عادى محمداً ﷺ تولوه وإن كان عدواً لأنبيائهم ، كما لا بصيرة لأهل بدع الاسلام من المشبهة والمجبرة والرافضة . وهذه السور مثل القصص وهود ويوسف من المكيات فاعلم ذلك .

بَاب آخِر

من آياته وأعلامه ، وهو إخباره عن النصرانية ومذاهب النصارى من هذه الطوائف الثلاث منهم ، وهي الباقية القائمة الراهنة في قولهم ان المسيح عيسى ابن مريم هو الله ، وان الله ثالث ثلاثة؛ فان هذه الطوائف الثلاث من الملكية واليعقوبية والنسطورية ^(١) ، لا يختلفون في ان المسيح عيسى بن مريم ليس بعبد صالح ولا بنى ولا برسول ، وانه إله في الحقيقة ، والله في الحقيقة ، وانه هو خلق السموات والارض والملائكة والنبيين ، وانه هو الذي أرسل الرسل وأظهر على ايديهم المعجزات ، وان للعالم إلهاً هو آب والد لم يزل ، غير مولود ، وانه قديم خالق رازق ، وإله هو ابن مولود ، وانه ليس بأب ولا والد ، وانه قديم حيّ خالق رازق ، وإله هو روح قدس ليس بأب والد

(١) سيأتي تفصيل هذه الطوائف فيما بعد .

ولا ابن مولود / وانه قديم حيّ خالقي رازق ، وان الذي هو ابن نزل من السماء ، وتجسم من روح القدس ومن مريم البتول ، وصار هو ابنها إلهاً واحداً ومسمى واحداً وخلقاً واحداً ورازقاً واحداً ، وجبلت به مريم وولدته ، وأخذ وصلب وألم^(١) ، ومات ودفن ، وقام بعد ثلاثة ايام وصعد الى السماء وجلس عن يمين ابيه . فحكى قولهم في ان المسيح هو الله وان الله ثالث ثلاثة .

وهكذا مذهبهم في الحقيقة ولا يكادون يفصحون به ، بل يدافعون عن حقيقته ما امكنهم ، حتى ان ارباب المقالات واهل العناية به من المصنفين لا يكادون يحصلون مذهبهم ، وإنك لتجد النظّارين منهم والمجادلين عنهم اذا سألتهم عن قولهم في المسيح ، قالوا : قولنا فيه انه روح الله وكلمته مثل قول المسلمين سواء ، او يقول : إن الله واحد . وتجد صلى الله عليه وسلم وقد حكى حقيقة مذهبهم ، ولم يكن من المجادلين ولا من المتنبئين ، ولا ممن يقرأ الكتب ويلقى اهلها ، ولا من المتكلمين ، ولا كانت مكة والحجاز اذ ذاك بلاد فيها شيء من هذا ، فانتشر هذا عنه صلى الله عليه وسلم ، وفتش الناس عنه بعد ذلك فوجدوا الأمر كما قال وكما فصل ، بعد الجهد وطول الاستقصاء في الطلب والتفتيش . وما اكثر ما تلقى منهم فيقول : ما قلنا في المسيح انه الله ، ولا قلنا : إن الله ثالث ثلاثة ، ومن حكى هذا عنا فقد أخطأ وكذب ، ليعلم ان وقوف محمد صلى الله عليه وسلم هذا انما هو من قبل الله عز وجل ، وان ذلك من آياته .

فإن قيل : فإن قولهم في هذا وأن الله ثلاثة أقانيم جوهر واحد ، كقول المسلمين بسم الله الرحمن الرحيم ، وكقولهم في الله أنه حيّ قادر عالم .

قيل له : هذا غلط على النصارى ، وليس قولهم في التوحيد من قول

(١) ألم الرجل يألم ألماً ، فهو ألم . اللسان ١٤ : ٢٨٧

المسلمين بسبيل، وإنما يقول هذا من يروم المغالطة والفرار من فحش المقالة، /

لأن الله عند المسلمين هو الرحمن وهو الرحيم وهكذا العالم القادر، وهي ذات واحدة لها صفات كثيرة، وأسماء كثيرة. وعند النصارى، أن الله الوالد ليس هو الابن المولود، ولا يجوز أن يكون الأب الوالد ابناً مولوداً، ولا الابن المولود أباً والداً، وكذا روح القدس، ومن قال غير هذا فليس من النصارى؛ فان بليت منهم بن هذه سبيله أعني الجحود لهذه المقالة الفاحشة فقل: إن كنت تريد أن هذا قولك وكذا تختار فما يدفعك عن هذا؟ فأما أن يكون هذا قولاً للنصارى فهذا كذب وبهت، ولو أسلم نصارى عصرنا كلهم لما خرج هذا من أن يكون قولاً لمن سبق وتقدم من هذه الطوائف الثلاث، فاعلم أن هذا هو مذهبهم في التثليث، قد حصل العلم به ولهم فيه ضرب أمثال، وذلك في تسابيحهم وأقاويلهم في عباداتهم، ألا ترى أنهم يقولون في تسبيحة القربان في الساعة التي يكونون فيها خاضعين يتوقعون بزعمهم نزول روح القدس لقبول فاتور القربان: ليم علينا وعليكم نعمة الرب يسوع المسيح بن مريم ومحبة الله الأب ومشاركة روح القدس أبداً إلى دهر الدهرين.

ويقولون في تسبيحتهم التي يسمونها تسبيحة الإيمان التي وضعت بنيقية^(١) من بلاد الروم، وهذا كان بعد المسيح عليه السلام بنحو ثلاثمائة سنة، حين جمع قسطنطانوس ابن فيلاطس^(٢) ملك الروم، الذي امه هيلانة الحرانية

(١) عقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م بدعوة من الامبراطور قسطنطين، وكان يضم ٣١٨ اسقفاً، ابرز اعضائه آريوس الكاهن الاسكندري الذي تبني رفض تساوي عناصر الثالوث النصراني، وقال بأن جوهر الابن غير مساو لجوهر الاب وانه مخلوق.

(٢) هو قسطنطين الكبير، ابن قسطنطين خاور، ووالدته هيلانة وكانا ميالين للمسيحية. بقي وثنياً حتى سنة ٣٠٨ ثم بدأ يفكر في جعل المسيحية ديناً للدولة وخاصة بعد رؤيا الصليب =

الفندقية ، جمعهم ليعملوا تقريراً في إيمانهم يحملون الناس عليه وبأخذونهم به
فن أبى قتلوه ، واجتمع عنده نحو ألفي رجل ، فقرروا تقريراً ثم رفضوه ،
ثم اجتمع ثلثمائة رجل وثمانية عشر رجلاً وهم يسمونهم الآباء ، فقرروا هذا
التقرير ، وهم يسمونه سنهوديس / ، فكان تقريرهم لهذه التسمية وهي أصل
الأصول عند جميع هذه الطوائف لا يتم لأحد منهم عندهم إيمان إلا بها وهي :
« نؤمن بالله الأب الواحد ، خالق ما يُرى وما لا يُرى ، وبالرب الواحد
يسوع المسيح بن الله بكر أبيه وليس بمصنوع ، إله حق من إله حق ، من
جوهر أبيه الذي بيده اتقنت العوالم وخلق كل شيء ، الذي من أجلنا معشر
الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء ، وتجسد من روح القدس ومن مريم
البتول ، وصار انساناً ، وحبلت به مريم البتول وولدته ، وأخذ وصلب
وقتل امام فيلاطس الرومي ، ومات ودفن وقام في اليوم الثالث كما هو
مكتوب ، وصعد الى السماء وجلس عن يمين ابيه ، وهو مستعد للمجيء تارة
اخرى للقضاء بين الأموات والأحياء .

ونؤمن بالرب الواحد روح القدس ، روح الحق الذي يخرج من ابيه ،
روح محييه ، وبعمودية واحدة لغفران الخطايا ، وجماعة واحدة قديسية
سليحية^(١) جائلية ، وقيام أبداننا ، وبالحياة الدائمة الى ابد الأبدين ، .
فتأمل هذا الشرح وهذا التفصيل والكشف في التثليث والتشبيه ، وكيف

= العجيب - في زعمه - سنة ٣١٢ قبل المعركة مع مكسني . وقد اصدر منشوراً بحرية التحول
للديانة المسيحية سنة ٣١٣ م . انظر تاريخ الكنيسة المسيحية ، الكسندروس مطران حص
ص ٢٢٠ وما بعدها . ولقيت هيلانة بالفندقية لأنها كانت تعمل في فندق بحران .

(١) سليحية: نسبة لكتاب السليح لبولص ، وهو يتألف من ٢٤ رسالة . انظر الفهرست لابن
النديم ٤١ . وقد ورد في الكتاب احياناً باسم السليح و احياناً باسم السليحين .

يعتقدون في الله حقيقة المدبرين المصنوعين من النزول والصعود والولادة
وغير ذلك .

فان قالوا : فانا لا نقول انها ثلاثة آلهة ، فكيف يحكون عنا التثليث؟
قلنا لهم : انكم قد أعطيتونا معنى التثليث وأسعثموه واستوفيتم حقائقه ،
ومنعمتم / بعض العبارة عنه ، ألا ترون انكم تقولون إله هو أب والد حيّ
قادر قديم عالم خالق رازق ، وإله هو ابن مولود كلمة حي قديم خالق رازق
ليس بآب ولا والد ولا يجوز ان يكون والداً ولا أباً ، وإله روح قدس حي
عالم قديم خالق رازق . ثم قلتم هي ثلاثة أقانيم ، فقلتم في كل واحد منها انه
إله ورب وقديم ، وامتنعتم من الاقرار بالجملة وقد أعطيتم التفصيل ، وما
مثال ذلك إلا كن قال : عبد الله العربي ^(١) رجل وانسان وجسم وشخص ،
وخالد الفارسي ^(٢) رجل وانسان وجسم وشخص ، وزيد الرومي رجل
وانسان وجسم وشخص ، قلنا : فمؤلف ثلاثة رجال ، وثلاثة أناس ، وثلاثة
اشخاص ، وثلاثة اجسام . فقلتم : لا ، بل هم رجل واحد . قلنا : لا يؤثر
امتناعكم من اطلاق هذه العبارة في شيء قد أشيعت حقيقته . وفيهم من
يمنع من ان يقول في كل واحد من هذه الثلاثة انه غير صاحبه ، ثم يقولون :
ما شبهنا ولا مثلنا ، فكانوا كالمشبهة الذين يقولون : إله يصعد وينزل ويقعد
على العرش ، ثم يقولون : ليس كمثل شيء .

والذي يمنع النصارى من اطلاق القول بأنها ثلاثة آلهة متغايرة مختلفة وان
كانوا قد اعطوا معنى ذلك ، إلا لأنهم صدقوا بكتاب الله عز وجل التي صدق

بها المسيح عليه السلام ، وهي مملوءة بتوحيد الله وتفردة بالقدم ، وانه لا يشبه الأشياء ، وانما هذه البدع ابتدعوها بعد المسيح ، فأرادوا حمل بدعتهم في الشرك على ما في كتب الله فلم يتم ذلك وحصلوا على محض الشرك والتشبيه / .

فإن قيل : قد لعمرى صدقتم فيما حكيتم من التثليث ، فإن الملكية تقول فيه : إنه إله حق من إله حق من جوهر ابيه ، وان القتل والصلب والولادة وقعت عليه بكماله ؛ واليعقوبية تقول : حبلت مريم بالإله ، وولدت الإله ، وقتل الإله ، ومات الإله ، فما عندكم في النسطورية ؟ فإنهم قد قالوا في المسيح انه مركب من نوعين وأقنومين ^(١) وطبعين ، من إله ومن انسان ، وان الولادة والقتل وإنما وقعتا بالانسان وهو الذي يسمونه الناسوت .

قيل له : لو كانت النسطورية تقول في المسيح كما يقول المسلمون لما قدح ذلك في الخبر ولا اثر في العلم لأن التثليث قد وقع ، كيف والنسطورية ترجع الى القول في المسيح الى قول اخوانهم من الملكية واليعقوبية ، فيقال للنسطورية قد قلت إنه إله حق من إله حق من جوهر ابيه ، وقلت إنه إله تام من إله تام ، ثم قلت إن لاهوته مولود من قبل الأب وناسوته مولود من قبل الأم ، والولادة قد احاطت به من كل وجه ومن كل جهة ؛ وايضاً فإنكم تمدحون الإله بالولادة كما يمدحه المسلمون بتنزيهه عن الولادة ، وتقولون لو لم يكن والداً لكان عقيماً ، وكل حى لا يكون والداً فإنما ذاك لنقص وآفة وعاهة . فلا ينبغي ان تغالطوا عن حقيقة قولكم .

ثم يقال لهم : اخبرونا عن مريم هل حبلت بالمسيح في الحقيقة ، وولدت

(١) في الاصل : أقنومين

المسيح في الحقيقة ، وربت المسيح واطعمت المسيح في الحقيقة ، وهي / ام
المسيح في الحقيقة ؟ فإن قالوا: ولدت ناسوت المسيح او حبلت ناسوت المسيح
قلنا : لم نسألكم عن هذا ، فإن ناسوت المسيح عندكم ليس هو المسيح وإنما
المسيح هو اللاهوت ، ولاهوت المسيح عندكم ليس هو المسيح إنما هما مجموعهما
المسيح ، اجيبونا ، فان كانت مريم قد ولدت المسيح في الحقيقة وحبلت
بالمسيح في الحقيقة ، فقد حبلت بالإله والانسان وولدت الإله والانسان ،
وهي ام الإله والانسان ، وقد قتل الإله والانسان ، وألم الإله والانسان ،
ومات الإله والانسان ؛ فقد تبين ان قولكم وقول الملكية واليعقوبية في ذلك
سواء . وإن قالوا ما ولدت المسيح في الحقيقة ، ولا هي ام المسيح في الحقيقة
قلنا لهم : فليس هذا قول احد من النصارى ولا قول المسلمين ايضاً بل هو
قول اليهود ، فانهم قالوا : إن مريم ما حبلت به .

وإن قالوا : نقول هي أم المسيح على المجاز ، ومات المسيح في المجاز ،
قلنا لهم : لم نسألكم عن المجاز ، إنما سألنا عن الحقيقة ، فانه على هذا التقدير
ربما ايضاً يكون حمل مريم من غير ذكر مجاز ، وإحياءه الموتى مجاز ،
وجميع ما يدعونه له مجاز ، وهذا لا سبيل اليه ، لأنهم إن قسموا أفعاله من
من لاهوته وناسوته وجب ذلك كله ، لأنه اذا احيا الموتى وأظهر الآيات فانما
ذلك فعل اللاهوت واللاهوت وحده ليس بمسيح ، واللاهوت ما رآه الناس
فلا يجوز ان يقال رأى المسيح ، وإذا أكل وشرب ونام واستيقظ فذلك فعل
الناسوت والناسوت وحده ليس بالمسيح ، فقد وجب / جميع ما قدمناه

وهم لا يصيرون اليه ولا يلتزمونونه ، ومن صار اليه خرج عن النصرانية
وعن جميع اقوال المثلثة . وقد علمت ان حقيقة قولهم ما في تسيبحة ايمانهم
وهي اصل الاصول ، وليس لأحد من طوائفهم عنها ولا عن شيء منها

معدل ، وإنما وضعت حين صار الملك الى هذا القول ، وحين خالفهم آريوس^(١) الافصاح بالمذهب ولرفع التأويل والأوهام في المقالة .

وعند هذه الطوائف الثلاثة ، ان المسيح صار مسيحياً وإلهاً خالقاً رازقاً معبوداً حين بشر الملك امه وساعة الحمل به ، فاتخذ به الإله فصار جميعاً منذ ذلك مسيحاً واحداً وإلهاً واحداً ، وأن الاتحاد ما انتفض عندهم ولا بطل ، ولا خرج عن المسيحية والإلهية لا في حال الحمل ولا في حال الولادة ولا في حال النوم ولا في حال الأكل ولا في حال البول والتغوط ولا في حال المرض ولا في حال القتل ولا في حال الموت ، وأنه في جميع هذه الأحوال مسيح وإله ورب معبود وخالق ورازق ومدبر .

ويقولون : هو احياً نفسه بعد الموت لأنه محال عندهم ان يحيي الموتى غير المسيح ، وقد علمت تسبيحة الايمان وتفصيلها فارجع اليه ، ففيه أتم كفاية لتعلم مفالطة النسطورية وجميع من يجادل عن النصرانية . وقد قال فولوص^(٢) - وهم عندهم فوق الانبياء وقد ذكر صنيع اليهود بالمسيح - :

(١) في الاصل ايربوس ، وهو آريوس الكاهن الاسكندري ، وقد كان احد الذين وجدوا ان في القول بأن أقانيم الثالوث المقدس لها جوهر إلهي واحد مسار اي : ثلاثة آلهة إله واحد ، فيه تناقض كبير ، فنأدى بأن الله الأب وحده هو الإله الحقيقي بالمعنى الخاص الصارم ، وابن الله - بزعم النصارى - والروح القدس كائنات إلهية بالدرجة الثانية . لها طبيعة تختلف عن طبيعة الأب ومخلوقة . وقد عقدت عدة مجامع كنسية فازت في بعضها آراء آريوس وخذلت في بعضها الآخر . المرجع السابق ٢٢٠ وما بعدها .

(٢) يقصد بولص الذي يلقبه النصارى بالرسول ، فقد كان من عادة العرب ان يقلبوا الباء فاء حين الترجمة عن اللغة اليونانية ، فقالوا : افلاطون وفيلاطس . ولبولص مجموعة من الرسائل ملحقة بالمهد الجديد تحت اسم اعمال الرسل .

لو علموا لما صلبوا رب المجد الذي له الحمد والبركات ابد الدهر. وقال / ايضاً:
الذي ليس بعمان عُوين ، والذي ليس بحسوس مُحس ، والعالي على الزمان
أبتديء ، وابن الله صار ابن الانسان ، وألم الذي لم يكن يألم ووالده الله ،
فتأمل ما في هذا فانه يفصح بأن الله لم يكن يعمان فصار يعمان ، ولم يكن
'يحس' فصار 'يحس' ويدرك ، وأنه كان قبل الزمان فابتديء و صار في الزمان ،
وألم الذي لم يكن يألم ، وابن الله صار ابن الانسان ، و صار ابن الانسان ابن
الله ووالده الله ، وهذه صفات المسيح الذي هو عندهم الله وابن الله. قالوا :
وقد قال الآباء - وقد ذكروا ما صنع فيلاطس الرومي واليهود - : انهم
لما صلبوا رب المجد عرفوه .

قالت النصرى هذه كلها اقاريلنا وفيها حقيقة مذهبنا .

قالوا وقد قال الفاضل يوانس : المساوي للأب جاء الى العالم في الرحم
البتول ، وكان قبل ان يكون آباؤه ابراهيم وإسرائيل وداود ، وهو ابن الله
قبل ان يدعى ابن ابراهيم وداود . وقالوا : فهذه حقيقة ديننا ، فان جاء
فيه ان الله انسان او من جنس الناس ، او أنه يتقلب في الصور والهياثات
وينتقل ويتشكل لم ننفر من ذلك ، ولم ندع ما اسسه الآباء والقذوة لما يوجب
الجدل ويلزم في النظر . فتأمل هذا ، وقولهم : المساوي للأب جاء الى
العالم في الرحم البتول وكان قبل ان يكون آباؤه ابراهيم وإسرائيل وداود
وهو ابن الله قبل ان يدعى ابن ابراهيم وداود ، لتعلم ان اعتقادهم وقولهم
ان هذا الذي ولدته مريم هو ابن الله وهو الله ، وأنه مثل الأب الذي في / السماء
على العرش عندهم ، وأن هذا هو الذي لم يزل ، وأن الذي حدث وتجدد ولادة
مريم له ، وأن ابراهيم وإسرائيل وداود انما صاروا آباءه من قبل امه لأنها

من بني اسرائيل ، وأنه كان ابن الله قبل ان يكون ابن ابراهيم وإسرائيل
وداود .

قالوا : وقد قال علماءنا ومن هو القدرة عند جميع طوائفنا : يسوع في
البدء لم يزل كلمة ، والكلمة لم تنزل لدى الله ، والله هو الكلمة ، ويسوع هو
عيسى بالسريانية ^(١) . قالوا : فذاك الذي ولدته مريم وعايته الناس وكان
بينهم هو الله وابن الله وهو كلمة الله .

قالوا : وقد قال يوحنا السليح ^(٢) : إنا نبشركم بالذي لم يزل من قبل ،
وأنا رأيناه بأعيننا ، وحسسناه بأيدينا . قالوا : فما فيمن هو الحجة لجماعتنا
الا من يكشف الامر كشفاً لا يتعرض لتأويله الا من يكابر عقله .

فعندهم ان القديم الأزلي خالق السماوات والأرض هو الذي عايته الناس
بأبصارهم ، ولمسوه بأيديهم . قالوا وقد قال أرميا النبي وقد ذكر المسيح
والبشارة به : هذا الهنا ولا نعوذ معه غيره ، وانه في آخر الزمان تراءى على
الأرض وتردد مع الناس ، فتأمل هذا الكشف .

قالوا : وقد قال بطرس ^(٣) وهو بكر ايماننا واصل بيعتنا لما سئل عن
ابن الله لا عن ابن الناس ، وعن كلمة الله لا عن كلمة الناس فقال : هو
الذي كان بين الناس وتردد معهم ، وأبرأ الذين نكأهم الشرير .

قالوا : وقد خاطب الناس / من بطن أمه مريم ، فقال للأعمى : أنت

ب / ٤٧

(١) يثبت القاضي كلمة يسوع بالالف قبلها واحياناً دونها ، وقد اثبتناها بحذف الالف .
(٢) احد الذين يطلق عليهم النصارى اسم الرسل ، وله مجموعة من الرسائل ملحقة بالمهد
الجديد ، مات سنة ٤٤ م . تاريخ الكنيسة ٣٤ .
(٣) احد الذين يطلق عليهم النصارى اسم الرسل ، وله مجموعة من الرسائل ملحقة بالمهد
الجديد ، مات سنة ٦٦ او ٦٧ . تاريخ الكنيسة ٣٣ .

مؤمن بابن الله ، قال الاعمى : ومن هو حق أو من به ؟ قال : قد رأيته وهو المخاطب لك ، قال : آمنت يا سيدي ، وخر ساجداً . قالوا : فما الذي بقي من الافصاح بأن الذي حبلت به مريم وكان في بطنها هو الله وابن الله وكلمة الله .

قالوا : وقد قالت ام يحيى بن زكريا - وقد دخلت على مريم وهي حبلت بالمسيح ، وام يحيى حبلت به - ان هذا الذي في بطني قد سجد للذي في بطنك . قالوا : فما الذي يبقى في البيان في ان الإله المعبود الذي هو الله وابن الله وكلمة الله هو الذي حبلت به مريم وولده .

قالوا : ولما عمده يوحنا في الأردن تفتحت ابواب السماء ونادى الأب : هذا ابني وحبيبي الذي سررت به نفسي . ونزل روح القدس في صورة حمامة ورفرفت على رأس المسيح ، قالوا : فالتمعمد هو الله الابن ، والمنادي هو الأب ، والنازل هو روح القدس ، وانظر كيف يفردون كل واحد منهم بصنع غير صنع صاحبه .

قالوا : وفي البشارة به حين قال جبريل لمريم : ها انت تحبلين وتلدن ، قالت له : كيف يكون هذا وما مسني رجل ؟ فقال لها : ربنا معك ، والهنا معك ، وأيدي العلي تحلّ عليك ، وروح القدس تأتيك ، والذي يولد منك قدوس وابن الله يُدعى ، قالوا : فقد خبرها بأنها تحبل بابن الله لا بابن الناس ، وانها تلد ابن الله لا ابن الناس ، وان الله معها . قالوا ولا تزيد بقولنا معها ومع ابنها بمعنى التأييد والنصر والمعونة كما يكون الله / مع الأنبياء والصالحين والمؤمنين ، لأن المسيح عند طوائفنا الثلاث ليس بنبي ولا بعبد صالح ، بل هو رب الأنبياء وخالقهم وواعثهم ومرسلهم وناصرهم ومؤيدهم

ورب الملائكة؛ ولا هو معها ومع ابنها بمعنى الخلق والتدبير والتقدير كما يكون مع سائر إناث الحيوان من الناس والكلاب والحمر والخنازير بالخلق والصنع والتقدير ، ولكنه معها لحبلها به ولاحتواء بطنها عليه ، ولهذا فارقت جميع اناث الحيوان ، وفارق ابنها جميع النبيين، فصار الله وابن الله الذي نزل من السماء وحبلت به مريم وولدتها والمولود منها الهاً واحداً ومسيحاً واحداً ورباً واحداً وخالقاً واحداً منذ وقت بشارة جبريل عليه السلام لها ، لا يقع بينها فرق ، ولا يبطل الاتحاد بينها بوجه من الوجوه ، ولا في الحبل ، ولا في الولادة ، ولا في حال نوم ، ولا مرض ، ولا صلب ، ولا موت ، ولا دفن ، بل هو متحد به في حال الحبل، فهو على تلك^(١) الحال: مسيح واحد، وخالق واحد واله واحد ، وفي حال الولادة كذلك ، وفي حال الموت والصلب كذلك .

قالوا : فمننا من يطلق في لفظه وعبارته حقيقة هذا المعنى ، فيقول: مريم حبلت بالإله ، وولدت الإله ، ومات الإله ؛ ومننا من يمنع هذه العبارة ويعطي معناها وحقيقتها ، فيقول : مريم حبلت بالمسيح في الحقيقة، وولدت المسيح في الحقيقة ، وهي ام المسيح في الحقيقة ، والمسيح إله في الحقيقة ، ورب في الحقيقة ، وابن الله في الحقيقة ، وكلمة الله في الحقيقة ، لا ابن الله في الحقيقة إلا هو ، ولا أب للمسيح في الحقيقة إلا هو ، ولا أم للمسيح إلا مريم . قالوا : فؤلاء يوافقون في المعنى قول من قال / فيها : إنها حبلت بالإله ، وولدت الإله ، وقتل الإله وأم الإله ، ومات الإله ، وإنما يمنعون اللفظ والعبارة فقط .

ب / ٤٨

(١) في الاصل: فهو تلك

قالوا : وانما منعنا هذه العبارة التي أطلقها إخواننا لثلاثتهم علينا إذا قلنا : حبلت بالاله ، وولدت الاله ، ومات الاله ، وألم الاله ، إن هذا كله حلّ ونزل بالاله الذي هو أب ، ولكننا نقول : حلّ هذا كله ونزل هذا كله بالمسيح ، والمسيح عنده وعند طوائفنا إله تام ، وإله حق من إله حق ، من جوهر أبيه .

قالوا : لا نريد بأنه معنى على معنى النصر والتأييد ولا معنى الخلق والتدبير ، لأنه مع جميع الانبياء والصالحين كذلك ، ومع جميع المخلوقات بالخلق والتدبير ، وكأن يكون قولنا وقول المسلمين واليهود واحداً في التوحيد .

قالوا : والآباء والقدوة منا يقولون : ابن الله يدعى ابن الانسان ، وابن الانسان يدعى ابن الله ، وآدم الجديد هو الاله الأليم الذي قتل ومات .

قالوا : وعندنا ان المسيح قال : ابن البشر هو رب السبت ^(١) . وقال ايضاً : أنا بأبي وأبي بي ، ولا يعرف احد الات إلا الابن ، والابن لا يعرفه إلا الاب ، وانك إله بي وأنا بك ^(٢) . وقال : انا في ابي ، وابي في . وقال : انا قبل ابراهيم ، وقد رأيت ابراهيم وما رأني ، فقال له اليهود : كذبت ، كيف تكون قبل ابراهيم وأنت من ابناء ثلاثين سنة ، فقال : انا عجنت طينة آدم وبحضرتي خلق ، وانا اجيء واذهب واذهب واجيء ^(٣) . قالوا : وهذا القول عندنا للمسيح في الحقيقة ، ولو كان قولاً للإله الذي ليس هو المسيح

(١) « ابن الانسان هو رب السبت » . انظر انجيل لوقا الاصحاح السادس .

(٢) الاصحاح العاشر من انجيل لوقا

(٣) انجيل يوحنا الاصحاح ٨

لما كان له معنى . وعندنا ان المسيح بن آدم وربّه وخالقه ورازقه وابن /
ابراهيم وربّه وخالقه ورازقه ، وابن اسرائيل وربّه وخالقه ورازقه ، وابن
مريم وربّها وخالقها ورازقها .

قالوا : وقد اعتل لنا من يناظر عنا بأن الله والد في الحقيقة وان تولد
ابنه منه كتولد ضياء الشمس من الشمس وكتولد الكلمة من العقل ، ونحن فما
قلنا : إنه والد وله ولد في الحقيقة بهذا الاعتلال ، بل لما قدمنا من قول
الآباء والقُدوة . وعلى ان هؤلاء قروا بهذا القول من التشبيه لله بالمتناسلين
المتناكحين من الخلقين ، فشبهوه بالموات والجماد ، فوقعوا في شر ما هربوا
منه ودفَعوا الضرورة ، لأن مريم قد ولدت المسيح إله الكل ولادة صحيحة
في الحقيقة معقولة ، ولادة الاحياء الناطقين بغير تناكح ولا تناسل ، ومن
قال إن مريم ما حبلت بالمسيح في الحقيقة ، ولا ولدت المسيح في الحقيقة ،
ولا هي ام المسيح في الحقيقة ، فليس من طوائف النصارى . وكذا من قال
ليس المسيح إلهاً في الحقيقة ، ولا رباً للخلائق في الحقيقة ، فليس من الملكية
ولا من اليعقوبية ولا من النسطورية .

قالوا : وقد قال القُدوة عندنا : إن اليد التي سمّرها اليهود في الخشبة هي
اليد التي عجنّت طين آدم وخلقتّه ، وهي اليد التي شبرت السماء ، وهي اليد
التي كتبت التوراة لموسى .

وقالوا : وقد وصفوا صنيع اليهود بالمسيح : إنهم لطموا الإله وضربوه
على رأسه ، وعجب لإله يضرب على رأسه . وتعالوا فانظروا الى الإله يلطم
ويضرب على / رأسه .

قالوا : وفي بشارة الأنبياء ، ان الاله يجيء ، وتحبل / به امرأة عذراء وتلد ، ويؤخذ ويصلب ويقتل .

قالوا ولنا سنهوس قد اجتمع عليه نحو سبعمائة من الآباء والقُدوة ، فيه ان مريم حبلت بالاله وولدت وارضعته وسقته واطعمته ، وهذا دون ما في تسبيحة الايمان من الولادة والقتل والألم والصلب والموت والدفن .

قالوا : وأقاويلنا كلها من اولها الى آخرها التي ذكرناها لكم من اصل ديننا وحقيقة مفصحة بذلك ، فهذه حقيقة ديننا وايماننا ولنا من هذا المعنى من السرياني والعربي اكثر مما ذكرناه .

فهذا يرحمك الله كما ترى وتسمع ، فلولا ان رأينا قوماً عقلاء يقولون هذا ، وسمعناه منهم حين فلتشنا عما قاله الله وحكاه عنهم فنطقوا به بعد الجهد واخرجوه من غوامض اسرارهم ، لما صدق الناس ان في الدنيا من قال هذا او نطق به .

وإذا تأمل العاقل الأمور وفتش وطال بحثه وجهد ، رأى الجهل في الأمم والاقاويل المشتمة على الحق كانت في الامم قبل الاسلام .

فالفلاسفة تدعى في هذه الاجسام الجساد والموات من الشمس والقمر والكواكب والسماء أنها حية عاقلة مميزة تخلق وترزق وكانوا لها عابدين ، والنصارى كما قد علمت ، والمجوس^(١) عندها ان الاله غالبه الشيطان ونزل الى الارض^(٢) ، وكانت الحرب بينها ألف سنة ، وان الشيطان غلبه وحاصره

(١) المجوس احدى فرق الثنوية الفارسية وهي : المانوية والمزديكية والمريونية والماهانية والمجوس والقلاصية . وهي تتفق في امور وتختلف في امور ، واهم ما تتفق فيه القول بأصلين للوجود هما : الخير والشر او النور والظلمة .
(٢) كتب في الحاشية : في اعتقاد المجوس .

في جنته مع ملائكته وان الملائكة عند ذلك سعوا بينها في الصلح ووقعت
 المهادنة بينها / على شرائط معروفة مذكورة عند من حكى المقالات ،
 وشرحها يطول ^(١) ، ثم رجع عندهم بملائكته الى سمائه غير انهم ما قالوا
 قتل كما قالت النصارى ، ولا بلغوا الى هذا وان كانوا قد فحشوا في القول .
 وقد كانت القبط تقول بالاهية فرعون صاحب مصر ، والمنانية من
 الزنادقة فقولها في نحو من قول الجوس ، وأقاويل الهند في البدء معروفة .

فلما جاء الاسلام بتلك الانوار ، وبأن من كان جسماً ومحتاجاً لا يكون
 لها ولا يفعل جسماً كما قدمت لك في « المصباح » ، وهو ايضاً مذكور في
 غيره . وكان من رحمه الله بخلقه ان سلطان الاسلام ظهر على الاديان كلها ،
 وكان حملة السلاح هم الأتقياء والأولياء العلماء الفقهاء ، فاستحيا اهل البدع
 منهم فانقبضوا وكانت لهم هيبة التقوى . فمات اولئك رضي الله عنهم وطال
 العهد ، وصار بعدهم ملوك جبابرة غير انهم كانوا حملة الاسلام .

ثم لم يزل الأمر يتناقص، فصارت السيوف كلها على الاسلام، ومات أهله،
 وصار في الزندقة والإحاد السيوف والملك فعادوا الى ما كانوا عليه من الجاهلية.
 ألا ترى ان من بالإحساء من القرامطة والباطنية ^(٢) لما غلبوا شتموا الانبياء ،
 وعطلوا الشرائع، وقتلوا الحجاج والمسلمين حتى أفنؤهم ، واستنجموا بالمصاحف

(١) كتب في الحاشية : في اعتقاد القبط .

(٢) كان ابتداء ظهور القرامطة في الربع الرابع من القرن الثالث الهجري ، وكانت دعوة
 سرية تسرتت بستر التشيع ونكب العالم الاسلامي ببلائها مدة طويلة ، وكان من اهم زعمائها
 زكيرة الاصفهاني او زكرويه بن مهرويه الذي قتل سنة ٢٩٤ . انظر تاريخ الطبري .

والتوراة والإنجيل ، وجاؤوا بزكيره الاصفهاني الجوسي^(١) وقالوا هذا هو الإله في الحقيقة وعبدوه ، وكان لهم معه ما هو مذكور معروف .

٥٠ / ب

ومثل هذا / صنع ابو القاسم الحسن بن حوشب بن زاذان الكوفي النجار^(٢) حين ظهر يجبال لاعة من ارض اليمن ، وكذا صنع من كان منهم بالجند^(٣) وعدن من ارض اليمن ، وسبوا العلويات ، وكل هؤلاء كانوا في اول امرهم يخدعون الناس بأنهم شيعة ، وأن المهدي ارسلهم .

وكذا صنع من كان منهم برقاده والقيروان من ارض المغرب ، الى ان قام ابو يزيد مخلد بن كدّاد^(٤) بن معه وحاربهم خمس سنين وضيق عليهم كما صنع الأصفر بأهل الإحصاء^(٥) ، فلما انكشف أمر أبي يزيد عن بالمغرب كفوا عن المساشفة للعامة بستم الأنبياء وتعطيل الشرائع ، وصاروا يخدعون الناس سرّاً وينقلونهم عن الاسلام بالحيل والأيمان من حيث لا يشعرون شيئاً شيئاً ، وانبثوا وانبسطوا ، وبثوا ذلك في ممالكهم ، ويقصدون بدعوتهم الديلم والأعراب وكل من يقل بجمته ونظره وله رغبة في الدنيا وشغل بها .

(١) كتب في الحاشية : « جاء القرامطة بزكيرة الاصفهاني الجوسي وقالوا : هذا هو الإله » .
(٢) الحسن بن زاذان المتوفى سنة ٣٠٢ هـ من اتباع ميمون القداح ارسله الى اليمن فخرج فيها واستولى على قسم كبير منها .

(٣) موضع في اليمن ، ورسمها في الاصل : الجبد .

(٤) ورد هذا الاسم في تاريخ ابن خلدون غير مرة « كراد » ، وفي عقد الجمان « كندار » وفي العبر للذهبي « كيداد » ، ولعل الأصح ما اثبتناه هنا « كدّاد » . وهو من الخوارج الصفوية . انظر ابن خلدون ٤ : ١٤٠ ، وعقد الجمان حوادث سنة ٣٣٤ هـ ، والعبر للذهبي ٢ : ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٥٧ .

(٥) يقصد ابا الفضل بن زكريا الجوسي الاصفهاني ، كان قدم من اصبهان وموه على القرامطة ابي سعيد الجنابي واخيه ابي طاهر واصحابها فاتخذوه كاله . وسبب تلقينه بذلك انه كان يلبس عمامة صفراء وثوباً اصفر ، قتله القرامطة بعد ذلك في أوائل الربع الثاني من القرن الرابع الهجري . انظر تجارب الأمم لسكويه ٥٢ - ٥٥ وما بعدها .

ثم يقطعونهم عن البحث والنظر بالعهود والايان المغلظة ، ومن دخل بلدانهم وشاهد عساكرهم وتأمل سيرتهم يعرف ذلك من قصدهم ، بل من سأل واستبحث يعلم ذلك وإن لم يصير اليهم . وقد صاوا حراماً للملحدة والزنادقة والفلاسفة والدهرية وجميع اعداء الاسلام ، فمن هاجر اليهم أمن في إلحاده وقال ما شاء كيف شاء ، فيا لها مصيبة بذهاب الاسلام وموت اهله وقلة العارفين به وبحقوقه ، فان من بقي ممن يظن انه من اهله فممنهم من يشبه الله بخلقه ، ومنهم / من يحوره في حكمه وإلى غير ذلك .

وَبَابٌ آخِرٌ

وهو ان هذه الطوائف الثلاث من النصارى أشد عالم الله تعظيماً للمسيح وتحققاً به وحباً له ، يدعون انهم شيعة واتباعه ، وانهم اطوع الناس له ، وان ما هم عليه عنه اخذوه ، وبه اقتدوا فيه ، وعلى وصاياه عملوا . وقال صلى الله عليه : ان المسيح عبد الله ورسوله أتى الناس بما جاءهم الأنبياء قبله ، من آدم ونوح وابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وموسى وهرون وغيرهم من الأنبياء صلوات الله عليهم اجمعين ، من الدعاء الى عبادة الله وتوحيده وحده ، والاخلاص له وحده بالعبادة والقدم والربوبية ؛ وان النصارى قد كذبوا عليه ، وبدلوا دينه ، وعطلوا وصاياه ، وانهم ضاهوا بقولهم قول الذين كفروا من قبل ، الذين اتخذوا المخلوقات آلهة وأرباباً ودعوها وتضرعوا لها ، كالفلاسفة والصابئين من اهل حران (١) ، فانهم

(١) سمى صابئة حران بذلك لأنهم كانوا يسكنون مدينة حران من ارض الجزيرة ، وقد عرفوا بعبادة الاجرام السماوية السبعة ، وهذه العبادة بقية من الديانة الاشورية والبابلية .

اعتقدوا في الشمس والقمر والكواكب والسماء ما قدمنا ذكره ، كالتقبط الذين قالوا في فرعون ما ذكرنا، وكثيرهم ؛ فقد قال بربوبية المخلوقات والمخلوقين خلق كثير ، وشرح احوالهم يطول ؛ وان المسيح ﷺ عدو لهؤلاء النصارى وبريء منهم فوجد الناس الأمر كما قال ، وعلى ما شرح وفصل ، فكم في هذا من عجب ، انه رجل عربي أمي يخبر عن رجل قد سبقه بنحو الف سنة ، ولسانه غير لسانه ، / وبلده غير بلده ، وقومه غير قومه ، يخبر عنه بأمر كان عليها .

٥١ / ب

وقد وجد ﷺ أمما من كانوا قبله يدعون التحقيق بهذا الرجل وهم على منهاجه وطرائقه ، فلو كان منقولاً لتهدب الاقدام على ذلك ، وكان لا يأمن ان يكون القوم الذين سبقوه في الزمان وتحققوا بهذا الرجل قد صدقوا عليه ، وانهم أتباعه كما ادعوا فلا يأمن ان يظهر كذبه ، سيما وقد ادعى الصدق والنبوة والرسالة على اهل الارض كلهم وعقله الذي لا يدفع . فانظر كيف يتعرض لعظيمات الأمور ، وجسيمات الخطوب .

وحكى عن ربه عز وجل ان النصارى ليسوا على شيء مما ^(١) جاء به احد من الانبياء ، فقال : « واسأل من ارسلنا من قبلك من رُسُلِنَا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يُعبدون » ^(٢) فأقدم على أشياء قد تدبر بها العقلاء وجبايرة الملوك قبله وفيه فضائحهم وهتكهم ، فيؤخذ الامر كما قال ، فلو لم يكن إلا هذا من أعلامه لكفى وشفى وأغنى .

(١) في الاصل : ما .

(٢) الزخرف ٤٥ ١

فإن قيل لكم ومن اعطاكم ان دين المسيح خلاف دين النصارى ، وأنهم
قد خالفوه ؟

قلنا : من تأمل الامر وجدهم اشد الناس خلافاً عليه واطراحاً
لوصاياه في الاصول والفروع جميعاً . فأما في الاصول فقد آمنوا وعبدوا
ثلاثة آلهة وثلاثة أرباب كما قدمنا وتبيننا ، ولا يختلفون في ان المسيح
عيسى بن مريم ليس بنبي ولا عبد صالح ، وأنه إله حق من الاله حق من
جوهر ابيه ، وأنه الاله تام من الاله تام ، وانه خالق السماوات والارض
والاولين والآخرين ورازقهم ومحييهم ومميتهم وباعثهم وحاشرهم ومحاسبهم
ومثيبهم ومعاقبهم . وقد ذكرنا ما يقوله النسطورية من انه إله مركب
من نوعين / وطبيعتين ، وبيننا ما يرومونه من المغالطة . فإن قالوا : فإننا لا
نفرد واحداً^(١) من هذه الآلهة بالعبادة بل نعبدها كلها بعبادة واحدة ،
قيل له : ان هذا لا يخرجكم من ان تكونوا قد اشركتم في القدم واشركتم في
العبادة ، ولا يقدر فيما حكيناه عنكم ، لأنه يصح ان نعبد مائة الف معبود
بعبادة واحدة . وعلى انا نجدكم تفردونها وكل واحد منها بالانعام والايمان كما
هو المذكور في تسبيحة الايمان وتسبيحة القربان ، وتفردونها ايضاً بالصنع
والأفعال والخلق والتدبير ، كما قلتم فيما كان منها من الافعال حين عمدته يحيى
بما تقدم ذكره ، وتقولون ان النازل من السماء حتى صار في بطن المرأة وصار
هو وابنها بالاتحاد الذي فعله إلهاً واحداً ومسيحاً واحداً ، وانه هو الذي
اظهر الآيات في الارض ، وهو المقتول المصلوب ، وهو الذي احيا نفسه بعد
الموت ، وصعد الى السماء ، وجلس عن يمين ابيه . فهذه الافعال كلها الابن فعلها
لا الأب .

(١) في الاصل : واحد

فإن قالوا : كل فعل من هذه الافعال قد فعله الآلهة الثلاثة .

قيل لهم : هذا خلاف النصرانية وهو بيّنٌ فيما قدمنا وذكرنا عنهم ؛ وايضاً فإن فعلاً واحداً لا يصح ان يفعله اكثر من حي واحد ، ومقدوراً واحداً لا يصح ان يقدر عليه اكثر من قادر واحد ، وهو مبينٌ في كتب العلماء ، والنصارى لا تفهم ذلك ولا تحوجك إليه .

واعلم ان النصارى تعتقد ان الأب قد اختلع من ملكه كله وجعله لابنه ، فهو يخلق ويرزق ويحيي ويميت ، وقد سمعنا هذا ممن يحتج لهم ويخبر عنهم ، وهو ايضاً بين في تسيحة / ايمانهم . ألا تسمعهم يقولون : ونؤمن بالرب الواحد يسوع المسيح ، ابن الله بكر ابيه ، وليس بمصنوع ، إله حق من إله حق من جوهر ابيه ، الذي بيده اتقنت العوالم وخلق كل شيء ، الى قولهم : وهو مستعد للمجيء تارة اخرى للقضاء بين الاموات والاحياء . ويقولون في عباداتهم وصلواتهم ومناجاتهم : انت ايها المسيح يسوع تحيينا ، وترزقنا ، وتخلق اولادنا ، وتقيم اجسادنا ، الى غير ذلك مما هذا سبيله ويطول ذكره ، فبيناهم يفردون كل واحد منها بفعل ، وبيناهم يقولون : ان الامر كله قد رجع الى الابن وكله شرك .

فان قيل : فما الذي عندكم عن المسيح مما يخالف هذا وما حكيتموه عن النصارى ؟

قلنا : أما في الاصول فانه قال لهم : الله ربي وربكم ، وإلهي وإلهكم ، فيشهد على نفسه انه عبد الله مربوب مدبر مصنوع ، كما شهد عليهم انهم كذلك ، وانه مثلهم في العبودية والضعف والحاجة ، وذكر انه رسول الله الى خلقه ، وان الله ارسله كما ارسل الانبياء قبله .

فذكر يوحنا في انجيله ان يسوع المسيح قال في دعائه : ان الحياة الدائمة انما تجب للناس بان يشهدوا انك انت الله الواحد الحق ، وانك ارسلت يسوع المسيح ^(١) ، فانظر كيف يخلص التوحيد ويدعى النبوة . وذكر يوحنا انه قال لبني اسرائيل : تريدون قتلي وانا رجل قلت لكم الحق الذي سمعت الله يقوله ^(٢) . وذكر ايضا انه قال : اني لم اجيء لأعمل بمشيئة نفسي ولكن بمشيئة من ارسلني ^(٣) .

وقال عليه السلام : إن الكلام الذي تسمعونه مني ليس هو لي ولكن من الذي أرسلني والويل لي إن قلت شيئاً من تلقاء نفسي ^(٤) . وكان عليه السلام يواصل العبادة في الصلاة والصوم ويتنفل ويقول : ما جئت / لأخدم وإنما جئت لأخدم ، وقال : إني انا لست ادين العباد ولا احاسبهم بأعمالهم ولكن الذي أرسلني هو الذي يلي ذلك منهم ^(٥) . هذا في انجيل يوحنا .

وفيه ايضا ان المسيح قال : انهم يا رب قد علموا انك أرسلتني وقد ذكرت لهم اسمك ^(٦) ، وقال المسيح : ان الله الواحد رب كل شيء أرسل ابن

(١) انظر انجيل يوحنا الاصحاح ١٢ فقرة ٤٤ وما بعدها ، والاصحاح ١٧ فقرة ٢ : « وهذه هي الحياة الابدية ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي ارسلته » . وفي الاصحاح ٣ ، ٣٦ : « الذي يؤمن بالابن له حياة ابدية » .

(٢) انجيل يوحنا الاصحاح ١٨ فقرة ٣٧

(٣) المرجع السابق .

(٤) انجيل يوحنا الاصحاح ١٤ فقرة ٢٤

(٥) انجيل يوحنا الاصحاح ١٣ فقرة ٤٧ و ٤٨

(٦) انجيل يوحنا الاصحاح ١٧ فقرة ٢٥ وما بعدها

البشر الى جميع العالم لينقلوا الى الحق (١) . وقال ايضاً : ان الاعمال التي
أعملن من الشهادات لي بأن الله أرسلني الى هذا العالم . وقال ايضاً : ما
أبعدني ان احدث شيئاً من قبل نفسي ، ولكنني اتكلم واجيب بما علمني ربي .
وقال ايضاً : ان الله مسحني وارسلني وانما اعبد الله الواحد ليوم الخلاص .
وسألوه عن الساعة متى هي فقال أنا لا اعلم متى ذلك ولا احد من البشر ، ولا
يعلم ذلك إلا الله وحده . وقال : ان الله عز وجل ما أكل ولا يأكل ، وما
شرب ولا يشرب ، ولم ينام ولا ينام ، وما ولد ولا يلد ولا يولد ، ولا رآه
احد ، ولا يراه احد الامات . وقال له رجل : يا ايها الخبير علمني ، فقال
له المسيح : لا تقبل لي هذا ، فانه لا خير الا الله . وقال له رجل : مر أخي
يقاسمني تركة ابي ، فقال : ومن جعلني عليكم قاسماً . وقال في دعائه لما سأل
ربه ان يجيبي الرجل الميت الذي يقال له إيلازر ، يا إيل (٢) : أنا اشكرك
واحمدك ، انك تجيب دعائي في هذا الوقت وفي كل وقت ، فأسألك ان تجيبي
هذا الميت ليعلم بنو اسرائيل انك ارسلتني وانك تجيب دعائي (٣) . وقال
في دعائه وقد خاف الموت ولم يزل / يواصل الصلاة والتضرع والدعاء والبكاء ،
يا إيل : ان كان من مسرتك ان تصرف هذه الكأس المرأة عن احد فاصرفها

ب / ٥٣

(١) ورد حول هذا المعنى في انجيل يوحنا عدد من العبارات منها : « انا لا اقدر ان افعل من
نفسي شيئاً ، كما اسمع أومن ، ودينونتي عادلة لأنني لا اطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي ارسلني » .
يوحنا ، الاصحاح ٥ / ٣٠ . ومنها : « لأن الاعمال التي اعطاني الآب لأكملها ، هذه الاعمال
بمعينتها التي اعلمها هي تشهد لي ان الآب قد ارسلني ، والآب نفسه الذي ارسلني يشهد لي . يوحنا
٣٦ ، ٣٧ .

(٢) إيل لفظة آرامية تعني البطل ، ثم اصبح يعني بها بطل الابطال ، ثم اصبحت تطلق
بمعنى الله .

(٣) انظر تفصيل ذلك في انجيل متى ، الاصحاح ٨ ، وانجيل يوحنا ، الاصحاح ٤

عني ، وليس كما أريد انا بل كما تريد انت . وكان يرمي من فمه كعلق الدم
جزعاً من الموت ، ويعرق ويقلق (١) . وكان اذا ذكر البعث والقيامة
والحساب يكون منه البكاء والقلق والحزاع ما لا يكون من احد ، ويكون
من صلاته وصيامه وعبادته وخشوعه ما لا يكون من احد من زمانه .
ومثل هذا من أقواله وافعاله اكثر من ان يحصى ، وهو معهم وفي أناجيلهم ،
حق لقد احصى اهل المعرفة والعلم ، فوجدوا المسيح عليه السلام له من
الاقرار على نفسه بالعبودية والضعف والحاجة والفقر والفاقة ، والله عز وجل
بالغنى والربوبية ، ما لم يكادوا يجدونه لأحد من الانبياء والصالحين ، ثم تقول
فيه النصرارى ما قد سمعت .

فإن قالوا : فقد حكى متى عنه في انجيله انه قال لتلاميذه : سيروا في
الارض وعمدوا العباد باسم الآب والابن [و] (٢) روح القدس . وحكوا عنه
انه قال : انا كنت قبل ابراهيم ، وما اشبه ذلك .

قيل له : ليس المسيح اول من كذب عليه وانتم تعلمون ان مانيّ القس
يدعي التحقيق بالمسيح ، وانه من اتباعه ، وانه ليس احدٌ على شريعته
ووصاياها الا هو واتباعه ، وان الانجيل الذي معه هو انجيله . وهو يذكر
هنا انه كان يحرم على الناس كلهم وعلى نفسه النساء وذبائح الحيوان واكل
اللحمان ، وان هذا ما حلّ قط ولا يحلّ ، ويلعن كل من احلّه . وانه كان
قبراً / من ابراهيم وموسى وهرون ويوشع وداود ، ومن كان يرى ذبح الحيوان
وأذيته واكل اللحمان وغير ذلك . ويستشهد على ذلك بمواضع من الاناجيل

١ / ٥٤

(١) انظر تفصيل ذلك في انجيل متى ، الاصحاح ٢٧ ، وانجيل لوقا ، الاصحاح ٢٣ ، وانجيل
يوحنا ، الاصحاح ١٩ ، وانجيل مرقس ، الاصحاح ١٥ .
(٢) الوار إضافة على الاصل يقتضيها السياق .

التي معكم ، وعندكم انه قد كذب على المسيح وافترى واخطأ فيما تأول ، وان
توكية المسيح لهؤلاء الانبياء امر ظاهر لا ينصرف عنه التأويل .

قلنا : فهذه سبيلكم في دعاويكم على المسيح وانتم في هذا اشد فضيحة من
المنانية ، لأن تصديقي المسيح للأنبياء وشهادته بما شهدوا به من توحيد الله
وإفراده بالقدم والربوبية والحكمة أبين من كل بيتن وأوضح من كل واضح .
والعقلاء يردون المجهول بالمعلوم ، وما التيس بما اتضح ، وما يحتمل بما لا
يحتمل . وقد بلغ الجهل بالنصارى في بدعهم هذه أنهم يقصدون الى ألفاظ في
التوراة وفي كتب الانبياء متحملة ، يحملونها على ظنونهم السيئة وبدعهم
هذه الفاحشة ، فيقولون : انما اراد ابراهيم وموسى وهارون وسائر الانبياء
وهو ما أردناه من ان الله ثالث ثلاثة ، وأن الأرباب جماعة ، وأن الله يصعد
وينزل ويولد ويقتل . فيقصدون الى ما في التوراة من أن الله قال نريد ابن
نخلق بشراً على صورتنا ومثلنا ^(١) . فيقولون : هذا خطاب من جماعة ، أما
تسمعونه يقول : نريد ، ولم يقل : أريد ان أخلق بشراً مثلي ، لتعلموا أن الآلهة
جماعة ، وأنهم على صور وهيئات كهيئات الناس ، وما أشبه هذا من الألفاظ
المحملة .

حتى تمدوا الى القرآن فقالوا : « إننا أنزلناه في ليلة القدر » ، قالوا :
فهذا خطاب من جماعة لا من واحد . وقالوا في قوله عز وجل « فلا أقسم
بربّ المشارق والمغرب » ^(٢) قالوا فهذا أحد الآلهة والأرباب يقسم بالأرباب .

(١) جاء في التوراة في سفر التكوين، الاصحاح الاول : « وقال الله لعمل الانسان على صورتنا
كشبهنا » .

(٢) المارج ٤٠

وقالوا في قوله عز وجل : « ووالد وما ولد » / (١) قالوا : فإنما الإله يقسم بنفسه وولده . فيقولون : محمد قد جاء بالنصرانية وبمذهبنا ، ولكن اصحابه لم يفهموا عنه . ويقولون في قوله عز وجل : « إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه » (٢) .

قالوا فهذا الذي نقوله نحن : أنه من جوهر أبيه ، ولا نزيد بقولنا منه أنه بعضه ولكنه من جنسه ومثله . فيصدقون الى أقوام كإبراهيم والأنبياء صلوات الله عليهم وأمثالهم قد عُرفت مذاهبهم ومقاصدهم فينصرفون عنها بالتأويلات ومحتمل الألفاظ . ومذاهبهم قد تحصلت حصلا لا يحتمل التأويل ، لأن العلم بأن المسيح كان في توحيده على منهج ابراهيم وموسى وهارون وداود ومحمد صلى الله عليهم لا يرتاب به من عرف أخبارهم وسيرهم ودعوتهم قبل العلم بنبوتهم . فاعرف هذا فانه اصل كبير يعرفه من تأمل وأراد التبيين وقد اعتقل في مثله خلق كثير من العقلاء .

ثم هناك من الكذب على الانبياء فضلا من التأويل لما في كتبهم ، كقولهم ان الانبياء قالوا قبل مجيء المسيح : ان الله سيجيء وتحبل به امرأة عذراء ، ويؤخذ ويصلب ويقتل ويموت ويدفن . هذا مما هو اكثر من ان يحصى .

ويقال للنصارى لا فرق بين من ادعى على المسيح انه ادعى الربوبية وأن الله ولده وأنه ابنه على ما تعتقدون وتدعون ، وبين من ادعى انه هو وضع تسبيحة الايمان وتسبيحة القربان ، وأنه اتخذ البيعة ، وجعل عيده يوم الاحد ، وأخذ الناس في زمانه بأن يقولوا : يسوع المسيح إله حق من إله حق من جوهر ابيه ، وأنه كان يأخذهم بأن يقسموا بعبد يسوع وعبد المسيح ، وأنه

(١) البلد ٣

(٢) النساء ١٧١

أحلّ الخنزير وأكله ، وصلى الى المشرق ، وعطّل الختان / والوضوء والطهارة وغسل الجنابة ، وأخذ اصحابه بصيام الخمسين ، وشرع ذلك ودعا اليه ، ومن بلغ هذا فقد تنهى في المكابرة والمجاهدة ، اللهم إلا ان لا يكون يعرف اخبار المسيح والنصارى في زمانه ، والنصارى بعد موته ومضيه ، ولا عُني بذلك . فسبيل من ادعى عليه ما يدعى عليه هذه النصارى وما تحكيه عنه وتتأوله عليه ، كسبيل من ادعى عليه الامور التي قدمنا ذكرها .

وفي النصارى قوم استبصروا وأسلموا وتبعوا الموضع والألفاظ التي تدعيها النصارى على المسيح ، وقالوا لهم : ما نعلم المسيح قال ذلك ، ولو قاله لما ضاق مجازه وتأويله ، كقولهم انه قال : ابن البشر رب السبت ، وأني قبل ابراهيم وأنتى بأبي وأبى بي ، وما اشبه ذلك . فقالوا لهم : في التوراة ان موسى إله فرعون وإله هرون ، وأن هرون رسول موسى الى فرعون ، وأن يوسف قال للمصريين : ان العزيز ربهم . وذكروا لهم عن ابراهيم ولوط وداود وسليمان وعن غيرهم من الانبياء شيئاً كثيراً ، ولا حاجة بك الى ذكره ومعرفة ، ولو عرفته لم يكن به بأس ، ولكن ارجع ابدأ الى اصل الدعوة والنحلة ، والمعروف من قول النبي ، ورد المجهول بالمعلوم ، وقد استغنيت عن التأويل كما تقدم لك .

ومثل هذا ما يدعيه المنجمون على على رسول الله ﷺ انه كان يذهب الى ما يذهبون ، لأنه قال في كتابه : « فنظرَ نظرةً في النجوم فقال : اني سقيم ^(١) » ، وأنه قال : « في يوم نحسٍ مستمر ^(٢) » ، و « في ايام نحسات ^(٣) » ،

(١) الصافات ٨٨

(٢) القمر ١٩

(٣) فصلت ١٦

وغير ذلك . فقال لهم اهل العلم : قبل كل شيء قد عرفنا من / دعوة هذا الرجل وقصده قبل المعرفة بنبوته أن ما يكون في غد لا يعلمه ملك معرّب ولا نبي مرسل ، ولا يعلمه إلا الواحد المنفرد بالقدم ، فلا وجه للتعليق عليه بظواهر الألفاظ والتأويل ، هذا لا يفعله عاقل ولا يذهب الفلظ فيه على محصل ، وإنما يخادع بهذا اهل الغفلة .

وكذا قالوا الباطنية ومن سلك سبيلهم : في ان باطن الصلوات أشخاص وكذا العبادات ، وان لكل ظاهر باطناً ، غير ما عليه الفقهاء والعامّة . فقالوا لهم : ادّعيتم أنكم من المسلمين وقد علمنا من دعوة هذا النبي ﷺ قبل العلم بنبوته ان ما حرّمه من الزنى واللواط والربا والخمر والخنزير والامهات والبنات والأخوات وغير ذلك محرم على كل عاقل بلغته دعوته كائناً من كان ، وانه على ما عليه الفقهاء والعامّة ، وانه لا تأويل لذلك ولا باطن ، وأن جميع ما اوجبه من الطهارات والصلوات والصيام والعبادات لا تسقط عن عاقل كائناً من كان على ما عليه الفقهاء والعامّة لا تأويل لذلك ولا باطن ، وان من قال : لهذه الأشياء باطن او تأويل ، فقد كفر وأشرك وخرج من الاسلام خروجاً ظاهراً .

ولا حاجة بنا الى ان نبين لكم تأويل الآيات التي سألت عنها ، فقد علمنا من قصده ﷺ ان مراده في ذلك غير مرادكم ، وقصده غير قصدكم . مثل هذا قالوا لمن قال من هشام بن الحكم ^(١) واتباعه حين قالوا : إن الله لا يعلم ما يكون قبل ان يكون ، لأنه قال : « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم

(١) هشام بن الحكم (١٩٠ هـ) كان شيخ الامامية في عصره ، ولد بالكوفة وسكن بغداد وانقطع الى يحيى بن خالد البرمكي . له مؤلفات كثيرة . انظر : منهج المقال ٣٥٩ ، لسان الميزان ٦ : ١٩٤ .

والصابرين^(١) ، وأنه / يفعل الجور والظلم . ولمن قالوا : يأمر بالفسق لقوله :

« أمرنا مترفياً ففسقوا فيها »^(٢) ، فاعرف هذا فإنه اصل كبير .

ثم رجعنا الى قولنا في النصارى .

فان قيل : كل هذا [الذي]^(٣) حكيتموه عن المسيح موجود في الكتب التي مع النصارى ، فكيف جعلتم ما حكاه نبيكم عن المسيح وعنهم من معجزاته وآياته ؟ قلنا : قد فرغنا من هذا غير مرة وبيئنا ان هذا النبي ﷺ ما قرأ الكتب ولا قرئت عليه ، ولا اختلف الى اهلها ولا اختلفوا اليه ، ولا عرف ذلك إلا بوحي ، وان كان موجود في كتبهم . كما انه لم يعرف قصة نوح و ابراهيم ويوسف وموسى وهرون إلا بالوحي ، وان كانت مذكورة في كتبهم .

فإن قيل : لعمري إن من عرف دعوة المسيح يعلم ان دعوته الى توحيد الله كدعوة موسى وهرون ومحمد وأمثالهم من الأنبياء صلوات الله عليهم اجمعين ، وأنه بريء من دعوة هذه الطوائف من النصارى كبراءته عن دعوة المنانية ، وكبراءة محمد وموسى وهرون من ذلك اجمع . ولكن قد جاء عنه انه كان يقول في الله [أنه]^(٤) ابوه ، فيقول : ارسلني ابي ، وقال لي ابي ، ومثل هذا كثير ، فما عندكم فيه ؟

قيل له : إن كان قد قال هذا فلا حجة للنصارى فيه ، لأنهم قد قالوا إنه قال لنا : أنا أذهب الى ابي وأبيكم ، وربى وربكم فلم يجعل لنفسه مزية عليهم ، فإن وجب ان يكون هذا القول إلهاً ورباً ومعبوداً ، وجب ان

(١) محمد ٣١

(٢) الاسراء ١٦

(٣ و ٤) إضافة على الاصل يقتضيها السياق .

يكونوا هم كذلك ، وقد قال بعض الناس : إن / الابن في اللغة العبرانية التي هي لغة المسيح تقع على العبد الصالح المطيع الولي المخلص ، وان الأب قد تقع على السيد المالك المدبر ؟ قالوا : وقد قال في التوراة : إن اسرائيل ابني وبكري وأولاده ابنائي ؛ وعلى دعوى النصارى تجب لهم الإلهية وقد قال ايشعيا النبي عليه السلام في كتابه : إن الله ابو جميع العالم ، وانتم معشر النصارى تذكرون ان متى حكى في انجيله عن المسيح انه قال : طوبى لكم معشر المصلحين بين الناس فإنكم تسمون ابناء الله . وقال متى في انجيله : ان المسيح قال للناس : ان اباكم السماوي واحد فرد . وقالوا : ان المسيح كان يقول في صلاته التي كان يصلحها ويعلمها الناس : قولوا يا ابانا الذي في السماء انت قدوس اسمك ، عزيز سلطانك ، نافذ امرك في السموات والأرض ، لا يمجذك ما طلبت ، ولا يمتنع منك ما أردت ، فاغفر لنا ذنوبنا وخطايانا ولا تعذبنا بالنار ^(١) . فينبغي على قول النصارى ان تكون هؤلاء كلها آلهة وأرباباً ، لتعلم ان اسم الأب يقع في تلك اللغة على السيد والمالك .

وقال المسيح لبني اسرائيل : لو كنتم ابناء ابراهيم لأجبتوني فاني ابن ابراهيم . وقد علمنا ان بني اسرائيل كلهم اولاد ابراهيم ، وإنما اراد انكم لو كنتم اولياء ابراهيم .

وايضاً فان النصارى تذكر عن بولص انه ذكر في الرسالة فقال بأن الروح نفسها تشهد لأرواحنا انا ابناء الله . وهم يقولون في الاشرار : انهم / ابناء الشياطين ومثل هذا كثير في لغتهم ، واستعمالهم في الابن بمعنى الولي المخلص ، وفي الأب بمعنى السيد المالك الرفيع ، ولهذا تقول النصارى في الجاثليق ابونا ،

(١) انظر نص الصلاة في انجيل متى ، الاصحاح ٦ ، الفقرات من ٩ - ١٤ .

فهذا كله في استعمالهم . ولكنهم لما اعتقدوا في الله عز وجل انه رجل وانسان وشخص وما هذه سيبله لم يرضوا (١) ان يجعلوا له ابناء إلا بالحقيقة من طريق الولادة (٢) والتناسل كما تقدم بيان ذلك لك . وهم يقولون : ان الله الأب قال لابنه يسوع المسيح اني ولدتك قبل ان اخلق كوكب الصبح . وليس في هذه الطوائف الثلاث من النصارى من يقول : إن المسيح ابن الله على طريق التثريف والحجاز ، بل هو إله تام من إله بام ، والله حق من الـ حق ، من جوهر ابيه . فاعرف هذا .

بَابُ آخِر

من هذا الجنس ، وهو ان هذه النصارى واليهود جميعاً يدعون فيلاطس الرومي ملك الروم اخذ المسيح يتظلم اليهود منه وسلمه اليهم ، فحملوه على حمار وجعلوا وجهه الى عجز الحمار وجعلوا على رأسه اكليل شوك ، وطوفوا به تنكيلاً . وانهم كانوا يقفدونه (٣) من ورائه ويأتونه من تلقاء وجهه فيقولون له : يا ملك بني اسرائيل من صنع هذا بك ؟ سخرية منه (٤) . وانه لما قاله من الكدّ والشقاء عطش واستجدى وقال لهم : اسقوني ماء ، فأخذوا الشجر المر واعتصروه وجعلوا الخل في ذلك العصير وأعطوه ، فأخذه / وهو

(١) عبارة لم يرضوا مكررة في الاصل .

(٢) في الاصل : الولاد .

(٣) قفده : صفعه على قفاه بباطن كفه . انظر القاموس المحيط .

(٤) جاء في انجيل متى ، الاصحاح ٢٧ : «فأخذ عسكري الوالي يسوع الى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة وفروه وألبسوه رداء قرمزيًا وصنعوا اكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه وقصبته في يمينه وكانوا يمشون قدامه ويستهزئون به قائلين : السلام يا ملك اليهود وبصقوا عليه وأخذوا القصبه وضربوه على رأسه .» وانظر ما يماثل هذا الصدد في انجيل مرقس الاصحاح ١٥ وانجيل يوحنا الاصحاح ١٩ .

يظنه ماء فغيب فيه فلما وجد مرارته حجه فسمطوه به وعذبوه يومه وليلته^(١). فلما كان من الغد وهو يوم الجمعة الذي يسمونه جمعة جشا سألوا فيلاطس ضربه بالسوط فضربه ، ثم اخذوه وصلبوه وطعنوه بالرمح وما زال يصيح وهو مصلوب على خشبة يا إلهي لم خذلتني يا إلهي لم تركتني ، الى ان مات ونزلوا به ودفنوه^(٢) . وادعى اليهود والنصارى العلم بذلك والمعينة والمساعدة ، وانهم قد تلقوا ذلك الجمهور^(٣) عن الجمهور ، والامم عن الامم ، وصار النصارى خاصة يسخرون من المسلمين اذا قالوا ما كان هذا من شيء ، ويقولون : أي فائدة لصاحبكم في مكابرة الأمم الجمعة على ذلك ، وقد سبقوه وكانوا قبله ، وهم اهل هذا الرجل واصحابه ، وبينهم ولد ، ومعهم نشأ ، وقد أجمع على ذلك عدوه من اليهود ووليه من النصارى ، فأنكر نبيكم . وهل هذا إلا كما قيل : رضي الحصان وأبى القاضي . فنظر اهل العلم في قوله ﷺ ، فاذا هو قد اخبر انهم قد قالوا ذلك وهم لا يعلمونه ، وما معهم علم به ولكنه ظن يظنونه ، فاذا الامر كما قال وكما اخبر ، والعلم بأن الاعتقاد هو علم او جهل او ظن لا يعلمه إلا من قد صحب المتكلمين والنظارين وانقطع الى صنعة الكلام ومهر فيها وكده ، وهذا رجل متكلف ، فيعلم انه ما علم هذا إلا بالوحي من قبل الله وهذا من آياته العجيبة .

(١) جاء في انجيل يوحنا الاصحاح ١٩ : « فلكي يتم الكتاب قال : انا عطشان ، وكان اياه مملوءاً خلا فجاءوا بسفنجة من الخلل ووضعوها على زورفا وقدموها الى فمه » .

(٢) جاء في انجيل متى ، الاصحاح ٢٧ : « نحو التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً : ايلي ايلي لما شبقتني ، اي إلهي إلهي لماذا تركتني » . وفي انجيل مرقس الاصحاح ١٥ : « صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً : الربي الربي لما شبقتني ، الذي تفسيره إلهي إلهي لماذا تركتني » .

(٣) في الاصل : عن الجمهور

وتأمل الى إقدامه / على أمتين عظيمتين من اهل التحصيل والعقل ، قد
أجمعوا على امر وسبقوه في الزمان ، وهو اشد الناس حرصاً على تآلفهم
وإجابتهم واستألتهم ، فأكذبهم وردم ، ولو كان متقولاً لتهدب ولم يقدم على
ذلك خوفاً من ان يكون الامر كما قالوا وكما ادعوا فيبين كذبه ويرجم عنه
من قد تبعه ، لأن الانبياء يجوز ان يقتلوا ويصلبوا ، بل قد قتل قوم منهم .
وأيضاً ، فليس في قتل المسيح طعن عليه ولا قدح في امره ، وما به حاجة
الى مخالفتهم في ذلك ، بل قد كان ينبغي ان يكون الى تصديقهم في ذلك
أحوج ، ليكون تشنيمه على النصارى اقوى ، لأنهم قد اعتقدوا فيه انه إله
ورب وقد رأوه أسيراً مقهوراً في يد عدوه ومصلوباً ومقتولاً ، ويزيد شناعته
على اليهود لأنهم قد قتلوا نبياً آخر مضافاً الى غيره من الانبياء الذين قد قتلهم
قبل المسيح . فتجنب عليه السلام هذا كله مع الحاجة اليه ، وقال : قد ادعوا أنهم
قد علموا ذلك وليسوا به عالمين ولا متفقين ، وما معهم فيه الا الظن فقال :
« وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله . وما قتلوه وما صلبوه
ولكن شبه له . وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم
إلا اتباع الظن » . وما قتلوه يقيناً ، (١) أي ليس ثم يقين ولا سكون نفس ،
تقول العرب في الخبر المتيقن قتلته علماً وقتلته يقيناً . ثم قال : « بل رَفَعَهُ
الله إليه ، أي صانه وعظمه ان تناله يد عدوه بالقتل والصلب ، لأن الظن
قد يصدق تارة ، وقد تجتمع الجماعة الكبيرة فتصدق الخبر الواحد من طريق
حسن الظن بخبره ، ويكون قد صدق فيما أخبر ، فيكونوا صادقين وإن لم
يعلموا صدقه ، وان ظنوا ان اعتقادهم لذلك علم . فانظر الى ذلك كيف بيته
من كل وجه .

(١) النساء ١٥٧

فإن قيل : ومن ابن لكم ان الجماعات من اسلافهم ما شاهدوا ذلك ولا عاينوه كما ادّعوا ؟ قيل له : من تأمل علم بمقله ان الامر كما قال ﷺ لا كما قالوا ، لأن تلك الجماعات لو قد كانت شاهدت ذلك وعلمته لكان من لقيهم وسمع منهم في مثل حالهم في العلم بذلك ، فكان يكون كل من لقي النصارى واليهود وسمع ذلك منهم عالماً بذلك ، فكنا نكون في مثل حالهم في العلم بذلك . ألا ترى أنا لما اخبرناهم بقتل حمزة وجعفر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم شاركونا في العلم بذلك وصارت حالهم في ذلك مثل حالنا ، فلما رجعنا الى انفسنا فلم نجدنا عالين مع مخالفتنا لهم وكثرة سماعنا منهم ، علمنا انهم ليسوا بذلك عالين ، وأن اعتقادهم لذلك ليس بعلم . فهذا الدليل علمنا صحة دعواه ﷺ وكذب دعواهم في انهم بذلك عالين .

وبهذا الاعتبار تعلم رحك الله بطلان دعوى من ادعى من اليهود ان موسى صلى الله عليه شافه اسلافه الذين كانوا معه وهم ستمائة ألف رجل شاب سوى / المشيخة والنساء بأن شريعته مؤيدة الى أن تقوم الساعة، وأنه لا يحل تغير شيء منها البتة وأن من ادعى خلاف ذلك فقد كذب وكفر . وادعت اليهود انهم بذلك عالون ، فقلنا : لو كنتم بذلك عالين ، وكان اعتقادكم لذلك علماً ، وقد حججكم من لقيتم من اسلافكم لكنتم حجة على اهل زمانكم ، وكان يعلم ذلك بقولكم وأخباركم كل من شرح ذلك منكم ، فلما كنا بذلك غير عالين فإن اعتقادكم لذلك ليس بعلم . ألا ترى أننا وكل من يسمع منكم يعلم ان موسى عليه السلام كان يدعى انه رسول الله ، وأن الله اصطفاه وأرسله ، وأنه صلى الله عليه كان يحرم الأمهات والبنات والأخوات والميتة والخنزير وذبائح الوثنيين ، الى غير ذلك مما حرمة ، وأنه كان يقيم السبت . فلو كان ما ادّعيتم من تأييد شريعته لكان علمنا به كعلمنا بما قدمنا ، بل

كان يكون اقوى من العلم بذلك ، فلما لم يكن كذلك علمنا وتيقنا ان موسى عليه السلام ما قال ذلك ولا دعا اليه ولا فرضه وأن الامر لم يجر المجرى الذي ادّعيتموه .

يزيدك وضوحاً لذلك ان رسول الله ﷺ لما عهد ان شريعته مزيدة علم ذلك كل من سمع الاخبار ممن صدقه او كذبه ، فلو كان الامر كما ادّعوا لعلمنا ذلك بأخبارهم كما علموا ذلك من شأن نبينا بإخبارنا ايهم وبساعهم ذلك منا .

ب / ٥٩

وهذا اصل كبير سبيلك ان تعنى به وتكبر مراعاتك له ، فيه تعلم / ايضاً بطلان دعاوى النصارى في ادّعائهم قيام المسيح من قبره ، وأنه عليه السلام أقام معهم بعد قيامه من قبره اربعين يوماً ثم صعد الى السماء وهم يرونه . وهم يؤكدون هذا الكذب بأن يجعلوا له عيداً في يوم بعينه .

وبمثل ذلك تعلم بطلان دعواهم ان الخشبة التي صلب عليها المسيح وضعت على ميت فاذا هو حيّ يسمي ، وأن هذا كان بببيت المقدس جهاراً في يوم شهدته النصارى واليهود والروم وأمم لم يحصها إلا الله لكثرتها . ولهذا نظائر من دعواهم .

وبه تعرف بطلان دعاوى الجوس لزرادشت المعجزات .

وبمثل هذا تعلم بطلان دعاوى الرافضة ان النبي ﷺ استخلف امير المؤمنين علياً على امته ، وفرض طاعته عليهم أجمعين من الأحرار والعمييد والرجال والنساء وجمله حجة عليهم . وادّعوا انهم قد علموا ذلك بإخبار جماعات اخبروهم بذلك ، وأن اعتقادهم بذلك علم . فقلنا : لو كنتم بذلك عالمين وكان اعتقادكم لذلك علماً ، لساويناكم في العلم بذلك لكثرة سماعنا

منكم والخوض معكم فيه ، فلما لم يكن كذلك ، علمنا وثيقنا ان ذلك امر
لا أصل له .

والعلم ببطلان دعاوى الرافضة في ذلك أقوى واظهر والادلة عليه أكثر ،
لقرب عهده وكثرة الخوض فيه ، ولأن الذي ادعى ذلك لم يكن يدعيه ولا
يذهب اليه ، ولأمور كثيرة . والأدلة على ذلك اكثر من الأدلة على / غيره .

٦٠ / أ

والرافضة تُسأل في ذلك عما تُسأل عنه اليهود والنصارى والمجوس في
الطمن على رسول الله ﷺ وفي نبوته . فيقولون لما اعتقدتم صدق محمد ونبوته
فقال لكم : ان المسيح لم يصلب وان موسى لم يقل ان شريعته مؤبدة وصار
إقراركم بذلك ناقضاً لقولكم ومفسداً لدينكم ، ومبطلاً لأصولكم [ذهبتم عنه ^(١)]
ولم تعترفوا به .

قيل لهم : قد عرفناكم انا انما عرفنا بطلان هذه الدعاوى بذلك الاستدلال
والاعتبار الذي قدمنا وشرحنا قبل العلم بنبوته ﷺ وقبل المصير الى قوله
وقول اصحابه ، حتى لو استدلت الملمحة كما استدلتنا لعلمت من ذلك ما
علمنا ، وحتى لو لم يبعثه الله تبارك وتعالى حتى يعتبر معتبر ويستدل مستدل
لعلم بطلان هذه الدعاوى كلها لأننا وجدنا أمماً امثالنا وفي زماننا يدعون اموراً
وعهوداً قد كانت في العصور الخالية التي قد سبقتنا ادعوا العلم بها ، فرجعنا
الى عقولنا واختبرنا فدلّت العقول على ان اعتقادهم لذلك ليس بعلم ، وان
خبرهم بذلك ليس بصدق ، وانه لم يكن هناك شيء مما ادعوه ينقل اليهم ،
وانما هم قوم شبه لهم فاعتقدوا اموراً تورث عليهم فسموا اعتقادهم علماً
وخبيرهم نقلاً .

(١) الكلمتان مكررتان في الاصل

وايضاً ، فلو كنا انما نعترف بذلك خوف الفضيحة في بطلان ديننا فقد
كان ينبغي ان نكون بذلك عالمين وان لم نعترف ، كما يعلم اللص انه سرق
وان لم يعترف خوف الفضيحة / .

٦٠ / ب

وايضاً فان كان الناس قد علموا أننا قد علمنا فوجدنا وكابرنا فقد تعجلنا
الفضيحة وعلم الناس جميعاً بهتنا ومكابرتنا فما سلمنا من الفضيحة المعجزة ،
وهذا لا يذهب فسادة على عاقل نظر وتدبر .

فان قالوا : فأنتم بذلك عالمون وان لم تعترفوا ، قيل لهم : إنا إذا رجعنا
الى انفسنا علمنا كذبكم على ضمائرنا ، وكفى بذلك علماً لنا بكذبكم علينا
وبهتكم لنا ، فانا لا نعم ذلك بل لا نعتقده ، فضلاً ان نعلمه . بل نعتقد
ونعلم بطلان ذلك ، كما نعلم ان للعالم صانعاً وانه واحد وان محمداً ﷺ رسوله
الى خلقه .

وايضاً ، فان الجماعات الكبيرة لا تجوز ان تكتم ما قد رأته وسمعتة
وان ضرها ذلك وان ساءها ، كما لم تجوز ان تفتعل ما لم يكن فتقول : قد
كان ورأينا وسمعنا وان كان ما رأته ولا سمعت وان سرها ذلك ونفمها ،
وهذا في الكتان اقوى واظهر وابين ، لأن الكتان اثقل ، والصبر عليه اشد ،
والحفظ له اصعب ، والناس الى القول اسرع ، وهم عليه اخف ، ولهم فيه
فرح واسترواح ، وعلتهم في الكتان كالكرب والألم ، فيستروحون باذاعته
وينفرون بالقائه ، حتى انهم ليتحدثون بما فيه زوال نعمهم وسفك دمائهم ،
وحق لقد ادعينا (١) ان ينكتم ما بين السلطان ووزيره وامثال ذلك ممن
يجوز عليهم الكتان ، فان الكتان قد يجوز على الواحد والاثنين والنفر

(١) كلمة مطموسة بالمداد ، والقراءة اجتهادية

اليسير . وكذا الافتعال وان كان الافتعال امكن من الكتمان . ولهذا / يتواصى
 العقلاء بالصمت والكتمان ما لا يتواصون بالقول ، ويحذرون منه ما لا يحذرون
 من القول ، حتى ان الصمت والكتمان لا يجوز إلا في عقلاء الرجال وفي افراد
 الناس ، وهو فيهم أقل من القليل .

فاعرف هذا فان هؤلاء الملحدة كأبي عيسى الوراق ، والحداد ، وابن
 الراوندي ، لما لم يحذوا في رسوله الله مطعنا ادعوا انه قد كانت له فضائح
 واكاذيب وحيل وقف عليها اصحابه واهله وكتبوا ذلك لحبيهم له ولثلاث
 يفتضحوا باتباع كذاب . وانما يجوز ان ينكتم ما يكون بين اثنين من النفر
 اليسير مدة ما ثم يظهر ، فأما ما يكون بين الجماعة فانه لا ينكتم ، ولا
 يطمع العاقل في كتمانه ولا يحدث نفسه به وان ضره وان ساءه . ألا ترى ان
 النبي ﷺ ، جاء باكفار اليهود والنصارى والمجوس ، وبالبراءة منهم ، وسفك
 دماهم ، وسي ذريتهم ، واستباحة اموالهم ، وبأخذ الجزية من اهل عهدهم ،
 الى غير ذلك مما شرعه من مكارهمهم ، وكل ذلك قد ضرهم وساءهم وذهب
 برئاستهم واسقط من اقدارهم ، وقد ودوا أن ذلك لم يكن قط ، وان الله
 قد رفعه من قلوبهم ومن قلوب الخلق اجمعين ، وهذا علموه حين نطق به النبي
 ﷺ وقاله وشرعه وهو وحيد ضعيف فقير ، وهم قد نقلوا ذلك وأذاعوه
 ونشروه وتحدثوا به مع ما عليهم فيه ، والدولة والعزّة والغلبة إذ ذاك
 لهم لا له .

وهذا حال امير المؤمنين مع معاوية وبني امية فإنهم قد كرهوا عقد أهل

٦١ / ب المدينة له بعد عثمان ، وكرهوا ما دعا إليه من تضليلهم ، وما / فرضه من مجاهدتهم وقتلهم وما بيّنه من نقضهم وتسفيهم ، وودّوا ان ذلك لم يكن ، وما طمعوا في كتمان شيء من ذلك ولا فيما كان له من الفضائل ، وانه صلى الله عليه من البدرين والسابقين ، ومن الفقهاء والزهاد والاولياء ، ومن المشرة ومن اهل الشجرة ومن اهل الشورى ، وقد ساءم كل هذا فيما أمكنهم مع الملك والدولة ان يدفعوه عن شيء منه مع محبتهم لدفعه عنهم ومع كراحتهم لكونه ، ولا ان يدخلوا معاوية وهو سيدهم ورئيسهم في المهاجرين ولا في الانصار ، وقد ودوا ان ذلك قد كان ، ولا امكنهم ان يخرجوه من ان يكون من الطلقاء وأبناء الطلقاء .

وانظر الى الشعراء الذين هجوا رسول الله ﷺ من قريش ومن غيرهم ، ومن الكتب التي وضعها الملحدة وطبقات الزنادقة ، كالحداد ، وأبي عيسى الوراق ، وابن الراوندي ، والحصري ، وآمالهم في الطمن في الربوبية وشم الانبياء صلوات الله عليهم وتكذيبهم ، فإنهم وضعوها في ايام بني العباس وفي وسط الاسلام وسلطانه والمسلمون اكثر مما كانوا اذ ذاك وأشد ما كانوا ولهم القهر والغلبة والعز ، والذين وضعوا هذه الكتب أذل ما كانوا ، وانما كان الواحد بعد الواحد من هؤلاء يضع كتابه خفياً وهو خائف يترقب ، ويخفي ذلك عن اهله وولده ، ولا يطلع عليه الا الواحد بعد الواحد بمن هو في مثل حاله في الخوف والذل والقهر ، ثم ينتشر ذلك في ادنى مدة ويظهر حق يباع في اسواق المسلمين ، ويعرفه خاصتهم وعامتهم ، ويتحدثون به ويتقولونه ويذكرونه وقد غمّهم ذلك وساءهم ، وودوا ان ذلك لم يكن . وكذا ما كان / بالبحرين من ابي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي (١) وولده ،

٦٢ / أ

(١) كبير القرامطة ومعلن مذهبهم ، كان دقاً من اهل جنابة بفارس ثم انتقل الى البحرين =

وما كان من ابي القاسم الحسن بن الفرح بن حوشب بن زاذان النجار الكوفي
يحيى لاعة وعدن لاعة من ارض اليمن ، وما كان من ابي الحسين محمد بن
الفضل ^(١) بجيشان والجند والمذيخرة من ارض اليمن ، وما كان لعبيد المتسمي
بعبيد الله المهدي ^(٢) بأرض المغرب ، وما كان بمن بعده من هذه الطوائف
فإنهم كلهم لما تمكنوا وقد كانوا في اول امرهم يتسترون بالتشيع ، فلما
ظهروا وصاروا في جماعات وعساكر أغاروا على من جاورهم وقرب منهم ،
فشتوا الانبياء واستنجموا بالمصاحف ، وسبوا المسلمات والعلويات ، وغزوا
مكة . وكان غزو مكة لقرامطة البحرين خاصة من ولد ابي سعيد ، وغدروا
بالحجاج بعد ان امنوم ، ولهم في قصد الاسلام ومكاره المسلمين ما هو معلوم
ومكتوب . وكل ذلك مما قد ضرّ المسلمين وكرهوه ، وودوا ان ذلك لم يكن ،
ثم هم يذكرون ذلك ويتقوتونه ويدونونه ، فتعلم ان الدول والممالك والقهر
والغلبة لا تغطّي على الامور التي قد كانت ووقعت ، وأن العقلاء لا يتحدثون
انفسهم بكتبان معايبهم التي قد كانت وتحصلت وعلم بها الناس مرة واحدة ،
ولا يتحدثون انفسهم بكتبان مناقب اعدائهم وإن ساءهم وغمهم .

= تاجراً ، وجعل يدعو الى نخلته ، ظفر على عدة جيوش للخلفاء العباسيين ثم صالحه المقتدر .
استولى على هجر والاحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين . قتله خادم له صقلي سنة ٣٠١ هـ .
مرآة الجنان ٢ : ٢٣٨ والاعلام ٢ : ١٩٩ .

(١) انظر كيفية اتصال احمد بن عبدالله القداح بمحمد بن الفضل هذا وتأثيره عليه وجلبه
لصفه في الكامل لابن الاثير حوادث سنة ٢٩٦ هـ .

(٢) هو عبيدالله بن محمد الملقب بالمهدي ، مؤسس دولة العلويين في المغرب وجدّ الفاطميين في
مصر ، في نسبه خلاف كثير . ولد بلسية ، وكانت دعاة ابيه قد مهدوا له الامر بالمغرب ،
بويسع بالقيروان سنة ٢٩٧ وتوفي سنة ٣٢٢ هـ . ابن الاثير الجزء الثامن حوادث سنة ٢٩٦
وما بعدها .

يزيدك علماً بذلك ان للفرس والروم والهند محاسن ومناقب لا يسترها
أعداؤهم من المسلمين ولا يكتُمونها وإن ساءت لهم ، وكذا ما للمسلمين والعرب
من المحاسن والمناقب لا يدفعها أعداؤهم من هذه الامم ، وللملوك بني امية
مساوية وهفوات كانت مذكورة متداولة في ايامهم وفي سلطانهم ، وكذا
الملوك / بني العباس ، وللملوك بني امية محاسن لا يدفعها اعداؤهم من ملوك بني
العباس .

ب / ٦٢

فاعرف هذا الباب وأطل فكرك فيه لتعرف غلط الملحدة ، وتعرف
بطلان دعاوى الشيع ان الصدر الاول من المسلمين غيروا النصوص والقرآن ،
فبدلوا ووضعوا ما لم يكن ، ونسبوه الى النبي ﷺ ، وأخذوا عنهم التابعون ،
وصار فيمن بعدهم من العلماء وطبقات المتكلمين والفقهاء فظنوه ديناً وليس
كذلك . وأن هذه الحيلة قد تمت على المعتزلة والفقهاء وعلى اصحاب الحديث
والمرجئة والخوارج ، وخفي عليهم موضع الحيلة في ذلك ، وأن سلطان ابي
بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم غطى ذلك ومنع من ذكره ، وأن عليّ
ابن ابي طالب رضي الله عنه لما ملك سلك سبيل الخلفاء وقبلة وما امكنه
إظهار تضليلهم الى ان خرج من الدنيا ، لأن اعوانه وجنده كانوا شيعة ابي
بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فلو أومى الى تضليلهم لقتلوه وأبادوه ،
فالحجة في بطلان دعاويهم هذه كالحجة على الملحدة وجميع اعداء رسول الله
ﷺ . على ان هذا الطعن على السلف انما وضعه لهم الملحدة الذين قدمنا
ذكرهم فلكلهم كتب في نصره دعاوى الرافضة على المهاجرين والانصار ،
وهم خدعهم ولقنومهم هذه المطاعن لفرط عداوتهم لرسول الله ﷺ ،
فتمت حيلتهم عليهم وهم لا يشعرون . على انهم لا ينفصلون عن مطاعن
الملحدة على رسول الله ﷺ ما أقاموا على بدعهم هذه ، والحجة عليهم اكثر

منها على كل مبتدع ، كما ان الحجبة على الشيع اكثر من هذا .

١ / ٦٣

ثم عدت الى اليهود والنصارى فيما ادعوه من الصلب وغيره مما [قدمنا] ^(١) /
فقيل لهم : إذا كان العلم بذلك قد شاع في الامم وعلمه العقلاء الذين سمعوا به
[لكان] ^(٢) محمد ﷺ ومن كان في زمانه من الامم [الذين] ^(٣) صدقوه
واعتقدوا نبوته قد علموا ذلك لا محالة فكيف ادعى ان ذلك لم يكن ، وهل
يفعل هذا عاقل كائناً من كان ، فكيف بماقل يدعى النبوة والصدق ويريد
من الامم كلها تصديقه واتباعه وهو اشد الناس حرصاً على اجابتهم . وكيف
اتبعتهم تلك الجماعات من قريش والأوس والخزرج واليهود والنصارى مع
كثرتهم في جزيرة العرب ، وهم يسمعونه يكذب ويبهت وهو يعلم انهم يعلمون
انه قد كذب في ذلك ، وهذا لا يكون مثله ولا يقع من العقلاء . ومن تدبر
الأمور يعلم جهل من ادعى علم اليهود والنصارى بما قدمنا بأدنى تأمل ، وكيف
لم يجر في هذا قولٌ معه فيقول له اعداؤه من قريش وغيرهم : ادعيت الصدق
والنبوة ثم كذبت الكذب الظاهر وبهت الأمم البهت المكسوف ، فقلت :
المسيح لم يقتل ولم يصلب ، وهذه الامم كلها تعلم ذلك علماً لا يرتاب به كما
تعلم ان موسى وعيسى كانا في الدنيا ، ومن كانت هذه سيبله لم يصدقه عاقل
ولم يكن له رئاسة ، وكيف لم يقولوا لمن اتبعه : يا هؤلاء ، اكفرتم آباءكم ،
وظلمتم اسلافكم ، وانفقتم اموالكم ، وعاديتم ملوك الارض وجبارتها وجميع
الامم ، وسفكتم دماءكم في طاعة كذاب قد عرفتم كذبه وبهته .

وقد قيل لبعض مجادلي اليهود ونظارهم من قد قرأ الكتب ، واكثر
الاختلاف الى العلماء وكتب كتبهم ، وادعى انه يتقدم على / علمائهم من اهل

٦٣ / ب

(١) و (٢) و (٣) زيادة مني يقتضيها السياق وإلا كانت العبارة ملتوية

عصره : أليس انما يعرف الاخبار من تأخر عن تقدم ؟ فقال : بلى ، قالوا له : أليس اليهود الذين كانوا مع محمد ﷺ وفي زمانه قد علموا ان موسى قد قال إن شريعته مؤبدة ؟ فقال بلى : فقيل له : فلم لم يقولوا الحمد انت قد زكيت موسى وصدقته ووثقته وهو قد قال ووصى بأن شريعته مؤبدة ؟ وفي هذا كفاية في كذبك وبطلان قولك ، وهذا امر ظاهر بين يستدركه وعن النساء فضلا عن عقلاء الرجال ، فأين كانوا عنه وقد خرجوا معه وفي عداوته الى شذائد الامور ، من شتمه وهجوه والغدر به ومساعدة قريش في محاربتة وبذل الاموال والمهج في مكارهه ؟ فقال : قد قالوا ذلك له وأقاموا الحجة به عليه ، فقيل له : من اين لك العلم بهذه الدعوى ؟ فقال : قد علمت ذلك ، فقيل له : فلم لم يعلمه خصومك كما علمته ؟ فقال : بحجته الاسماع ، فقيل له : ما تريد على الدعاوى : فإنك ادعيت ان ذلك قد كان ، فقيل لك من اين لك العلم به ولم لا علمه خصومك ؟ فادعيت ان الاسماع بحجته ، فانتقلت من الدعوى الى دعوى ، وقرنت الدعوى بدعوى ، ولا فرق بين دعواك هذه وبين دعوى من ادعى ان اليهود حين قالوا هذا اه احيا الله موسى وهرون وأظهر على ايديها الآيات والمعجزات فكاشفا محمداً وشافهاه وأقاما الحجة عليه بمشهد من اليهود ومن اصحابه ، وان ذلك قد كان وعلم ولكن بحجته الاسماع ، فما اتى بشيء .

٦٤ / أ

واعلم ان اقوى حجج اليهود هو دعواهم ان موسى نص على ذلك ووصى به وقد مر / لك الكلام عليه من غير وجهٍ فما يحتاج في الرد على اليهود اكثر منه .

فإن قيل : فأنتم قد طالبت هذه الطوائف التي ادعت هذه الدعاوى وادعت العلم بها، فقلتم لليهود والنصارى : لو كان علمكم بالصلب لهذا الشخص

قد حصل لكم بإخبار جماعات كثيرة شاهدت ذلك لعلمنا ذلك بخبركم وبسماعنا منكم كما علمتم بإخبارنا لكم قتل جعفر وحمة وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، وقلتم : لو نصّ موسى النص الذي تدعونهُ وكنتم قد علمتم ذلك بإخبار الجماعات لكم لعلمنا ذلك بخبركم كما علمتم بإخبارنا إياكم عن نبينا ان شريعته مؤبدة . وقلتم للامامية وطبقات الرافضة : لو كان النبي نص على ما تدعون ووصى امته بذلك وفرضه عليهم ، وكان اعتقادكم لذلك علماً حصل لكم من قبل الجماعات التي اخبرتكم بذلك ، لعلمنا ذلك بإخباركم إيانا وسماعنا منكم كما علمتم وعلمنا نص عمر على اهل الشورى ، وكما علمتم وعلمنا نص اهل المدينة على الامام علي رضي الله عنه بالخلافة بعد عثمان ، وكما علمتم وعلمنا نص ابي بكر على عمر ، ونصّ معاوية على يزيد ، ونص عبد الملك على الوليد ، ونص المنصور على المهدي ، فلم لا علم اليهود والنصارى والرافضة ان هذه الامور لم تكن كما علمتم .

قيل له : لو كانت ، لجاءت مجيء امثالها مما ذكرناه وتحصل العلم بها لنا كحصوله في تلك الأمور، وإنما يعلم ان ذلك لم يكن بما يستدل به كما استدللنا ، ومن لم يستدل جاز ان يعتقد ان ذلك قد كان وإن لم يكن لتركه النظر والاستدلال ، ويكون اعتقاده لذلك ليس بعلم وخبره ليس بصدق وإن ظنه علماً وصدقاً .

ولسنا ندعي على هذه الطوائف انها كلها / قد علمت وكأبرت ، وهذا يكون الاصل فيه ان يخبر به الواحد والاثنان او النفر القليل ، فيقولون : أخذنا هذا عن جماعات كثيرة فيصدقهم من سمعهم وبجسن الظن بهم ، وبأبي^(١) من بعد هؤلاء فيصدقهم ، ويكثر من يعتقد ذلك ، ويقول : من

(١) في الاصل : وبأبي

قبلي قد اخذ هذا عن جماعات، فتكثر اهل هذه الدعاوى بعد ذلك ويفترون بكثرتهم .

وربما كان اصل المقالة تأويل آية من كتاب او من قول من يقتدى به فيعتقد التالي له انه نص فيقول : قد نص موسى او عيسى او محمد صلى الله عليهم على كذا في آية كذا في يوم كذا ويذكر ذلك القول . وذاك القائل ما اراد بقوله ما اراده هذا المتأول ولا قصد قصده . مثل ما اولت القرامطة في قوله تبارك وتعالى « وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ^(١) » قالوا : فقد أخبر أن من دخل مكة يأمن من القتل والخوف ونحن نرى الناس فيه يخافون ويقتلون ، فقد ظهر كذبه ، فإننا قد قتلنا المسلمين فيه ، ولكن اتباع محمد ﷺ حير لا يعتقدون ^(٢) . والله تبارك وتعالى ما اراد ما ظنوا ، ولا هذا خبر وإن كان لفظه لفظ الخبر ، وإنما هو امر بأن من دخله فينبغي ان يؤمن ولا يخاف ولا يحل لأحد ان يخيفه . وهذا مثل قوله « والمطلقات يتربصن بأنفسهن والوالدات يرضعن اولادهن ^(٣) » وما اشبهه ، فإن ظاهر هذا الخبر ومعناه الامر ، أي يجب على المطلقة ان تتربص ، وعلى الوالدة ان ترضع . ولكن الباطنية يقصدون البوادي والمجم ومن لم يشتمل بالعلم فيخدعونه بأنواع الخدائع ، ويخلفونهم على كتابان ما يسمعون ، فيفترون بهم . وهم افسدوا آمن بالبحرين ، وكان ابتداء امرهم معهم التشيع ، ثم رفقهم درجات الى ان جاؤوهم وجاهروهم / بتكذيب الانبياء ، فصار بتلك النواحي عداوة الاسلام مناكدة الى هذه الغاية .

ولإفراط جهل هؤلاء ما تم عليهم ، وإلا ففي نص القرآن جواز القتل

(١) آل عمران ٩٧

(٢) ان القاضي كعادته يستعرض أقوال الخصوم وافترائهم مها كان فيها من إيذاء للمسلمين

ليرد عليها بعد ذلك .

(٣) البقرة ٢٢٨

في المسجد الحرام . أما تسمع قوله عزّ وجلّ « ولا تقاتلوه عند المسجد الحرام حتى يقاتلوك فيه فإن قاتلوكم قاتلوه » (١) فأبي شأن أبين من هذا . ومثله قوله عزّ وجلّ : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كثير » (٢) وقد قتل قوم من آمن بالنبي ﷺ قبل الهجرة وقتل فيه منهم قبل الفتح ، وقد قتل هو ﷺ يوم الفتح فيه قوماً ، والأمر في ذلك ظاهر ، ولا يذهب مثل هذا إلا على الغاية في الغفلة . فإن كان الأمر على ما ظنه هؤلاء الجهال ، فكيف لم تقتل قريش والعرب واليهود والنصارى وأعداء رسول الله الذين كانوا معه وهم في طلب عثرة تكون له مثل ما قاله هؤلاء الجهال وأنكروا عليه ذلك .

ومما قاله هؤلاء الزنادقة أيضاً : أن محمداً قد رجع عما كان يدّعيه من اليقين في أمره وأظهر الشك بقوله في كتابه : « وما أدري ما يفعل بي ولا بكم » (٣) وقال : « فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك » (٤) .

ف قيل لهم : إن كان أفاد بهذا الذي ظننتم ، فلم لا كان أعداؤه من قريش والأعراب واليهود والنصارى انكروا ما انكرتم ؟ .

وكذا نقول لمن قال : إن اصحاب محمد صلى الله عليهم وسلم ارتدوا وابعدهم ، ف قيل له : من أين لك هذا ؟ قال من نصّ القرآن لأنه قال : « أفإن مات

(١) البقرة ١٩١

(٢) البقرة ٢١٧

(٣) الاحقاف ٩

(٤) يونس ٩٤

أو قَتِلَ انقلبتم على أعقابكم ، (١) ، فيقال له : انت أسوأ حالاً في هذا من اولئك ، لأن هذا ليس بخبر ولا ظاهره الخبر ، وإنما ظاهره الاستفهام ، والله لا يستفهم لأنه بكل شيء عليم ، وإنما المراد به التثبيت والتنبيه كما قال : « وما جعلنا لبشرٍ من قبلك الخلد أفإن متّ فهم الخالدون » (٢) أي لا يخلدون ولا ينبغي لهم الخلود ، وكذلك اولئك لا يرتدون ولا ينبغي لهم ان يرتدوا . ولما قال بعض المبتدعة بالتشبيه ، وتأولوا النصوص قلنا لهم هذا .

٦٥ / ب

وقد كثرت البدع والكذب على الانبياء بما لم يقولوه ولا أرادوه ، ويدعون المبتدعة أن لهم سلفاً امثالهم حتى يتصلوا بالانبياء فتفرم كثيرتهم وتفرم زعمائهم .

على ان النصارى لو رجعت الى أخبارها والى ما في أناجيلها الأربعة لعلمت أن المقتول المصلوب غير المسح ، اذا كانت هذه الأناجيل منوهم . لأنهم لما انتهوا الى ذكر المقتول المصلوب والصلبوت قالوا : إن اليهود (٣) قصدوا في خميس الفصح الى هيريدس صاحب فيلاطس ملك الروم ، وقالوا : ها هنا رجل منا قد أفسد أحداثنا وغرهم ولنا عليك في الشرط ان تمكننا من هذه سبيله لتنفيذ حكمتنا فيه ؛ فقال لأعوانه : اذهبوا مع هؤلاء فهاتوا خصمهم ، فخرج الاعوان مع اليهود فصاروا بباب هذا السلطان ، فأقبل اليهود على الأعوان فقالوا لهم : هل تعرفون خصمنا فقالوا : لا ، فقال اليهود

(١) آل عمران ١٤٤

(٢) الانبياء ٣٤

(٣) جاء في الحاشية : « في كيفية صلب اليهود رجلاً على انه المسيح »

ولا نحن نعرفه ، ولكن امشوا معنا فإننا لا نعدّم من يدلنا عليه .

فمشوا ، فلقبهم يهوذا سرخوطا وكان احد خواص المسيح وثقاته وكبار اصحابه واحد الإثني عشر ، فقال لهم : أتطلبون يسوع الناصري قالوا : نعم ، قال : فمالي عليكم إن انا دللتكم عليه ؟ فحمل بعض اليهود عن دراهم كانت معه فعد ثلاثين درهماً وسلمها اليه وقال : هذه لك . فقال لهم : هو كما قد علمتم صديقي وأستحي ان اقول هذا هو ، ولكن كونوا معي وانظروا الى الذي اصابحه وأقبل رأسه ، فاذا أرسلت يدي من يده فخذوه .

فساروا معه وقد كثر الناس ببیت المقدس واجتمعوا اليه لإقامة هذا العيد من كل مكان فصافح يهوذا سرخوطا رجلاً وقبّل رأسه / وأرسل يده من يده وغاص في الناس ، فأخذه اليهود والاعوان ، فقال المأخوذ : ما لكم ولي ؟ وجزع جزعاً شديداً ؛ فقالوا له : السلطان يريدك ، فقال : مالي وللسلطان؟ فجهأوا به فأدخلوه على هيريدس وقد طار عقله خوفاً وجزعاً وهو يبكي فسا يملك نفسه ، فرجه هيريدس لما رأى به من الخوف ، فقال لهم : خلوا عنه ، واستدناه واقعده وبسطه وسكّن منه وقال له : ما تقول فيما يدّعي هؤلاء عليك من انك المسيح ملك بني اسرائيل ، هل قلت هذا او دعوت اليه ؟ فأنكر ان يكون قال هذا او ادعاه ومع هذا فما يسكن قلقه ، وهيريدس يسكّنه ويقول له : اذكر ما عندك [من حجة (١)] إن كان لك ، فلا يزيد على إنكاره وانه لا يقول ذلك ، وانهم هم الذين يقولون ذلك لا هو ، وانهم قد ظلموه بهذه الدعوى وتقولوا عليه ، فقال هيريدس لليهود : ما أراه

١ / ٦٦

(١) في الاصل : حجة ، ولعل الصواب ما اثبتناه

يوافقكم ولا يقول ما تدعونه وما أراكم إلا متقولين عليه ظالمين له ، هاتم
الطست والماء لأغسل يدي من دم هذا الرجل .

ووجه فيلاطس ملك الروم الكبير الى هيريدس يقول له: بلغني ان اليهود
رفعوا اليك خصماً لهم فيه أرب ومعرفة فأنفذه الي لأفأتمه وأنظر ما عنده،
فأنفذه اليه ؛ فأدخل على فيلاطس وهو في حالة من الجزع والخوف والقلق ،
فسكته الملك وسأله عما ادعاه عليه اليهود من انه المسيح ، فأنكر ان يكون
قال ذلك ولم يزل يسأله ويباسطه لينذكر ما عنده وما معه وليسمع منه
حكمة او يستفيد منه أدباً او وصية فيما وجد عنده شيئاً ، ولا زاده على القلق
والخوف والجزع والبكاء والانتحاب فرده الى هيريدس وقال له : ما وجدت
في هذا الرجل ما قيل فيه وما عنده خير ، ونسبه الى النقص / والغباء ، فقال
هيريدس : الآن هو الليل فاذهبوا به الى الحبس ، فذهبوا به .

ب / ٦٦

فلما كان من الغد بكر اليهود وأخذوه وشهروه تلك الشهرة ، وعذبوه
ونالوه بأنواع العذاب ، ثم ضربوه في آخر النهار بالسوط ، وجاؤوا به الى
مبطخة ومبقة (١) وصلبوه وطعنوه بالرماح ليموت بسرعة ، وما زال يصيح
بأعلى صوته وهو مصلوب على خشبة : يا إلهي اخذلني ؟ يا إلهي لم تركتني ؟
الى ان مات . وان يهوذا سرخوطا لقي اليهود وقال لهم : ماذا صنعتم بالرجل
الذي اخذتموه امس؟ قالوا : صلبناه ، فتعجب من هذا واستبعده ، فقالوا له:
قد فعلنا ، وإن اردت ان تعلم ذلك فصر الى المبطخة الفلانية ، فصار الى
هناك ، فلما رآه قال : هذا دم بريء ، هذا دم زكي ، وشم اليهود ، وأخرج
الثلاثين درهماً الذي اعطوه دلالة فرمى بها في وجوههم وصار الى بيته

(١) المبطخة مكان البطيخ ، والمبقة مكان البقل

(١) ثبت هنا ما جاء في الانجيل حول ما عرضه القاضي من تسليم يهوذا للمسيح ، والاشارة التي اعطاها لهم ليتمرفوا عليه ، وما جرى بعد ذلك من اخذه الى هيرودس وبيلاطس ، ومنا دار بين السيد المسيح وهؤلاء من حديث ، ولا يزيد ان نعلق على ما نوردناه وانما سنكتفي بوضع هذا كله امام القارئ ليقارن ويتدبر . ما ورد حول تسليم يهوذا للمسيح : « حينئذ ذهب واحد من الاثني عشر (اصحاب المسيح) الذي يدعى يهوذا الاسخريوطي الى رؤساء الكهنة وقال : ما تريدون ان تعطوني وأنا اسلمه اليكم ، فجمعوا له ثلاثين من الفضة ، ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه » . مق ، الاصحاح ٢٦ ، الفقرات ١٤ و ١٥ و ١٦ . « ثم ان يهوذا الاسخريوطي واحداً من الاثني عشر مضى الى رؤساء الكهنة ليسلمه اليهم ، ولما سمعوا فرحوا ووعده ان يعطوه فضة « مرقس ، الاصحاح ١٤ الفقرات ١٠ و ١١ . ومثل ذلك في انجيل لوقا ، الاصحاح ٢٢ فقرات ٣ و ٦ : « وكان يهوذا مسلمه يعرف الموضع لأن يسوع اجتمع هناك كثيراً مع تلاميذه . فأخذ يهوذا الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء الى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح . فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه وقال لهم : من تطلبون؟ اجابوه : يسوع الناصري . قال لهم يسوع : انا هو ، وكان يهوذا مسلمه ايضاً واقفاً معهم . فلما قال لهم اني انا هو رجعوا الى الوراء وسقطوا على الارض . فسألهم ايضاً من تطلبون فقالوا : يسوع الناصري ، فأجاب يسوع : قد قلت لكم اني انا هو فان كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون » يوحنا ، ١٨ : ١ - ٨ . وأورد انجيل لوقا حادثة القبض على المسيح على النحو التالي : « وبينما هو يتكلم اذا جمع والذي يدعى يهوذا واحداً من الاثني عشر يتقدمهم فدنا من يسوع ليقبله فقال له يسوع : يا يهوذا بقبلة تسلم ابن الانسان . ثم قال يسوع لرؤساء الكهنة وقواد جند الهيكل والشيوخ المقبلين عليه كأنه على لص : خرجتم بسيوف وعصي . اذ كنت معكم كل يوم في الهيكل لم تمدوا علي الايدي ولكن هذه ساعتكم وسلطان الظلمة » . لوقا ، الاصحاح ٢٢ : ٤٧ - ٥٣ . مع بيلاطس وهيرودوس : « فقام كل جمهورهم وجاءوا به الى بيلاطس . وابتدؤوا يشتكون عليه قائلين : انا وجدنا هذا يفسد الامة ويمنع ان تعطى جزية لقيصر قائلاً انه هو مسيح ملك ، فسأله بيلاطس : انت ملك اليهود ؟ فأجابه وقال : انت تقول ، فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع : اني لا أحد علة في هذا الانسان ، فكانوا يشددون قائلين : انه يبيع الشعب وهو يعلم في كل اليهودية مبتدئاً من الجليل الى هنا . فلما سمع بيلاطس ذكر الجليل سأل : هل الرجل جليلي ؟ وحين علم انه من سلطنة هيرودوس ارسله الى هيرودوس اذ كانت هو ايضاً ملك الايام في اورشليم . وأما هيرودوس لما رأى يسوع فرح جداً لأنه كان يريد من زمان طويل ان يراه لسامعه عنه اشياء كثيرة وترجى ان يرى آية تصنع منه وسأله بكلام كثير فلم يجبه بشيء ، ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتكون عليه باشتداد فاحتقره هيرودوس مع عسكره واستهزأ به وألبسه لباساً لامعاً وردده الى بيلاطس ... فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب =

فانظر كم في هذا من عجب :

منها إقرار اليهود والروم انهم ما عرفوه ، واخرى ان الذي دلّ عليه لو كان ظاهر العدالة لما عرف بخبره ولا بشهادته شيء ، واخرى جزعه وقلقه وإنكاره ، ولو كان هو المسيح لأخبر بذلك ولقال : انا هو الذي بشر بي الانبياء ، وانني كذا وكذا ، سيما والحاكم بينه وبين اليهود ملك الروم وهم اعداء اليهود ، وكان قد اقام الحجّة عليهم ، هذا لو كان نبياً (١) ، فكيف وهو عند النصارى إله ، فإن الانبياء يبدوون الدعوى والحجّة عند من لم يسأل ذلك فكيف بمن يسأل ويرغب اليهم .

وأخرى ان يهوذا سرخوطا قال : هذا دم بريء ، ويرى منهم ورد الدراهم ورجع الى بيته وقتل نفسه ندماً على ما كان منه . فقلنا للنصارى : فكم في هذا من دلالة على ان المقتول المصلوب غير المسيح ، فأنتم لا الى / حجج العقول ترجعون ، ولا الى ما كتبتم وسترتم تتدبرون ، ولا على ما نعلم تعملون ، ولكنكم تشون مكبتين على وجوهكم .

وفي الانجيل معهم ان المسيح اخذ صندوقاً يخزن فيه الذهب والفضة وكان خازنه يهوذا سرخوطا الساعي به ، وان امرأة زانية اهدت اليه طيباً

= وقال لهم: قد قدمتم الي هذا الانسان كمن يفسد الشعب وما انا قد فحصت قدامكم ولم أجد في هذا الانسان علة مما تشتكون به عليه ولا هيروُدوس ايضاً . لوقا ، الاصحاح ٢٣ : ١ - ١٥ .
« وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً أُلوي أُلوي (وفي انجيل متى ايلي ايلي : اي الهي الهي) لم سبقتني ، الذي تفسيره الهي الهي لماذا تركتني . فقال قوم من الحاضرين لما سمعوا : هو ذا ينادي ايليا (وفي انجيل يوحنا : انا هطشان) فركض واحد وملاً اسفنجة خللاً وجعلها على قصبه وسقاه . . مرقس ، ١٥ : ٣٣ - ٣٥ .

(١) في الاصل : نبي

قيمته ثلثمائة دينار ، وجعلت تمسح به قدميه وتمسح شعرها بأسفل قدميه ،
وان شمعُن جاء وأنكر ذلك عليه ، وقال : هذا سرف وفساد ، وكان ينبغي
ان تتصدق بثمن هذا على الفقراء (١) .

ولهذا ما قالت طائفة من اليهود ان يسوع (٢) بن مريم هذا الذي يعتقد
المسلمون والنصارى ربوبيته الذي صلب وقتل هو ابن يوسف النجار ، وهو
رجل من اليهود برّ تقيّ صارت له رئاسة في اليهود ، فحسده بعضهم
للرئاسة وسمى به وأذّله الى ان قُتل مصلوباً . وهو ما ادعى ما يقوله
النصارى ولا ما يقوله المسلمون من انه المسيح وانه نبي . قالوا ألا ترون انه
قد سئل عن ذلك عند هيريدس وعند فيلاطس وأنكر ذلك كله ، ولو كان
نبياً لاحتج بحجة وآيات ، والبشارات به وأنه مولود من غير ذكر .

قالوا : ومما يؤكد هذا ، ان النصارى قد كتبت في اناجيلهم ان يسوع
هذا قال لأصحابه : ما يقول الناس فيّ ؟ قالوا : منهم من يقول : إنك إلیّا
ومنهم من يقول : انك يوحنا الصائغ ، قال : فأنتم اصحابي ما تقولون فيّ
ومن انا عندكم ؟ قالوا : الذي عندنا انك المسيح ، قال : لا تقولوا هذا .

قالت هذه الطائفة من اليهود : أما ترونه قد نهاهم ان يقولوا (٣) انه
المسيح ، فما الذي يبقي بعد هذا من البيان . قالوا : وقد خاصمه اليهود
ثلاث سنين ، ورفعوه الى الملوك فما حصل عليه إقرار انه ادعى انه المسيح

(١) انجيل متى الاصحاح السادس والعشرون .

(٢) ورد اسم المسيح عليه السلام على اشكال متعددة ، فقد رسم اسمه احيانا : يسوع ،

واحيانا يشوع واحيانا اخرى ليسوع ، وقد اثبتناها جميعاً يسوع لشهرة هذا اللفظ .

(٣) في الاصل : يقولون

ولا انه نبيّ ، ولا شهد عليه بذلك وليته / ولا عدوه . والآيات والمعجزات التي تدعيها النصارى له لا أصل لها ما ادعاها هو ولا احد من اصحابه في زمانه ولا في الفرق الذين يلونهم ، وإنما ادعي له ذلك بعد مضيه ومضي أصحابه بالأزمان والأحقاب ، كما ادعت النصارى ذلك لبولص اليهودي^(١) وهو معروف الحال والحيل والكذب والسقوط ، وكما ادّعوا ذلك لجورجس^(٢) والابا مرقس^(٣) ، وكما يدّعون في كل زمان لرهبانهم ورواهبهم وكله لا أصل له . فاحفظ رحمتك الله هذا فانه يؤكد الحال في ان المسيح لم يصلب ، وأن المصلوب غيره صلى الله عليه ، وهو شديد على النصارى من كل وجه .

وفي الانجيل ان المسيح كان قائماً في ناحية في موضع الصلب ، وأن مريم ام المسيح جاءت الى الموضع فنظر اليها المصلوب فقال لها وهو على الخشبة : هذا ابنك ، وقال للمسيح : وهذه امك ، وأن مريم اخذت بيده ومضت من بين الجماعة^(٤) .

وفي الانجيل ايضاً ان المسيح مات من غير ان يمسه شيء ، وفيه ان امرأة سامرية قالت للمسيح : انت رجل يهودي ونحن لا نسقي اليهود الماء ، فقال

(١) يقصد بولس ، الشهير بالرسول في تاريخ النصرانية وقد مر سابقاً .
 (٢) يقصد مار جرجس ، الذي تنسب له النصرانية عدداً من الخوارق ، وتعتبره كنيسة انكلترة حامياً لها وكذلك تفعل كنيسة روسيا . ويظن انه ولد في الرملة من فلسطين في النصف الاخير من القرن الثالث للميلاد ويقال انه مات سنة ٣٠٣ م . دائرة معارف البستاني ٦ : ٤٢٧
 (٣) اسمه العبراني يوحنا ، واسمه اليوناني مأخوذ عن الروماني مرقس ، يقال انه ابن اخت برنابا اللاوي القبرصي ، وتقول كتابات الآباء المسيحيين انه كان مترجماً لبطرس . انظر القول الصريح في سيرة يسوع المسيح ، ص ١٣ جورج فوردي .
 (٤) جاء في انجيل يوحنا الاصحاح ١٩ - ٢٦ : « فلما رأى يسوع امه والتلميذ الذي كان يحبه واقفاً قال لأمه : يا امرأة ، هو ذا ابنك ، ثم قال للتلميذ : هو ذا امك » .

لها : صدقت ايها المرأة في جميع ما قلت .

وفيه أن المسيح قال لأصحابه : إن الكهنة والربانيين جلسوا على كرسي موسى وهم يفتونكم فاقبلوا منهم فتياهم ولا تعملوا مثل أعمالهم ، فإنهم يقولون وما يعملون .

وفيه ان مريم المجدلانية ومريم الاخرى إنما امتنعنا من بعثة الطيب لسيدنا المسيح يوم السبت للسنة في حفظ السبت .

وفيه ان المسيح قال : شبهت جلوس هذه القبيلة السوء بصبيان جلوس في السوق يناديهم اصحابهم : غنينا لكم فلم ترقصوا ونحنا لكم فلم تبكوا ، اناكم يحيى لا يأكل ولا يشرب / فقلتم: لا يأكل ولا يشرب ، وأناكم من البشر اكل شروب فقلتم : اكل شروب يدخل بيوت الزناة ويجالس الخطائين .

أ / ٦٨

وفيه انه مر^(١) على شمعون الصفا فقال له : يا شيطان .

وفيه أنه قال لبني إسرائيل : يا حيات ، اولاد الافاعي ، تفرؤون الكتاب ولا تعقلون ، تغسلون خارج الإناء وداخله مملوءة قدراً ، تطلبون البر والبحر والسهل والجبل صاحباً لكم ، فلو أوجدتموه علمتموه طرائقكم حتى يصير شراً منكم ، فلا أنتم دخلتم ملكوت السماء ، ولا تركتم الناس يدخلون ملكوت السماء اذ لم تدخلوا .

فإن قال قائل : لعمرى قد تبين ان النصرارى قد قالت في عيسى بن مريم عليه السلام : انه ليس بنبي ولا رسول لله ولا بعبد صالح ، وانه إله

(١) في الاصل مرة ، ولعل الاصح ما اثبتناه

ورب وخالق ورازق ، وان الله ثالث ثلاثة ، وانه قتل وصلب . وقد قال صاحبكم في كتابكم : «أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله»^(١) فقالت النصرارى : فهذا كذبٌ ، فانا وإن قلنا فيه انه إله فما قلنا في اسمه انها إله .

قيل له : ما خبر عنهم انهم قالوا ذلك ، وما ها هنا خبر فيقع فيه صدق او كذب ، وإنما قال « أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله » وليس هذا خيراً ، ولا من لا يعرف من العربية قليلاً ولا كثيراً ، وإنما ظاهر هذا القول الاستفهام والاستعلام ، والله جل ثناؤه لا يجوز عليه ذلك ، لأنه إنما يستعلم ويستفهم من لا يعلم ما استفهم وسأل عنه ، وإنما معناه التقرير لاستخراج الجواب من المسؤول . وهذا كقوله موسى صلى الله عليه : « وما تلك بيمينك يا موسى »^(٢) وهو عز وجل اعلم بذلك من موسى . ولقوله لإبليس : « ما منعك / ألا تسجد إذ أمرتك »^(٣) واذ أمرتك ، وهو عز وجل اعلم من إبليس بالمانع له فقال للمسيح : هل قلت هذا في نفسك او في امك الوالدة لك وهي اخص الناس بك وأوجبهم حقاً عليك وأجلهم عندك ، لتبين براءة ساحته عليه السلام من كل وجه . فقد بطل ما ظنه السائل من ان هذا خبر وهذا جواب شافٍ كافٍ .

وأيضاً ففي النصرارى من قد قال بمعنى هذا وان لم يصرح بلفظه ، لأنهم قالوا إن مريم صفت حين قبلت الجوهر الإلهي وولدتة ، وكل جوهر لا يقبل

(١) المائدة ١١٦

(٢) طه ١٧

(٣) الاعراف ١٢ ، وقد اثبتت القراءتين : اذ امرتك و اذ امرك

الإمام في جوهره وسنخه^(١) ولا يلد إلا ما في جوهره ، وهذا جواب ثان
بين غير أن فيهم من قد صرح بذلك . وهذا بين في كتب البيعة الموجودة
بكور الأهواز وغيرها من كور العراق بالقلم السرياني ، وقد ترجم منه في
رسالة كتبها عبد يسوع بن بهرين اسقف حران والرقفة والمصير بعد ذلك
مطراناً على الموصل والجزيرة الى قس يعقوبي يقال له بادوس : أنت لا
تنكر ان البتول الطاهرة إله كما تراه أنت ، بل إنسان كما نراه نحن .

وهذا تصريح من هؤلاء بأن مريم إله والنسبورية تخالفهم في ذلك
وتجادلهم ، وهذا بين وإنما ينكره من لا يعرف أقاويل النصارى وحقيقة
النصرانية .

وعلى ان هذه الطوائف الثلاث منهم من يقول في مريم انها ام المسيح بن
الله في الحقيقة ووالدته في الحقيقة ، لا ام لابن الله الالهي ، ولا والدة لابن الله
غيرها ، ولا أب لابنها إلا الله ، ولا والد لابنها إلا الله ، وان الله اختارها
لنفسه ولولادة ولده وابنه من سائر النساء ، ولو كانت كسائر النساء / لما
ولدت إلا عن وطء الرجال لها ، وإنما اختصت بهذا لأنها حبلت بابن الله
وولدت ابن الله الذي لا ابن له في الحقيقة إلا هو ولا ولد له إلا هو ، وأنها
على العرش جالسة عن يسار الرب والد ابنها ، وابنها عن يمينه . وهم يدعونها
ويسألونها سعة الرزق وصحة البدن وطول العمر وغفران الذنوب ، وان
تكون لهم عند ابنها ووالد ابنها سوراً وسنداً وذخراً وشفيعاً وركناً . فلو
ان انساناً عظيماً انساناً عشر هذا التعظيم وقال فيه عشر هذا القول لجاز في

(١) السنخ : الاصل ، ومن السن منبته ، ومن الحمى سودتها

لغة العرب بل في كل لغة ان يقال قد اتخذها إلهاً . ألا ترى الى قول الله تعالى « اتخذوا أحيارهم ورهبانهم أرباباً عن دون الله (١) » وهم ما صاموا لهم ولا صلوا ولكن قلدوهم ، فحرموا عليهم الحلال فحرموه ، وأحلوا لهم الحرام فاستحلوه ، وهذا دون ما قالوه في مريم .

وفي هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم : « تعس عبد الدنيا وتعس عبد الدرهم تعس عبد الخبيصة (٢) » لما غلب عليه حب ذلك وشغفه به صار كالعبد له ، فلولم يكن معنا تلك النصوص فيمن قال منهم إنها إله فكان معنا خبر ونص أنهم ما قالوا انها إله لجاز مع هذا التعظم ان يطلق ، فكيف وما اخبر أنهم ما قالوا انها إله ، ولقد عظموها ورفعوها على الملائكة والأنبياء وقالوا فيها ما يقال في الإله ، وسألوها ما يسأل الإله من العافية والكفاية في الدنيا والآخرة كما قد تقدم لك ذلك حتى ان اليعقوبية لتقول في مناجاتها لمريم عليه السلام : يا مريم يا والدة المسيح كوني لنا سوراً وسنداً وذخراً وركناً ، والنسطورية تقول : يا والدة المسيح كوني لنا كذلك ، ويأتون مسألة اليعقوبية ويقولون لليعقوبية : لا تقولوا / يا والدة الله وقولوا يا والدة المسيح ، فتقول اليعقوبية لهم : فالمسيح عندنا وعندكم إله في الحقيقة فأبي فرق بيننا وبينكم في معنى هذا ، ولكنكم أردتم ان تمخرقوا عند من لا يعرف هذا من قولنا وقولكم فتوهمونه انكم تتزهون عن هذا وأنكم تقاربون المسلمين في التوحيد .

واعلم ان أفجاج النصارى يعتقدون ان الله اختار مريم لنفسه ولولده

(١) التوبة ٣١

(٢) حديث تعس عبد الدينار ، هداية الباري الى ترتيب احاديث البخاري ١ : ٣١٤ في كتاب الجهاد باب الحراسة .

ومحظاتها كما يختار الرجل المرأة ويتحطاها لشهوته لها ، وقد حكاها النظام
والجاحظ ، وقال : إنما يفصحون بهذا عند من يثقون به . وقد قال ابن
الأخشيذ هذا عنهم في « المعونة » وقال : اليه يشيرون ، ألا ترى انهم يقولون
لو لم يكن والدأ لكان عقيماً والعقم آفة ، وهذا قول جميعهم والى البضاع
يشيرون . وانت تجد ذلك في كتاب « المعونة » (١) وفي كتاب الجاحظ على
النصارى ، وأظن ابا جعفر الإسكافي قد ذكر هذا في كتابه على النصارى ،
وكل من خالط الرهبان وأرباب البيع وطاولهم وأنسهم عرف ذلك منهم .

فإن قال قائل : ادعيتم ان هذه الطوائف قد خالفت المسيح في الأصول
والفروع وقد عرفنا بما ذكرتم مخالفتهم له في الاصول فمن اين لكم انهم قد
خالفوه في الفروع ؟ قيل له : كان المسيح يتدين بالطهارة ، وبغسل الجنابة ،
وبوجوب غسل الحائض ، وهذه الطوائف لا تختلف بأن ذلك ليس بواجب ،
وان للانسان ان يصلي وهو غير مطهر وغير مستنج ، ويصلي وهو جنب ،
ولا يختلفون في ان الجنابة والبول والغائط وغير ذلك لا يقطع الصلاة ، وان
المصلي له ان يصلي وهو يبول وهو يتغوط وهو يجامع وان كان الجماع
في زنى ، فما هذا شيء يقطع الصلاة ولا يفسدها / بل الافضل عندهم ان
يصلي وهو جنب وهو يتغوط ويبول ويضطر ، لأن ذلك ابعدهم من صلاة
المسلمين واليهود ، وكل هذا خلاف صلاة المسيح .

وكان المسيح يقرأ في صلاته ما كان الانبياء وبنو اسرائيل قبله وفي زمانه ،
وفي زمانه يقرؤون من كلام الله ومن قول الله من التوراة ومن زبور داود ،

(١) المعونة: اسم كتاب لأبي الاخشيذ وهو: احمد بن علي، يتكلم على مذهب المعتزلة، وله آراء
خاصة يخالف بها الكثيرين منهم .

وهذه الطوائف من النصارى انما تقول في صلاتها كلاماً قد لحنه لهم الذين يتقدمون ويصلون بهم ، فجرى مجرى النوح والأعاني فيقولون : هذا قداس فلان ، ينسبونه الى الذين وضعوه .

وهم يصلون الى المشرق وما صلى المسيح الى ان توفاه الله إلا الى المغرب وبيت المقدس ، وقبله داود والانبياء^(١) بنو اسرائيل ، وقد اختتن المسيح واوجب الختان كما اوجبه من قبله موسى وهارون والانبياء ، وما صام هو واصحابه الى ان خرج من الدنيا الا اليوم الذي صامه بنو اسرائيل . فأما هذه الخمسون يوماً التي تصومها النصارى ، وصوم نينوي ، وصوم العذارى ، فما صام شيئاً منها قط ، ولا اكل في الصوم ما يأكلونه ، ولا حرّم فيه ما يحرّمونه ، ولا اتخذ يوم الاحد عيداً قط ، ولا بنى بيعة قط ، ولا عطل يوم السبت ساعة واحدة ، ولا اكل خنزيراً قط بل حرّمه ولعن أكلته كما فعل الانبياء قبله .

والنصارى تزعم انه رقى مريم المجدلانية فأخرج منها سبع شياطين ، وان الشياطين قالت له : ابن نأوي ؟ فقال لها : اسلكي هذه الدابة النجسة ، يعني الخنازير . وحرّم ذبائح من ليس من اهل الكتاب وحرّم مناكلتهم ، وسار في المناكح والطلاق والمواريث والحدود سيرة الانبياء قبله ، وليس عند هؤلاء النصارى على من زنى او لاط او افترى او سكر حدّ البتة ولا عذاب في الدنيا ولا في الآخرة . /

٧٠ / ب

وفي الجملة إن المسيح جاء لإحياء التوراة وإقامتها ، وقال : إنما جئتكم

(١) في الاصل : وبني

لأعمل بالتوراة وبوصايا الانبياء قبلي ، وما جئت ناقصاً بل متمماً ، ولأن
تقع السماء على الارض ايسر عند الله من ان تنقض شيئاً من شريعة موسى ،
ومن نقض شيئاً من ذلك يدعى ناقصاً في ملكوت السماء . وما زال هو
وأصحابه كذلك الى ان خرج من الدنيا وقال لأصحابه اعملوا كما رأيتموني
اعمل ووصوا الناس بما وصيتكم به ، وكونوا معهم كما كنت معكم ، وكونوا
لهم كما كنت لكم . وما زال اصحابه بعده على ذلك وكذلك ، ثم الذين بعد
القرن الاول من اصحابه ، ثم من بعدهم بالدهر الطويل . ثم اخذوا في التغيير
والتبديل ، والبدع في الدين ، وطلب الرئاسة ، والتقرب الى الناس بما يهون ،
ومكايده اليهود وشفاء الغيظ منهم وإن كان فيه ترك الدين . وهذا بين في
الاناجيل التي معهم وإليها يرجعون ، وفي كتابهم المعروف بكتاب
افراسكس^(١) ، فان فيه ان قوماً من النصارى خرجوا من بيت المقدس
وأثوا انطاكية وغيرها من الشام ؛ فدعوا الناس الى سنة التوراة ، والى تحريم
ذبائح من ليس من أهلها ، والى الختان ، والى اقامة السبت ، والى تحريم
الخنزير ، والى ما حرّمته التوراة . وان ذلك شق على الامم واستثقلوه ،
فاجتمع النصارى ببيت المقدس ، وتشاوروا فيما يحتالون به على الامم
ليجيبونهم ويطيعونهم ، فأوجب رأيهم مداخلة الامم والترخص لهم والانحطاط
في اهوائهم ، وترك مخالفتهم ، والاختلاط بهم ، والأكل من ذبائحهم ، والتخلق
بأخلاقهم ، وتصويبهم فيما هم عليه . وانشؤوا في ذلك كتاباً . وقد قال
بولس في الكتاب الذي يسمونه السليح : انا قلت لهم الى كم تهودون الناس ؟
وقال في السليحين : / كنت مع اليهودي يهودياً ومع الرومي رومياً ،

٧١ / أ

(١) اي كتاب الحواريين ، انظر الفهرست ص ٤١

ومع الارمائي ارمائياً^(١) . وبولس هذا عندهم اجلّ من موسى وهارون وداود وجميع الانبياء ، وإذا قرئت رسائله وكلامه في البيعة قاموا قياماً اعظماً واجلالاً له ولكلامه ؛ ولا يفعلون ذلك بالتوراة التي هي عندهم كلام المسيح وهو كتبها لموسى وأرسله الى خلقه وخلق له البحر وقلب له العصا حية ، ولا في الاناجيل وفيها كلام المسيح . وهو يقول لليهود: التوراة سنة حسنة لمن عمل بها ، ويقول للروم وغيرهم من اعداء موسى والأنبياء : التوراة مهيبة للبشر ، وإذا وضع عن الناس شرائع التوراة فقد كمل بر الله وتمّ فضله ، هذا كله مع النصرارى وأعظم منه وأفحش . وقد عملوا عمل المسيح بالتوراة ووصيته الناس بالعمل بها .

انظر كيف ينساخت الناس من العمل بشرائع الانبياء الذين يدعون انهم عليها ويخرجون منها ، واعتبروكن على حذر ، فقد بدت هذه السيرة في هذه الأمة ، فكم فيهم ممن قد عطل وصايا النبي ﷺ ونبذ سنته وهجر كتابه لأنه زعم انه مغير مبدل ، وآخر يقول له باطن غير ما عليه الفقهاء والعلماء ، الى غير ذلك من انواع البدع التي قد نشأت في الاسلام وغلب اهلها بالكثرة اهل الحق فيبدعونهم ويسبونهم وينفروا عنهم ، وهكذا تتغير ملل الانبياء عليهم السلام ويموت العلم ، كما قال رسول الله ﷺ : إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من صدور الرجال ، ولكن يموت العلم بموت العلماء ، فاذا ماتوا اتخذ الناس رؤساء جهالاً ، فستلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ،^(٢) . / ثم

ب / ٧١

(١) على هامش الصفحة كتب : « الأرمائي من يعبد الكواكب والأوثان » بخط مختلف عن خط الاصل ، ويظهر انه خط ناسخه ، او المعلق عليه .

(٢) كتب الناسخ على هامش الصفحة : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله لا ينتزع العلم انتزاعاً من صدور الرجال الى آخره » والحديث في الجامع الصغير (شرح المناري) ٣ : ٢٧٢ رواه الامام احمد في سنده والبخاري ومسلم والترمذي وابن باجه عن ابن عمرو باسناد صحيح .

المستأكلة ومن تكسب بالدين ، وقد قال الله عز وجل : « يا ايها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، فمؤلاء العباد ومؤلاء العلماء وقد عرفك الله حال كثير منهم ، فكيف بمن ليس بعالم ولا عابد . فاحذر كما حذرك الله ، واقبل وصية رسول الله عليه السلام .

واعلم ان دين المسيح وديانات الرسل عليهم السلام لم تتغير ولم تتبدل جملة واحدة ولكن شيئاً بعد شيء ، وفي كل عصر وفي كل حين حتى تكامل تغيرها ، وما زال اهل الحق فيها يقولون وأهل الباطل يكثرون حتى غلبوا ومات بهم الحق . فكان اصحاب المسيح بعده مع اليهود وبني اسرائيل في كنائسهم يقيمون صلاتهم وأعيادهم في مكان واحد وبينهم الخلاف في شأن المسيح ، وكانت الروم تملكهم ، وكانت النصارى تشكو اليهود الى ملوك الروم ، وتبدي لهم الضعف الذي فيهم وتسترهم فيرحمهم ، وكثر هذا فكانت الروم تقول لهم : بيننا وبين اليهود عهد ان لا نغير اديانهم ، فلو خرجتم من اديانهم وفارقتموهم وصليتم الى المشرق كما نصلي وأكلتم ما نأكل واستبحتم مما نبيح نصرناكم وأعززناكم ، ولم يكن لليهود عليكم سبيل بل صرتم اعز منهم . قالوا : تفعل . قالوا فاذهبوا فهااتوا اصحابكم وهااتوا كتابكم . فجاءوا بأصحابهم فأخبروهم بما كان بينهم وبين الروم ، وقالوا لهم هااتوا الانجيل وقوموا حتى نصير اليهم ، فقال اولئك لهم : بس ما صنعتم ولا يحل لنا ان نمكن الروم الانجاس من الانجيل وقد خرجتم انتم من الدين / بإجابتكم الروم ، ولا يحل لنا مخالطكم ، بل وجبت البراءة منكم ومنعكم من الانجيل والوصول اليه .

فوقع بينهم الخلاف الشديد . وعادوا اولئك الى الروم وقالوا لهم : أعدونا (١) على اصحابنا هؤلاء قبل اليهود ، وخذوا لنا منهم كتابنا ، فاستتر اولئك من الروم و فروا في البلاد . فكتب الروم فيهم الى عمالهم بنواحي الموصل وجزيرة العرب . فطلبوا ، فوقع منهم قوم فأحرقوا وقوم فقتلوا ، واجتمع الذين أجابوا الروم وتشاوروا فيما يعترضون عن الانجيل إذ قد فاتهم ، فتقرر رأيهم على أن ينشئوا الجيل . وقالوا إنما التوراة موالد الانبياء وتواريخ اعمالهم فنبتي الانجيل على ذلك ، ويذكر كل واحد منا ما حفظه من ألفاظ الانجيل وبما تحدث به النصارى عن المسيح . فكتب قوم الجيل . ثم أتى من بعدهم قوم وكتبوا الجيل ، وكتبوا عدة أناجيل ، وسقط عنهم الكثير مما في الأصل . وكان فيهم الواحد بعد الواحد ممن يعرف اموراً كثيرة في الانجيل الصحيح فأمسكوا عنها لتتم رئاستهم ، ولم يكن في ذلك ذكر الصليب ولا الصلبوت ، وهم يزعمون انها كانت ثمانين جيلا ، فلم تزل تقبل وتختصر حتى بقي منها اربعة اناجيل لأربعة نفر عمل كل واحد في عصره الجيل ، وجاء من بعده فرآه مقصراً فعمل الجيل هو عنده أصح من الجيل غيره واقرب الى الصحة . ثم ليس فيها الجيل بلغة المسيح التي كان يتكلم بها هو وأصحابه وهي العبرانية لغة ابراهيم الخليل وسائر الانبياء ، بها تكلموا وبها نزلت كتب الله على هؤلاء وغيرهم من بني اسرائيل ، وبها خاطبهم الله ، فتركها هؤلاء . وقد قالت العلماء لهم : عدولكم معشر النصارى عن اللغة العبرانية وهي لغة المسيح والانبياء قبله عليهم السلام / الى سائر اللغات حتى

٧٢ / ب

(١) هكذا في الاصل ، لعلها : ساعدونا

ما من نصراني يتلو هذه الأناجيل في فرض من فروضه بلغة العبراني حيلة ومكيدة وفراراً من الفضيحة . فقال الناس لهم : انما وقع العدول عنها لما قصده أصحابكم الأولون من الادغال في المقالات ، واحتيالاً في تدليس ما وضعوه من الأكاذيب وستراً لما احتالوا طلباً للرئاسة ، وذلك ان العبرانية هم كانوا اهل الكتاب واهل العلم في ذلك الزمان ، فقير هؤلاء النفر اللغة بل عدلوا عنها كلها لئلا يفهم اهل العلم مذهبهم وقصدهم لسترها فيفتضحوا قبل تمكن مذهبهم ولا يتم لهم . فعدلوا الى لغات كثيرة ما تكلم المسيح وأصحابه بها ، وليس اهلها من اهل الكتاب ، ولا لهم علم بكتب الله وشرائعه ، كالروم والسريانيين والفرس والهند والارمن وغيرهم من الأعاجم ، وتلبسوا واحتيالاً لستر العورة وتقام البغية في طلب الرئاسة من اولئك القوم القليل الذين طلبوها بالدين . ولولا ذلك للزموا لغة ابراهيم وولده والمسيح الذين بهم قامت البيئنة ، وعليهم أنزلت الكتب ، وكان ذلك أولى بإثبات الحججة على بني اسرائيل وكفرة اليهود اذا ادعوا بلسانهم ، ونوظروا بلغتهم التي لا يمكنهم دفعها . فاعرف هذا فانه اصل كبير .

واعلم رحمك الله ، ان هذه الطوائف الثلاث من النصراني لا تعتقد ان الله أنزل على المسيح انجيلاً ولا كتاباً بوجه من الوجوه ، بل عندهم ان المسيح خلق الأنبياء وأنزل عليهم الكتب ، وارسل اليهم الملائكة . وانما معهم اربعة أناجيل لأربعة نفر ، كتب كل واحد منهم انجيله في زمانه ، وجاء من بعده فما رضي انجيل غيره ، وكان انجيله أولى . وهم يتفقون في مواضع ويختلفون في مواضع ، وفي بعضها ما ليس في بعض ، وهي حكايات قوم رجال ونساء من اليهود والروم وغيرهم انهم قالوا كذا ، وفعلوا كذا ، وفيها من المحال والباطل والسخف والكذب الظاهر والتناقض البيّن شيء كثير . وقد تلبسه

الناس وأفردوه ، وإذا قرأه المتأمل عرف ذلك . وفيها شيء من كلام المسيح ووصاياه وأخباره قليل . فإنجيل منها عمله يوحنا ، وإنجيل منها عمله متى ، ثم جاء بعدها مرقس فيما رضي بالإنجيليها ، ثم جاء بعدهم لوقا فيما رضي بتلك الأناجيل فعمل إنجيلاً آخر ، وكان عند كل واحد من هؤلاء ان صاحبه الذي تقدم وعمل إنجيلاً أنه قد ضبط أشياء وأخل بأشياء ، وغيره اعرف واضبط . ولو كان من قبله قد ضبط واصاب لما احتاج ان يعمل هو إنجيلاً آخر غير إنجيل صاحبه ، وليس احد هذه الأناجيل شرحاً للآخر ، كما يشرح من تأخر كتاب من تقدم فيحكي كلامه على وجهه ثم يشرحه . فاعرف هذا وانما وضعه لأن غيره قد قصر .

وعند هؤلاء الطوائف من النصارى ان هؤلاء الأربعة اصحاب المسيح وتلاميذه ، وهم لا يعلمون ولا يدرون من هم ولا معهم في ذلك إلا الدعوى فقط ، بل قد ذكر لوقا في إنجيله انه ما رأى المسيح ، فقال لوقا مخاطباً للذي عمل له إنجيله وهو آخر من عمل من الأربعة : « عرفت رغبتك في الخير والعلم والأدب فعملت هذا الإنجيل لمعرفتي ولأني كنت قريباً الى الذين خدموا الكلمة ورأوها » (١) . فهو قبل كل شيء قد أفصح بأنه ما رأى الكلمة - يعنون بالكلمة المسيح - ثم ادعى انه رأى من رأى المسيح ، وليس هاهنا إلا دعوى بأنه رآهم ولو كان ثقة لما علم بخبره شيء ، ومع هذا فقد ذكر ان إنجيله أولى من إنجيل غيره / . فلو تأمل النصارى لعلموا انهم ليسوا على شيء من هذه الأناجيل التي معهم ، ولا معهم علم مما يدعيه اربابها

ب / ٧٣

(١) كتب الناسخ في الهامش : الأناجيل الأربعة

والواضعون لها ، وان الامر في ذلك على ما ذكرنا . وهو معلوم مذكور في انصرافهم عن ملة المسيح الى مذاهب الروم وتغريهم وتمجلمهم المنافع بسلطانهم واموالهم .

وقد كان بولص هذا يهودياً خبيثاً شريراً ، ساعياً في الشر ، ومعيناً للأشرار ، وناثراً في الفتن ، طالباً للرئاسة والدولة ، محتالاً فيها بكل وجه ، وكان يقال له وهو يهودي : شاؤول ، وكان يعين على النصارى . ثم خرج عن بيت المقدس وغاب غيبة طويلة ، وعاد الى بيت المقدس وأخذ يعين النصارى على اليهود ويقول لهم : قولوا كذا ، واصنعوا كذا ، وفارقوهم وقاربوا الامم التي تمادي اليهود . فقال له اليهود : كيف صرت نصرانياً وما الذي دعاك الى هنا ؟ فقال : الله تبارك وتعالى دعاني الى ذلك ، وكان من قصتي اني خرجت من بيت المقدس أريد دمشق ، فأدركني الليل بظلمته وهبت ريح عظيمة وذهب بصري ، وناداني الرب وقال لي : يا شاؤول أتلاطم الأشقاء تؤذي اصحاب ابني ؟ فقلت : يا رب قد تبت ، فقال لي : ان كان كما تقول فاذهب الى حايم اليهودي الكاهن ليرد اليك بصرك ، فذهبت اليه وخبرته ، فمسح يده على بصري فسقط منه مثل قشور البيض وفلوس السمك ، وأبصرت كما كنت ، وان الله استدعاني اليه الى السماء ، فأقمت عنده في السماء اربعة عشر يوماً ، ووصاني بأشياء كثيرة ، وقال لي : فيكم أموراً قبيحة لا اقولها لكم (١) .

فسخر منه اليهود وتمجبوا من حقه وقبحته ، وصاروا به الى صاحب

(١) جاء في المجيل لوقا : « اذ كان كثيرون قد اخذوا بتأليف قصة في الامور المتبقية عندنا كما سلمها الينا الذين كانوا منذ البدء معانين وخداماً للكلمة ، رأيت انا ايضاً اذ قد تتبعت كل شيء من الاول بتدقيق ، ان اكتب على التوالي اليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به » الاصحاح الاول ١ - ٥

قيصر ملك الروم عليهم ، وكانوا إذ ذاك / مغلوبين مع الروم . فقالوا له :
 أما تعرف شاؤول هذا ؟ فقال : بلى ، اعرفه بالشر وهو يجيئنا في السعيات
 بالناس . فقالوا له : انه قد ادعى كذا وكذا ، وذكروا له ما قال . فاغتاظ
 الرومي منه وأمر به فبطح ليضرب ، فقال له : اترضب روميًا ؟ فقال :
 أو رومي انت ؟ قال : نعم ، انا على دين قيصر ملك الروم وبريء من
 اليهودية ، فكف عنه لدخوله في دين الملك ، وقال له : ها هنا مركب يأخذ
 الى القسطنطينية وأنت رومي وعلى دين الروم ، فكن هناك ان كنت كما
 تقول ، فقال : افعل ، أنفذي الى بلاد الروم . فصار الى القسطنطينية ،
 وجرده الى الروم ، ولزم باب الملك وأغرى الروم باليهود ، وذكرهم عداوتهم
 لهم ، وما صنع بنو اسرائيل بهم ، ومن قتلوا منهم ، وخوفهم شر اليهود ،
 وانهم لا يأمنون دولتهم والكثرة عليهم ، وذكر لهم كثرة اموالهم .

ومن عادة الروم لا تحتجب نساؤهم عن الرجال ، وتركب امرأة الملك
 في موكب الملك مكشوفة الوجه ، وتخطب الناس ، وتأمر وتنهى ،
 فتقرب بولس هذا اليها وخاطبها في شأن اليهود . ومن عادة الروم أن لا يحل
 للرجل ان يتزوج بأكثر من امرأة واحدة ثم لا يفرق بينها طلاق ولا هرم
 ولا عيب من العيوب بوجه ولا سبب ، ولا يحل له غيرها الى ان تموت .
 ونساء الروم تبغضن ديانات الانبياء من بني اسرائيل لما فيها من إباحة الطلاق
 وأن للرجل ان يتزوج ما أطاق المؤونة .

فقيل الشاؤول : انت من امة هذا سبيلها ، فقال : لا ، وما يحل للرجل
 اكثر من امرأة واحدة على احكام الروم ، فنفق على النساء بهذا . وقرب من
 امرأة الملك فخطبت الملك في غزو بين اسرائيل ، وذكرت له ما يقول
 شاؤول ، وسألته ان يسمع منه ففعل . وتقرب اليهم / بأن تسمي بولص وهو

من اسماء الروم ، والروم تكره الختان شديداً في الرجال والنساء ، وتبعض الامم الذي تفعله . فقالوا لبولص في ذلك ، فقال : نعم ، هو ما ترون ، وما يجب عليكم ختان ، وإنما يجب على بني اسرائيل فانها امة قلفتها في قلوبها . والروم تأكل الخنزير ، فقال : ما هو حرام وما يحرم على الانسان شيء يدخل جوفه وإنما يحرم عليه الكذب الذي يخرج منه ، وبنو اسرائيل لا تأكل ذبائح الوثنيين ومن ليس من اهل الكتاب والروم ليس كذلك ، فصوتهم بولص في هذا ونفق عندهم بكل شيء وما خالفهم في شيء ، وكانت ديانات الروم اذ ذاك منشورة أكثرهم يعظم الكواكب ويعتقد فيها انها تحيي وتميت وتنفع وتضر ولهم عندها هياكل وقرايين ، ومنهم من كان على دين اليونانيين من ان هذه الكواكب حية ناطقة رازقة وهي الأرباب ، ويعتقدون صحة السحر ، بالجملة إن دياناتهم كلها باطلة ضعيفة فاسدة . وكان بولص يذكر لهم فضل المسيح وزهده وانه كان مجاب الدعوة وكان يحيي الموتى ، فكانوا يجمعون اليه ويستمعون منه ، وكان محتالاً لا خبيثاً ، وكان الروم تصلي الى مشرق الشمس ولا ترى وجوب الوضوء ولا غسل الجنابة ولا الحائض ولا التوقي من البول والغائط والدم ولا تراه فحشاً ، وان الروم تزوج الوثنيين وسائر الامم وبنو اسرائيل لا تفعل ذلك ، فقالت الروم لبولص في ذلك ، فقال : تزوج المؤمنة بالكافر فانها تطهره ولا ينجسها والولد بينها طاهر . وقال : هذا انما تحرمه التوراة ، والتوراة شر كلها واذا وضع عن الناس شرائع التوراة فقد كمل برّ الله وتم فضله . فاختلف بولص من ديانات المسيح / وصار الى ديانات الروم . فاذا تبينت الامر وجدت النصراني تروموا ورجعوا الى ديانات الروم ولم تجد الروم تنصروا .

ثم قبل الملوك سعائيات بولص باليهود واخذ برأيه فيهم ، فصار اليهم وقتل

منهم القتل العظيم واخذ امواهم واستصفاهم وعاد من عندهم بالرغائب ،
فقامت سوق بولص فيهم وازدادوا له حباً ، وهذا الملك الذي غزا بني
اسرائيل يقال له ططس^(١) . وقد كان للروم ملك يقال له بيلاطس خرج
الى الشام بعد المسيح عليه السلام وبعد اصحابه بالمدد الطويلة ، وكانت له
امرأة ببلاد الروم فماتت ، فأراد ان يتزوج امرأة مكانها ، ومن عادة الروم
ان يعترض الرجل المرأة اذا اراد التزويج ويُقلبها ويستقصي تفتيشها فإن
صلحت له تزوجها ، وان لم تصلح تركها . فوصف لبيلاطس امرأة بجران
يقال لها هيلانة^(٢) تكون في فندق بجران - والفندق هو الحان - فأشخصها
وقلبها وارتضاها وتزوجها - وكانت نصرانية - فحظيت عنده ، وسألته
إعزاز النصرارى والاحسان اليهم ، فقال لها : إن اليهود يزعمون ان اصحابك
هؤلاء اصحاب حيل وطلاب دنيا ورئاسة ، فقالت : كذبوا ، وانما اجيئك
بهم لتراهم . فآتته بجماعة من الرهبان وقالت له : انظر اليهم والى مسكنتهم
وضعفهم لتعلم كذب اليهود عليهم . فرحمهم ورق لهم وظن الجميل بهم ،
فأعزهم وصانهم ومكّن لهم في ممالكه بالشام وبلاد الروم ، واحسن اليهم ،
فانبسطوا وكثروا واستطالوا على اليهود / . وكان لهذا الملك اولاد من المرأة
التي كانت قبل هيلانة ، وولد له من هيلانة هذه ابن يقال له قسطنطينوس .
وقد كان امر بولص عظم ببلاد الروم مع العامة والغوغاء واستهواهم بما
يجري مجرى الرقى والطب والشعبذة والسحر ، والروم الارمن تصدق بهذا
كله وهي امة مفرطة الجهل بعيدة مما يستدرك بالفكر والنظر ، يغلب عليها

٧٥ / ب

(١) وقد ارسل بولس الى تيطس رسالته المشهورة حوالي سنة ٦٥ م

(٢) في الاصل : هيلانية

القدامة والبلادة سيما في العامة فهي لا تعرف إلا المهن والصنائع ، وان كانت
 ملوكها تتقدم في ظاهرها الحياة الدنيا وتدبير الملك . ففطن بعض ملوكهم
 لبولص وتصفح احواله وحصله . وعلم انه محتال بمخرق طالب دنيا ورئاسة ،
 فأحضره وسأله عن الختان فذمه وذم امله ومن يفعله فسأله عن المسيح هل
 اختن ؟ وهل كان مختوناً ؟ وهل كان اصحابه من الحواريين كذلك ؟ قال :
 نعم ثم كشف عنه فإذا هو مختون ، ووجده قد ساعد الروم في دياناتها وهي
 خلاف ديانات المسيح واصحابه وانها كفر وضلال عند المسيح واصحابه ، وقد
 كان اصحاب بولص في رجله داء الفيل وهو يدعي انه يطب ويبرئ . فأمر
 الملك به فصنع وحلقت لحيته وصلب . فقال لهم : لا تصلبوني طولاً كما صلب
 ربنا المسيح ، ولكن اصلبوني عرضاً . والملك الذي صنع هذا ببولص يقال له
 بيريئ ، ففترت النصرانية ببلاد الروم وانكسروا . وملك اولاد بيلاطس
 بعده ، وانتهى الملك الى ابنه قسطنطينوس ، وكان ظاهره على ديانات الروم
 غير ان والدته هيلانة هذه قد / غذته بحب الصليب ، وعودته عادة النصراري
 وما يقولونه في المسيح ، وظهر في جسمه برص وكانت الروم لا تملك عليها
 من به برص ، بل كان محرماً عندها تملك البرص . فغمه ذلك وأمه وكنمه
 وانطوى على قمع الروم وصرفها عن هذا الرأي في كراهة تملك البرص ،
 وكانت تغزوهم امم فاتفق غزو السرجان والبربر إياهم فعبأ عساكره
 على هياكل الكواكب ، وقصد الى مشيخة الروم والراسخين في ديانات الروم
 وانقذهم الى العدو ، ولم يستظهر لهم على عدوهم بالمكائد والجواسيس كما يفعل
 الملوك ومن يدبر العساكر فتم عليهم ما يكرهون من القتل وانهم من بقي
 فكان يظهر الحزن والكآبة ويقول : قد استظهرنا وعبأنا على هياكل الكواكب
 التي تعظمها وقد عظمتها آباؤنا قبلنا ، وقربنا لها الهرايين ، وما نراها تنفعنا

ولا تغني عنا ، وما زال يدبرهم بهذا التدبير ويقول هذا القول ، وانه ما ينبغي ان يعبد احد ما لا ينفعه ، وهذا وقت الحاجة واوان الشدة فما تدفع هذه الكواكب عنا ، فينبغي ان يستبصر الانسان ويعبد ما ينفعه ويدفع عنه . ثم قال : ها هنا امرأة رأت في منامها قائلاً يقول لها استنصروا بهذا ، واخرج اليهم صليبا . واتفق موت امير الجند الذي غزاهم فانصرفوا عنهم ، فقال هو ومن كان على رأيه وهواه هذا ببركة الصليب . وكانت عادة الروم ان تجعل على راياتها الألهة وما هو على صورة الهلال تبركاً بالقمر والنجوم ولأن القمر / اخف الكواكب سيراً ، فحطوها وجعلوا مكانها الصليبان فهم على هذا الى هذه الغاية .

٧٦ / ب

ثم ابتداء في التدبير في نقل الروم عن تعظيم الكواكب الى تعظيم الصليبان ، وكان الفلاسفة في بلدهم كثيرين ، وكانوا يعظمون الكواكب ، ويدعون انها حية ناطقة ، ويستطيبلون على الناس ، ويدلون على الملوك ، ويدعون انهم أخص الخاصة ، ولا يتكسبون ، ويعتادون البطالة ، ويعولون على اموال الناس ، ويفسدون الأحداث ومن يصغي اليهم من ملك او سوقة ، ويدعون العزائم والطلسمات وانهم ينفعون بها ويضرون ، وانهم يدركون علم المغيبات بصنعة النجوم ، ويهولون بالهندسة والأشكال . وكان قسطنطينوس هذا خبيراً مفكراً صبوراً متصفحاً امر هؤلاء الفلاسفة وما يدعونه في النجوم والطلسمات فوجده باطلاً كله ، وجد القوم محتالين ممخرقين ومفسدين ، فابتداء في قتلهم على طبقاتهم ، وفي احراق كتبهم وابطال هياكلهم . فكثت على ذلك حتى خلت أبلنته منهم ، وكانت مدينة الفلاسفة فما بقي منها إلا حراث وديباغ وصباغ ، وجمل الهياكل التي كانت للكواكب بيماً ، وأسكنها الرهبان وقال : هؤلاء المساكين أرجى من اولئك الجهال المخرقين الكذابين ، وسلط

الرهبان والعامّة عليهم في كل مكان ، لا يظهرون بكتاب طب ولا هندسة إلا
أحرق وبادر على من كان على رأي الفلاسفة فتمراً منهم ، وأعان عليهم ،
وانبسطت أمه هيلانة في ذلك ، وبسطت الرهبان والنصارى / واستعدتهم^(١)
من كل مكان فجعلتهم اصحاب اخبار لابنها وأعواناً ، واستظهرت بهم ،
واظهر هو تعظيم المسيح والصليب ، وأقام ديانات الروم على حالها كما كانت
من الصلاة الى المشرق وغيرها مما تقدم ذكره ، فما أزال إلا عبادة الكواكب
وما زاد إلا تعظيم المسيح والقول بربوبيته ، وتعظيم الصليب . ولم يكن هذا
بالبعيد عن الروم لأن من اعتقد في الكواكب وهي جماد موات أنها أرباب
وتنفع وتضر لم يبعد عنهم ان يقولوا في انسان حي عاقل يميز قد قيل لهم انه
كان يجيي الموتى ، وانه إله ، وانه وابوه وزوجته خلقوا الكواكب . وكان
هذا سهلاً على اهل المغرب ، ألا ترى ان القبط ومن بصر كانوا يعقدون إلهية
فرعون وانه لا إله لهم غيره . وسار قسطنطينوس هذا الى الجزيرة فقصد حرّان
وأعمالها وكانوا في تعظيم الكواكب أشدّ مما كان بأثينية وبلاد الروم ، فوضع
فيهم السيف حتى أبادهم ، وهرب من هرب منهم في الجبال فطلبهم بنفسه ،
وكانوا يعيبون البرص فكان له فيهم فضل حرص ، فقال له قواده : لا تبعث
في طلبهم فان الثلج الذي في هذه الجبال سيهلكهم ، فان بقيت منهم بقية
جعلناهم حجاجين للروم وجميع النصارى واصحاب الصوامع والرهبان ليعرف
منهم حقيقة النصرانية وما ينبغي ان يقرر بما يؤخذ الناس به فلا يتجاوزونهم ،
وان من تجاوزه قتل . فاجتمع عنده نحو ألفين من رؤسائهم وقرّر أشياء

(١) استعداه : استغاثه . انظر القاموس المحيط

من تسبيحة الإيمان ، وكان فيهم من يخالف اولئك ويقول : كلمة الله / مخلوقة وان المسيح كلمة الله وكان هناك إيرلئس ومقدنيوس ، وأوثامس ، وأولوفريانوس واصحابهم ، ممن يقول : الكلمة مخلوقة وكلام الله وقوله خلق من خلقه ، فمشغبوا عليهم ووقف الأمر وبطل ذلك التقرير .

ثم اجتمع بعد ذلك ثلثمائة وثمانية عشر رجلاً بنيقية من بلاد الروم وعملوا تسبيحة ايمانهم التي قد ذكرت ، فاتوا بها قسطنطينوس فأخذها وعمل عليها وأخذ الناس بها فمن لم يقبلها قتله . فاحتاج اولئك ان يظهروا قبولها خوف السيف ، وأبطل ما سواها عن التقرير ، وحصل من كان على دين المسيح في كل مكروه ، واخذوا بتعظيم الصليب وأكل الخنزير وديانات الروم ، وكان من لا يأكله يقتل .

وكان في الصابئين من اهل حران من لا يأكل الباقلاء ويزعم انه عدو للفلك لأنه مكعب والفلك كروي ، فكان يطبخ الباقلاء في ابواب البيع ويجمع الناس إليها ويقال لهم : اخرجوا ولا يبقى منكم احد إلا اكل الباقلاء ومن لم يأكله قتل ورمى برأسه ، وهناك سيافة قد جردوا سيوفهم فمن لم يأكله قتلوه .

ولم يزل قسطنطينوس في الملك خمسين سنة مشغولاً بقتل من لم يعظم الصليب ولم يقل بربوبية المسيح حتى تأكد ذلك وتمكن ، وأوصى الملوك بعده بذلك وأكد عليهم وعهد فيه اليهم وقال : هو أولى من تعظيم الكواكب وآراء الفلاسفة ، وأوثق هذا العهد على اولاده وقواده واوليائه وجعل الملك في اولاده . والروم يصفونه بالحزم والشهامة / وانه فيهم كاردشير بن بابل^(١)

(١) ذكر الطبري ملكين من ملوك فارس بهذا الاسم، احدهما: اردشير بن بابك بن ساسان =

ملك فارس في الفرس . وقام اولاده بعده في الملك فأكدوا عهوده وقرروا في كل حين شيئاً بعد شيء في التصرانية الى ان جاء ملك منهم فرأى ان يجعل يوم الأحد عيداً لهم يجتمعون فيه كما لليهود يوم السبت ، وكان هذا بعد قسطنطينوس بالدهر الطويل . وعملوا لذلك سنهوس ، وكان للروم واليونان عيداً يسمونه ميلاد الزمان وهو عند رجوع الشمس في كانون ، فجعلوه ميلاد المسيح وزادوا ونقصوا ، وهو عيد لهم عظيم وهو الذي يقيمه النصارى ويسمونه الميلاد وليلة الميلاد وهذا سببه وأصله ، وما كانت النصارى في زمن المسيح واصحابه من بعده يعرفون هذا العيد ولا يقيمونه . وكان للروم والصابئين ايام يصومونها تجرى مجرى التقرب الى الكواكب يسكون فيها عن اكل اللحم ، فلما صاروا الى القول بالهية المسيح أقاموها ثم زادوا فيها من اشياء ونقصوا ، وهم اليوم يصومونها خمسين يوماً الى زوال الشمس ثم يفطرون في بعض الأيام ، هكذا يصومون ببلاد الروم .

والروم هم الأصل في هذه الطوائف الثلاثة من النصارى ، ثم تفرعت منهم اليعقوبية اصحاب يعقوب ، ثم من بعد اليعقوبية النسطورية وهم اصحاب نسطورس وهم يختلفون في الصيام ، فإن هؤلاء الذين بالعراق لا يصومون في كل يوم نصفه كما تصوم الروم ، ولهم ايام ، أعني الذين ببلاد الاسلام ، ينظرون فيها بعد صلاة العصر يتحسون الخمر في البيعة وهو القربان عندهم ، وقد قال بولص : إن دم هذا الشراب هو دم الرب وهذا / البرشان هو لحم الرب فمن

٧٨ / ب

=ابن عم دارا بن دارا والمطالب بدمه وهو من ملوك فارس الاوائل والموصوفين بالشدة والشجاعة . وقانيها اردشير بن هرمز بن ترسي بن بهرام بن هرمز بن ساسويو بن اردشير بن بابك وهو احد احفاد اردشير الاول ، وقد وصف بالبطش والشجاعة ايضاً . والاول اكثر شدة ولعله هو المقصود هنا .

ارتاب في ان هذا لحم الرب ودمه فلا يأخذه ولا يذقه وان ذلك لا يحل له .
والبرشان (١) هي اقراص تخبز وتحمل الى البيعة وتثرذ في الخمر وقوكل تقرباً .

والمسيح عليه السلام ما صام هو وأصحابه إلا الصوم الذي صامه
بنو اسرائيل .

قالت هذه الطوائف من النصارى : إن كان المسيح ما صام هذه الايام
الخمسين فقد صام حين اسره الشيطان اربعين يوماً بلياليها فجعلناها نحن خمسين
يوماً ، قلنا : هبنا صدقناكم في ذلك فمن اين وجب عليكم مثل ذلك وانتم
تقولون ان موسى صام ثمانين يوماً بلياليها فلم يطعم فيها شيئاً البتة وكان ذلك
في دفعتين ، وزعمتم ان ايليا (٢) صام اربعين يوماً بلياليها فما وجب على قوم
موسى الصيام الذي صامه موسى ولا عليكم صيام ذلك . وبعد ، فقد عاد
المسيح اليكم حين اطلقه الشيطان وبقي معكم فما صام صومكم هذا ولا امركم به
ولا صام هو واصحابه إلا صوم بني اسرائيل ، فمعلتم الصوم الذي تعلمونه
يقيناً وصتم صوماً ما صامه ولا امركم به .

وفي انجيلهم ان الشيطان اسر المسيح وحصره اربعين يوماً ليتمتعنه ،
وان المسيح امسك عن الأكل والشرب خوفاً من ان تتم عليه حيلة الشيطان ،
وانه قال له وهو معه وفي يده : إن كنت ابن الله فقل لهذه الصخور تصير
خبزاً ، فقال له المسيح مجيباً : أن مكتوب أن حياة الانسان لا تكون بالخبز
بل بكل كلمة تخرج من الله . ثم ساقه الشيطان الى مدينة بيت المقدس فأقامه

(١) كتب في الاصل في الحاشية : البرشان

(٢) في الاصل : اليا

على قرنة الهيكل وقال له : إن كنت ابن الله فارم نفسك / من هنا فإنه مكتوب ان الملائكة توكل بك فلا تعثر رجلك بالحجر ، قال المسيح : ومكتوب لا تجرب الله إهلك . ثم ساقه الى جبل عال فأراه جميع ممالك الدنيا وزخرفتها وقال له : إن خررت على وجهك لي ساجداً جعلت هذه الدنيا كلها لك كما جعلتها لمن قبلك ، فقال له المسيح : اغرب ايها الشيطان فإنه مكتوب اسجد للرب إهلك . ثم بعث الله ملكاً اقتلع الشيطان من مكانه ورماه الى البحر وأطلق السبيل للمسيح (١) . فهذا من الجهل الذي خبرتك انه مكتوب في اناجيلهم وهو زعموا حجتهم في صومهم ، فهل سمعت بشيطان يأسر إلهه ويحصره وينقله من مكان الى مكان ويطمع في إلهه ان يستعبده والشيطان لا يقدر ان يأخذ حمار اليهودي ، وعند النصارى انه قد اخذ ربه الى ان جاء الملك فخلصه وفك اسره . وعند النصارى ان المسيح لما ظهر ربط الشيطان عن الخلق وأطفأ نائرتة وأزال اذاه وشره ، وها هنا يقولون اشد ما كان قوة عليه وتسلطاً عليه وهو ربه وإلهه ، ففكر واعجب .

وكان للروم والصابئين دخن ونجورات في الهياكل للكواكب والأصنام ،

(١) جاء في انجيل متى : « ثم اصعد يسوع الى البرية من الروح ليجرب من ابليس ، فبعدهما صام اربعين نهاراً واربعين ليلة جاع اخيراً . فتقدم اليه الجرب وقال له : ان كنت ابن الله فقل ان تصير هذه الحجارة خبزاً ، فأجاب وقال : مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله . ثم اخذه ابليس الى المدينة المقدسة وارقفه على جناح الهيكل وقال له : ان كنت ابن الله فاطرح نفسك الى اسفل لأنه مكتوب انه يوصي ملائكته بك فعلى ايادهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك ، قال له يسوع : مكتوب ايضاً لا تجرب الرب إهلك . ثم اخذه ايضاً ابليس الى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له : اعطيك هذه جميعها ان خررت وسجدت لي ، حينئذ قال له يسوع : اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إهلك تسجد واياه وحده تعبد » الاصحاح الرابع من انجيل متى .

وهي قائمة عند النصارى ما عطلوها ، وهي في البيع يسمونها دخنة مريم
وبخور مريم ، وما عرفته مريم ولا المسيح ساعة قط ولا اصحابه ، ولا
استعملوا ذلك ، فجعلوا هذا بخور مريم كما جعلوا صومهم للمسيح ، وكما جعلوا
الحجر والقربان لحمه ودمه .

ب / ٧٩

وكانت الروم مع عبادتها الكواكب تعظم الأصنام وتصورها في الهياكل ،
فبقيت على ذلك / بعد اجابتها الى تعظيم الصليب ، وما كان منهم في ذلك
قصور ، والمسيح وأمه وأصحابه عوضاً من تلك الأصنام . ثم تركوها شيئاً
شيئاً على الايام والدهور .

وهم كانوا يستبيحون الزنا ولا يمتنعون منه فيقوا على ذلك بعد تعظيم المسيح
فهو مبثوث بينهم وفي مدنها وأسواقهم منتشر ، يقولون : المرأة اذا لم يكن
لها زوج ولم تختز الزواج وآثرت الزنى فهي املك بنفسها ولها ان تفعل
ذلك ، والملك يسمر ذلك ، ويقيم له الحكام والولاية فلكل إزالة تكون من
الرجل فلس واحد ، وكل اربعة افلس قيمتها دانق فضة . وللقحاب في
بلدانهم اسواق كثيرة ، ولهن دكاكين ، ففتح حانوتها وتزين وتجلس على بابه
بارزة مكشوفة . وليس عندهم في كشف السوءة والعورة من الرجال والنساء
تحريم ولا خطر ، بل المرأة الحرة منهم تزف الى زوجها راكية فتمر بالناس
في الاسواق مكشوفة الوجه والرأس ، وقد ارسلت ضفائرها وتجذلت بها ،
وأبدت محاسنها كلها لينظر كل احد اليها ، ويقال ان الغالب على ذوات
الازواج العفاف ، فأما من ليست بزوج فحالها كما وصفنا ، وربما كانت تزني
في بيت ابويها ، ومن جاء من هؤلاء الزواني بولد حملته الى البيعة ان شئت
وسلمته الى البطريرك والمطران والقس ، وقالت : قد وهبت هذا للمسيح
ليكون خادماً له وقيماً في البيعة ، فيجزونها خيراً ويقولون لها : قديسة

طاهرة مباركة ، هنيئاً لك رضى المسيح وثوابه ويدعو الناس لها ويهنئونها
بالثواب ، وهناك من المرضعات والكاملات لمثل اولاد (١) الزنا هؤلاء
جماعة .

٨٠ / أ

وهم يأبون الختان ، / ويخصون الاطفال ، وإذا سبوا المسلمين نظروا الى
اطفالهم فخصوا منهم القطمان الكبيرة وألقوهم ، فيموت منهم الكثير . وهم
يدعون الرأفة والرحمة وكانوا في اول الاسلام يحترزون على الاسارى لقوة
الاسلام وضعفهم ليفادوا بهم ، فلما ساءت سيرة ملوك الاسلام وقلت مبالاتهم
به ، وصار يفزوهم مثل علي بن حمدان (٢) سيف الدولة ، ومن بصر اعداء
المسلمين يقبضون اوقاف الثغور ، هان المسلمون على الروم ، وهم يقولون دولة
الاسلام قد زالت منذ نحو ثمانين سنة ، وأنت اليوم في نحو سنة خمس وثمانين
وثلاثمائة .

ثم عدت الى ذكر سيرة النصارى ، وليس الخصاص من شريعة التوراة ولا
إباحة الزنا لتعلم ان الروم ما تنصرت ولا اجابت المسيح ، بل النصارى ترومت
وارتدات عن دين المسيح وعطلت اصوله وفروعه وصارت الى ديات اعدائه
وهو ما عليه هذه الطوائف الثلاث من النصارى ، فعملوا هذا طلباً للرئاسة
وعاجل الدنيا كما قد وجدته في كتبهم وفي إقرارهم مما تقدم ذكره لك .

(١) في الاصل : هؤلاء اولاد

(٢) علي بن حمدان سيف الدولة : يقصد علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي ، ابو الحسن ،
سيف الدولة الحمداني ، كلف شجاعاً مهذباً عالي الهمة ، اجتمع على بابه عدد كبير من شيوخ العلم
والادب وكان له مع الروم وقائع كثيرة . ويظهر ان حملة القاضي عليه لأنه كان على خلاف مع
البويهيين الذين كانوا يحكون مقر الخلافة العباسية والمشرق الاسلامي وكانت له معهم وقائع
وحروب ايضاً ، فالقاضي هنا ينتصر لحكومته وسلطانه .

وهذا التثليث الذي للنصارى قد كانت فلاسفة الروم تنحو نحوه من ان العقل والعامل والمعقول تصير شيئاً واحداً ، ويقولون : هو من المثلث ، وهو من فيلسوف قديم ^(١) . وقد قال رسول الله ﷺ : « حب الدنيا رأس كل خطيئة ^(٢) » وقال كعب بن مالك الانصاري سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما ذئبان جائعان ارسلا في زريبة غم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » وقال ابن عمر : قال / رسول الله ﷺ : ما ذئبان ضاريان في حظيرة وثيقة يأكلان ويفريان ^(٣) بأسرع هلاكاً من حب الشرف والمال في دين المرء المسلم ^(٤) .

٨٠ / ب

ومثل صنيع بولص مع الروم في مساعدتهم على دينهم ومفارقة دين المسيح صنع ماني القس، وهو رئيس المانائية ^(٥)، وهذا كان بعد بولص بالدهر الطويل، وكانت له الرئاسة ، وصار مطراناً على النصارى بالعراق في مملكة الفرس بعد ان كان قساً ، واختلط بالفرس ، ومدح الانوار وذم الظلام على ما يذهب اليه المجوس ، ومدح زرادشت نبي المجوس ، وقال : النور اختاره وأرسله

(١) يقصد هرمس المثلث، وكان كتاب الطبقات المسلمون يذكرون ثلاثة اشخاص بهذا الاسم: اولهم هرمس الذي كان قبل الطوفان، وهو اول من تكلم في الاشياء العلوية من الحركات النجومية وينسبون له اموراً كثيرة، ثم هرمس الثاني: من اهل بابل وكان بارعاً في علم الطب والفلسفة وطبائع الاعداد وتلميذ فيثاغورس الارمطاقي . وأخيراً هرمس الثالث ويسمى ايضاً هرمس المثلث الحكمة ، وكان فيلسوفاً طبيباً ويظهر ان هذا هو المقصود هنا . انظر طبقات الاطباء لابن جلجل ٥ - ١٠ ، وطبقات الحكماء لابن القفطي ٣٤٦ - ٣٤٩ ، والفهرست لابن النديم ٥٠٨ تجارية .

(٢) من حديث انس رضي الله عنه ، اخرجه رزين . انظر تيسير الوصول ١١٠

(٣) يفرى : يهلك

(٤) رواه الامام احمد بن مسند والترمذي عن كعب بن مالك باسناد صحيح . النادي على

الجامع الصغير ٥ : ٤٤٥

(٥) سبق التعريف بماني والمانائية

الى المشرق ، وأرسل المسيح الى الغرب . وذم ابراهيم وإسماعيل والانبياء الذين صدقهم المسيح ، وكانت الفرس تبرا منهم ، فساعدهم ماني وتقرب اليهم بدمهم وقال : الشيطان ارسلهم ، وكان من يكتب : من ماني عبد اليسوع كما كان بولص يكتب ، وكان يتشبه به ويقفوا اثره . وأخذ الأبتساق وهو كتاب زرادشت نبيّ المجوس^(١) ، وهو كتاب ليس بلغة الفرس ولا بلغة من اللغات البتة ، ولا يدري احد ما هو وهو الزمرمة ، وإنما يحكون لفظه وإن كانوا لا يدرون ما هو . فادعى ماني القس انه قد وقف عليه وعلم ما هو ، وادعى ماني انه رسول النور ، فوضع لهم جهالات ، وقال : هذا تفسير الأبتساق ، واستهوا العامة وقامت سوقه فيهم وأطاعوه ، وادعوا له بالمعجزات والآيات . فأخذه بعض ملوك الفرس ليتمحنه ، وفتش عن احواله ، فاذا هو كذاب ومبرق طالب رئاسة يتقرب الى الفرس / والمجوس بما يهونونه لينفق عليهم مما ليس هو من دين المسيح ، فقتله كما فعل ذلك الملك ببولص . وبقي اصحاب ماني بعده يدعون نبوته ويقررون رسائله وإنجيله ، ولعل رسائله تزيد على السليحين ورسائل بولص ، وكثير من هذه الطوائف الثلاث يعتقد مذهبه وما يكاد يظهره خوفاً من النصارى ومن المسلمين بمن منهم في بلاد الاسلام ، لأنه لا ذمة للمنازية عند المسلمين^(٢) .

أ / ٨١

ومن سيرتهم ان النساء الديرايات العابدات ومن انقطع الي البيع والعبادة،

(١) في الاصل على هامش الصفحة كتب احد قراء التثييت « الأبتساق كتاب زرادشت » ، وقد سبق التعريف بالمجوس وعقيدتهم .

(٢) في الاصل على هامش الصفحة كتب احد قراء التثييت « لا ذمة للمنازية عند المسلمين » ، وقد سبق التعريف بهذه التحلة .

يظفن على العزّاب والرهبان ، ويخرجن الى الحصون التي فيها الرجال العزّاب
بييعون لمن انفسهن ابتغاء وجه الله والدار الآخرة والرحمة بالعزّاب ، ومن
فعل هذا منهم كان عندهن مشكوراً محموداً على هذا الفعل ويدعا له ، ويقال
لها : لا ينسى لك المسيح هذه الرأفة والرحمة .

وعندهم انه لا يحل للرجل اكثر من امرأة واحدة ، ولا يحل له أن يتسرى
ولا يظأ بملك اليمين ، فإن صادق امرأة أو خادمة لم يكن بذلك بأس ولا
عار ، وهذا مشهور ببلاد الروم كشهرة الزنى .

ولقد تحدث مصبح الطائي ، وأبو عبد الله الحسين بن الصقر ، وعبد الرحمن
صاحب ابن الزيات وغيرهم من الغزاة ، ومن اقام بالقسطنطينية السنين الكثيرة
في الأسر وغير الأسر ، فإنهم لطول الشقاء وعدم من بعثت المسلمين في فداء
او غزو ، اظهروا النصرانية تقية ، وانتشروا بينهم ، واختلطوا بهم .
فحدث من حدث منهم بعض من تنصر من الشجعان بعد الشدة وطول الشقاء ،
قال : فأعطاني الملك وأجزل وقال لخدمه وأعوانه : / انظروا لهؤلاء المتنصرة
نساء من ذوي اليسار يتزوجون بهن لتحسن احوالهم ، فقال رجل منهم :
فلانة قد مات ابوها ، ولها ضيمة ومواش وأموال كثيرة تزوجها بهذا ،
وأشار اليّ ، فزوجوني بها . فاذا هناك جمال ومال كثير فأقت معها مسروراً
ثم ضرب الملك بعثا على جماعة انا منهم ليخرج الى مكان فيه زرع مستحصد
يخاف عليه العدو أن يمنعهم منه ، ويكون مقامنا اربعين يوماً ، ثم يأتي بعدنا
عسكر يقوم مقامنا ونرجع الى اهلنا . فخرجنا ، وأقمنا هذه المدة ، ثم جاء
العسكر فسألت بعض الواردين عن اهلي ومنزلي ، فقال لي : قد تزوجت
امراتك بعد خروجك ، فاستثبت ذلك جيداً ممن ورد فأخبرت بهذا ،

فأخذني ما أقامني وأقعدني ؛ فلما رجعت الى البلد عدلت عن منزلي ونزلت سوق الدواب ، فسأل اهلي عن الواردين من اهل عسكرنا فأخبروم بسلامتي وورودي ، فتعرفوا مكاني فإذا ام امرأتي قد جاءتني ومعها موكب عظيم من نساء الجيران عليهن البزة الفاخرة والحلي ، فقالت لي حماتي : ما لك عدلت عن منزلك وأهلك ونزلت ها هنا ونحن نتعرف أخبارك ونشتاقك ، فقلت : وما اصنع بامرأة غبت عنها فتزوجت بعدي ، أنا عليّ أن ادخل على الملك واكسر بحضرتة سيفي وأقطع زناري وأعرفه ما جرى عليّ . فقالت (١) لي اخطأ من قال هذا ، ما تزوجت امرأتك وكيف تتزوج رومية بزوجين ، إنما ذلك صديقها ، لما غبت جاء وتزل عندها . فلما علمنا بقدمك حمل فراشه وانصرف ، واستشهدت بأولئك النسوة والجيران ، فشهدن انه ليس بزوج وإنما هو صديقها ، وإذا ليس / عندهم ان بهذا بأساً ولا عاراً . ثم اقبلت حماتي تقول : لي قم الى بيتك فانظر الى المكثور والنيذ وما خلفته تجده لم ينقص بل هو محفوظ موفر ، وإذا هي تبشرني [فيما إذا] (٢) أن صديق امرأتي قد كفاني مؤونتها في غيبي وتسرني بهذا أوتمن به عليّ . وقال اولئك النساء وهن حليلات وأزواج كبار الناس ، قم عافاك الله الى بيتك ، فماها هنا شيء يكره ولا ينكر ، فقمتم وحملت اثقالي وصرت الى منزلي وأنا مقم على امرأتي ، وما اجد شيئاً ، وزالت الغيرة . ثم قال يا ابا الفتح : ما يدخل احد بلاد الروم إلا وقد طابت نفسه باتخاذ امرأته الأصدقاء ، وزال عما كان عليه وامحت الغيرة من قلبه ، وزال عن الحمية وما كان عليه وهو مسلم .

٨٢ / أ

(١) في الاصل : فقال لي

(٢) هكذا وردت العبارة في الاصل

فإن قالوا : مبتدع في دين النصرانية كما مثل ذلك مبتدع في الاسلام ،
قيل له : إن الروم قد كانت قبل التنصر تأكل الخنزير ، وتستعمل الخصاء ،
وتغزو الامم ، وتسيي وقتل وتسرقت ، وترى في الزنا ما قد ذكرنا ، وتسير
السيرة التي وصفنا . ولما تنصرت دامت على تلك السيرة فما زابتها ولا زالت
عنها ، فمتى كان هذا الابتداع . ولا فرق بين من ادعى هذا ، وادعى ان
الروم كانت على خلافه ورجعت اليه لما تنصرت ، ومن انتهى الى هذا فقد
جحد وكابر وليس مع المكابرة مناظرة .

وبما يحتج به النصارى وهو اكبر شبههم في دينهم ، وأجل ما يلجئون
اليه ، وهو عمدة الخواص والعوام منهم ، ان يقولوا : النصرانية دين صعب
ضيق ، قد أجابت اليه الأمم الكبيرة والملوك بلا إكراه ولا سيف ولا قهر
ولا غلبة ، وما كانوا ليجيبوا الى ذلك إلا بالآيات والمعجزات التي ظهرت على
أيدي / الدعاة اليها من الرهبان والرواهب .

قيل له : قد بيتنا وعُرف تبديل النصارى لدين المسيح وميلهم الى ملوك
الروم ، وقد شرحنا ذلك وعرفناه ، فلا نجد إلا النصارى ترومت ولم تنتصر
الروم . وأصل طوائفكم هم الروم ، فهذا شاف كاف . ولو لم نعلم هذا وكيف
الحيلة فيه من اوله الى آخره لما كان يشكل علينا ايضاً بطلان هذا الاحتجاج
وقساده ، وأن اهل هذا الدين لا يظهر الله على ايديهم معجزة ، ولا ينقض
على يد احد منهم عادة ؛ كيف والمعجزات لا تكون إلا للأنبياء عليهم السلام
وفي زمانهم .

ثم يقال للنصارى : إنكم ادعيتم الصحة لدينكم بالكثرة والملوك الذين
تدينوا بدينكم ، والكثرة لا تكون دلالة في صحة الديانة ، وإنما يدل على

صحة الديانة الحجة والبرهان لا غير ذلك ، سواء كان اهل ذلك الدين قليلا
او كثيراً . وقد كان المسيح ومن اتبعه قليلا والروم واليهود هم الاكثر
وأصحاب الملك ، فيدل هذا على قياسكم انه لم يكن له معجزة . ثم يقال لهم :
انتم تدعون المعجزات والآيات لرهبانكم ورواهبكم ورؤسائكم في كل زمان
وأنها لا تنقطع ولا ترتفع ، وها انتم قد أجبتم الى هذه الديانة ولم تروا معجزة
ولا آية ، فكذا من قبلكم قد أجاب على هذه الصفة وفي هذا أتم كفاية لمن
أراد الحق .

وهم في كل حين يجتمعون اذا ارادوا امر تحليل شيء او تحريمه ، ويكون
لهم فيه سنهودس^(١) ، وتفسيره الاجتماع للتقرير ، فيفعلون ذلك ، فاذا تقادم
عهده ، قالوا : هذا ما حرّمته تلك الجماعة إلا بظهور آية او معجزة /
ألا ترى ان الجثقة والمطرنة^(٢) قد كانت جائزة عندهم فيمن له الأهل والولد ،
فصار الجثقة والرؤساء يعملون الرئاسة في اولادهم ويوصون بها في ذريتهم ،
فاجتمع النصارى وعقدوا تحريمها فيمن له اهل وولد وعرف التزويج ، فصار
ذلك ديناً لهم فاجتمعوا عليه وعملوا به من غير آية ولا معجزة .

وقد كان تزويج الأختين بالأخوين مباحاً عندهم ، فجرى من أختين كانتا
عند اخوين عداوة ادت الى معاداة بين الأخوين ، فاجتمعوا وحرّموا ذلك ،
وصار لهم ديناً يعملون به وان لم يروا فيه آية ولا معجزة . وقد كان تزويج
بنت الأخ عندهم مباحاً فجرى فيه نسب استنصر به بعضهم ، فاجتمعوا

(١) كتب في الحاشية : تفسير سنهودس

(٢) الجاثليق بفتح الفاء : رئيس للنصارى يكون تحت يد بطريق انطاكية ، ثم المطران

تحت يده ، ثم الاسقف ، ثم القسيس ، ثم الشماس .

وحرّموا ذلك ، فصار لهم ديناً بغير آية ولا معجزة . وهذا منه ما فعلوه قريباً وفي الاسلام في دولة بني العباس . ومثل ما فعل مطران سمرقند فانه حرم على اهلها الفراه و زعم ان روح القدس تنزل في هذه الحمامة ، فقبلوا ذلك منه وصبروه ديناً .

واذا اختلطت بهم وفتشتهم ودخلت بينهم ولا بست الجناقة والرهبان وجدت هناك من الكذب والجهل والحرص على الدنيا وطلب الرئاسة والجمع والمنع أموراً كثيرة ، فان الواحد منهم يترهب وما معه شيء ويصير كلا على غيره ، وما تمر الأيام حتى صار ذا مال كثير حتى ربما مات عن عشرات الوف ، ثم يقال لهم : انتم طوائف كثيرة وبينكم خلاف كبير في اصل الديانة ، تضلل فيه الملكية اليعقوبية ، وكذا النسطورية لا ترضى مذاهب الملكية واليعقوبية ، وكل هذه الطوائف تدعى لرهبانها / ورواهبها ورؤسائها المعجزات والآيات ، وكذا المنازبة ، فعلى قياسهم الحق في طائفة واحدة والباقية كذبت فيما تدعيه لهم .

ب / ٨٣

وقد قال بعض الحكماء ها هنا ديانات ومقالات تعرف كذب اهلها بأدنى تأمل :

منها : النصرانية ، فانهم يدعون الآيات لكبرائهم ، وانها لا تنقطع في زمان من الأزمنة ، وان الذين اجابوا الى النصرانية انما اجابوا بالمعجزات ، فيقال لهم : أنتم اجبتم اليها ولم تروا آية ولا معجزة .

ومنها ، اصحاب النجوم ، فانهم يخرقون ويدعون بالاصابات لأوائلمهم ، فيقولون : حكم جانان لكسرى بالدول وانتقالها ، وللملوك في مواليدهما ، فما أخطأ في حرف واحد ، وكذا كنكه منجم الهند للملوك الهند ، وكذا

ذوروثيوس لملوك الروم ، وبطليموس لملوك القبط (١) . وربما عملوا بذلك كتباً ، وقصدوا الى دول وبمالك قد كانت ، ووجدت ، وعرفت الحوادث فيها وأعمار ملوكها الخاصة والعامة ، فيذكرون الجمل منها ولا يفصحون بأسماء ملوكها ، لئلا يعرف فيه كذبيهم . فيقرأ هذه الكتب والدفاتر الغرّة الغافل عن احتيال المحتالين او تقرأ عليه ، فيظن ان هذا قد ذكره المنجمون في سالف العصر قبل ان يكون ، فيعتقد في أحكام النجوم الصدق ، وان اهلها قد تكلموا بعلم . فيقال لهم : إن الكواكب والسماء ما ارتفعت ولا زالت ولا انتقضت ، وهي كما كانت ، فهاتوا واخبرونا عما سيكون ، او عما قد كان ووجد مما تشاهدونه بعيونكم ، وتلمسونه بأيديكم ، فإننا نعمد الى دفتر ضخم مكتوب فيه فنقول لحذاقكم : خذوا طوابعكم وأخبرونا / كم ورقة هو ، وكم سطر في كل ورقة فإننا نجد كذبكم فيه عياناً وحساً ، وما تحتاجون الى الإخبار عن نجم يطلع بعد سنة او عشرين سنة ، وتخبرونا عن تلك الحوادث ، فإننا قد قربنا الأمر عليكم لتعلموا ان هذه الدعاوى كذب ومخاريق وحيل على الناس ، ولتعلموا بكذب أولكم وآخركم .

فإن قالوا : لم تقتصرون منا على العلم بورق هذا الدفتر دون الأسطر والحروف التي فيه ؟ قلنا : إن مثل هذا وأكبر منه قد يصيب فيه الصبيان والجهال الذين يلعبون بالخاتم والزوج والفرد بالاتفاق ، فهاتوا ما يتجاوز اصابات الصبيان والجهال والمجانين ان كنتم صادقين ، وان كان صنعتكم حقاً ؛ وهذا ما لا سبيل لكم اليه ، وفضيحتكم فيه كفضيحة النصارى .

فان قالوا : قد يكون لنا اصابات في مواليد ومسائل ؟ قلنا : قد يكون

(١) انظر ترجمة كنيكه الهندي في الفهرست لابن النديم ص ٣٩٢ ، و ترجمة ذوروثيوس (في الاصل ذرويسيس) في الفهرست ص ٣٨٩ ، وكذا ترجمة بطليموس ص ٣٨٨

ذلك في قليل من كثير تخطئون فيه ، وفي جمل دون تفصيل ، والذي يأتي به الأنبياء فلا يخطئون في شيء منه مع كثرتة ، والذي يتفق لكم من ذلك كما يتفق للتعاب الذين ذكرنا ، وكما يتفق لأصحاب الفأل ولمن يضرب بالحصى والبعير بالنظر في الكفّ وبزجر الطائر ، وما يتفق لهؤلاء من الإصابة أكثر من الذي يتفق لكم ، وهم فيه أسرع ، وأحوالهم فيه أكشف ، وكما يتفق لبعض من يلقي الثعلب من السعادة ، ولمن يلقي البوم من الهنة ، وكما يتفق في رقى الهند والنصاري والمعزّمين من العافية والإفاقة ، فيدعي أولئك ان هذا انما كان عن رقامهم وعزائمهم ، وان ما هم عليه حقّ ، وانهم قد نطقوا / بعلم .

ب / ٨٤

ومنها ، اصحاب الطلسمات^(١) ، فانهم يمزقون ويقولون : إن الاسكندر شكّا الى أرسطوطاليس بعد الماء عنه وعن عسكره عند لقاء عدوه ، فعمل له طلسماً سار الماء بمسيره ووقف بوقوفه ، وانه قال له وقد ورد على بحر إن تشاغل بعبوره أبطأ عليه وفاته إدراك عدوه ، فقال له : أيما احب اليك ايها الملك ، ان اعمل طلسماً تسير بمسكرك على وجه الماء كما تسير على وجه الارض ، او اجمع بين الشطين لتعبه ، فقال : تجمّع بين الشطين فانه أقرب في المسافة ، فجمع له بين الشطين فعبر .

وأن غيروا حد قد عمل طلسماً للقطعان من البقر والغنم وأمثالها من الحيوان ، فتبعته وسارت بمسيره . وأنهم يعملون الطلسمات للبق والمقارب

(١) الطلسم والطلسم في علم السحر : خطوط واعداد يزعم كاتبها انه يربط بها روحانيات الكواكب العلوية بالطبائع السفلية لجلب محبوب او دفع أذى . وهو لفظ يوناني ، وقد يقصد به الغامض المبهم من الامر .

والجراد وغير ذلك ، فيصرفونها عن بلد بلد ؛ وأن من عرف صنعة النجوم تأتي له ذلك .

ف قيل لهم : هذه كلها مخاريق ، وإذا اردتم ان تعرفوا كذب او ائلكم فاعرفوه بكذبكم في زمانكم ، فإن الكواكب ما بقيت ولا زالت ، فهانوا شيئاً من هذا ، وفي تعذره عليكم دلالة على كذبكم وكذب اوائلكم .

فإن قالوا : بلاد حص لا يكون بها عقرب ، وإن دخلت إليها عقرب ماتت وانما هذا طلسم عمل لها ، قلنا : قد بيتنا كذبكم حساً كما بيتنا كذب النصارى والمنجمين ، فإن كانت حص لا يعيش بها عقرب فإن هذا من فعل الله تبارك وتعالى ، قد يميت بعض الحيوان إذا صار في بعض الأماكن لتدبير له عز وجل هو اعلم به ، ولصلحة فيه . ألا ترى ان بلاد الروم لا تكاد تبقى بها الجمال مع حرصهم في بقائها ، حتى قال من لا يعلم : ان هذا لشدة البرد ، فقيل له : في بلاد الترك / أشدّ برداً وبها الجمال ، والأتراك بالري (١) إذا قطنوا بها فما يكادون يبقون بل يتماوتون ، والاصفهانى إذا أراد السفر الى الري اوصى . وما هذا الطلسم ، وأرض مصر وغيرها من مواضع شق لا يكاد يكون بها مطر . وما ذاك الطلسم ، وأرض العراق مع كرمها وطيب ماؤها لا ينبت بها الفلفل ، ولا الدار فلفل ، ولا العود ولا الزنجبيل ولا الدارصيني ، ولا الزعفران ، ولا سنبل الطيب ، ولا يكون في انهارهم العنبر .

٨٥ / أ

(١) الري : بلدة عظيمة في ذلك الوقت ، فتحها المسلمون في خلافة عمر رضي الله عنه ، واصبحت حاضرة اسلامية في القرن الرابع الهجري . حتى لقد فاقت بغداد نفسها في كثير من الاحيان . انظر : ابن الاثير الكامل ٩ : ٢٣٥ ، السمعاني الانساب ٢٣٢ ، احسن التقاسيم للمقدسي ٣٨٥ - ٣٩٠

او ترى هذه الطلسمات وضعت بالعراق وأثاث البنغال لا تكاد تحمل بل لا تكاد تهيج . أفترى هذا الطلسم وأودية العراق لا يكون فيها التمساح ، وهو بمصر كثير . أفترى هذا الطلسم وضع بالعراق لئلا يكون فيه هذا ، او وضع بمصر حق لا يفارقها . وهذا التمساح في نيل مصر ، وهو في بعض المواضع بها دون بعض ، وبأرض الكوفة والبصرة وواسط وبغداد وسر من رأى ومصر والقيروان ، وهذه كلها أمصار اسلامية ، ووضعت في الاسلام ، وخطت في الاسلام ، فحدثت امور كثيرة في احوال الحيوان ابداع مما يدعونه لحمص وغيرها بلا طلسم .

والجوس تدعي ان لهم منتظراً حياً باقياً مهدياً من ولد بشتاسف بن بهراسف يقال له أبشاوثن^(١) ، وانه في حصن عظيم من خراسان والصين ، ومعه كثير ، كلهم ثقات امناء اخيار ، لا يكذبون ولا يعصون الله ، ولا يقع منهم خطيئة صغيرة ولا كبيرة ، وأن دعوتهم مجابة^(٢) ، ولهم دلالات وآيات ومعجزات ، وانهم صاروا الى ذلك المكان عند زمن زرادشت الذي تدعي نبوته ، وانهم انوار ساطعة ، وانهم من الجمال والحسن والنظارة على امر عظيم ، وانهم لا يبكون ولا يهرمون ولا يموتون ، وأن أبشاوثن لا يحتاج الى اكل ولا الى شرب ، ولا يكون منه بول ولا غائط ولا شيء من الأذى . هذا الذي أتيقنه مما قد ذكره أذرباذ بن أميد الموبذ في وصفه أبشاوثن ، انه لا يأكل ولا يشرب ولا يبول ولا يتغوط ، فأما اصحابه

٨٥ / ب

(١) في الهامش كتب الناسخ ما يلي : « الجوس ينتظرون رجلاً من ولد بشتاسف يقال له أبشاوثن .

(٢) نشأت في ايران فكرة كان لها اثرها في كثير من الديانات هي فكرة المخلص او المهدي الذي سيعود يوماً الى العالم ليزيل الشرور ويحل العدل محل الجور وينقذ البشر .

فلست اتيقن انه وصفهم بأنهم لا يأكلون ولا يشربون ، ويغلب على ظني انه قد وصفهم بذلك ، فأما العصمة وان اصحابه بثابته ، فما اشك فيه .

فقبل للمجوس : اذا شئتم ان تعرفوا اول امركم فاعتبروه بأخره تجدون بطلانه واضحا بينا ، كما يجدونه النصرى والمنجمون (١) وأصحاب الطلسمات. فإنكم تدعون ان قوماً في زماننا هذه صفاتهم وأحكامهم ، وعليكم في هذا فضل مزية في الباطل ، فإنكم امم كبيرة قديمة تجبرون بكون هؤلاء في الدنيا معنا وفي زماننا ، وانهم يخرجون مع ابشاونن هذا فيكلمون الارض كلها ، ويعيدون الجوسية وديانات الفرس وملكها الذي أزاله الاسلام كما كانت . فقد كان يلغى إن كان هذا في الدنيا هاهنا قوم يدعونه ان نعلمه بخبركم ، وفي عدم العلم بذلك دليل على انه امر لا اصل له ، وما في الدنيا انسان يدعي هذا ، ولكنه شيء وضعه لكم الواحد والاثنان والنفر اليسير ، فصدقتموه واحسنتم الظن بهم ، وانتشر فيكم ، وهو كذب وانتم لا تعلمون انه كذب ، كما اصاب النصرى وغيرهم ممن كانت هذه سبيله .

وكذا لمن ادعى ان معنا وفي زماننا إماماً معصوماً قد أقيم لنا وهو الحجة علينا وعلى اهل الارض بأسرهم ، قيل لهم : انتم امم كثيرة عظيمة بالعراق والشام وبفارس وبمصر والمغرب والحجاز واليمن والبحرين وكور الأهواز / وبالجبال والديلم وخراسان وكلكم يخبرنا بأن في الدنيا رجلاً هذه سبيله ، ويدعو الى نفسه ، وكلكم اصحابه وينتظروه ويدعو اليه . وتصنيف الكتب في ذلك قد ملأت الدنيا ، ونخاصم في ذلك ، فلو كان في الدنيا انسان هذه

١ / ٨٦

(١) في الاصل : المنجمين

سبيله لعلنا ذلك بنحبركم وبما نسمعه منكم وان لم نصدقه فيما ادعى ، ولم نقبل قوله ولم نر شخصه ، وان لم نسمع كلامه . ألا ترى ان نبينا محمداً ﷺ (١) لما ادعى انه رسول الله الى الخلق اجمعين وانه الحجة عليهم علم ذلك من دعواه كل من بلغه خبره ممن صدقه او كذبه ، ومن رآه ومن لم يره ، وكذا العلم بمسيلة وما ادعاه وان كذبه الناس كلهم . بل لو اخبر جماعة عن امرأة من وراء حجاب بصلاح او طلاح لعلم الناس ذلك بنحبرهم اذا كانوا عالمين بما أخبروا ، فكيف وانتم امم كثيرة عظيمة قد (٢) طبقت الارض والبر والبحر والسهل والجبل ، تعتمدون ذلك ، ونحبرون به ، وتدعون اليه ، وتزعمون انكم اصحاب هذا الرجل واتباعه ، فلا يزداد من تأمل ونظروا اعتبر إلا علماً بأن ليس في الدنيا انسان يدعي ذلك ولا يدعو اليه . فلو نظرتهم وانصفت لعلتم ان اول امركم مثل آخره في الباطل ، وان النبي ﷺ ما قد ين بما تدعون ولا دعا اليه . لا هو ولا احد من اصحابه .

فإن قيل : فلو قال لكم قائل وأنتم ايضاً اول امركم مثل آخره ، إذ ليس في زمانكم من معه معجزة ولا آية ، فأولكم هذه سبيله ما كان يكون جوابكم ؟

قيل له : لا سؤال علينا في هذا ، لأننا نمنع ان يكون مع احد بعد نبينا آية او معجزة ، وما ندعي انه آية ومعجزة فهو ما علمه كل من سمع الاخبار ، وهو هذا القرآن وما جاء مجيء القرآن ، ونقول : / لا حجة على الخلق إلا رسول الله ﷺ وحده ، فعرفت الفصل بيننا وبين من ذكرنا .

ب / ٨٦

(١) في الاصل : محمد

(٢) في الاصل : فقد

وجواب آخر ، وهو ان كل من سمع اخبار النبي عليه السلام فمن صدقه او كذبه يعلم باضطرار انه كان يدعي النبوة ، ويدعي ان معه آيات ودلالات ومعجزات . فان قالت النصرارى : نحن اولنا المسيح وهو سلفنا ، وأنتم تفرون ان معه آيات ومعجزات ، فكيف قلتم ان اولنا مثل آخرنا ؟

قيل لهم : ومن سلم لكم ان المسيح عليه السلام سلفكم ، ونحن فقد دفعناكم عن هذا ، وبيّنا انكم قد خالفتم المسيح عليه السلام في أصوله وفروعه ، ونقضتم عهوده ، وعطلتم وصاياه بياناً لا يمكنكم دفعه ، ونحن فيما علمنا ان المسيح نبيّ وانه قد كان معه آيات ومعجزات بقولكم ، ولا بنقلكم ، ولا بدعواكم ، وانما علمنا ذلك بقول نبينا صلى الله عليه ، ولكن ادعيتم ان هذه الأمم ما اجابت الى النصرانية إلا بالآيات والمعجزات التي ظهرت على بولص وجورجس وأبا مرقس وأمثالهم ، ودونتم ذلك في كتبكم كما دونته المنانية والمجوس وغيرهم ، وادعيتم ذلك في كل زمان ، والناس معكم ويشاهدونكم فلا يرون لذلك اصلاً ولا اثراً ، ولا يرون إلا السيف والقهر والعسف وان اول هذا الامر ما كان إلا بالسيف والقهر كما قد بيّنا ، وهو قائم باق ما زال ولا حال بل زاد ، ونحن فقد وجدناكم نزلتم على اهل المصيبة ، وعين ذرية ، وجزيرة اقريطش ، وجزيرة قبرس ^(١) ، وجزيرة أرواد ، والثغور

(١) في الاصل : قفرس ، اما عين ذرية فقد اثبتتها ياقوت بالالف المقصورة ذرى وقال : بلد بالشعر من نواحي المصيبة ، والمصيبة وطرسوس من ثغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم . اما اقريطش (كريت) فهي جزيرة بالبحر المتوسط ، اول من غزاها من المسلمين معاوية ثم فتح قسماً منها الوليد بن عبد الملك وتم فتحها بأمر المأمون الخليفة العباسي . وارواد جزيرة صغيرة في البحر المتوسط مقابل طرطوس من سوريا . وسيمطاط او سيمساط مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات . وحصن منصور من اعمال ديار مضر غربي الفرات قرب سيمساط . وسيمون او سيان نهر كبير بالشعر من نواحي المصيبة قرب انطاكية .

الشامية ، والثغور الجزيرية ، وثغور ارمينية ، وأذربيجان ، وما يكثر احصاؤه / ، وما قد قدره اهل الخبرة الى هذه الغاية ، ومقداره الف فرسخ منائر ، وعمارته متصلة ومقدار السبي والأسر نحو عشرين الف الف انسان ، لا يقرون على الاسلام ، بل يدخلون في النصرانية كرهاً ، بالرهبة والرغبة ، وكذا من دخل في ذلك من البرغر والبرجان كله بالإكراه والسيوف ، وإن طال مدته ، وتناسى الناس كيف جرى ذلك .

وادّعيتم أن هؤلاء انما دخلوا في النصرانية بالآيات والمعجزات ، وأن البطرك وافى من بلاد الروم ، فنزل وجنده وعليه الجوزبا والكتين والودار وعلى رأسه القبع وفي يده الكرار ، فأقام موتاهم من المقابر ، فقاموا بأسرهم من تلقاء انفسهم وصاروا الى بلاد الروم . ووافى ميخائيل الراهب الى اهل المصيصة فقلب سيحون زيتاً ، وجعل اغنامهم كلها خيلاً ، فقاموا كلهم من تلقاء انفسهم فقبلوا الصليب ، وصاروا الى بلاد الروم . وكذا اهل سميصاط وحسن منصور ، فليس عندهم في الكذب والبهت شيء ، وهم قوم يكذب لهم رؤساؤهم فيقبلون ذلك الكذب عنهم ، وقل مصر من هذه الأمصار وثغر من هذه الثغور إلا وقد ترددت اليه ملوك الروم السنين الكثيرة ، ونزلوا عليه الأعوام المتوالية ، ورعوا زروعهم وحصروهم ومنعواهم الأقوات ، حتى اكلوا الكلاب والسنانير والميتة ، وقتلواهم جوعاً وعطشاً ، وقتلوا مقاتلتهم ، وسبوا ذريتهم ، وقادوهم بالسلاسل والحبال ، وأنزلوا بهم من المكارة ما يطول شرحه ، وكذا امرهم من اوله الى آخره . وليس / سيف حبل باطل في جميع الأزمان مثل سيف النصرانية كما قد بيننا ذلك ، وحيث لا يكون لهم ملك ولا سيف فإن من أسلم منهم يمنونه اهلهم ، ويبطلون ديونه ، ويذمونهم بكل فاحشة ، ويسعون في كل ما يقدرون عليه

من مكارهه واضرارہ ، وهذا ايضاً ضرب من الاكراه .

ثم يقال لهم : هذه المنانية قد غلبت على المشرق ، وليس معهم سيف ولا مال ، ويدعون ان دينهم اضيق الاديان وأصعبها ، وأنهم لا يأكلون اللحوم ولا يؤذون شيئاً من الحيوان ، ولا يأكلون إلا ما انبتته الارض . وعبادتهم من الصوم والصلاة كثيرة عظيمة ، ولا يدخرون الأموال ، ويدعون ان المعجزات اضطرتهم الى هذا الدين ، وهم يدعون ان المستبصرين من رهبانكم ورؤوسائكم منهم ، ويدعون هرابذة المجوس^(١) . قالوا : ولكن ليس لنا عند المسلمين ذمة كما لليهود والنصارى والمجوس ، ومتى أظهرنا لهؤلاء ديننا قتلونا ، قالوا : وكذا يصنع بنا ملوك الروم . ويذكرون من آيات ماني ومعجزاته انه كان نوراً خالصاً كله وأنه لم يكن له في الشمس ظل ، وأن الملائكة كانت تأتيه وتحتمله حتى تصعد به الى الشمس فيصير فيها ، وأصحابه يشاهدونه ، وأنهم نقلوا ذلك الجمهور عن الجمهور ، والجماعات عن الجماعات ، ويدعون لأتباعه المعجزات ، ويدعون مع ذلك انهم اصحاب المسيح وعلى دين المسيح ، وأن الانجيل الذي معهم هو الحق دون ما معكم ، فينبغي ان يكونوا على قياسكم محقين ، وأن ذلك انما تم لهم بآيات ومعجزات كما ادعيتم ذلك ، ولهم كتب مدونة في آياته ومعجزاته ، ولعلها / اكثر من السليحين الذي لكم ، ومن الآيات التي تضيفونها الى جميع من دعا الى النصرانية ، منذ كانت النصرانية .

أ / ٨٨

وهذه الهند ، وهي امم عظيمة لعلها تزيد على امم النصارى^(٢) ، ولهم

(١) كتب المعلق على هامش الكتاب : هرابذة المجوس .

(٢) في الاصل : للنصارى

العقول والحكم التي لا تكاد تدانيها عقول الارمن والروم ، يعبدون البدفة قبل تنصر الروم بالدهور الكثيرة ، وليس يدعون الناس باتباعهم لا بسيف ولا برغبة ولا بالرهبة ، ومن دخل فيه لم يمنعه ، وهم يدعون ان اصنامهم تكلمهم وتامرهم وتنهاتهم ، وتبدرهم بالأمور قبل كونها ، وتأتيهم بالأمطار وما يسألونها من الرخاء والنعم ، وتدفع عنهم السوء ، وتشفي مرضاهم ، ويحملون زمناهم على الجنائز الى سوق الاصنام فينقحون ويرجعون على اقدمهم ، ويدعون انها تحيي الموتى ، ولهم رقي يدعون انها تشفي وتحيي ، فينبغي ان يكون هؤلاء محقين صادقين .

والجهوس تدعي لزرادشت من المعجزات والآيات اكثر مما يدعيه النصراري لمن دعاهم الى النصرانية ، ويقولون : نحن لا نكره احداً على الدخول في ديننا ولا نرغبه فيه ، وهو دين خصنا الله به ، فمن دخل فيه لم نمنعه ، وإنما نقاتل ونحمل السيف على الامم لتأدية الخراج والدخول في الطاعة فقط ، فأما لأجل الدين فلا نحارب . وعقول الفرس وحكمتها وتحصيلها قد عرفه الناس ، وكثرة وسع ممالكها فوق ممالك الروم بطبقات ، فينبغي على قياسكم ان يكونوا محقين وصادقين .

فان قلت لهم : لكم ملوك عتاة جبارة هم ادخلوكم بالقهر والسيف والرغبة والرهبة في هذا الدين ، قالوا لكم : أما الدين فما تعرضوا لإدخال الناس فيه ولا / اشتغلوا به ، وإنما كان أخذهم للناس بالسمع والطاعة والخضوع للملك ، وهذا معروف .

والعيان والموجود من دين النصرانية وما عليه هذه الطوائف لهم القهر والغلبة والسيف مذ كانت الى هذه الغاية ، وما هاهنا سيف حمل بباطل إلا

سيف النصرانية من اول امرها الى هذه الغاية .

وقد دعا واحد من اليهود الخزر وهم امم كثيرة فأجابوه ودخلوا في دينه عن قرب ، وفي ايام بني العباس ودولتهم ، ولو أراد مريد ان يدعي انهم إنما اجابوا إلا بالآيات والمعجزات كما يدعي النصارى لمن تنصر لأمكنه ذلك وكان اولى بالشغب من النصارى ، فإن هذا رجل واحد قصد الى ملك عظيم الشأن ، والى قوم اولى بأس شديد ، فأجابوه بلا غلبة ولا سيف ، وتحملوا ما في شريعة التوراة من الشدة بالختان والوضوء وغسل الجنابة وتحريم الأعمال في السبت والأعياد ، وتحريم ما في هذه الشريعة من الحيوان ، الى غير ذلك . ولعل اليهود تدعى لهذا الداعي الآيات والمعجزات ، فمنهم من يميزها للصلحين منهم وهذا اولى بالشبه مما تدعيه النصارى ، ولكن النصارى اكذب وأشد جرأة على ادعاء ما لم يكن .

ثم يقال للنصارى : ادعيتم لدينكم الضيق والصعوبة ، وقلتم : هذا أحد الأدلة على صحته وعلى ان الامم لم تقبله ولم تدخل فيه إلا بالآيات ، فقد عرفنا من قولهم في الآيات ، ولو كان ضيقاً صعباً شديداً لما دل ذلك على صحته فإن دعواهم هذه كدعواهم المعجزات . / وليس يدل على صحة الدين ضيقه وصعوبته ، بل ربما احتال المخرق والمبطل على صحة ما يدعو إليه بالتصوف والتقشف وكثرة العبادة والمضايقة فيما يدعو إليه الى ان يتمكن ، ثم يظهر مساوئه ، ويكون ذلك له شبهة على من يرى ذلك ويسمعه ، والنفوس ترحم المتصوف والمتقشف المواصل الصلاة والصيام وإن كان مبطلاً ، ويحسن ظنهم فيه ، ويسرهم الى القبول منه قبل النظر في حاله ، ويكتفون بما يظهر منه عن البحث عن حاله ، وفي النظر والبحث شدة ومشقة ، وتنفّر نفوسهم عن

١٨٩ / أ

حامل السيف وإن كان محملاً .

وعلى ان ديانات المثنائية اضيق من ديانات النصرانية لأنهم يحرمون اكل جميع الحيوان وركوبه وأذيته بكل وجه ، حتى انهم يحرمون قتل السباع والحيات والعقارب ويصبرون على أذيتها ويحرمون ادخار الاموال ، ويوجبون من الصوم والصلاة اكثر مما توجبه النصرارى ، ويحرمون المناكح كلها ولذات النفوس ، فينبغي ان يكون دين هؤلاء هو اصح من النصرانية بألف طبقة .

والهند لها عبادات كثيرة وزهد عظيم ، لا يدانيه ما يفعله أزهد رهبان النصرارى . [والهند لها عبادات كثيرة] (١) وتوجب في دينها قتل انفسها ، وتحرق انفسها بالنيران وهم احياء ، واذا مات رئيسهم احرقوه واحرقوا معه احبابه واصدقائه وخاصته وزوجته ، يفعل ذلك بها ابوها وامها واهلها ، وليس في دين النصرانية شيء من هذا ، فينبغي ان يكون دين المثنائية هذا (٢) اصح من مذاهب هذه الطوائف النصرانية /

١٩ / ب

على انا لا نعرف ديناً اوسع ولا ارحص ولا اسهل من دين النصرارى ، إذ ليس فيه زاجر مخوف كالحدود المكتوبة ، ولا النار ، ولا عذاب الآخرة ، وان اشد العذاب في الآخرة ان المعاند الذي قد عرف الحق وتركه ، يلحقه غمّ مدة ثم ينجلي وينقضي ، فأما من لم يعاند ، وان اخطأ ، وان كان مع اعتقاده مخالفاً لدين النصرارى فليس عليه خوف ولا عقاب ، اذا كانت نيته سليمة واعتقد الشيء على انه حق وان كان باطلاً . واما النصرارى فليس

(١) لعل العبارة مكررة من الناسخ

(٢) في الاصل : وهذا ، ولعل السياق يقتضي حذف الواو .

عليهم خوف ، ولا يؤخذون بذنب من الذنوب ، وقالوا لأن الرب الذي هو الأب (١) إنما ارسل ابنه ليصلب ويقتل ليحمل خطايانا ويغفر ذنوبنا . فليس دين يغري بالقبيح ، ويبعث على ارتكاب الفواحش ، ويهيج على الفساد اكثر من دين النصرانية ، وهم يدعون فيه الضيق قحمة منهم ومباهمة ، وهو كما ترى ، وانما يدعون لأهله ولما دعا اليه المعجزات لأنه ليس فيه حجة ولا على صحته دلالة .

ثم نقول للنصارى: اعندكم ان من حمل السيف كان مبطلا؟ فإن قالوا: نعم، قلنا: فالمسيح اول المبطلين ، لأنه (٢) عندكم ارسل موسى عليه السلام وغيره من الانبياء بالسيف وقتل الرجال والنساء المخالفين له ، واحل له في بعض الحروب قتل الرجال وكل امرأة ضاجعت رجلا واستبقاه الأبيكار ، واحل له الغنائم واخذ الاموال ودفعتها الى بني اسرائيل ، وكذا سائر الانبياء الذين تتولونهم وتقولون إنهم على الحق ، الى ان جاء المسيح وظهر للناس / ، وقال: ما جئت مخالفاً لموسى ولا للتوراة وانما جئت متمماً ، ولأن تسقط السماء على الارض ايسر عند الله من ان يُحمل شيء مما عقده موسى ، ومن حل ولوالدي هو ، واخذ من ناموس موسى يدعى ناقصاً في ملكوت السماء (٣) . ثم ليس عند هؤلاء اخذ الجزية من ملكوه وقدروا عليه ولا إقراره على

١ / ٩٠

(١) في الاصل : الابن

(٢) في الاصل : لأنهم

(٣) جاء في انجيل متى الاصحاح الخامس فقرة ١٧ وما بعدها : « لا تظنوا اني جئت لأنقض الناموس او الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل . فاني الحق أقول لكم الى ان تزول السماء والارض لا يزول حرف واحد او نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل . فمَنْ نقض احدي هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى اصغر في ملكوت السماء » .

دينه ، وليس إلا الإجابة الى الدين او القتل ، وهذا اعظم وأشد وأغلظ من دين الاسلام وشريعته .

ونراكم تدعون للمسيح الرأفة والرحمة ، وتنزيهه عن فعل الألم والشدائد والمضار والهموم ، وهو عندكم قد شرع التوراة واحكامها وحدودها، وغرق اهل الارض في طوفان نوح ، وعندكم ان هذا الموت والجذام والبرص والعمى والصمم وإنزال الجرب والاسقام وانواع الألم بالبهايم التي ما عصت من فعله ، ثم اباح ذبحها واكل لحومها وإيلامها بالكبد والركوب والحمل عليها الى غير ذلك بما قد فعلوه ، فأين الرأفة والرحمة ، وأين هذا ما أباحه نبينا محمد ﷺ من قتل من كفر بالله وافسد في الارض ، هذا ولو (١) كنتم ترون المسيح نبياً مرسلًا لما وجب ان تعيبوا حمله السيف لأنه قد جاء وصوب حمل الانبياء قبله للسيف ، واباحة الحيوان ، وان الامراض والاسقام من الله ومن قبل الله ، فكيف وانتم [تدعون ان الفاعل لذلك جميعه هو المسيح] (٢) فما سمع يقوم هم اجمل وأوقح وأبهت من النصرى ، إذ هذا قولهم وهم يعميون حمل محمد ﷺ السيف على من كفر بالله وعبد الاوثان والكواكب والنيران من دون الله وكذب بهم / وبهتهم اكثر من هذا . فإن قالوا : إن هؤلاء الانبياء حملوا السيف بأمر الله ، قيل لهم : فقد بطل ان يكون حمل السيف باطلا من كل وجه على ما ذهبتم إليه ، ووجب ان يراعي حامله ، فإن كان قد حمله بحجة كان محققاً . فينبغي ان ينظروا في اعلام محمد ﷺ ومعجزاته وآياته ،

٩٠ / ب

(١) في الاصل : لو ، وقد أضفنا الراو لما يتطلبه سياق الكلام .

(٢) وردت هذه العبارة في الاصل على النحو التالي : « تدعون انه هو الفاعل لذلك جميعه

المسيح له » .

ويعلموا^(١) انه مثل من تقدمه من الانبياء .

وتدعون التصوف والتكشف وطول الصيام والصلاة ، والنهي عن حمل
السيف . وليس في دين النصراني والمنانية والديصانية واشباههم حجة ، فهم
يخدعون الناس بلبس الصوف وإظهار الزهد .

ومثل هذا من جهلهم ومخاريقهم انهم يعيبون محمداً ﷺ باتخاذ النساء ،
وهم يعلمون ان آدم ونوحا وابراهيم ولوطا واسحق ويعقوب والأسباط
وموسى وهرون وداوود ويوشع وغيرهم ممن يقولون بنبوته ويشهدون بصواب
مذهبه ، قد اتخذوا من الأزواج والسراري مثل ما اتخذ هؤلاء ، بل فيهم
من قد اتخذ في ذلك اضعافاً مضاعفة كما كان لداوود وأمثاله . والروم هم
اصل النصرانية ولكنهم لم يجحدوا في رسول ﷺ مغزاً فعاوبه بحمل السيف
واتخاذ الأزواج ، وهم يعيبون هذا منه صلى الله عليه ويدعون ان الله قد
اتخذ مريم امّاً لولده واتخذ الولد لنفسه وان لم يسموا^(٢) مريم زوجة .

ومن عجيب ديانتهم ، ان المذنب منهم يقول للقس والراهب : اعمل لي
مغفرة وتوبة وتحمل ذنوبي ، ويجعل له على ذلك جمالة على مقداره في الغنى
والفقر ، فيبسط القس كساءه ويأخذ الجمالة ثم يقول للمذنب : هات الآن
واذكر لي ذنوبك / ذنباً ذنباً حتى اعرفها وأحملها . فيبتدىء ذلك المذنب
رجلاً كان او امرأة ملكاً او سوقة فيذكر ما قد فعله شيئاً شيئاً ، حتى
يقول : هذه هي كلها ، فيقول له القس : انها عظيمة ولكن قد تحملتها

١/٩١

(١) في الاصل : ويعلمون

(٢) في الاصل : يسمون

وغفرت لك ، فأبشر . وربما جمع الكساء من اطرافه ووضع على ظهره
وقال : ما اثقل ما في هذا الكساء من الذنوب .

ومن المأثور عنهم والشائع عليهم ان المرأة تُقرء عند القس بذنوبها ،
فتقول : أصابني رجل في يوم كذا فيستفهمها كم مرة فتقول : كذا وكذا ،
فيقول لها : اخبريني هذا الرجل نصراني او مسلم ، فربما قالت : مسلم ،
فيستعظم هذا ، ويستزيدها في الجمالة ، فان زادته ، وإلا غضب وانطلق
وهو يقول: قد زنى بها المسلمون وتريد ان اغفر لها وإنما اعطيتي كذا وكذا ،
فتردّه وتزيده وترضيه .

هذا من دينهم الذي الذي يدعون ضيقه ، ويدعون انه على دين المسيح ،
وهذا لا يجوز ان يكون ديناً له صلى الله عليه .

وقد قيل لبعض قسوسهم ما هذا من التوبة ؟ فقال : وما وجه تركنا
لهم لانسألم عن ذنوبهم ونطعمهم في غفرانها ، فإننا لو لم نفعل ذلك ونأخذ
المال منهم لافتقرت البيع .

وقل ما تجرد منهم من يخاف عذاب الآخرة ، لأنهم يعتقدون ان المسيح
إنما قتل نفسه ليقبهم من الذنوب والعذاب ، وأنه جالس على يمين ابيه ، وأمه
جالسة مما يلي يساره فهي تتلقى الذنوب اذا طلعت وتقول لابنها : سل يا بني
أباك الرب غفرانها ، فهو عندهم يقفروا ويسأل أباه غفرانها .

والملوك بمصر والشام والعراق والجزيرة وفارس وما والى ذلك يعوّلون على
النصارى في الكتابة والوزارة والجهبذة . فلهم الرئاسة على المسلمين ، يجبون
اموالهم ويأخذونها منهم بالضرائب / الموضوعة على كل شيء مما لم ينزل الله

به سلطاناً ، فيندلون بها الاسلام ، وينفقونها في مكاره المسلمين .

وللفرس ايضاً مثل هذه الفضائح التي تقدمت للنصارى ، وهو ان زرادشت قد شرع لهم تطهير الحائض والنفساء والتي قد مات جنينها في بطنها ببول البقر (١) يتولى ذلك منها الهربذ بعد ان يجردھا ويعريھا ، ويباشر ذلك منها بيده ورأي عينيه ، فيبركھا ويفسل ذلك المكان بيده ، وربما جزعها منه جزعاً واخذ على ذلك الجمالة على مقدارها . واول ما يأخذ الخلعة التي عليها اذا جردھا للتطهير ، واقل ما يأخذ على افقر فقير اربعة مثاقيل فضة . وزعم الفرس والمجوس انه كان يرتفع لموبدان موبذ في ايام ملكهم من هذا الوجه اربعة ألف دينار ينفقها على الهرايذة ، وشرع لهم بالإنجاب على زوج المرأة اذا غاب عن امرأته او عجز عن بضاعها ، ان يوكل في نيكها من يختاره من أصدقائه وثقاته ورفقائه .

ولم نكن في الرد على المجوس ولا النصارى ، إنما قصدنا البيان انهم مخالفون للمسيح ودينه في الأصول والفروع .

فهذا يرحمك الله اصل مذهب النصرانية ، ومذهب القراء والزهاد منهم . فأما اهل الجدل والنظر ومن يتجرد في نصره النصرانية ويضيف الكتب في ذلك فكلهم ملحدة وزنادقة ، ويكذبون المسيح وجميع الأنبياء عليهم السلام ، ويستجمل الشرائع ومن يعمل بها فلا تكاد تجد فيهم إلا من هذه سبيله ، مثل : قسطا بن لوقا ، وحنين بن إسحق ، وابنه إسحق ، وقويرى ، ومتى الجرمقاني وهو المكفي ابو بشر بن يونس الذي فسر كتب الملحدة ،

(١) كتب المعلق في الهامش : « تطهير الحائض والنفساء ببول البقر في شرع المجوس » .

وهلك في سنيّ نيف وعشرين وثلاثائة ، وبعده يحيى بن عدي ، وعنه اخذ هؤلاء الملحدة ^(١) / الذين في زمانك ، ومذهبهم لا يقوم بالجدل .

١/٩٢

واذا قيل لهم : قالوا : حججتنا في ذلك على لسان أرسطاطالس ومن قوله ومن أصوله ، وأرسطالس لا يؤمن بكتاب ولا نبي ولا شريعة ، وينكر فلق البحار ، وانقلاب العصا حية ، وإحياء الموتى ، وولادة مريم من غير ذكر . ويرى ان التصديق بذلك جهل وحق وقلة عقل . فانظر من أولى بقلة العقل ، هو او من يجعله حجة لدينه ويأخذ عنه ، فما بعد هذا في فضيحتهم شيء . فاعرف هذا من طريقتهم ، فقد تبين لك ان ديانات هؤلاء النصارى خلاف ديانات المسيح ووصاياه وعهوده ، وعلمت علم محمد ﷺ بذلك ، وان علمه به من قبل الله ، وانه من معجزاته .

والنصارى تقول : لعمرى إن المسيح ما عمل طول حياته بشيء مما نحن عليه ، وكذا تلاميذه من بعده فما لزموا شريعة التوراة ولكن من أتى بعدهم نقلونا وقالوا لنا قد قال المسيح : اعملوا بعدي بما ترون ، قلنا : قد صدقتموهم في دعاويهم وهم قد جاؤوا بالرئاسة عليكم والتحكّم فيكم وفي أموالكم .

فإن قالوا : إننا لم نقبل منهم إلا بالمعجزات ، فقد فرغنا منها وبيننا كيف كان الأصل من قسطنطينوس بين هيلانة ^(٢) . وبيننا ان المسيح وصام بشريعة

(١) كتب المعلق في الحاشية : « الذين يكذبون المسيح وجميع الانبياء عليهم السلام ، ويستجهاون الشرائع مثل قسطا بن لوقا » .

(٢) في الاصل رسمت هيلانية ، اما قسطنطينوس فقد رسمت في الاصل على النحو التالي : قسطنيطوس .

موسى عليه السلام ، وان يعملوا بما رأوه يعمل طول حياته بما قدمناه ؛ من
تجريد التوحيد ، وتقزبه الله عز وجل ، وبإقامة الشريعة كما بينا .

وحدث انتقاهم في كتابهم المعروف بأفراشكس وفي السنهوس الذي
لهم ، وانما هم ينهون من لا يعرف ، ويقولون : نحن على شريعة المسيح ، فإذا
واقفهم العارف بذلك ، قالوا : قد انتقلنا بالآيات والمعجزات ، فإذا / عرفهم
حال قسطنطينوس بن ميلانة وما فعله وجميع هذا الذي بيناه ، قالوا :
نهينا عن الجدل والبحث والتفتيش .

ب / ٩٢

ومن عجيب أمورهم ان مهمم وفيما حفظوه عن المسيح انه عليه السلام
قال لهم : انكم تأتونني يوم القيامة ، وليُحشرن" الي" سكان الارض فيقومون
عن يميني وشمالي ، فأقول لأبناء الشمال : لقد كنت جائعاً فما أطعمتموني ،
وعرياناً فما كسوتوني ، ومريضاً فما عدتوني ولا داويتموني ، ومحبوساً فما
زرتوني ، فيكون من جوابهم ان يقولوا لي : متى كنت يا سيدنا مريضاً او
عرياناً او جائعاً او محبوساً ؟ ألم نكن باسمك نتقناً ، وباسمك نشفي المرضى
ونقيم الزمنى ، وباسمك نطعم الجياع ، ونكسو العراة ، ونداوي المرضى ،
وباسمك نأكل ونشرب ؟ فأقول لهم : قد كنتم تذكرون اسمي ولا تشهدون
علي" بالحق ، ابعدوا عني يا عاملي الإثم . ثم اقول لأبناء اليمين : هلم ايها
الصالحون الى رحمة الله والى الحياة الدائمة ، وليس هاهنا من يطعم ويكسو
او يداوي المرضى ويأكل ويشرب باسم المسيح ويفعل ذلك للمسيح إلا هؤلاء
الطوائف من النصارى . فهذا نص" واضح ببراءته منهم ، وعداوته لهم .

والروم تأكل الخنزير وجميع الحيوان وذبايح الناس كلهم ، فاتبعوا الروم في
هذا كما تبعوم في غيره . فاذا قيل لهم في ذلك ، قالوا : إن شمعون الصفا

رأى في المنام ، واذا ثوب مربوط بأربعة اطرافه وهو ينزل من السماء الى الارض ، فيه كل الدواب ذوات الاربع القوائم وزخارف الارض ، وطير السماء ، وحيوان الماء . وسمع صوتاً يقول : قم يا سمعون ، قم اذبح وكل ، فقال سمعون : حاشا لي يا رب ، فإني منذ قط لم آكل شيئاً نجساً ، فعاد الصوت / المرة الثانية يقول له : لا تنجس ما طهره الله . وهذا عندهم رآه سمعون بعد موت المسيح ورفعته .

قلنا : فقد شهد سمعون ان هذا مما حرمه المسيح ونجسه ، فقد اكد فضيحتكم اذ هو ما جاء الا بالتام لا بالتغيير والنسخ .

والمعجب ان مهمم في أشعيا النبي^(١) ، أن شر الأمم وأنجس الأمم وأخبث الأمم ، هذه الأمة ذات القلفة ، الآكلة للخنزير ، وكل البهائم . وهذا هو صفتهم .

وفي النصرارى من يزيد في الكذب والمخرقة ويقول : انما قتل اليهود المسيح لأنه أحيا الموتى وأقام الزمنى^(٢) في يوم السبت ، وهذا دليل على انه أحل السبت ، ونسخ ما في التوراة .

قلنا : قد بينا ما في الأناجيل وفي أفراسكس من وصايا المسيح بالتوراة ، وما عمله ، مما فيه بطلان هذه الدعاوي .

(١) في الاصل : شعيا بدون ألف

(٢) جمع زمين : وهو المريض الميثوس من شفائه .

ومما يزيد في البيان عن كذبهم قول متى في انجيله : « ان المسيح كان يتمشى بين الزروع يوم السبت ، وكان تلامذته قد جاعوا ، فجعلوا يفركون السنبل ويأكلون ، فلما رأى الأحرار ذلك قالوا له : إن تلاميذك هوذا يفعلون ما لا يحل لهم فعله في السبت ، فقال المسيح : فما قرأتم ما صنع داود إذ جاع ، كيف دخل بيت الله وأكل من خبز مائدة الرب الذي لم يكن يحل له أكله ، ما خلا الكهنة فقط .

وقال لهم ايضاً : « وما قرأتم في التوراة ان الكهنة ان الهيكل يحلّون الهيكل وليس عليهم لوم » . فانظر كيف بين ان هؤلاء ما حلّوا^(١) السبت ولا ما في التوراة ، وأنهم انما عملوا بما يحل في التوراة ، ولكنكم انتم جهلتم ، فلو كان قد نسخها لقال / لهم : انما فركوا السنبل في السبت لأن الله قد نسخ ذلك على يدي ، ولم يحتج الى تبين حال الاضطرار .

٩٣ / ب

وذكر متى في انجيله ان المسيح لما أبرأ الرجل الأملث قالت له اليهود : هل يحل الإبراء في السبت ؟ فقال لهم : اذا وقع لأحدكم كبش في البئر أما تستخرجونه ، فالانسان أفضل من الكبش ، وأنه قد يجوز أن يفعل الفعل الجليل في السبت ، فلو كان حل السبت لقال ذلك وأظهره ولم يحتج ، وقد قال لوقا في انجيله : ان المسيح كان يعلم في يوم السبت في بعض الكنائس ، وكان هناك امرأة بها مرض منذ ثمانية عشر سنة ، وكانت منحنية ، ولم تك تستطيع ان تبسط قامتها ، فلما رآها المسيح قال لها : ايتها المرأة قد أطلقت من مرضك ، فعوفيت من ساعتها . فقال رئيس اليهود : إن الايام التي يجوز فيها العمل ستة ايام ففيها تعالجون لا في السبت ، فقال له المسيح : أما يطلق

(١) حلّوا = جعلوا يحلّون

(١) هكذا في الاصل ، ولعلها أحلوا .

احدكم ثوره او حماره عن المملف في يوم السبت ويذهب به ويسقيه الماء ،
فهذه التي هي بنت ابراهيم عليه السلام ، وقد ربطها للشيطان منذ ثمانية عشر
سنة لا يجب ان تطلق عن الأسر . فلو كان كما قال هذا الكذاب ، لقال :
السبت منسوخ ، وكل الاعمال فيه جائزة مباحة .

وذكر متى في انجيله : ان المسيح خبّر ببلاء ينزل بأصحابه وجلاء ، ثم
قال لهم : صلّوا لله وارغبوا اليه ان لا يكون هربكم وجلاؤكم في يوم السبت
ولا في الشتاء . وهذا قاله لهم عند فراقه إياهم ووداعه لهم ، لتعلم تأكيدته
لإقامة السبت من بعده والتمسك بشرائع التوراة ، وانما امرهم مسألة / الله
ألا يكون هربهم في يوم السبت ، لأنه لا يحل لهم ان يحملوا في يوم السبت
شيئا من امتعتهم وأموالهم ، وانما يحل النجاة بالنفس لا غير . وكل هذا بين
رفض النصارى لدين المسيح .

واذا قيل لهم : لم تصلّتون الى المشرق وقد علمتم ان المسيح لم يزل يصلي
الى بيت المقدس الى ان خرج من الدنيا ، وانما المشرق قبله الروم ؟ قالوا :
لأن الله خاطب الانبياء من قبل المشرق ، وبعضهم يقول : ان المسيح لما
صلب أمال وجهه الى المشرق فلهدا صلينا الى المشرق ، فقيل لهم : فمن أعلم
بالمصالح أنتم أم المسيح ، وقد علمتم وثيقنتم انه ما صلى الى المشرق ،
ولكنكم صرتم الى ديانات الروم وفارقتم دين المسيح .

وفي الانجيل سأله السامرية : ارى انك نبيّ انت ، أبأؤنا انما سجدوا في
هذا الجبل ، وأنتم تقولون : إن الموضع الذي يجب السجود فيه انما هو اورشليم
قال لها يسوع : ايها المرأة^(١) صدقت^(٢) ، أما [إن]^(٣) بين اتباعه [من]^(٤) لا

(١) في الاصل : المرأة

(٢) في الاصل : صدقتي

(٣ و ٤) زيادة على الاصل يقتضيها السياق

يسجدون للرب لا في هذا الجبل ولا في اورشليم .

فانظر الى الافصاح والبيان في هذا ، ان المسيح إنما كان يصلّي الى اورشليم وهو بيت المقدس ، ليعلم انهم خالفوا ما كان عليه .

وقد ذكرت لك انه ما قصدنا بيان فساد النصرانية ، إنما قصدنا البيان عن مفارقتهم لدين المسيح ومخالفتهم له في الاصول والفروع جميعاً مع شدة تحقّقهم به ، وأن لهم محمد ﷺ بذلك انما هو من قبل الله عز وجل ، وأن ذلك من معجزاته وآياته وإن كان قد اتفق من حكايات اقوالهم والرد عليهم ما لا يكاد يوجد في كتاب ، سيما حكاية تسابيحهم وأقاويل رؤسائهم . فاحتفظ بذلك فانك لا تكاد تجده / في كتاب ، وبك الى حفظه امس الحاجة .

ب / ٩٤

فأما المسألة لهم والرد عليهم فكثير .

فمن ذلك ، كتاب الجاحظ ، وكتاب آخر له يعرف بالرسالة العسلية ، ولأبي جعفر الاسكافي ، ولأبي بكر احمد بن علي بن الأخشيد قطعة حسنة في كتاب المعونة . ولأبي عيسى الوراق كتاب عليهم ، ولأبي علي كتاب عليهم ، ولأبي هاشم مسألة في البغداديات ، وفي أصول ابن خلاد وفي شرحه ، وفي الايضاح لأبي عبدالله البصري ، رحمة الله عليهم اجمعين ، كلام عليهم (١) .

(١) ابو بكر الاخشيد احد رجال الفكر الذين أيدوا المعتزلة في بعض أقوالهم وخالفوهم في بعضها توفي سنة ٣٢٠ هـ . اما ابو علي وابو هاشم فهما من كبار رجال الاعتزال وقد سبق التعريف بهما ، اما ابو عبدالله البصري فهو الحسين بن علي اكبر أساتذة القاضي عبد الجبار ومن كبار رجال المعتزلة توفي سنة ٣٦٧ هـ او ٣٦٩ هـ . واما ابو علي بن خلاد فهو أيضاً احد كبار رجال الاعتزال وهو صاحب كتاب الاصول والشرح في علم الكلام وهو احد أساتذة القاضي وقد عده في الطبقة العاشرة ، اما ابو جعفر محمد بن عبدالله الاسكافي فقد كان احد أئمة الاعتزال . خلف حوالي سبعين كتاباً في الكلام ، توفي سنة ٢٤٠ هـ .

وليس عندهم ان المسيح تكلم في المهدي ، ولا اتى ببراءة ساحة امه ، وأكثر ما عندهم ان مريم عليها السلام كانت مملكة بابن عم لها يقال له يوسف ويعقوب النجار ، وأنها كانت عنده ، وأن الناس كانوا يرون ان المسيح ابن يوسف ، الى ان عمته يوحنا في الاردن ، وجاء الصوت من السماء : هذا ابني الذي سررت به نفسي . قالوا : فعلنا انه ابن الله تعالى الله لا ابن يوسف النجار . قالوا : وكان هذا بعد ان اتى على المسيح ثلاثون سنة ، وكان الناس لا يشكون انه ابن النجار الى ان جاء هذا الصوت بزعم النصارى ، فأبي سخف وضمة وطعن في حكمة الله اعظم من هذا ، وهو عندهم رب العالمين ، وقد خلت عبادته يقذفون امه .

وفريق منهم وهم الخاصة يذهبون الى ان ربهم يهودي بن يهودي ، مولود من يهودية ، وان امه امرأة يهودية ، وقال متى في انجيله : لما ظهر الحمل بالمسيح بمرم البتول هم يوسف النجار بطلاقها ، فأثام الملك في المنام فقال له : يا يوسف النجار لا ترتب بجليتك مريم فإن الحال فيها من روح القدس ، فأمسك هن طلاقها .

أ/ ٩٥

فانظر كيف يشهد بأنها حلية يوسف النجار وزوجته ، / وانه هم بطلاقها واتهما بالزنى وأراد طلاقها فراراً من العار .

وبعضهم يذكر في ترجمة انجيله : هذا ميلاد يسوع ^(١) بن يوسف النجار ، ومتى يقول في انجيله : هذا ميلاد يسوع ^(٢) المسيح . وقال : يعقوب والد يوسف رجل مريم التي منها ولد يسوع المسمى مسيحاً ، فانظر كيف يحققون ان يوسف زوجها .

(١ و ٢) في الاصل : ياشوع

وفي الانجيل ان المسيح لما ولد ختن بعد ثمانية ايام ، وان يوسف النجار اخذه مع امه وخرج بها الى مصر فأقام اثني عشر سنة ، ثم اخذهما وردهما الى بيت المقدس .

وفيه ان يوسف دخل بيته فقال لمريم : اين الصبي ، يعني عيسى المسيح ، فقالت له : ظننته معك ، فقال : وأنا ظننته في البيت عندك ومعك ، فقلنا لذلك وخافا عليه الضياع ، فخرجا جميعاً في طلبه ، فقال يوسف النجار : لمريم خذي انت طريقاً وآخذ انا طريقاً آخر ، فلعل واحداً منا يحده . فشيئاً متحرقين ، فلقيته مريم امه فقالت : يا بني ، اين تكون ؟ ظننتك مع ابيك وظنك ابوك عندي فلما لم يرك قلقتنا فأخذ ابوك في طريق وأخذت انا هذا الطريق ، فأين كنت ، ومع من كنت وابوك متحرق عليك ؟ فقال : كنت في بيت المقدس اتعلم .

وذكر متى في انجيله : ان المسيح اجتمع مع اليهود وضرب لهم الامثال ، فلما فرغ المسيح من هذه الامثال تحول فدخل مدينته ، وكان يعلم في كنائسهم فكانوا يتمجبون ويقولون : من اين لهذا هذه الحكمة ، أليس هذا ابن يوسف النجار ، أليس امه التي تسمى مريم واخوته يعقوب وشمعون ويهوذا واخواته كلهن أليس هن عندنا ، من اين لهذا هذا كله ، وجعلوا يحتقرونه ويأثمون فيه / ويقذفونه ، والمسيح يقول لهم : ليس من نبي إلا ويحتقر في مدينته . والنصارى توافق المسلمين في ان المسيح ولد من غير ذكر ، ثم يقولون في اتانجيلهم : ان يوسف النجار زوج مريم ام المسيح ، ورجل مريم ، وابو المسيح ، وانه كان يدعي بذلك ويعرف به غير متناكر بينهم ، وأنه كان له إخوة وأخوات .

٩٥ / ب

وفي أنجيلهم وأخبارهم انه لما طلب جاءته أمه مريم ومعها أولادها يعقوب
وشمعون ويهوذا ، فوقفوا حذاءه ، فقال لها وهو على الخشبة : خذي أولادك
وانصرفي ، فما الذي بعد هذا في البيان ان مريم ولدت بعد المسيح من يوسف
النجار هؤلاء الجماعة وكانوا إخوة المسيح من أمه ، فأبي فضيحة تكون أبشع
من هذا .

ومن عجيب امر النصارى ، ان اصحاب الأناجيل الاربعة قد قصدوا الى
ذكر نسب يوسف النجار خاصة ، وليس في ذلك نسب للمسيح اذ كان مولوداً
من غير ذكر ، وانما يتصل نسبه الى سليمان بن داود عليها السلام من قبيل
أمه لا من قبيل احد من الرجال ، وهذا تخليط بين وجهل ظاهر ، ولذلك
وجد اليهود السبيل الى الطعن في المسيح .

ولتعلم رحمك الله ، ان هذه الطوائف من النصارى أجهل عالم الله بالمسيح
واخباره وأخبار أمه ، وان كل واحد من اصحاب هذه الأناجيل إنما تلفظ
ما كتبه بعد المسيح بالدهر الطويل ، وبعد مضي اصحابه عن لا يعرف ولا
يحصل ، وفيها من الاختلاف والتناقض لما هم عليه ما يطول شرحه .

وفي أنجيلهم ان المسيح أتاه قوم من اليهود يسألونه آية فقدفهم وقال مجيباً
لهم : إن القبيلة الخبيثة الفاجرة تطلب آية ولن تعطى آية خلا آية يونان النبي ،
هذا على قولهم يدل انه ما معه آية بهذا الإفصاح ، وأنه ما ادعى ذلك عند /
الحاجة اليه .

والنصارى لا تعرف الربوبية ولا تفرق بينها وبين الانسانية ولا يقوم على
احد حجة بنقلهم وادعائهم إلا بآيات للمسيح ، ولولا شهادة رسول الله ﷺ
للمسيح عليه السلام بالنبوة لما عرف احد ذلك .

ومن أكبر كيد رؤساء النصارى، ادعاء المعجزات لأنفسهم ولأمثالهم من سلف من رؤسائهم ، والنصارى تقبل ذلك منهم بغير برهان ولا حجة ، فاذا مات ذلك الرئيس من راهب او قس او مطران او جاثليق قعد راهب وقال: أنا كنت أخدمه فرأيت منه العجائب، فترحوا عليه معشر النصارى، وتوسلوا الى الله به فانه شاهد ، فاشهدوا قبره وأكثروا زيارته . فيقول النصارى له : يا رباني (١) حدثنا بما رأيت منه فيمتنع ويقول : أعفوني من الشرح ، وكلما تمتع لجأوا في مطالبته ، فيقيم على الامتناع فيزدادون حرصاً في استخباره ، فيقول : إنه في حياته ما تحدث به فيما أحبُّ أنا ان أتحدث به بعده ، وإنما ذكرت لكم فضله لتتوسلوا الى الله به ، فان صدقتموني فافعلوا وإلا فدعوا فما يضرني وليس هي أعجوبة وآية لي وإنما هي له ، فيزدادون حرصاً ، فيقول : قد كان انقطع بنا الزيت في البيعة، وكان لا يطلب الزيت من احد ولا يدعني أطلبه ، فاذا كان الليل أشعل القنديل وقام الى جرة له فيها خل فيصبه في القنديل فيصير من ساعته زيتاً فيصطبغ به كذا وكذا شهراً وقد كان في الجرة أكثر من خمسين رطلاً خلا وهو في الجرة نأكله عند الافطار ، وفي الليل / اذا قلبه في القنديل صار زيتاً .

ب / ٩٦

ويتحدث آخر عن راهب صحبه ، يقال له أبا مرقس ، وانه كان كثير العبادة ، وأنه توكل على الله وألقى نفسه في البحر ، وقال : يفعل الله بي ما شاء ، إن شاء غرقني وان شاء نجاني واللعاني حيث شاء من ارضه . قال : فما جسرت ان افعل مثل ما فعله ، وأقت بمكاني بعده على ما في من وحشة فراقه مدة طويلة ، ثم دعاني ما في من الوحشة له ان افعل مثل فعله ، فإما

(١) في الاصل : يارين

ان أغرق فاستريح من الوحدة^(١). ففعلت وبقيت في البحر مدة، ثم ألقاني الله الى ارض لا اعرفها ولا بها ينبوتة يأكل منها حيوان ؛ فأقبلت امشي فيها فوقمت عيني على شخص قائم يصلي فقصدت نحوه فاذا هو « أبنا مرقس ، صاحبي ، فقلت له : ربّاني^(٢) ، مذ كم انت هاهنا ؟ قال : مذ فارقتك ألقاني الله الى هذه الارض ، فقلت له : من اين تعيش وليس هنا ينبوتة يأكلها حيوان ؟ فقال : اذا كان العشاء التفت من صلاتي فأجد سمكة مشوية حارّة في طبق رغيفين وسكرجة عسل ، فأفطر على ذلك ويرقع الطبق ولا ارى من يرفعه ولا من يضعه . فقلت له : هذا المقدار هو قوتك انت وان شاركك فيه ضيقت عليك ، فكيف اعمل انا وهذه ارض قفر ، ما بها نبات ولا بها بيس^(٣) ، فقال : ما ادري وان شئت ان تقيم وتشاركني فيما يبيحني فافعل . فأقمت ، فلما كان العشاء اذ بطبقين وسمكتين ورغيفين وسكرجتين ، أحدهما لي ، والاخرى له . فقال لي : قد جاءك من الرزق مثل ما جاءني ، فأقمت معه كذا وكذا / سنة ، فرض ووصاني بدفننه وأمرني انصرف بعد دفنه اليكم لأعرفكم خبره لتزدادوا بصيرة في دينكم ، ولولا وصيته لما فارقت المكان.

ويقول آخر من الرهبان لهم : أبشروا معشر النصارى، فإن دينكم الحق، فقد رأيت من العجب ما عرفت صحته ، فيقولون له : مثل اي شيء رأيت فيقول : ليس هو شيء لي وإنما هو لغيري ، وهو اني كنت في جملة الجائليق فلان ، فقال لي : يا اخي بلغني عن مطران خراسان انه يأكل اللحم، فامض اليه وقل له : اما علمت ان المطران لا ينبغي له ان يأكل اللحم ؟ فمضيت

(١) لعل في العبارة نقصاً

(٢) في الاصل : ربن

(٣) في الاصل : أيبس

اليه فاتفق دخولي عليه وبين يديه مقلتي بماء عصفير قد قليت وهي حارة ، وهو يأكل ، فقال لي : كل ، فقلت له : ابونا الجائليق ارسلني اليك يقول لك : أما علمت ان المطران لا ينبغي له ان يأكل اللحم ، فقال لي : هكذا قال لك ابونا ؟ فقلت : نعم ، فرفع يده وقال لي : نعمل ما قال ابونا ، وقال لتلك العصفير التي في المقلتي : كش ، فتطايرت كلها ، ورفع المقلتي ، فيصدقونه ويدنون ذلك ، ويكتبونه . ويطرأ على من بالعراق منهم وما والى العراق راهب لا يعرفونه ، فيقولون له : وقد دخل البيعة : رباني ، من انت ، ومن اين جئت ؟ فيقول : دعوني وأعفوني فيراجعون فيقول : ذنبي عظيم وفضيحتي فاحشة فلا تسألوني عن شيء ، فيلحون في سؤاله فيقول : بشرط انكم تسترون عليّ ، فيقول : انا كنت رجلاً يهودياً شديد البغض للنصارى والمسيح ، وسمعتهم يقولون في الانجيل ان المسيح قال : من كان نصرانياً خالصاً وقال للشجرة قفي على أمواج البحر / ولا تبرحي ، فانها تقف . وكنت لا اصدق بهذا فجئت الى الملك وقلت له : أنا رجل يهودي ، وقد قلت ان المسيح قال لكم كيت وكيت ، فإن صح هذا ورأيتك بعيني تنصرت من ساعتى . فوجه الملك الى السواد فجاؤوه بشيخ ضعيف البنية وعليه المسوح ، فقال له : هذا رجل يهودي ، وقد قال كذا وكذا ، فهات ما عندك في هذا ، فأقبل الشيخ عليّ وقال : يا هذا اتق الله ، إن كنت متعنتاً فامض بسلام ولا تؤذنا ، وإن كان ما تقوله حقاً وعن نية صادقة فعرفي ، فحلفت له على صدق نيتي ، فقال لي : اذهب الى الصحراء فانظر اي شجرة شئت فعلمت عليها وارجع اليّ فعرفي العلامة ، فذهبت وأعلمت على شجرة عظيمة ورجعت اليه فعرفته ، فقال لي : تجيئين في غد حتى اريك شجرتك على موج البحر كما اقترحت . فجيئته من غد وأخذ بيدي وجاء بي

الى البحر فأراني الشجرة التي اعلت عليها قائمة منتصبه على موج البحر
فتصرت ، فأنا اسبح في الارض وأبكي على ذنوبي وذهاب ايامي . فيصدقونه ،
ويكتبون ما قاله ، ويكون مما يدرس في البيعة ويسمعه الرجال والنساء .

ويحيثهم آخر من الرهبان فيبكي ، فيقولون له : من انت ، وما يبكينك ؟
فيقول : دعوني فإن مصيبي عظيمة ، فيقال له : اذكرها يا بني ، فيقول :
ما اعقل امري ، وما ادري ما اقول ، فيقولون له : على كل حال اذكر
مصيبتك وعرفنا حالك ، فيقول : او ليس قد مات ابونا جورجس ؟ فيقال
له : ومن جورجس ؟ فيقول صاحب البلا الفلاني والصومعة الفلانية ، فيقولون :
ما نعرفه ، وربما فيهم واحد يقول : قد سمعت به فيقول : فهل بلغتكم آياته
ومعجزاته ، فيقولون : حذ ثنائها ، واذكرها لنا . فيقول : ما ^(١) لي
اذكرها لكم ، ما انتم نصارى بل انتم خلاف النصارى ، ولو كنتم نصارى
لعرفتموه وعرفتم آياته ودلالاته . فيسألونه ذكرها فيأبى ويتمنع ، فلا
يزالون يراجعونه / فيخبرهم ان الملك الفلاني ارسل فأشخصه ، وقال له :
ارجع عن هذا الدين وأنا اعطيك وأكرمك وأشاركك في ملكي ، فأبى ،
فحبسه في محبس وثيق ضيق ، ثم طلبه من السجن فما وجدته في السجن ،
فلحق السجن من الملك كل ما يكره ، وقال له : انت اطلقته ، وبث
الرسل في طلبه فوجدوه في صومعته فأتوا به الملك فقال له : اخبرني عن
السجن ، اهو الذي اطلقك ؟ فيقول : لا ، المسيح اخرجني ، وفتح الأبواب
لي ، وحجب الأبصار عني ، فقال له الملك : انا الآن احببك في محبس ،
فقل للمسيح يطلقك . فحبسه في محبس وثيق من وراء ابواب حديد مقفلة ،

(١) في الاصل : لما ، ولعل الصحيح ما اثبتناه .

ثم طلبه فما وجدته . فأرسل الى صومعته فإذا هو فيها ، فجاء به ، وقال له : من اطلقك فقال له المسيح : فرده الى الحبس وقيدته وثقله بالحديد وزاد في التوثيق ، ثم طلبه فما وجدته في الحبس ، والأبواب والأقفال كما كانت ، ووجد القيود ؛ فأرسل في طلبه فوجدته في صومعته فجاؤوا به وقد اغتاض الملك مما يتم له ، ومن تخجيله له مرة بعد اخرى ، فأمر فضربت عنقه ودفن فلما كان من غد يوم دفنه وجدوه في صومعته ، وقيل ذلك للملك ، فبعث وأحضره وقطعه إرباً^(١) وحمل ودفن فلما كان من غد وجدته في صومعته ، وقيل ذلك للملك ، فأرسل وجاء به وقطعه إرباً^(٢) ، ودعا بنار فأحرقه وأمر برماده فألقي في البحر ، فلما كان من الغد وجدوه في صومعته ، فأرسل الملك وجاء به واعتذر إليه وتنصر .

فيقول الراهب: وكل هذا كان منه وأنا معه وأشاهده منه وما فعله الملك به ، فمثل هذا لا ابكي عليه ولا تعظم مصيبتى به . وأشد من هذا ، جهلكم وغفلتكم حتى كأنكم ما انتم نصارى ولا سمعتم / بالنصرانية ، ويبكي ، فيصدقونه ويعتدرون إليه من غفلتهم وجهلهم بهذا الرجل وبما كان معه ، ويحتمعون : رجالهم ونسأؤهم وصبيانهم ، ويسألونه ذكر ذلك لهم ، فيعيده على فوج بعد فوج ، فينصرفون عنه وقد صدقوه . وينبشون ويتحدثون بذلك سروراً به ، ويخلدون ذلك ، ويعملون لمثل هذا اعياداً ، ويعملون له أياماً معلومة يقيمون هذه الاهداد فيها ، ويعيدون حديثهم ليتطراً ذكرها وليسمعها من يشاء من ذرايرهم ، ويسمون ذلك ذكران ؛ فيقولون : هذا ذكران جورجس

٩٨ / ب

(١ و ٢) في الا

وهذا ذكران ابا مرقس ، وهذا ذكران فلان (١) .

ويجيئهم آخر ، فيقول : تدرون معشر النصارى لم صار في العرب والقبط والحبشة والفلايين (٢) نصارى ؟ فيقولون : لا ، [فيقول (٣)] ولكنني أدري ولو كنتم نصارى لدرتيم ، فيسألونه فيخبرهم . فيقول ان الآباء الأوائل باتوا ليلة لسانهم واحد ، فأصبحوا وقد نطق كل واحد منهم بلسان امة من الأمم ، فانطلق كل واحد منهم الى تلك الأمة التي نطق بلسانها ، فدعاهم بلسانهم ، وأظهر لهم الآيات والمعجزات ، وإلا فقولوا لنا : لم تنصرت الارمن والعرب والقبط والحبشة ؟ فيقولون له : صدقت ، هذا برهان نيتّر فيكتبون هذا ويدونونه ويجعلون له عيداً وذكراناً ، وهذا اصله ومخرجه وأوله . فإذا تخلد وانبتت ومرّت عليه الدهور وأتت عليه الأعصار ، ادعوا انه شيء كان أصله بمشاهدة الأمم لأن الكذب فيما تقادم عهده أمكن . وانما يجعلون له ذكراناً وعيداً ويوماً بعينه لتتم الحيلة فيه ، وليظن من يسمع انه ما جعل له عيد ويوم معلوم وتاريخ مؤقت محدود إلا وهو حق وله اصل ليتأكد / الكذب ويتم التمويه ، وليتصل البر والصدقات على الرهبان في هذه الاعياد . والفظناه من النصارى يقولون : هذه الآيات والمعجزات انما هي من احتمالات الجشالقة والرهبان ومن يبغض العمل ويفر من الكد ، ويسمونهم بلفتهم السريانية «عازق معنا (٤)» . معناه انه ترهّب ولزم الدين لياًكل من غير ماله ويستريح من الكد ، والرهبان اذا ما تشاحنوا على ما يأخذون يقول احدم لصاحبه : النصارى يفضلونك علينا ، ويعطونك أكثر مما يعطونا ، ومالك من فضل

(١) كتب المعلق في الهامش : في سبب ذكران النصارى .

(٢) هكذا في الاصل

(٣) في الاصل لا توجد كلمة فيقول ، وهي اضافة مني ليستقيم الكلام .

(٤) كتب المعلق في الهامش : عازق معنا .

علينا ، كلنا قد فر من العمل ، وإنما نحن نصلي للنصارى . ولهم من المكاشفات ما يطول شرحه ، ولكن ليس متأمل ولا متفرد على الاسلام ولا متفقد^(١) . وربما ورد الراهب على النصارى بمثل ما قدمنا ، فيقبل الراهب بعضهم على بعض بالقول فيما بينهم : تأملوا هذا الفار من العمل بأي شيء قد جاء يخدع النصارى ، وانظروا هل يكون له بخت . وربما جاء الراهب الى الجاثليق بمثل هذا لينفق عنده ، فيقول له الجاثليق : عزمت على الهرب من العمل ، انت عازق معنا ، فربما بكى ، وقال له : أبونا ما يحل لك ان تقول لي هذا ، فيقول الجاثليق : يا أخي ما ينبغي ان تعمل معي هذا فانا أعرف بالصنعة ، هبنا خدعنا غيرنا ، بعضنا يعرف بعضاً والصنعة واحدة ، وأنا عازق معنا مثلك ، فلا تبك .

ومثل هذا رحك الله تجمد كثيراً من القسيسين والرهبان ، اذا رأوا راهباً او جاثليقاً او قساً او مطراناً قد ادّعت له المعجزات ونفق على النصارى ، يقول بعضهم لبعض : انظروا بأي شيء نفق هذا على النصارى الجهال ونفذت حيلته فيهم واستوت له عليهم / الرئاسة .

ب / ٩٩

وكان متى بن يونس القس صاحب المنطق^(٢) يقول عند مثل هذا : هذا بخت النقول^(٣) . وعلماء النصارى يسرعون الى الإلحاد كما تقدم ذكره لك ، وما يدينهم من هذا الامر ، ان موضوع النصرانية ان الآيات والمعجزات

(١) هكذا وردت العبارة في الاصل

(٢) متى بن يونس النصراني (ابو بشر) ، حكيم منطقي توفي ببغداد سنة ٨٣٢٨ هـ . ترجم عدة كتب في الفلسفة والمنطق الى اللغة العربية . انظر الفهرست ١ : ٢٦٣ ، ابن ابي اصيبعة ١ : ٢٣٥ ، القفطي ٣٢٣ .

(٣) نفل الاديم فهو نفل اي فسد فهو فاسد ، والنفل ايضاً ولد الزانية . انظر القاموس المحيط

تكون في عبادتهم في كل عصر لا تنقطع ، تدعي ذلك الملكية لعبادها ، كما يدعيه باقي طوائفهم ، ويدعون المشاهدة في كل زمان وأوان ، مع إكفار بعضهم لبعض . وليس فيهم احد رأى شيئاً من ذلك ، وليس إلا الدعاوى التي تقدم ذكرها والذكران والاعبياد ، فيلحدون ويظنون بما يُدعى لموسى وهارون وعيسى عليهم السلام بمثل ما يُدعى للرهبان .

وبما يؤثر ان النصرارى جلسوا في ذكران جورجس ، وما جرى عليه من القتل مرة بعد مرة وهو يعود ويقوم من قبره الى الصومعة . فيقول قائل منهم : لو صدقنا انفسنا لعلمنا ان هذا كذاب لا اصل له ، المسيح صاحب جورجس ذاق مرّ الحديد مرة واحدة فما عاد ولا تعرض لمثلها ، فكيف يتعرض لها جورجس وهو دونه في الصبر والبصيرة ، فأضحكهم .

وأكثر ما عند اهل البصائر منهم ان يقولوا : سبيلنا ان نسلم للرؤساء ونقنع في الدين بالتقليد ولا نطلب فيه البرهان ، فليس امر الشريعة والبيعة من امر الطبيعة في شيء . وهذا شيء ألقاه لهم هؤلاء الرؤساء الذين يستأكلونهم ويسخرون منهم ، وأكثرهم ملحدة كما قدمنا . وهم يريدون بالطبيعة ما يقوله أرسطاطاليس وأمثالهم من الملحدة : في ان الشمس والقمر وسائر أجساد السماء لا يجوز ان تتصدع ولا تتفرق ، ولا ان تكون حارة ولا باردة ولا رطبة ولا يابسة ولا حلوة ولا حامضة / ولا ثقيلة ولا خفيفة ، وما اشبه ذلك من جهالاتهم التي تزيد على جهالات النصرارى أضعافاً مضاعفة . ويدعون انهم قالوا ذلك ببرهان . وان الروبية والنبوات والشرائع لا يقوم عليها برهان فخاصة النصرارى ورؤساؤهم أجمل من عامتهم بطبقات .

والقبط تبغض بني اسرائيل لما جرى عليهم وعلى فرعون من موسى .

فلما غلبت الروم على بني اسرائيل وملكّت مصر والشام والجزيرة ، وأخذت الناس بهذا الدين بالرغبة والرهبية كما بيننا وكما ترى وتشاهد ، اسرعت القبط الى ذلك ، وخالطت الروم قبائل العرب من غسان وغيرها بالشام فدعتها الى النصرانية ، وبذلت لها الملك ، وذكروا لهم دين المسيح وما يذهبون اليه من المعجزات التي ذكرناها ، فسهل ذلك عليهم وهم كانوا عبّاد أصنام ، فلم يبعد عليهم ذلك .

وقد صار في هذه الامة من يسلك هذا السبيل ، ويؤكد دعواه بادّعاء الآيات والمعجزات والتواريخ والايام ، كادّعاء الحنبلية ان المعتصم بن الرشيد لما ضرب احمد بن حنبل الفحل عنه مئزره فخرجت كف فشدت مئزره ، وان المعتصم وتلك الجماعة من القضاة والفقهاء والمحدثين لما رأوا ذلك راعهم وخلي المعتصم ضربه وخضع له وسأله بعد أن اعتذر اليه ان يحله فأجابته احمد الى ذلك ، فخلع عليه وكرمه ، وسأله ان يدعو له ، وصرفه الى منزله . ويدّعون لمعروف الكرخي وغيره ما قد علمت (١) .

وادّعى آخرون ان رسول الله (٢) ﷺ استخلف على أمته رجلاً بعينه ، وان امته اجابته الى ذلك وأظهرت السمع والطاعة ، فلما قبض رسول الله ﷺ

(١) كانت محنة الامام احمد بن حنبل (توفي سنة ٢٤١) بسبب موقفه الصلب الذي اتخذه في مشكلة القرآن هل هو مخلوق ام قديم ، فقد كان من رأي المعتزلة اصحاب السلطة آنذاك ان كلام الله فعله فهو مخلوق ، وقد حاولوا ان يأخذوا الناس والعلماء بعقيدتهم واضطر الكثيرون الى مجاراتهم بسبب ضغط خلفاء بني العباس : المأمون والمعتصم والواثق وبتأثير كبير وزرائهم احمد ابن ابي دؤاد ، الا ان الامام ابن حنبل رغم التعذيب على رأيه من انه لا يطلق على القرآن لفظاً يرد فيه نص . وقد أحيطت محنته بمبالغات كثيرة ، اما معروف الكرخي فينسب له الصوفية كثيراً من الكرامات ، توفي سنة ٢٠٠ هـ

(٢) عبارة « ان رسول الله » مكررة في الاصل .

عطوا ذلك كلهم ، وارتدوا / بأسرهم . وهذا قول الكاملة ، ورئيس هذه المقالة ابو كامل معاذ بن الحصين النبهاني الكوفي . وقال هشام بن الحكم (١) :
 قد ارتدوا كلهم إلا نفرأ يسيراً ، فانهم أقاموا على اعتقاد هذا النص بضائرهم وقلوبهم دون الإظهار بالسنتهم . قالوا : وهذا اليوم هو يوم الغدير (٢) ،
 وحين ظهرها هذه الطائفة في سني نيف وخمسين وثلاثمائة للهجرة عبتوا في ذلك اليوم ليؤكدوا كذبهم في المهاجرين والانصار في انهم ارتدوا ، فاعرف ذلك
 والحنبلية والإمامية يحتجون بكثرتهم وان مقاتلتهم قد غلبت على البلدان ،
 وقد تقدم لك القول : ان الكثرة لا تدل على صحة النحلة وانما يدل عليها قيام الحججة ، وان قل عدد العاملين . بل لو كان القائل بالحق رجلاً واحداً ،
 وقامت له الحججة ، لكان أولى بالحق ولو خالفه جميع اهل الارض . وقد قال
 أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه : إن الحق لا يعرف بالرجال ،
 ولكن اعرف الحق تعرف اهله ، واعرف الباطل تعرف اهله .

وقد كانت الحنبلية تحتج على خصومهم من الرافضة بالكثرة وتقرع الرافضة بالقلة ، والرافضة تحتج بأن الله قد ذم الكثرة ومدح القلة وتتلو ما في من القرآن ، فلما اتفقت لهم منذ سني ونيف وخمسين وثلاثمائة للهجرة احتجوا بالكثرة ،

(١) هشام بن الحكم الشيباني : من كبار مفكري الشيعة ومتكلمهم توفي سنة ١٩٩ هـ .
 منتهى المقال ٣٢٢ - ٣٢٣

(٢) يقصد غدیر خم ، وهي بشر على ثلاثة اميال من مكة ، وقد روي ان الرسول عليه الصلاة والسلام خطب المسلمين فكان من جملة قوله : « ألسنت أولى بكم من انفسكم ؟ فقالوا اللهم نعم ، فقال : فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ... » وهذا الحديث مشهور ، وقد استدل به الشيعة على ان الرسول عليه الصلاة والسلام قد نص على الخلافة من بعده لعلي رضي الله عنه ، ولم يجد باقي المسلمين فيه اكثر من الدلالة على فضله .

وكتب رؤسائهم القدماء مملوءة بذكر ذم الكثير ومدح القليل ، فاعرف ذلك .

ثم يقال للامامية : إن النص الذي ادعيتموه من النصوص التي تلازم الكفاية من الرجال والنساء والأحرار والعبيد والمسافرين والمقيمين والخاصة والعامية ، لو كان له أصل لكان العلم به عند كل عاقل سمع الأخبار كالعالم بأمثاله من نصوص الكفاية وإن لم يعرف اليوم الذي كان فيه ولا المكان ولا عين اللفظ به ، لأن قول النبي ﷺ : فلان خليفتي عليكم / وحجة الله بعدي عليكم ، كقوله : أنا رسول الله اليكم ، وحجة الله عليكم ، وقد عرف هذا من نصوصه عليه السلام كل عاقل سمع الأخبار بمن صدقه أو كذبه ، وإن لم يعرف الوقت الذي قال هذا فيه ولا المكان ، فإن عرفه كان من الفضل . وهذا بين كاف ، بل نصوص الإمامة والرياسة الصحيحة منها والفسادة إذا وقعت حصل العلم بها عند كل من سمع ذلك الخبر ، ألا ترى ان نص عمر على عليّ ابن ابي طالب رضي الله عنهما بالإمامة والخلافة في الشورى قد عرفه كل من سمع الأخبار ، وكذا نص اهل المدينة عليه بعد عثمان ، ونص ابي بكر على عمر ، ونص الصحابة على ابي بكر ، ونص معاوية على يزيد ، ونص مروان على عبد الملك ، ونص عبد الملك على ابنه الوليد ، ونص المنصور على المهدي . فلو كان النبي ﷺ قد نص على رجل من اصحابه بأي لفظ كان لكان العلم به اقوى من العلم بهؤلاء ، لأنه ليس في هؤلاء احد يعتقد في نصه وفرضه ما يعتقدده المسلمون في نصوص رسول الله ﷺ وأوامره ، وفي فقد العلم بذلك دليل على انه امر لا اصل له بوجه من الوجوه . وبمثل هذا يعلم ان أمير المؤمنين ما نص على ابنه الحسن رضي الله عنهما ، وبمثل هذا نستدل على فساد قول أهل التناسخ وما يدعونه على العقلاء من الاكوار والادوار ، وبمثل هذا يعرف بطلان قول الملحدة في دعواهم في النفس ، ونزولها من عالم العقل

الى عالم الحس .

فإن قيل : إن هذا قد حسد الناس صاحبه ، ونافسوه عنه ، ودفعوه ومنعوه من استعماله وذكره .

قيل له : انك لم تطعن في الدلالة ، بل تركت ذلك وادّعت دعوى اخرى ، فدعواك الحسد والمنافسة كدعواك / النص ، وهذا فيه أتم كفاية على بطلان قولك .

ب / ١٠١

ثم يقال له : إن هذا الدليل قد دل على ان ليس هناك من رسول الله ﷺ نص على رجل بعينه ينافس فيه او يحسد لأجله ، فلو اراد اصحاب رسول الله ﷺ أن يعصوا الله بتعطيل نصه على امير المؤمنين لما قدروا على ذلك ، ولا وجدوا سبيلا اليه ، لأنه شيء ما كان قط ولا وجد .

ثم يقال له : لو كان هناك نص حتى ينافس صاحبه او يحسد لما قدح ذلك في العلم به ، ولما زادته المنافسة إلا قوة . ألا ترى ان اهل المدينة لما نصوا عليه بعد عثمان قد نافسه معاوية ودفعه عن الخلافة فما اثر ذلك في العلم بعقد أهل المدينة عليه ، بل زاده قوة ونشره وبسطه . وقد عقد اهل الكوفة للحسن بعد أبيه رضي الله عنها ، فدفعه معاوية ونافسه وزاحمه وغالبه وغلبه ، فما اثر ذلك في العلم بالعقد له بل زاده قوة . وقد ترشح سعد ابن عبادة الأنصاري للخلافة بعد رسول الله ﷺ ، ورأى نفسه أهلاً لذلك ، فدفعه أبو بكر الصديق عن ذلك ومنعه منه .

وقد ادعى مسيلمة النبوة فدفعه أبو بكر الصديق عن ذلك ومنعه وقتله ، وادعى طليحة ذلك فمنعه ابو بكر ودفعه وأسره ، فما أثر ذلك في العلم بما

ادعى هؤلاء ودعوا اليه بل زاده قوة وعرف الناس الدعوى والمدعى ، والرافع والمرفوع ، والمانع والممنوع ، هذا وليس لسعد احد يقول بامامته ولا يخاصم فيها ، ولا يضع فيها الكتب ، ولا يسير فيها الاشعار ، ولا يقيم فيها المناحات ، وكذا ما ادعاه مسيلة وطليحة ، فعلمت ان هذا شيء ما فعله رسول الله ﷺ / ولا ادعاه ، ولا ادعاه امير المؤمنين ولا دعا اليه ، ولا كان احد من الصحابة يتدين بذلك ، ولا يذهب اليه حرّاً ولا عبد ، ولا ذكر ولا أنثى . يزيدك رضحاً بذلك ، ان امير المؤمنين لما عقد له اهل المدينة كان قوم معه وقعد قوم عنه فلم يكونوا معه ولا عليه وكانوا في المدينة معه ، كأسامة بن زيد ، ومحمد بن مسلمة ، وسعد بن مالك ، وغيرهم . ثم رجع قوم من كانوا معه فصاروا عليه ، وهناك قوم لم يكونوا معه بل كانوا في جميع الاحوال عليه ، ويعلم بذلك كل عاقل سمع الأخبار .

وهؤلاء زعموا ان رسول الله ﷺ قام بهذا النص الشامل العام ، وعرف الناس هذا الفرض وقدره عندهم ، وأداه اليهم بحسب عمومته وشموله ، وأعلمهم انه شيء يلزم كل واحد منهم ، من حر وعبد وذكر وأنثى ومسافر ومقيم وعليل وصحيح ، وانهم أظهروا له القبول والرضا ، فلما مات ارتدوا كلهم ورجعوا عن هذا النص .

وقال هشام : ارتدوا كلهم إلا ستة نفر منهم ، قلنا : فقد كان ينبغي ان يكون العلم بهذا عند كل من سمع الاخبار ، وان يكون أقوى وأقهر واغلب من العلم بالذين قعدوا عن امير المؤمنين فلم يكونوا معه ولا عليه ، ومن العلم بالخوارج الذين كانوا معه ثم صاروا عليه ، ومن العلم بما كان بينه وبين معاوية ، ومن العلم بالتحكيم ، وإلا فكنا نكون كمن قال : ترون الحصاة وهي على ابي

قبیس (١) ، ولا ترون أبا قبيس ، وهو مكان الحصاة لأن ذاك العقد من رسول الله ﷺ اعظم ، وفرضه أعم وأشمل من النص على القبلة ، وعلى صيام شهر رمضان ، وعلى الجمعة وغسل الجنابة . ألا ترى ان فرض القبلة يسقط عن خفيت عليه الدلالة وعن المتأنف (٢) وعن المسافر في التطوع ولا يسقط عنه اعتقاد الإمامة وطاعة الإمام ، وقد تسقط الجمعة عن المسافرين والمرضى والنساء والعبيد ولا يسقط عن احد منهم اعتقاد الإمامة وطاعة الامام ، وقد يسقط الصوم عن المسافرين والمرضى والحیض ولا يسقط عن أحد منهم اعتقاد الامامة وطاعة الامام ، فلو كان كما ادعوا لكان العلم بذلك عند كل عاقل سمع الأخبار أقوى وأقهر . وأغلب من العلم بالقبلة وبصيام شهر رمضان ، وبالجمعة وبغسل الجنابة . ومثله في النصوص ، نص النبي ﷺ على انه رسول الله الى الناس جميعاً ، ألا ترى أن العلم بذلك حاصل عند كل عاقل سمع الأخبار ، بمن صدقه او كذبه ، فلو كان لهذا النص أصل لكان يعلمه كل عاقل سمع الأخبار وإن لم يقبله وإن لم يتدين به . كما علم اليهود والنصارى والمجوس انه عليه السلام نص على انه رسول الله اليهم ، وأن طاعته عليه السلام تلزمهم وتجب عليهم ، وفي عدم العلم بذلك دليل على أن هذا شيء ما فعله رسول الله ﷺ ساعة قط ، ولا كان منه فيه إشارة ولا إيماء بوجه من الوجوه .

ولسنا نقول : إنه لو فعله لقبوه وعملوا به ، بل نقول : كان العلم يحصل

(١) ابو قبيس : جبل بمكة سمي برجل من مذبح حداد لأنه اول من بنى فيه . القاموس

(٢) المتأنف : المبتدئ ، والاتئناف : الابتداء .

به عند كل من سمع الأخبار وإن لم يعملوا به ، وإن اجموا على تعطيله كما اجموا على تعطيل إمامة سعد بن عباد ، ونبوة مسيئة وطليحة . فاعرف ذلك .

وما يزيدك بياناً ، ان النبي ﷺ قد نصّ على اشياء ، فلما قبض ارتدت العرب عن ذلك بألوان الردة ، / فادعى مسيئة النبوة في ربيعة بأرض اليمامة وادعى مثل ذلك طليحة في بني اسد ، ورجعت قبائل كثيرة من فزارة وقضاة وغيرهم ممن هو معلوم عن الشريعة كلها ، واستثقلوا ما حرّم عليهم من الخمر والزنا والربا والسرقه والغارة وغير ذلك ، وارقد من بالبحرين وبنو يربوع وغيرهم لمنع الزكاة ، وقالوا لأبي بكر : نشهد الشهادتين ، ونقيم الصلاة ، ونجاهد معك العدو ؛ فإن ابيت ذلك لحقنا بالعدو وحاربناك .

أ / ١٠٣

وأقسام ابو بكر والمهاجرون والانصار على الاسلام ، وجاهدوا المرتدين كلهم ، فحصل العلم بذلك عند كل من سمع الاخبار . فلو كان لما ادعاه هؤلاء القوم ادنى إشارة ، لكان العلم بذلك مثل العلم بهذه الامور ، بل قد كان ينبغي ان يكون اقوى واقهر ، وإتّما هذا شيء ادعاه ابو كامل وهشام (١) بعد انقراض الصحابة ، والتابعين وتابعي التابعين ، وتابعي تابعي التابعين .

وعلى ان قوله عليه السلام : « انت مني بمنزلة هرون من موسى » ، « ومن كنت مولاه فعلي مولاه » ، وما اشبه ذلك مما يجعلونه حجة في دعواهم ، ليس من ألفاظ النصوص والاستخلاف والوصايا في لغة ولا في عقل ولا في شريعة ، وانما هي فضائل ادخلها هؤلاء في هذه الدعوي ، وانه امر

(١) سبق ان مر التعريف بأبي كامل وهشام بن الحكم .

لا تقوم به حجة ، ولا يجدون فيه حيلة ، فلبجثوا الى التعلق بهذه الفضائل ، وقالوا : هي نصوص ، فلو لم يدللك على فساد قولهم إلا تعلقهم بهذه الاشياء لكففاك وأغناك .

وقد رفع الله قدر رسول الله ﷺ ان تكون نصوصه ووصاياه بمثل هذه الالفاظ ؛ يزيدك بياناً انه عليه السلام قد نص على خلق كثير بالولاية والإمارة ، فقال / في غزاة مؤتة للجيش الذي أنفذه : اميركم زيد بن حارثة ، فإن هلك فجعفر بن ابي طالب ، فان هلك فعبد الله بن رواحة . ومثل ذلك في الامراء ولعلمهم نحو ألف امير ، ما فيه نص بهذه الالفاظ التي يدعونها هؤلاء .

ب / ١٠٣

وقد استخلف ابو بكر عمر بن الخطاب ، وعمر اهل الشورى ، فليس فيهم من قال من كنت مولاه ففلان مولاه ، وكذا سائر من عهد الى احد لم يذكر هذا اللفظ ، وهم عرب وفصحاء ، وفي دعوة الاسلام ، وينتمون الى رسول الله ويؤكدون عقودهم بكل ما يقدرون عليه مما هو مستعمل في اللغة والشريعة ؛ وهم لا يعرفون هذا اللفظ في العقود ، وانما هذه فضائل لا مدخل لها في النصوص والوصايا والعقود . وقد قال رسول الله ﷺ في رجال كثير ما هو أكد وأشرف من هذا وأوضح ؛ ألا ترى انه قال : « اقتدوا بالذين من بعدي : ابو بكر وعمر (١) » ، وقال عليه السلام : « هما كالملائكة والأنبياء » في قصة أسارى بدر ، لما أشار عليه ابو بكر بالغفو عنهم

(١) انظر كتب المناقب وفضائل الصحابة في كتب الحديث ففيها الكثير من الاحاديث في فضائل الصحابة جميعاً .

واستبقائهم ، وأشار عليه عمر بقتلهم واستئصالهم ، فقال رسول الله ﷺ : إن لأبي بكر وعمر إخوة من الملائكة والنبیین تشبههما ، فأبو بكر كميكايل في الملائكة ينزل بالعبوة والرافة والرحمة ، وهو كإبراهيم الخليل إذ يقول : « فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ^(١) » ، وهو كالسيح إذ يقول : « إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ^(٢) » . ومثّل عمر مثّل جبرائيل ينزل بالعقوبة والنعمة ، ومثله في الأنبياء كنوح إذ يقول : « رب لا تذرني على الأرض من الكافرين دياراً ^(٣) » ، وكموسى إذ يقول : « ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم ^(٤) » . وإن الله ليشد في هذا الدين قلوباً فيجعلها كالحجارة ، ويلين فيه قلوباً / فيجعلها ألين من اللبن . وشبهه عثمان بلوط عليه السلام ، فإنه لما أسلم آذنه قريش ، فهرب بدينه إلى أرض الحبشة ومعه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ ودعها رسول الله ﷺ وعانق عثمان وقال : « إنه لأول من هاجر بدينه مع أهله بعد لوط » ، وقال عليه السلام : « من أحب أن يسمع القرآن غصاً كما أنزل فليسمعه من ابن أم عبد ^(٥) » ، وقال عليه السلام : « رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد ، وكرهت لها ما كرهه ابن أم عبد ^(٦) » ، وقال للأَنْصار : « إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع » ، « ولو سلك الناس شعباً

١ / ١٠٤

(١) إبراهيم ٣٦

(٢) المائدة ١١٨

(٣) نوح ٢٦

(٤) يونس ٨٨

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده وابن ماجه والحاكم عن أبي بكر وعمر . انظر الزيادة على

الجامع الصغير ٣ : ١٤٨

(٦) رواه الحاكم عن ابن مسعود . انظر الجامع الصغير ٤ : ٣٣

ووادياً وسلكت الانصار شعباً ووادياً لسلكت شعب الانصار وواديهم ،
وقال : « الانصار كرسقي وغيبقي ، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار^(١) »
وقال في عمه العباس وفي تفضيله وتفضيل ولده الاقوال الكثيرة ، وقال في
معاذ ، وفي عبد الرحمن ، وأبي عبيدة^(٢) ، وغيرهم من المهاجرين والانصار
ما هو معروف مكشوف لا يشك فيه ؛ فقد كان ينبغي على ما يدعي هؤلاء
ان تكون هذه الفضائل نصوصاً^(٣) اذا كانت الالفاظ على خلاف ما يعرف
منها في اللغة العربية .

وهؤلاء يقولون : انتم لستم من العرب ولا تعرفون العربية ، فلهذا ذهب
عليكم ان قوله : « من كنت مولاه فعلي مولاه » ، وانت مني بمنزلة هرون من
موسى ، [يعني الاستخلاف]^(٤) .

قلنا قد فرغنا من هذا مرة وبيننا ان هذا ليس من الفاظ الاستخلاف البتة ،
لا في عقل ، ولا في لغة ، ولا في شريعة .

وأيضاً ، فلو كان هذا من ألفاظ الاستخلاف لكان اولئك القوم الذين
سمعوا هذا من رسول الله ﷺ قد عرفوا صدقه وقصده ، فكان ممن بعدهم
يعرف ذلك كما عرفوا وان لم يكن من العرب ولا يعرف العربية ، لأن
مدار الامر في ذلك / وأشباهه على المعاني لا على الالفاظ . ألا ترى ان رسول

ب / ١٠٤

(١) لفضل الانصار انظر مناقب الانصار والصحابة في كتب الحديث .

(٢) انظر لفضلاء هؤلاء ابواب المناقب في كتب الحديث ، وانظر الرياض النضرة في فضائل
العشرة للطبري .

(٣) في الاصل : نصوص

(٤) في العبارة نقص ، ولعلها ان تستقيم باضافة « يعني الاستخلاف » في آخرها .

الله ﷺ لما دعا ونصّ : أني رسول الله الى الناس كافة ، وأنه حجة الله على كل ما يأتي الى يوم القيامة ، وانه لا شيء معه ولا بعده ، وجميع ما دعا اليه وحرمه من المحرمات ، علم ذلك من قصده وما عناه وأراده كل عاقل سمع اخباره من العرب والروم والفرس والهند والقيبط والأرمن ، ممن يحسن العربية ومن لا يحسنها ولا يدور لسانه بها، ولا يحسن [التلفظ] (١) بقول رسول الله، ولا يحسن يتلفظ بشيء من المحرمات ؛ كل* قد عرف ذلك من قصده بإشارة الخرس الذين بلغتهم الدعوة من المؤمنين والكافرين . فيعلم بطلان هذه الدعاوى .

بل لو تكلم ﷺ بما لا يعرفونه في اللغة ، وقصد به معنى من المعاني ، ونقلهم عما يعرفون في لغتهم لعرفوا قصده ومراده . ألا ترى ان الوضوء في اللغة انما هو التنظيف ، فجعله اسماً لغسل هذه الأعضاء الاربعة فعرفوا قصده ، وان لم يكن قبل ذلك في اللغة . والصلاة في اللغة : الاتباع والدعاء ، لا يعرفون إلا هذا ، فجعل ﷺ هذا اسماً للتوجه الى القبلة بعد الوضوء مع الركوع والسجود ، فعرفوا قصده وإن لم يكن ذلك في لغتهم .

وكذا الزكاة ، انما هي في اللغة اسم للزيادة والنماء في المال ، فجعله اسماً (٢) لما يؤخذ من اموالهم ، فعرفوا قصده ، وعرف من بعدهم ممن بلغه خبرهم مثل ما عرفوا ، فيعلم ان رسول الله ﷺ ما عنى بالأخبار التي يروونها عنه ما ظنوه وعنوه .

وقد دعا امير المؤمنين علي بن ابي طالب الى نفسه ، وفرض على الناس

(١) اضافة على الاصل

(٢) في الاصل : اسم

طاعته ، وابتلى بن خالفه ، / وبين قعد عنه ، وبين ضلله ، وبين ارتد عنه من اصحابه ؛ فما احتج على مخالفه إلا بالاختيار ، وان طاعته قد وجبت لأنه قد بايعه الذين بايعوا ابا بكر ، وعمر ، وعثمان . وقد احتج لنفسه ، واحتج عنه ولده وشيعته وأهل بيته ، وكاتب معاوية وراسله . ثم صار الى الشام ، واحتج على اهل الشام واهل البصرة واهل النهر هو وأصحابه ؛ فما احتجوا في مكاتبة ولا في مراسلة ولا في مشافهة ، إلا بأنه قد بايعه الذين بايعوا ابا بكر وعمر وعثمان وانه لا تحمل مخالفته كما لم يحل مخالفتهم ، ولا يذكرهم في احتجاجهم كما يذكر هؤلاء من الآيات ولا من الاخبار ، ولا قوله « من كنت مولاه » ، ولا « انت مني بمنزلة هرون من موسى » ، مما يحتجون به . فلو كانوا هؤلاء شيعة رضي الله عنه لسلكوا سبيله واقتفوا اثره ؛ فقد بُلي من هذا الأمر ، ومن خلاف الناس عليه ، ومن رجوع اصحابه عنه ، ومن اكفارهم له ، ما لم يبطل به ابو بكر ، ولا عمر ، ولا عثمان ، ولا احد من اهل الشورى والبدريين . وقد بالغ في اقامة الحججة عليهم وكلهم من اهل القبلة واهل الصلاة والى القرآن يرجعون ، وبأحاديث رسول الله ﷺ يحتجون ، والحجة من قبله يطلبون ؛ فما قال قط ولا ولده ولا من يحتج عنه من اهل بيته : ان رسول الله ﷺ قد قال في : « من كنت مولاه فعليّ مولاه » ولا « انت مني بمنزلة هارون من موسى » ، وهذا نص منه على استخلافه ، وهذا شيء تأويله النص ، وباطنه الاستخلاف . ولا قال هو ولا احد من اصحابه ومن يحتج له : لم تكفروني وتضلوني والني قد استخلفني ونص عليّ وشهد بعصمتي ، وأني لا أخطيء ولا أزل ولا أضلّ ولا يقع مني معصية لله . وهو رضي الله عنه أعلم بدين الله وبالحجة ، وأفقه وأبصر وأشجع ، فلو كان لذلك أدنى إشارة / من رسول الله ﷺ

لاحتج بها وبينها قبلوا ذلك منه أو لم يقبلوا . وفي هذا أتم بيان
وأوضح حجة .

وأعلم ، أن هؤلاء يحتجون منذ زمن ابن الراوندي : ان رسول الله ﷺ
وسلم نص عليه نصاً مكشوفاً لا يحتمل التأويل ، فقال : علي بن ابي طالب
الخليفة عليكم من بعدي ، وقال لهم : « سلموا عليه بإمرة المؤمنين (١) » ،
وأن رسول الله ﷺ قام فيه في مقام بعد مقام ، وفي عام بعد عام ، نحو
مائة مقام مذ بعثه الله بمكة والمدينة ، والسفر والحضر ، الى ان توفاه الله ؛
فينبغي ان لا تكلمهم إلا في هذا النص المكشوف المعروف ، وتقول لهم ،
المصير الى الأمر المكشوف والحجة الواضحة اولى بنا وبكم من المصير الى
المشكل الملتبس الذي يحتمل التأويل ، فإن الكلام عليهم حينئذ يكون
اوضح وأقصر ؛ فيجري هذا مثل نصه عليه السلام على النبوة .

وهم يفرّون شديداً من هذا النص المكشوف مع من يعلم ويحصل ، فإن
ابتليت منهم من يقول : لا أتكلم في النص المكشوف بهذا ، فقل له : إن
كنت لا تتكلم فيه فسلم لنا بطلانه وكذب من ادعاه وادّعى نقله . فان
قال : لا أسلم ، قيل له : ليس يخلو من ان يكون حقاً وصدقاً فينبغي أن
تصير بنا اليه ، أو كذباً وباطلاً فينبغي ان تتبرأ منه وتحطىء من احتج به .
فإن قال : كذلك أفعال ، قيل له : فهذا شيء قد ادّعته أمم عظيمة ،

(١) ان اكثر الاحاديث التي رويت في خلافة علي ضعيفة او موضوعة ، وعلى فرض صحتها
فانها تشير الى الخلافة على اهله صلى الله عليه وسلم ، منها : « ان اخي ووزيري وخليفتي من اهلي
وخير من اترك بعدي يقضي ديني وينجز موعدتي علي » . انظر تنزيه الشريعة عن الاخبار
الشيعة لعلي بن القرن الكتاني ، الجزء الاول ، ففيه الكثير من هذه الاخبار .

وادّعت معرفته ونقله . فإن قال : هم كذاك يدعون ، وإنما وضعه لهم واحد من الناس وقال لهم : إن هذا قد قاله النبي ﷺ ونقلته عنه الامم فأحسنوا به الظن وصدقوه وإن كان لا أصل له .

أ/ ١٠٦

قيل له : وكذلك ما تدعيه انت من التأويل في الآيات / والأحاديث التي تحتج بها ، ما أراد رسول الله ﷺ ولا امير المؤمنين بها ما تمنيه انت وتمتدده ، وإنما هي فضائل ، ولكن هشام بن الحكم قال هي نصوص والنبي ﷺ اراد بها الاستخلاف ؛ فأحسن به قوم الظن فقبلوا ذلك منه واعتقدوه وادّعوا انهم ومن قبلهم قد نقل ذلك عن رسول الله ﷺ ، وليس هناك شيء ينقل ولا يكتب ، ولكنهم قوم سمّوا اعتقادهم نصاً ودعواهم نقلاً ، كما يدعي اليهود ان موسى عليه السلام نصّ لهم على تأييد شريعته ؛ وكما يدعون هم والنصارى من الصلب وكما يدعي النصارى خاصة قيامه من قبره وانه عليه السلام أقام معهم اربعين يوماً ثم صعد الى السماء وهم يرونه ؛ وكما ادعوا ان هيلانة الحرانية وقع اليها [الخشبة]^(١) التي صلب عليها المسيح مع خشب غيرها فلم تعرفها وأشككت عليها فامتحننت ذلك يجنازة مرتين ، فجعلت تضع عليها خشبة بعد اخرى من خشب المصلين ، فلم يقم الميت إلا بأخر خشبة ، قالوا : فعلمت انها هي الخشبة التي صلب عليها المسيح . فقالوا : وقد شهد هذا الأمم الكثيرة ببيت المقدس من اليهود والروم غير ان اليهود كتموا ذلك ، ويسمّون هذا اليوم : عيد الصليب^(٢) ؛ ويوم قيام المسيح من قبره بزعمهم عيد السلامة . ولهم مثل ذلك كثير ، وهذا امر لا

(١) في الاصل : الصليب ، وقد صححها المعلق بالخشبة .

(٢) في الحاشية عنوان الكاتب ار المعلق لهذا البحث بقوله : عيد الصليب عيد السلامة .

أصل له ، وإنما هو موضوع لهم أحسنوا به الظن كما أصاب هؤلاء الرافضة من اصحاب النص .

على ان هشام بن الحكم قد أقر بذلك فقال : قد ادركت الشيعة في الصدر الاول وهم يتولون أبا بكر وعمر وعثمان ويصوبونهم ، ويقولون : هؤلاء ما دفعوا امير المؤمنين عن حقه ومقامه ، وإنما دفعه المنافقون / الذين كان القرآن يهتف بهم فنظر هؤلاء فاذا ليس احد أحق بالإمامة بعد علي منهم ، فقاموا ذلك المقام بحق .

ب / ١٠٦

وقال هشام بن الحكم : ومنهم من قال : لما رأى الوصيّ عليّ بن ابي طالب المنافقين قد أزالوه عن موضعه ، قدّم أبا بكر واستخلفه ليكون بمكانه الى ان يتمكن فيزيله .

قال هشام : وهذا كله تزييق وقلبيق دعاهم اليه الجبن من الإقدام على التبرؤ من ابي بكر وعمر وعثمان والمهاجرين والانصار ولو عرفوهم كما عرفتهم أنا لأقدموا على البراءة منهم (١) .

وقد ذكر هذا أيضاً ابن الراوندي في كتابه « الإمامة » الذي نصر فيه قول الرافضة في البراءة من المهاجرين والانصار وحكاه عن هشام .

فهذا ما أقرّ به الخصم فكيف ما لم يقر به ؛ ولو لم يقر به لعلمنا ان الامر كذلك . وهشام انما كان في ايام بني العباس وهلك في دولة هارون

(١) علق الناسخ او المعلق على هذا بقوله : « لمن الله ناقل هذا القول وقائله ، حيث كانوا يطلبون تفريب شمس الدين وإطفاء انوار الاسلام والمسلمين ، عندهم الله تعالى وأقوالهم ، وأطفالهم وآثارهم آمين ، آمين ، آمين .

الرشيد ، لتعلم ان الذي ادعى النص وجرأ الناس على شتم ابي بكر وعمر
وعثمان والمهاجرين والأنصار هشام بن الحكم ، وهو ابتدأه ووضع ، وما
ادعى هذا النص والاستخلاف احد قبله .

ولو كان هشام من اهل القبلة ، لما كان دعواه ودعوى مائة ألف معه مثله
حجة ، فكيف به وليس من اهل القبلة ، وهو معروف بعداوة الأنبياء ،
وقد أخذ مع ابي شاعر الديصاني^(١) صاحب الديصانية^(٢) وكان معروفاً به
وبصحبه ، فادعى انه من الشيعة ، فخلصه بعض اصحاب المهدي حين ادعى
انه يتشيع لبني هاشم فلم يصلبه مع ابي شاعر .

وقد ذكره العلماء بالمقالات بذهب الديصانية ، وذكره الحسن بن موسى
النوبختي في كتابه «في الآراء والديانات»^(٣) حين نقض عليه / مذهبه في ان الله
جسم ونور يتحرك ؛ فقال له الحسن : هذا مذهب المانوية نعوذ بالله من
موافقتهم . وانما ذكرنا الحسن بن موسى ، لأنه من الرافضة .

وقد حكى عن هشام ايضاً ابو عيسى الوراق ، وابن الراوندي ،
وأبو سهل بن نوبخت ، وهؤلاء كلهم رافضة .

والذين حكى هشام عنهم من الشيعة أن المنافقين أزالوا امير المؤمنين عن
مقامه ، فقد غلطوا ايضاً ، فإنه قد بينا ان رسول الله ﷺ ما كان منه
نص في ذلك فيزيله احد من الناس .

(١) انظر الفهرست لابن النديم ص ٤٨٧

(٢) الديصانية احدى فرق الثنوية ، وتعتبر اصلاً للمانوية وانما اختلفت الفرقتان في كيفية

اختلاط النور بالظلمة . انظر الفهرست ٤٨٨

(٣) من كبار المتكلمين ومؤرخي الفرق ، ويعتبر كتابه « الآراء والديانات » من ام ما كتب

حول الاديان والمذاهب والفرق . انظر الفهرست ٢٦٥ - ٢٦٦

وأيضاً ، فإن الغلبة بعد موت رسول الله ﷺ لم تكن للمنافقين وإنما كانت للبدرين والمهاجرين والانصار ، الذين يعتقدون نبوته صلى الله عليه ، وصدقه ، وإقامة نصوصه ، وإحياء شريعته ، وإذلال عدوه ، وإعزاز وليه ، وهم الذين ردوا الى الاسلام من ارتد من العرب ، وغزوا من أعداء رسول الله ﷺ ملوك الفرس والروم والهند والترك وسائر الامم المشركين وأدخلوهم في دينه وأدخلوا بلدانهم في مملكه ﷺ ، وإنما يدعي أن الغلبة كانت للمنافقين من لا علم له ولا تحصيل عنده .

وكان هشام يقول : لعمرى إن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما احتج في إمامته بنص النبي ﷺ ولا بوصيته في الأمة إليه ، وأنه كتم ذلك خوفاً من المهاجرين والانصار ، فأمسك وسكت .

قيل له : قد فرغنا من هذا ، وبيننا ان ليس هناك نص ولا وصية ولا شيء يكتم ولا ينقل .

وأيضاً ، فإن امير المؤمنين ما سكت ولا أمسك ، بل تدين بالاختيار وأظهره وجعله الحجة على من خالفه وقال : وجبت طاعتي وإمامتي لأنه بايعني اهل دار الهجرة الذين / بايعوا ابا بكر وعمر وعثمان ، فوجبت طاعتي وإمامتي كما وجبت طاعتهم ، وحرمت مخالفتي كما حرمت مخالفتهم ، وأعاد هذا وأبداه في خطبه وكتبه وجعله الحجة ؛ فحق سكت وأمسك .

١٠٧ / ب

وأيضاً ، فلم يكن سلطان ابي بكر وعمر وعثمان وعلي سلطاناً يخاف فيه محقق ولو كانت امرأة ارملة ذمية ، فضلاً عن غيرها . ألا ترى ان الأنصار قد تكلموا مع سعد بن عباد والعباس وبني هاشم وأبي سفيان وبني عبد مناف في الإمامية بما ارادوا ، وكلموا ابا بكر وناذروه الى ان أقام الحجة .

وعارضوه في انفاذ جيش أسامة بن زيد وقالوا له: ليس علينا في هذا الوقت من الروم خوف ، ولا حاجة بنا الى غزوم في هذا الوقت والعرب قد ارتدت وأحاطت بنا ، فدع هذا الجيش يكون لنا، فقال لهم ابو بكر رضي الله عنه : إن رسول ﷺ يقول والوحي ينزل عليه : أنفدوا جيش أسامة ونقول نحن لا نرى ذلك ، برأينا ؛ فقال له قوم : فأقم على جيشه اميراً مكانه احسن منه فإنه حدث وفي جيشه المشيخة والكهول ، فقال : أيوليه رسول الله ﷺ وأنزعه انا ، لا يحل هذا .

ولما جاء الذين منعوا الزكاة ونزلوا على المهاجرين وقالوا لهم : قولوا لخليفة رسول الله ﷺ يعفينا من الزكاة فانا نقيم الصلاة ونجاهد معكم ، فان لم يفعل صرنا مع العدو وحاربناكم . فمشوا الى ابي بكر رضي الله عنه ، وسألوه أن يقبل ذلك منهم ، فقال : لا أفعل ، ولا يحل لي هذا ولا لكم ، قالوا : فنحن في قلة والعرب قد ارتدت ، فمن نقاتل ومن ندع ؟ لا طاقة لنا بقتال الناس كلهم ، فاقبل منهم الى ان تنكشف هذه الفتن فانا قد خفنا على المدينة وعلى ائمة رسول الله ﷺ وأئمةنا ، فقال : ما كنت لأفعل ولو بقيت وحدي ، اني إن قبلت رأيكم نقضت / الاسلام عروة فعمرة . ايها الناس ، إن مات رسول الله نبيكم ﷺ ، وكثر عدوكم ، وقل عددكم ، ركب الشيطان هذه منكم ؛ والله ليظهرنّ الله دينه على الدين كله ولو كره المشركون ، وليستخلفنكم في الأرض كما وعدكم ، وتلا قوله عز وجل : « هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (١) » ، وقوله : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات

(١) التوبة ٣٣ ، والصف ٩

ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً (١) ، وقوله : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين (٢) » .

وقالوا له : أفتقاتلهم وتقتلهم وقد قالوا : لا إله الا الله ؟ قال : انها غير مقبولة منهم لأنهم منعوا الزكاة ؛ قالوا : فتقتلهم على ابن لبون (٣) وعلى الحقة والشاة وقد قال رسول الله ﷺ : « أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله الا الله ، فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم (٤) » فقال ابو بكر فان فيه : إلا بحقها ، وهذا من حقها . فطال ما بينهم في ذلك ، فحين اقام الحجة صاروا الى قوله .

ولما فتح الفتوح وواتته (٥) الاموال من كل وجه سوى بين الناس في العطاء ، فعارضوه في ذلك ، وقالوا : سويت بين من اسلم الآن وبين من سبق وبين من نصر وهاجر ، فقال : هؤلاء عمال الله وأجورهم على الله ، وانما الدنيا بلاغ ؛ والله لو شتم معشر الانصار ان تقولوا : طردتم فأوينناكم وخذلتم فنصرناكم

(١) النور . ٥٥

(٢) البقرة ٢٤٩

(٣) ابن لبون من الإبل : ما له ستان ، والحقة من الإبل بنت ثلاث .

(٤) حديث متواتر ، رواه الستة بإسناد صحيح . انظر الجامع الصغير شرح المناوي ٢ : ١٨٨

(٥) واته في الأصل ، ، لعل اضافة الواو تجمل اسياق اكثر انسجاماً .

وأفقرتم فواسيناكم ، واني لأجد / مثلنا ومثلكم في قول طفيل الغنوى :

جزى الله عنا جعفراً حين اشرفت^(١) بنا فعلنا في الواطئين فزلت
أبو أن يجلونا ولو ان امننا تلاقي الذي يلقون منا مللت
فذو الحظ موفور وكل مقسم لدى حجرات اثقات^(٢) أظلت

وراسته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وعليها وقالت :
ما بالك خليفة رسول الله ورثت رسول الله دوننا ، فقال : ما ورثته ،
قالت : فأين نصيبنا من امواله بخيبر وفدك ، فقال : اني سمعت رسول الله ﷺ
يقول : « هذا المال لحمد وآله حياته ، فإذا مت فهو الى والي الامر
بعدي ، فان كان معك من رسول الله ﷺ عهد صرت الى قولك ؛
والله ما اريد شاهداً معك غيرك . فرجع الرسول فقال : تقول لك فاطمة :
لا والله ما معي عهد من رسول الله ﷺ ، ولكن رسول الله دخل علينا
وهو يتلو : « ما افاء الله على رسوله من اهل القرى قلله وللرسول ولذي
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، كيلا يكون دولة بين الاغنياء
منكم »^(٣) ، فقال : ابشروا آل محمد بالغنى . قال ابو بكر : إن كان
بكم الغنى ولكم الغنى . ثم صار اليها ابو بكر وسألها عن عهد من رسول
الله ﷺ ، فقالت : ما معي اكثر مما قلت ، فقال : إذا لم يكن معك عهد
من رسول الله ﷺ فما كنت لأدع ما اسمعه من رسول الله ﷺ بقول احد .
وكلمه العباس في ذلك وطالبه بالحجة ، فذكر ما سمعه من رسول الله ﷺ

(١) ووردت في موضع آخر « ازلقت » . انظر فتوح البلدان ٣١

(٢) ووردت في موضع آخر « ارفأت » .

(٣) الحشر ٧

وقال : انا اوجه هذا المال / في الوجوه التي كان رسول الله ﷺ يجعلها فيها ، ورد ابو بكر هذه الاموال الى علي بن ابي طالب وقال له : افعل فيها ما كان رسول الله ﷺ يفعله . وكذا فعل امير المؤمنين رضي الله عنه حين صارت اليه الخلافة بعد عثمان ، وهو فعل الخلفاء الاربعة وجميع الصحابة والتابعين بعدهم ، فاعرف ذلك .

وعارضوه حين شاروهم في استخلاف عمر ، فقال له قوم : هو الخيرة بعدك غير أن فيه شدة وهو مهيب ، وفي الناس الأرملة والضعيف وذو الحاجة ، فاستعمل علينا من هو ألين منه كنفياً ؛ وكانت لهم معه في ذلك مطالبات ومرامعات وعمر يسمعها ويعلمها ، الى أن قال لهم ابو بكر : انما أستعمله عليكم لأنه أقواكم عليكم وأنفعكم لكم وأردكم عليكم ، شهيدي الله : ما أردت إلا ذلك ، وقد خاب من تزود من أعمالكم بظلم ، إن عمر ليس ولدي ولا من اهلي ، وانما أردت الخير لكم ؛ وإني قد رمقته فكنت اذا لنت في الشيء أراني فيه الشدة ، واذا أشدت أراني فيه اللين ، ولو قد وليكم للان واشتد . ثم قال : ان عمر لا يأنف من التعلم ، فحين أقام الحجة سلموا ورضوا . ثم عهد تلك العهود المعروفة ، وكمن شيء قد عارضوه فطالبوه بالحجة مما هو اكثر من هذا .

ومعارضتهم لعمر في امر السواد (١) ، وفي فتوح الشام ، وفي تأمير الامراء ، وفي الفتوى والقضاء ؛ حتى كان يعارضه في ذلك المرأة والبدوي فضلاً عن المهاجرين بما هو معروف الى ان يقيم الحجة او يرجع الى قول من معه الحجة .

(١) يقصد هنا اختلاف من آراء المسلمين في امر سواد العراق لما فتح الله على المسلمين العراق وفارس ، فقد كان من رأي البعض توزيعه على المسلمين ، بينما رأى عمر رضي الله عنه ابقاء الأرض في ايدي اصحابها ليستفيد من خراجها المسلمون جميعاً وقد وافقه المسلمون على رأيه .

وعثمان ، فقد عارضوه في إتمام الصلاة بمنى ، وفي الحمى ، وفي الحكم بن
ابي العاص ، وفيمن ولاء من اهله ، وأخذوه بإقامة الحدود عليهم ، وبإقامة
الحجة فيما يأتيه بما هو معلوم (١) .

وعلي رضي الله عنه قد عارضوه في تولية أقرابه وفي الحكم الذي أنفذه
بما هو معلوم / ؛ حتى كان يجري على هؤلاء الخلفاء الاربعة من صفار رعيتهم
في الفروع وفي صفار الامور ما هو معروف ، فكيف يجوز ان يتوهم عاقل
تدبر أمورهم وعرف سيرهم ، أنه قد كان اقل من الناس فخافهم ان يذكر
لهم الحق ، او ينطق بمضرتهم ، او يتوقى ان يذكر ان يذكر لهم عهداً من
رسول الله (ﷺ) او وصية لرسول الله (ﷺ) ؛ هذا لا يظنه الا أجهل الناس
بهم وبأحوالهم ، او عاقل يقيس أحوالهم بأحوال من رأى وسمع من الجبايرة
وولاية الجور ، فاعرف هذا .

وانما القى هذا الى الإمامية فيما صنّفوه لهم قوم من أعداء الانبياء ادعوا
التشيع وتسترّوا بالرفض ، لينفروا الناس عن شيد الاسلام وبنسائه ونصر
الرسول في حياته وبعد موته ، ليخرجهم من الاسلام من حيث لا يشعرون .
وكا صنّفوا في تهمة المهاجرين والانصار فقد صنّفوا ايضاً في تهمة الانبياء

(١) مجموع المأخذ على عثمان رضي الله عنه ثمانية عشر هي :

ضربه لعمار بن ياسر ، ولابن مسعود ، وجمع القرآن وتوحيده في مصحف واحد ، وأنه حمى الحمى
وأجلى ابا ذر الى الربذة ، وأخرج من الشام ابا الدرداء ، وردالحكم بعد ان نفاه الرسول ،
وأبطل سنة القصر في الصلوات في السفر ، وولى معاوية ومروان والوليد بن عقبة ، وأعطى
مروان خمس افريقية ، وضرب بالعصا وعلا على درجة رسول الله في المنبر ، ولم يحضر بدرأ ، ولم
يقتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان ، وكتب الى ابن ابي سرح في قتل البعض . وقد رد ابن العزبي على
هذا كله في كتابه القيم : العواصم من القواصم .

وشتهم وتكذبيهم ، وأنهم قد كانوا يتكلمون بالكذب وبالبهت بحضرة أمهم
 فيسكتون عنهم خوفاً منهم ؛ وهذا فعله بالانبياء عمر بن زياد الحداد ،
 وأبو الوراق ، وأبو الحسين بن الراوندي ، وأبو سعيد الحسن بن علي الحصري ،
 وجابر بن حيان ، وهشام بن الحكم ، وأمثالهم ، كما قد عرفه العلماء (١) ،
 وكل هؤلاء الذين طعنوا علي أبي بكر وعمر والمهاجرين والانصار لفضل غيظهم
 على رسول الله ﷺ ، ولأن هؤلاء قاموا بأمره ونصروه في حياته ، وقاموا
 بدينه بعد وفاته وبثوه في مشارق الارض ومغاربها ، وقتلوا أعداءه ﷺ من
 العرب وملوك الفرس وملوك الروم وملوك القبط وملوك الهند والترك وأمم
 الشرك وأدخلوا امهم في دينه ﷺ .

١١٠ / أ

فهذا ذنبهم عند / علماء الرافضة ، ولكن عوامهم لا يفتنون . ولهذا
 قالت العلماء حين حدثت هذه البدع : لا تسبوا اصحاب محمد ﷺ ، فإنهم
 أسلموا من خوف الله وأسلم الناس بعدهم من خوف أسياقهم . ثم يقال لهؤلاء :
 قد وجدنا امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه مكاشفاً بالحق في
 جميع احواله ، لا يخاف من احد من المخلوقين وان كان وحده والناس عليه ؛
 فإن رسول الله ﷺ خلفه بمكة وهي إذ ذاك دار كفر فما خافهم ولا فارقه
 مع وحدته وتفرده ، وقد كاشف معاوية وهو في مائة ألف سيف ، ولعنه
 بلسانه ، وقتت عليه في صلاته ، وضربه بسيفه ، وبين له وإن علم انه لا
 يقبل ، وقد كاشف الخوارج وبرىء منهم وان علم انهم لا يقبلون وهم كانوا

(١) سبق ان عرفنا هؤلاء الأشخاص ، اما جابر بن حيان فهو ابو عبد الله جابر بن حيان بن
 عبد الله الكوفي ، قال ابن النديم : « واختلف الناس في امره » ، فقالت الشيعة : انه من كبارهم ،
 وزعم الفلاسفة انه كانت منهم ، وذهب اهل صناعة الذهب والفضة الى انه رئيسهم . وذلك انه
 كان واسع الثقافة ، له باع طويل في التأليف في مختلف العلوم .

أصحابه وبهم صال على عدوه واستطال ، وأقام على مخالفتهم وإن فرقوا عنه أصحابه وإن قتلوه (١) ، فما قاربهم في كلمة ، لأنهم قالوا له : إن تبت من الحكومة رجماً لك كما كنا وقاتلنا عدوك ، وإن أبيت أقننا على حربك وقاتلناك حتى نقتلك أو تقتلنا ، فقال لهم : انتم دعوتوني الى الحكومة ، قالوا : صدقت فقد تبنا وما كان لنا ان ندعوك وما كان لك ان تجيبنا ولا تحم الرجال في دين الله ، فقال : بل كان لي ان احكم ، فلو كان ذلك معصية لما أجبتمك اليه ، ومن زعم ان الحكومة ضلال فهو أضل ، ومن زعم اني ارجع عنها فقد كذب . فصبر رضي الله عنه على ذلك ولم يقاربهم في لفظة تحمل التأويل ، لأنه لو قال انا تائب الى الله من كل ذنب وخطيئة وهو يعني غير الحكومة ، لكان اللفظ يحتمل ، ويتلافاهم ويرداهم ويكون بهم في عسكر عظيم / كما كان قبل رجوعهم عنه ، ويصول بهم على عدوه . فلم يفعل ، وأقام على حربهم ، الى ان قتلهم وقتلوه رضي الله عنه ؛ فما لان في كلمة تحمل التأويل ، ليبين للأولين والآخرين امر الدين ، فما داراهم ولا قاربهم مع حاجته اليهم وخوفه من أسيافهم ؛ فهو ما كان يخاف الجباية والأحياء الذين هم في عساكر ويخافهم الناس فكيف يخاف من ابي بكر وعمر وعثمان في حياتهم وبعد مماتهم ، وهم في حياتهم وسلطانهم ما خافهم محق قط وإن كان عبداً او امرأة ارملة ذمية . وانما يقول هذا من لا يعرف علياً ولا ابا بكر ولا عمر ولا عثمان ؛ فعليك بالمعرفة فانها حياة ، والذهاب عن طلبها موت ، وقد علم اهل المعرفة والعناية ان علياً كان في زمن ابي بكر وعمر وعثمان في علو الكلمة ونفاذ الامر مثله في سلطانه ، وأنه كان في سلطان هؤلاء أنفذ امراً وأعلا قولاً وأبسط لساناً منه في زمن رسول الله ﷺ وفي حياته .

١١٠ / ب

(١) لعلها : قاتلوه

ولا فرق بين من ادعى ان علياً كان يخاف من هؤلاء الخلفاء او ان رسول الله ﷺ كان يخافهم ايضاً ، وأنه من خوفهم كان يشهد لهم بالجنة ويذكرهم . وهذا لازم لهم ، بل هو قول الرافضة لأنهم قالوا : ان علي بن ابي طالب حجة الله على خلقه كما كان رسول الله ﷺ ، وأنه معصوم كعصمة الانبياء . وقالوا مع هذا : قد زكى ابا بكر وعمر وعثمان ، وصاهر بعضهم ، وصلى خلفهم ، وحج معهم ، ودخل الشورى وعمل بالاختيار ، وصلى خلف صهيب كما وصى عمر ، وأطاع عمر كما وصى ابو بكر ، وعمل لهم اعمالاً كثيرة ، وأظهر تزكيتهم ، ومدحهم بايمانهم وإن كانوا كفاراً ، كل هذا خوفاً منهم ومن بعدهم من شيعتهم فما تبين / الحق الى ان خرج من الدنيا .

قلنا : فاذا كان هذا هو الحجة والمعصوم والقائم مقام الرسول فعل هذا بغير حق ، لم نأمن أن يكون كل من صاهر النبي ومدحه ونص عليه وشهد له بالجنة وأمر الناس بطاعته ان لا يكون هذا حاله ، وأنه فعل مثل فعل هذا الحجة ، وهذا ما لا حيلة لهم فيه ، وفيه فساد الديانات كلها ، وإلى هذا قصد هشام ابن الحكم حين وضع هذه البدعة فاعرف ذلك (١) .

(١) وردت بهامش اللوحة ١١١ التعليق التالي :

رحمك الله يا سيدنا اقضى قضاة الحكم القاضي عبد الجبار ، أحسنت في حججك على الفاسقين الملاعين الكلاب المارقين الكاذبين الخاطئين المنحرفين عن الحق الخبثاء الروافض ، كتبتم الله تعالى وأبعدتم ، حيث يفسقون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم اجمعين ، قلت : ما رأيت كلام رد على الملاعين الروافض أحسن وأدق وأثبت وأقوى وأنجح من هذه الحجج التي ذكرها القاضي عبد الجبار المعتزلي في كتابه هذا ، فلا بد للمعتني بردهم ان ينظر في هذا الكتاب المبارك ، وهذا قليل الوجود وغير معلوم لأكثر الناس ، ولو علموا اسمه لا يعلمون ما فيه من الفوائد الكثيرة ، فاحتفظ وكرر نظره . ولكن مؤلفه مشهور بالاعتزال فان تاب منه فمحلّه الفردوس الأعلى في مقام المقدمين ان شاء الله حيث نفع المسلمين بهذه الحجج والله اعلم .

بَاب آخِر

قد علمت الحال التي ابداهها رسول الله ﷺ حين ادعى النبوة ودعا الى الله ، فانه اكفر الامم كلها وتبرأ منها واسقطها واسخطها واغضبها ، فما اعتصم بمخلوق كما قد تقدم ذكر ذلك . فكانت العرب واليهود والنصارى وقريش وغيرهم يبدأ واحدة في عداوته وطلب عثراته والحرص على قتله ، وهو بينهم على وحدته ، فيصرفهم الله عن ذلك بوجوه لا هو يعرفها ولا هم ، وبوجوه يعرفها ويعرفونها . غير انهم قد كانوا ينالونه بالشم والضرب ويلقونه بالأرض ويدوسونه بأقدامهم ويلقون الفرث والتراب على رأسه ، ثم صار الواحد بعد الواحد والنفر بعد النفر يخبون هذه حاله ، فيلقون معه الضرب والهوان ، ويعذبون ويحاصرون في الشعاب ، ومنهم من يقتل ، ولا يمكنهم المقام معه بمكة فيهربون بأديانهم ، ويعبرون البحار ، والنبي ﷺ مقيم بمكة معه ابو بكر ونفر يسير .

وكان يخرج في المواسم الى العرب ، ويتلو القرآن ، ويدعو الى الله ، ويقوم الحججة ، وقريش من اهل بيته يخرجون الى العرب يقولون لهم : لا تسمعوا منه فانه ساحر كذاب ونحن اهل بيته وأعرف به ، ويقولون : « لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » ، ويمنعونه ﷺ / من البيان والاستيفاء ، وربما شغلوه بالضرب ، يتولى ذلك منه عمه ابو لهب وأشباؤه ، فيقول له العرب : اهلك اعلم بك ، ما نجيبك ، فاذهب عنا فقد عاديتنا وخالفتنا واسمعتنا في آهتنا وآبائنا وأنفسنا ما لا نحب ، وتستجيب له القبيلة بعد القبيلة من قبائل طيء وقبائل اسلم . وتسامعت به قبائل عبد القيس من ربيعة فأتوه وسمعوا

منه واسلموا طوعاً بهذه الشروط ، وتسامعت به بنو قبيلة من قبائل الاوس
والخزرج فأتوه وسمعوا منه القرآن والحجة فأسلموا ، ورجعوا الى قومهم
فجاؤوا بهم اليه عاماً بعد عام فأسلموا وبايموه ، ورجعوا الى قومهم وهم
قبائل كثيرة فأسلم اكثرهم طوعاً بهذه الشروط .

وهاجر اصحابه الى المدينة بعد الذين هاجروا الى ارض الحبشة ، وقال
الانصار للنبي ﷺ : انا كثرة ونمنع منك ونجاهد الأمم كلها معك ونطيعك
في الحيا وبعد المحام ولا تأخذنا في الله لومة لائم ؛ فأخذ ذلك عليهم
وانصرفوا . ثم صار إليهم مع ابي بكر الصديق رضي الله عنه ، وصار في
عز ومنعة وفي عسكر ، ودعا الى الله ، وكانت له غزوات ووقائع ، وما
زال امره يقوى حتى دلت اليهود والنصارى في جزيرة العرب وهم قبائل
كثيرة ، حتى ادوا إليه الجزية ، وحتى صار من لا يعتقد نبوته في جزيرة
العرب لا يمكنه اظهار ذلك لكثرة المهاجرين والانصار وأمثالهم ممن يعتقد
نبوته وصدقه ، وحتى غزا الروم غزاة تبوك وهي آخر غزواته في ثلاثين
ألفاً غير من خلفه من عماله واصحابه في جزيرة العرب وهي (١) ، اوسع من
بلاد الروم .

وقبض ﷺ بالمدينة والغلبة فيها لمن يعتقد صدقه ونبوته من المهاجرين
والانصار واتباعهم / وامثالهم ، وهم الذين احاطوا بأبي بكر وأقاموه خليفة
وغزوا من ارتد عن دين رسول الله ﷺ حتى غلبوهم وأذلوهم وقتلوهم ،
وغزوا فارس والروم وامم الشرك وجميع اعداء رسول الله ﷺ وأذلوهم

(١) في الاصل : ولها ، ولعل الصحيح ما اثبتناه

وقتلوا ملوكهم وادخلوهم طوعاً وكرهاً في دين رسول الله وفي شريعته
وادخلوا بلدانهم في بلدان الاسلام ، ولم يكن لهم شغل إلا اعزاز دينه ،
وإقامة نصوصه ، واحياء شريعته وبثها ونشرها وإظهارها ، وإعزاز من
اقام بدينه واذلال من تعرض لامانة شيء منه .

وكانوا بعد وفاته اشد بصيرة منهم في حياته ، لأنهم كانوا في حياته
يتكلمون على تدبيره ، فلما مات ، وصار الامر إليهم ، زاد تيقظهم ،
فرفضوا كل راحة ، وهجروا كل لذة ، وقصدوا لإقامة نصوصه واحياء
شريعته الى ان يلقوا الارض كلها بذلك ؛ وما عندهم عمل اذكى من هذا .

وانما يظن ان نصوصه كانت تبدل وان كتابه كان يغير وان بنته كانت
تُظلم ، الذي لم ينظر ولم يتدبر ، وهو كمن قال انه صلى الله عليه وسلم كان بالمدينة
يضرب ويشتم ويداس بحضرة المهاجرين كما كان بمكة ، وهذا لا يظنه إلا الغاية
في الجهل بشأن المهاجرين والانصار .

فان قيل : او ليس قوم موسى قد عبد قوم منهم العجل في حياته وحياته
اخيه هرون ، فلم انكرتم ان يرتد المهاجرون والانصار عن دين محمد صلى الله عليه وسلم ،
او ليس قد كانوا على ذلك قادرين ؟

قيل له : إن هذا السؤال لا يسأل عنه من فهم ما قلنا ، لأننا لم نقل :
ان هؤلاء ما ارتدوا من طريق التزكية لهم ، ولا من طريق حسن الظن
بهم ، ولا محابة لهم ، ولا لأنهم ما قدروا على ذلك ؛ بل قد كانوا على ذلك
قادرين ولكنهم ما اختاروا ذلك ولا / فعلوه ، كما علمنا ان صاحبهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما رجع عما كان عليه وان كان على ذلك قادراً ، وان كان عدوه قد
ادعى عليه انه رجع واظهر الشك في امره بقوله : « ما ادري ما يفعل بي

ولا بكم ، (١) ويقوله : « فان كنت في شك مما انزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك » (٢) . وهذا قد ادعاه عليه رؤساء الرافضة الذين قدمنا ذكرهم .

ولا تكون الردة بالقياس فيقال : كما ارتد قوم موسى ينبغي ان يرتد قوم محمد ﷺ ؛ هذا لا يظنه إلا الغاية في الجهل والبله والنقص ، وهؤلاء قالوا : كما قتل يزيد بن معاوية الحسين فينبغي ان يكون ابو بكر قد ضرب فاطمة وقتل الحسن ، فالعلم بأنه عليه السلام ما رجع عن دينه وأن ابا بكر وعمر والمهاجرين والأنصار ما رجعوا عن دينه بعده قبل العلم بنبوته وصدقه وأنه دعا الى حق ، والعلم بإقامة ابي بكر وعمر والمهاجرين والأنصار على دينه عليه السلام كالعلم بإقامته هو على ذلك ، والعلم بذلك قبل العلم بنبوته .

وما منزلة من ادعى عليهم ذلك إلا كمن قال لنا : كنت بالقسطنطينة من بلاد الروم فوجدتهم يشتمون بولص ويبرؤون منه ويبسقون (٣) على الصليب ، فقلنا له : كذبت ، فقال : ولم كذبتوني وما كنتم معي ، اوليس بولص كافر يستحق الشتم ويجب ان يبسق على الصليب ولا يعظم ؟ قلنا : وإن لم تكن معك فمقولنا معنا ، وعلمنا ان الغلبة هناك لمن يعظم الصليب وبولص (٤) .

(١) الاحقاف ٩

(٢) يونس ٩٤

(٣) يبسقون : اي يبصقون

(٤) لم نحاول ان نعلق على ما يورده القاضي حول ما يوجهه الرافضة الى الخلفاء الراشدين من اتهامات لأن القاضي يتبنى وجهة نظر اهل السنة تماماً ، وفي شرحه ما يكفي عن التعليق .

او بمنزلة من قال لنا : كنت بالأندلس فوجدتهم يلعنون معاوية ويبرؤون منه ومن مروان بن الحكم وولده كما يفعل ذلك بالكوفة والمدينة ، اقلنا : كذبت ، فقال : انتم لم تكونوا معي فصدقوني او شكوا في خبري ، قلنا : / وإن لم نكن معك فعقولنا معنا ، وقد علمنا ان الغلبة هناك لمن يقول بإمامة معاوية ومروان وولده .

أ / ١١٣

فهذه سبيل من ادعى على ابي بكر وعمر والمهاجرين والانصار ما يدعيه الرافضة .

ومن عجيب امورهم قولهم : هذا كعبادة قوم موسى العجل ، فيجعلون الردة والكفر والايان بالقياس ، والذي اخبرنا ان قوم موسى عبدوا العجل هو الذي عرفنا بعقولنا ان اصحاب محمد ﷺ أقاموا على دينه ، والذي عرفنا بالخبر ان يزيد بن معاوية قتل الحسين وأشخص ذريته الى الشام هو الذي عرفنا بعقولنا أن ابا بكر ما ضرب فاطمة ولا قتل الحسن ؛ وهذا في القياس كمن قال : اذا كان يزيد بن معاوية قد غزى المدينة ومكة واستباحها ان يكون ابو بكر قد فعل مثل ذلك ، وإذا كان معاوية قد قتل عمار بن ياسر ان يكون ابو بكر (١) قد قتل العباس بن عبد المطلب ، وإذا كان معاوية قد قتل ولدين لعبدالله بن العباس ان يكون ابو بكر قد قتل اربعة اولاد من ولد العباس ، وأن يكون عمر وعثمان قد فعلا مثل ذلك ؛ او كمن قال اذا كان بنو اسرائيل قتلوا الانبياء ان يكون اصحاب محمد ﷺ قد فعلا ذلك .

(١) في الاصل : ابا بكر

وقيل ايضاً للرافضة : اذا كان ابو بكر قد ضرب فاطمة وقتل المحسن فقد كان ينبغي ان يحصل العلم بذلك عند كل من سمع الأخبار ، وأن يكون العلم بذلك مثل العلم بقتل يزيد الحسين ، ومثل قتل معاوية حجر بن عدي ، وعبيد الله بن زياد مسلم بن عقيل . بل كان ينبغي ان يكون العلم بما ادعيتم اقوى من العلم بهؤلاء القتلى ، لأن هذه الحادثة التي ادعيتموها على ابي بكر كانت بالمدينة ، وقد شهدها العباس وولده ، وعلي بن ابي طالب وولده ، وعقيل وولده ، وجميع بن هاشم ومواليهم ونسائهم ، وجميع المهاجرين والانصار وأولادهم ونسائهم ؛ وقد كان بالمدينة حين توفي رسول الله ﷺ اكثر من مائة ألف إنسان، فكان يكون العلم بهذا أقوى مما (١) كان بكر بلاء، ولكن دعاوى الرافضة في ضرب فاطمة عليها السلام وقتل ولدها وأمر ابي بكر خالد بن الوليد بقتل علي بن ابي طالب، كدعواهم على رسول الله ﷺ النصوص التي يدعونها ، وكل من تأمل امرهم تبين له بطلان ذلك ووضح له وضوح الشمس .

وما يزيدك بياناً بشأن هؤلاء الخلفاء والمهاجرين والانصار ولزومهم لوصايا رسول الله ﷺ ، ان عثمان بن عفان لما اتم الصلاة بنى انكر عليه للوقت علي ابن ابي طالب بحضرة الناس كلهم فقال له : ألم تصل مع رسول الله ﷺ ها هنا ركعتين؟ قال : بلى ، قال : افلم تصل مع ابي بكر ها هنا ركعتين؟ قال : بلى ، قال : افلم تصل مع عمر ها هنا ركعتين ، قال : بلى ، قال : افلم تصل بنا ها هنا شطر خلافتك ركعتين؟ قال : بلى ، قال : فلم اتمت ، وما عذرک في ذلك؟ قال : نكحت امرأة بمكة وسمعت رسول الله ﷺ يقول : من تأهل بأرض فهو من اهلها ، ولي مال بالطائف نويت مطالعته ؛

(١) في الاصل : ما

وبعد ، فقد بلغني عن طغام من اهل اليمن انهم قالوا : صلاة المقيم ركعتان ، هذا امير المؤمنين عثمان يصلي ركعتين .

ولما نهى عثمان عن القرآن ^(١) وأمر الناس بإفراد الحج بلغ ذلك علياً ، فدخل عليه فقال له : بلغني انك نهيت من القرآن ، ثم قال عليّ : لبيك اللهم لبيك بحجة وعمره ، فقال له عثمان : لم فعلت هذا وقد نهينا عنه ؟ قال : ما كنت لأدع شيئاً أجازه رسول الله ﷺ لقول احد .

ولما ادّعى علي الوليد بن عقبة عامل عثمان على الكوفة وأخوه لأمه شرب الخمر ، قال له عليّ أشخصه فاسمع الشهادة ، فأشخصه وسمع الشهادة فجلده عليّ بيده ، والوليد من اشراف قريش ، وقد كان رسول الله ﷺ يستعمله ، واستعمله عمر وعثمان ، وهو كثير الفتوح في الاسلام ، وهو اخو امير المؤمنين فما تهيبه .

أ/ ١١٤

ولما تكلم من تكلم في عثمان لأنه وليّ أقاربه وآثرهم ، وقالوا لعليّ إن عمر لم يفعل مثل هذا بأقاربه ، فقصدته عليّ وقال له : ورائي قوم وقد كلموني فيك وما ادري ما اقول لك ؟ ما نعرف شيئاً تجهله ، ولا ادلك على امر لا تعرفه ، ما سبقناك الى أمر فنبلغك ، ولا خلونا بأمر فنخبرك به ، ولا خصصنا بأمر دونك ، وإنك لتعلم ما نعلم . والله ما ابن ابي قحافة بأولى من عمل الحق منك ، ولا ابن الخطاب بأولى بشيء من الخير منك ، انت أقرب الى رسول الله ﷺ رحماً وقد نلت من صهره ما لم ينالاه ، فالله الله في امرك فانك والله ما تعلم من جهل ، ولا تبصر من عمى ، وإن الحق لو اوضح بين ، وإن اعلام الدين لقائمة . فقال له عثمان : لقد علمت ليقولن الذي قلت ،

(١) القرآن : اي ان يقرن الحج بالعمرة

ولو كنت مكاني ما عتقتك ولا اسلمتك ، ولا جئت منكراً ان وصلت رحماً ،
وسددت خلة ، وآويت ضائعاً ، ووليت شبيهاً بمن كان عمر يولي . أنشدك
الله يا عليّ ، هل علمت ان المغيرة بن شعبه ليس هناك ؟ قال : نعم ، قال :
فهل علمت ان عمر كان يوليه ؟ قال : نعم ، قال : فلم تلومني انت ان وليت
ابن عامر مع رحمه وقرابته ؟ فقال له عليّ : سأخبرك ، إن عمر كان من ولاته
فإنما يطأ على سماخه ، إن بلغه حرف جلبه وبلغ منه الغاية ، وأنت لا تفعل
ذلك ، ضعفت ورفقت على اقاربك . فقال له عثمان : وهم اقاربك ايضاً ،
فقال له عليّ : أجل ، إن قرابتهم مني لقريبة ولكن الفضل في غيرهم ، قال
له عثمان : هل تعلم ان عمر استخلف معاوية ؟ قال : نعم ، قال : فقد
استخلفته كما استخلفه ، قال له عليّ : انشدك الله ، هل تعلم ان معاوية كان
أخوف من عمر من أرفأ غلام عمر من عمر ؟ قال عثمان : نعم ، قال له عليّ :
فإن معاوية لا يخافك ويقتطع الأمور دونك ، ويقول للناس : هذا امير
المؤمنين عثمان .

ب / ١١٤

وكان عليّ يعنفه في أقاربه ، ويقول له في وجوههم : لا يغلب عليك
مروان والوليد وسعيد ^(١) ، لا تطعمهم ؛ فيقول أهله له : هذا قوله لك في
وجهك ووجوهنا فكيف بما يقوله للناس من ورائك وأنت امامه وابن عمه ؛
فيقول لهم عثمان : هو انصح لي منكم .

وكان عليّ رضي الله عنه يوافقه على صفار الأمور وكبارها ويدبر أمره ،
فإذا لم يقبل منه في أمر من الأمور عنفه ولامه وقعد عنه ، فيرسل اليه عثمان
ويحيي به ، فيقول له : قعدت عني وكنت لأبي بكر وعمر انصح ، وأنا

(١) يقصد مروان بن الحكم ، والوليد بن عقبة ، وسعيد بن العاص .

أولى بذلك منك ، وأنا إمامك وابن عمك ، فيقول له عليّ : كأننا يقبلان ولا تقبل ، أكون معك على امر فيجيبك مرران وسعيد والوليد فيزيلانك عنه . ثم يقول عليّ رضي الله عنه للناس : من عذيري من هذا ؟ أكون معه على أمر فيدع رأبي ويأخذ برأي مروان والوليد ، فإن قدمت عنه يشكوني ويقول : قطعت رحمي ولم تقض حق بيعتي .

فانظر كيف يصنع به الأمور الصغار التي غيرها أولى ، ويأخذ بما هو أفضل ، ويشير عليه ان يسير بالمسلمين سيرة ابي بكر وعمر ، وأن يأخذ بالفضل ولا يترخص ولا يزول من سيرتها ، فأبي عاقل تدبر وفكر يقع له ان هؤلاء كانوا يظلمون بنت رسول الله ﷺ ويبدلون القرآن ويعطلون النصوص ويغيرون الشريعة فيسكت عنهم .

ومثل هذا كانت تشير عليه عائشة رضي الله عنها ، وتحذره مخالفة سيرة ابي بكر وعمر ، وبهذا كتبت إليه ام سلمة : أي بني ، ما لي ارى رعبتك / عنك مزورين ، وعن جنابك نافرين ، لا تعف سبيلاً كان رسول الله ﷺ لحبها (١) ، ولا تقدح بزندقان اكباها (٢) ، وتوخ حيث توخى صاحبك فإنها ثكنا الأمر ثكماً ولم يظلم (٣) والسلام . فأجابها بالجواب المعروف (٤) .
وعتب قوم عليه ان حمى الحمى ، وما رآه في خمس أفريقية كما فتحها ،
وفيمن سيره من اللعابين بالحمى والرامين بالجلاهق (٥) فيما كان في الكتاب

(١) في القاموس : حب : سلك ، والحب : الطريق الواضح .

(٢) في القاموس : كبا الزندق لم يور .

(٣) في القاموس : ثكم آثارهم : اقتصمها ، وثكم الطريق : لزمه .

(٤) أم سلمة هي هند بنت أبي أمية ، إحدى زوجات الرسول (ص) ، وكانت قبله عند ابي

سلمة عبد الله بن الاسد الخزومي توفيت سنة تسع وخمسين هجرية .

(٥) الجلاهق : البندق الذي يرمى به

المنسوب إليه في شأن محمد بن ابي بكر الصديق والنفر المصريين ؛ وهي كانت الطامة في السخط عليه والنكير له ، وما اقر بأنه كتب الكتاب ولا قامت عليه بيعة ، فقالوا : كاتبك كتبه فما اقر كاتبه ، وقال لهم : الخط قد يشبه الخط . فلم يزل الانكار عليه في هذه الأمور الى ان اغتيل بالسحر وقتل .

وليس في هذه تعطيل نص ولا تبديل قرآن ولا تغيير شريعة ، وانما هي امور من طريق الرأي والاجتهاد كان له أن يفعلها فجرى عليه . هذا كله في شيء هذه سبيله ، وهو الخليفة والسلطان والمملك ، وإليه السوط والعصا وبيده الضر والنفع ، مع شرف رهطه وقرب قرابته وظهور ثروته وكثرة عدوه وأعدائه ومن تعصب له ، فكيف يتوهم عاقل تدبر ، ان النصوص كانت تعطل والقرآن يغير والشريعة تبدل وهم سكوت .

وهذا علي بن ابي طالب مع فضله وزهده وعلمه وسوابقه وآثاره الجميلة في الاسلام وقريب قرابته ، قد انكروا عليه ان ولي اقاربه ، فقيل له : علام قتل عثمان بالأمس ؟ اي لأنه ولي اقاربه ، فقال لهم : ما علمت إلا خيراً ، فإن انكروتم فأنكروا . ولما بعث الحكم ارتدوا عنه ^(١) ، وقالوا : ضعفت وحكمت الرجال في دين الله وما كان ذلك لك ، / وشككت في نفسك ؛ فتب الى الله وإلا قاتلناك وجاهدناك ، او تقتلنا او نقتلك . فقال لهم : لو كانت الحكومة معصية لما جئت إليها وكان لي ان احكم ، وقد امر الله بالحكومة في شقاق يكون بين المرأة وزوجها وفي ارنب تصاب في الحرم

ب / ١١٥

(١) يقصد قصة التحكيم المشهورة ، وذلك حين الح اهل العراق على علي بقبول التحكيم الذي عرضه معاوية ، فارسل ابا موسى الاشعري بالحاح منهم وكان يريد ارسال عبدالله بن العباس ، وبعث معاوية بداهية العرب عمرو بن العاص ، وكان ما كان من الحادثة المشهورة وما تلاها من خروج الخوارج على علي وتكفيره لقبول التحكيم .

تساوي ربع درهم ؛ فقال عز وجل : « يحكم به ذوا عدل منكم » ، فكيف بإمامة قد اشككت على المسلمين . فقَاتلوه وقَاتلهم ، وقتلهم وقتلوه ، في امر ليس فيه تعطيل نص ولا تغير قرآن ، وإنما هو شيء من طريق الاجتهاد ، وكان له رضي الله عنه ان يفعله . وقد بلغوا في الانكار عليه هذا المبلغ ، فكيف بتغير القرآن والنصوص وظلم ابنة رسول الله ﷺ ، لتعلم فحش غلط هؤلاء القوم ، وان ابا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضي الله عنهم لو راموا بأجمعهم تعطيل نص لرسول الله ، او تغير آية واحدة من كتاب الله ، او ظلم امرأة ارملة ذمية لقتلوا بأجمعهم . وقد عرف اهل العلم والتحصيل ، ان اهل البصائر ، ومن يعتقد دين محمد ﷺ ونبوته وصدقته واجلاله من اجل وتعظيم من عظم وإهانة من اهان في زمن ابي بكر وعمر اكثر وأوفر ، والغلبة لهم ، والامر بأيديهم ، وهم كانوا الظاهرين القاهرين ، وهم ولتوا ابا بكر وعظموه واجلوه وقدموه تقرباً الى الله ، لأن رسول الله قد كان يقدمه ويعظمه ويحله ويكرمه ؛ ولهذا كان يقول الرؤساء في ذلك الزمان من اقارب رسول الله ﷺ ، وقد رأوا تعظيم المهاجرين والأنصار ابا بكر ، وطاعتهم له ، وتنفيذهم وصاياهم ووصايا خليفته بعده : كان والله حلواً في افواههم ، جليلاً في اعينهم ، مهيباً في صدورهم ، على سكون ريحه ولين جانبه . / فلا تظن ما يقول طوائف الامامية والرافضة فيهم إلا الفأية في الغفلة وترك النظر ؛ وتعميل الرجال هو الذي يوقع الناس في الضلال .

أ / ١١٦

وَبَابِ آخِر

إن بين ابي بكر وعمر وتلك الجماعة وبين بني هاشم مع اخوة الاسلام فضل مودة وصداقة ، يمدح بعضهم بعضاً ويزكّي بعضهم بعضاً ، ويتصاهرون ،

ويرى بعضهم بعضاً أهلاً للإمامة والولاية ، وينصح بعضهم بعضاً . ألا ترى أنهم بايعوا ابا بكر ، وصلّوا خلفه ، وغزوا معه ؛ ونفذوا وصيته بعد موته في عمر ، فاجتمعوا كلهم في طاعته ؛ ونفذوا وصايا عمر بعد موته وصلّوا خلف صهيب ، ورجعوا الى عبدالرحمن كما وصّى ، ففزا امير المؤمنين علي بن ابي طالب مع ابي بكر رضي الله عنهما الرتبة والى ذي القصة (١) .
ولما همّ ابو بكر بالخروج عن المدينة والمسير الى اصل الردة ، اخذ امير المؤمنين علي بعنات فرسه وقال له : اقول لك كما قال لك رسول الله ﷺ يوم أحد : سمّ سيفك ، وارجع مكانك ، وتمتعنا بنفسك ، وأنا أقول لك : أنقذ جيشك وارجع الى المدينة ، فإنك إن هلكت لم يكن للاسلام بعدك نظام ، فقبل رأيه ورجع .

وقد غزا غير واحد من بني هاشم في زمن عمر ، وفي غزواته هلك الفضل ابن العباس بالشام في طاعون عمواس في خلافة عمر ، وقد خرج العباس معه الى الشام وغيره من بني هاشم ، وخلف علياً أميراً على المدينة في بعض خرجاته الى الشام ، فانه خرج اليها اربع مرات ، فدخلها في بعضها ، وفي بعضها لم يدخل ، وزوجه امير المؤمنين عليّ ابنته ام كلثوم وأما فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، / وكان له منها زيد ورقية .

١١٦ / ب

وقبل ذلك ما زوج رسول الله ﷺ ابا بكر الصديق اسماء بنت عميس الخثعمية ، وكانت تحل من رسول الله ﷺ محل ابن الأخوات وتختص به وبنسائه وتكون في بيوته . وكانت من المهاجرات بدينها الى ارض الحبشة وإلى المدينة ، وكانت قبل ذلك امرأة جعفر بن ابي طالب ، وكان له منها

(١) انظر الطبري ٣ : ٢٤١ و ٢٤٧

غير واحد من الأولاد ، فجعل رسول الله ﷺ أبا بكر كافل بني هاشم ومربي ابنائهم ، فربى اولاد جعفر بن ابي طالب وكفلهم وأديهم ، منهم : عبدالله ابن جعفر بن ابي طالب ، وأخوه محمد . وكان عبدالله بن جعفر يذكر من برّ ابي بكر بهم ورأفته وتأديبه لهم ما يطول شرحه . وخلف امير المؤمنين علي وعمر على المدينة في خروجه الى جسر مهران ^(١) ، وأشار عليه حين تكتبت الأعاجم بإخراج المسلمين من ديارهم ^(٢) ؛ وكان يزدجرد بن شهریار ملك فارس الذي أخرجه عمر من ملكه حيناً مقيماً عند خاقان ملك الترك وقد صاهره يستعينه على المسلمين ، فراسل أهل مملكته بإخراج المسلمين من ديارهم ، وأنه يوافيهم في الجيوش ويسير الى المدينة فيقتل عمر ويستأصل الاسلام ، فكتب المسلمون الذين في ممالك الفرس الى المسلمين بالكوفة بهذا ، وكتب أهل الكوفة الى امير المؤمنين عمر ، فخطب الناس وقال : ايها الناس ، إن الشيطان قد جمع جموعه ، وإن الأعاجم من اهل جرجان وطبرستان والريّ وأصفهان وهمدان ونهاوند ، قد تكتبوا وتعاهدوا في اخراج المسلمين من ديارهم وقصدهم الى بلادكم ، وهذا يوم له ما بعده ، فاشيروا عليّ .

أ / ١١٧

فقام طلحة بن عبدالله ، فقال ، / فجزاه خيراً ثم امره بالجلوس ، ثم قال : أشيروا عليّ ، فقام عثمان بن عفان ، فقال : أرى يا امير المؤمنين ان تكتب

(١) سمي الجسر بذلك لأن قائد الفرس كان مهران بن مهربنداد الهمذاني وكان قائد المسلمين المثنى بن الحارثة ، وسميت المعركة معركة جسر مهران . وكان عمر رضي الله عنه قد تم بالخروج مع المسلمين في تلك الموقعة .

(٢) كان ذلك في سنة ١٩ - ٢٠ للهجرة . فقد تكتبت الفرس واهل الري وقوس واصبهان وهمدان والمهي وتجمعوا الى يزدجرد آخر ملوك فارس . فبعث عمر بعد مشورة الصحابة بجيش وولى عليه النعمان بن مقرن المزني . فتوح البلدان ، ٤٢٤ .

الى اهل اليمن فيسيروا اليك من بينهم ، وإلى اهل الشام فيسيروا اليك من شامهم ، وتسري بأهل هذين ^(١) الحرمين وأهل المصريين : الكوفة والبصرة ، وتلقي العدو بنفسك ، فاذا رآك في جموعك وعساكرك هاله أمرك ، وقل هو وجيوشه في أعين المسلمين ، ففعلت وفعلت ، فجزاه خيراً وأمره بالجلوس ، ثم قال : أشيروا عليّ ، فقام علي بن ابي طالب ، فقال له : يا امير المؤمنين ، أما ما كرهته من مسيرهم فان الله عز وجل لذلك أكره ، وإنك يا امير المؤمنين إن سيرت اهل اليمن من بينهم سارت الحبشة الى ديارهم ، وإن سيرت اهل الشام من شامهم سارت الروم الى ديارهم ، وإن سرت بأهل الحرمين انتقضت العرب عليك ، فكان ما وراءك اهم لك مما بين يديك ، وإن رآك العدو ازداد كلبه عليك وقال لأصحابه : هذا واحد العرب فان قطعتموه قطعتم العرب كلها . ولكن أرى ان تكتب الى اهل اليمن ، فيكون ثلثهم في اهل عهدهم وثلثهم في ثغورهم ويسير منهم الثلث اليك ، وتكتب الى أهل الشام بمثل ذلك ، وتقيم بمكانك وتنفذ اميراً يلقاهم ، فان هلك أنفذت اميراً مكانه ، فقد علمت اننا كنا في زمن رسول الله ﷺ نقاتل بالبصرة لا بالكوفة ، فجزاه خيراً وأمره بالجلوس ، ثم قال : هذا والله هو الرأي ؛ إن انا أشخصت أهل اليمن من بينهم سارت الحبشة الى ديارهم ، وإن سيرت اهل الشام من شامهم سارت الروم اليهم ، هذا والله هو الرأي ان ساعدتموني عليه ، فقالوا : نساعدك ، فعمل على ذلك ، وأنفذ الجيش ، وأقام على ما اشار عليه عليّ ؛ وكم له معه مثل هذا ، وشرحه / يطول .
وكم قد أشار عليه العباس ونصح له مما هو مذكور معروف عند العلماء ،

ب / ١١٧

(١) في الأصل : هذه

وكم قد اشارا جميعاً على عثمان وغيرهما من بني هاشم ، وكم قد غزا الحسن ،
 والحسين ، وعبدالله بن جعفر ، وعبدالله بن العباس ، وغيرهم من بني هاشم
 مع امراء عثمان الى خراسان وغيرها ، وكم كان يقول عمر على المنبر : أقضانا
 عليّ ، ويقول : لا تكون نازلة لا يشهدا علي بن ابي طالب ؛ وولاه القضاء
 بالمدينة ، وتولى ، فكان يقضي ويفتي ، واستسقى بالعباس ، وألحق الحسن
 والحسين في العطاء بالبدرين ، ولما دوّن الدواوين ، كتبوا اسمه في اول
 الديوان ، فقال لهم : لمَ فعلتم هذا ؟ فقالوا له : انت امير المؤمنين ، فقال :
 ابدؤوا بطرفي رسول الله ﷺ : هاشم وزهرة ، وضعوا عمر وآل عمر حيث
 وضعهم الله ، وأدخل علياً في الشورى : وكان لعليّ في اولاده من يسمى أبا
 بكر وعمر وعثمان كما يسمى الرجل اولاده بأسماء أحبابه وأئتمته ، وقد كانت
 للحسين عليه السلام ولد يقال له ابو بكر قتل معه بكر بلاء ، وكان لعلي بن
 الحسين ولد اسمه عمر ، وقد كان في أولادهم مثل هذا كثير ، وشرح هذا
 يطول ، وكذلك شرح ما كان بينهم من المودة والصدقة وحراسة بعضهم
 لبعض ، ومدح بعضهم لبعض يطول ، وللعلماء فيه كتب مفردة مغلدة ، انت
 تجدها اذا طلبتها . ولكن طال العهد وغلب الجهل ، فظن من لا علم له انهم
 كانوا متباعدين متباغضين ، وأن الذي كان بينهم من العداوة والبغضاء أشد
 مما كان بينهم وبين معاوية وولده ومروان بن الحكم وولده كما ظنت
 المنائية ومن ذهب مذهبها ، ان عيسى بن مريم ^(١) عليه السلام كان عدواً
 لموسى وهرون وداود وسليمان / ، وأنه كان يحرم أكل اللحمان وذبح الحيوان ،
 وكما يظن من لا يعلم ان هذه الطوائف من النصارى على دين المسيح وفي
 طاعته . وللبغضاء رحك الله حال مبينة ، وللمحبة آثار وأعلام . ألا ترى ان

(١) في الأصل بعد كلمة مريم لفظة كان ، وهي زائدة .

معاوية وآل ابي سفيان وآل مروان ، لما ابغضوهم وعادوهم ، ما ذكروهم في الإمامة ولا رجعوا اليهم في القضاء والقتوى ، بل لعنواهم وحاربوهم وقتلوهم ، ووصوا اولادهم بذلك ، وكذا فعل بنو هاشم من ولد العباس وولد ابي طالب ببني امية .

فإن قالت الرافضة : إنما صنع ابو بكر وعمر هذا ببني هاشم حيلة وخديعة وليخرجوهم من الرئاسة ، قيل لهم : من الحيلة والخديعة ان لا يدخلوهم في الشورى ، ولا يذهبوا عليهم في الرئاسة ولا يستسقوا بهم ، ولا يستشفعوا الى الله بجاههم ومكانهم ، ولا يشهدوا لهم بالجنة ، ولا يسيروا إليهم بالعلم والمعرفة ؛ ألا ترى ان معاوية لما عاداهم ما جعلهم اهلاً للخلافة ، ولا ذكرهم للرئاسة ، ولا استسقى بهم ، ولا استفتاهم ، ولا استقضاهم ، ولا شهد لهم بالجنة ، بل كانت سيرته فيهم ما قد علم الناس ؛ ولا فرق بين من ادعى هذا ، او ادعى ان ما كان من مدح رسول الله ﷺ لأهله وأصحابه إنما كان على طريق المداراة والخديعة ، او ادعى ان ما كان من معاوية [مع] (١) آل بني هاشم إنما كان على طريق الرأفة والرحمة .

وبعد فما لأبي بكر وعمر على قولكم الى مداراة الناس وخديعتهم في بني هاشم ، وعندكم ان الناس قند علموا ان رسول الله ﷺ قد استخلف علياً ونص عليه ، وعرف الكافة انه الحجة على العالم . ثم ان ابا بكر دعاهم الى خلاف ذلك فأجابوه بأسرهم على / قول بعضكم وهم الكاملة ، وعلى قول المشامية اجابوه إلا نفرأ يسيراً كانوا مغلوبين . ودعاهم هو وعمر بعده وعثمان بعدهما الى تغيير القرآن والشريعة ، من الطهارة ، والأذان ، والصلاة

(١) اضافة على الاصل يقتضيها السياق

ومواقبتها ، والصيام ومواقبته ، والمواريث ، والمناكح ، والطلاق ، والعنق ،
الى غير ذلك ، فأجابوهم اليه .

وما سمع الناس بأعجب من امر هؤلاء القوم في دعواهم على ابي بكر
وعمر ، انهم إنما زكوا بني هاشم مثل العباس وعلي وغيرهما ، وأدخلوهم في
الشورى ، وقدموهم في القضاء والفتوى والرئاسة ، للنقص منهم ، والحيلة
عليهم ؛ وهو كمن قال : ان ابا بكر وعمر وعثمان اخذوا الروم والعجم
وملوك العرب بالدخول في دين النبي ﷺ ، وإدخال امهم في دينه ، والشهادة
برسالته ، وإقامة شرائعه ، وموالاته اوليائه ، ومجاهدة اعدائه ، انما فعلوا
ذلك عداوة له صلى الله عليه ، وللحيلة عليه ، واخراجه من الرئاسة والنبوة ،
ولإماتة ذكره ؛ وكل امرهم عجب وخروج عما يعقل ويفهم .

فإن قالوا : إنما أدخله عمر في الشورى وقال يصلح للخلافة والرئاسة
ليمحو نص النبي عليه واستخلافه له ، قلنا : فإن ذلك قد احسى على قولكم
وأجابه الناس الى محوه وإزالته ، فما حاجته الى ادخاله في الشورى لولا محبته
له والتنبية على فضله ، ولو اراد ان يخرج من الرئاسة لما أدخله في الشورى ،
ولا قال انه يصلح للخلافة والرئاسة ؛ وانما الشورى وضعها عمر ليطلب الناس
من يصلح في دين رسول الله ﷺ للقيام بأمر امته عليه السلام ، وليرجعوا
الى وصاياهم وعهودهم فيمن يصلح لذلك في دينه وشريعته ؛ فلو كان هناك
منصوص عليه ، او من فيه أدنى اشارة ، لما أدخله عمر في الشورى والرئاسة
إن كان / يريد ان يثبت ذلك على ما يدعونه عليه ، وهذا لا يظنه عاقل ،
وهو كمن قال انما استسقى بالعباس واستشفع الى الله به ليميت ذكره وليخرجه
من الفضل والرئاسة ومن استخلاف النبي له ونصته عليه ، فان الراوندية

من شيعة بني العباس تدعي ان النبي ﷺ نص على العباس واستخلفه وجعله وارث مقامه ، وأن الخلافة تكون في ولده الى يوم القيامة ، كما تدعي ذلك الرافضة في امير المؤمنين .

وبعد فإن كان الذي صنعه عمر في الشورى حيلة على امير المؤمنين ليخرجه من الرئاسة ، فلم دخل هو وقبله ، وصلى خلف صهيب ، ورجع الى عبد الرحمن في الاختيار ، فكيف شعرتم انتم بهذا وخفي عليه .

فإن قالوا : فعل هذا خوفاً وتقية ، فقد بينا ان سلطان هؤلاء الخلفاء الأربعة ما كان سلطاناً يخافه محقّ ولو كان عبداً او ذمياً ، وكشفنا ذلك من غير وجه . واعلم ان الكلام اذا انتهى الى مثل هذا فليس إلا السكوت ، فإن شرح المشروح والمجادبة في امر المكشوف عناء وادخال له فيما يغمض ويخفى ، فارجع رحمك الله الى ما كان من ابي بكر وعمر وقول بعضهم في بعض وصنع بعضهم ببعض ، تجدهم أولياء واخواناً واصدقاء ، وقد تقدم لك في صدر هذا الكتاب ان ابا بكر وعمر وتلك الجماعة من المهاجرين والانصار كانوا احباب رسول الله ﷺ ، وكان يحبهم ويودهم ، ويوجب على الناس محبتهم ، ويفرض عليهم مودتهم ، وكانوا يحبونه ، وهو أحب اليهم من آبائهم وأنفسهم ، ويحبون من أحب ، ويبغضون من ابغض ، وإن العلم بذلك قبل العلم بنبوته ، فارجع اليه .

وَبَابُ آخَرَ

وهو ان افعال رسول الله ﷺ وأقواله ووصاياه وعهوده ، تشهد بأنه ما عهد في رجل بعينه ، وان الامر في الخلافة بعده الى خواصه واصحابه ليختاروا من يرون ، وان الخلفاء بعده يجوز عليهم الخطأ والزلل ؛ ألا تسمع

ب / ١١٩

قوله ﷺ (١) : « أنفذوا جيش أسامة » وقوله : « لا تتركوا بعدي في جزيرة العرب دينين ، ولا تجمعوا فيها دينين » (٢) وقوله : « استقيموا لقريش ما استقاموا لكم ، فإن لم يستقيموا لكم فخذوا سيوفكم على عواتقكم فأبيدوا خضراءهم ، وإلا فكونوا أشقياء حرّاثين تمشون خلف أذنان البقر ، وتأكلون كدّ أيديكم . أطيعوهم ما أطاعوا الله ورسوله ، فاذا عصوا الله ورسوله فلا طاعة لهم عليكم ؛ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » (٣) .

وقوله : « هذا الأمر في قريش ما اذا استرحموا رحموا ، واذا حكموا عدلوا ، واذا قسموا أقسطوا ، واذا عاهدوا ففوا ؛ فإن لم يفعلوا ذلك ، فعليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لا يقبل منهم صرف ولا عدل » .

ومثل هذا من اقواله كثير ، ويعلم هذا من دينه ، كما يعلم من دينه أن الولد للفراش وللماهر الحجر ، وان اليمين على المنكر واليمين على المدعي ، والنفقة على الزوج دون المرأة ، وما أشبه ذلك من شريعته . وهذه الوصايا منه انما هي لأصحابه وخاصته ، فمن اشكل عليه بعد هذا انه ما نص على رجل بعينه ، وان الخلفاء بعده يجوز ان يقع منهم الخطأ والزلل ، وأنه ليس فيهم من يؤمن منه ذلك ، فقد اشكل عليه الواضح من شريعة رسول الله ﷺ / وجلّسى سيرته ، والمكشوف عن شريعته ووصاياها .

أ / ١٢٠

(١) في الحاشية كتب : وصايا رسول الله (ص)

(٢) انظر طبقات ابن سعد . الجزء الثاني القسم الثاني ص ٢٤ بلفظ آخر « لا يجتمع في جزيرة العرب دينان » .

(٣) انظر شرح الجامع الصغير للمناوي ١ : ١٤٩ ، وخضراءهم اي سوادهم ودماءهم .
وهناك احاديث كثيرة في هذا المعنى ، كلها تضع شرطاً في التبعية لقريش هي الاستقامة على الحق والتقوى والرحمة .

فإن قيل : كيف اشكل هذا على هؤلاء القوم ؟ قيل له : ليس يعرف هذا بكمال العقل وان كان واضحاً ، وانما يعرف بكثرة السماع وحسن الاصفاء والتأمل ، وجودة التحصيل وصحة النقل .

ألا ترى ان في هؤلاء من يقول : ان في القرآن زيادة ، وفيهم من يقول : فيه نقصان ، وفيهم من يقول : للطهارة والصلاة والصيام وسائر الشريعة باطن يخالف ما عليه الفقهاء والعامّة ، والى ما يذهب اهل التناسخ وقوم من الصوفية . وكل من جالس العلماء وكثر سماعه وجاد تحصيله ، يعلم علماً يقيناً ان هذا خلاف دين النبي ﷺ ؛ وقد عرف اصحابه من سيرته جواز الاختيار في الائمة والامراء ، وعملوا بذلك في حياته ﷺ . ألا ترى انه لما انفذ عسكرياً لغزو الروم قال لهم : اميركم زيد بن حارثة ، فإن هلك فجعفر بن ابي طالب ، فإن هلك فعبد الله بن رواحة ؛ فهلك هؤلاء الامراء الثلاثة فاستعمل الجيش بعدهم خالد بن الوليد المخزومي اميراً عليهم ، فدبرهم وساسهم ولقى العدو بهم ، فما انكر النبي ﷺ ذلك بل صوبهم ، وسمي خالد بن الوليد سيف الله . وقد كان النبي ﷺ انفذ عملاً لابي موسى الاشعري اميراً على جماعة فهلك ، فاستعملوا بعده ابا موسى ، فما انكر رسول الله ﷺ ذلك بل صوبهم ؛ بل انهم انما فعلوا هذا لأنهم قد عرفوه من سيرته . وقد ولي رسول الله ﷺ ابو العلاء بن الحضرمي (١) البحرين ، وانفذه في

(١) أرسل الرسول (ص) العلاء بن الحضرمي الى المنذر الساوي بالبحر بالكتاب التالي :
بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى المنذر ساوي . سلام عليك فاني احمد الله إليك الذي لا إله الا هو ، واشهد ان لا اله الا وان محمداً عبده ورسوله . أما بعد ، فإني اذكرك الله عز وجل فان من ينصح فانما ينصح لنفسه وان من يطع رسلي ويتبع امرهم فقد أطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي ، وان رسلي قد اثنوا عليك خيراً ، واني قد شفعتك في قومك ، فاترك للمسلمين ما اسلموا عليه ، وعفوت عن اهل الذنوب فاقبل منهم ، وانك مها تصلح يغفر لك عن عملك ، ومن اقام على يهوديته او مجوسيته فعليه الجزية . السيرة الحلبية ٣ : ٢٥٢

جماعة ، وعهد إليه عهداً معروفاً ، وقال ﷺ / في هذا العهد : وانا اشهد الله على رجل وليته امرأ من امور المسلمين فلم يعدل فيه قليلاً كان ام كثيراً فانه لا طاعة له ، وهو خليع محاولتيه ، واني قد برأت المسلمين الذين معه من عهدهم وايمانهم منه ومن ولايته ، فليستخبروا عند ذلك الله ثم ليستعملوا عليهم افضلهم في انفسهم ؛ واشباه هذا في وصاياه وعهوده وسيره كثيرة ، وأنت تجده متى طلبته ، وفيما معك اتم كفاية .

بَاب آخِر

وهو ان الصحابة قد خاضوا في باب الامارة في مرض رسول الله ﷺ وقبل ذلك في ازمان مختلفة ، وجرى لهم من الخوض في ذلك اكثر مما جرى لهم من كل شيء في كبار الامور وصغارها ، فأقوالهم وأفعالهم افعال من لا عهد عنده في رجل بعينه ؛ وان الائمة بعد رسول الله ﷺ يجوز ان تقع منهم المعاصي والخطايا .

فمن ذلك ، ان الصحابة سألوا علياً في مرض رسول الله ﷺ فقالوا : كيف اصبح رسول الله يا أبا الحسن؟ فقال: اصبح رسول الله بحمد الله بارئاً ، فقال له العباس : أحلف بالله لقد عرفت الموت في وجه رسول الله ﷺ كما أعرفه في وجوه بني عبد مناف ، وإني لأرى رسول الله ﷺ سيتوفى في وجهه هذا ، فانطلق بنا الى رسول الله ﷺ نسأله فإن كان هذا الامر فينا علمنا ، وإن كان في غيرنا امرناه فوصى الناس بنا . فقال له علي : ما كنت لأسأله رسول الله ﷺ ، فإنما إن سألتاه فقال ليست فيكم منعناها الناس وقالوا : رسول الله ﷺ قال ليست فيكم ، والله لا سألتها ابداً .

فانظر كم في هذا من بيان على صحة ما قلنا ؛ فهذا العباس ، وهذا علي ،

وهؤلاء الصحابة ، فلو كان النبي ﷺ / قد نص لما جاز ان يذهب علمه عنهم ، أو لو قال قولاً يحتمل تأويله هذا المعنى لما ذهب عنهم ، فإن البحث والنظر والخوض يخرج خفيات الأمور ويذكر بغوامضها وبما قد تقدم عهده وزمانه ، فكيف بالشيء الواضح القريب العهد ، ورسول الله ﷺ حي بينهم ، فكيف لم يقل علي للعباس : يا عم ، أما تعلم ان رسول الله ﷺ قد نص علي وجعلني حجة على العالم واستخلفني وولدي على امته الى يوم القيامة ، وكيف نسيت مع قرب العهد ، أو ليس قد قال : « من كنت مولاه فعلي مولاه » ، و « انت مني بمنزلة هرون من موسى » ، وهذا نص واستخلاف . فإن كان امير المؤمنين علي رضي الله عنه نسي ان النبي ﷺ استخلفه كما نسي العباس فكيف لم يذكرهما الصحابة وهم يسمعون ما يجري ، وهذا لا يخفى على متأمل ، فقد وجدت رحمك الله علياً والعباس والصحابة قد اطبقوا على ان رسول الله ﷺ ما نص ولا استخلف رجلاً بعينه ، ولا قال قولاً قصد به هذا المعنى . فان قيل : ومن سلم لكم ان هذا قد جرى بين علي والعباس رضي الله عنهما ؟ قيل له : إن هذا كالذي جرى في السقيفة وفي الشورى ، لا يرتاب بذلك اهل العلم ، والمعجب انكم تقولون أن النبي ﷺ قال : « من كنت مولاه فعلي مولاه » وتتكرون مثل هذا وهو أصح ، والعلم به أقوى ، وما زال ولد العباس وولد علي من قديم الدهر يتذاكرون هذا الذي جرى من آباؤهما في أنها أصوب رأياً ، ويخوض اهل العلم في ذلك ، كالشعبي وعبد الرزاق (١) ، وإنما يذهب مثل هذا على معاند أو من لا نصيب له

(١) الشعبي هو عامر بن شراحيل الشعبي الحميري (ابو عمرو) راوية من التابعين ، وهو من رجال الحديث التقات توفي سنة ١٠٣ هـ . تهذيب التهذيب ٥ : ٦٥ .
واما عبد الرزاق فهو عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري (ابو بكر) من حفاظ الحديث التقات . له «الجامع الكبير» في الحديث . توفي سنة ٢١١ هـ ، تهذيب التهذيب ٦ : ٣١٠

في العلم .

وفي هذا الباب ، ان النبي ﷺ لما مرض جزع اصحابه لمرضه ، فكانوا معه وحوله ومسجده بهم مثل الرمانة ، وعنده في بيته ازواجه وعماته وبناته ، فكان / اذا وجد خفياً خرج فصلى بهم ، فاشتد به يوماً مرضه فقالوا : الصلاة يا رسول الله ، فقال : ما أستطيع الخروج ، صلوا ، قالوا : يا رسول الله من يصلي قال : يؤذن بلال ويصلي أبو بكر .

ب / ١٢١

ففي قولهم : من يصلي ، دليل على انه ما استخلف رجلاً بعينه ، لأنه لو كان فعل ذلك لما قالوا من يصلي ولا خفي عليهم مكانه ، كما لا تخفى عليهم القبلة وقد فرغ لهم منها ، فلا يقولون الى ابن نصلي . وأكد ذلك ايضاً بقوله : يصلي بكم ابو بكر ، ولو كان قد استخلف رجلاً بعينه لقال : اوليس قد استخلفت عليكم علياً ، فكيف نسيت مع قرب العهد ، ولأمر علياً بالصلاة .

فان قيل : ومن سلم لكم هذا ، وإنما عائشة قالت له لا رسول الله ، وأن رسول الله ﷺ لما احس به خرج وصرفه .

قيل لهم : انه ليس لرسول الله عهد اوثق ولا عهد اوضح من عهده الى ابي بكر في الصلاة بالناس في مرضه ، فانه عقد كان منه في بيته وبحضرة أصحابه ، الذين صفتهم على المحافظة على دينه الصفة التي قدمنا ، والعلم بذلك يجري مجرى مرضه في بيت عائشة ودفنه فيه ، ويجري العلم بأن ابا بكر وعمر دفنا عنده ؛ والمعجب بمن يقول : قد علمنا ان رسول الله ﷺ قال : من كنت مولاه فعليّ مولاه وعليّ مني بمنزلة هرون من موسى ، وقال : انفذوا جيش اسامة ، وينكر امر ابي بكر في الصلاة بالناس ، وهذا من

العناد الشديد والجهل الفاض ، وهو كمن قال: إن رسول الله ﷺ ما اختار أباً بكر للهجرة معه ولا كان معه في الغار ، ولا اختصه بأن يكون معه في العريش يوم بدر دون الناس كلهم ، ولا كان معه في بيعة الرضوان ، ولا اقامه مقام نفسه في الحج بالناس في سنة تسع ولم يقدم غيره في ذلك ، وهو اول امير حج بعده ﷺ / في حياته من المدينة .

ولقد امر ابو بكر بالصلاة ، فصلى بجميع اصحابه وأهل بيته كالعباس وعليّ وجميع بني هاشم ومواليه ، وهو ينظر اليهم من بيته وفي مسجده وهم يصلون خلف ابي بكر ، فصلى بهم ابو بكر [عدة] (١) ايام . ففي بعض تلك الايام يخرج رسول الله ويصلي معهم ، وفي بعضها يخرج وقد فرغ ابو بكر فيجلس معهم ، وفي بعضها يحس به ابو بكر فيتحنى ويقدمه ويصلي بهم . لا يتدافع اهل العلم من الصحابة والتابعين والذين يلونهم والذين يلونهم في ذلك . ولقد صلى بهم ابو بكر الظهر في اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ قبل دفنه وقبل البيعة له بذلك العهد الذي كان من رسول الله ﷺ لا ينازعه في ذلك احد .

وقد روي هذا الحديث وأمر رسول الله ﷺ لأبي بكر بالصلاة علي بن ابي طالب ، ذكر ذلك في خلافته وعلي منبره مرات كثيرة ، ورواه العباس وابنه عبد الله ، وذكره عمر علي منبره في خلافته ، ورواه ابو عبيدة ، وعبد الله بن مسعود ، وأنس بن ملك ، والبراء بن عازب ، وسالم بن عبد الله ، وعبد الله بن زمعة ، ومن لا يحصى كثرة من المهاجرين والانصار . وانما كان سبب ذكرهم له ، لأنهم كانوا يذكرون مرض رسول الله وكيف صنع ، وانما

(١) في الاصل فراغ املائه بعدة ، ويمكن ان يقرأ بدونها فنقول حينذاك : فصلى بهم ابو بكر أياماً .

يظن ان ابا بكر تقدم فصلى بالمهاجرين والانصار بغير عهد من رسول الله ﷺ ، من لا يعرف المهاجرين والانصار ، وشدة بصائرهم ، وإعظامهم لمقام رسول الله ﷺ ان يقوم فيه احد مقامه سياً في خاصته بغير امره .

وبعد فان مسجده في بيته ونصب عينيه ، يسمع وهو في بيته صوت من في مسجده ويراهم ، وأمره لأبي بكر / بالصلاة بحضرة اصحابه ، ويسمع ذلك جميع ازواجه وبناته وعماته ، فقد كنّ في مرضه هذا اجتمعن كلهنّ عنده في بيت عائشة . وكان امره له بذلك مرة بعد مرة ، فان الصحابة كانوا يدخلون في اوقات الصلاة فان وجد خفياً خرج معهم ، وإلا قال لهم : يصلي بكم ابو بكر . وكان في اول امره امر بذلك ، قالت عائشة : يا رسول الله ، إن ابي رجل أسيف^(١) لا يستطيع ان يسمع الناس ، فلو امرت غيره ، فأبى رسول الله ﷺ ذلك ولم يجبها اليه ، فاستعانت ببعض ازواجه عليه ليشفعها ويأمر غير ابي بكر بالصلاة ، فردّه من رسول الله وغضب وقال : يأبى الله والمؤمنون غير ابي بكر ، إلیکنّ عني صويحبات يوسف . فهذا الذي كان من عائشة فادعوا عليها ما لم يكن ، وهذا شأنهم . ولقد قيل لعائشة لمّ كرهت ان يصلي ابوك بالناس في مرض رسول الله ﷺ وراجعت رسول الله ﷺ في ذلك حق غضب ؟ قالت : ظننت بجدائة سني انه لا يطيق ذلك ، وأن المسلمين يتشاءمون به .

وقد قال بعض العلماء في قول رسول الله ﷺ : إلیکنّ عني صويحبات يوسف ، ان اولئك النساء ظنن ان يوسف عليه السلام إذا دفع الى شدة

(١) الرجل الأسيف : الشيخ الفاني والسريع الحزن والرقيق القلب ، انظر قاموس المحيط .

يضعف ويحيب الى المعصية فلم يكن كما ظنن ، فأراد رسول الله ان ابا بكر
سيدفع الى شذائد فيصبر ويحتمل .

ثم يقال لهم : وكيف طمع ابو بكر ان يتقدم بأصحاب رسول الله ﷺ
وقد علم ان رسول الله ﷺ قد استخلف علياً وعرفهم انه حجة الله عليهم
وعلى رسول الله وجميع الصحابة حضور شهود ، كيف يتوهم عاقل هذا ؟
وبعد فكيف اقر رسول الله ﷺ عائشة / في ازواجه واقام عليها وقد
ارتدت بهذا الصنيع ، وقد قال الله عز وجل : « ولا تُمسِكوا بَعْضَ
الْكُوفِرِ » (١) ؟

١ / ١٢٣

فادعيتم ان ابا بكر اغتصب هذا المقام ، وان ذلك بلغ رسول الله ﷺ ،
وانه غضب من ذلك وانكره ، وخرج وعزل ابا بكر ، وانكر على
الصحابة طاعتهم لأبي بكر في الصلاة خلفه ؛ هذا امر عظيم ، ومراجعات
كثيرة ، إذ لو كانت لكان العلم بها اقوى من العلم بما كان من المراجعة لرسول
الله ﷺ من المراجعة والمناقلة يوم الحديبية مع سهيل بن عمرو (٢) وما
اشبه ذلك ، ولكن مذاهبكم مقصورة على دعاويكم . ومن العجب كونكم
ما ادعيتم ان رسول الله ﷺ لما غضب وخرج وعزل ابا بكر ان يكون قد
قدم علياً فصلى بالناس ليم بهتكم ، بل لو كنتم صادقين في دعوى النص عليه
لكان هذا وقت تقديمه والغضب لأجله لو ادعيتم ان رسول الله ﷺ لم يختر

(١) المتجننة ١٠

(٢) كانت سهيل بن عمرو سفير قريش الى الرسول يوم الحديبية ، وقد عرض على الرسول
الانصراف عن مكة ذلك العام على ان يأتيها في العام الذي يليه وعلى ان يقوم بينه (ص) وبين
قريش صلح متصل عشرة اعوام . وقد حدثت اثناء المفاوضات مراجعات من المسلمين واحداث
تجددها في كتب السيرة

بيت عائشة لمرضه ودفنه والموت فيه وانما اختار بيت ابنته فاطمة ولكن ابا بكر مضى واغتصبه وحمله وجاء به الى بيت عائشة ، فهذا رحمك الله من الأدلة التي تشهد ان رسول الله ﷺ ما استخلف علياً ولا نص عليه كما يدعي هؤلاء وانما ينكرون الاخبار .

فان قالوا : لو كان رسول الله ﷺ ما استخلفه لعلمنا باضطرار انه لم يستخلفه .

قيل لهم : ما لم يفعله رسول الله ﷺ لا يعلم بالاضطرار ، انما يعلم بالاستدلال ، فمن استدل علم ومن لم يستدل جاز ان يظن انه قد فعل .

ولو كان فعل شيئاً أو فرض شيئاً على الامة من سائر احكام الشريعة لجاء بحجج العلم كما جاء غيره ، وهذا هو الاصل كما شرحنا وقدمنا .

بَابُ آخِر

من هذا ، ان الانصار لما قبض رسول الله ﷺ حزنوا لفراقه ، فاشتد حزنهم وعظمت مصيبتهم ، فقالوا هداانا الله به ، وجمع إلفتننا بدعوته ، وعظمت علينا بركاته . فرجع بعضهم على بعض فقالوا : احمدوا / الله فقد قبض وهو عنكم راض ، فقالوا : الحمد لله ، ولكن قد وترنا الأمم ، وقد قبض رسول الله ﷺ ولم يستخلف ، ولا بد لنا من امير نقيمه فنغزوا معه ونجاهد ، فقال قائل منهم : لا بد لكم من هذا ، فأقيموا رجلاً منكم .

فانظر كيف أفصحوا بأنه لم يستخلف ، ولو كان كما يدعون هؤلاء لقبل لهم ذلك ورد عليهم هذا القول والنبي ﷺ لم يدفن بعد ، وكيف لم يُستدل

عليهم بالآيات والأحاديث التي تروونها وتستدلون انتم بها فلو لم يكن إلا هذا لكفى في الدلالة على بطلان ما يدعونه هؤلاء، وما يدعيه العباسية والبكرية.

فإن قيل: فالنبي ﷺ قد قال: « الأئمة من قريش » في الجماعات الكثيرة وقد ذهب هذا على الانصار، فما تنكرون ان يكون قد نص على علي والعباس وأبي بكر وذهب عنهم ؟

قلنا: لا ندعي ان رسول الله ﷺ قال: « الأئمة من قريش » في الجماعات الكثيرة ، ولا قسام فيهم خطيباً كما تقولون في دعواكم لعلي ، ولا اخذه على الناس ، ولا هو ايضاً من فرض الكفاية ، وانما هو من فرض الفقهاء والخاصة ، فيمقده اربعة نفر أو خمسة لواحد ، وهو يجري مجرى قوله عليه السلام : « لا وصية لوارث » (١) ، و « أهل ملتين لا يتوارثون » (٢) ، و « الخراج بالزمان » (٣) ، وليس كذلك ما يدعونه من انه نص على رجل بعينه وفرض طاعته على جميع أمته وجعله الحجة عليهم بعده ، فأوجب على الرجال والنساء والأحرار والعبيد والمقيمين والمسافرين طاعته ، وأعلمهم هذا الغرض وأداء اليهم بحسب وجوبه وشمول عمومهم ، فجري في الغرض مجرى قوله : « انا رسول الله اليكم وحجة الله عليكم » ، فهذا لا يذهب على النفر اليسير ممن هو دون الانصار في الرتبة والاختصاص برسول الله ﷺ ، وهو يقول : « الانصار كرشي وعيبي » (٤) ، يريد بذلك انهم موضع سرّي وخاصتي ،

(١) حديث لا وصية لوارث في الجامع الصغير ، في الدارقطني عن جابر ٢ : ٥٠٢ .

(٢) ورد معنى هذا الحديث بلفظ آخر في الجامع الصغير ٢ : ٥٠٥ ، مسند ابن حنبل والبخاري ومسلم وابي يعلى عن اسامة .

(٣) الحديث في شرح الجامع الصغير ١ : ٥٢٥ ، عن مسند ابن حنبل ، والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه عن عائشة ،

(٤) انظر الحديث في مناقب الانصار من صحيح مسلم وغيره

فأين / فرض هذا من قوله : « الأئمة من قریش » (١) ، ومع كون هذا من فرض الخاصة ، فعند الحاجة ذكر وقبلة الأنصار كلهم وعملوا به ، فلو كان دعواكم انتم ايضاً كذلك لكان قبيل وعمل به مثل هذا .

وَبَابِ آخِر

من هذا ان العباس وبني هاشم بلغهم قول الانصار وما عزموا عليه ، فيما أنكروا قولهم ان رسول الله ﷺ قبض ولم يستخلف ، وان الإمامة تجب بالاختيار ، بل مدحهم العباس وأثنى عليهم وأقبل على عليّ وقال له : قد كنت قلت لك ورسول الله ﷺ حيّ عليل انطلق بنا اليه نسأله فيمن يكون هذا الامر فان كان فينا لم تُتنازع فلم تفعل ، والآن فامدد يدك أبايعك فيقال : هذا عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله فلا يختلف عليك اثنان .

فتأمل رحمك الله هذا البيان وهذا الإفصاح من الجميع ، ان رسول الله ﷺ ما نص ولا استخلف ، فكيف لم يقل علي لعمه : كيف نقول إنك لو بايعتني ما اختلف عليّ اثنان ورسول الله قد عقد لي وجعلني الحجة وقد خالفوني .

وانما كان قوله رضي الله عنه للعباس لما قال له أمدد يدك : هذا امر المسلمين ، وما كنت لأفتات عليهم بأمر ، فإن ارادوني فقد عرفوا مكاني .

(١) انظر الجامع الصغير شرح المناري ١ : ٤٢٧ ، وفي الحاكم والسنن الكبرى عن علي . قال الحاكم : صحيح ، ونعقب بأنه منكر .

فقيل له : أقبل فانهم لا يخالفونك ولا يكرهونك ، وقال له ابو سفيان :
اقبل يا ابا الحسن ما يقول ابو الفضل وانا أبايعك ، فقال له العباس : اقبل
فهذا شيخ بني عبد مناف يبايعك ايضاً ، فقال ابو سفيان عليّ بنو عبد مناف
كلها ، بل عليّ قریش ان تبايع ولا تخالف ، فقال له العباس : افعل ، فقال :
لا يا عم إلا عن ملأ من المسلمين .

فانظر كيف بين رضي الله عنه امر الامامة للمسلمين وباختيارهم ، وانه
لا يبادر الى القبول لئلا يظن به الحرص على الامارة ، فقال له قائل من بني
هاشم : فأخبر الناس أن رسول الله ﷺ جعلها / في بني هاشم ، فقال رضي
الله عنه : والله لئن كنت أول من آمن به فلا اكون أول من كذب عليه .

ب / ١٢٤

ومقام آخر ، وهو ان العباس خرج الى ابي بكر وهو في المسجد فأخبره
بما بلغه عن الانصار ، وسأله ان يمضي اليهم ويبين لهم ، لعلم العباس بعظم
قدر ابي بكر في المهاجرين والانصار . فنهض ابو بكر وتبعه عمرو وأبو عبيدة ،
وصاروا الى الانصار ، فأذكر عليهم ابو بكر ما عزموا عليه ، فعجبوا من
إنكاره وقالوا : لم تنكر ان تكون الامارة فينا ، فقد مضى رسول الله ﷺ
وما استخلف ، وقد قال فينا كذا ، ومدحنا بكذا ، فقال ابو بكر :
صدقتم ، وقد قال رسول الله ﷺ : ولو سلك الناس شعباً ووادياً وسلكت
الانصار شعباً ووادياً لسلكت شعب الانصار وواديتهم ؛ ثم قال ابو بكر
ولكن هذا الامر ينبغي ان يكون في الحي من المهاجرين من قریش ، فلا
تنفسوا عليهم الامارة : أسلمنا قبلكم ، وقدمنا الله في القرآن عليكم ، وما
كان في قریش نفاق .

فقال الحباب بن المنذر بن الجموح : فإن ابيتم فمننا امير ، ومنكم امير . ثم

اقبل على قومه من الانصار فقال لهم : البلاد بلادكم ، والبادية باديتكم ، وأنتم
شعب الاسلام الذي لجأ اليه ، وإنما عزّ الاسلام بأسيافكم ، فإن ابي هؤلاء
[ان] (١) يكون منا امير ومنهم امير فأخرجوهم من بلادكم ، ثم اقبل على
المهاجرين وقال : إن شئتم اعدناها جذعة ، انا عزيقها المرجب وجديها
المحكك (٢) .

فقال ابو عبيدة : الله الله معشر الانصار ، إنكم اول من نصر وآزر فلا
تكونوا اول من بدل وغير ، وقال ابو بكر لسعد بن عباد : قد علمت يا
سعد إن رسول الله ﷺ قال (٣) : « الناس تبع لقريش ، فخير الناس
تبع لخيارهم ، وشرارهم تبع لشرارهم » (٤) / قال : صدقت ، فقال بشير بن
سعد الانصاري : والله لئن كنا اولي فضيلة في جهاد عدونا فما أردنا بذلك
الارضاء ربنا والكدح لأنفسنا ، وما ينبغي أن نستطيل على الناس ، فالمنة
لله ورسوله علينا . ورجع الانصار عما كانوا عليه ، وأقبلوا على ابي بكر
وقالوا : من ترضى لنا يا ابا بكر ، فقال : رضيت لكم عمرو أبا عبيدة ، إن
رسول الله اتاه قوم فقالوا : ابعت معنا امينا حق امين فبعث معهم ابا عبيدة ،
وقد قال في عمر كذا وكذا ، فقال عمر : اما انا فلأن اضجع فأذبح في غير

(١) زيادة على الاصل يقتضيها السياق

(٢) الجذيل : تصغير جذل ، وهو عود يكون في وسط مبارك الابل تحتك به وتستريح اليه ،
ويضرب به المثل في الرجل يشتفي برأيه . والمذيق تصغير عذق وهو النخلة نفسها ، والمرجب :
الذين تبني الى جانبه دعامة ترفده لثيرة حمله ولعزه على اهله ، فصرّب به المثل في الرجل الشريف
الذي يعظمه أهله . انظر لمناقشة الحباب بن المنذر الطبري ٣ : ٢٢٠

(٣) كتب في حاشية الصفحة : قال رسول الله (ص) : الناس تبع لقريش .

(٤) في شرح الجامع الصغير للمنذاري ٢ : ٤٦٢ . وقد ورد في مسند ابن حنبل ومسلم عن

جابر . بلفظ آخر .

مأثم أحب اليّ أن اتقدم قوماً فيهم أبو بكر ، ولكن أنت يا أبا عبيدة ان شئت بايعتك ، فقال أبو عبيدة لعمر : ما سمعت منك فية (١) في الاسلام قبلها ، اتقول هذا لي وفيكم الصديق وثاني اثنين إذ هما في الغار ، وخليفة رسول الله ، وقد أمتنا حياة رسول الله ﷺ . فقال عمر : معشر الانصار ، قد علمتم ان رسول الله ﷺ قدم ابا بكر واقامه مقامه في الصلاة بالناس ، فأيكم تطيب نفسه ان يتقدم علي من قدمه رسول الله ﷺ ، قالوا : معاذ الله أن نتقدم أبا بكر ، فقال بشير بن سعد الانصاري ثم الخزرجي : قوموا الى خليفة رسول الله ﷺ فبايعوه ، فانثالوا على ابي بكر ومدّوا يده فقبضها وقال : بايعوا عمر او ابا عبيدة ، ودفعهم عن نفسه يجهده ، وقبص يده فدها عمر ، فقال له ابو بكر : أنت أنت يا عمر ، انت اقوى وأشد ، فقال عمر : سِدتي لك انت احق ، انت خليفة رسول الله ﷺ ، رضيك لنا ؛ فما زالوا به حتى بايعوه .

فانظر الى طول هذه المراجعة بين المهاجرين والانصار وهم يطلبون ويفتشون ما يجوز في دين رسول الله ﷺ ، ويرجعون الى أفعاله ووصاياه ، ويبتغون مرضاته ، هل تجد احداً منهم يذكر عن رسول الله ﷺ نصاً على رجل بعينه او ما يشبه النصّ او ما تأويله النص من انه كتاب الله او من حديث عن رسول الله ﷺ ، والعهد قريب وهو يوم موته ، ولم يدفن بعد ، وهذا موضع الحاجة الى ذكر ذلك ؛ والمناظرة والمباحثة تذكر بالأمور البعيدة وتخرج الغوامض فكيف بالأمر الواضح مع العهد القريب ؟ وما أراد الانصار بالبدار الى إقامة امير يكون على الناس إلا الله ، وإلا إحياء الاسلام

(١) الفية من العي والغلط

وقع اعداء رسول الله ﷺ ، لينضبط الأمر ولا ينشر (١) ؛ فقد كان معهم
 وحوّلهم اليهود وقبائل العرب من النصارى ، وقد كانوا راسلوا ملوك الروم
 وأطعموهم في الاسلام ، ومسيحة مقيم على حربهم وكذا طليحة ، وقد ارتد
 من ارتد ، فكان الصواب في المبادرة الى إقامة امير ، فلما قيل لهم : إن
 رسول الله ﷺ قد قال : الأئمة من قريش سمعوا وأطاعوا ، وقصدوا الى
 افضل قريش في انفسهم فمعدوا له وقتلوا بين يديه كما كانوا يقتتلون بين يدي
 رسول الله ، وتفتنوا في طاعته ؛ ولو أرادوا الملك والدنيا لما أطاعهم
 المهاجرون ولا غيرهم ، فإن البلاد بلادهم ، والبادية باديتهم ، والبأس والنجدة
 والكثرة لهم وفيهم ، وانما المهاجرون ضيفانهم ونزال عليهم ، وبهم عزوا ،
 وبهم صار رسول الله ﷺ في عساكر وجماعات ، وبهم غزا العدو وقد كان
 ﷺ وهو مقيم بمكة منذ دعا الى النبوة خمسة عشر سنة يعرض نفسه في
 المواسم على قبائل العرب ، ويتلو القرآن ، ويدعو الى الله ؛ فسمعتهم / قبائل
 الأوس والخزرج ، وأصغوا الى دعوتهم ، وأجابوه الى معاداة ملوك الأمم
 وجباة الأرض في طاعته ، وأن ينفقوا اموالهم ، ويسفكوا دماءهم في
 نصرته دينه ، وأن يطيعوه حياً وميتاً . فلما أجابوه الى ذلك ، أمر اصحابه
 بالهجرة اليهم ، فقبلوهم وأظهروا الاسلام في المدينة وفي قبائلهم وبوادئهم ،
 فهاجروا اليهم فوفوا بجميع ذلك ، وكان باطنهم في الايمان كظواهرهم ، فلهذا
 أسماهم الله الانصار وكذا المهاجرون ، ولهذا قال الله : « للفقراء المهاجرين الذين
 أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، يبغون فضلاً من الله ورضواناً ، وينصرون الله
 ورسوله ، اولئك هم الصادقون » (٢) فأخبر عز وجل عن صحة نياتهم وصدق

(١) يقصد : كي لا يتفرق المسلمون

(٢) الحشر ٨

ضمايرهم ، وشهد لهم بالصدق ، ثم ذكر الانصار وقال : « والذين تبوءوا الدار والأيمان من قبلهم يُحِبُّونَ من هاجر اليهم ولا يحدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » (١) ، لأن الانصار كانوا بالمدينة قبل المهاجرين ، فلما جاءهم المهاجرون أحباب رسول الله ﷺ آثروهم على انفسهم بمنازلتهم ، وشاطروهم اموالهم بطيب من انفسهم ، فشهد لهم بالفلاح ، وفرض على من جاء من بعدهم مولاتهم والاستغفار لهم فقال : « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوفٌ رحيم » ، وأمرهم بالتعود من بغضهم وعداوتهم ، فهؤلاء الذين قاموا بدين رسول الله ﷺ بعده ، وهم الذين اختاروا أبا بكر ، والقرآن مملوء بمدحهم والثناء عليهم ، وأنت تحفظه ؛ فارجع الى ما في سورة بعد سورة من ذلك وتدبره ، فذكر جميعه يطول ولا يحتمله / هذا الموضع .

ب / ١٣٦

فهم لما بايعوا ابا بكر سكنت نفوسهم ، وباتوا وكأن رسول الله ﷺ لم يمت ولم يفقد من بينهم ، فهذا الذي قصدوا بالبدار ، وهم كانوا اعلم بما يباشرونه ويقولونه ، وقد علموا انهم قد تروا الامم كلها في طاعة رسول الله ﷺ ؛ فقد خلفهم ولا امير عليهم ، فخافوا ان يبيتوا وقد فقدوا نبينهم وليس عليهم امير فينشر امرهم ، فلشدة اهتمام هؤلاء بحراسة الاسلام بادروا الى من يعقدون له ، وإنما ذكرت لك هذا لتعرف الحال فإن من لا يعلم ومن هم الطعن في الاسلام يدعي عليهم انهم إنما فعلوا ذلك حباً للدنيا ولسرورهم بموت رسول الله ﷺ ، ولاغتباطهم بالراحة .

(١) الحشر ٩

وأنت تجدهم وقد شهدت أفعالهم بأنهم بعد موته اشد حبا له ، وأشد بصيرة في دينه .

ثم إن ابا بكر عاد من السقيفة وقام خطيباً ، وأخبر المهاجرين بما كان وقال : والله ما اردت الامارة ، ولا نويتها ، ولا تمنينها في يوم ولا ليلة ، ولا رغبت فيها ، ولقد حرصت أن اجعلها في عمر فما تركت ، وإنما قبلتها خشية الفتنة ، ولأنه لم يكن عليّ امير ، وقد رجعت اموركم اليكم فاقبلوني وولوا من شئتم . فقال له عليّ : والله لا يقبلونك ولا يستقبلونك ، رضىك رسول الله لديننا فرضيناك لدينا ، قدّمك رسول الله فمن ذا يؤخرك ، فصوّب الصحابة جميعهم قوله واستحسنوه (١) .

وانظر اعترافهم ان رسول الله ﷺ قد اعطى ابا بكر اكثر مما اعطوه ، وعجب علي رضي الله عنه من طمع الانصار في الامارة وقال : أما سمعوا قول رسول الله ﷺ : « اوصيكم بالانصار خيراً ، اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئتهم » (٢) ، فلو كانوا هم الامراء لكانت الوصية لهم لا فيهم ، ولكن تتجاوز لهم كما وصّى رسول الله ﷺ ، والله يرحم الانصار .

أ / ١٢٧

فان قال : انهم لم يعارضوا ابا بكر / خوفاً وتقية ، فقد بينا غير مرة ان سلطان هؤلاء الخلفاء الاربعة لم يكن سلطاناً يتقيه بحق .

وقيل : إن ابا سفيان لقي علي بن ابي طالب بعد البيعة لأبي بكر فقال له : يا ابا الحسن ، ما بال هذا الأمر في اقل حيّ من قريش ، إنما هي بنو عبد مناف ، إن شئت ملأتها على ابي بكر خيلاً ورجلاً ، فقال له علي : ما

(١) كتب في الحاشية : صوابه ان مقامه بعد قتل مسيلة

(٢) انظر الحديث في مناقب الانصار .

اريد ذلك ، إنا رأينا ابا بكر لها اهلا ، واني لأعد بيعتي له من جهادي مع رسول الله ﷺ . ثم اتى ابو سفيان العباس وبني هاشم فقال : ما لنا ولأبي فضل (١) ، إنما هي بنو عبد مناف ، يا بني عبدمناف ذبوا عن مجدكم وانصحووا عن سؤددكم ، ولا تخلعوا تاج الكرامة إذ ألبسكم الله فضلها ، انها عقب نبوة ، من قصر عنها اتبع ، ومن ذب عنها اتبع ؛ فقال العباس : إن الاسلام قيد الفتك وأخذ بعنان الباطل ، فأمهل تراجع الفكر ، فإن يكن لنا من الأمر مخرج نبسط اكفاً للجد لا نقبضها او نبلغ المدى ، وإن تكن الاخرى فلا لفة في العدد ولا وهن في الأيد . فأنكر علي قول ابي سفيان ، ونهى بني هاشم عن الخلاف ، وقال لهم : عرجوا عن طريق المنافرة وخطوا تيجان المفخرة . وقال لأبي سفيان : يا ابا سفيان ، إن المسلمين قوم نصحة وإن تباعدت انسابهم ، وان المنافقين قوم غششة وان تقاربت انسابهم ، يا ابا سفيان ، طالما عادت الاسلام واهله فلم يضره ذلك شيئاً ، انا وجدنا ابا بكر لها اهلا ، ولو لم نره اهلا لما وليناها .

وقد ذكر من هذا امير المؤمنين علي رضي الله عنه بعد مضي عثمان في رسالته الى معاوية إذ يقول له في فصل منها : وقد كان ابوك اتاني حين ولي ابو بكر رحمه الله الناس ، فقال انت احق بهذا الأمر بعد محمد ﷺ فهم ابايك وانا بذلك على من خالفك ، فكرهنا ذلك مخافة الفرقة ، / فكان ابوك اعرف بجمنا منك ، فإن تعرف منه ما كان يعرف تصب رشك ، وإلا فسيغني الله عنك .

ب / ١٢٧

وقد ذكر معاوية هذا المعنى لابن عباس وبني هاشم حين اخذ الأمر من الحسن ، فقالوا له : اغتصبت وأخذت ما ليس لك ، فقال لهم : إن كان امر الخلافة يستحق بالقرابة دون الرضا والاجماع فما منع العباس منها وهو

(١) كذا في الاصل ، ولعلها بكر

عم رسول الله ﷺ وقد ضمن له ابو سفيان بني عبد مناف ؟ فكان جوابهم ان ذلك امر رضيهِ المهاجرون والانصار واجمع عليه المسلمون ، وانت فما رضيناك .

وما كنا في صحة امامة ابي بكر ، وإنما كنا في ان الصحابة في كل زمان وأوان يخوضون فيمن يصلح للامامة ولا يذكرون عهداً من رسول الله ﷺ في انسان بعينه مع حاجتهم الى ذلك ، بل يجمعون على العمل بالاختيار ، فعرض لنا ما كان بين بني عبد مناف ، فذكرنا قول بني هاشم ، وان ابا سفيان احب ان تكون الخلافة في بني هاشم لأنهم اهله وأقاربه من بني عبد مناف ، ولأن السؤدد والرئاسة كانت فيهم قبل الاسلام .

ولهذا قال خالد بن سعيد بن العاص عامل رسول الله ﷺ على اليمن وقد قدم بعد وفاته وقد بايع الناس أبا بكر ، فعجب من كون الخلافة في أبي بكر دون العباس او علي او عثمان فمؤلاء اعمام رسول الله ﷺ وبنو (١) اعمامه ، فقال لعثمان وعلي وقد أتياه ليسلما عليه حين قدم من سفره : أرضيتم بني عبد مناف ان يلي امركم بنو تيم ، فقال علي : رضينا ، فقال خالد : انتم الشجر الطوال ذوات الظلال فاذا رضيتم رضينا .

١٢٨ / أ
فولاية ابي بكر ، وتقدمه على اهل رسول الله وأعمامه وبني اعمامه / وهم كثيرة وفي عزة ومنعة وفيهم اليسار وليس لأبي بكر شيء من ذلك من العجائب ، ولهذا قال ابو قحافة وقد جال الناس جولة وهو بمكة : ما هذا؟ قالوا : مات رسول الله ﷺ ، قال : فما صنع الناس بعده قالوا : اقاموا ابنك مقامه ، قال : أفرضيت بنو عبد مناف؟ قالوا : نعم ، قال : افرضيت

(١) في الأصل : بني

بنو المغيرة ؟ فقالوا : نعم ، قال : ودانت لرجل من تيم ؟ قالوا : نعم ، قال : فلا مانع لما أعطى الله .

فمجب أبو قحافة من تقدم ابنه والسيادة والرياسة انما كانت في بني عبد مناف وبني المغيرة من بني مخزوم دون بني تيم ، فلما قدم المهاجرون والأنصار . ومن كان على دين رسول الله ﷺ ابنه ابا بكر ، علم ان ذلك الإسلام ومن قبل الله ، وان ابنه قد كان اولى بالحسد والابعاد ، ولكن القوم رجعوا في توليته الى الدين والاسلام دون الأحساب والأنساب .

ولما بلغ اهل اليمن والبحرين وعمان قالوا لعمال رسول الله ﷺ : هذا الذي بايعه الناس بعد رسول الله ﷺ ابنه او اخوه ؟ فقيل لهم : لا ، قالوا : فأقرب الناس منه ؟ قيل : لا ، قالوا : فما شأنهم ؟ قيل : اختاروا أخيرهم فأمره عليهم ، قالوا : ان يزالوا بخير ما صنعوا هذا .

فتأمل رحمك الله حال القوم لتعرف حقيقتها وتعلم انها بالضد مما قاله هؤلاء ، فقد طال العهد وقل التأمل .

وَبَابِ آخِر

وهو ان أبا بكر غزا اليمامة ، ومسيلمة ، وربيعة ، وطلحة ، وبني اسد ، وتلك القبائل المرتدة ، ومانعي الزكاة ، مع إذعانهم بإقامة الصلاة ، وأنكر رضي الله عنه ^(١) تغير دين رسول الله ﷺ ، وأنه لا يقرهم على ترك خصلة واحدة من دينه ولا تعطيل شيء منه ، وقد غزاهم بالمهاجرين والأنصار ونكل بهم كل التنكيل ، وقتلهم ألوان القتل ، وصنع بالرجال والنساء منهم

(١) في الاصل : عنهم

ب / ١٢٨ من النكال ما يطول شرحه لأنهم غيروا حين رسول الله ﷺ ، / وعطلوا حدوده ، فها استطاعوا ان يقولوا لأمرأه ابي بكر لم تنكرونا علينا هذا وأنتم قد عطلتم نصوص صاحبكم ، وغيرتم دينه ، وبدلتم كتابه ، وانصرفتم عن وصيه وعمن استخلفه ، وضربتم ابنته ، وقتلتم جنينها في بطنها ، وهذا موضع حاجة هؤلاء اليه ، ولو كان لذلك ادنى اشارة لعزلوا عليه واستراحوا اليه ، فعلت ان ما يدعيه هؤلاء لا اصل له .

ولو كان بدا منهم شيء لكان العلم به اقوى مما كان بين امير المؤمنين وأهل النهر ، وبينه وبين اهل الشام وغيرهم .

وَبَابِ آخِرِ

ان ابا بكر لما قتل مسلمية ، وأسر طلحة ، ورد اهل الردة ، واستولى على جزيرة العرب الاسلام ، وأنفذ جيوشه الى العراق واستظهر المسلمون ، قام في المسلمين خطيباً فقال : ان اموركم قد عادت اليكم وبحمد الله استظهرتم على عدوكم فأقبلوني فقد تقلدت امرأ ما لي فيه راحة ولا يدان الا بمعونة الله ، فقال له علي رضي الله عنه : ما يقبلونك ولا يستقبلونك ، وما منك بديل ولا بديل عنك حول ، ومشى في الناس ثلاثاً يستقبل فما اقالوه .

وَبَابِ آخِرِ

ان ابا بكر لما مرض مرض موته قال : يا ليتني يوم ظلة بني ساعدة قد كنت وليت عمر او ابا عبيدة ، فكنت أكون وزيراً خيراً من ان اكون اميراً ، وليتني حين بعثت خالداً الى الشام كنت بعثت عمر الى العراق فكنت

قد بسطت يميني وشمالتي . ثم عزم على استخلاف خليفة يكون بعده ، وأخذ
 يشاور في ذلك ؛ فقال لهبط من المسلمين : إن وليت عليكم رجلاً منكم
 أترضون ؟ فقال عليّ بن أبي طالب : لا إلا أن يكون عمر ، فأمسك ؛ ثم
 خلا بمعد الرحمن بن عوف وشاوره في عمر وأخذ رأيه فيه ثم قال له : اكنم
 يا أبا محمد ما كان بيننا إلى أن أقوله لك ، ثم شاور عثمان بن عفان ، ثم شاور
 أسيد بن حضير في رهط من الأنصار في ذلك ، فقال له أسيد : / ما اعلمه إلا
 الخيرة بعدك لولا ما فيه من شدة فقال له أبو بكر : يا أبا يحيى اني قد
 رمقته ، فكنت اذا شددت في الشيء اراني فيه اللين ، وإذا لنت في الشيء
 اراني فيه الشدة ، ولو قد وليكم للان واشتد .

ثم اظهر أبو بكر الامر للناس وذكر لهم رأيه في عمر ، فقال طلحة
 وغيره : ان عمر رجل مهيب ، له هيبة وليس بخليفة ، فكيف اذا صار
 خليفة؟ فاعدل بنا عنه إلى رجل هو اخفض جناحاً وألين جانباً فكان جواب
 أبي بكر ما قد تقدم ؛ فكيف يظن عاقل تدبر الامور ان هناك رجلاً قد
 اقامه رسول الله ﷺ وفرغ لهم منه ، وكلهم ومعهم ذلك الرجل الذي يدعي
 هؤلاء ، يطلبون رجلاً يصلح في دين رسول الله وعند رسول الله للقيام بأمر
 امته ؟ وهل هذا إلا كقائل قال في جماعة كثيرة قيام في الشمس وهم يطلبون
 الشمس ويسألون عن الشمس ، وتأمل الحال ، وكيف ينطق كل واحد بما
 عنده وبما يراه ، غير راهب ولا خائف من الأنصار ومن المهاجرين ومن أبي
 سفيان ومن بني هاشم ومن خالد بن سعيد لتعلم سلطان هؤلاء الخلفاء
 كيف كان .

فكان المسلمون يفرغون إلى أبي بكر في كل صغير وكبير ، فيقول لهم :
 أنظنن انكم تجدون عندي ما كنتم تجدونه عند رسول الله ﷺ ، لا تجدون

ذلك ، إن رسول الله ﷺ كان يأتيه الوحي ، وإنما انا مثلكم ، فان احسنت فأعينوني وإن زغت فقوموني ؛ ويُسأل عن مسألة فيقول : اقول فيها برأي ، فإن يك صواباً فمن الله ، وإن يك خطأ فمني ومن الشيطان ، فيستحسن المسلمون هذا منه ويحمدونه عليه ، ولا يقول قائل كيف يزني إمام المسلمين وكيف يخطيء ، وعند الإمامية ان إمام المسلمين لا يخطيء ولا يزل .

وقد قال عمر ايضاً مثل قول ابي بكر مرات كثيرة ، وقال عثمان مثل ذلك .

وما بُلي به علي / وما قاله في هذا الباب فأكثر مما ابتلي به أبو بكر وعمر وعثمان ، فإنه ابتلي من اهل زمانه ومن اصحابه طول خلافته بالإضلال والإكفار فما احتج هو لنفسه بالنص ولا بالعصمة ، ولا احتج له من في زمانه ممن كان يخاصم عنه من ولده وأهل بيته وشيعته بشيء من ذلك ، وكانوا وكان هو ايضاً لا يابون ان يجوز عليه ما يجوز على اهل الشورى وعلى الخلفاء قبله . وكان ما يتدين به من الاختيار اكثر وأشهر مما كان من الخلفاء قبله ، ولهذا قالت العلماء : إن العلم بأن رسول الله ما نص على علي ولا استخلفه اقوى من العلم بأنه ما نصّ على بلال ، أو عمار ، وأبي ذر ، او ابن مسعود ، فانه رضي الله عنه قد بقي بعد الخلفاء خليفة وإماماً معه مائة الف سيف تطيعه ، وقد نازعه خلق كثير في الإمامة وناظروه ، وادّعوا عليه الخطأ والضلال والإكفار ، فما ادّعى النص ولا العصمة ولا احتج في مشافهة ولا مراسلة ولا مكاتبة بشيء من ذلك ، بل كان يحتج بأن طاعتي وجبت لأنه بايعني الذين بايعوا ابا بكر وعمر وعثمان ، فوجبت طاعتي كما وجبت طاعتهم .

ومن نعمة الله على المسلمين ان بقاءه رضي الله عنه بعد الخلفاء خليفة وإماماً وسلطاناً ومعه مائة الف سيف تطيعه ، فما سار في تركات رسول الله ﷺ

إلا سيرة ابي بكر وعمر وعثمان ، ولا حبا للسواد ومصر وفارس وأرمينية
وأذربيجان وخراسان إلا ما حباه الخلفاء قبله ، ولا قرأ إلا المصحف ،
ولا أقرأ اولاده والناس الا هذا المصحف ، وملك الارض كان كله بيده
إلا كرة فلسطين ، وأقام التراويح بنفسه وأقامه عماله في ممالكه كلها ، وكان
يقيم إماماً للنساء في التراويح ، وأثنى على الخلفاء قبله بما يطول شرحه وقد
ماتوا وبلتوا ، وهو يلعبن معاوية ويبرأ منه وهو حي ومعه اكثر من مائة
الف / سيف ، وكذا صنع بالخوارج . فهو لا يخاف الجبارة الاحياء ، وعند
الإمامية انه قد خاف الموتى وهو سلطان عظيم الشأن، وقد بينا ان هؤلاء في
حياتهم وسلطاتهم ما كان يخافهم محق (١) .

١٣٠ / أ

فإن قيل : ومن سلم لكم انه كان يقيم التراويح ، بل يقول انه قد نهاهم
عنها ، فقالوا : واعمره ، فلما قالوا ذلك ، اقامها لهم .

قيل له : لا فرق بين من ادعى هذا ، او ادعى انه قد كان نهاهم عن هذا
المصحف فقالوا واحمداه ، او قال : قد كان نهاهم عن هذه الصلاة وقال لهم :
لها باطن وهي شخص ، ألا تسمعونه يقول : إن الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر ، ولا ينهى إلا الشخص كما يدعيه عليه الاسماعيلية فصاحوا واحمداه ،
او كمن ادعى انه كان يعيد في آخر ذي الحجة ويقول : هذا اليوم الذي نص
علي فيه رسول الله ﷺ واستخلفني كما يفعل الامامية ذلك في زماننا بيغداد ،
وانه كان يقيم المناحات بالشعر على فاطمة وابنها الحسن الذي زعم الامامية
ان عمر قتله ، كما يفعل الامامية ذلك بيغداد والكوفة . وبأي شيء يعلم العاقل

(١) في الاصل : يخاف ، ولكن السياق يقتضي ما اثبتناه

المثمل ان العباس وولده وبنو هاشم كانوا يقيمون التراويح الا والعلم الذي يعلم به ان علياً كان يقيمها بنفسه وعامله قرظ بن كعب^(١) بالكوفة وعامله بالبصرة وبمكة والمدينة وسائر بلدان الاسلام التي في ملكه وسلطانه اقوى واقهر .

ولو ادعى مدّع ان ابن مسعود بالكوفة وابا عبيدة ومعاذ بن جبل بالشام كانوا لا يرونها ولا يقيمونها ، هل كانت الدلالة على بطلان دعواه الاظاهرة ، والدلالة على بطلان من ادعى ذلك على امير المؤمنين اقوى واقهر . والمعجب ان رؤسائهم والذين لقنوم هذا / المذهب قد قالوا : انه اقام التراويح .

ب / ١٣٠

وإذا قيل لهم : هبكم انكم ادعيتم انه كان في زمن ابي بكر وعمر وعثمان كان مغلوباً مقهوراً ، فما باله حين مات هؤلاء [و]^(٢) صارت الخلافة اليه وصار السلطان بيده والفيء يجرى اليه فيعطيه من يرى وهو في العساكر والجيوش ، لم يدّع^(٣) النص وتعطيل التراويح ويظهر المصحف الذي تدعون ويسير في اموال رسول الله ﷺ ما تدعون ويظهر البراءة من ابي بكر وعمر وعثمان سياً وقد ماتوا ، كما اظهرها في معاوية والخوارج وهم احياء وفي عساكر ؟

قالوا : ما فعل ذلك ولا قدر عليه لأن جنده وأهوانه من المهاجرين والانصار والتابعين بعدهم كانوا اولياء ابي بكر وعمر ، فلو اهتموه ببغضهم لقتلوه ، فما زال مظهرأ لنصرتهم وموالاتهم الى ان خرج من الدنيا .
قالوا : وكذا فعل الحسن والحسين رضي الله عنهم اجمعين .

(١) في الاصل : كعب بن قرظ ، والصواب ما اثبتناه ، وهو واحد كبار مساعدي علي بن ابي طالب رضي الله عنه وحضر معه صفين سنة ٣٧ هـ .

(٢) في الاصل : صارت

(٣) في الاصل : يدعي

والآن يدعي هذا المدعي في هذا الزمان انه كان قد نهى عن التراويح ،
فلما صاحوا واعرء خافهم فتقدم واقامها لهم ، فما يجري كلامهم على تحصيل
ولكن كما يسمح لهم .

ومما كان ينبغي ان يقدم قبل هذا ، ما كان من عهد عمر حين جرحه
فيروز النصراني ، فإنه ورد على عليّ والمهاجرين والانصار وجميع المسلمين من
ذلك ما ذهلت له عقولهم أسفاً عليه ؛ فانه قد كان دوتخ ملوك الفرس والروم
وأذلم ، وغلب على ممالكهم ، وألجأهم الى الهرب ، وبلغت خيوله افریقیة
وأوائل خراسان وأوائل الهند ، فذلّ الشرك كله به ، وغزا الاسلام بمكانه
وسلطانه . فخاف المسلمون ان تكررّ ملوك الشرك عليهم بفقده ، فاجتمعوا
وانفردوا عنه / مفكرين ، وأملوا ان يبتدىء ويستخلف عليهم . فدخل
عليه أهل الامصار فقالوا له : أوصنا يا امير المؤمنين ، قال : أوصيكم بالقرآن
فتمسكوا به ، فيه هدى الله نبيّكم وهداكم من بعده ، وفيه نجاتكم ، قالوا :
أوصنا ، قال : أوصيكم بالمهاجرين والانصار وذكر فضلهم ، قالوا : أوصنا ،
قال : أوصيكم بالعرب فإنهم مادة الاسلام ، قالوا : اوصنا ، قال : اوصيكم
بذمتكم فإنهم ذمة نبيكم وقوت عيالكم ، قالوا : اوصنا ، قال : قوموا عني
وإلا قتت عنكم . فلما رآه اصحاب رسول الله ﷺ لا يذكر أحداً للخلافة
دخلوا عليه ، وابتدأ ابن عباس يسأله الاستخلاف ؛ وافتتح الكلام ، فقال :
قد توليتها حياتي واجتهدت لكم رأيي ونصحت لكم جهدي ومنعت نفسي
وأهلي ، وأرجو ان انجو منها كفافاً لا عليّ ولا لي ؛ فأثنوا ، وابتدأ علي
يبشره عن رسول الله ﷺ بالجنة ، وقال له : وأشار الى ابن عباس يشهد على
رسول الله ﷺ بمثل ما شهدت ، وشيع غيرها ذلك وسألوه الاستخلاف ،
فقال : ما أحب ان تحملها حياً وميماً ، قالوا : بل تفعل ، ولك في ذلك

أ / ١٣١

الاجر؛ انظر يا امير المؤمنين لأمة محمد ﷺ ، فقال: دلوني على من أستخلف، فقال له المغيرة : انا أدلك عليه : عبد الله بن عمر ، فقال له عمر : والله ما أردت بذلك الله ، فقال له ابن عباس : يا امير المؤمنين ، وما يمنعك من إخوانك ، وأشار الى عليّ وعثمان وعبد الرحمن وتلك الجماعة ، فقال عمر : إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني ، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني - يعني أن رسول الله ما استخلف وأن ابا بكر استخلف - ثم قال : هي في واحدٍ من هؤلاء الستة الذين شهد لهم / رسول الله بالجنة وقبض وهو عنهم راض : علي وعثمان ابنا عبد مناف ، وسعد وعبد الرحمن خالا رسول الله ﷺ ، والزبير حواري رسول الله ﷺ ، وطلحة وقاية رسول الله . ثم حذر كل واحد منهم من خلق كرهه له . وقال له لي : إن وليت هذا فاعدل ولا تحمل بني هاشم على رقاب الناس ، وقال لعثمان مثل ذلك ، وقال له : لا تحمل بني ابي معيط على رقاب الناس ، ثم اقبل على عمار ومقداد في ان يكونا في ثلاثين من المهاجرين ، وقال لأبي طلحة الانصاري : إن الله لم يزل يعزّ هذا الاسلام بقومك فكن في خمسين منهم ، فإذا مت فليصل عليّ صهيب ، وليصل بالناس الى ان يقيموا خليفة ، وكونوا عليهم رقباء للثلاثي ستبدّ مستبد ، وقال : لا يأتي اليوم الثالث إلا وقد أقمتم احداً من هؤلاء الستة خليفة ، وجدّوا في امركم ، وجاهدوا عدوكم .

ب / ١٣١

فلما قبض أنفذوا وصيته كما رسم ، فكم في هذا من شاهد على بطلان دعاوي هؤلاء القوم ، وما حاجة الصحابة ان يختار لهم عمر خليفة وقد فرغ لهم من ذلك رسول الله ﷺ وهو قائم العين نصب اعينهم . وأعجب من هذا قول عمر وهم يسمعون ان رسول الله ﷺ ما استخلف ، وأعجب منه ان الذي يدعون ان رسول الله استخلفه معهم في ان رسول الله ما استخلف ،

وأن الخلافة بالاختيار لا بالنص، وأنها في واحد منهم وفيهم الهاشمي والاموي
والزهري والتيمي والاسدي، ففيمن كانت منهم كان صواباً، لا ينكر ذلك
احد من المسلمين. وأعجب من هذا قوله لعلي: ان لولك فاعدل ولا تحمل
بني هاشم على رقاب الناس، فكيف لم يقل له: ما أحتاج الى توليتهم لي؛
ولآبي رسول الله واختارني وشهد بمصمتي، / وكيف تقول هذا لي؛ وكيف
تقول إن رسول الله ﷺ ما استخلف؟

١٣٢ / أ

وَبَابِ آخِرِ

ان علياً والجماعة ردوا الامر الى عبد الرحمن ليختار واحداً منهم للخلافة
وعليهم الرضا بحكمه، فقال لهم: تكلموا فأخبروا الناس بذلك، فتكلموا،
وقام امير المؤمنين علي رضي الله عنه، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه
ثم قال: لو عهد الينا رسول الله ﷺ عهداً لجالدنا عليه حتى نموت، او قال
لنا قولاً انفدنا قوله على رغبتنا، لن يسرع احد قبلي الى صلة رحم ودعوة
حق، والأمر اليك يا ابن عوف وعلي صدق اليقين وجهد النصح وأستغفر الله
لي ولكم. فلم يقل^(١) رضي الله عنه إن رسول الله ﷺ ما ولاه ولا ولي عليه.

ثم انظر في باب آخر في امر عثمان وما لحقه في آخر امره من الإعراض
والخصومة، حتى تجرأ عليه المبيد والنساء والصغير والكبير، هل قرّعه
احد من خصومه وأعدائه بأنه جلس في غير مجلسه؟ وقد بالغوا في التشنيع
عليه، وهو كان يسمى الخليفة المستضعف، فكيف لم يتقدم الخليفة المنصوص
عليه فيأخذ الامر من هذا الذي قد قهر وحصر.

(٧) في الاصل: يقول

وأعجب من هذا ، ان المصريين أتوه رضي الله عنه بعد ان مضى عثمان فقالوا : امدد يدك نبايحك ، فقال : ليس هذا اليكم ، هذا للمهاجرين والانصار ، من أمره اولئك فكان اميراً . فانظر كم يقول إن هذا امر المسلمين وأنه بلاختيار . ثم ان المصريين انصرفوا عنه ، فجاءه المهاجرون والانصار ، فقالوا : امدد يديك نبايحك ، فقال لهم : اختاروا غيري تبايمونه وأبايمه ، فلأن اكون لكم وزيراً خير من ان اكون اميراً ، فدفعهم عن نفسه ، فمادوه فقال لهم : إن عمر كان رجلاً مباركاً / وقد جعلها شورى ، قالوا : فأنت من الشورى وقد رضيناك ، فقال : اختاروا غيري ، فدفعهم ، فمادوا فقال : قد علمت اني اسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه امركم ، قالوا : قد رضيناك ، فدفعهم ومشى الى طلحة والزبير فعرضها عليهما ، وقال : من شاء منكنا بايعته ، فقالا : لا ، الناس بك ارضى ، فترددوا اليه وهو يأبى ويقول : اختاروا غيري فيقال انهم اختلفوا اليه بعد مضي عثمان ثمانية ايام ، ومنهم من يقول [] ^(١) يوماً وهو يقول : اختاروا غيري ابايمه وتبايمونه .

هذا ، وقد مات ابو بكر وعمر وعثمان وما هناك سلطان ولا خليفة ، فأين ما ادعيتموه؟ ثم انه لما اتوا وألحوا عليه فقال بعد الحمد والثناء والصلاة : ايها الناس ، ان احق الناس بهذا الامر اقوامم عليه واتقاهم الله ، ولا يحل بعد إلا برضى المهاجرين والانصار ، فاذا رضوا لم يكن الخيار ، فان شغب شاغب استتيب ، فان ابى قوتل حتى يفىء الى امر الله .

(١) فراغ في الاصل ، والقول الصحيح ما ذكره القاضي من ان عثمان رضي الله عنه قتل يوم ١٨ ذي الحجة سنة ٣٥ هـ . وان علياً رضي الله عنه بويح يوم الجمعة لحس بقين من ذي الحجة . انظر الطبري .

فانظر الى هذا البيان والكشف ، وان الامامة بالاختيار ، وانها الى المهاجرين والانصار ، فقالوا نبايعك على كتاب الله وسنة رسول الله ، فإن لم تف فلا بيعة لك ، قال : نعم .

ثم خطبهم فقال بعد الحمد والثناء والصلاة على النبي ﷺ مقدار نعم الله على الخلائق برسول الله ﷺ ، ثم قال : ان الله يعلم اني كنت كارهاً للولاية على امة محمد عليه السلام حتى اجتمع رأيكم على ذلك لأنني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ايما والي ولي الامر بعدي اقيم على حد الصراط ، ونشرت الملائكة صحيفته ، فان كان عادلاً انجاه الله بعد له ، وان كان جائراً انتفض به الصراط انتفاضة حتى تترايل ما بين مفاصله ، ثم تتحرق به الصراط فيكون اول ما يتقي به النار انفه وحر وجهه ، ولكن / لما اجتمع رأيكم لم يسعني ترككم . اقول ما سمعتم ، واستغفر الله لي ولكم .

أ / ١٣٣

فانظر الى هذا ففيه اتم كفاية ، وانظر الى بيانه ان الامام يحور ويخطىء ويزل .

وخطبته المشهورة بالعراق التي لا يستطيع دفعها :

ايها الناس ، انه لما توفي رسول الله ﷺ بايعتم ابا بكر فبايعت ورضيت ، ثم بايعتم عمر فبايعت ورضيت ، ثم بايعتم عثمان فبايعت ورضيت ، حتى إذا مضى عثمان تداكمتم علي^(١) كتداك^(١) عرف الصبح ، فمددت يدي فقبضتها وقلت : اختاروا لأنفسكم فأبيتم الا مبايعتي ، حتى اذا كثر الجمع ووطيء الحسين وشق عطاؤه ، فأبيت الا أن تكون بيعتي ظاهرة مكشوفة على منبر رسول الله ﷺ وفي مسجده ، فبايعني كل^(٢) ، لا أرى منكراً ، فلما قلدتمونها

(١) تداكمتم : تهاكمتم . وفي الحاشية كتب : صوابه تهاكمتم .

نكث ناكثون ممن بايعني وقسط قاسطون ، فلم اجد إلا قتال من بنى ومحكمة
من اعتدى الى كتاب الله ؛ وليس يجب انكار امامة من عقدت له الامامة
إلا أن يجور في حكم ، او يعطل حدأ ، او يضعف عن القيام بها ؛ فوالله ما
عطلت لكم حدأ ، ولا جرت عليكم في حكم ، ولا ضعفت عن القيام بالامامة ،
فأوجبوا لي على انفسكم مثل ما اوجبتموه لمن تقدمني من ابي بكر وعمر
وعثمان يرحمهم الله .

فانظر كيف يذكرهم ببيعة الخلفاء قبله ورضاه بهم ، ويجعلهم إجماعاً
وحجة على الأمة ، ويذكر انه صار إماماً ببيعتهم له ، وأنهم هم قلدوه
إياها ، وأنه لا يحل انكار امامة الامام الا ان يجور في حكم او يعطل حدأ
او يضعف عن القيام بها ، وأن هذا جائز على كل امام بعد رسول الله ﷺ ،
وهو رضي الله عنه اعلم بنفسه وبدينه وأفقه في دين الله ، فينبغي الرجوع الى
قوله لا الى قول هؤلاء / . وقد قال في خطبة له بالمدينة وهو يأمر الناس
ب / ١٣٣ ب
بتفقد افعاله وأحكامه : رحم الله رجلاً رأى حقاً فأعان عليه ، ورأى جوراً
فردته ، وكان عوناً بالحق على من خالفه .

وقد قال الحسن ابنه رضي الله عنها لأهل الكوفة حين استنفرهم الى
ابيه : يا ايها الناس ، إن امير المؤمنين يقول اني خرجت مخرجي هذا ظالماً
او مظلوماً ، وإني اذكر الله رجلاً رعى الله حقاً إلا نفر ، فان كنت مظلوماً
أعاني ، وإن كنت ظالماً اخذ مني .

ومن مقاماته بالبصرة يوم الجمل بعد انقضاء الحرب فقال : ابن مشوى
القوم ؟ قالوا : صرعى حول الجمل ، فقام خطيباً فقال بعد حمد الله والثناء :
توفي رسول ولم يعهد الينا في الامارة عهداً فنتبع اثره ، ولكننا رأيناها من

تلقاه انفسنا ، فان يك صولباً فمن الله ، وإن يك خطأ فمننا ومن الشيطان .
استخلف ابو بكر ويرحم الله ابا بكر فاستقام وأقسام ، ثم استخلف عمر
ويرحم الله عمر فاستقام وأقلم ، ثم ضرب الدين بجرانه ، يرحم الله من يشاء
ويعذب من يشاء .

ثم القول الذي كان يقوله ويعيده ويبيديه ويذكر ايام الإلفة والاستقامة
وما حدث بعد ذلك من الخلاف في آخر ايام عثمان : سبق رسول الله ﷺ ،
وصلى ابو بكر ، وثلاث عمر ، ثم خبطتنا فتنه فما شاء الله (١) - قوله ما
شاء الله على طريق الاستغاثة بالله لأن الله يشاء نصره الحق ولا يشاء الله
الباطل - أي اللهم افعل ما تشاء ، قد قال الحسن البصري فيما حكاه الله عن
احد الرجلين : « ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله » (٢) أي ما شاء
الله من شكره وحمده والرجوع اليه .

ولما فرغ امير المؤمنين / من امر البصرة وبلغه خلاف معاوية ونذب الناس
الى حربه ، دخل عليه ابن الكواء وقيس بن عباد اليشكري وهناك اصحابه
فقال له : أخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت ، تضرب الناس بعضهم ببعض
ليتبين الناس أمورهم فتستولي بها عليهم ، أمن رأي رأيت حين تفرقت الأمة
واختلفت الدعوة أنك احق الناس بهذا الامر ، فإن كان رأياً رأيتك أجبنك
في رأيك ، وإن كان عهداً عهدك اليك رسول الله ﷺ فأنت الموثوق به
والمصدق المأمون على رسول الله فيما حدثت عنه .

١/ ١٣٤

(١) في الحاشية : قوله ما شاء الله على طريق الاستغاثة

(٢) الكهف ٣٩

قالوا : فتشهد امير المؤمنين وحمد الله وقال : لأنا والله اول من صدقه
 فلا اكون اول من كذب عليه ، اما ان يكون عندي عهد من رسول الله ﷺ
 فلا والله ، ولو كان عهد من رسول الله ما تركت أخا تيم ابن مرة (١) ولا ابن
 الخطاب على منبره ولو لم آخذ الا بيدي هذه ، ولكن نبيكم نبي الرحمة لم
 يقتل قتلا ولم يمت فجأة ، مرض ليالي وأياما ، يأتيه بلاك يؤذن بالصلاة
 فيقول له : انت ابا بكر - وهو يرى مكاني - فلما قبض الله نبيه عليه السلام
 نظرنا في امرنا ، فإن الصلاة أعظم الاسلام وقوام الدين فرضينا لديننا من
 رضي رسول الله ﷺ لديننا ، فولينا ابا بكر امورنا ، فأقام بين أظهرنا :
 الكلمة جامعة والامر واحد ، لا يختلف عليه منا اثنان ، ولا يشهد أحد
 منا الى صاحبه بالشرك ولا يقطع منه البراءة ، فكنت والله آخذ اذا اعطاني ،
 وأغزو اذا أغزاني ، واضرب بيدي هذه الحدود بين يديه .

فلما قبض ابو بكر ظن ان عمر اقوانا عليها وأحمل لها منا فولاهما عمر ،
 فأقام عمر بين أظهرنا : الكلمة جامعة والامر واحد ، لا / يختلف عليه منا
 اثنان ولا يشهد احد منا على صاحبه بالشرك ، فكنت والله آخذ اذا
 اعطاني وأغزو اذا أغزاني ، واضرب هذه الحدود بين يديه .

فلما حضرت عمر الوفاة ظن انه إن يستخلف خليفة فيعمل ذلك الخليفة
 بخطئه إلا لحقت عمر في قبره ، فأخرج منها ولده واهل بيته وجعلها في ستة
 رهط من قريش ، وكان فينا عبد الرحمن بن عوف فقال : هل لكم الى ان
 ادع لكم نصيبي منها على ان اختار الله ورسوله والمسلمين ، فقلنا : نعم ،
 فأخذنا ميثاقه على ذلك ، واخذ ميثاقنا على ان نسمع ونطيع لمن ولاء امرنا ،

(١) يقصد ابا بكر الصديق رضي الله عنه

فضرب بيده على يد عثمان ، فنظرت في امري فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي ،
وإذا ميثاقي لغيري في عنقي ، فأديت الى عثمان حقه ، وكنت اضرب بين
يديه الحدود .

فلما قُتل عثمان رحمه الله ، نظرت فاذا الخليفتان (١) اللذان اخذاها من
رسول الله ﷺ بالمهد في الصلاة قد هلكا ولا عهد لهما واذا الخليفة الذي
اخذاها بمشورة المسلمين قد قتل وخرجت ربقته من عنقي وقتل ولا عهد له .
فلما قتل ، بايعني اهل هذين الحرمين : مكة والمدينة ، واهل هذين المصرين
البصرة والكوفة ؛ فجاء معاوية يقاتلني مع اهل الشام وكنت احق بالامر منه :
كنت مهاجراً وكان اعرابياً ، وكنت سابقاً وكان طليقاً ، وكان لي الصحبة ؛
قالوا : صدقت ، انت احق من معاوية .

فتأمل هذا الشرح والكشف وحصل ما فيه ، فلو لم يكن معك غيره
لكان فيه اتم كفاية ؛ وإنما سألوه هل معه في ذلك عهد من رسول الله ﷺ
ألقاه اليه وحده كما سأل عمران / بن حصين وأبو الأسود الدؤلي عائشة
وطلحة والزبير كل واحد منهم على انفراده ، هل معه العهد من رسول الله
في مسيره فكلهم قال : لا .

أ / ١٣٥

فإن قيل : قد علمنا انه كان يأخذ اذا اعطوه ، ويقم الحدود بين ايديهم ،
ويعينهم ، فمن اين لنا انهم غزوه ؟ قلنا : لو لم يكن معنا خبر بأنهم قد
غزوه إلا هذا لكفى وأغنى .

وكان رضي الله عنه قد انكر من معاوية تبسطه في زمن عثمان فتنكر
له ، وأشار عليه بعض اصحابه فقال : انت بقية الناس ولك حق الطاعة ،

(١) في الاصل : الخليفة

فأقر ابن عامر^(١) ومعاوية وغيرهما فانهم يبايعون لك الناس ، ويهدئون البلاد ويسكنونهم . فقال له : والله لو كان ساعة من نهار لاجتهدت فيها رأيي ولا وليت هؤلاء ولا مثلهم يولى ، والله لا اداهن في ديني ولا اعطي الديني في امري .

وكان المغيرة هو الذي اشار عليه بهذا ، فلما قدم ابن عباس من مكة استشاره امير المؤمنين فقال : ما ترى فقد اشار المغيرة بإقرار معاوية ، فقال : قد نصح لك يا امير المؤمنين فافعل واقبل ، فقال : والله ما اشك ان ذلك خير في عاجل الدنيا لأصحابها ، وما الذي يلزمني من الحق والمعرفة ألا اولي منهم احداً ، فإن قبلوا ذلك فخير لهم ، وإن ادبروا بذلت لهم السيف ، وما علي إلا الاجتهاد . فقال له ابن عباس : خلني اولته ثم انزعه من غير نقصان ولا إثم ، فقال : لا افعل ، ما كنت متخذ المضلين عضداً ، اخاف ان يظلم مسلماً او معاهداً فأجده في صحيفتي ، لا اوليه ساعة واحدة . فراجع ابن عباس فقال : لا يظلم ، فقال : لا أشرك في امانتي الا من ارضاه .

فانظر الى هذه المكاشفة بالحق في جميع اموره لتعلم فرية من نسبه الى الخوف من المخلوقين وقولهم انه كان يقبي نفسه بدينه . وكان رضي الله عنه اذا سئل المدارة وُخوف من / الخلاف يقول : ابا الموت تخوفوني ، فوالله ما أبالي سقطت على الموت ام سقط الموت علي ، وكان يقول : علي آنس بالموت من الطفل بثدي امه ، ومن امره الله ونهاه ما رأى منكراً قط ولا

(١) يقصد عبدالله بن عامر بن كريز ، عامل عثمان على البصرة

سمعه إلا ردّه وأنكره ، ولا رأى معروفاً إلا شيدّه وقوّاه ونصره . وكان ظاهره كباطنه ، وسره كعلانيته . وكان لا يخاف الجسارة الطغاة الذين يخافهم البشر فكيف [يخاف] (١) ابا بكر وعمر وعثمان ، ولا يخاف سلطانهم بحق ولو انه عبد او امرأة او ذمي كما تقدم شرح ذلك ؟ لتعلم ان معونته لهم ونصرته لسلطانهم وطاعته لهم في حياتهم وتنفيذه وصاياهم بعد موتهم لأنهم أئمة هدى .

وقد كتب رضي الله عنه الى معاوية (٢) : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبدالله علي امير المؤمنين الى معاوية بن ابي سفيان . اما بعد ، فان بيعتي بالمدينة لزمك وأنت بالشام لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم على ما بويعوا عليه ، فلم يكن للشاهد ان يختار ولا للغائب ان يرد ، وإنما الشورى للمهاجرين والانصار ، فاذا اجتمعوا على رجل فسموه إماماً كان ذلك رضي الله ، فان خرج من امرهم ردوه الى ما خرج منه ، فان ابي قاتلوه على ابتغائه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى وأصله جهنم وساءت مصيراً .

فما دخل معاوية فيما دخل فيه المسلمون ، فان احب الامر اليّ فيك العافية الا ان تتعرض للبلاء ، فان تعرضت قاتلتك واستعنت بالله عليك ، فقد اكرت في قتلة عثمان يرحم الله . فادخل فيما دخل فيه الناس ، ثم حاكم القوم اليّ احملك وإياهم على الحق وعلى كتاب الله ، فأما تلك التي تريدنا فهي خدعة الصبي عن اللبن ، ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان رضي الله عنه . واعلم يا معاوية انك من الطلقاء

(١) اضافة على الاصل يقتضيا السياق

(٢) كتب في الحاشية : كتاب علي رضي الله عنه الى معاوية

الذين لا يجمل لهم الخلافة ولا يعرض فيهم للشورى ، وقد / اتك ومن قبلك جريز بن عبدالله^(١) ، وهو من اهل الايمان والهجرة فبايع ، ولا قوة إلا بالله .

فانظر هل يحتاج الا بالاختيار وبالشورى وبالاجماع وبسنة الخلفاء قبله ، فمهم عنده حجة وقدوة ، وكم يقول ويبين ان الامامة الى المهاجرين والانصار فمن بايعوه وعقدوا له كان اماماً ؟ فهو يحتاج بأن طاعته طاعة الخلفاء قبله ، وعند الامامية ان التدين بالاختيار وبالشورى والاعتداء بأبي بكر وعثمان شرك وكفر ، وهم مع هذا يدعون انهم شيعة أمير المؤمنين ، فهل سمعت بأعجب من هذا .

وانظر مكاشفته بالحق لمعاوية ، وقوله في كل انسان ما فيه ، وقوله له انك اظهرت الطلب بدم عثمان وما ذاك قصدك ونيتك ، وانما نيتك وقصدك وضميرك الملك والدنيا ، ولم يكن لك سابقة في الدين تحول لك بها الخلافة ، فما تأخذه رضى الله عنه لومة لائم ولا يتقي احداً من المخلوقين . وكان يقول : ايها الناس ، انما اهلك من كان قبلكم خبت اعمالهم حين لم ينههم للربانيون والأخبار فقامروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ، فان ذلك لن يقدم من أجل ولن يؤخر رزقاً . وكان يقول : لا خير في قوم لا يروى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضاً ، ولا خير في قوم يأمن بينهم اهل المعاصي ويعملون بينهم بالكبائر . وكان يقول : قال لي رسول الله ﷺ : « اقرب الشهداء مني وأفضلهم عندي بمد حمزة وجعفر من قام الى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله » (٢) .

(١) هو جريز بن عبدالله البجلي المتوفى سنة ٥١ هـ .

(٢) انظر شرح الجلمع للصغير ٢ : ٦٤ . وقد لورده الحاكم عن جابر بلفظ آخر .

وكم له رضي الله عنه مثل هذا الكتاب الى معاوية ، يدح فيه الخلفاء قبله ، ويذم معاوية ، وكم له من الرسل اليه في هذا المعنى ، وما رضى من إنكار المنكر حتى سافر الى اهله بعد المكاتبة فشافهم به . فسار الى معاوية ونزل بصفين ، وأقام نحو الشهرين لا يحارب / ولا يقاتل ، ويقيم الحججة على معاوية ، ويبين براءته من دم عثمان ومن خذلانه ، وانه قد بذل لعثمان النصرة فأباها عثمان وكره القتال ، وأراد ان ينصرف القوم عنه راضين بغير قتال ، وانه ما ظن ولا ظن عثمان انه يُقتل ، وان القوم اغتالوه وتسلفوا عليه وقتلوه ليلاً . ويستشهد على ذلك المهاجرين والانصار ، ثم يحلف بعد هذا ويقول : والله ما قتلت عثمان ولا مآلت على قتله ولا رضيت ولا هويت ، وبلعن قتلة عثمان ويقول : اللهم العن قتلة عثمان في الليل والنهار والبر والبحر ، ويرفع يديه بذلك حتى يبين ما تحت منكببيه .

وقد فعل مثل ذلك بالبصرة ، فقال معاوية نحن نصدقك ، ولكن في عسكره شناة عثمان وغزاته يسلمهم الينا . الى ان قال اهل الشام تخلي معاوية على الولاية وهو يسمع لك ويطيع ، فقال : لا افعل ، وسألوه في ذلك فما أجاب . فأتاه وفد اهل الشام وفيهم رجل يقال له حوشب ذو ظلم له قدر ونباهة ، فقام فقال : ألا ترى يا علي ان الله قد قسم لك قسماً حسناً فخذ به بشكر ، إن لك قدماً في الاسلام وسابقة وقرابة من رسول الله ﷺ ، وصهراً وتجربة وسناً ، فإن تتلف بيننا غداً فإنه لبوار العرب وضبعة الحرمات ، ولكن انصرف راشداً وخل بيننا وبين شامنا واحقن دماءنا ودماء اصحابك . فقال له رضي الله عنه : إنك لم تأل عن النصيحة يجهدك ، ولو علمت ان

ذلك يسعني في ديني أحببتك ولكان اهون علي من المؤونة ، ولكن الله لم يرض لأهل القرآن ان يعمل بمعاصي الله في اكناف الارض وهم سكوت لا يأمرن بمعروف ولا ينهون عن منكر ، واعلم يا حوشب اني قد ضربت الامر ظهره وبطنه وأنفه وعينه ، حتى لقد منعني من نوم / الليل ، فما وجدته يسعني إلا قتالهم او الكفر بما جاء به محمد ﷺ ، فكان معالجة القتال اهون من معالجة الاغلال ، وكانت مؤونات الدنيا اهون علي من النار .

فتأمل ما في هذا القول من الانوار والحجج الشاهدة ببطلان دعاوي هؤلاء القوم ، فانهم زعموا انه مكث خمسا وعشرين سنة مع ابي بكر وعمر وعثمان وقد كفروا وارتدوا لا ينكر عليهم بل كان اكبر اعوانهم ، وهو يقول هذا القول . وكان اصحابه يقولون لأهل الشام - مثل عمار بن ياسر ، وقيس ابن سعد ، وشريح بن هانئ ، وعدي بن حاتم ، وصعصعة بن صوحان ، والأشتر - : ان علينا اذا ظهر سار فيكم سيرة ابي بكر وعمر ، وان معاوية لا يفعل ذلك ، انما يريد المعاملة ويطلب الدنيا ، وان صاحبنا كان يتقدم عند ابي بكر وعمر ويرجمان الى رأيه ، وقولهم ^(١) ان صاحبنا من البدرين والمهاجرين وليس صاحبكم كذلك . فانظر بأي شيء يمدحونه وبأي شيء يحتجون له لتعرف بطلان دعاوي هؤلاء القوم ، فانهم يقولون : الحجة في إمامته نص النبي عليه ، وظهور المعجزات عليه بعد النبي ﷺ ، وهو رضي الله عنه لا يذكرها هو ولا يحتج بها ولا يعرفها ، ولا احد من ولده وأهل بيته وشيعته في زمانه .

(١) في الاصل : وقوله ، ولعل الصواب ما اثبتناه

ولما رفع اهل الشام المصاحف وقالوا : بيننا وبينكم ما جاء به رسول الله ﷺ ، ردونا اليه فقد رضينا به ، وهذا كتاب الله ؛ فما قال لهم هو ولا اصحابه : فرسول الله قد نصّ عليّ وقال من كنت مولاه فعلي مولاه ، وهذا نصّ او تأويله النص او معناه النصّ ، او آية كذا او حديث كذا ، فما احتج عليهم لا هو ولا شيعته الذين قتلوا بين يديه بشيء مما يذكره هؤلاء .

ولما قال له اصحابه : ضعفت وسكنت في نفسك حق حكمت الرجال / في امرك ، وأي حاجة كانت بك الى هذا وقد بايعك المهاجرون والانصار ، وما احوجنا واياك الى امام مثل عمر يسوسنا ويسوسك ، وقد كثرت بما صنعت . فما احتجّ عليهم لا هو ولا من كان يحتج عنه مثل ابن عباس وضعصعة بأبي معصوم ولا اخطيء ولا اعصي ، وان النبي ﷺ قد نص عليّ وقد رأيت المعجزات او قد بلغتكم ، وما احتج عليهم الا بما قد تقدم لك في كل وقت وكل حال .

ب / ١٣٨

وكان يقول والله لتخضبن هذه من هذه ويشير الى لحيته وهامته ، فيقول له اصحابه : لو علمنا من ذلك لأبدنا وأبترنا (١) ، فيقول : كيف تقتلونه ولم يقتلني ، فيقولون : يا امير المؤمنين اوص واستخلف ، فيقول : ما اوصى رسول الله فأوصى ولا استخلف رسول الله ﷺ فاستخلف ، فيراجمونه فيخرج عليهم بمثل ذلك ثم يقول : ان ادع فقد ترك من هو خير مني ، وان أستخلف فقد استخلف من هو خير مني . ولما ضربه ابن ملجم الملعون دخلوا عليه ، فقالوا : استخلف ، فقال : لا ، انا دخلنا على رسول الله ﷺ فقلنا يا رسول الله : استخلف فقال : لا ، اخاف ان تفرقوا عنه كما تفرقت بتو

(١) في القاموس : أبر القوم : اهلكهم

اسرائيل عن هرون ، ولكن ان يعلم الله في قلوبكم خيراً يخبركم . قال امير المؤمنين فعلم [الله والله] (١) في قلوبنا خيراً فاختار لنا ابا بكر ، ثم اقبل على صعصعة بن صوحان وكان في القوم فقال : ولكن يا صعصعة ، ان يعلم الله في قلوبكم خيراً يخبركم . فتركوه ثم عاودوه فما فعل ، وسألوه أن يشير عليهم بأحد فيما فعل ، فقالوا له : ان فقدناك يا امير المؤمنين فلا نفقدك ان نباع الحسن ، فقال لا آمركم ولا انهاكم . فعادوا القول فقال كذلك انتم ابصر ، وكان آخر عهدهم به ، وقبض صلوات الله عليه ، فلم يقل (٢)

غير هذا .

١٣٨ / أ

فإن قالوا : فانا / لا نقبل هذه الاخبار ، قلنا : لو قلتم انه ما جرى بينه وبين العباس ما قلنا ، ولا كان من الانصار في السقيفة ما ذكرنا ، ولا كان من ابي بكر والصحابة في استخلاف عمر ما قلنا ، ولا دخل علي في الشورى ، ولا صلى خلف صهيب ، ولا رجع الى عبد الرحمن ، ولا سأل القوم عمر أن يستخلف عليهم ولا قال ان استخلف فقد استخلف من هو خير مني وانه اترك فقد ترك من هو خير مني ، بل ما وضع عمر شورى اصلاً ، وهذا كله كذب ، ما كان عندنا في ذلك الا ما عندنا في انكاركم ما كان من امير المؤمنين . وكذا لو قلتم ما كاتب معاوية ، ولا رفع معاوية المصاحف ، ولا كان من امير المؤمنين وبين اصحابه الذين صاروا خوارج ما ذكرنا ، ولكنكم لو سلمتم هذا لبطل مذهبكم ، ولو انصفتم لتركتموه وصوتتم الى مذاهب امير المؤمنين وهي هذه التي قد ذكرناها ، وما شأنكم إلا انكار (٣) ما قد كان وادعاء ما لم يكن ، وما لو كان له اصل لكان العلم به قد قهر .

(١) كذا في الاصل ، ولعلها : الله ان

(٢) في الاصل : يقول

(٣) في الاصل : الانكار

وفي اقل قليل مما كتبت دليل على بطلان دعاويهم ، وانما ذكرنا لك هذا في هذا الموضوع لأنك طلبته وذكرت حاجتك اليه .

وكثيراً تسأل الامامية عما كان من عثمان في تولية اقاربه وغير ذلك ، وفي سير طلحة والزبير وعائشة الى البصرة ، وما ذاك الا لضعفهم وانقطاعهم لأن عثمان لو لم يول اقاربه ولم يصنع ما صنع لكان كافراً مشركاً عندهم بادعائه الامامة لنفسه ولأبي بكر وعمر ، ولو كان طلحة والزبير وعائشة في عسكر امير المؤمنين وفي المحاربين معه ما كانوا إلا مشركين باعتقادهم امامة ابي بكر وعمر وعثمان ، فكلام الامامية / في هذا الكلام مسلم لو كلم اليهود في وجوب النية في الطهارة ، او كلم النصارى في استحلالهم الخمر ، وانما يكلم في هذا من قال : لا ذنب لعثمان إلا ما اتاه من الحمى وتولية الاقارب ولولا ذلك لكان مثل عمر ، ومن قال : لا ذنب لطلحة والزبير وعائشة إلا مسيرهم الى البصرة ولولا ذلك لكانوا مثل ابي عبيدة وعبدالرحمن وابن مسعود .

ب / ١٣٨

فاعرف هذا ولا تكلمهم فيه البتة ، وكلمهم فيما يدعونه من النص فهو الاصل . واما طلحة والزبير وعائشة فانهم انما سلموا علينا لأنهم سلموا على امير المؤمنين ، وتوليتناهم وزكيتناهم لأنه زكاهم وتولاهم ومدحهم وترحم عليهم بعد كان منهم بالبصرة وبعد موتهم ، فلو عاديتناهم لكننا قد خالفناهم وسرنا بغير سيرته وسلكتنا غير سبيله ، ونحن لا نرى خلافة ، بل هو امامنا وسيدنا والقدوة عندنا ، وهو الذي ظاهره كباطنه وسريته كعلانيته .

وهذا كلام مع الخوارج فيقال لهم : علي بن ابي طالب امام هدي ، وانما برئتم منه وادعيتم انه كفر بالتحكيم وقبل ذلك كان مرضياً ، وقد زكى هؤلاء قبل التحكيم ، وقد وجب عليكم الاقتداء به . فإن قالوا : ومتى كان

هذا منه ؟ قلنا : قد كان يتصفح القتلى بعد انقضاء الحرب ، فر بطلمحة وهو صريع فنزل اليه واخذ رأسه في حجره ومسح التراب عنه وقال : يرحمك الله يا ابا محمد ، يعزّ عليّ ان اراك قتيلاً تحت نجوم السماء وفي اودية الارض ، ثم انشد :

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه اذا ما هو استغنى ويبيعه الفقر

أ / ١٣٩

وامر يجمع القتلى وصلى عليهم وامر بدفنهم ، ودخل عليه ولد طلحة فأدناه وقربه / وقال له : يا ابن اخي ، خذ كتابي الى قرظة بن كعب الانصاري ليرد عليكم اموالكم وما اخذ منها ، فما امرته بإدخال يده فيها ، انما اردت قبضها لثلاث تمتد اليها ايدي السفهاء وليحفظها عليكم ، اتبسط يا ابن اخي في الحاجة تكون لكم فاني ارجو ان اكون انا وطلحة والزبير من الذين قال الله : « ونزعنا ما في صدورهم من غلّ اخواناً على سررٍ متقابلين » (١).

ولما قيل له رضي الله عنه : قاتل الزبير بالباب يستأذن ، انزعج هو وأولاده حزناً عليه وإنكاراً لقتله ، وصار عندهم ماتم ومصيبة عظيمة ، وقال : كيف قتله وليس من اقرانه ؟ قالوا اغتاله ومعه سيفه ، فقال : خذوا السيف منه وبشروه بالنار ، فأخذ السيف منه ؛ فما زال امير المؤمنين يقلب السيف ويقول كم كربة كشفها صاحب هذا السيف عن وجه رسول الله ﷺ ، ولم يأذن له في الدخول عليه . ثم دخل عليه بعد ذلك مع الناس فقال : نحن اهل البلاء فلم نجفا ؟ قال : من تكون ؟ قال : قاتل الزبير ،

(١) سورة الحجر ٤٦

قال امير المؤمنين : بفيك الحجر ، بفيك الحجر ، ليلج قاتل الزبير النار ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : لكل نبي حواري ، وحواري الزبير . وسمعت يقول : الزبير في الجنة وطلحة في الجنة ، فقال ابن جرهموز : انما قتلته أبتغي بقتله عند عليّ الزلفة فبشرني بالنار ، وندم على قتله ، وصار ينكر ان يكون قتله .

وجهر عائشة بكل ما تحتاج اليه ، وشيعها هو وأولاده وقال لأخيها ومن خرج معها : بلغوها ، ووصى باكرامها ، وكان يقول لها : يا أمّ ، وأمّ المؤمنين سائرة ، فمن اراد المسير معها بمن قدم بقدمها فليس ، وقال : ايها الناس ، انها امكم وزوجة نبيكم في الدنيا وزوجته في الجنة ، وردها الى سدانة قبر رسول الله والى بيتها ، وأعطاهما ما كان يعطيها من قبله من الخلفاء .

ولا يحل لامرأة / زعم هؤلاء انها كافرة ، يردها امير المؤمنين الى قبر رسول الله ﷺ [وقمطى] (١) ما يعطى امهات المؤمنين ، سيما والمدينة في ملكه وسلطانه ، وفيها عماله ، وليس به في امرها حاجة الى المداراة والمداهنة بعد مقاتلتها كما كان بزعمهم يفعل مع من تقدم من الخلفاء .

وكم كان يركب اليها هو واولاده وابن عباس وعبد الله بن جعفر ، ويجلسون اليها ويعظمونها ، وقد استغفرت واستغفر لها امير المؤمنين ، وقد سمع عمار ابن ياسر رجلا ينال منها والحرب قائمة فقال له : اسكت مقبوحاً منبوحاً ، والله إنا لنقاتلها وإنا لنعلم انها زوجة نبيكم ومعه في الجنة ، ولكن الله ابتلانا بها ليعلم إياه نظيع أم إياها ؛ وشرح إكرامه لها واكرام اولاده وهم بالبصرة يطول .

(١) في الاصل ولا تمطى ، ولعل الصواب ما اثبتناه

وكانت هي ثلثين اصحابه الذين ارتدوا عنه ولضوه وصلوا خوارج
 وقبرا منهم ، وتروي عن رسول الله ﷺ تصويبه وتضليلهم ، وتقول: أمروا
 بالاستغفار لأصحاب محمد فسبوا ، وتسميهم كلاب النار ، ولما بلغها موقه
 استرجعت وقالت : ذهب والله من لم يسفه الملك ولا أطفته الدنيا ، لتصنع
 العرب ما شامت. فما بقي بمد ابن ابي طلب من يكفها ولا يردعها ،
 ثم انشئت :

فألفت عصاما واستقر^(١) بها النوى كما قر عيناً بالإياب المسافر

وكم قد طعت على معاوية وواجهته بالتخطئة لما ورد المدينة ودخل عليها،
 حتى اخجلته وهو جبار قد غلب ، وكم فعل ذلك به اخوها عبد الرحمن بما
 يطول شرحه . ولا يرد هذه الأخبار إلا معاند أو من قال انه كان يلغنها كما
 يلغنها معاوية ولم يردّها الى المدينة ، ومن قال هذا فقد أتى في البت على
 ما لا فيه حيلة .

والإمامية تقول : قد فعل هذا ولكن^(٢) / على طريق حسن العشرة
 وعلى سبيل التكرم والتفضل ، قيل لهم : هو ﷺ أجل قدراً وأشه ورعاً
 من ان يرد امرأة كافرة او فاسقة الى قبر رسول الله ﷺ ويكنها منه ،
 ويعطيها ما يعطي امهات المؤمنين ويسمها ام المؤمنين ، ويشهد لها بما قلنا ،
 ويترحم على كافرين ، ويرد الاموال ويشهد لها بالجنة ، هذا لا يحل في دين
 الله ولا يقعله مثله ﷺ بوجه من الوجوه ، وإنما قوله بشر قاتل ابن صفية
 بالنار ، وقوله : ليلج قاتل الزبير النار على طريق التركية له كقول

(١) في الاصل : استقرت

(٢) مكررة في الاصل لانها اول الصفحة وآخرها

رسول الله ﷺ : « تقتل عمار الفئة الباغية » (١) على طريق التزكية لعمار .
فإن قالوا : لم لم يقتل قاتل الزبير ؟ قلنا : لم يكن ذلك له وإنما هو لولد
الزبير ، فإن شأؤوا قتلوا وإن شأؤوا عفوا .

ومن عجيب الامور ان عبد الله بن الزبير قام بعد معاوية ودعا الى نفسه
لإمرة المؤمنين ، وغلب على الارض بسبع سنين إلا كورة فلسطين ، وانبت
عماله في الامصار ، وعمرو (٢) بن جرموز حي بالبصرة فما تعرضوا له ،
ولقد قرئت جريدة اهل البصرة على مصعب بن الزبير بالبصرة ، فقرأ الكاتب
عمرو بن جرموز ، فقال قائل لمصعب أصلى الله الامير وعمرو (٣) بن
جرموز وقد ساح في الارض وسار في البلاد فقال مصعب : او ظن ابن
جرموز اني أقيده بأبي عبد الله ، ليظهر ابن جرموز آمناً وليأخذ عطائنا
مسلياً فظهر وأخذ وأمن وترفع (٤) ولد الزبير عن قتله وقد كان لهم ذلك ،
وهو اليهم ، فكيف يتمجب عاقل من عفوا امير المؤمنين عنه وليس القود له .

وكان عمرو بن جرموز بعد الذي سمعه من أمير المؤمنين شديد الندم
على قتله ، كثير الاستغفار ، شديد / الاشفاق ، وقد بقي بعد زوال آخر
آل الزبير ومصير الملك الى عبد الملك ، فكان الحجاج يقول له : انت
قتلت الزبير ؟ - لشدة عداوة الحجاج وبني امية لآل الزبير - فيقول ابن
جرموز : ما قتلت احداً ، فيقول له الحجاج : وما عليك في قتله ،

(١) انظر شرح الجامع الصغير ٢ : ١٤٧ . وقد اورده ابو نعيم في الحلية عن ابي قتادة

(٢) في الاصل عمير ، الا انه ورد في معظم الكتب التاريخية باسم عمرو

(٣) في الاصل ابن عمير وابن زائدة

(٤) مطموسة في الاصل ، والقراءة اجتهادية

وقتل خير لك من جزاء وتدبير حسنات ؛ يشجعه الحجاج لينصرف عن
الغم والندم بما قاله أمير المؤمنين له في دخول النار بقتل الزبير ، لتعلم
رحمك الله شهرة انكار امير المؤمنين على من اعترف بقتل الزبير .
ولكن طال الأمر وقل الطالب المتأمل .

فإن قيل : فكيف سبيل تلك الدماء التي كانت بينهم يوم الجمل ؟ قيل
له : ان امير المؤمنين رضي الله عنه اعلم بذلك وافقه في الدين وأشد في
الورع ، ولم يكن ليقول في هؤلاء وفي غيرهم ما لا يحل ولا يجوز في الدين ،
فقد كفانا حكمه عن البحث والطلب ، وان كان العلماء قد ذكروا اتفاق رأي
امير المؤمنين وطلحة والزبير وعائشة على الصلح ووضع الحرب واستقبال
النظر في الأمر ، وان من كان في العسكر من اعداء عثمان كرهوا ذلك
وخافوا ان تتفرغ الجماعة لهم ، وقالوا : لنشغلهم عنا بنفوسهم ، فدبروا في
اللقاء الحرب بينهم ما هو مذكور فتم لهم ذلك ، وما بك حاجة ها هنا الى
ذكره ، وأفعال امير المؤمنين تغنيك ، فإن اردته وجدته في كتب العلماء^(١) .

(١) بياض في الاصل حتى نهاية الورقة ١٤٠ ثم الورقة ١٤١ فراغ ايضاً . ويبدأ بعد ذلك
قسم جديد يبتدىء ببسم الله الرحمن الرحيم ، بداية الجزء الثاني من الكتاب .

فهرس الموضوعات (١)

الموضوع	الصفحة
المقدمة	
البدء بما في القرآن من إكفار الرسول للاصم والبراءة منهم وهو وحيد ضعيف	٥
سلامته ﷺ مع حرصهم على إيدائه	٧
وعده وهو في وحدته اته سيكون في جماعات كثيرة	٨
استرواح المشركين لأدنى غم يصيب الرسول	٣٨
عرض المشركين على الرسول ان يعبد آلهتهم ويعبدوا إلهه	٤٠
وعد الرسول اصحابه في حال ضعفهم ان الله سيضرم	٤٤
اسراء الرسول من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى	٤٦
ما نزل بمكة في رجال بأعيانهم انهم يصرون على شركهم الى ان يموتوا	٥٢
ما كان بمكة من انشقاق القمر	٥٥
ما كان بمكة من غلبة الفرس على ارض الجزيرة ادنى ارض الروم	٥٩
من اعلامه ﷺ انقضاء الكواكب بمكة	٦٤
دعوة رسول الله على مضر وإمساك الفطر عنهم	٨٠
ما كان بمكة حين بكى الرسول عليهم قوله تعالى : اقتربت الساعة	٨٣
ما نزل بمكة من قوله تعالى « فاستمسك الذي اوحى اليك ... »	٨٤
من اعلامه قوله عز وجل « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن »	٨٥

(١) اكتفينا هنا بفهرس الموضوعات ، وأجلنا باقي الفهارس الى نهاية الجزء الثاني .

الموضوع	الصفحة
من اعلامه اخباره عن النصرانية ومذاهبها	٩١
ما اشار إليه من اختلاف النصارى حول المسيح عليه السلام	١٠٨
ما جاء به الرسول حول الزعم بصلب المسيح ، واختلاف النصارى	١٢١
حول الانجيل ، وتأثر المجتمعات النصرانية بعقائد الروم و اخلاقهم	
اكفار الرسول ﷺ للعرب وسائر الامم الاخرى واسخاطها وكيف عصمه الله من اذام	٢٣٥
الاخوة والمودة التي كانت قائمة بين الصحابة	٢٤٥
افعال رسول الله وأقواله تشهد بأنه ما عهد لرجل بعينه	٢٥٢
كيف خاض الصحابة في امر الامارة ولم يذكروا انه نص على أحد بعينه	٢٥٥
كيف فكر الانصار بالامارة ثم عدلوا عن ذلك بعد تبين الحق	٢٦١
رفض علي ما عرض عليه من المبايعة بالامارة بعد وفاة الرسول	٢٦٣
طلب ابي بكر من المسلمين اقالته ورفضهم ذلك	٢٧٣
تمنى ابي بكر ان لا يكون قد ولي إمرة المسلمين	٢٧٣
كيف رد المسلمون الأمر الى عبد الرحمن بن عوف	٢٨٠

فطاً وصواب

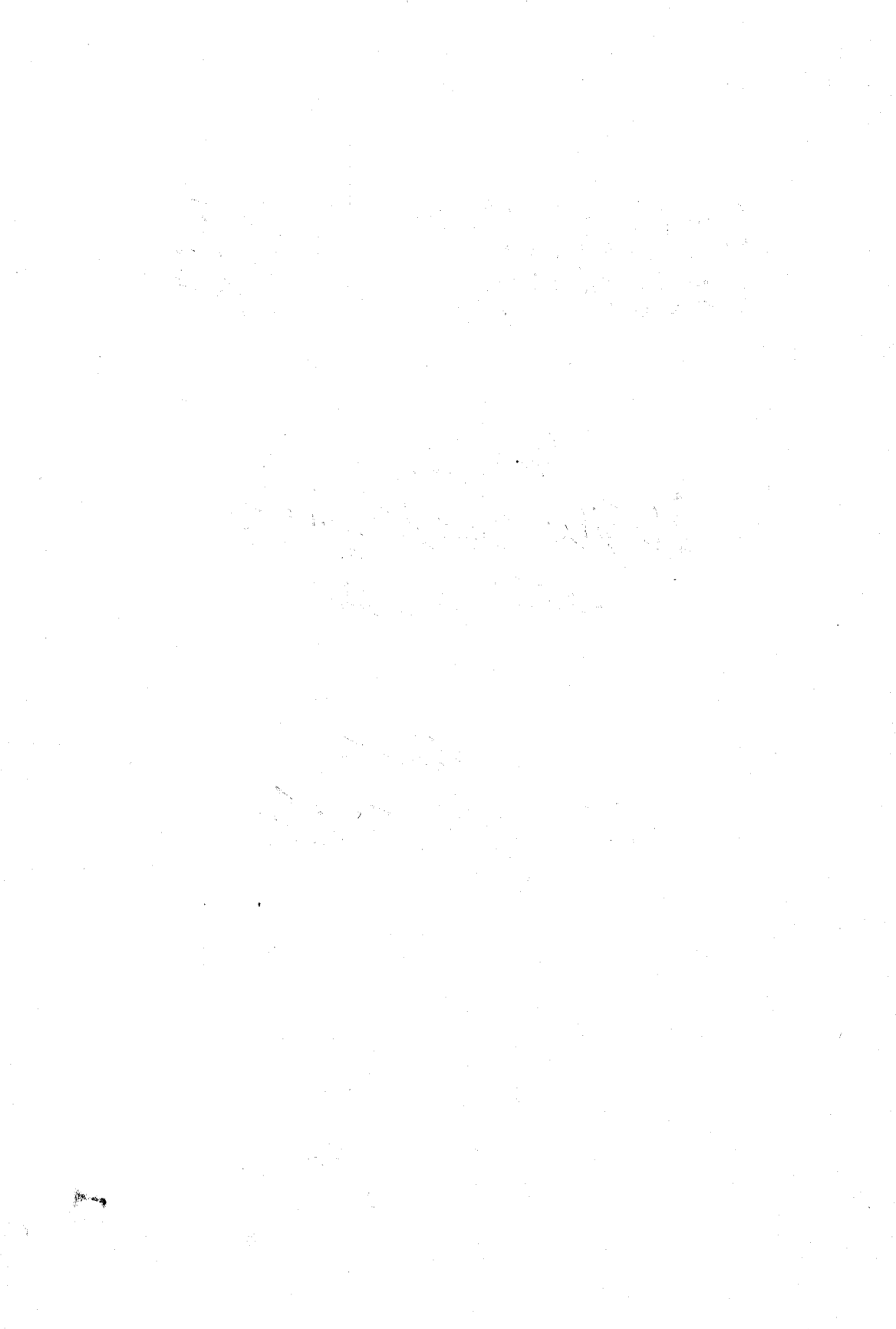
صواب	خطأ	السطر	الصفحة
مادة	مارد	١٨	١٧
الاقينقاع	القعقاع	١٠	٣٠
كونان	كونين	١٩	٣٥
فسينفضون	فسينفضون	٧	٣٨
الدامغ	الداقع	٢١	٥١
للمعجم على العرب	للعرب على المعجم	٢٠	٧٢
الآب	الات	١٣	١٠٣
المسيح	المسح	١٢	١٣٧
و « إذ أمرك »	وإذ أمرك	١٢	١٤٥
لشاؤول	الشأؤول	١٩	١٥٧
الملك	الملوك	٢٢	١٥٨
والبصير	والبعير	٤	١٧٧
وقالوا	وقألوا	١	١٨٨
نملنا	فعلنا	٢	٢٢٩
ورد	وردت	١٥	٢٣٤
القران	القرآن	٢١ و ٣	٢٤١
بالبحرين	بالبحر	١٨	٢٥٤

تثبيت هذا الكتاب النبوة

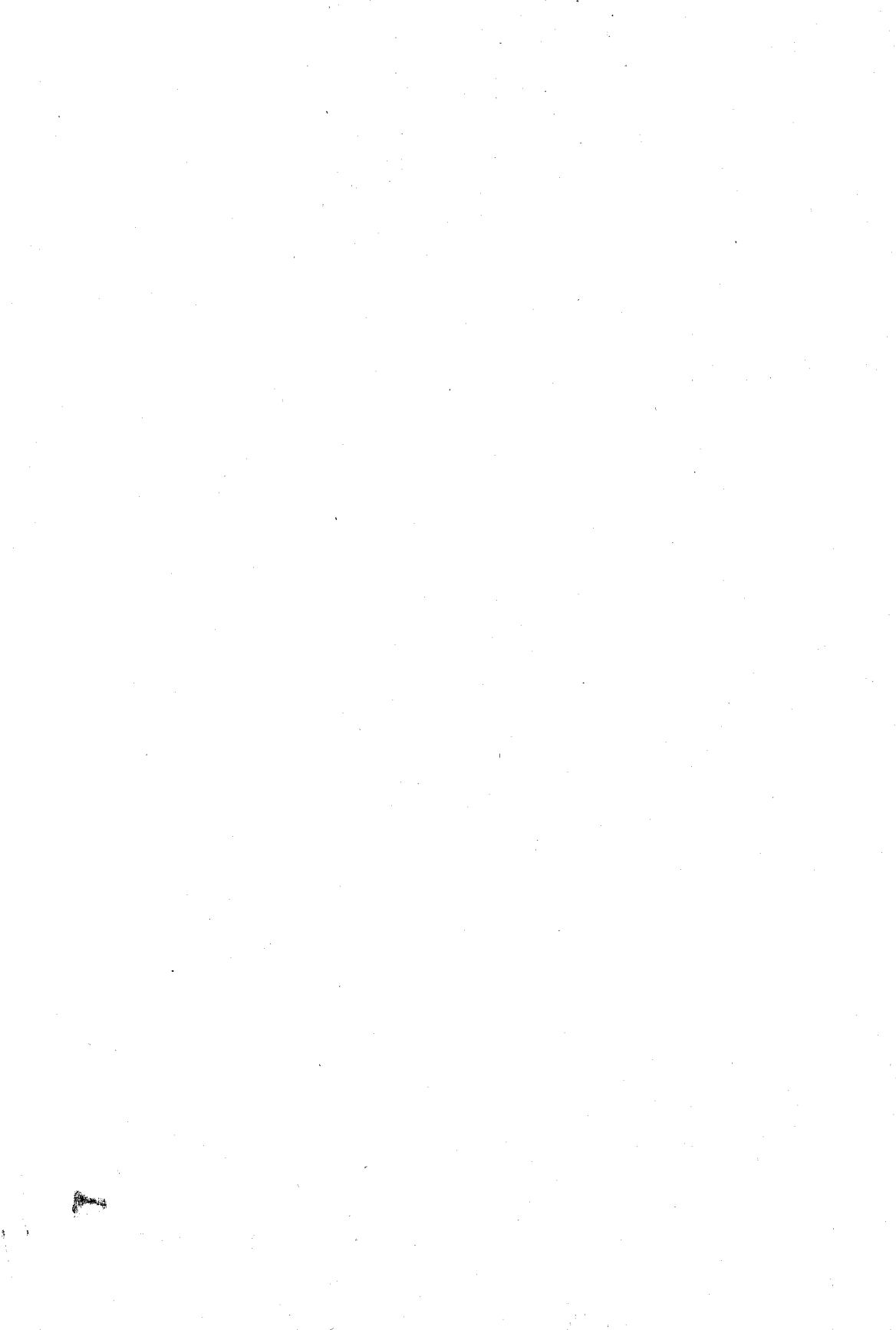
لقاضي القضاة
عبد الحبيب بن أحمد الهذلي
المتوفى سنة ٤١٥ هـ.

حَقَّقَهُ وَقَدَّمَ لَهُ
الدكتور عبد الكريم عثمان

دار العريفة
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان



تشيت دلائل النبوة



تشيت دلائل النبوة



الجزء الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَاب

١/١٤٢

من ذكر اعلام النبوة ودلائل الرسالة

وهو أنه كان صلى الله عليه وسلم يتوعد قريشا وهو بمكة بنصر الله له وظهره عليهم ، فيقولون : أئظن محمد أنه يغلبنا على مكة بأتباعه الفقراء والعبيد ونحن الأقوياء الأغنياء والناس كلهم معنا والرغبة عندنا لا عنده والبأس والنجدة لنا لا له ، فتلا عليهم سورة القمر وما أنزل الله بأمة أمة من الأمم التي يعرفونها إلى أن قال : « أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبُر ، أم يقولون نحن جميع منتصر ، سيهزم الجمع ويولون الدبُر » (١) .

فهزمت جموعهم ، وكانت العقبي له كما أخبر وفصل ، وقد كان في ظاهر الرأي والحزم وموجب التدبير أن تكون العقبي لهم لا له ، وهم الغالبون لا هو ، لأنهم واليهود والنصارى وتلك القبائل يد واحدة عليه وفي العداوة له ، والكثرة والثروة والبأس والنجدة والكراع والسلاح معهم لا معه ، فلن يغلبهم إلا أن يكون من قبل الله ورسولاً لله كما أخبر .

(١) القمر ٤٣

وباب آخر

وهو أنه صلى الله عليه وسلم قال حين دعا إلى الله وفي حال وحدته وضعفه :
إن الله أرسلني ووعدني أن يظهر ديني على الأديان كلها ، فيكون سلطاني أقهر
من سلطان كسرى وقيصر ، فأغلب الملوك ، ويعلو ملكي وملك أنصاري
وأتباعي كل ملك في الأرض . ثم ما رضي بهذا القول حتى جعله كتاباً يقرأ
ب/١٤٢ ب وقرآنا مخلداً يتلى ، يعرفه العدو والوليّ فقال : « هو الذي أرسل/رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً» (١) وقال أيضاً :
« يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره
الكافرون » (٢) فكان كما قال وكما أخبر ، فلم يرض أن أظهر دينه بالحجة
حتى جعل أهله العالين بالقدرة والظاهرين بالمنعة والقاهرين الملوك والجبابة
بالعز والملكة . ثم ما رضي حتى أورده على وجه يغيظ ويغضب ويبعث على
الممانعة والدفع والمغالبة ، وعلى وجه يجعل العدو على أهبة ، بخلاف تدبير حزمة
الملوك ودهاة الجبابرة . فأخبر بهذا وديانات العرب قائمة وملوكهم على جزيرة
العرب كلها مستولية ، وهي جزيرة عظيمة فيها عدة ملوك ، كل واحد منهم
عظيم الشأن ، ثم ديانات اليهود وملوكهم ، وديانات النصارى والروم وملوكهم
بالشام ومصر والمغرب والجزيرة وأرمينية ، إلى غير ذلك ، وديانات الفرس
وممالكها ، وهي كانت أعظم ممالك الأرض وأوسعها ملكاً وأشدّها بأساً ،
وممالك الهند . فغلب ملوك العرب في جزيرتها ، وغلب ملوك اليهود وممالك
الفرس كلها ، وممالك النصرانية والروم ، فلم يبق ملك بحيث تناله الخوافر

(١) الفتح ٢٨

(٢) التوبة ٣٢

والأخفاق والاقدام إلا أزاله عنه وأخرجه منه ، وأسنده إلى عقاب يعتصم بها ،
ومعاقل يأوى إليها ، وقلاع ومطامير وخلجان وبحار يمتنعون بها . ثم ركب
البحار إليهم ، فأخرج الروم من الشام ومصر وأرض المغرب ولعلها مسيرة
سنتين ، وهي اليوم في أيدي عدة ملوك ، وغلب على أرمينية ، وصار ملوكها
يؤدون الجزية ، وسار الاسلام حتى نزل على القسطنطينية وهي محصنة/ممنعة 1/143
بالبحار والخلجان والجبال والأسوار ، فمذ غزاهم خلفاؤه وأصحابه كانوا
في ذلة وفي شعاب ورؤوس مضايق قد سخت نفوسهم عن عيون ممالكهم
واستسلموا ، وكانوا كأعراب يطلبون النجعة أو كلصوص يطلبون الغرة
ويطرقون النيام ، أو كصعاليك ينتظرون الفتنة بين المسلمين فينتهزون الفرصة ،
فأما أن يكون ملك يظهر لهم ويقم بإزائهم ويعاديهم الحرب ويناوئهم كما كان
ذلك بين ملوك الفرس والروم وملوك الترك والهند فلا .

فما ضربت ملوك الروم وتداً في بلادها فضلا عن بلاد المسلمين منذ
غزاهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سني نيف وخمسين
وثلاثمائة للهجرة في زمن الديلم ، والسلطان بالشام إذ ذاك سيف الدولة على بن
حمدان ، وهو معروف الديانة والطوية للاسلام والغزاة وأهل السيرة والعنف
بالرعية ، ومما كان يلجئهم بالجور الى الهرب إلى الروم ، وشرح ذلك يطول .
وكانت الروم تقول قد كفانا بأس المسلمين وشغلهم عنا وألجأهم إلينا ، وهو
ملكنا الأكبر ودمستقنا الأعظم (1) .

فأما ممالك الهند والهند وأصحاب القبيلة والبأس والعز وفي البر والبحر ،
فأخذ من ممالكهم في البر وركب إليهم في البحر مما يطول شرحه ، فحازه

(1) الديمستق هو لفظ استعمله العرب مرادفاً لكلمة *gouverneur* - أي حاكم - في اللغات الأجنبية .

وصار من بلدان الاسلام كمولتان والمنصورة وغيرها من المدن والأمصار البحرية ما هو معروف، وشرحه يطول، ومن طلبه وجده. فقد اعتبر العلماء وأهل التحصيل فما وجدوا أحداً جاء مجيء نبينا محمد ﷺ في الوحدة والفقير ١٤٣/ب والفاقة ومنافرة/ الأمم كلها ومعاداتها، حتى ما اعتصم بمخلوق ولا صوب ملكاً ولا جباراً كان في زمانه كما تقدم شرح ذلك، ثم صار أمره في القهر والغلبة ما صار أمره إليه. فإن ظاهر الأمر وموجب التدبير والعقل أن ذلك لا يتم ولا يكون، وأنه هو المغلوب المقهور المقتول إلا أن يكون من قبل الله الذي لا يغلبه شيء. فإن أمره ﷺ كان كريشة دفعت الجبال فسيرتها وطيرتها، أو كزجاجة وضعت على الجبال فطحشتها وسوتها بالأرض. فتأمل هذه الآية العظيمة، وكل آياته عظام.

وما قلنا إنه بنى لأن دعوته قامت ودولته اتسعت، ولكن لما قدمنا وشرحننا من وحدته وفقره وتبرئه من الأمم وإكفارهم وإسخاطهم كما قد فسرنا غير مرة، ومجيء ذلك كما قال وأخبر من أنه مع هذه الحالات سيظهره الله عز وجل، وقد علم ذلك من سمع أخباره ودعوته باضطراب، أنه أخبر بذلك جميعه في أول أمره قبل أن يكون شيء^(١) منه وأن الأمر كان كما أخبر.

ومعروف من سيرته أنه ﷺ كان يعرض نفسه على القبائل وفي المواسم ليتبعوه، ويشترط عليهم في دعوته عداوة الأمم كلها ومحاربة الملوك، فيقال له: إن الكسور من ملوك الفرس لا ترضى بهذا ولا تصبر عليه ولا نحن من رجال معاداتهم ومعاداة غيرهم من الملوك، فيقول: أرأيتم إن منحكم الله ملكهم وأفرشكم نساءه أتطيعونه وتعبدونهم؟ فيتعجبون من هذا القول، ويقول

(١) في الاصل: شيئاً

بعضهم لبعض : ما هذا إلا مجنون واحد وحده لا يغلب على دار بمكة وقد ناصبه قومه وهو/يقول هذا ، ويقول بعضهم ما هو إلا عاقل ، فإن كان رسولاً ١/١٤٤ لله كما قال فسيكون ذلك ، فيقال : بمن يكون هذا ، وأين خزائن المملوك وعساكرها وغضبها للملكها وأنفتها وكبرياؤها ونخوتها حتى يترك هذا يغلبها ، ولهذا قال الله تعالى : « وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا » (١) . ولشهرة هذا القول منه قبل أن يتلو به القرآن ، أنه عليه السلام لما توفي وارتدت العرب ، جال أهل مكة جولةً ، وهموا بالردة ، فاستخفى عتّاب بن أسيد عامل رسول الله ﷺ على مكة (٢) ، فقام سهيل بن عمرو فيهم خطيباً ونهاهم عن ذلك ، فقالوا : محمد قد مات والناس قد رجعوا عن دينه ، فقال لهم سهيل : إن يكن محمد قد مات فإن الله لم يمّت . وقد علمتم أني أكثركم قتباً في برّ وجارية في بحر ، فأقروا أميركم ، وأنا ضامن إن لم يتم هذا الأمر أن أردّها عليكم جذعة وإن كنت أعلم أن هذا الدين سيمتد من طلوع الشمس إلى غروبها . قالوا ومن أين علمت ، قال : إني رأيت رجلاً واحداً وحيداً لا مال له ولا عزّ ، قام في ظلّ هذا البيت فقال : اني رسول الله ، وإني سأظهره ، فكنا بين ضاحك وهازل وراجم ومستجهل ، فما زال أمره ينمي ويصعد حتى دنت له طوعاً وكرهاً ، والله لو كان من عند غير الله لكان كالكسرة في يدي أي فتى من فتیان قريش ، وإن هذا ، وأشار إلى أبي سفيان ، ليعلم من هذا الأمر مثل ما أعلم ، ولكن قد ختم على قلبه حسد بني عبد المطلب . وسهيل بن عمرو هو أحد رجال قريش وعقلائها وخطبائها وذو الرأي

(١) القصص ٥٧

(٢) هو عتّاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ، من أشراف العرب في صدر الإسلام ، أسلم يوم فتح مكة واستعمله النبي عليها عند خروجه إلى حنين سنة ٨ هـ . وبقي والياً عليها إلى في خلافه عمر ، توفي سنة ١٣ هـ .

منها ، وهو صاحب القضية يوم الحديبية ، وله تلك الناظرة والمجادلة ، وكان أحد أعداء رسول الله ﷺ والمجردين في ذلك ، وكان إذا تلا رسول الله ﷺ ب ١٤٤ / ب القرآن بمكة يقوم خطيباً وكان كلامه يخرج من / صدع صخرة ، فينثال الناس عليه . وهو القائل وهو على باب عمر مع وجوه قريش وسادات العرب وقد حجبوا ، فخرج آذن عمر فيقول : أين بلال ؟ أين عمار ؟ أين صهيب ؟ فينهض هؤلاء الموالي مكرمين ويحجب أولئك ، فرآهم سهيل وقد تمعرت وجوههم ^(١) فقال لهم : مالكم تتمعر وجوهكم ، هؤلاء قوم دُعوا ودُعينا ، فأسرعوا وأبطأنا ، ولئن غبطنهم اليوم بباب عمر ، لما أعد الله لهم غدا في الجنة أفضل .

ولما أبى أبو بكر الصديق قبول الصلاة والجهاد ممن منع الزكاة ، قال له أصحاب رسول الله ﷺ : يا خليفة رسول الله ، من نقاتل ومن ندع ، لا طاقة لنا بحرب العرب كلها ، اقبل من هؤلاء الصلاة ودع الزكاة فلعلهم إذا رغبوا في الصلاة أن يرغبوا في الزكاة . حتى إذا فرغوا من قولهم تكلم أبو بكر فقال : الحمد لله الذي هدى فكفى ، وخلق فسوى ، وأغنى وأفنى ، إن الله جل ثناؤه بعث محمداً ﷺ والاسلام غريب شريد قد رث حبله وولى أهله ، ومقت الله أهل الكتاب فلا يعطيهم خيراً ولا يصرف عنهم سوءاً حين غيروا أو حرفوا ، والعرب الأميون صفر من الله ، أضلهم ديناً وأشدهم عيشاً ، فجمعهم الله بمحمد ﷺ ، فنصرهم من أنفسهم ، ووعدهم بالنصر على عدوهم . فلما توفي الله محمداً ﷺ ، ركب الشيطان مركبه الذي كان أنزله عنه فأخذ بحبل رقبهم « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ،

(٢) جاء في اللسان : غضب فلان فتمعر لونه ووجهه : تغير وعلته صفرة .

أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن يتقلب على عقبه فلن يضر الله شيئاً ، وسيجزي الله الشاكرين » (١) وقد ارتد من حولكم ومنعوا شأهم وبغيرهم ، ولم يكونوا في دينهم أزهد منهم يومهم هذا ، ولم تكونوا في دينكم أرغب من يومكم هذا ، / والله لا نبرح نقاتل على أمر الله جل وعزّ حتى ينجز الله لنا وعده ويفي لنا بعهده ، فيقتل من قتل منا شهيداً من أهل الجنة ، ويبقى من بقي منا خليفة ربّه في أهله ، مطيعين متوكلين ، قضاء لا خلف له « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدّلنّهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون (٢) » وقال الله : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (٣) . والله لينجزنّ الله لنا ما وعدنا في كتابه ، وليظهرنّ ديننا على جميع الأديان ، وليمكننّ لنا في الأرض كما وعدنا في كتابه ، وهو اليقين الذي لا خلف له .

وقد كانت ردة العرب بعد وفاته عليه السلام بألوان الردة : منهم من ادعى النبوة ، ومنهم من كانت رده بتعطيل الشريعة كلها ، ومنهم من كانت رده بمنع الزكاة على أن يقيم الصلاة ويجاهد مع المسلمين ، فإن لم يقبل منهم ذلك صاروا مع العدو على المسلمين ، وأغاروا على المدينة ، وزحفوا حتى شارفوا المدينة ، وخافهم المسلمون ، فسألوا أبا بكر أن يقبل ذلك منهم مدة إلى أن ينكشف ما بالمسلمين ، فأبى ، فقبل له ما نراك تنحاش لما قد بلغ

(١) آل عمران ١٤٤

(٢) النور ٥٥

(٣) الفتح ٢٨

من الناس ولما يتوقع من إغارة العدو . فقال أبو بكر ما دخلني إشفاق من شرّ ولا دخلني في الدين وحشة إلى أحد منذ ليلة الغار ، فإن رسول الله حين رأى إشفافي عليه وعلى الدين قال : هون عليك أبا بكر ، ^(١) فإن الله قد قضى لهذا الأمر بالنصر والتمام . فقبلوا منه ورجعوا الى قوله ، وقاتلوا العرب كلها فغلبوهم/وقهروهم مع قلة المسلمين وكثرتهم ، لتعلم معرفتهم بما أخبرهم به رسول الله ﷺ من الظهور وثقتهم بذلك .

فلما فرغ أبو بكر من العرب أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ على فارس والروم أن الله قد وعدكم الفتح ، وأن يظهر دينه على كل دين ، وأن يستخلفكم في الأرض كما استخلف الذين من قبلكم ، والله مّم أمره ، ومصداق رسوله ، ولكن أخوف ما أخاف علينا أن يصرف الله ذلك إلى غيرنا لتقصير يكون منا ، فجدوا وبادروا لتحوزوا ثوابها . ثم قال لهم : إن بلادهم خراسه يعني خراسان ، فقد سمعنا رسول الله ﷺ يذكرها ويخبر أنكم ستفتحونها . فذكرها وهي أقصى ممالك فارس وأوسعها بلاداً وأكثرها رجالاً وأشدها بأساً . ولما صار النعمان بن مقرن مع النفر الذين معه من المسلمين إلى يزدجرد ابن شهريار ملك فارس برسالة عمر بن الخطاب يدعونه الى الاسلام وأداء الجزية أو القتال ، فقال لهم يزدجرد : لا أعرف أمة أقل ولا أشقى منكم . ثم ذكر من ذلّة العرب وسوء حالها ما يطول ، ثم قال : تقولون لفارس ، وملكها أعزّ ملوك الأرض ، وملوك الأرض كلها تخضع لها : تعطوننا الجزية ، يا كلاب ، لولا أنكم رسل لقتلتكم ، سأتقدم إلى رستم ، يعني صاحب

(١) في الأصل : أهون عليك

جيشه ، بأن يدفنكم وأميركم ، يعني سعد بن أبي وقاص ، وكان نازلاً بالعُذيب يريد ملك فارس ، بأن يدفنكم في خندق القادسية ، ثم أرسل إلى بلادكم فاستأصلكم وأصنع بكم أشد مما صنعه سابور بكم . وأخذ يتعجب من ضعف أجسامهم وورثاة سلاحهم وكسوتهم .

فقالوا له : إنا قد فهمنا ما ذكرت أيها الملك من القلة واستطالة الملوك علينا / ١٤٦ / ١
ولكن الله بعث فينا رجلاً منا يدعوننا إلى الله ، ووصفوا له الاسلام وحال النبي ﷺ ووحدته و فقره ، وأنه وعد أن يغلبنا ويغلب الأمم ، فعجبنا من قوله ، وتلقيناه بالجهل والرد والتكذيب ، فلم تزل مواعيده تصدق ، فما أخلف في شيء قاله . وقد وعدنا بمالككم وأرضكم ودياركم ، ولن يخلف قوله . فأجيبوا إلى دينه فإنه دين يحسن فيه الحسن ويقبح فيه القبيح ، نخلف فيكم كتاب الله فتجاهدون من يليكم فتفوزون ، وإلا فالجزية تقبلها منكم عن يد وأنتم صاغرون ، فإنكم إن تقاتلوا ينصرنا الله عليكم . فقال : ما تريدون بقولكم عن يد ؟ قالوا عن يدٍ منا عليك في قبولها منك ، فازداد غيظه وقال : قوموا يا كلاب غني ، وجرى لهم معه ما يطول ، وإنما أردنا ذكر ثقتهم بهذا الوعد .

ولما سار رستم بجيوشه إلى سعد بن أبي وقاص وهو في المسلمين ، أرسل رستم طلائعه وقال لهم : بادروا ، ومن وقع بأيديكم من العرب فأسرعوا به إلي . فجاجعوا برجل من المسلمين ، فقال رستم للترجمان : قل له ما جاء بكم إلى بلادنا ؟ فقال المسلم : لنأخذ موعود الله ، فقال رستم : وما هو ؟ قال المسلم : أنفسكم وأموالكم ودياركم ، فقال رستم الملك له : يا كلاب ، كأننا قد وضعنا في أيديكم ، فقال له العربي : أعمالكم وضعتكم في أيدينا ، انك لست تحاول البشر وإنما نحاول القدر ، فقال له رستم : أما أنت فتقتل

الساعة، فقال له المسلم: أنا أقتل فأصير إلى الجنة، ومن بقي من المسلمين يظهر عليكم.

ولما نزل الملك رستم القادسية، أرسل إلى سعد أن أرسل إليّ من يبلغني عنك ويبلغك عني، فأرسل إليه رجلاً واحداً، فجلس له على سريره، وأحذق به جنوده وهو في عشرين ومائة ألف / في خيول وفيلة وشدة وبأس. فقال رستم للمسلم: قل لي ما جئتم تطلبون - وظن رستم أن المسلمين سيرهبون لما يرون من جنوده - فقال له المسلم: إنك لا تسمع مني أو تنزل إليّ أو أصعد إليك، فهاله ذلك منه وهو رجل واحد، فلما صار معه وصف له الإسلام ورغبه فيه، فقال له رستم: مثلكم معشر العرب مع فارس مثل رجل كان له كرم فدخلته الثعالب فتغافل عنها فطمعت فيه، فسدت عليها المثاغب ثم قتلها عن آخرها، ^(١) وكذا يكون أمركم معنا، وذكر من كان يولونه على العرب وغلبتهم لهم، ثم قال: هاتوا يا أشقياء جمالكم هذه نوقرها لكم تمراً وبرّاً ونكسوكم فإنكم عراة وترجعون، فهو خير لكم، فإنه لا طاقة لكم بالملوك، وخاصة ملك فارس. فقال له المسلم مثل قول أصحابه من حال رسول الله ﷺ وكيف كان ابتداءها وما وعد به، فانصرف.

ثم عاود رستم سعداً فيمن يرسله إليه، فأرسل إليه رجلاً واحداً، وكان رث الهيئة واللبسة والسلاح، فسأله رستم عما جئتم له، فوصف له مثل ما وصف أصحابه، وقال مثل ما قالوا، فسأله رستم عن الإسلام، فوصف أصوله وحدوده - والترجمان يترجم عنه - فأقبل رستم على من حوله من الملوك والقواد والوزراء والأساورة، فقال: ألا ترون إلى حسن ما يصف من هذا الدين، وإلى هؤلاء كيف لا يختلف قولهم مع كثرتهم، فقالوا له: نعينك بالله

(١) الثغب هو الأخدود تحتفره المسائل من عل، فإذا أنحطت حفرت أمثال القبور والدبار.

أيها الملك أن تستحسن دين هؤلاء ، أما ترى عريهم ووسخهم وورثاة سلاحهم ولباسهم ، فقال لهم رستم : أنتم قوم عنيتم بالملابس والمآكل والمشارب وعُنُوا بالأحساب ، انظروا إلى عقولهم وبصائرهم وصبرهم . وجرى له معهم أكثر مما جرى لهم مع الملك الكبير يزدجرد مما يطول / شرحه .

وهم يذكرون هذا الوعد مع كثرتهم ، ولا يختلف قولهم ، وكانت الملوك تمتحنهم بمثل هذا لينظروا هل يختلف قولهم ، وهل هناك زلة أو هفوة لصاحبهم فتظهر من بعضهم على طول المدة ، أو تميل بهم الرغبة إلى عاجل الدنيا مع تعجل السلامة ، وهل يهو لهم ما يرون من العناد والعدة وما يسمعون من التهديد بالقتل ، فما وجدوا عندهم شيئاً من ذلك ، وكانت قرّة أعينهم بما آتاهم الله من البصيرة في دينهم ، كما قد قال سليمان عليه السلام : « فما آتاني الله خير مما آتاكم » (١) .

ولقد كتب أمير المؤمنين عمر إلى سعد : سرت في العرب ونزلت على الفرس ، ما تنتظر ؟ ناجز القوم . فكتب إليه سعد يذكر له عدد فارس وبأسها وشدتها وعتادها وعدتها ، وضعف من معه وقتلهم وورثاة سلاحهم ، فكتب إليه عمر : بهذا وعدنا ، قال الله : « ستُدعون إلى قومٍ أولى بأسٍ شديد تُقاتلونهم أو يُسلمون » (٢) فاشكر الله يا سعد أن سمعته بأذنك ، ورأيت به بعينك ، وباشرته بيدك .

وكم كان للمسلمين مثل ذلك مع ملوك الروم بجمص ودمشق وأنطاكية ومصر وغيرها ، وما كانت الرسل تقول له لم عند المجادلة أن نبينا قد وعدنا بظهور دينه على الأديان ، وأنه قد أخبرنا وأنذرنا وبشرنا بأمر كثيرة فما

(١) النمل ٣٦

(٢) الفتح ١٦

أخلفنا في شيء قط ، وما جرى لهم معهم يطول شرحه ، وهو مذكور في مواضعه ، وإنما ذكرنا هذا القول لأن من قطعتة هذه الآيات فتحير فلم يجد متعلقا فأخذ يقول فيها عند صحتها : هذه المواعيد لم تكن في أول الأمر ، وإنما يقال هذا فيمن أخلف مواعيده وظهر كذبه في شيء بعد شيء ، فأما من مكث ثلاثين سنة ينجبر بما في هذا القرآن ، ثم ينحو مثله من الأخبار ، فلم يخاف في ١٤٧/ب شيء منه ، كيف يقال / فيه (١) مثل هذا ، ولو كان قد قال هذا القول قبل موته بساعة لما خرج من أن يكون آية ودلالة على نبوته وأنه شيء قد انتقضت العادة به ، فإنه ﷺ ما خلف بيوت الأموال ولا مروج الكراع ولا خزائن السلاح ، بل مات فقيراً ، ومرض وعنده سبعة دنانير ، فقال : ما كان يقول محمد لربه لو لقيه وهذه عنده ، فقسمها وتصدق بها .

وقد حمى نفسه ونساءه وأهله وولده عن الدنيا كما هو معروف ، وما خلف في أصحابه وعليهم إلا البصائر فقط ، وقد ارتدت العرب بعده إلا ومسجدين : مكة والمدينة ، فنهض أصحابه بالأمر وليس معهم إلا التقوى والبصائر ، وإنما يقول مثل هذا من لا يعرف الفرس والروم وقديمها وشدة بأسها وحزمها وضبطها ويسرها وكثرة جنودها وتقادم الملك فيها وضنتها بملكها ، وخال رسول الله ﷺ وسيرته وما خلفه ، وكيف كانت حال العرب في المهانة الضعف والقلة عند ملوك الفرس والروم والهند وغيرهم ، وشرح ذلك يطول . فما غلبت العرب إلا بالتقوى ولا عزت إلا بالاسلام . ولقد كانت الفرس تنفذ إلى جزيرة العرب فيما يكرهونه بالرجل الواحد وبالنفر اليسير ، وكذا الروم فينفذ أمرهم ، ولهذا مزق كسرى أبرويز كتاب النبي ﷺ ووجهه باثنين في إشخاصه إليه . فأما عند الحرب فما كانوا ينفذون إلى الجمع الكبير من العرب إلا بالنفر اليسير ، ولقد عجت العجم والعرب من انكسار السرية

(١) في الأصل : في

الذين أنفذهم كسرى بسبب النعمان بن المنذر يوم ذي قار ، حتى قال النبي ﷺ « هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم ، وبني نصرُوا » .

ثم عاد الأمر إلى خلاف ذلك ، فكان النفر من أصحاب رسول الله ﷺ يلقون ١/١٤٨
الجمع الكثير فيُنصرون عليهم ، حتى كان الرجل وحده يسير إلى بلد من بلدانهم فيأخذه مع رثائه سلاحهم وقلة عتادهم وعدتهم ، ولقد قال أبو أمامة الباهلي صاحب رسول الله ﷺ في زمن بني أمية وقد رأى لهم رايات وتهويلات : ما تصنعون بهذا ثكلتكم أمهاتكم ؟ والله لقد أخذ هذا الملك الذي في أيديكم رجال ما كان لسيوفهم قباع ، والله ما كانت مجانثهم إلا برادع جماهم .

وكان عمر أمير المؤمنين كثيراً [ما] ^(١) يقوم في الصحابة خطيباً ، فيذكر لهم ما كانت فيه العرب من القلة والذلة والفقير والشقاء وشدة العيش واستطالة الأمم عليها ، ثم إلى أي شيء آل أمرها إليه برسول الله ﷺ ، ويقول : إنما أقول هذا لكم لأنني سمعت الله يقول لموسى : « وذكرهم بأيام الله » ^(٢) ، ويأمرهم بلزوم طاعة الله ، فيها غلبوا الأمم وقهروا الملوك ، حتى صار ملكهم أعز من كل ملك في الأرض ، ودينهم أظهر الأديان وأهيبها وأجلها ، وأنهم ما لزموا ذلك لايزالون ظاهرين قاهرين .

وكانت ملوك الفرس والروم تعجب من انهزام عساكرها الخشنة المعدة القوية الشديدة من بين أيدي المسلمين ، مع قلتهم وضعفهم وقلة آلتهم وسلاحهم ، حتى لقد قال رسم الملك لما عبر العتيق لحرب سعد بالقادسية : أين عسكر هؤلاء الكلاب ، فقيل له : أشخص بصرك إلى هذه الجهة تراه ، فقال لما أشخص بصره : قال : أرى سواداً فأين هو من السواد ، فقيل له : هو السواد ، فعجب وقال : وهذا هو كله ، قالوا : نعم ، قال : وقد بذلنا

(١) زيادة مني اقتضاها سياق الكلام

(٢) ابراهيم ه

لهم الصلح فما أجابوا وهذا قدر عسكريهم ، لا تقتلوهم وادفنوا هؤلاء الكلاب
أحياء ، استقلالاً لهم . فلما قامت الحرب / نزعوا بزادع جماهم يستخفون بها ،
وقدموا ابن ام مكتوم وهو أعمى ومعه رايتهم ، فصاروا عنده كالضحكة ،
والطمع فيهم أشد ، واحتقاره لهم أكثر . فلما رأى صبرهم تحير ، حتى قال
لجواسيسه : يا ويلكم ، أيّ ناس هؤلاء ، أما يملّون ما هم فيه ، أما يطلبون الراحة ،
أما يشغلهم أكل . قيل : إنهم إذا قاموا من منامهم ابتدؤوا بأكلهم ، قال :
وما يأكلون ، قيل له : مع كل واحد منهم خشبة يأكلها ، يعني بذلك السّواك ،
لأن الجاسوس كان يراهم يستأكون عند القيام من النوم فظن أن ذلك طعامهم ،
لأن الفرس والروم لا تعرف السّواك .

ولما قدمت منهزمة الروم على هرقل وهو بأنطاكية استعظم انهزامهم ،
وكان عنده أن المسلمين هم الذين يهزمون ، وأنه يصير إلى المدينة فيستأصلهم ،
فقال لهم : أخبروني ويلكم عن هؤلاء القوم الذين تقاتلونهم ، أليسوا بشراً
مثلكم ، قالوا : بلى ، قال : فأنتم أكثر أم هم ، قالوا : بل نحن أكثر منهم
أضعافاً في كل موطن ، قال : فما لكم تنهزمون كلما لقيتموهم ، فقال شيخ
منهم : من أجل أنهم يقومون بالليل ويصومون بالنهار ، ويوفون بالعهد ،
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويتناصفون ، ومن أجل أننا نزني ،
ونركب الحرام ، وننقض العهد ، ونغضب ونظلم ، ونأمر بما يسخط الله ،
وننهي عما يرضي الله ، ونفسد في الأرض . قال : أنت صدقتني .

وكانت نصارى العرب بين تغلب وتنوخ وبلخ وغسان وغيرها من القبائل
تعين الروم والفرس على المسلمين ، وكانوا ينغمسون في المسلمين لأنهم عرب ،
فيظنهم المسلمون منهم ، فيرجعون بأخبارهم إلى الروم ، فيحدثونهم عن
عسكريهم ، وعن أمرائهم ورؤسائهم ، كشر حجيل بن حسنة ، ومعاذ بن

١/١٤٩ جبل ، وخالد بن الوليد / وأبي عبيدة بن الجراح وهو أمير الأمراء ، (١) وأنهم لا يبينون من جندهم بشيء ، وأن كل واحد منهم هو الذي يقوم على فرسه ويخدم أهل عسكره ، وأن الذين في عسكرهم من بني هاشم وهم أهل بيت نبيهم ورهط أبي بكر وولد عمر في العسكر كضعفاء الناس ، لا يبينون من غيرهم بشيء . وأن من سرق قطعوه ، ومن قتل قتلوه ، ومن افترى جلدوه ، ومن كذب أسقطوه وأبعدوه وإن كان ابن نبيهم أو ابن أميرهم . وأنهم في الحدود والحقوق سواء ، لا يتفاضلون إلا بالتقوى في دينهم . وأنهم رهبان بالليل وفرسان بالنهار. ويحدثونهم بحب النصرارى لهم ، وتشبهتهم بهم ، وأنهم أحب إليهم من ملوك النصرانية ، وأن أهل حمص بكوا لرحيل أبي عبيدة بن الجراح عندهم لما تكاثرت عليه ملوك الروم ، فقيل لأهل حمص : تبكون على هؤلاء وهم اعداؤكم في الدين ، والذين يجيئونكم ملوككم وأهل دينكم ، فيقولون : هؤلاء أهل الأمانة والوفاء وقول الحق والعمل به ، وقد أمناهم : - فهل سمعتم بمن يأمنه عدوه - دماؤنا محقونة ، وأموالنا موفورة ، وسبلنا آمنة ، وأعراضنا مصونة ، وأهل ديننا يفتضون أبقارنا ، ويشربون خمورنا ، ويأكلون ودوابهم أقواتنا وعلف مواشينا ، ويسخرونا لمعونتهم . فكان سرورهم بملك المسلمين لهم عظيماً ، وهكذا كانت رجال الفرس . فإن عمر حين ملكهم أقرهم على أديانهم وأموالهم ، وأخذ الجزية منهم ، وفرض على أرضهم القفيز والدرهم (٢) ، وصدقهم في ادعائهم ، واستعمل عليهم وفي أرضهم وخراجهم حذيفة بن اليمان ، وسلمان الفارس ، وعمار

(١) ورد التعريف هؤلاء الاعلام فيما سبق من الكتاب

(٢) أنواع من المكاييل

بن ياسر ، وعثمان بن حنيف^(١) ، وأمثالهم ، ووصاهم بهم ، وحرّص الفرس به أن يستعملهم عليهم وضمنوا التوفير ، وقالوا نحن أعلم بهم ، فلم يفعل ، فسقط / عن الفرس رسوم ملوكهم عليهم من حق النوروز والمهرجان والكسور والأجور وحق الخزن وغير ذلك ، فأيسروا وسمنوا وصاروا كشحم الكلى ، فأحبّوا الاسلام والمسلمين فما رأوا سوءاً ، إلى أن كتب زاذان فروخ - رجل منهم - للحجاج فسار بهم سيرة ملوكهم فقالوا : ما زلنا مع المسلمين بخير حتى دخل بيننا وبينهم رجل منا ، فكنا كما يقال : إن فأساً طرح بين شجر فقال بعضهم لبعض : ما لهذه بيننا؟ فقالت شجرة منهن : ما علينا منها بأس ما لم يدخل فيها شيء منّا .

وكانت ملوك الفرس والروم يعجبون من سلطان المسلمين وأنه يقسم بدرجة ومرفعة ويغلب الجبايرة وأهل الملك القديم ، وأصحاب التدبير والسياسة والترتيب ، وأصحاب الكنوز ، وأتاهم عن عمر أن كنوزهم تحمل اليه فيقسمها ولا يخزنها . وأن قائلاً قال له : يا أمير المؤمنين لو ادّخرت من هذا

(٢) حذيفة بن اليمان هو حذيفة بن حسل بن جابر العبسي ، أبو عبد الله ، واليمان لقب حسل : صحابي من الولاة الشجعان الفاتحين ، كان صاحب سر الرسول صلى الله عليه وسلم في المنافقين ، توفي سنة ٣٦ هـ .

الأعلام ٢ : ١٨٠

سلمان الفارسي : من كبار الصحابة ، كان صاحب رأي وعلم بالشرائع ، وهو الذي دل المسلمين على حفر الخندق في غزوة الاحزاب ، توفي سنة ٣٦ هـ

الأعلام ٣ : ١٦٩

عمار بن ياسر الكناني : صحابي من السابقين الى الاسلام والجهره ، شهد بدرًا وأحد والخندق وبيعة الرضوان ، وتولى الكوفة أيام عمر ، توفي سنة ٣٧ هـ . الأعلام ٥ : ١٩١

عثمان بن حنيف الانصاري ، صحابي ، ولي أكثر من ولاية ، توفي بعد سنة ٤١ هـ .

الأعلام ٤ : ٣٦٥

المال ذخراً ليكون إن كان ، فقال له : كلمة ألقاها الشيطان على لسانك ، أما لأنها لن تضرني ولكنها فتنة لمن بعدي ، يدخر لكون إن كان تقوى الله وطاعته وطاعة رسوله ، وقسم المال ولم يقبل منه . وكان يأخذ عماله بإنصاف الناس ورعايتهم وخدمتهم وأن يعودوا العبيد والضعفاء إلى غير ذلك مما يطول .

ولما انكشف ملوك الروم من الشام ومصر ، واحتجزوا من المسلمين بالمضايق والتروب ، أخذوا في مداراته ومراسلاته ، وطمعوا في كفه واستعطفاه بالرفق ، فكانت رسلهم ترد المدينة مع نفر من المسلمين في ثغورهم ، فلا يرون له قصرأ ولا منزلاً يتميز به من سائر الناس ، بل يرون منازلهم كقامة رجل من جريد النخل ، وربما لم يجدوه في بيته ولا في مسجده ، فيسأل المسلمون الذين معهم : أين / أمير المؤمنين؟ فيقولون : ها هنا كان أنفا وما ندرى أين مضى ،^{١/١٥٠} فيمشون مع رسل الروم يطلبونه في المدينة فيجدونه وحده في طرف من الأطراف مشغولاً بشأن المسلمين ، فيقول الروم للمسلمين : هذا الذي أخرج الروم والفرس من ممالكها ، لا قصر له ويمشي وحده حافياً ، أما يخاف هؤلاء الملوك ؟ فيقول المسلمون لهم : هو أعز على المسلمين من ذلك ، فيرجعون إلى ملوكهم بخبره ، فيسألون بينهم وفي حكماهم ، هل رأوا وبلغهم أن سلطاناً بهذه^(١) العزة والغلبة قام بلرة ومرقعة ، فيقولون : لا ، ما سمعنا ولا ظننا ولولا أنا رأينا ما صدقنا .

وقد كان يزيد جرد بن شهريار ملك فارس قال لرستم صاحب جيشه وقد سأله رستم عن النعمان بن مقرن والذين كانوا معه وكيف رأيهم ، فقال له يزيد جرد : ما ظننت أن في العرب أمثالهم ، ما تقصر عقولهم عن عقول فارس ، وجدتهم على بصيرة ويقين من أمرهم ، ولقد وعدوا أمراً لا ينتهون عنه أو

(١) في الأصل : بهذا

يبلغوه أو يهلكوا . ولما ظفر سعد برستم ، وهزم جيوش الفرس ، صار إلى المدائن ، وهرب يزد جرد إلى نهاوند ، كان يجاري خواصه ، ويكثر تعجبهم من ضعف العرب وغلبهم الجبابرة الأقوياء أهل الملك القديم والتدبير السديد من الروم والفرس ، وشدة جرأتهم عليهم وإقدامهم عليهم في وقت واحد ، لا يكون لهم عندهم من الهيبة ما يصمدون لملك ملك حتى إذا فرغوا منه تفرغوا لغيره ، بل تفوقوا عليهم كأنهم ملك واحد أو سلطان واحد فأصابوهم ، مع سوء التدبير واطراح الحزم خلافا لما يفعله حزمة الملوك ، فيقول يزد جرد: ما أظن صاحبهم إلا رسولا لله كما ادعى ، فلو لم يكن من / آياته لإطاعة العرب له وقد كانوا منتشرين يأكل بعضهم بعضا .

ب/١٥٠

وإنما رماهم يزد جرد بن شهريار بسوء التدبير وسوء الاختيار ، أنهم قصدوا الملوك كلهم ، وأثاروا أهل الأرض كلهم على أنفسهم ضربة واحدة ، وما هكذا كانت تسير الملوك ، بل كانوا يقصدون لبعض الوجوه ويدارون غيرها ، ويتقون كل جنبه جنبه منه ، هذا قول يزد جرد بن شهريار .

وسار يزد جرد بن شهريار من نهاوند إلى فارس ، ورتب عماله وأصحابه في الممالك كلها ، وأنه يستشير بالفرس كلها بخراسان ويستنصر بالترك ويرجع ، فيخرج العرب من مملكه ، ويصير إلى بلادهم فيقتل عمر ملكهم ويستأصلهم . وخرج من فارس إلى سجستان ، ومنها إلى مرو ، ومنها إلى خاقان ملك الترك ، واستنصره وصاهره ، وعيونه وجواسيسه تختلف إلى العرب ، ورسله إلى الملوك في مملكه ، يشد منهم ويأمرهم بجهاد العرب ، ويعدهم بنصرهم والرجوع إليهم ، وهم يعدلون الفرس والمجوس الذين ادّوا الجزية وصبروا على العرب ، وكانت العرب وملك المسلمين أحب إليهم من ملوك الفرس لما قدمنا ، ولأن ملوك الفرس كانوا يسمون أنفسهم الأرباب وغيرهم

العبيد ، وكذا كانت كتبهم من الأرباب إلى العبيد .

ثم كانت أصول دياناتهم ^(١) على ما ألقاه زرادشت إلى الملك بستاسف بن لهواسف أن الله خلق الدنيا ، فلما خلقها استحسناها ، ثم فكر هل هاهنا ضد يدخل عليه ، قال : والفكر رديء ، فتألف من فكره إبليس ، فمثل بين يديه ، وما زال يخلق الظلام والأجسام الشريرة كالحيات والعقارب والأمراض والأسقام / فيقيم بإزاء كل خلق لله خلقاً لنفسه ، فلما خلق الله الفار خلق إبليس بإزائه السنور ، إلى غير ذلك من الحرافات السخيفات مما هو مذكور عندهم ، وقد ذكره للناس عنهم وأخذوه منهم إلى قولهم : وأن الله نزل من السماء إلى الأرض لمحاربة إبليس بملائكته ، وأن إبليس لقيه بشياطينه فحاربه أكثر من ألف سنة ، وأن إبليس هزمه وحاصره في بعض البساتين ، وأن الملائكة سعت بينهم في الصلح فتهادنا سبعة آلاف سنة على أن يرجع إلى مستقر ملكه في سمائه ويترك إبليس في الأرض يصنع ما يشاء إلى انقضاء مدة الهدنة ، وأن الملائكة أخذت سيف كل واحد منهما فعدّ لوهما . فهذا هو أصل دينهم ، وفيه من السخف والجهل والحمق ما هو أكثر من هذا مما ^(٢) هو مذكور في أماكنه .

وأما الفروع ^(٣) ، فتجنب الماء ، والتطهير بالأبوال ، وتعظيم الماء والنار والأرض ، وتطهير الحائض والنفساء ببول البقر ، يتولى ذلك منهم الهربذ ، يجردها ويباركها ويباشر غسل فرجها بيده ، ويرى بعينه ، ويأخذ منها من الأجر ما هو معروف مذكور ، وفي يده ريشة من ريش النسر يدخلها في فرجها ثم يخرجها لينظر زعم نقيت أم لا ، وشرع لهم وطء المغنيات ، وفرض

(١) كتب في هامش الصفحة : أصول ديانات المجوس

(٢) في الأصل : ما

(٣) كتب في الهامش : فروع المجوس

على زوج المرأة إذا أراد السفر أن يوكل من يرضى ، وشرع لهم نكاح الأمهات
 والبنات ، وأوجب عليهم طاعة الملوك والانقياد لهم في كل ما يأمرونهم ،
 وأمرهم بإقامة النوروز وأنه أعظم الأعياد ، وزعم لهم أن الشياطين كانوا
 ظاهرين مختلطين بالناس يؤذونهم كل الأذى ، وأن إبليس أخذ المقادير
 والنهيات وهو الذي تسميه الفرس قيما ، وزعم أن إبليس أخذ المقادير
 والنهيات / من الناس فصاروا^(١) يأكلون فلا يشبعون، ويشربون فلا يروون،
 ويذهبون لحوائجهم فلا يهتدون ، وأنه أخذ الأنوار فأظلمت الدنيا عليهم ، إلى
 أمور كثيرة يزعم أن إبليس بلغها منهم يطول شرحها . وأن جمشاذ الفارس
 استأمن إلى إبليس وصار في عسكره ، وتنصح له ، وخدمته وقرب منه ،
 وتقرب إليه بكل شيء لتخليص الناس من شره ، وأنه لما اختص به طلب
 المقادير والنهيات التي أخذها إبليس فلم يجدها في خزائنه ، وإذا إبليس
 لشدة كيدته قد ابتلعها لثلاثي يده أحد إليها . ففطن لذلك جمشاذُ الفارسي ،
 فرأى إبليس وهو معه في أرض الهند نائماً وحده منفرداً من عسكره ، فأعد
 خيولاً ، وأدخل يده في دبره وأخذ المقادير والنهيات واستوى على الخيول ،
 فلما صار بأرض فارس أضاءت الدنيا وتندت الأرض بعد اليبس ورجع إلى
 الناس المقادير والنهيات ، فلهذا صاروا يوقدون النيران ويصبون المياه ويظهرون
 السرور ويتوفرون على اللذات في النوايرز . وأن يد جمشاذ هذا الفارسي
 اسودت اسوداداً قبيحاً فاحشاً لإدخاله إياها في دبر إبليس ، فغسلها بكل
 شيء فما نقيت ، فشكا إلى الله ذلك ، فأوحى إليه غسلها ببول البقر فنقيت ،
 قالوا: لهذا شرع زردشت غسل الحائض والنفساء ببول البقر. وزعموا أن جمشاذ
 هذا كان قبل زردشت ، وحرّم عليهم افتضاض الأبقار لأجل الطعن في الدم

(١) في الاصل : صاروا

وهو الذي يسمونه سولاسم ، فمن يمسك بدينه منهم يتوقى ذلك ويحتال
 لافتضاؤها ، إما أن تتولى هي ذلك ^(١) / لنفسها بإصبعها أو بغيره إلى أن ينقضي ١/١٥٢
 الدم . ولهم في فروعهم فواحش آخر ، مثل : أكل الميتة ، وهو ما يشدونه
 من البقر الشد الوثيق ويأمرونها بصعود الجبل ويقولون لها : قد أمرناك وأعدنا
 إليك فلم تفعلي ، فيضربونها إلى أن تموت ، ثم يأكلونها ، وهذا الذي يسمونه
 يَزْدَان كَشْت ، تفسيره ، قتيل الله ، إلى غير ذلك من حمتهم . فلما جاءهم الاسلام ،
 كان حذيفة وسلمان وغيرهما من الأفراد لا شغل لهم الا قراءة القرآن ودرسه
 وتعليمه ، والظهور للناس ، والمشي في الأسواق ، والجلوس في الطرقات .
 فكانوا يسألونهم عما يقرؤون وعما في كتابهم فيفسرونه للتراجمة ولمن يفهم ،
 فيذكرونه لهم ، ويرجعون الى عقولهم فيما يسمعون من جلال الله عز وجل وعظمته
 وآياته في كل شيء في مثل قوله : « وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم
 أفلا تبصرون » ^(٢) ، وما في قوله في سورة الروم : ومن آياته ، ومن آياته ،
 ومن آياته ، غير مرة ، إلى غير ذلك .

وعلم الصحابة به أعظم من علم من بعدهم ، فنظر القوم إلى أصول
 صحيحة يشهد العقل بها ، وفروع زكية تدعو الى التمسك بأصولها ، ووجدوا
 الصحابة يعلمون بما يقولون ، فأسلموا ، وتبادروا إلى الإسلام طوعا من تلقاء
 أنفسهم ، وجاهدوا في سبيل الله كما قد عرف الناس ، وبقياء ذلك اليوم بخراسان
 خاصة .

وهذه كانت سبيل النصارى بمصر والشام وأرمينية ، فديانات النصرانية في
 الأصول على تلك الجهالات والكذب كما قد تقدم لك ذكره ، / وفروعهم في

(١) مكررة في الأصل

(٢) الذاريات ٢١

النجاسة والقذارة كما قد عرفت، ورأوا من الصحابة في المذاكرة بالقرآن والمواظبة على درسه، فأسلموا اختياراً وطوعاً من تلقاء أنفسهم، وجاهدوا في سبيل الله عز وجل .

وأما خاص المجوس بجور وإصطخر^(١)، فعندهم أن الله مات جل الله عن قلوبهم^(٢) وأنه خلف ابنين، أحدهما غلب على السماء وهو الخير، وأن الآخر غلب على الأرض وهو الشرير. وقد كان عامل لعمر رضي الله عنه كتب إليه يعتذر من قلة المال ويقول: أسلم الناس وقلت الجزية، فأذكر عليه عمر هذا الاعتذار وكتب إليه: إن الله بعث محمداً ﷺ هادياً ولم يبعثه جانياً، وصرفه ولم يستعمله لحزنه على قلة المال وحرصه على الجباية^(٣).

وكان خلفاء رسول الله ﷺ يقولون لعمالهم: ارعوا الناس ولا تجبوهم، فإن الله بعثنا رعاة ولم يبعثنا جباة، وإن من بعدنا نأمين الأمرء سيصيرون جباة لا رعاة، فإذا أفعالوا ذلك ذهب الحياء والوفاء وقلت البركات، فالزموا الاسلام.

ولما دخل عمر الشام تسامع به النصارى ومن بها من ملوك الروم ممن أقام على الذمة، فأحبوا أن يروه، فخرجوا على براذينهم وخبولهم في زيهم ومراكبهم وملابسهم، فرأوا المسلمين يدخلون أولاً، أولاً، فيقولون لهم: أين الملك؟ فيقولون لهم: هو في الساقه. وتلقاه أبو عبيدة والأمرء، فجاء على

(١) جور: مدينة بفارس بينها وبين شيراز عشرون فرسخاً. معجم البلدان ٢: ١٨١.

واصطخر: بلدة بفارس كانت من أعيان مدنها. معجم البلدان ١: ٢١١.

(٢) كتب في الهامش: اعتقاد مجوس جور واصطخر.

(٣) كتب في الهامش: كتب عمر رضي الله عنه الى عامل جور حين اعتذر إليه أن الناس

سلموا وقلت الجزية.

جمله ومعه مولى على جمل آخر، فانتهى إلى ماء فنزل ونزع جرموقيه^(١) وأخذ برأس بعيره وخاض الماء، فقال له أبو عبيدة: لقد صنعت صنيعاً عند أهل هذه الأرض، كأنّ أبا عبيدة كره له كل هذا التواضع والتبذل وهو سلطان المسلمين، وعدوّه/ كثير، وهم يرونه، وقد سلبهم ملكهم وعزهم، وعيونهم وجواسيسهم معه يرون ذلك ويبلغونه ملك الروم، وللروم عناية شديدة بمعرفة حال علوهم، وظنونهم سيئة، وتيقظهم دائم، حتى أن لهم إلى هذه الغاية مع ضعف الاسلام وذهاب أهله جواسيس وعيوناً متوالية إلى أقاصي خراسان، وفي كل الاسلام، ومن يصير لهم في مكة في كل سنة فيشهد الموسم ويرجع إليهم بالخبر.

فقال عمر لأبي عبيدة: هاه، رافعاً بها صوته، لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة، كنتم أذل الأمم، فأعزكم الله بالاسلام، ومهما تطلبوا العز بغيره يذللكم الله.

ولما ورد الشام وقدم الجابية وهو على جمل أورك، تلوح صلعته من الشمس، ليس عليه عمامة ولا قلنسوة، بين عمودين، ووطؤه فروكباش نجديّ، وهو ووطؤه إذا ركب، وفراشه إذا نزل، وحقبيته شملة محشوة ليفاً، هي وسادته إذا توسد، عليه قميص من كرايس قد انخرق بعضه. ولقيه أمراء والأجناد في مواكبهم، فكلما لقيه أمير منهم فسلم عليه قال له امض، فردّه، ولقيه الاسقف، فقال حين رآه لاساقفته: ثكلتكم أمهاتكم، هل رأيتم رهبانية أو ديرانية أو سياحة مثل هذا، هذا ملك الأرض، فانظروا إليه وإلى حاله.

(١) الجرموق: هو ما يلبس فوق الخف. اللقماوس ٣: ٢١٧

وقد كان قال لعامله على أذرعاً (١) وقد قدم عليه ، وعلى عمر قميص من كرايس ، فقال لعامله : خذ هذا فاعتله وارفعه ، ففعل ، وقطع عليه قميصاً قبطياً فأتاه به وقال : هذا قميصك وهذا قميص قطعته عليه لتلبسه ، فمسه فوجده ليناً فقال : لا حاجة لنا به . ولما قدم دمشق وهار في يوم الجمعة نام ب/١٥٣ عمر فجاء عامله على دمشق فسألهم / ما يريد أمير المؤمنين أن يلبس إلى الصلاة ، وهل يلبس غير لباسه الذي كان عليه ، قالوا : لا ، ما يلبس غيره ، فكره ذلك عامله وخاف أن تزدرية البطارقة وملوك الشام بعد هيئته في صلورهم وصوته فيهم ، فأمرهم عامله أن يغسلوا قميصه ، فإنه إذا قام من نومه فوجده رطبا لم يلبسه أعطياته غيره فلا يجد بدأ من أن يلبس . فلما انتبه عمر [و] (٢) أراد أن يمضي إلى المسجد للجمعة دعا بقميصه فوجده رطبا قد غسل ، فلامهم (٣) في ذلك ، قالوا : نأتيك بغيره ، قال : لا ألبس غيره ؛ فعصره ولبسه وهعد المنبر وقد كان أبطأ من أجل القميص ، فجعل يعصر ما بقي فيه من الماء وهو على المنبر ، ويمدّ كفه فلا يبلغ أصابعه ، وهو قميص غليظ ، وقال لهم : إنما حسني أن قميصي هذا غسل ، فلما نظروا اليه وإلى هيئته أقبلوا ليكون ويتحبسون من كل ناحية ويقولون : ولا رهبانية ابن مريم ، ولا رهبانية ابن مريم ، مرتين ، مارأينا ملكا في رهبانية أعجب من هذا .

وقال الروم : هذا الذي غلب فارس والروم وأخذ كنوز كسرى وقيصر ، فقال عامل عمر : فكان والله الذي فعل أهيب في صلورهم وأبلغ مما أردنا ، وجاءت هيئة الدين والتقوى .

(١) بلد في أطراف الشام معجم البلدان ١ : ١٣

(٢) زيادة مني اقتضاها السياق

(٣) في الاصل : لامهم

وهذه كانت سيرة خلفائه وأعوانهم كعبيد بن جبير ، وأبي عبيدة ، ومعاذ بن جبل ، وشرحبيل بن حسنة ، وعتبة بن غزوان ، وسعد بن أبي وقاص ، وأمثالهم من السابقين والتابعين بإحسان ، لا يحصون لكثرتهم . والذين رغبوا فيما أحلّه الله لهم وأباحهم إياه كعبد الرحمن بن عوف وأمثاله ، فقد كانوا يبذلون وينفقون في سبيل الخير ، ثم لا يعرفون من التواضع من /عبيدهم ١/١٥٤ ولا يفرق بينهم وبين عبيدهم وفقرائهم ، فكانوا كما قد قيل فيهم لا يحوي رجاؤك ما حوت أيمانهم ، ولا تسري همتهك إلى حيث سرت أقدامهم ، لم يزددهم الله رفعة وتشريفا إلا ازدادوا هيبة وإجلالا ، ولا تسليطا وتمكينا إلا ازدادوا عن الدنيا عزوفاً ومنها تقلالاً ، ولا تقريباً واختصاصاً إلا ازدادوا من رعتهم قرباً وبالمساكين رافة وعليهم حديباً وبهم رحمة .

ولقد قال عبد الله بن سلام وغيره لأولئك الذين شغبوا على عثمان ، كحرقوص بن زهير ، وخالد بن ملحجم ، وسودان بن حمران ^(١) : يا قوم ، إن سلطانكم يقوم بالدرّة ، وما سمعنا بسلطان يقوم بالدرّة قبله ، وإن قتلتموه لم يقم إلا بالسيف ، لا تسلوا سيف الله عليكم ، فوالله إن سلتموه لا تغمدوه ، ويلكم ، إن مدينتكم محفوفة بملائكة الله مذحلتها رسول الله ﷺ وإلى اليوم ، والله لئن قتلتموه لتركنها ، فلا تطردوا جيرانكم من الملائكة .

وقد قلنا قبل هذا انما لم نجعل زهد رسول الله ، وخلفائه وأصحابه دليلا على صحة الاسلام ونبوة النبي ﷺ فإن ذلك إنما يدل عليه ما قدّمنا من الأدلة وأمثاله ، ولكن استدللنا بزهدهم على محبتهم لنبئهم ، وأن ظاهرهم كباطنهم ، وسريرتهم كعلانيتهم ، وعلى بصيرتهم في دينهم ، وأنه لم يكن نبي من الأنبياء عليهم السلام صحابة مثلهم ، وأنهم خير أمة أخرجت للناس .

(١) انظر لتفصيل حادث مقتل عثمان رضي الله عنه ، الطبري ، أحداث سنة ٣٥ هـ .

واعلم أنك لا تكاد تعلم من يطعن فيما معك من هذه الأخبار لجهله .
فإن هذه الأخبار التي معك من كلام الوليد بن المغيرة الى غير ذلك ، كلها
١٥٤/ب قد جاءت مجيئاً صحيحاً كالقرآن، وإن كان أكثر الناس لا يعلمون ذلك . ألا
ترى أن لرسول الله ﷺ من الغزوات والسرايا والبعوث أكثر من خمسين
ولا تعرف العامة ومن جرى مجراهم منها خمسة ، وهم يعرفون أبا بكر
الصديق في الصحابة . ولا يعرفون أبا طلحة وأبا قتادة (١) ، ويعرفوه
من أزواجه خديجة وعائشة ولا يعرفون سودة بنت زمعة وشفية بنت حيي
وغيرهن من أزواجه (٢) فإنه صلى الله عليه وسلم تزوج خمس عشرة ومات
عن تسع ، وكان له من خديجة أربع بنات : زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة (٣) ،
وكان له تسعة أعمام . ولا يعرف العامة منهم أكثر من ثلاثة ، وكان له
سبع عمات ولا يعرفون إلا واحدة ، ومثل هذا كثير . ولسنا نريد بقولنا
ها هنا العامة كالملاحين والحمالين والفلاحين ، ولكننا نريد من لم يباشر هذه
الصنعة وإن كان من الخلفاء والوزراء أو القواد والكتاب وكائن من كان .
فإن قيل : فإن هذا الدين وإن ظهر على الأديان كلها وكان أقواها وأعزها
فما استأصلها ولا قلع أصولها ، فقد بقي في يد الروم بقية من ممالكها وإن كان
الاسلام قد أخذ أكثرها وعامتها ، وبقي في يد الهند بقية ، قيل له : إنه لم يقل
أنه مستأصل الديانات ولا الممالك كلها حتى لا يبقى شيئاً منها ، بل قال :

- (١) أبو طلحة هو زيد بن سهل بن الأسود النجاري الأنصاري ، صحابي شجاع، شهد العقبة
وبدرأ وأحد والخندق وسائر المشاهد، توفي سنة ٣٤ هـ . طبقات ابن سعد ٣ : ٦٤ .
أما عن أبي قتادة فلعله يقضي قتادة ابن النعمان الانصاري وهو صحابي بدري، شهد المشاهد
كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفي سنة ٢٣ هـ . الا اعلام ٦ : ٢٧ .
(٢) كتب في الهامش : عدد زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم
(٣) كتب في الهامش : عدد بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم

ليظهره على الدين كله، وقد ظهر وغلب ، فصار أعزها وأظهرها وأقواها ،
فقد استوفى الخبر شرطه ؛ ومع هذا فقد فرض الجهاد على أمته إلى يوم القيامة ،
فدل أنه تبقى من الشرك بقية ، فقد أحدق الصدق بكل ما قالوا ، فما هاهنا
عيب يكون لطاعن .

فإن قيل : إن الروم/ قد ارتجعت أكثر مما لكها التي أخذها المسلمون منها ، ١/١٥٥
حتى لو قدر ما ارتجعه من جزائر البحر وما في البر من الثغور الشامية والجزيرية
وأرمينية وأذربيجان ، لكان يكون في الكوفة إلى بخارى بلدان عامرة ، ثم من
بالاحساء والمغرب وما يلي المغرب إلى أن يقارب العراق يعتقدون عداوة الأنبياء
كلهم ويخصون نبيكم محمدا بفضل عداوة ، ويجردون في القصد إلى إماتة
شريعته واستئصال دعوته كما قد عرف ذلك من تصفح واعتبر ، وكما لهم من
الآثار في قتل المسلمين والحجاج ، وغزو مكة والكوفة والبصرة وباليمن
وبالشرق والغرب ، وإن تسروا بالباطن ، فكيف يكون الآن ظاهراً على
الأديان كلها .

قيل له : إنه لو ارتد جميع أهل الدين حتى لا يبقى عليه أحد من الناس
كلهم ، لما قدح ذلك في الخبر الذي خبر أنه يظهر على الأديان كلها ، لأن ذلك
الخبر وتلك المعجزة قد صارت إلى ما قال وكما أخبر ، فظهر على الأديان
كلها فلما استوفت شرائطها وانتهت إلى حدودها فما قصرت عن شيء قاله
عليه السلام أو شرطه .

ثم في غلبة الروم والقرامطة وغيرهم من أعداء الاسلام على ما غلبوا
دلالة أخرى على نبوته عظيمة ، فإنه قد مر ، أن بعد مضي أصحابه ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم ، وفي آخر الزمان ، ستضعف بصائر أهل ذلك الزمان ،
ويكروهون الموت ، ويشند جبههم للدنيا وحرصهم على البقاء ، فيظهر عليهم

عدوهم ويغلبهم . والأخبار في ذلك أصح وأقوى من كل قوي ، وهي كثيرة ، ومجيئها كمجيء القرآن ، حتى أنه ﷺ حين وقت المواقيت ، وقت ميقاتنا لأهل العراق والعراق إذ ذاك في أيدي الفرس ، ووقت ميقاتنا لأهل الشام والشام إذ ذاك في يد الروم ، وكذا غيرها من الأمصار ، وذكر ظهور أمته ١٥٥/ب عليهم واستقامة/ الأمور لهم ، ثم ذكر اضطرابها ، حتى يقول : ومنعت مصر أردببها ودينارها ، ومنعت العراق درهمها وقفيزها ، ومنعت الشام كذا ، حتى يجيء في الأثر ، ليخرجنكم كما أخرجتموهم كفرةً كفراً ، يعني بلداً بلداً وقرية قرية ، لأن أهل الشام يسمون القرى الكفور ، فيقولون : كفرطاب وكفرتوبا وكفركذا لقرى كثيرة . حتى يذكر آخر الزمان ، وإن الأمم تتمالأ على أمته كما تتمالأ الأكلة على قصعتها ، فقليل يا رسول الله أمن قلة يؤتون ، فقال : لا ، إنهم أكثر ما يكونون ولكن الوهن والفشل ، فقليل : يا رسول الله ما الوهن والفشل ، قال : حب الدنيا وكراهة الموت (١) .

وقد وجد أهل الاعتبار ذلك ، فإن بابك الحرمي صاحب الحرمة من البذ من أرمينية وأذربيجان ، ابتداء في أول أمره وتستر بأنه من المسلمين ويدعو إلى الاسلام وإلى المهدي من أهل بيت رسول الله ﷺ ، (٢) فلما قوى وظهر كان من أمره ما هو معروف ، فكذب السلطان في زمانه وأتعبه ، فكان المعتصم ابن الرشيد ، فأرسل بابك إلى ملك الروم وهاذاه ولاطفه وتقرب إليه ببغص الاسلام والمسلمين ، وأنه إنما تستر بالاعتزاز إلى المهدي حيلة عليهم وسخرية منهم ، وقال : إني قد شغلت ملك العرب عنك فما يتفرغ لغزوك فإن فرغ

(١) للاطلاع على نموذج من هذه الأحاديث التي تكلم فيها الرسول عليه السلام عن البلاد التي

سيفتحها المسلمون وعن مستقبل الاسلام ، انظر فيض القدير للمناوي ٤ : ٩٦ - ١٠٢

(٢) امتدت فتنة بابك الحرمي زمناً طويلاً في عهد المأمون والمعتصم وكان خروجه سنة ٢٠١

ومتناه سنة ٢٢١ هـ .

مني تفرغ لك ، فانتهاز الفرصة لتهنئه عني وأنهه عنك ، ففعل ملك الروم ذلك ، وسار حتى فتح ربطره وكان له من الأثر في المسلمين ما هو معروف . وكان له مع صاحب الزنج من الحرب مثل ذلك أيام المعتمد ، فإن صاحب الزنج شغل السلطان عن ملك الروم فأعانه ملك الروم ، وانتهاز الفرصة وسار فأخذ لؤلؤة من أيدي المسلمين ، وهي بلد عظيم ومصر جليل .

وكان صاحب الزنج يدعي أنه المهدي ، / وآثاره معروفة ، وسيرته في ١/١٥٦ المسلمين معلومة في أن آمنهم ثم قتلهم بعد الأمان وقتل الأطفال ، إلى غير ذلك . وكان يذكر أنه علوي ، ولقد أخذ أبا يعقوب الشحام فقال له (١) : لم لا تجيء أنت وأصحابك فتجاهدون معي وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، ولكنكم معشر المعتزلة منافقون تقولون بما لا تفعلون ، فقال له أبو يعقوب : أجب عن هذا وأنا آمن ، قال : نعم ، قال : أنا آمن قبل الجواب وبعده الجواب على نفسي وأهلي ومالي ، قال : نعم فتوثق منه ثم قال له : أخبرني أيما خير ، أنت أو علي بن أبي طالب ، قال : بل علي ، قال : فأيا شر من عاداك أو عادى علي بن أبي طالب ، قال بل من عادى علياً . قال : فهل بلغك أنه آمنهم ثم قتلهم ، لقد حاربوه فما قتل لهم أسيراً ولا أجهز لهم على جريح ولا اتبع لهم مولياً ولا سبي لهم ذرية ولا هجم لهم على منزل ، ولقد كانت الخوارج مقيمة معه فما بدأهم بحرب وهم يكفرونه ، فقد كان ينبغي أن تسلك سبيله لأنك أنت تدعي أنك من شيعته ، فقال له : لولا أني قد آمنتك ، ولولا ما بيني وبينك لقتلتك . فقام أبو يعقوب وخرج وهرب ولم يأمنه . وقد كان صاحب الزنج قبل أن يملك البصرة يغشى العلماء ويجلس إليهم

(١) من كبار رجال الاعتزال انظر المنية والأمل (طبقات المعتزلة لابن المرتضى)

ويتقرب من قلوبهم (١) .

وهذه كانت سبيل سعيد الذي خرج بالمغرب أيام المقتدر (٢) ، فإنه لما تمكن بقيادة من أرض المغرب (٣) ، وصار في جيوش ، راسل ملك الروم وهاداه وتودده وأغراه بالمسلمين ، وبشره بأنه يملك ممالكهم كلها ويستأصل ملك بني العباس ، وأن له إخوانا على مثل رأيه باليمن وبالبحرين وبالكوفة وفي الجبال وبخراسان ، وأنه قد سلطه عليهم . وكان يبشره بالمكاره التي تنزل بالمسلمين ، وسير جيشا له عظيماً مع ابن له إلى مصر ليأخذها ، وعرف الروم هذا ، فسيروا جيشا إلى الثغور ، وكان هؤلاء ينصرون أولئك في الثغور ، وشغلوا / ١٥٦ ب فسيروا جيشا إلى الثغور ، وكان هؤلاء ينصرون أولئك في الثغور ، وشغلوا المسلمين وشتتهم . وكان هذا بعد الثلاثمائة للهجرة .

وكان عندهم أن أبا سعيد الحسن بن بهرام الجنابي صاحب البحرين يعينهم فإنه كان على رأيهم ومواطناً لهم (٤) ، وكان عندهم أنه إذا انقضت سنة ثلاثمائة ظفروا وظهروا على الاسلام كله ، وأن سعيداً الذي بالمغرب هو المهدي وهو الذي يغلب ويظهر . وكانوا يكتبون الشيعة بالعراق في كل مكان بذلك ، ويقولون لهم : انتظرونا وكونوا على أهبة فإننا لا نتأخر . فاتفق قتل أبي سعيد الجنابي في سنة إحدى وثلاثمائة ، وأخلف ما ظنوه ، وانهمز أولئك الذين نزلوا على مصر ورجعوا إلى المغرب ، ورجعت الروم بسبي عظيم من المسلمين ، وكان ذلك في سنة اثنين وثلاثمائة . ثم عادوا إلى مصر بأعظم من تلك الجيوش

(١) الزنج أو الزط قوم من أخطاط الناس غلبوا على طريق البصرة وعاثوا فيها ، ولما استقر الحكم للمأمون سنة ٢٠٥ هـ بعث إليهم عدداً من قواده ففترقوا ولكنه لم يقض على فتنهم قضاء تاماً حتى فعل ذلك المعتصم سنة ٢١٩ هـ .

(٢) سيأتي تفصيل ذلك في موقعه من الكتاب .

(٣) بلدة كانت بالمغرب ، بينها وبين القيروان أربعة أيام . معجم البلدان ٣ : ٥٥

(٤) سبق التعريف بالجنابي هذا ، انظر الجزء الأول الصفحة ١٢٩

في سنة سبع وثلثمائة ، وعادت الروم إلى الثغور وحرقوا وسبوا ، وخرّب هؤلاء بالاسكندرية والصعيد ونهبوا وانهمزوا ورجعوا ، وأخذ الروم مَلَطِيَّة وثغورها (١) ، فهنأهم هؤلاء الذين بالمغرب بذلك ، وبشروهم بما يفعله أبو طاهر بن أبي سعيد الجنابي بالمسلمين وبالْحِجَّاج ، وبقلع الحجر ، وبسبي المسلمين ، وبقتل الْحِجَّاج ، وبسلب الكعبة ، وأنا قد شغلنا المسلمين بأنفسهم عن غزوكم ؛ حتى كتب ملك الروم إلى المسلمين كتابا بذلك وأظهر الشماتة بما نزل بالبصرة وبالكوفة وبمكة وبغيرها من وقائع القرامطة بالمسلمين وإذلالهم الاسلام . وقد أجب عن هذا الكتاب أحمد بن يحيى بن المنجم نديم السلطان ، وأجاب عنه عيسى بن داود ابن الجراح وزير السلطان .

وأولاد أولئك الذين كانوا بالمغرب إلى هذه الغاية مقيمون على مسالمة الروم ومقاربتهم ومهادنتهم والتقرب إليهم والشغل بإفساد المسلمين والاسلام . فإن غزا الروم أحد من المسلمين من نواحي الشام ومصر وجاءوا بسبي أو أسير أخذهم هذا السلطان منهم وخلع عليهم ووصلهم وبرهم وأكرمهم وأنزلهم أجل المنازل وقال لهم : من أقام منكم عندنا/ فله الكرامة ومن شاء فليرجع ١/١٥٧ فله الحياء والصيانة ، ويراسلون ملك الروم بأنا ما نغزوكم ولا نتعرض لكم ، وما نقدر أن نكاشف في المنع من غزوكم كل المكاشفة ، ولا نرد كل أحد عن ذلك ، وقد علمتم أن من وصل إلينا منكم رددناه مكرما إليكم ، ومن أثار المقام كان في عز وفي كفاية ، ولنا جيوش وعساكر في البر والبحر قد جاورناكم سيما مذ صرنا بنواحي الشام، ومصر ، واذا قصدتم لناحية فيها

(١) بلدة من بلاد الروم مشهورة بتاخم الشام ، فتحها المسلمون ، ثم استعادها الروم سنة ٣٢٣ هـ . ثم عادت للمسلمين مع الدولة العثمانية .

عساكرنا رحلوا عنها وخلوها لكم . ولهم معهم أكثر من هذا التفصيل ،
ولإنما أردنا أن نذكر صحة قوله عليه السلام أن أمته في آخر الزمان تكون إلى
حب الدنيا والبقاء فيخذلون ، وتجتمع عليهم الأمم ، وهذا باب من معجزاته .

وباب آخر

وهو قوله : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ، إنا كفييناك
المستهزئين » (١) . وكانت قريش والعرب قد تفرغوا لمكراهه وتركوا كل
شغل ، وأفردوا كل قوم بضرب من مكروهه كما كانت تفعل اليهود ذلك به ،
فكانت خمسة من مشيخة قريش قد تفرغوا للاستهزاء والمنع في المواسم والمحافل
من أن يُستمع منه أو يُصغى إلى القول منه ، وهم (٢) : الوليد بن المغيرة
المخزومي ، والعاص بن وائل السهمي ، والأسود بن المطلب الأسدي ،
والأسود بن عبد يغوث الزهري ، والحارث بن الطلائة (٣) ، فبلغوا منه في
الاذلال ، فشكاهم إلى الله عز وجل فأرسل إليه جبريل عليه السلام فقال له :
إن الله تعالى قد أمرني بطاعتك فمر فيهم بما أحببت ، فاستند إلى الكعبة ، فمر
به الوليد ، فأومى إلى أخمص رجله ، وكان قد مر برجل من خزاعة وهو
يريش نبلاً له ، فوطيء على فصل منها ، وكان من ذلك مريضاً ثم اندمل ،
فانتقض به عند ذلك ومات .

ب/١٥٧ ثم مر به الأسود بن المطلب / ويبد النبي عليه السلام ورقة خضراء ،

(١) الحجر ٩٤

(٢) كتب في الهامش : خمسة من مشيخة قريش قد تفرغوا للاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم ومنع الناس من استماعهم منه عليه السلام .

(٣) الطلائة : الداهية ، وهو اسم أمه .

فرمى بها في وجهه وقال : اللهم أعم بصره ، وأثكله ولده ، فعمي بصره
وقتل بنوه : زمعة ، وعقيل ، والحرث بن زمعة . ومر به العاص بن وائل ،
فأومى إلى رجله ، فركب حماراً يريد الطائف فطرحه الحمار فدخلت في رجله
شوكة فمات .

ومر به الحارث بن الطلائع ، فأومى إلى بطنه فأكل سمكا مملوحاً ونام ،
فلما كان جوف الليل عطش ، فقام إلى قرية فيها ماء ، فوضع فاه على فيها
فشرب ، فما روى حتى انشق بطنه ومات . وقد علمنا أن كان هناك من كان
يستهيء به ، وأن قوله عز وجل : « إنا كفيناك المستهزئين » ^(١) قد
كفيهم ، وقد قرأ ذلك عليهم ، فعلمنا أن كان هناك مستهزئين وقد كفيهم .

وباب آخر

قوله عز وجل (فكيديوني جميعاً ثم لا تنظرون) ^(٢) فذكرهم بعصمة
الله له منعة لهم من قتله مع وحدته وكثرة أعدائه وحرصهم على قتله واستئصاله
وإطفاء نوره ، فصرفهم الله عن ذلك ، وقد راموه غير مرة وحرصوا عليه .
فا نظر إلى هذا الادلال وإلى هذه الثقة بمنع الله منه ، فإن هذا قول يغيب
ويغضب ويحرضهم على مكروهه ويبعثهم على قتله ويزيدهم حرصاً على
استئصاله ، وهذا من الآيات العظام ، وهو أعظم من صرف الله كيد فرعون
عن موسى ، فإن بني ^(٣) إسرائيل بمصر وهم ستمائة ألف على دين موسى

(١) الحجر ٩٥

(٢) هود ٥٥

(٣) في الأصل : بنو

وتصويبه سوى المشايخ والنساء والأطفال وإن كانوا مغلوبين بسطان فرعون .
وطول مقام موسى مع فرعون بعد ادعاء النبوة سنة واحدة ، ومحمد ﷺ أقام بمكة
خمس عشرة سنة ، وجاءهم وحيداً منفرداً بدينه ، خالف الأمم كلها من أهل
زمانه ، ولم يعتصم . بمخلوق ، ولا صوب أحداً من الأمم ولا من الملوك
الجبابة .

فإن قيل : أو ليس كان عمه أبو طالب يمنع منه ، قيل : ليس في هذا
قدح فيما ذكرنا ، لأنه ما قال أن /أحداً لا يدفع عني ولا يسوؤه ما نزل بي ، ١/١٥٨
وإنما قال في حال وحدته ، لا أقتل ولا تقتلونني مع كيدكم لي ، وإن ربي
أخبرني بذلك ، وهو قال لي : « واذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس » (١) وهو
قال لي : قل لهم : « فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون » وهو قال لي : « والله
يعصمك من الناس » فلو منع نصفهم من قتله لما قدح ذلك في خبره ، ودفع أبي
طالب عنه يؤكد أمر حجته ، فإنه قد كان على غير دينه ، وكان على دين
أعدائه ، ومع هذا كان يدفع عنه ويقول لقريش : هو الأمين الكريم الوفيّ
الذي عرفتموه ، وتشفع إليهم في الكف عنه ، وقد كانوا مع هذا يضربونه
حتى يغمى عليه ، ويسحبونه ، فيقول لبناته وهنّ يبكين : إن أباكنّ لا يقتل
بل يؤذى ، ويقول هذا للناس كلهم ويناله عمه أبو لهب والنضر بن الحارث بن
كلدة ، وأبي بن خلف ، وأمّية بن خلف ، وعقبة بن أبي معيط ، وغيرهم
من قريش ، مع حرص أبي طالب في الدفع عنه ، فيقول صلى الله عليه وسلم :
لا تنالون مني أكثر من هذا ، والعقبى تكون لي ، ولن أقتل ولا أموت حتى
أظهر . فيزدادون غيظاً عليه ، ويجددون عزمهم على قتله ، ويقول أبو جهل
لبنّي مخزوم : لأقتلنّ محمداً ، فإن شئتم حينئذ فأسلموني إلى بني عبد مناف وإن

شتم فدعوا . فقالوا نحن لا نسلمك لشيء أبداً . فأرصد لرسول الله ﷺ إلى أن وجده ساجداً ، فأخذ صخرة ومشى إليه ، فلما دنا ليرضح رأسه بالصخرة التزقت الصخرة بكفه وولى هاربا ، فأنزل الله فيه : « أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى - حتى قال : - فليدع ناديه » (١) لأنه معروف العداوة سيد مطاع . فانظر كيف يقول له : « فليدع ناديه سندع الزبانية » ، وقد أرصدوا له للقتل مرات لا يحصيها إلا الله ، وكان أشد ما عليهم إذا قرأ القرآن وفيه عيبهم وعيب آلهتهم ، مثل قوله في سورة ص ، وياسين ، والفرقان ، وما أشبه ذلك ، / فإنهم كانوا يثورون له ويفورون من أجله ، وكان ذلك شديداً على رسول الله ﷺ لوحده وضعفه ، ولما يعرف من بأسهم وغلظ أكبادهم حتى يقول الله : « وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا ، وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا ، وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولّوا على آذانهم نفورا » (٢) . وإنما قال : « جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا » (٣) لما كان يصيبهم من الغضب والغيط عند تلاوته القرآن ، فأضاف ذلك إلى نفسه لهذا المعنى ، لا أنه جعل على قلوبهم أكنة ولا في آذانهم وقرا ، وهذا كقول رسول الله ﷺ : (شيتي هود واخوانها) (٤) ، لما كان يلحقه عند الفكر فيما يتلوه منها من خشية الله وخوف نقماته ، لا أن هود وأخوانها كانت تفعل فيه الشيب . ومثله قوله عليه السلام : (حبك للشيء يعمي ويصم) (٥) لا أن الحب يفعل العمى والصمم ، ولكنه

(١) العلق ٩

(٢) الإسراء ٤٥

(٣) الأنعام ٢٥

(٤) فيض القدير ٤ : ١٦٩

(٥) فيض القدير ٤ : ٣٧٢

إذا أحبّ الشيء ذهب مكبباً على وجهه فلم يثبت، فتبصر عينيه ولا يصغي فيسمع قول من ينصح له ، وقد قال الله عز وجل « فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً »^(١) ، والنذير لا يفعل فيهم النفور ، ولكنهم لما نفروا عند إنذاره نسب نفورهم إليه ، وهذا من الاستعارة الحسنة ، وهو معروف في اللغة . فسلامته ﷺ منهم وهذه حالهم وحاله كمن قال : الدلالة على صدقي أنني أخوض هذه النار العظيمة وألث فيها وأخرج منها سليماً ، فهذه كانت حال رسول الله ﷺ مع هذه الأمم ، فإنه أقام بعد ادعاء النبوة بمكة خمسة عشرة سنة بين هذه الشدائد المتوالية والأهوال المتصلة ، وهو يخرج إلى المواسم ، ويقوم في المحافل ، ويرز إلى القبائل ، ويعرض نفسه ، ويذكر ما يدعو إليه ، وهو وحده ومعه أبو بكر الصديق أو أبو بكر وعليّ / بن أبي طالب ، ١/١٥٩ وقريش ترصده وتتبعه برجالها ودهاتها في التنفير عنه والصد عنه ، فأين كان أبو طالب ، وكم يكون أبو طالب مع هذه القبائل والعشائر وهم يتوعدونه وهو لا يلين ولا يفتر .

ولقد كان عمه أبو طالب يعزله فيما أتاه من مخالفة دين آبائه ويسأله أن يكف عنهم وأن يلين لهم ، ويضرع له ويطاوله ويدبره في كل جهة ، ويخوفه بأسهم^(٢) وسطوتهم وأنه لا يأمن قبلهم ، فلا يلين ، ويقول يا عم : ما كان لي أن أراهن في أمر الله ، حتى يبكي ﷺ من طول معاتبة عمه له ويقول : ما كنت لأفعل . فإذا قال له إني أخاف عليك منهم ، إني غير آمن عليك مكر قريش وإن دافعت عنك ، فيقول ﷺ : إن ربي قد ضمن لي

(١) فاطر ٤٢

(٢) في الأصل : بأسه ، ولعل الصحيح ما أثبتناه

صرفهم عني ، فيقول أبو طالب : يا ابن أخي ، ما اطوع ربك لك ، فيقول : له : وأنت يا عم لو أطعته أطاعك .

وقدمت أبو طالب ، وأقام ﷺ بعده وهو على شدته عليهم ، وأشد بكثير مما كان عليه في حياة أبي طالب ، وغيظهم أشد . فإن القرآن كان يتوالى نزوله بما يكرهون ، فيجيب من يجيب منهم رسول الله ﷺ ، فيتضاعف غيظهم ، ويتجدد عزمهم على قتله واستئصاله ، فيجدون ويشمرون ويسعون ويرهبون فلا يغني عنهم كيدهم شيئاً ، « ومكر أولئك هو يبور » (١) . ولقد كانوا يمحرون به المكر العظيم ، كما قال الله تعالى : « وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال » (٢) وما كان ليقول هذا عنهم والعدو والولي يسمعه إلا وهو كما حكاه عنهم .

وفي هذا المعنى يقول عز وجل : « من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ » (٣) أي من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً في الدنيا والآخرة ولن يفسي له بما يدعي محمد عليه ، فليجتهد جهده ، وليستفرغ وسعه في استئصال محمد ١٥٩/ب وإطفاء نوره وطلب كذب يكون / منه ، ثم لينظر هل يجد ما يشفي غيظه ، فإنه لا يجد ذلك ، بل يجد ما يضاعف غيظه ، وهذا أيضاً من تلك الأبواب التي تبعث على قتله وتذكر باستئصاله .

وكم كان يلقي من يجيب رسول الله من الذل والضرب والهوان والتجويع

(١) فاطر ١٠

(٢) إبراهيم ٤٦

(٣) الحج ١٥

والتعطيش والحنفاء والسب وأصناف المكاره التي يطول شرحها ، وهي مذكورة
 في مواضعها ، معروفة لا يشك أهل العلم فيها . حتى يكون مثل عثمان بن
 عفان مع كثرة ثروته وصلته لأرحامه وشرف رهطه وحلمه وأناته لا يمكنه
 المقام بمكة ، ففر إلى أرض الحبشة ومعه رقية بنت رسول الله ﷺ . وكذلك
 جعفر بن أبي طالب وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وأم حبيبة رملة بنت أبي
 سفيان أم المؤمنين . وفر الزبير مع شرفه وشجاعته . ، ومن شئت من الوجوه
 والأشراف فما أمكنهم المقام وهذه حالهم ، فكيف بالموالي والفقراء وقريش
 تطلبهم ، وتعبّر البحار في طلبهم ، ويكون لهم مع النجاشي ما هو معروف .
 ومن هاجر إلى المدينة اتبعوه ، فإن وجلوه في الطريق ردوه قهراً ، وإن وجلوه
 في المدينة خدعوه وسألوه زيارة أهله وعطفوه على أبيه ورغبوه في صلة رحمة
 وأمنوه على نفسه ودينه ما أقام معهم ، فكم ممن أجابهم واغتر بهم لما ردوه
 صفدوه بالحديد وعذبوه ، ومن أحسنّ منهم بولده قد أسلم قيده ، كما فعل
 سهيل بن عمرو بابنه أبي جندل بعد الهجرة ، وكما صنع أبو أميمة سعيد بن
 العاص بابنه خالد بن سعد ، فإن أبا بكر الصديق لقيه وعرفه حسن الاسلام ،
 فأجابه ، فعلم أبوه بإسلامه فأرسل في طلبه جماعة فأخبروه أنهم لا يجدونه ،
 فقال : الطائف ، فجاؤوا الطائف فلم يجدوه ، فأخبروه أنه يكون بأعلى مكة في
 شعب أبي ذر قائماً يصلي ، فأتوا به إلى أبيه ، فأتته وبكته وضربه بمقرعة / ١٦٠
 في يده حتى كسرها على رأسه ، ثم قال له : اتبعت محمداً وأنت ترى خلافه
 قومه ، وما جاء به من عيب آلهتهم وعيب من مضى من آبائهم ، وزعمه أن
 للناس بعد موتهم داراً يدخلونها فيخلدون فيها ، فما أعجب هذا . وأخوته
 وأهله يشهدون ، بل هم ردوه إلى أبيه ، فقال خالد قد اتبعته وصدق والله
 محمد . وحاجته ابنه ، فغضب أبو أحيحة ونال من ابنه وشتمه ، وقال : اذهب

يا لكع حيث شئت ، والله لأمنعك القوت ، قال : إن الله يرزقني ما أعيش به ، فأخرجه وقال لبنيه : لا يكلمه أحد منكم إلا صنعت به ما صنعت . فخرج خالد ، فلقبه أبو سفيان صخر بن حرب فقال : قد فعلتها يا خالد ، ما شكرت أباك ، ولقد هدمت شرفك الذي ينالك ، فقال خالد : بل عمرت ذلك الشرف ، قال أنت غلام حدث ، لو بسط عليك العذاب لأقصرت ،

وصار خالد إلى رسول الله ﷺ ، فكان يلزمه ، وجعل من لقيه من فوقه يؤنبونه ، ويستقصرون فعل أبيه وتركه له ، وأنه قد كان ينبغي له أن يبسط عليه المكروه ويواليه عليه . فأتاه أبو جهل فقال : يا أبا أحيحة ، ما أدري أضعفت أم ضجعت الرأي أو أدركتك المأفة^(١) ، قال : وما ذاك ، قال : تركت ابنك يتبع محمداً أو أنت سيد قريش وكبيرها والمطاع فيها ، فيتجرأ علينا شبابنا ويقولون : هذا ولد أبي أحيحة قد أسلم ولم يصنع به شيئاً ، فقال لا ما ضعفت ، إني لأقوى قريش نفساً وأكثرها عدداً ومالاً . وأما قولك : ضجعت الرأي ، فما الرأي عندك في أمره ، قال حبسه والتضييق ، فقال : والله ضربته حتى كسرت العصا على رأسه ، وحرمته القوت ، فهذا أشد الأمور عليه ، فلم أره حفل بواحدة منها . وأما قولك : المأفة ، لقد غاظني أمر محمد أنه أوسطنا ب/١٦٠ نسباً ، وأنه نشأ فينا / كأحسن ما نشأ به أحد من الشباب من حسن الحديث وأداء الأمانة وحسن الخلق ، فجاء بدين محدث ، فرق جماعتنا وشتت أمرنا وأذهب بهائنا واجترأ علينا . وأخرى إن صدقني ظني - وهو صادق - أنه خارج إلى قوم يقوي بهم ثم يدخل بهم عليكم . قال أبو جهل : لا تقل هذا ، فما الفرج لنا إلا في اخراجه وتحويله عن ديارنا ، فإنه إن خرج عادت إلفتنا ، وعدنا لدينا

(١) جاء في اللسان : ضجع في أمره واضجع وأضجع : وهن ، والضجوع : الضعيف الرأي والمأفة : الأنفة وشدة الغضب والحمية ، ونكث العهد من الأنفة .

القديم الذي كان عليه آباؤنا . فخرج من عنده وهو يقول : تَغْيِيرِ أَبُو أَحِيحَةَ ، ما هو إلا الكبير ، ما اجترىء عليه بهذا حتى أنسوا ضعفاً . ففر خالد إلى أرض الحبشة .

وإنما ذكرت لك طرفاً يسيراً من صنعهم بفتيانهم وأولادهم ومهجمهم إذا اسلموا ، وشدة الرؤوساء منهم على من لم يبالغ في ذلك ، فأما ما صنعوا بأبي بكر مع حلمه ونبله وسعة جاهه وكثرة خللاته من ساداتهم ، ثم بمن يليه طبقة طبقة ، فأعظم من كل عظيم .

وَبَابِ آخِرِ

وهو قوله عز وجل : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ، إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين ، وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » (١) . فورثها أصحاب محمد ﷺ كما قال وكما أخبر ، وفيه مع كونه دلالة على نبوة محمد ﷺ لما في الكتب التي أنزلها الله عليهم ، ان النبي الأخير من ولد إسماعيل بن هاجر بن إبراهيم ، القائم من فاران ، هو أعز وأعلى وأقهر من جميع النبوات ، وأن أتباعه الصالحين يرثون الأرض ويحيون الحق ويميتون الباطل ويدلون الجبابرة كما هو مذكور في الكتب ذكراً تقدم به الحجة عند العلماء ، وقد ذكره من أسلم ، مثل عبد الله بن سلام ومن يليه طبقة طبقة ، وللعلماء فيه كتب مفردة ، مثل أحمد بن يحيى بن المنجم / المعروف ١/١٦٦ بالنديم ، ومثل أبي عبد الله محمد بن زيد الواسطي الكاتب ، ومثل أبي بكر الزهيري الكاتب ، ومثل ابن قتيبة ، وغيرهم ، فإنهم ذكروا تلك المواضع من تلك

(١) الأنبياء ١٠٥

الكتب ، وما فيها من البشارات والإشارات ، فإن أردتها وجدتها ، وإن كان فمعك ما يغنيك عنها (١) .

وفي هذا أيضاً دلالة على صحة إمامة أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وأتباعهم وشيعهم ، فإن الله قد شهد لهم بالصلاح وهم ورثوا الأرض . فإن قيل فقد ورثها بعضهم ممن (٢) ليس هو في مثل حالهم عندهم ، حتى انتهى ذلك إلى القرامطة والروم وأشباههم ، ومن يقرب حاله من حالهم ، فإنهم قد غلبوا على كثير من الأرض . قيل له : لو ملكوا الأرض كلها لم يقدح ذلك في هذا العلم ولم يؤثر في هذا الخبر ، لأنه ما قال : لا يرثها إلا الصالحون ، ولا تخرج من أيدي الصالحين .

ومثله قال موسى لقومه : « استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » (٣) ، ومثله قوله : « وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ، وتمت كلمة ربك الحسنی على بني إسرائيل بما صبروا » (٤) ، وقد خرجت من أيدي بني إسرائيل وملكها بخت نصر وملوك الروم وأمثالهم من الكفرة ، وهذا غير مشكل .

وقوله في آخر الآية : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » (٥) يزيدك علماً بأن المراد ، أن الوارثين (٦) للأرض هم أهل دينه والقائمون بشريعته ،

(١) أحمد بن يحيى المنجم المتوفى سنة ٣٢٧ هـ أديب وشاعر ومتكلم وفقيه. معجم الأدباء: ١٤٦
ومحمد بن زيد الواسطي المتوفى سنة ٣٠٦ هـ متكلم معتزلي . الفهرست ١ : ١٧٢ . وأظنه يقصد ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم الدينوري . المتوفى سنة ٢٧٦ هـ .

(٢) في الاصل : من

(٣) الأعراف ١٢٨

(٤) الأعراف ١٣٧

(٥) الأنبياء ١٠٧

(٦) كتب في هامش الأصل : الوارث ، الصواب : الوارثين .

وهذا خبر وبشرى ووعد ، وإخبارُ الله لا يكذب ، ووعدُهُ لا خلف له .
فشهد عز وجل لمن قدّمنا بالصلاح ، وعند الإمامية وطبقات الرافضة أن أبا
بكر وعمر وعثمان والبدرين والمهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم وأعانوهم
على وراثة الأرض حتى أبادوا الأمم وغلبوا ملوك الفرس والروم والترك
١٦١/ب وغيرهم من أمم الشرك كانوا اكفاراً مشركين طلاب دنيا لا طلاب دين /
وأثمهم غيروا القرآن ، وعطلوا النصوص ، وبدلوا الشريعة من الطهارة والأذان
والصلاة والمواقيت والصوم والمواريث والنكاح والطلاق ، ورفعوا ما كان
ووضعوا ما لم يكن ، وشهادة الله لهم بخلاف قول هؤلاء فيهم .

وأنت وإن كنت قد عرفك الله بعقلك بطلان دعاويهم عليهم فاعرفه أيضاً
بالسمع ، فقد أتاك الله به في غير موضع من القرآن ومن غير القرآن . وفي قوله
عز وجل : « ليظهره على الدين كله » (١) دلالة أيضاً على طهارتهم وعمق
إيمانهم وبراءة ساحتهم ، فهم أظهروا الدين ، وأخذوا الممالك والأمصار ممن
قبلهم ، والذين من بعدهم إلى طاعتهم رجعوا ، وبأمرهم سفكوا الدماء ،
وبقولهم أخذوا وأعطوا ، فلو كانوا مبطلين لما كان الظاهر هو دين رسول الله
صلى الله عليه وسلم على الدين كله ، بل كان ماذهب إليه هؤلاء الصحابة
ظاهراً ، ودين رسول الله ﷺ الذي تدعيه الرافضة خاملاً خفياً ميتاً ، فإن الذي
يقول الإمامية أنه الحجة وأن الحق معه قد كان مغلوباً مقهوراً ، قد أسكته
بزعمهم الخوف عن النطق بالحق والدعاء إلى دين النبي ، وألجأه إلى تصديق
الكاذبين وتكذيب الصادقين ، وموالة المشركين . والذي قرره هؤلاء الصحابة
من الدين والشريعة والقرآن هو الظاهر على الأديان ، القائم به الحجة إلى الآن .

(١) التوبة ٣٣ ، الفتح ٢٢٨ الصف ٩

فإذاً قد أخلف هذا الوعد من قوله : «ليظهره على الدين كله» ، فاعلم ذلك
ففيه أتم كفاية .

وهم يقولون : مآظهم بعد ، وإنما يتم ظهوره بقيام صاحب الزمان . وجواب
هذا : السكوت عنه والتعجب منه ، فإنه ليس مع المكابرة مناظرة .

وقد علم المتأمل كذب من ادعى أن دين رسول الله ﷺ كان في زمن
أبي بكر وعمر وعثمان ذليلاً ميتاً قد أطفئ نوره وقلعت أصوله . / وقد ١/١٦٢
علمنا أن في زمان هؤلاء كسرت الأصنام ، وهدمت بيوت النيران
وتعطيل^(١) النوروز والمهرجان وعيد السلامة وعيد الصليب ، وتمزق التقويم^(٢)
وكسر الاصطراب ، ولما انضاف إلى ذلك من جميل أفعالهم فقد تيقننا أن
هذا هو المراد من دين الإسلام وهو معنى ظهوره .

ومن عجيب الأمور أن أصحاب الزنجاني القاضي قد تستروا بالتشيع ، وهم
من عداوة النبي ﷺ والطعن عليه وإخراج الناس من دينه بكل حيلة ، إذا
أرادوا التشفي منه قالوا لنا : الآن انحل أمره وبطل دينه ، وأوردوا ما قد
ظهر من تعطيل الحدود وأخذ المكوس وارتكاب المحرمات وترك الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر . ويقولون : انظروا إلى وجوه قريش واعتصامهم
بالتقويم والاصطراب ، ورجوعهم إلى أرباب هذه المقالات ، وتدبرهم بهم
دون الاستخارة بالقرآن والرجوع إلى وصايا نبيهم ، وغير ذلك مما قد ارتكبه
الملوك والخاصة . ولو استطعنا تسمية أصحاب الزنجاني وذكر القرشيين الذين

(١) في الأصل : تعطيل

(٢) في الأصل : تمزيق

قد سلكوا هذه السبيل والأمصار التي غلب عليها هذا لكان أشقى وأبين ،
ولكننا لانقدر على ذلك من الخوف ، والله المستعان .

وباب آخر

من آياته ، لما أنزلت : « وأنذر عشيرتك الأقربين » ، فجمعهم وقام
فيهم وخطبهم ودعاهم إلى مفارقة دين آبائهم ، وذكر لهم ما لهم في ذلك من
نعيم الجنة إن أجابوا ، وما عليهم من عاجل العقاب إن أبوا ، وأن الله يبعث
عليهم جنوداً من جنوده يجاهدونهم مع رسوله ونصرة لدينه مع ما عليهم من
عاجل ^(١) العقاب ، فغضبوا ونفروا ومشوا إلى أبي طالب يشكون
ويتوعدون ، وأنهم أكثر جنوداً . وقد ذكر الله ذلك في قوله حاكياً عنهم :
١٦٢/ب « أجعل الآلهة/ إلهاً واحداً » ^(٢) إلى قوله : « جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب » ،
وهذا نزل بمكة قبل الحرب فكان كما قال ، فانظر في أي حال توعدهم
بهزيمتهم ، وعلى أي وجه أورده على قلوبهم وأثارهم وغازهم وأوجعهم ،
فإنها حال كان فيها في قبضتهم وأسيراً في أيديهم ، وهم القوم الذين لا صبر
لهم على ضيم ، ولا ينامون على وتر ، ولا يقيمون على مكابرة الغيظ ، كيف
يقصر الله أيديهم عنه ، ويقيه كيدهم وشرهم ، وتلك حالهم ، فاحفظ هذا
وأمثاله .

واعلم أن أعداء رسول الله ﷺ اجتمعوا وجمعوا كيدهم وقرؤوا
كتابه ، فزعموا أنه ﷺ في ابتداء أمره وهو مقيم بمكة ما خالف قومه

(١) في الأصل : من أجل ، ولعل الصواب ما أثبتناه

(٢) سورة ص ٥

ولا أغضبهم ولا أعاظهم ، بل كان مصوباً ومقاربا لهم ، ألا ترون أنه قال لهم : « وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين » (١) وأنه قال لهم : (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لا حجة بيننا وبينكم) (٢) . قالوا : وإنما توعد بالحرب وزال عن هذا حين صار بالمدينة وفي جماعة . وهذا يقوله ابن الراوندي حين اجتمع مع لاوى اليهودي ، وساعدهما أمثالهما من الأشقياء حين نظروا ودبروا وكادوا المسلمين ، فانصرفوا عن الضرورات بالتأويلات وسموا الكتاب الذي ضمنوه هذا وأمثاله كتاب الدماغ (٣) .

وكل عاقل سمع الأخبار يعلم علماً يقيناً لا يرتاب به ، أنه ﷺ حين ادعى النبوة وساعة انتحل الرسالة كاشف بدعوة الاخلاص ، وأكفر كل من خالفه ، وادعى أنه يظهر ويغلب ، وأنه يصير في جماعات وعساكر ، وأنه يقتل أعداءه ومخالفيه وينلهم ، وأن العقبي تكون له . ثم أكد ذلك بأن جعله قرآناً يتلى .

فما نزل بمكة من ذلك ، قوله : « أم يقولون نحن جميع منتصر ، سيهزم الجمع ويولون الدبر » (٤) ، وقوله : « جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب » (٥) ، وقوله : « ولا يحزنك قولهم ، إن العزة لله جميعاً » (٦) ،

(١) سبأ ٢٤

(٢) القصص ٥٥

(٣) كتب في هامش الأصل : كتاب الراوندي ، وقد سبق أن عرفنا به . انظر ١ : ٥١ من الكتاب .

(٤) القمر ٤٤

(٥) ص ١١

(٦) يونس ٦٥

أي تغلب ولا / تغلب ، وقوله : «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير» إلى قوله : «ولله عاقبة الأمور» ، فإنهم قد كانوا بمكة يقاتلون أشد القتال ، وكانت محنة المسلمين فيها أغلظ ، فإنهم كانوا يُضربون ويذاسون ويحبسون ويجتمع النفر بعد النفر منهم فيدفعون عن أنفسهم ، سيّما حين أسلم عمر ، فإنهم عزوا به ونهه عنهم قليلا ، ثم ما أطاقوا المقام . وأمثال هذه من الآيات مما نزل بمكة كثير .

ثم في قوله : «وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين» إكذاب لهم وتضليل لهم ، وهو كقول الرجل لخصمه إذا أراد الرفق به لينقاد له ولينظر فيما معه إذا كان مدلاّ بحجته : أحدنا مبطل وأحدنا ضال هالك ، لا يشك عاقل أن هذا تعريض بخصمه .

وكذا قوله : «لا حجة بيننا وبينكم» هو في هذا القول أشد ما كان في إقامة الحجة عليهم ، فتأمل قوله عز وجل : «فلذلك فادع واستقم كما أمرت» (٢) إلى قوله : «والذين يحاجون في الله من بعدما استجيب له حججهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد» إلى ما بعد ذلك ، وإنما هو كقول الرجل لخصمه إذا ظهرت حجته واتضح قوله وبان بطلان ما أتى به خصمه : ما بعد هذا كلام ، وما بعد هذا مقال ، وما بيننا حجة ، وما يحتاج إلى شاهد ولا دليل .

فمن أيّين فضيحة ممن طعن على رسول الله ﷺ بمثل هذا بعد أن جمعوا كيدهم واستفرغوا وسعهم ، ولكنهم لشدة إفلاسهم وقلة حيلتهم وخيبة

(١) الحج ٣٩

(٢) الشورى ١٥

سعيهم لم يجدوا في الطعن عليه إلا التكدُّب عليه والبهت له .

وهم الذين قالوا في قوله : «وما أدري ما يفعل بي ولا بكم» (١) ، قالوا : قد أظهر الشك في أمره ورجع عن قوله ، وكل عاقل سمع أخباره يعلم باضطرار من قوله وقصده أن لا حقَّ إلا ما كان معه / ومنه ومن عنده ومع أتباعه إلى يوم القيامة ، يعلم هذا من قصده قبل العلم بنبوته ، ولهذا نظائر مما يذكرونه ، وإنما ذكرت هذا لك لتعرف مقدار كيد الخصوم وظهور فضيحتهم ، وهؤلاء هم الغايات في التجريد في طلب معايبه والتفرغ لذلك ، يمدُّ بعضهم بعضاً ويعين بعضهم بعضاً ، ولهم من يزيح عنهم بالأموال من اليهود والنصارى وغيرهم من أعداء رسول الله ﷺ ومن يتستر بالتشيع ، فقد كانوا يأخذون ابن الراوندي وأمثالهم ، فيزيحون عنهم ، ويجمعون الكتب لهم ، ويأتونهم بمن يعينهم ويكتب عنهم ولهم .

وباب آخر

مما جاء من آياته ، وما أخبر به عن سلامته وقيام حجته وظهور أمره ودينه على الدين كله ، قوله في سورة بني إسرائيل وهي مكية : «وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً ، وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً» (٢) فتأمل ما في هذا القول من امتهان الخصم وإذلاله وتهيجه وإغضابه وإثارته والعلو عليه ، وأنه مفتضح لا حجة معه ولا حراك به ، وهم أشد الناس حرصاً على

(١) الاحقاف ٩

(٢) الإسراء ٨١

تكذيبه وفضيحته واستئصاله وإطفاء نوره .

ومثله قوله : «وقل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد»^(١) أي : قد أخرجهم حقلك وأسكتهم وأماتهم فما يجدون سبيلا إلى تكذيبك ، وهذا أشد على قريش والعرب من ضرب السيوف ووقع السهام ، وهم المعروفون بغلظ الأكباد والفرار من العار .

ومثله قوله : «إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولّوا مدبرين»^(٢) وقوله : «وما أنت بمسمع من في القبور»^(٣) ، فتأمل في هذا فإنه قول مختصر وفيه معان عظيمة ، ولقد قال / عليه السلام : (أوتيت جوامع ١/١٦٤ الكلم واختصر لي اختصاراً) .

ولولبغهم دون هذا عن ملك الصين أو الروم لما صبروا حتى يذبوا عن مجدهم وينضحوا عن أنفسهم ، فكيف عمّن هو معهم وفي قبضتهم ومنهم ، وقد ادّعى مافيه كل الرئاسة والسؤدد ، وما ترك شيئاً يغيظهم ويغضبهم ويسقط من أقدارهم وأقدار آبائهم إلا وقد أتى به وارثه ، وألجأهم إلى تكذيبه وإقامة حجة عليه ، فما وجدوا إلى ذلك سبيلا .

ولقد كان يبلغهم أن كسرى ملك فارس يسفه أحلام العرب ويستخف عقولهم ، فيقلقهم ذلك ويحزنهم ، ويرسلون إليه من يستأذنه في النطق بين يديه فيما بلغهم عنه ، ولا يصبرون وإن كانوا مقهورين مغلوبين والملوك تحييفهم وتستر كههم^(٤) ، وليس أحد يبكي من الهجاء ويحزن من الضيم

(١) سبأ ٤٩

(٢) النمل ٨٠

(٣) فاطر ٢٢

(٤) هكذا في الأصل ولعلها تسترقهم

غير العرب وسيما قريش ، فكيف بهم مع رجل يقيم على هجومهم خمساً وعشرين سنة بكتاب يتلو فيه ليلاً ونهاراً مثل قوله : «أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه» ،^(١) وقوله : «أفرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً ، أم يحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً»^(٢) ومثل قوله : « ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء ، صم بكم فهم لا يعقلون »^(٣) ، ومثل قوله : «لقد ذرنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون»^(٤) ، ومثل هذا كثير ، فتأمل تجده ، وتأمل ما في هذا من الأدلال بالحق والدعاء إلى البحث والنظر ، وعرض مامعه على عقول ب/١٦٤ ب العقلاء لينظروا/ فيما أتاهم به ، والمبطل لا يفعل هذا .

فتأمل مذاهب النصارى والمجوس فإنهم يمتنعون عن البحث والنظر والتفتيش والقياس ، وكذا يصنع الفلاسفة ، فإنهم ينهون أصحابهم عن المتكلمين ويقولون : هؤلاء سوفسطائية ، ويقتصرون على الرضا عن أنفسهم والعجب بما معهم .

وانظر إلى هذه الطائفة : القرامطة التي قد طبقت الأرض ، وفيها الملك ، واستهوت الأمم ، كيف يُحلفون من يجيبهم على كتمان ما يلقونه إليه ، وأن لا يخرج به إلى أحد ، ولا يشكو مابه إلى أحد ، ولا يعرض مامعه على أحد لينظر

(١) الجاثية ٤٣

(٢) الفرقان ٤٣

(٣) البقرة ١٧١

(٤) الأعراف ١٧٩

ماعدنه ، هذا مع الملك القاهر والتستر بالاسلام ، فتأمل ما في هذا .

ولقد ضاقت قريش ذرعاً بما يسمعون منه ﷺ ليلاً ونهاراً ، ويربصون به الموت فلا يموت ، ويرومون قتله مع وحدته فلا يتم . فأجمع رأيهم على هجرته وهجرة الأذنين من بني هاشم ، مؤمنهم وكافرهم ، إلا من جرّد في قصده مثل تجريدهم ، وترك مبايعتهم ومناكحتهم ، ومنعهم من ابتياع ما يؤكل ويشرب ، والتضييق عليهم والإساءة إليهم ، وحصرهم في شعب من شعاب مكة ، حتى يقتلوا محمداً أو يسلموه إليهم حتى يقتلوه أو يملأوا به . وتحالفوا على ذلك ، وكتبوه في صحيفة علقت في بيت الله الحرام بمكة . فمكث ﷺ ومن معه من أهله في ذلك الشعب أربع سنين متواليات في الحصار الشديد ، لا يدخل إليهم ما يتقوتونه إلا بالحليلة والمسارقة ، ولا يقدر أن يخرج منهم إنسان في حاجة إلا عن غفلة من المشركين أو ليلاً .

وقد شملهم الخوف فلا يأمنون إلا من موسم إلى موسم ، وأهله/ يتضرعون ١/١٦٥ إليه بأن يلين لقومه من قريش و، يمسك عن عيب آلهتهم ، أو يرجع عن تضليل آبائهم ، ويخوفونه فلا يلين ، ولا يزداد إلا شدة وصرامة . ثم أخبرهم بعد أربع سنين : أن ربي أوحى إليّ أنّي قد سلطت الأرضة على الصحيفة التي كتبها المشركون فأكلت كل موضع منها فيه ذكر عقوق أو قطيعة وتركت ماسوى ذلك ، فقال له عمه أبو طالب وكان كافراً مقيماً على دين قريش : يا ابن أخي ، انظر ماتقول ، فإني لست آمن إن لم يكن الأمر حقاً أن يشتد علينا قومنا ويزيد أذاهم لنا ، فقال له رسول الله ﷺ : ماقلت لك إلا حقاً ، فامض لشأنك .

فتزل أبو طالب وقريش في أنديتها ، فلما رأوه قالوا له : نرجو أن تكون يا أبا طالب جئت لصلاح وخير ، وأن يكون ابن أخيك قد أقصر عن شأنه وما نكره من أمره ، قال أبو طالب : للخير والصلاح جئت . فلما استقر به مجلسه

قال : إن محمداً أخبرني ، ووالله ما كذب قط قبل أن يقول إن ربه أرسله فكيف الآن ، إن ربه أوحى إليه في هذه الليلة أنه سلب الأربعة على الصحيفة التي تملأتم على كتبها علينا فأكلت منها كل موضع فيه ذكر عقوق وقطيعة ومأثم ، فانظروا فيما ذكر ، فإن كان الأمر على ما قال فعلام تستجيزون ما أنتم عليه . فأحضرت الصحيفة وفتحت ، فوجد الأمر على ما أخبر به النبي ﷺ عن ربه ، فحزني المشركون ، وفرح المسلمون ، وفرج الله عن بني هاشم ، فخرجوا من الحصار الذي كانوا فيه ، وعادوا إلى ما كانوا عليه ، وكان هذا من الفتوح العظيمة .

والأمر في شأن هذه الصحيفة معروف ، يعرفه أهل العلم كعرفتهم بما كتبه ب/١٦٥ بن النضر بن الحارث بن كلدة من أخبار رستم واسفنديار (١) ، حين دخل إلى الفرس يشكو إليهم رسول الله ﷺ ، ويأتي بما يعارض به القرآن . وكالعلم بما كتبه رسول الله ﷺ إلى كسرى ملك فارس مع عبد الله بن حذافة السهمي ، وبما كتبه إلى قيصر مع دحية بن خليفة الكلبي (٣) وبما كتبه إلى المقوقس ملك مصر مع حاطب بن أبي بلتعة (٤) ، وبما كتبه إلى النجاشي ملك الحبشة . فأهل العلم لا يرتابون بشيء من أمر هذه الصحيفة ، كما لا يرتابون بما قدمنا ذكره . فاعرف

(١) النضر بن الحارث هو ابن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف ، كان إذا جلس النبي صلى الله عليه وسلم مجلساً جلس النضر بعده فحدث بأخبار ملوك فارس ورستم واسفنديار . مات على الشرك سنة ٢ هـ .

(٢) هو عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي ، صحابي أسلم قديماً وبعثه النبي إلى كسرى ، هاجر إلى الحبشة وحضر فتح مصر وتوفي بها أيام عثمان سنة ٢٣ هـ . الاعلام ٤ : ٢٠٦

(٣) هو دحية بن خليفة الكلبي ، صحابي بعثه الرسول إلى قيصر يدعوهُ للإسلام ، حضر كثيراً من الوقائع ، نزل دمشق وسكن المزة وتوفي سنة ٤٥ هـ . الاصابة ١ : ٤٧٢

(٤) هو حاطب بن أبي بلتعة اللخمي ، صحابي شهد الوقائع كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الرسول إلى المقوقس صاحب الاسكندرية ، توفي سنة ٣٠ هـ . الاصابة ١ : ٣٠٠

هذا فإنه باب من أعلامه ، ولا تظنه من أخبار الآحاد والنفر ، وإنه جاء مجيء ماقدمنا ذكره من تلك الأمور التي جاءت مجيء القرآن ، ولها نظائر .

وإنما أردنا ذكر شدة قريش على رسول الله ﷺ والمسلمين تلك السنين ، فقد كانوا منهم في مثل النار المتأججة .

واستأذن الصحابة رسول الله ﷺ في الهجرة والفرار لما يلقون من الأذى ، فأذن لهم ، غير أبي بكر ، فإنه احتبس نفسه لنفسه ، وقال له : أقم عليّ ، ففعل الله بأذن لي في الهجرة فتكون معي ، فأقام . ومات أبو طالب ، واشتدت قريش على رسول الله ﷺ ، وقالوا : إلى كم نصبر على سبّ محمد لنا ولآبائنا وآلهتنا ، وإلى كم لا نناجزه ، فإذا حبسناه ، أو أخرجناه إلى حيث نرى ، أو قتلناه ، خذوا فيما يريحنا منه ، وقدموه ولا تؤخروه . فاجتمعوا ودخلوا دار الندوة ، وكتبوا سرهم ، ولم يدخل معهم إلا من انتخبوه من ثقاتهم . فقال قائلهم : انظروا في شأن هذا الرجل ، فوالله ليوشكنّ أن يواتيكم في أمركم بمن قد بايعه من أصحابه ، وقد تسمعون وعيده ، وأنه يملككم ويملك الأرض . فقال قائل منهم : شدوه وثاقاً واحبسوه ، فيكون أسيراً في أيديكم إلى أن يموت ، وقال بعضهم : أخرجوه من بين أظهركم لتستريحوا منه ؛ وقال قائل ليس هذا / ١/١٦٦ برأي . حتى قال أبو جهل : فإني أشير برأيي : أرى أن يؤخذ من كل قبيلة غلاماً شاباً ، ثم يعطى كل غلام منهم سيفاً صارماً ، فيضربونه ضربة رجل واحد حتى يقتلوه ، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها ، فلا أظن بني هاشم يقومون على حرب قريش كلها ، فإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل فوديناه لهم (١) ، وقطعنا عنا شأفته واسترحنا منه .

(١) أي قبلوا أن يأخذوا ديتهم

فأجمعوا على هذا الرأي ، ورسول الله ﷺ لا يعلم ذلك ، ولا أحد من المسلمين . فأتاه جبريل فأخبره بما عزموا عليه ، وأمره بالهجرة . فاجتمعوا ببابه ينتظرون اجتماع الفتیان ليقتلوه في ليلته ، فخرج وهم ببابه وهو يتلو : « وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون » (١) وجعل على رؤوسهم التراب ، ومضى إلى بيت أبي بكر في الهجرة ، وقد كان يأتيه في كل يوم مرة ، فأتاه في ذلك اليوم مرتين : في الهجرة وفي ساعة مبكرة ، وخلا بأبي بكر وأخبره بما عزم عليه قريش ، وبما أتاه جبريل به ، وقال له : إن ربي قد أمرني بالهجرة وأن آخذك معي ، فبكى أبو بكر مسروراً .

وقد كان أبو بكر أعداً راحلتين يعلفهما ورق التمر منذ أخبره رسول الله ﷺ بأنه ينتظر أمر ربه في الهجرة . فخرجا جميعاً من بيت أبي بكر ، وصارا إلى الغار ، وطلبتة قريش فلم تجده صبيحة ذلك اليوم ، وطلبت أبا بكر فلم يجده ، فتحرقوا والتهبوا ، وهاجوا يطلبونه ويطلبون أبا بكر بمكة وشعابها وجبالها ، وجعلوا لمن أتاهم برسول الله ﷺ مائة ناقة ، ولمن أتاهم بأبي بكر مائة ناقة ، أسيرين أو مقتولين . وقد كان رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه تغش : ببردي ونم في مضجعي فإنه لا بأس عليك ، ولن يصلوا إليك . وصار رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار ، وسارت قريش في طلبهما ومعهم قائف (٢) .

١٦٦/ب وحين دخل رسول الله ﷺ وأبو بكر الغار ، ضربت العنكبوت على بابه بعشاش بعضها على بعض ، فلما انتهوا إلى فم الغار ومعهم القائف يطلب آثارهما ، فلما انتهى إلى ثور انقطع الأثر ، فقال قائل منهم : ادخلوا الغار ،

(١) ياسين ٩
(٢) هو الذي يقتني الأثر

فقال أمية بن خلف : وما أراكم للغار ، إن عليه لعنكبوتاً كانت قبل ميلاد محمد ، فمد ذلك نهى النبي ﷺ عن قتل العنكبوت ، وقال : إنها جند من جنود الله . وتحرق أبو جهل على فوات النبي ﷺ ، واستبد أسفه ، وقال : أما والله إني لأحسبته قريباً يرانا ، ولكن بعض سحره قد أخذ على أبصارنا (١).

صفة حديث الغار من الجمع بين الصحيحين :

قال أبو بكر : أسرينا ليلتنا كلها ، حتى قام قائم الظهيرة ، وخلا الطريق ، فلا يمر فيه أحد ، حتى رفعت لنا صخرة طويلة لها ظل لم تأت عليه الشمس بعد ، فعولنا عندها ، فأتيت الصخرة فسويت بيدي مكاناً ينام فيه رسول الله ﷺ في ظلها ، ثم بسطت عليه فروة ، ثم قلت : نم يا رسول الله وأنا أنقض لك ماحولك . فنام ، وخرجت أنقض ماحوله (٢) ، فإذا أنا براع مقبل بغنمه إلى الصخرة يريد منها الذي أردناه ، فلقيته ، فقلت : لمن أنت يا غلام ، فقال لرجل من أهل المدينة ، فقلت أفي غنمك لبن ، قال : نعم ، قلت : أفتحلب لي ، قال : نعم . فأخذ شاة فقلت له : انفض الضرع من الشعب والتراب والقذى ، قال : فرأيت البراء يصرف بيده على الأخرى ينفض ، فحلب لي في قعب معه كئبة (٣) من لبن ، قال : ومعى أداة أرتوي فيها للنبي ﷺ ليشرب منها ويتوضأ ، قال : فأتيت النبي ﷺ وكرهت أن أوقظه (٤) من نومه ، فوقف حتى استيقظ فصبيت على اللبن من الماء حتى برد أسفله ، فقلت يا رسول الله ، اشرب من هذا اللبن ، قال : فمشرب حتى رضيت ، ثم قال : ألم يأن

(١) كتب الناسخ معلقاً : من غير نسخة الأصل

(٢) كتب في هامش الصفحة : حاشية ، نقض الأرض ، أي : ينظر هل فيها ما يخاف منه

(٣) جاء في اللسان : الكئبة : السير الذي تحرز به الزادة والقربة

(٤) في الأصل : أيقظه

الرحيل ، قلت : بلى ، قال : فارتحلنا بعدما زالت الشمس .

واتبعنا سراقه بن مالك ونحن / في جلد من الأرض ^(١) فقلت يا رسول الله ١/١٦٧
أتينا ، فقال : « لا تحزن إن الله معنا » ^(٢) فدعا عليه رسول الله ﷺ فارتطمت
إلى بطنها أذى ، فقال : إني قد علمت أنكما دعوتما عليّ فادعوا الله لي ، فالله
لكما عليّ أن أردّ عنكما الطلب . فدعا رسول الله ﷺ ، فنجأ ، فرجع لا يلقي
أحداً إلا قال : قد كفيتم ماها هنا ، ولا يلقي أحداً إلا ردّه ، ثم قال : وهذه
كناتي فخذ سهماً منها فإنك ستمر بإيلي وغلما في مكان كذا وكذا فخذ منها
حاجتك ، قال : لا حاجة لي في إبلك . فقد منا المدينة ليلاً ، فتنازعوا أيهم ينزل
عليه ، فقال : أنزل على بني النجار أخوال عبد المطلب ، أكرمهم بذلك .
فصعد الرجال والنساء فوق البيوت ، وتفرق الخدم والغلمان الطرق ينادون :
ايا محمد ، يا رسول الله ، جاء محمد ، جاء رسول الله ^(٣) .

فهذا من آياته العظيمة الباهرة ، قد نطق بذلك القرآن ، فقال عز وجل :
« وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر
الله والله خير الماكرين » ^(٤) .

ولقد بثت قريش من رسول الله ، وقالوا إنه لا محالة مقتول ، لما لجّ
المشركون وألحوا وقصدوا لهذا الكيد . وقد كان فيهم من يكره أذاه والعنف به

(١) أرض جلد : أرض صلبة مستوية المتن غليظة اللسان

(٢) التوبة ٤٠

(٣) صفة النار من نسخة غير نسخة الأصل ، فقد أشار الكاتب إلى أن نسخة الأصل تبدأ

من كلمة : فهذا

(٤) الأنفال ٣٠

وإن لم يصدقه، منهم جبير بن مطعم^(١)، فإنه كان عنده أنهم سيقتلوه، فخرج حتى لحق بدير من الديات فكان فيه حتى لا يشهد قتله . فأقام عندهم ، فسأله عن خبره ولأي شيء أقام عندهم ، فأخبرهم ، وقص عليهم قصة رسول الله ﷺ ، وساق دعوته . فعجبوا لذلك ، وقال له رئيسهم : تعرف شبهه لو تراه مصوراً ، فقال : نعم ، إنما عهدي به قريب . فأراه صوراً مغطاة ، فجعل يكشف صورة صورة فيقول : أتعرف ، فيقول : لا ، حتى كشف عن مثل صورته ، فقال جبير : ما رأيت شيئاً أشبه بشيء من هذه الصورة به ، كأنه ب/١٦٧ طوله / وحسنه وبعد ما بين منكبيه . فقال له الرئيس : فتخاف أن يقتلوه ، فقال : أظنهم قد فرغوا منه ، فقال له الرئيس : لا والله لا يقتلونه ، وليقتلن منهم من يريد قتله ، وإنه لنبي ، وليظهرته الله ، ولكن قد وجب حقتك علينا فامكث ما بدا لك . فمكث عندهم حيناً .

ثم قدم مكة ، فوجد رسول الله ﷺ قد نجا من أيديهم وهرب إلى المدينة ، فتعجب من قول رئيس الدير ، وازداد بصيرة بشأن رسول الله ﷺ . فقالت له قريش حين قدم مكة وقد خرج رسول الله ﷺ ونجا من أيديهم : قد تبين لنا أمرك ، وعرفنا شأنك ، هلم أموال الصبية التي عندك التي استودعها أبوك ، قال : ما كنت لأفعل هذا حتى أموت ، يُعيّر بها ولدي في أمانة ، ولكن أدفعها إليهم . فقالوا : إن عليك عهداً لله وميثاقه لا تأكل من طعامه ، قال : نعم .

فقدم المدينة وقد بلغ رسول الله ﷺ الخبر ، فدخل عليه فقال له فيما

(١) هو جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي ، صحابي جليل ، كان من علماء قريش وسادتها ونسابتها ، روى الحديث عن رسول الله . توفي سنة ٥٩ هـ .

يقول : إني لأراك جائعاً ، هلموا طعاماً ، قال جبير : لا آكل حتى أخبرك ، فإن رأيت أن آكل أكلت . فحدثه بما أخذوا عليه ، فقال له رسول الله ﷺ : فأوف بعهد الله ولا تأكل من طعامنا ولا تشرب من شرابنا . وتحدث جبير بحديث أهل الدير وما كان من الصورة ، وأنه رأى مع صورة النبي صورة أبي بكر قد أخذ بعقب رسول الله ﷺ قال : فقال أهل الدير : فهل تعرف هذا الذي أخذ بعقبه ، قلت : نعم ، قالوا : نشهد أن صاحبكم نبي وأن هذا الخليفة من بعده .

ولعظم شأن هذه الآية ما قد أعاد الله ذكرها ، فقال : «يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ، إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير . إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين / كفروا ثاني اثنين إذ هما في ١/١٦٨ الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم» (١) فذكر المؤمنين بهذه الآية ، وعظم هذه المعجزة ، وما احتملت عليه ، مع نجاته منهم ، وما أغشى أبصارهم حين خرج وهم ينظرونه ، وسلامة علي رضي الله عنه كما قال له ، وما كان من نسج العنكبوت . وفي الحديث الصحيح ، أن أبا بكر نظر إلى أقدام المشركين فقال : يارسول الله ، لو أن أحدهم نظر إلى قدمه لأبصرنا ، فقال : يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما .

وانظر إلى قوله عز وجل : «إلا تنصروه» ، أي : فقد عرفتم نصري له حين هاجرتم وتركتموه مع صاحبه وحيدين ، فأبطلت كيد المشركين مع

(١) التوبة الآيات ٣٨ ، ٣٩ . . .

كثرتهم ووحدته، وصدقت وعدي بمنعي عنه وعصمتي له، وأكذبت أقاويلهم، وهو معنى قوله: «وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا» فتأمل هذا ففيه آيات بينات باهرات، وهذا الخطاب والعذل والاستزادة إنما هي للمؤمنين. ألا تسمع قوله: «يا أيها الذين آمنوا». وأيضاً فلا يجوز أن يقول للعدو: «إلا تنصروه».

ولقد قال العلماء من السلف: إن الله أفرد أبا بكر الصديق بفضل الصبر على جميع المؤمنين من غير تأثيم لهم، كأنه يقول: لو صبرتم مثل صبره ولم ترخصوا لكان ذلك أفضل، فإن أبا بكر يفضل صبره عليهم. وقوله: «لا تحزن» ليس بنهي، وإنما هو بشرى، كقوله لموسى وهرون: «لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى»^(١) وكقوله لأم موسى: «ولا تخافي ولا تحزني إننا رادوه إليك»^(٢) وقوله: «إن الله معنا، بالنصر والتأييد»، كما قال: «إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون»^(٣). وأبو بكر في هذا الحزن ممدوح لأنه خاف على رسول الله ﷺ الأذى والعنف من المشركين، فجازاه الله بأن بشره بـ ١٦٨/ب أنه / معهما بالنصر والتأييد. قال أهل العلم في قوله: «فأنزل الله سكينته عليه»، يعني على أبي بكر، فأما النبي ﷺ فقد كانت السكينة عليه قبل ذلك.

ومن حديث عبد الملك بن عمير، عن أسيد بن صفوان، أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال وهو يشي على أبي بكر حين توفي: كنت ثاني اثنين، وصاحبه، والمنزل عليه السكينة، ورفيقه في الهجرة والمواطن الكريمة. وقالوا

(١) طه ٤٦

(٢) النقص ٧، وفي الأصل: لا تخافي إننا رادوه..

(٣) النحل ١٢٨

في قوله : « وأيده بجنود لم تروها » : إنه أيد أبا بكر كما يؤيد المؤمن من غير أن يروهم ، وبشره رسول الله ﷺ بذلك فعلمه وتيقنه بتعريفه إياه. وإنما ذكرنا حال أبي بكر عند ذكر الآية التي هو مذكور فيها ، ولأن الحصوصم يسألون عن ذلك ، ولحاجتك اليه ، ولأن الطاعنين على أبي بكر يمثل هذا هم الطاعنون على رسول الله ﷺ بما قدمنا وبأمثاله من الآيات التي يسألون عنها ، وجعلوا الطعن على أبي بكر وأمثاله من المهاجرين والأنصار وأكد الطرق إلى تكذيبه ، والطعن عليه ، والإيجاش منه ، والتنفير عنه ، وأيسرها التشكيك في صدقه ونبوته ، وهم : أبو شاكر الديصاني ، وأصحابه : الحداد ، وأبو عيسى ، وابن الراوندي ، والحصري (١) ولكلهم كتب في الطعن على رسول الله ﷺ ، وفي نصرته الإمامية وطبقات الرافضة ، ولأن الطريق في العلم ببراءة أبي بكر والمهاجرين والأنصار مما رموه به ، كالطريق في العلم ببراءة رسول الله ﷺ مما رموه به .

وباب آخر

من آياته ، قوله عز وجل لرسوله ﷺ : « إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد » (٢) ، ومعاد الرجل بلده ، وسمي معاداً لأنه ينصرف في البلاد ويضرب في الأرض ثم يعود إليه ، وكذلك مثاب الرجل منزله ، لأنه يشوب اليه (٣) . ومنه قول الله عز وجل : « وإذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً » ١/١٦٩ يريد أنهم يشوبون اليه كل سنة وفي كل حين ، أي يعودون للحج والعمرة . وهذه

(١) سبق التعريف هؤلاء الكتاب فيما مر من الكتاب

(٢) القصص ٨٥

(٣) كتب في هامش الصفحة : معاد الرجل بلده ، مثاب الرجل منزله

الآية نزلت على رسول الله ﷺ حين خرج من مكة يريد المدينة ، فكان خروجه منها مجزواً لمفارقة وطنه ، فبشره الله بالظهور والغلبة ، وأعلمه أنه يعود إلى مكة ، فكان كما قال وكما أخبر .

وباب آخر

من آياته ، وهو قوله عز وجل : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً »^(١) ، فما أتوا بمثله مع حاجتهم إليه ، فانظر كيف يقطع الشهادة أنهم لا يأتون بمثله ، وهذا من التحدي المهيج الذي يغيظ ويغضب ، وفي هذا غيوب كثيرة لا يأتي بمثلها حذاق المنجمين ولا يتفق مثلها بالتبخيت ولا بالتخرص^(٢) .

فإن قيل : فما تنكرون أن يكونوا قد أتوا بمثله ، قيل له : لو أتوا بمثله لجاء ذلك مجيء القرآن ، ولكان العلم به كالعلم بالقرآن ، ولجاء مجيء أمثاله من الأمور التي كانت بينهم وبينه ، وما قاله لهم وقالوه له .

فإن قيل : فإن الغلبة والدولة منعت من إظهار ذلك ونشره ونقله والتحدث به لأنه ظهر وقهر في حياته ، وقام أبو بكر بعده فقتل مسليمة ، وردَّ الردة ، وأسر طليحة ، وغزا فارس والروم ، وأذل أعداء محمد ﷺ في كل مكان ، وأسكتهم وأخرصهم^(٣) ، وأعز أوليائه وأهل طاعته ، وكذا من أتى بعده من

(١) البقرة ١٢٧

(٢) التبخيت من البخت بمعنى الحظ والصدقة

(٣) أخرصهم : أكنهم ، والخراصون : الكذابون اللسان : مادة خرص

الخلفاء والملوك ، وبعد ، وكيف تنقلون ذلك وتذكرونه وأنتم تكرهونه وفيه بطلان قولكم ودينكم .

قيل له : إنك ماتريدنا على الدعاوى الخالية من كل حجة ، وإذا أثبتنا لك بطلان دعواك الأولى انتقلت إلى دعوى أخرى . فإنك قلت في الأول : أتوا ب/١٦٩ ب بمثله ، فقلنا لك : فأين هو وأين العلم به ، فانتقلت فادعيت أن الغلبة والدولة / منعت من إظهاره ونقله ، فدعواك الثانية كالأولى .

على أن دليلنا هذا قد دلَّ على أنهم ما أتوا بمثله ، ولا بما يقاربه ، ولا بما يدانيه ، ما هناك شيء ينقل ولا يذكر ولا يكتب ولا يستر ، ولا فرق بين من ادَّعى هذا أو ادعى أن مائة ألف قد أتوا بمثله ، وإنما الدولة قهرتهم ومنعتهم من إظهار ما أتوا به .

على أن الدول والممالك لا تأتي ولا نغطي على الأمور التي قد كانت ووقعت ، ولا يطمع عاقل في كتمان ما هذا سبيله وإن ضره ظهوره ، وساءه انتشاره ، وأسقط من قدره . ألا ترى أن رسول الله ﷺ لما ادَّعى النبوة ، وأكفر الأمم وفرض مجاهدتهم ، وأباح دماءهم وأموالهم وحريمهم ، قد ساءهم ذلك وضرهم ، وأسقط من أقدارهم ، وذهب برئاستهم ؛ وقد ودوا أن ذلك لم يكن ، فما كتموه ، ولا طمعوا في طيبه وتزويله ، بل هم تحدثوا بذلك لكل أحد ، ونقلوه وعرفوه ، وأدوه إلى من لا يسمعه ، لأنه ﷺ لم يكن حين ادعى ذلك ودعا إليه له أتباع يخلدون ذلك ويدونونه وينقلونه ، وإنما كان يفعل ذلك عدوه .

وتأمل ذلك بالشعر الذي هُجى به ، ومن هجاه من الشعراء ، وما كان له معه من ضربه وسبّه وأذيته ، ومن قتلوا من أعمامه ومن أصحابه ، ومن

ادّعى بعده ومعه النبوة ، فإن المسلمين قد نقلوا ذلك وخلدوه ودوّنوه وإن
غمهم وساءهم . وانظر إلى الكتب التي صنفت في تكذيبه وفي الطعن عليه وعلى
إخوانه من الأنبياء ، التي صنفت في دولة الإسلام ، وأشد ما كان الإسلام
شوكة وغلبة ، كالتي عملها الحدّاد والورّاق وابن الراوندي والحصري
والكندي والرازي وأمثالهم ^(١) ، وادّعوا أن فيها الحجة والبرهان في إبطال
الربوبية وتكذيب الأنبياء . وأنت تراها مبيوثة ظاهرة ، تباع في أسواق
المسلمين ، لا يسقط منها حرف . والمسلمون / كلهم قد كرهوا ذلك وغمّهم ،
وودّوا أنه لم يكن ، وإنما كان يضعها الواحد بعد الواحد مستخفياً خائفاً لا يظهر
ادعاءها ، ولا يعلن وضعه لها ، بل يكتم اسمه ويكنى عن ذكره ، وإنما يلقيه
إلى الواحد بعد الواحد من أمثاله ، كما صنع أبو عيسى بكتبه ، وترجمتها
تصنيف الغريب المشرقيّ ، وهي من الظهور اليوم على ما ترى ، حتى إنها لتبلغ
مشارك الأرض ومغاربها . فالعدو ينشرها للاحتجاج بها ، والمسلمون ينشرونها
لنقضها والإجابة عنها . فعلمت أن الدولة والممالك لا تؤثر في العلم بالأمر التي
قد كانت ووقعت ، وبهذا تعلم أنه ما كان لرسول الله ﷺ زلة ولا هفوة
ولا سقطّة ولا غدره ، ولا زلت له قدم ، ولا بارت له حجة ، ولا أخجله
خصم . يزيدك بذلك علماً ، أن معاوية وأشباهه من بني أمية قد عادوا أمير المؤمنين
ونبي هاشم ، وغلبوهم ، واستولوا على ملك الدنيا ، وعظّموا نفوسهم بكل
ماقدروا عليه ، فما أمكنهم أن يجعلوا المعاوية منزلة لم تكن له وهو سيدهم ، ولا
أن يجعلوه من البدرين السابقين ، ولا من أهل الشجرة ، ولا من أهل الشورى ،

(١) سبق التعريف بمعظم هؤلاء ، وأما الرازي فهو أبو بكر محمد بن زكريا الفيلسوف والطبيب
المعروف المتوفى سنة ٣١١ هـ .
ابن النديم ١ : ٢٩٩
طبقات الأطباء : ١ : ٣٠٩

ولا من المهاجرين ولا من الأنصار ، وقد ودوا أن يكون له شيء من ذلك أو من هذه المنازل . ولا أمكنهم أن يخرجوه من جملة الطلقاء وأبناء الطلقاء ، ولا أمكنهم أن يخرجوا أمير المؤمنين عن منزله : من كونه من السابقين والبدرين والفقهاء والعلماء والزهاد ، ومن العشرة ومن أهل الشجرة ، ومن أهل الشورى ، ومن اختاره المهاجرون والأنصار للإمامة بعد عثمان ، ولا أن يغطوا على ماسنّه عليّ وفرضه ودعا إليه ، من محاربتهم ومجاهدتهم ، وقد ودوا أن ذلك لم يكن ، وقد ضرهم ذلك كل الضرر ، فتعلم أن الدول والممالك لا تؤثر في العلم بالأمور / التي قد كانت ووقعت .

وتأمل ما كان معاوية من احتيالاته في التوصل إلى الملك ، في إطعام عمرو ابن العاص مصر ، وبادعائه زياداً ، وبمن استماله ببذل الدنيا له ، كذي الكلاع^(١) وخالد بن المعمر^(٢) ، ومصقلة بن هبيرة^(٣) ، وأشباه ذلك ، وما كان الملك ملكاً مما هذه سبيله .

فانظر إلى بني العباس لما غلبوا على أعدائهم من بني أمية ، ما أمكنهم أن يغطوا على المحاسن التي كانت لهم ، ولا أمكن أعداء بني العباس أن يغطوا على المحاسن التي كانت لهم ، من إقامة المواسم وعمارة الثغور ، وغير ذلك من

(١) هو سميفع بن ناكور بن عمرو بن يعفر بن ذي الكلاع الأكبر ، من ملوك اليمن أسلم وقدم المدينة أيام عمر ، وشهد اليرموك وفتح دمشق ، ثم تولى قيادة أهل حمص في جيش معاوية . توفي سنة ٣٧ هـ القاموس : مادة كلع

(٢) هو خالد بن معمر بن سليمان السدوسي ، أدرك عصر النبوة ، وكان رئيس بني بكر في عهد عمر ، وانحاز إلى علي يوم الجمل وصفين ، ثم ولاء معاوية إمرة أرمينية ومات في طريقه إليها نحو سنة ٥٠ هـ . الإصابة : ١ : ٤٦١

(٣) هو مصقلة بن هبيرة بن شبل الثعلبي الشيباني من بكر بن وائل ، كان من عمال علي ، ثم تحول إلى معاوية . قتل في غزوة إلى طبرستان حوالى سنة ٥٠ هـ . فتوح البلدان للبلاذري ٢٤٢-٢٤٣

محاسنهم . وأنت تجد ما يكون من مساوىء الملوك ، وما يكون من غدرهم وظلمهم ، وما يلحق كل نقص وفضيحة بهم ظاهراً في دولتهم ، مع بقاء مملكتهم واتصال عزهم . فتأمل ذلك شيئاً فشيئاً تجده ظاهراً مكشوفاً ، وإن كان ذلك مهيجاً لهم ، ومستقطاً لأقدارهم ، وقادحاً في نبلهم وراثتهم ، وقد ودوا أن ذلك لم يكن ، روي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، قال : إذا رأيت القوم ينتحون في دينهم دون الجماعة ، فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة (١) .

وتأمل أحوال هؤلاء الباطنية الذين قد تسروا بالإسلام (٢) ، وبقراءة القرآن ، وبالصلاة والصيام والحج ، وإظهار التحقق بأهل البيت ، وقد أوثقوا أمورهم بالكتمان وبأخذ الأيمان والعهود على من أجابهم ، وتجنبوا استدعاء الأدباء والعلماء والفقهاء ، وسلكوا الوسطة ، وقصدوا الأطراف البعيدة التي قد استولى على أهلها الغفلة والجهل والقوة ، وقصدوا أهل الترفه والعجب والشغل بالدنيا والملك ، وتسمّوا بالاسم الحسن من أنهم الشيعة ، وغرّوا المسلمين ، فانظر إلى فضائحهم مع هذه الأمور كلها .

فإن أبا القاسم الحسن بن الفرخ بن حوشب / بن زاذان الكوفي النجار (٣) ، ١٧١/أ عرف أهل عدن لاعة وجبال لاعة من أرض اليمن ، وأنهم شيعة ، فصار إليهم مع أبي الحسين محمد بن علي بن الفضل من أهل جيشان والجند والمديخرة من أرض اليمن (٤) . وكان هذا أحد المياسير والرؤسا من الشيعة من أهل تلك

(١) جاء في الهامش : قول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : إذا رأيت القوم ينتحون في دينهم ، إلخ ...

(٢) جاء في الهامش : في ابتداء ظهور الباطنية وهم القرامطة

(٣) انظر الجزء الأول من الكتاب ص ١٠٧

(٤) محمد بن الفضل صاحب دعوة الفاطميين في اليمن ، وقد ظهرت الدعوة أول ما ظهرت في لاعة

معجم البلدان ٥ : ٧

في جبل صبر

البلاد، فمكّن لابن حوشب، وتساعدنا على الدعوة ، وكل واحد منهما بمكانه، وتسمى ابن حوشب بالمنصور من آل أحمد ، وتسمى الآخر بالولي . ومكثا مدة يستران بإقامة الشريعة ، ثم ظهر منهما الإباحة ، وليلة الافاضة ، وأولاد الصفاة ، ونكاح الأمهات والأخوات والبنات ، والمشاركة في الزوجات ، وتعطيل الشرائع ، وشم الأنبياء عند التمكّن والقدرة . ثم ظهر بين ابن حوشب وبين ابن الفضل من المشاتمة ، وبريء كل واحد من صاحبه ، ودعا كل واحد منهما إلى نفسه بأنه إله وربّ ، وغزا ، وقصد العلويين بالمكارة والقتل وسبي الذرية .

وقد كان نصب هذين ، الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح (١) الذي زعم أنه الإمام ، وهو خليفة محمد بن اسماعيل بن جعفر (٢) ، وقال لهذين وغيرهما ممن خرج معهما إلى اليمن : إذا ملكتم وغلبتم خرجت إليكم ، وجعلنا الملك باليمن ، والمهدي يظهر باليمن ، وهكذا روينا عن أهل البيت . فلما تمكنوا باليمن ، أخرج إليهم ابن ميمون القداح الحسين الأهوازي الداعية من قبله ، فطلب منهم مالاً يحملونه إليه ، فأعطوه مرة بعد مرة ، ثم رجع إليهم وعرفهم أن الحجّة خليفة محمد بن اسماعيل يخرج إليهم لينصروه ، فشتموه وردوه ، فقالوا : قد عرفنا أن هذا كله مخرقة ، وهو عرفنا بهذا ، فلم نسلم الملك إليه ، فقال لهم : على كل حال هو عرفكم هذا وخلصكم من الشرائع

(١) هو الحسين بن أحمد أبو عبد الله الشيعي ، مهد لعبيد الله المهدي الفاطمي بيعة المغرب ، ثم قتله عبيد الله سنة ٢٩٨ هـ .

(٢) هو محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، وهو إمام عند القرامطة ، وترى الطائفة الاسماعيلية أنه قام بالإمامة بعد وفاة أبيه أو اختفائه سنة ١٣٨ هـ ، مات حوالى سنة ١٩٨ هـ .
الأعلام ٩ : ٢٥٨

والإسلام ، فاشكروا له وأطيعوه ، فشموه وشمتموا من وجته به . فرجع
١٧١/ب الرسول إلى الحسين بن أحمد/ وعرفه أن القوم قد أظهروا الباطن وعملوا به
وفطنوا له ، وتشاتموا وتفاضحوا بينهم . ثم صمد يحيى بن الحسين العلوي رضي
الله عنه لجهادهم . وقد كان ابن حوشب هلك وبقي ابن الفضل ، فهلك هو
وابنه أمام يحيى بن الحسين العلوي كما هو مذكور ، وفضائحهم مشهورة عند
أهل العلم .

ومن عند ابن حوشب انبثت دعوتهم باليمن والمغرب .

ثم تأمل فضيحتهم بالبحرين ، فإن داعية لهم خرج إلى من بها من الشيعة ،
وقال : أنا رسول المهدي إليكم ، وقد قرب خروجه ، فأعدوا واستعدوا ،
واحملوا إليه زكواتكم وأعشاركم وفضول أموالكم . فاجتمعوا ، وكانوا
نحو ثمانمائة ، وأعطوه ماطلب . وغاب عنهم ورجع اليهم وأخبرهم عن المهدي :
أن للأشياء كلها بواطن ، وأن خاصة المهدي لا يجرم عليهم شيء ، وأن المهدي
قد أحل لكم كل شيء ، وأنه يحل للمؤمن أن يشارك أخاه في ماله وأصله^(١) ،
وأن علامة إيمانه أن تطيب نفسه بذلك كله . وكان فيمن أجابهم : أبو سعيد
الحسين بن بهرام الجنابي^(٢) ، وكان يبيع الطعام والدقيق بالراذة من أرض البحرين ،
وكان شريراً فاسقاً جاهلاً لا يعرف من كتاب الله شيئاً ، ولا من سنة نبيه ، ولا
شيئاً من الأدب ، ولا شغل له إلا بالمعاش .

وكان له صديق منهم يعرف بإبراهيم الصائغ داعية لهم ، قد وجهوه
غير مرة إلى ناحية فارس والأهواز . وكان يظنهم شيعة ، فجاء يوماً إلى أبي

(١) جاء في الهامش : ليعلم أن لا يشارك

(٢) جاء في الهامش : أبو الحسين سعيد بن بهرام الجنابي رأس القرامطة .

بكر زكريا يحيى بن نبهان فقال له : اعلم أن هؤلاء القوم على ضلال ، كنت مع أبي سعيد الجنابي . وقد جاءه رجل من أهل جنابة يقال له يحيى بن علي ، فأكلنا عنده فلما فرغنا ، قام فأخرج امرأته ثم أدخلها مع يحيى هذا في بيت ، وقال لها : إن أرادك الولي فلا تمنعيه نفسك فإنه أحق بك مني . فمضى يحيى ابن نبهان بإبراهيم الصائغ إلى هذا الأمير : علي بن مسمار / فأخبره بما وقف ١/١٧٢ عليه ، فأرصد علي بن مسمار لذلك وتعرفه ، فأخذ الرجل فضربه بالسوط ، وعلق رأسه ولحيته ، ثم خلى سبيله ، وطلب أبا سعيد فهرب إلى جنابة ، وبحث عنهم وعن أحوالهم فإذا هم يتسترون بالتشيع ويعطلون الشريعة . وبقي أولاد أبي سعيد وأصهاره في البحرين ، فبحث الناس عن أحوالهم وأحوال بني سنبر وأمثالهم فإذا هم على هذه الحال .

ثم تمكنوا ، وعاد أبو سعيد بعد أن صار إلى النيل وسواد الكوفة ، ومعه الدعوة ورجالها ، مثل حمدان بن الأشعث ، ^(١) وهو المعروف بقرمط ، واليه ينسب القرامطة ، وخال ابن أبي المليلح القرني ، وخال عبيدان . وقد كان بالبحرين يحيى الطمامي داعية لهم ، فلما تمكن أفسد وغدر ، وأظهر الإباحة ، وكان شريك أبي سعيد الجنابي في الدعوة ، فوثب عليه أبو سعيد وغدر به وقتله ، واستولى على الأمر ، وغدر بالناس لما ملكهم ، وأظهر من الإباحة وتعطيل الشرائع ما هو مذکور . وقال إنه رسول الأمين الإمام حجة الله على خلقه ، وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن الحنفية ، وهو مقيم في بعض هذه الجبال ، وهو المهدي ، وأنه في سنة ثلاثمائة للهجرة يخرج ويملك الأرض

(١) هو رأس القرامطة ، اختلف في اسمه وأصله ، قيل : اسمه حمدان ، أو الفرج بن عثمان ، الفرج بن يحيى ، وقرمط لقبه . قتله المكتفي بالله سنة ٢٩٣ هـ الأعلام ٦ : ٣٥ وقد كتب في الهامش : داعية الباطنية حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط .

كلها . وكان هذا القول والوعد من أبي سعيد في سني نيّف وثمانين ومائتين للهجرة . وكان يقسم قصور بغداد على أصحابه ، ويحلف لهم أنه يدخل بهم إليها . ويملكها . فلما كان في سنة ثلاثمائة ، قتل أباسعيد خادم" كان لأبي الفضل العباس بن عمرو الغنويّ في الحمام (١) ، وكذبت أخباره ، وظهرت فضائحه ، فخرجوا لذلك خجلةً يالها ، وتحيروا .

وقد كان علي بن عيسى بن داود بن الجراح (٢) وزير المقتدر بالله كاتب أباسعيد يقول له : زعمت أنك رسول المهديّ ، وقد قتلت العلويين ، وسيب آل الأخيصر العلويين ، ومن باليمامة ، واسترققت العلويات ، وغدرت بأهل البحرين . وقد كان حاصر أهل هجر أربع سنين ومنعهم الأقوات ، وحبس عنهم الماء ، ثم وصل / اليهم وما بهم رمّت فأتى عليهم ، وقتلهم عن آخرهم . وقد كان صنع بأهل القطيف شبيهاً بذلك ، وغدر بهم أقبح غدر .

فأجاب ولد أبي سعيد علي بن عيسى عن كتابه بأن أهل البحرين بغوا علينا ، وغدروا بنا ، ورمونا ، وقالوا : إنا نشرك في أزواجنا ، ونرى الإباحة وتعطيل الشريعة ، وقد كذبوا علينا ، ونحن قوم مسلمون وما نُحُل من آتهمنا بغير الإسلام .

فكتب اليهم عليّ بن عيسى : إن كنتم صادقين فأطلقوا من في أيديكم من أسارى المسلمين ، فأطلقوا منهم نحو ثلاثين ألفاً ، وأظهروا الإسلام والصلاة وقراءة القرآن ، وخرجوا من الفضيحة .

(١) هو العباس بن عمر الغنوي ، أمير من قادة الجيش العباسي ، ولاه المعتضد اليمامة والبحرين وأمره بقتال القرامطة ، توفي سنة ٣٠٥ هـ . الأعلام : ٤ : ٣٧

(٢) هو ابن الجراح ، علي بن عيسى بن داود بن الجراح أبو الحسن البغدادي وزير المقتدر العباسي والقاهر ، توفي ببغداد سنة ٣٣٤ ، وله كتب ورسائل متعددة . الأعلام : ٥ : ١٣٣

وما كانوا يقولونه ويقوله أبو سعيد من خروج المهدي في سنة ثلاثمائة
لحقهم الحجل والفضيحة. وكان بنو بسطام، وبنو القاسم بن عبد الله، والعزاقري
وأمثالهم يستولون على دولة المقتدر بالله^(١)، وكانوا يتشيعون. فراسلوا
أولاد أبي سعيد وقالوا لهم: أنتم خرجتم أيام المعتضد والمكثفي، فلما صار
الأمر إلى هذا الصبي المقتدر بالله قعدتم، قوموا فنحن كتابه وأصحابه، والدولة
لكم، ولا يوحشكم قتل أبي سعيد وما كان منه، فإن الناس قد تناسوا ذلك.
فقالوا: هذا الرجل علي بن عيسى رجل صالح، وما دام هو الناظر فما نختار
مخالفته. فلما قبض السلطان على علي بن عيسى، أطلق من ببغداد والكوفة من
الشيعة الطيور إلى البحرين بذلك، فغزوا البصرة على غفلة وغدروا بهم أقبح
غدر، ثم غزوا الكوفة، وسرَّ بهم الشيعة وقالوا: أبو طاهر بن أبي سعيد ولي
الله وحجة الله وخليفة المهدي بالبحرين، يخرج عن قرب، وأبو طاهر
خليفته، وهو الذي يأخذ الأرض له ويكون ملكه بالبحرين. فبادر من أهل
الكوفة وسوادها خلق كثير، وقالوا: نهاجر إلى بلد المهدي قبل ظهوره،
فنقلوا أموالهم وعيالهم، ومن منهم ببغداد والكوفة وسوادها يراعون أمر
المقتدر، وينقلون أخباره إلى أبي طاهر بن أبي سعيد.

وقد كان حصل لأبي طاهر من أموال الحجاج والخراسانية والكوفة ١٧٣/أ
والبصرة بيوت كثيرة، وأطمعه الشيعة ببغداد في السلطان، وعرفوه ضعفه، وأن
النجوم تدل على أن أبا طاهر يغلب السلطان، وأنه يدخل بغداد ويستولي على
الملك. فتحمل أبو طاهر، وحمل أهله وعياله، وسار يريد بغداد، وقال:
أنا أدخلها وأدخل دار الخلافة على هذا الحمار، وأشار إلى حمار أسود كان

(١) هو جعفر بن المعتضد بن أبي أحمد المتوكل، وهو أخو المكثفي، وقد قتل سنة ٣٢٠ هـ،
أما المكثفي فقد توفي سنة ٢٩٥ هـ، بينما توفي أبوهما سنة ٢٨٩ هـ.

في كراعه . وسار ونزل ظهرأ بالكوفة ، ولقيه بن أبي الساج فهزمه (١) ، ونادى مناديه أن يكون لنا وقعة مع مؤنس الخصى برصافة الكوفة ونهزمه (٢) ويستغنى أهل الكوفة من ذلك النهب ، وأسير فأدخل بغداد في يوم الثلاثاء ، وفي يوم طش^(٣) ، واستكتب علي بن عيسى ، واستعمل على الشرطة أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان . وجلس بظهر الكوفة يقسم قصور بغداد على أصحابه ، ويتماسكون ويختارون . فلم يخرج مؤنس من الكوفة ورحل من بغداد ونزل بطباطبا ، وهي من بغداد على فراسخ يسيرة .

وطال انتظار أبي طاهر له ، وكان من ببغداد من الشيعة قد راسلوا أبا طاهر أنه مابقي عند السلطان إلا مؤنس الخصي ، وهو الذي يلقاك ، وهو أضعف من ابن أبي الساج بألف طبقة ، وأنت تهزمه وتدخل بغداد . فصبر مؤنس ولم يبرح من طباطبا ، وأبو طاهر يرأسله : ما انتظارك؟ وإن كنت رجلا فابرز ، ومؤنس لا يبرح . فسار أبو طاهر وعبر الفرات ، وجاء فنزل بالقرب من مؤنس ، فانقلبت بغداد ، وعبر الكثير من أهل الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي ، إلا من كان من الشيعة . وانحدر كثير منهم وأحدروا عيالهم إلى البصرة . وخرج إلى أبي طاهر من أهل بغداد من الشيعة وغيرهم من الكتاب سرأ ، وبشروه بضعف السلطان ، وأنهم قد قلبوا له بغداد بالأراجيف ، وقالوا له : بغداد بلد عظيم ، وإن لم ترهب أهله بالقتل لم تملكه ، فقال : نبيح

(١) هو يوسف بن أبي الساج أرسله المقتدر الخليفة العباسي سنة ٣١٥ هـ لحماية الكوفة من القرامطة .

(٢) ويلقب مؤنس بالمظفر ، لكنه لم يكن مظفراً في حربه مع أبي طاهر القرمطي ، وكان قائداً عاماً لجيش المقتدر ، وقد قتل المقتدر بعد ذلك .

(٣) يوم طش ، هو اليوم الممطر مطراً خفيفاً انظر اللسان في مادة : طش

المؤمنين القتل فيه ثلاثة أيام ، قالوا لا تصنع هذا ، ولكن سبعة أيام ، وتنظم
١٧٣/ب جانبي دجلة/ بالمصلين من بني هاشم ، والقراء ، والفقهاء ، الذين يأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ، فقال : كذا نفعل .

وأظهر من بالكوفة لعن بني العباس والسلف ، وخرج أبو الغيث بن عبيدة
العجلي في ثلاثين ألفاً ، وأقام أبو القاسم عيسى بن موسى حتى عيدان في البقلية
أصحابه (١) ، وأظهروا الخلاف ، وقالوا : ظهر الحق وقام المهدي وانقضت
دولة بني العباس والفقهاء والقراء وأصحاب الحديث ، وقال قائلهم : ما بقي
شيء ينتظر وما جئنا لإقامة دولة ، ولكن لإزالة شريعة . فقيل لهم : إن
الخصي قد قطع قنطرة نهر بطباطبا ، فقالوا : قد عبر أبو طاهر الفرات فلا يعبر
نهر بطباطبا ، وإنما هو كالساقية بالإضافة إلى الفرات .

فسار أبو إسحاق ابراهيم بن ورقاء الشيباني الأمير ، وكان رجلاً صالحاً
لا يعين السلطان إلا فيما يحل ويحسن . فسار إلى الفرات في السماريات (٢) ،
ومنع القرامطة من العبور ومن ورود الماء ، فضاق صدر أبي طاهر من
تأخرهم عنه ، فرحل عن مؤنس ورجع إلى الفرات ، وصاعد نحو الرقة يقتل
وينهب من ظفر به ، وقد ظن بعض الناس أنه كان يتوقع من المغرب من
القرامطة أن يوافيه لوعده بينهم ، فما جاءه أحد ، فرجع إلى الأحساء ، وكذبت
أخباره تلك كلها ، وكانت لهم من الفضائح ما لا يكاد يحصى .

وكان أصحابه ومن بالكوفة وسواها له على أحسن طاعة ، لا يشكون أنه
ولي الله وحجة الله ، فلما رجع بتلك الخيبة ، وقد كذبت أخباره وأقاويله ، أخذ

(١) انظر معجم البلدان ٤ : ١٧١

(٢) مراكب تصنع من شجر الطلح

خواصه يلقون إلى من معه من البوادي إذا قالوا لهم : قتلنا عيالنا واقتسمنا قصور بغداد ثم رجعنا خائين ، وقد قتل ابن أبي الساج صناديدنا وعيون من بقي منا ، فيقولون مرة : لهذا القول وهذه المواعيد باطن ، ومرة يقولون : إن في كتب الحدثن والملاحم أنا نرجع ، ومرة يقولون : سرنا بأمر ، وأمثال هذا من الحيل والمخاريق .

1/174 / ثم سار من البحرين إلى مكة ، فوصل إليها في عشر ذى الحجة وبها الحجاج من أهل الدنيا كلها ، والإسلام أكثر ما كان ، فمنعه من بمكة من الحجاج وغيرهم من دخولها ، ونقلوا صناديق البيت إلى ناحية دار ابن داود ، وحاربوه أياماً . فلما لم يطقهم ، أظهر أنه جاء حاجاً ومتقرباً إلى الله ، وأنه لا يخل لهم أن يمنعه من بيت الله ، وأنه أخوهم في الإسلام ، وأظهروا أنهم محرمون ، ونادوا بالتلبية ، واستدعى من قريش من أهل مكة من راسلهم بهم ، هو أبو الإمام بها والقاضي في يومنا هذا ، فقالوا : كيف تكون حاجاً وأنت في عشية ورودك الحرم قد قتلت المسلمين ، فقال : هذا كان بغير أمري ولا رضاي ، وقد يكون مثل هذا من الأتباع ومن معرة العساكر ، ووجه اليهم بخاتمته وسوطه ليؤمنهم ، وحلف لهذا القرشي بالآيمان الغليظة أنه قد أمنهم على دماهم وأموالهم وحرمتهم ، وأنه لا يؤدي أحداً منهم ، وأنه ماجاء إلا ليحج ، إلا أصحاب الجند والسلطان فإنه لا يؤمنهم ، وقال : أنا لا أغدر ولا أغر من نفسي ، ولو أردت ذلك لأمنت أصحاب السلطان ثم غدرت بهم ، ولكن لا أوؤمنهم ، لأنهم يشربون الخمر ، ويلبسون الحرير ، ويعينون السلطان الذي يجب عنه الرعية ، ويظلم اليتيم والأرملة ، ويشرب الخمر ، ويسمع القيان . فازداد الناس به اغتراراً ، وقبلوا أمانه ، وأفرجوا له حتى دخل ، ووضعوا السلاح .

فلما دخل وتمكن وسكن الناس ، وثب بهم أغرّ ما كانوا ، وقال لأصحابه :
ضعوا السيف واقتلوا كل من لقيتم ، ولا تشتغلوا إلا بالقتل . فلم يزل كذلك
ثلاثة أيام ، ولاذ المسلمون بالبيت ، وتعلقوا بأستار الكعبة ، فما نفعهم ذلك ،
وقتلوهم في المسجد الحرام وفي البيت ، وما زالوا يقتلونهم ويقولون لهم :
«ومن دخله كان آمناً» ، أفأمنون أنتم يا حمير ، أما ترون كذب صاحبكم .
١٧٤ب/ وأمروا من يصعد لقلع الميزاب ، فصعد وهو يقول مستهزئاً : / هو في السماء
وبيته في الأرض . وسلب البيت ، وقلع الحجر الأسود ، وأبو حفص عمر
ابن زرقان صهر أبي سعيد واقف حذاء البيت والسيف يأخذ الناس ، وهو على
فرسه يضحك ويتلو : «لإيلاف قريش» حتى [وصل] ^(١) إلى قوله : «وآمنهم من
خوف» قال : ما آمنهم من خوفنا ، ظهر الباطن يا أهل مكة ، حجّوا إلى
البحرين ، وهاجروا إلى الأحساء من قبل أن نظمس وجوهاً فردها على
أدبارها .

ثم أمر أصحابه بالنهب ، فجمع شيئاً عظيماً من العين والورق والجوهر
والطب ، ومن متاع مصر واليمن والعراق وخراسان وفارس وبلدان الإسلام
كلها ، وحمل مقدار مائة ألف جمل ، وأحرق الباقي ، وسبى من العلويات
والهاشميات وسائر الناس نحو عشرين ألف رأس ، وسار إلى الأحساء ، فكانت
حادثة في الإسلام لم يكن مثلها قط ، وأحصوا القتلى عند الدفن ، فكانوا
عشرين ألف وثمان مائة . ولعلك تستكثر مائة ألف جمل لما ترى في زمانك من
سوء حال الإسلام والمسلمين ، وإذا تأملت الحال في ذلك الزمان استقلتها ، فإن
الإسلام إذ ذاك قد كان من السعة ما كان ، مستولياً على الدنيا إلا القليل ، وكان
يسار أهله على حال عظيمة ، وإذا تصورته استقلت ذلك ، وإذا تأملت خراسان

(١) زيادة في اقتضاها السياق

وحدها ، والمسلمون يصلون من نواحي الصين ، ثم من نواحي الهند ، وكابل
ثم عمان ، ومشجر عمان ، ثم اليمن ، وجزيرة العرب وهي أوسع من بلاد
الروم ، ثم المغرب من الأندلس ، والقيروان ، والمغرب تشبه لكثرة رجالها
وجماها وبلدانها بخراسان ، وأما أذربيجان فيشبه من السعة بما يقارب فارس
أو العراق ، وإنما ذكرت ذلك لأننا أردنا لا نخلى ما نقوله من حجة ، وإن
كان الناس قد ذكروه .

فلما صار أبو طاهر إلى البحرين ، سلم الأمر إلى ذكيرة الأصفهاني
المجوسي^(١) وجمع الناس بالبحرين ، وقال : معشر الناس إنا كنا ندخل
عليكم بحسب أهوائكم ، مرة بمحمد ، / مرة بعلي ، ومرة بإسماعيل بن ١/١٧٥
جعفر ، ومرة بمحمد بن إسماعيل ، وبالمهدي^(٢) ، وهذا كله باطل ، وهو سر كنا
نكتمه ومن قبلنا منذ ستين سنة ، واليوم قد أظهرناه ، وهذا إلهنا وإلهكم ، وربنا
وربكم ، يعني ذكيرة الأصفهاني ، فإن عاقب فبحق ، وإن عفا فبفضل ،
أظهروا اللعن على الكذابين : آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى
ومحمد معشر الأجمين ، يعني بالأجمين قسّين وُجُنِبلاً^(٣) ، وعرج
ومن كان عندهم بالبحرين ومن سواد الكوفة وأهل الكوفة ، وقال :
معشر الدعاة والخاصة ، اذكروا ما عندكم ، فذكروا معنى ما جرى بين عبد
الله بن ميمون بن ديصان بن سعيد الغضبان وبين محمد بن الحسين بن جهار
بنحان المعروف ببندار من أعمال الحيلة على المسلمين ، والتستر بالشيعة ، والدعاء
إلى المهدي ، فإذا وقع التمكن ، وصاروا في ملك وسيف ، أظهروا تكذيب

(١) جاء في الهامش : فلما صار أبو طاهر القرمطي الباطني الملعون إلى البحرين سلم الأمر إلى
ذكيرة الأصفهاني المجوسي .

(٢) سبق التعريف بهذه الأسماء فيما مضى من الكتاب

(٣) كذا في الاصل

الأنبياء ، وتعطيل الشرائع ، وقتلوا المسلمين ، مما هو مذكور في كتاب ابن رزام ، وكتاب عطية ، وغيرهما من العلماء (١) .

فأخذهم ذكيرة بلعن الأنبياء جهاراً في الأسواق ، وتقدم بإحراق المصاحف وبراعة الذمة ممن ترك عنده شيئاً من المصاحف أو التوراة والانجيل وجمع هذا كله ، وأمر بطرحه في الحشوش ، والاستنجا به ، ونادى بنكاح الأمهات ، والبنات ، والأخوات ، وذوات المحارم ، وبإباحة اللواط ، وبأن تطعن البهائم في خواصرها إلى أن تموت ، ثم تموت ، وبأشياء كثيرة يطول شرحها ، وهي مذكورة في كتب العلماء ، وقال لهم : تأهبوا فإني سائر إلى العراق لاستئصال دين محمد وقتل أتباعه ، فقد انقضت دولته ، وقد أحبيته ثلاث مرات ، واستتبته من إضلال الناس فما تاب ، فالعنوه والعنوا الكذابين ، يعني الأنبياء . فكانت الأصوات ترتفع بذلك في الأسواق وقتل بني زُرْقان وبني سلمان ومن وجوه عسكره في مدة ثمانين يوماً سبعمائة رجل / ، وأمرهم بأن يعرضوا عليه نساءهم من بيت أبي سعيد وغيره ، فعرضوهن فاختر منهن من أراد ، فكان فيمن اختار زينب بنت أبي سعيد امرأة عمر بن زرقان ، وقد كان قتل زوجها ، وكان له منها ابن ، فأمرها ذكيرة أبا طاهر بدبحه ، فأخذ أبو طاهر خاله فدبحه .

ب/١٧٥

ثم بعد مدة ، قال أبو دلف لأم أبي طاهر : إن ذكيرة الأصهباني قد عزم على قتل ابنك وإخوتك ؛ وكان لأبي طاهر خمسة إخوة ، وهم ولد أبي سعيد ، فاتفق قتلهم له نهراً ، فماج القصر لذلك ، فقال لهم الحسن ابن سُنبَر : أغلقوا باب القصر ، فأغلق ، وأشرف على الناس فقال : مالكم اجتماعتم ؟ قالوا : بلغنا أنكم قتلتم الإله ، قال : قد فعلنا ذلك ، قالوا له :

(١) ابن رزام ، عطية (الأعلام ٥ : ٣ و ٤ : ٢٣٩)

ولم تقتلتموه ، قال : ما نريد أن نذكر لكم السبب في ذلك فأمسكوا ، وقال لهم ابن سنبر : إن شئتم أن تذهبوا فاذهبوا ، فما نعرفكم السبب . ثم قال لهم : يا قوم لا تفضحونا وأنفسكم ، ولا تشتموا بنا المسلمين وبكم ، وارجعوا عن جميع ما قاله لكم أبو طاهر إلى ما كنتم عليه وكنا من قبل ذلك ، من أننا أصحاب المهدي ؛ والدعاة إلى المهدي ، والمؤمنون والشيعه ، فإنه كنا نحدث أن ستكون للمؤمنين زلة وهي هذه ، فالله الله في أنفسنا وأنفسكم ، فما أدخلناكم في شيء إلا بعد أن دخلنا فيه . قالوا نريد أن نراه إن كان مقتولا ، وخافوا أن لا تكون حيلة من جملة حيلهم وكذبهم الذي كان لأبي طاهر ، ففتحوا الباب وأدخلوهم ، فرأوا ذكيرة مقتولا ، وجاءت زينب بنت أبي سعيد امرأة ابن زرقان ، فشقت جوفه ، واستخرجت كبده فأكلتها ، وكانت فضيحة عظيمة . فقال ابن سنبر لأبي طاهر : فرق المال في الرؤساء وأرضهم ، فإن هذه سقطة عظيمة سقطناها ، فوجه / أبو طاهر ١/١٧٦ في الليل إلى الرؤساء وتلافاهم ، وخضع لهم ، ولم تكن عادته .

ثم إنه غزا بعد قتل ذكيرة ونهب ، وجاء إلى الكوفة ، فصار أصحابه لا يمثلون أمره كما كان ، وقد كانوا لا يخالفونه في شيء البتة ، وكان أي شيء نهبه أو غنموه يسلموه إليه ولا يخونونه في شيء منه ، لأنه حجة الله ، وأن المال يجيبه للمهدي ، فصار بعد قصة ذكيرة لا يعطونه ما ينهبونه وصاروا يشربون ، ويسمعون القيان ، ويطلبون المواخير ، وإذا جاءهم العرفاء ، وقالوا لهم : هاتوا ما غنمتم ، لم يعطوهم ، وإذا قالوا لهم : السيد يأمركم بكذا ، قالوا : ناك السيد أمه ، وفي است أم السيد ، فرحل بهم راجعاً إلى البحرين ، فقال العويمل العقيلي وغيره لبني عمهم : يا ويحكم ، اعتزلوا هذا الكذاب بن الكذاب فإنه يصير بكم إلى البحرين ويستترهن

عيا لا تكتم ، ويطالبكم بما غنمتم ، ويأخذه منكم ويستعبدكم . فبلغه قوله ، فأخذه وقيده ، ورجع إلى الأحساء ، فقتل من أصحابه وثقاته نحو أربعمائة ، وأقام بالأحساء وقال : قد نهيت عن الغزو ، وأمرت بعمارة الأحساء فأخذ المسلمين الذين أسرهم واستعبدهم بالعمارة . وأقام مدة ، ثم غزا وأقام ناحية من الكوفة ، ووكل بالعسكر من يراعيه لئلا يدخل إليه غريب ، وطمع أن يعود أصحابه كما كانوا ، فما فعلوا ، ودخل على أهل السواد من الكوفة ومن كان يلتجئ إليه من المتشيعين من الحزن والفضيحة وشماتة الأعداء ما قتلهم حزناً .

وكان مثل عيسى بن موسى ختن عبدان وأصحابه وأمثاله ، يعاتبون أبا طاهر وأصحابه بينهم سراً ، فيقول لهم : ما الحيلة ، ما اخترنا هذا لأنفسنا ، وقولوا لنا من كان من أهل هذه الدعوة لم تكن له سقطة وفضيحة .

١٧٦ب / ألم يفتضح المنصور بن حوشب / بعدن لاعة ، ألم يفتضح الولي ابن الفضل بجيشان ^(١) ، ألم يفتضح سعيد بسجلماسة ، حتى شيخ المشائخ أبو موسى هرون وهو شيخ الشيعة ، وقال لسعيد في وجهه : ويلك ، أنت الغاوي لا المهدي ، تزني ، وتلوط ، وتشرب الخمر ، وتكذب ، وتغدر ، وتسفك الدم ، ويلك ، أي شيء أنت ، وابن من أنت ، قال : قد قال لكم أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الكوفي الداعية أي أنا المهدي ، فجاءوا بأبي عبد الله ، فقالوا له : هذا هو المهدي ، فقال : لا ، فقال له سعيد : ألم تقل لأهل العسكر بسجلماسة : هذا هو المهدي الذي

(١) لعله يقصد علي بن الفضل بن أحمد القرمطي أحد المتغلبين على اليمن. استولى على الجبال والتهاثم ثم دخل زبيداً وصنعا وادعى النبوة وأباح الحرمات . ومات مسموماً سنة ٣٠٣ هـ .

كنت أدعو اليه ، فأقبل أبو عبد الله على أبي موسى والجماعة فقال : يا هؤلاء غلظت كما يغلظ الناس ، أنا رجل من أهل الكوفة من الشيعة ، وكنا نذهب إلى إمامة موسى بن جعفر وولده ، فرجع ابن حوشب ورجعنا لما مات الحسن العسكري ، ووقع علينا من دعانا إلى إمامة محمد بن اسماعيل بن جعفر ، ولقيت الإمام من قبل محمد بن اسماعيل بالكوفة ، وودعته وخرجت إلى ابن حوشب باليمن ، وبين يدي الإمام بالكوفة غلامان ، فقال لي حين ودعته : يا أبا عبد الله ، هذان إماماك ، فمن دعاك منهما فأجبه ، فخرجت إلى اليمن ، ومنها إلى مكة ، ومنها اليكم إلى المغرب .

وبلغنا أن الإمام قد مات وخلف ولده ، وكانت الكتب تأتيني من هذين ، وفيها بعض العلامات التي كانت بيني وبين الإمام ، فظننته المهديّ وما هو بالمهديّ ، ولكنه رجل سوء ، كذاب ، شرير ، عدو الله ، وعدو رسوله ، وعدو أهل بيته ، وعدو الشيعة ، وعدو المهدي . فوافق سعيد أبا عبد الله على غدراته وأكاذيبه وما كان له في كتابته ، وتشاتما وانفرد سعيد ومعه الأموال ، وأعمل الحيلة ، وقتل أبا عبد الله / وشيخ المشائخ .

١/١٧٧

وقام أبو زكريا محمد بن أحمد بن زكريا^(١) أخو أبي عبد الله وكان أجل منه وأخص بسعيد وأعلم بالدعوة ، فنأدى على سعيد بأنه كذاب عدو لرسول الله ﷺ وأهل بيته ، وواقفه وتشاتما ، وما زال ينادي عليه برقادة وأرض المغرب إلى أن دس عليه من قتله .

وقام أبو ذاكي تمام بن معارك ، وكان أخص الناس بسعيد وأوثقهم عنده ووجهاً في الشيعة ، فما زال ينادي : احذروا هذا المشرقي الكذاب فإنه

(١) كتب فوق الاسم بخط مختلف : العباس

لا دين له إلى أن بذل سعيد الأموال في العبيد والجهال إلى أن قتل أبا ذاكري وأصحابه .

أو ليس حين مات سعيد وقام ابنه قد رجع عنه خاصته ، وقالوا هذا أكفر من أبيه . أو ليس قد أظهروا بأرض المغرب شتم نبيّ العرب وأصحابه فقالوا : العنوا الغار ومن حوله ، العنوا عائشة وبعلمها ؛ ولعنوا جميع الأنبياء وأظهروا الباطن كله ، وبعثوا الدعاة ، فدعوا إلى سعيد أنه إله حق ، وأنه خالق رازق ، وأنه هو الذي فتق ورتق وأمات وأحيا . ونكحوا البنات ، حتى كان مثل أبي الأسود وأبو طاعة من الدعاة قد نكحوا بناتهم ؛ حتى ذهبت الشيعة إلى أبي يزيد مخلد بن كراد وهو من الشراة ^(١) وشكوا اليه ذهاب الإسلام بهؤلاء المشاركة ، وقالوا : هذا وإن كان من الشراة فليس ينكر الربوبية ولا يكذب الرسل ولا يلعن الأنبياء ومعه حفظ الأموال ، فساروا معه إلى ابن سعيد بعد موت أبيه ، فأنفذ اليه ابن سعيد عسكرياً بعد عسكر ، فما زال يهزمهم إلى أن وافى باب المهديّة فأغلق بابه دونه ، فأخذ الحلقة بيده وهو شيخ كبير لا يمكنه لعجزه وكبره أن يركب فرساً ، فكان يركب ١٧٧/ب حماراً ، فحاصر ابن سعيد في المهديّة مع عساكره فمات في حصاره / فرقاً منه .

وقام اسماعيل ابنه من بعده وحاصرهم صاحب الحمار حتى أكلوا براذينهم ، وحتى ذلوا له وخضعوا ؛ وقد دوخهم خمس سنين ، واستولى مع عجزه وضعفه على أكثر ممالكهم ، إلى أن تمت حيلته عليه .

(١) انظر الجزء الأول من الكتاب ص ١٠٧

وأعان أبو الحسين بن عمار اسماعيل القائم الثالث منهم عليّ أبي يزيد حتى ظهر علياً ، فلما خرج أظهر اسماعيل الرجوع إلى الإسلام . وقتل الدعاة ، ونفى بعضهم إلى أرض الأندلس وغيرها . فقال للامة : من سمعتموه يلعن الأنبياء فاقتلوه وأنا من ورائكم ، وأذن للفقهاء والمحدثين ، وخضع للامة ، وزعم أن الذي كان من الدعوة ومن الناحية والمنشدين كان بغير علم أبي ولا علم جدي ، وخفف الخراج ، وأظهر الشغل بالفقه .

فسقطات غيرنا من أهل هذه الدعوة أكثر من سقطاتنا ، أم تظنون أنا بالبحرين لا نعرف أخبار اخواننا وأهل دعوتنا بالمغرب واليمن والعراق ، فكانوا يحتجون بمثل هذا على من عدلهم من إخوانهم في إظهار الباطن ، وكان الدعاة مثل أبي القاسم عيسى بن موسى ، وأبي مسلم بن حماد الموصلي ، وأبي بكر أخيه ، وأبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي الكلابي وغيرهم يتحدثون أسفاً وحسرة بما أتاه أبو طاهر من كشف الدعوة ، حتى سقطت هيئته واستخفت العرب به بعد ذلك التعظيم ، وحتى كان أبو طالب بن عيسى بن موسى وأمثاله يقولون إذا ذكروا هتيكة أبي طاهر وفضيحته مالك يا أبا طاهر ، لعنك الله ويحك ، لم سلمت الأمر إلى ذكيرة الأصبهاني . ويحك ، لإمضيت على غرتك وقد ظن الناس أنك المهدي ، وفيهم من ظن أنك فوق المهدي ، ويحك ، إلى بخارى قدماً مايردك أحد . لعنك الله ، وصلى الله عليك يا محمد .

لا يلعنون أبا طاهر براءة منه ، ولا / يصلون على النبي ﷺ موالة له ١/١٧٨
وتصديقاً بنبوته ، ولكن يذهبون إلى أنه وإن كان كذاباً محتالاً مثل أبي طاهر والذين بالمغرب وحاشاه ﷺ من قولهم فما افتضح مثل فضائهم .
ولقد رجع أبو الغيث العجلي عنهم وكان ناباً من أنبياهم ، ومطاعاً في

عشيرته . وكانوا نحو ثلاثين ألفاً ، وكتب في ذلك كتاباً بين فيه أنه تمّوه أمرهم عليه وظنهم شيعة وأصحاب المهدي ؛ ورجع غيره من رؤسائهم ممن قد ذكره ابن رزام من المراتب الخمس وفي الكتاب الكبير ، وذكرهم غيره .

ولقد بلغ الأمر بأبي طاهر أنه كان بعد ذكيرة يغير على الحاج وعلى بلدان المسلمين ، ثم يجهد بالعرب أن يعطوه شيئاً مما يأخذونه كما كانوا يفعلون من قبل ، ويقول هذا مال المهدي ، فإن لم تعطونا كله كما كنتم فهايتوا بعضه ، فيقولون له : استأمننا إن أعطيناك مفاتحننا وقد عرفناك . فلما رأى استخفافهم به بعد الكرامة قال : لا وجه لما أنا فيه ، أقتل المسلمين وأهبيهم ويذهب هؤلاء بالمال . فجاء إلى الكوفة وآمن الناس ، ووجه إلى الراضي بعد المقتدر وبعد القاهر ، (١) وكان هذا الراضي من الضعف وحجر بجمكم والأعاجم عليه على حال قبيحة (٢) ، وقد تفرقت الجنود عنه ، وأخذت الأموال منه ؛ فوجه إليه يطلب منه مالا يعطيه ليخدمه ويبدق الحاج (٣) ، ففعل الراضي ذلك ، وأعطاه مالا معلوماً ، وقال أبو طاهر هذا أربح لي ، أخذ هذا المال وأعطى بعض أصحابي وأعواني وأفوز ببعض . وكان العقلاء يعجبون ويعتبرون ، ويقولون عظم أمر أبي طاهر حتى ادّعى قوم أنه إله ، وادعى آخرون له أنه نبي ، وادعى قوم أنه المهدي ، وأقل ما ادّعى له أنه ثقة المهدي وسيف المهدي . واستقلوا له ملك الأرض ، وما شك

(١) بويح للراضي بالخلافة بعد خلع القاهر في ٥ جمادى الأولى سنة ٣٢٢ هـ ، ولم يزل خليفة إلى أن توفي في ربيع الأول سنة ٣٢٩ هـ . انظر تاريخ الإسلام ومحاضرات تاريخ الإسلام السياسي

(٢) بجمكم للدلمي : قائد الجند أيام الراضي .

(٣) البذرة : فارسي معرب ، بمعنى الخفارة ، يقال : بثم السلطان بذرة مع القافلة اللسان ، مادة : بذرق

١٧٨/ب الشيعة أنه يملكها ، وأظهروا/ الروايات (١) له بذلك ، وأنه مذكور في الملاحم ، وفي كتب الحدثنان ؛ وأنه حجة الله وصاحب حجة الله ، والمهدي المنتظر الذي يملك الأرض كلها . وطمع في ذلك أشد الطمع ، وكان السلطان في زمانه مقصراً لا يعرف من التدبير قليلاً ولا كثيراً ، وقد قلده الخلافة وله اثنتا عشر سنة متحلياً بالنساء ، كتابه وعماله وخاصته تغلب عليهم التشيع ، يظنون أبا طاهر من الشيعة ، فكانوا أعوانه على السلطان ، فخذله الله حتى صنع مع ذكيرة ماصنع ففضحه الله بلسانه ، ثم عاد فقتل ذكيرة ورجع عما كان عليه ، ثم لم يزل خذلان الله به حتى جاء إلى الراضي وتلك حاله يطلب بذرة الحاج منه ، وسأله أن يستخدمه في ذلك ، وضمن كل ما يجري على الحاج . وخرج إليه إلى الكوفة ابن مقاتل صاحب ابن رائق (٢) ووافق على بذرة الحاج بعد أن وبخه على ما كان منه ، فأنكر أن يكون ما جرى باختياره ، وأن البوادي كانت تقنات عليه ولا تطيعه ، وأن السلطان قصر في أمره وقد كان ينبغي له أن يعرف مكانه ، ويعطيه ما يرضي البوادي ، ويستخدمه ويجعله أحد صنائعه ، فقال الحجاج لا نسير معه ولا نثق به ولا كرامة له ، فأقام السلطان أبا عليّ عمر بن يحيى العلوي أميراً عليهم ، يسير أبو طاهر مع أصحابه بسيره وينزل بنزوله ، ولا يكون له على أحد من الحاج أمر ولا نهي . وإذا تصورت حال أبي طاهر وكيف كانت وإلى أي شيء صارت ، حتى يرغب إلى الراضي - وهو أول من

(١) في الأصل : الروايات ، ولعل الصواب ما أثبتناه

(٢) هو محمد بن رائق ، أبو بكر ، ولده الراضي إمرة الأمراء والخراج سنة ٣٢٤ هـ ، وتوجه إلى الشام فحارب الاخشيديين ثم عاد إلى بغداد حيث قتل بأمر من ناصر الدولة الحمداني ٣٣٠ هـ .
دائرة المعارف الإسلامية ١ : ١٦٤

زالت دولة بني العباس على يده وأخذت الأموال منه ، وأجرى له مقدار الكفاية ، وزال أمره عن تدبير الجند وعن الولايات ؛ وهو أول من حجر عليه منهم - في أن يستخدمه في بذرة الحاج بشيء يعطيه ، علمت أن ذلك 1/179 آية من آيات الله العظام ، فقد / كان أثنى في الإسلام ، وأخرب منازل الحاج ، وقد كاتب في الأمن والعمارة كالأسواق القائمة ، ولعل قتلاه أكثر من قتلى بابل وصاحب الزنج ، وكانت هيئته قد ملأت القلوب ، حتى كتب ملك الروم إلى السلطان كتاباً يظهر له الشماتة بأن أبا طاهر القرمطي قد أبادكم وأفناكم وشغلكم عن غزونا وأراحنا منكم وقصد بيت عبادتكم فقتل زواره ومن يعظمه وأنزل بدينكم كل هوان . وكان العامة ومن ليس هو من الدعوة إذا سألوا أصحاب أبي طاهر عما أتاه في باب ذكيرة لا يجيبون بل يقولون إنما سلم الأمر إليه ليمكر به ولينظر ما عنده ، وصبر عليه وعلى ما أتاه ليعرف آخر أمره ، فكان لتسليمه باطن غير ما ظهر للناس . وهذا أعجب ما يكون من فضائح المبطلين وبهتهم ، وهذا مالا يعجز عن ادعائه أحد ، فإنهم قد افتضحوا وتقطعوا ندماً ، وانصرفت عنهم عقيل لهذه الفضائح وهانوا على جندهم بعد الكرامة ، وسقطت أقدارهم البتة ، ثم يبهتون هذا البهت .

وهذا كقولهم لو قال : إن خادم العباس بن عمرو الغنوي ما وثقنا به ولا سكننا إليه ولا وثق به أبو سعيد ولا ائتمنه ولا سكن إليه وإنما تركناه وقتل أبي سعيد وتلك الجماعة الذين قتلهم في الحمام لننظر ما عنده وليظهر آخر أمره ، على علم منا بما سيأتيه ويفعله . وأن ما أتاه الأصفر من قتل رجالنا ومنعنا من التصرف في البلاد والخروج لأخذ ضريبة الحاج وحصاره إيانا في الأحساء ، ليس عن عجز منا ولا بلهل منا بما كان منه قبل أن

يكون ، وإنما تر كناه على علم وقدرة ليظهر كل ما عنده ولكل أمر باطن .

ب/١٧٩ / أو كمن قال : إن الأصفر لم يصنع بهم هذا الصنيع عداوة لهم ، فكذا ما صنعه ابن أبي الساج ، وإنما أراد الأصفر أن يمتحنهم بذلك ، ولهذا باطن وهذا خلق لأهل هذه الدعوة حيث كانوا من مشرق الأرض وغربها ، فإنهم متى افتضحوا ومتى بان كذبهم فقالوا لهذا باطن .

فقد كان سعيد أنفذ الجيوش في سنة اثنين وثلاثمائة إلى مصر وقال : تفتحونها وأنا في إثركم ، وكانت خالية ليس فيها إلا القاسم بن الاخشيد الفرغاني في سبعة آلاف ، وعسكر ابن سعيد الذي ورد به إلى مصر في نحو مائتي ألف ، فهزمهم القاسم وردّهم ، فرجعوا في سنة سبع وثلاثمائة في ثلاثمائة ألف ، وقال : تفتحونها ، فرجعوا منهزمين . وكان ابن سعيد رئيس الجند ، ويوسف بن غروي الكبير المدّبر ، وهو يعجب من رجوعهم وقد قال تفتحون . فقال لهذا القول باطن فأخذ يوسف هذا وقتله (١) .

وقد كان الرابع منهم لما ملك مصر والشام قال : الآن أملك الدنيا كلها ، وكان له برزون أشهب يقال له عين الفضة ، فقال : على هذا أدخل قسطنطينة ، وقال : أنا لا أعطي أهل الاحساء عن الحاج ضريبة كما كان كافور الحصيّ الأسود قبلي يعطيهم ، فإن خالفوني وجهتُ بكتامة فشدوا براذينهم على أبوابهم بالأحساء وساوم صاحبه وصاحب جيشه في ثياب بياض ، ثم قال : وهذه تجلب من نيسابور وإلى هناك نصير فنشتره من معدنه . فجاء ولد أبي سعيد وأخذوا الرايات السود من بغداد وعليها الامام المطيع لله أمير المؤمنين . وكانوا في جيش قليل ، وأخذوا الشام منه ، وقتلوا

(١) في الأصل : أبو يوسف ، ولعل الصواب ما أثبتناه

ابن فلاح صاحبه (١) ، وقالوا له ما تحتاج أن تنفذ / بكتامة إلى الأحساء فقد ١/١٨٠
جئناك . فراسلهم وداراهم ، وقال لهم : لم رضيتم لأنفسكم أن تسيروا
تحت الرايات السود وتقيموا الدعوة لبني العباس ، قالوا له : قد كان ينبغي
ألا تمخرق علينا ولا تتكلم فينا ، ونحن نعرفك ونعرف أباك ، فما زال
يراسلهم ويتضرع اليهم ويقول : الدعوة واحدة وهذا البيت وبيت أبي
سواء ، فساروا إليه إلى مصر وضيقوا عليه ، فخذق على نفسه ، وبذل
الأموال ، وبذل المال للبوادي فأخذوا سوادهم وأنهزموا من باب مصر ،
وأسر ابن المنجا وجماعة منهم ، فأكرمهم وصانهم وخلع عليهم ، وردهم
إلى الأحساء وأعطاهم أكثر مما كان يعطيهم كافور ، وقتل من كان في
عسكرهم من السوقة والباعة وهم ألوف كثيرة ، وقال لولد أبي سعيد أنا
مامنعتكم وإنما منعكم هذا العبد جوهر ، وتقرب اليهم ، وأذكرهم أن
الدعوة واحدة وما ينبغي أن نختلف فيشمت بنا المسلمون ، وما زال هو ومن
بعده يحمل اليهم المال الكثير والبرّ الكثير إلى أن حاصرهم الأصفر ومنعهم ،
ووافى ملك الروم لعنه الله ونزل الشام .

واتفق موت البرذون عين الفضة ، ونما الخبر إلى ابن الزيات وهو
بالشام فكتب إليه : قلت إنك تدخل القسطنطينية على عين الفضة وقد مات
وبينك وبين القسطنطينية مسيرة ستة أشهر ، وملك الروم فقد نزل بالشام
وبينك وبينه مسيرة عشرين يوماً ، وقد قرب الأمر عليك فالحق . فترك
الجواب عن هذا وكتب إلى ابن الزيات : أنت رجل فاضل كامل ، صنعتك
وأسات اليك وأنكرت فضلك ، وما أدري كيف أعتذر اليك ، وأنا من

(١) هو علي بن جعفر بن فلاح الكتامي ، أبو الحسن ، من أكابر وزراء الفاطميين بمصر ، وكان
الناظر في جميع شؤون الدولة أيام الحاكم ، قتل في القاهرة سنة ٤٠٩ هـ .

١٨٠/ب أحوج الناس إليك ، وما هذا / سبيله من الملاطفة . وإذا طالبت خاصته والدعاة له بتلك الأقوال وبينت لهم كذبها وخلقها قالوا : تلك الأقوال لها باطن .

وعند الخامس منهم من أهل خوارزم والموليان وغيرهما زوار كثير قد جاءوا بالأموال والهدايا ، وهم محجور عليهم وموكل بهم ومع هذا فقد تبلغهم ما هناك من الفواحش والإباحات . فربما استفهم الواحد بعد الواحد من هؤلاء الزوار فيقال له : لهذا باطن ، وربما قيل لبعضهم : إنما يفعل هذا مولاكم عمداً ليريكم ويمتحن صبركم ، فأمسكوا ولا تتكلموا ، ثم لا يؤذن بالرجوع لأهل الفطنة منهم .

وقد كان سعيد وهو بالمغرب قد جعل الرصد على من يرد ويصدر بباب البلد فيعرف أخبارهم ، فمن كان منهم من الرسل والدعاة الذين يريدهم فلا يدخلهم إلا ليلاً ملثمين في هودج ، وإن كانوا جماعة ، فرق بينهم ، وأنزلهم ووكل بهم ثقاته ، وأخرجهم كذلك ، لئلا يقفوا على شيء من أمره ؛ ويدس اليهم من يحدثهم من أخباره بما يريد ، ويبرهم ويصلهم ويخلفهم ويخرجهم في الاستخفاء كما دخلوا ، ويردهم إلى النسفى وأبي حاتم الرازي وابن حماد . فتأمل حال هؤلاء وهم في الأطراف ، وقد تستروا بدين الإسلام وأقاموا المؤذنين ، فكل من يستدعونه في أول أمره يقولون له لسنا كالإمامية أصحاب موسى بن جعفر الذين يقولون : الصلاة إحدى وخمسين ركعة . الذي يجب عليك عافاك الله ثلاث وسبعون ركعة في اليوم واللييلة ، وتؤدي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، وتؤدي الأمانة ، وتحصن فرجك ، وما نحل لك المتعة كما تحله الرافضة ، وتجتنب ١/١٨١ الكذب والزنا والربا واللواط ، / ولا تشرب شيئاً من المنكر ، وما لك في شيء من هذا رخصة البتة . وإذا كان عند الداعية أحد من المحرومين ومن

لا يعرف حقيقة الدعوة يصلي الداعية بجدهاء الليل والنهار . ومع هذا فقد عرف أهل العلم حقيقة الدعوة فكيف بأمر النبوة وهو من الأمور المكشوفة . ولو أخذت تحصي فضائح هؤلاء في كل زمان مع هذا التحفظ لطلال ، وينبغي أن تعنى بأمرهم فليس هاهنا من يطعن في النبوات سواهم كما قد تقدم لك ودعاتهم اليوم مثل جابر المتوفى ، وابن جبلة ، وابن الكميث ، والحسن بن محمد الممدى ، يقولون لمن قد بلغوا به ، أما ترون أتباع هذا الفاعل الصانع - يعنون رسول الله ﷺ - اليوم - أربع مائة سنة قد أقاموا على شريعته مايفارقونها ، ماذا يرون فيها الحمير ، وقد كدّهم بالصلاة والصوم والحج والجهاد ، أما يفطنون أما يفيقون .

والعجب ممن ذهب عنه ﷺ مع ظهور أعلامه وانكشاف براهينه ، ولو كان هؤلاء فطنة ومعهم تدبّر لكفتهم أنفسهم وأحوالهم في معرفة صدقه ، فإنهم مع اعتصامهم به وتسترهم بإقامة شريعته والانتساب إلى أهل بيته ، ومع الأيمان والمواثيق، يفتضحون في كل طرفة عين ، وهو ﷺ قد جاء ذلك المجيء وأعداؤه منذ أربع مائة سنة يطلبون عثرة له وزلة فلا يجدونها ، وهو كما يقال : قد كان ينبغي أن يكون أصحاب الطب من أخشى خلق الله وأعرفهم به لكثرة ما يرون من الشدائد النازلة بالناس وبأنفسهم ثم قل ما يغني طبهم عن أنفسهم وأعزّتهم ، ولكن قد سبقوا إلى الاعتقادات الباطلة والتقليد للرجال ، فتركوا النظر وقلت عبرتهم ، فتبدلوا وتحيروا ، فتأهت عقولهم ، وماتت / فطنهم ، فنعوذ بالله من طول الغفلة وموت على غرّة ١٨١/ب وقلوم على حسرة .

وباب آخر

وهو أنه ﷺ قد علم وتيقن حين تحداهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بمثل عشر سور أو بمثل سورة أنهم لا يأتون بذلك ، ولو لم يتيقن ذلك لما تحداهم ولا قال ، لأن العاقل لا يقدم على مثل هذا وهو لا يأمن أن يأتوا بمثله فيفتضح وتبطل حجته ويستظهر عليه خصمه ويظهر كذبه وينصرف عنه أصحابه وتبطل رئاسته ، سيما والعرب أمم كثيرة ، والفصاحة مشبوتة فيهم غالبية على رجالهم ونسأهم وعبيدهم وإمائهم ، وهو لا يعرفهم بأعيانهم ولا يحيطُ علماً بأشخاصهم وبشعرائهم وخطبائهم وبلغائهم وفصحائهم ودعاتهم ، فكان لا يأمن أن يتبتل له قوم منهم غضباً لأديانهم ، وعصبية لآبائهم ، وأنفة لأنفسهم ، فيأتون بمثل ذلك في الفصاحة والبلاغة ، أو بما يقارب ذلك ، فيهدمون كل ما بنى ، وهو العاقل الحليم الذي لا يدفع عدوه عقله فلم يكن ليخبر أنهم لا يأتون بشيء من ذلك إلا وهو على يقين أنهم لا يأتون بذلك ولا بما يقاربه، فما في الدنيا عاقل تأمل أمره ﷺ إلا وأثمر له الفكر والعلم بذلك .

فإن قيل : قد يقول العاقل في صنعة يدعيها ، أو شجاعة ، أو في شدة وقوة وأشباه ذلك : إن أحداً لا يساويني في ذلك ولا يدانيني فيه ، وإن كان لا يعلم أن الأمر كما ادعى ولا يخرج ذلك من أن يكون عاقلاً . . . قيل له : لا يسأل عنه وعن أمثاله من تأمل ماقلنا ، فإننا لم نقل إنه ليس في الدنيا عاقل ادعى أنه لا يساوي في منزله إلا وهو على يقين من أن الأمر / كذلك ، 1/182 وإنما قلنا : إن هذا الرجل ﷺ قد ادعى أعظم الأمور وأجلها ، وهو أن الله اصطفاه على العالمين ، وجعله وحده منذ أرسله حجة على كل من أدر كه

وكل من يأتي بعده إلى يوم القيامة ، وأن من خالفه فقد حلّ ماله ودمه وأهله وذريته ، وعليه الخزي والغضب من الله في الدنيا والآخرة ، وانه قد وجب على كل عاقل طاعته والانقياد إلى أمره إلى غير ذلك مما ادعاه وفرضه مما يطول ذكره ، وان حجته في ذلك أن الخلق أجمعين لو اجتمعوا واجتهدوا لن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بمثل سورة منه لا يأتون بمثله ، وأنهم إن أتوا بذلك فقد بان كذبه وحرمت طاعته ووجبت معصيته وحل دمه ودم كل من صدقه ، فهذه الشريطة قلنا ذلك وادّعيناها ، وبهذا قد علمنا ، لا بما ظنه السائل .

وباب آخر

من أعلامه عليه السلام ، وهو أنه لما صاروا أصحابه في المدينة مشى اليهود إلى الأوس والخزرج وقالوا لهم : لقد جلبتم على أنفسكم باتباع هذا الرجل الضلال والبلاء العاجل بمعادة الأمم ، ولو كنتم يهوداً لناظرناكم ؛ وقد كان في الأوس والخزرج من قد تهود . وقالت النصارى لهم مثل ذلك ، ورغبوهم في النصرانية ، وهددوهم بنصارى العرب وبملوك الروم ، وأكثروا في ذلك وهولوا ، فقال الله عز وجل : « وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين . قولوا آمناً بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم » فكفاهم الله إياهم كما وعد وكما أخبر ، وقد كانوا أشد الناس حرصاً على قتله واستئصاله وبواره ،

١٨٢ ب / يبذلون في ذلك أموالهم ودماءهم. وقد كانت حاله بالمدينة وإن كان قد صار في جماعة وأنصار قريباً من حاله بمكة فقد كان يجلس وحده ويمشي وحده ، ويدعو به الرجل والمرأة لحاجة فيمشي مع من دعاه ، وقد يكون في بيته وعند أهله وحده ، وإنما بيوته ومسجده من جريد النخل وارتفاعها مقدار قامة .

وكانت سبيله في ذلك سبيل خلفائه وأصحابه في البذل والتضح ، وقد قصد العبد النصراني لقتل عمر فقتله^(١) ، وقصد ابن ملجم لقتل علي بن أبي طالب فقتله ، وقد تحصن عثمان وأخذ حذره وجمع نفسه ومع هذا فقد تسلى عدوه عليه ودخل من نحوخته ونال منه حاجته مع هذه الأنساب وهم الأمراء ، فتعلم أن سلامة رسول الله ﷺ من هذه الأشياء ، من الآيات العظيمة ، سيما وقد قال لعدوه : إن الله سيكفينكم ، وفي هذا تهيج لعدوه على نفسه ، وبعث على مكروهه .

وقد كان أهل مكة يبعثون اليهود والنصارى ومن بالمدينة على قتل رسول الله ﷺ ، ويحرضون بين الأوس والخزرج ، ويبعثونهم على من آمن برسول الله ﷺ وعلى من اتبعه ، وقد كان اليهود وأعداء رسول الله ﷺ ممن بالمدينة يردون مكة ويلقون قريشاً فيبعثونهم على مكاره رسول الله ﷺ وقتله .

وقد كان لليهود بالمدينة وبالبحر والجزيرة العرب عدد جم ، وقرى وحصون ، ولهم بأس ، ولهم نجدة وخيول وفرسان ، وأبطال وفصحاء وشعراء ، ولهم ثروة ، وفيهم أجواد ويستجار بهم ويجرون ويمنعون جيرانهم ، ويقاومون الملوك ويدفعونهم عن أنفسهم ؛ ونصارى العرب أكثر في هذا كله وأقوى وأشد ، فاعرف هذا فبك إلى معرفته أمس الحاجة .

(١) يقصد أبا لؤلؤة الفارسي المجوسي .

وباب آخر

من آياته ﷺ / وهو ما كان يبدر فإنه يوم كانت فيه آيات كثيرة ١/١٨٣
وأظهر الله عز وجل لنبيه أعلاماً عظيمة ، وكان للمشركين من قريش
غير قد أقبلت فيها أموال وبرز وأمتعة فاخرة ، وخرجت قريش وقد خافت
عليها المسلمين في نحو ألف فارس معدين ومستعدين ليحموها ، ووعد الله
المسلمين إحدى الطائفتين أن يظفرهم بهم ويغنمهم إياهم ، وودد المسلمون
أن تكون هذه الطائفة غير ذات الشوكة لقلّة المسلمين وضعفهم وكثرة
المشركين وقوتهم ، وكان المسلمون في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً يعتقب
العدة منهم البعير الواحد ، ولا فرس معهم يومئذ إلا فرس المقداد وفرس
الزبير ، وقد سبقهم العدو إلى الماء ، واحتوى على الشعاب ، واستظفروا على
المسلمين بالماء والمكان ، فوافى المسلمون في ضعفهم وقتهم ، فحصلوا على
المضايق والحروق من الأرض ، ولا ماء لهم ، فأنزل الله عليهم الماء فشرّبوا
وسقوا ركابهم وتطهروا ، وتوطت الأرض لهم ما كان منها رملاً حتى
ثبتت أقدامهم عليها ، وعند الحرب ألقى عليهم النعاس في الوقت الذي
لا يكون فيه نعاس ويطير النوم للخوف على النفوس ، فطيب قلوبهم وطير
خوفهم ، وشجع جنهم ، وأرسل إليهم ملائكته فثبتتهم وبشرتهم ، وأخذ
رسول الله ﷺ كفاً من تراب وفيه حصيات فرمى به في وجوههم وقال :
شاهت الوجوه ، حم ، لا ينصروا ، فتفرق الحصى في عسكر المشركين
وبلغ إلى خلق كثير بخلاف ماجرت به العادة . وقد ورد القرآن بذلك
وتفصيله وروداً يشهد عقل عاقل ومتأمل ومعتبر ومتفكر أن ذلك قد
كان ووقع في قوله في سورة الأنفال إلى قوله : « كما أخرجك ربك من

بيتك / بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون . وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يُحِقَّ الحَقَّ بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحِقَّ الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون . إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدُّكم بألفٍ من الملائكة مردفين وما جعله الله إلا بشريً ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله، إن الله عزيزٌ حكيم . إذ يغشيتكم النعاسُ أمانةٌ منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام . إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألني في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان . ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله « إلى قوله : «وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً إن الله سميعٌ عليم» (١) .

فانظر كيف يصف لهم أحوالهم وضعفهم وخوفهم وقتلهم وما كان قد وعدهم به من الظفر بإحدى الطائفتين قبل اللقاء وما نصرهم به على ذلك التفضيل . ولا يجوز أن يقول لهم : قد كنت وعدتكم وقد كنتم كارهين وخائفين ومستضعفين ، فأزلت خوفكم ، وطيبت نفوسكم ، وأنزلت عليكم الماء ، وغشيتكم بالنعاس أمانةً مني ، ونصرتكم بالملائكة ، وهو يعلم أنهم يعلمون أنه كاذب ، وأن ذلك لم يكن ؛ وهذا القول يسمعه العدو والوليُّ ، وهو يمتنُّ به على الصحابة وأتباعه ، ويحتج به على العدو والوليِّ ، ويصول بذلك ويدل ويستطيل ؛ هذا لا يقع من عاقل ، ولا يتوهمه عاقل تدبر وفكر ، فكيف بمن يدعي النبوة والصدق ، ويريد من كل أحد سماع

(١) الأنفال ، الآيات من ٥ - ١٧

قوله / أن يتبعه ويعتقد ذلك منه ويطيعه . وهؤلاء الذين اتبعوه وأطاعوه
وبذلوا أموالهم ودماءهم ، إنما فعلوا ذلك لما اعتقدوه من نبوته ، وعرفوه
من صدقه ، وتحققوه من قوله . ففي كل واحد من هذه الآيات مافيه أتم
الحجة بانفراده ، فكيف بترادفه واتصال بعضه ببعض ، ولو افردت لكل
آية باباً وشرحت مافيهما لكان أولى وإن طال ، وأنت متى شئت قدرت
على ذلك .

وانظر مافي قوله : « إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم
الفرقان يوم التقى الجمعان إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى
والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لا خلتهم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمراً
كان مفعولاً » إلى قوله : « وإلى الله ترجع الأمور » ^(١) فتأمل موافقته لهم
واحتجاجه عليهم ، وليس يدعى أن هذا قوله ، بل يقول لهم : هذا قول
ربي وربكم ، وهو الذي كان وعدكم هذه المواعيد وضمن لكم النصر
وقد وفى لكم بجميع ذلك .

وانظر إلى حسن تدبيره سبحانه وتعالى ، فإنه ضمن لهم إحدى الطائفتين
ولم يقل أيهما هي ، وودواهم أن تكون غير ذات الشوكة فإنها في عدة من
الرجال قليلة ، وأموالها كثيرة ؛ وكرهوا ذات الشوكة لقوتهم ، وكثرة
عددهم ؛ وأراد الله أن يحق الحق بكلماته التي وعد نبيّه أنه يهزم جموعهم
وينصر ضعف المسلمين عليهم . ولو قال لهم : إنكم تلقون ذات الشوكة
هالهم ما عاينوا ، إذ هم رجالٌ وعدتهم قليلة وأولئك خيالة وعدتهم كثيرة
فخافوا أن يبرزوا فيجول عليهم العدو جولة يصطليهم فيها فأيدهم بذلك

(١) الأنفال الآيات من ٤١ إلى ٤٤

١٨٤ب/ النصر ، وسلمهم تلك السلامة فظفروا بعدوهم فقتلوا سبعين وأسروا /
سبعين وهزموا الباقين .

وتفهم معنى قوله : «فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ» (١) أي بذلك النصر وذلك التأييد وتلك الآيات والمعجزات استوى لكم قتلهم ، «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى» (٢) لأنه ﷺ لما رمى بلغ الله رميته إلى ما لم يكن في وسعه تبليغها وبثها وإيصالها ، فما أحد أصابته إلا قتل أو أسر ؛ وليس يجوز أن يقول لهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ومثل ذلك قد يكون وقد يتفق ، وكذا في قوله : «ولكن الله رمى» ووليته وعدوه يسمع هذا ، وهم قد مارسوا الحروب قبله وجربوها وعرفوها وسمعوا بها ، ليعلم أن ذلك شيء انتقضت به العادة وكان فيه آيات ومعجزات . وقد سأل الحصار فقالوا : إذا كان الملائكة ثلاثة آلاف أو خمسة والمسلمون ثلاثمائة وثلاثة عشر فكيف لم يصطلموا عدوهم وإنما هم في نحو ألف ، وكيف لم يعنه بالملائكة يوم أحد وقد قتل أصحابه ، وهو قد كان يوم أحد إلى الملائكة أحوج .

قيل له : قد علمنا بما قدمنا أن الملائكة قد شهدتهم يوم بدر بدلالة امتنانه على المسلمين بذلك والعدو والولي يسمعه ، فليس في سؤاله قلدح في هذا العلم ، فإن بيننا وجه حضورهم فمن طريق التطوع ، وهو أنه ليس في حضور الملائكة عليهم السلام سقوط الفرض عن المسلمين في مجاهدة عدوهم ، ولا أذن الله لهم في محاربة العدو ، ولكنهم حضروا ليشبثوا الذين آمنوا وليرغبوا الذين كفروا وليقتلوا الواحد بعد الواحد تشبثاً للمؤمنين

(١) و (٢) الأنفال ، ١٧

وإرعاباً للكافرين وإيضاحاً للمعجزات ، وكذا قال الله وقد ذكر نزول
الملائكة : « وما جعله الله إلا بشري ولتطمئن به قلوبكم » وقال في موضع
آخر / في هذه القصة : « إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين
آمنوا سألني في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق » .

١/١٨٥

وأما قصة أحد ، فليس إذا أنزل الله الملائكة يوم بدر وجب أن يتزلهم
يوم أحد ، وليس إذا عافى الله نبيه وقتاً وجب أن يعافيه في كل وقت بل قد
يمتحنه بالمرض في وقت ويكلفه الصبر ، وكذا ينصر وقتاً بالملائكة ويخليه من
ذلك وقتاً آخر فتشند محنته ويلزمه الصبر ؛ وإنما يسأل عن هذا من ادعى أن
الله ينصر أنبياءه في جميع مواطنهم بالملائكة ، وهذا سؤال يذكره ابن
الراوندي بعد موافقته أبي عيسى الوراق وابن لاوى اليهودي ، وأمثالهم
من الملحدة وأعداء رسول الله ﷺ ، وهذا غاية كيدهم ، وقد بذلوا جهدهم
واستفرغوا وسعهم فما فضحوا بذلك إلا أنفسهم ، ولو سكتوا لكان أستر
لهم ، ولو آمنوا لكان خيراً لهم ، لتعلم أن الإسلام نور لا يطفأ ، وأن مطاعن
الخصوم فيه لا تزيد إلا قوة كالذهب الذي لا يكلف وكلما سبكته وعرضته
على النار زاد جودة وصفاء . وقد كان أعداء رسول الله ﷺ في زمانه من
قريش ، واليهود والنصارى أكبر عقولا وأشد كيداً وأكثر شغلا بالتتبع على
رسول الله ﷺ وطلب عثراته ولهم فضل المشاهدة ، فلو وجدوا مطعناً
لسبقوا إليه ولو افقوا عليه ، فقد كان ينبغي لهؤلاء المتأخرين من أعدائه أن
يعملوا هذا فيمسكوا ، ولكن الجهل والغباء قد سد مسامعهم وغطى على
أبصارهم ، ويأبى الله إلا فضيحتهم وهتيكتهم ؛ وهم لم يسألوا عن الآيات
التي كانت تنذر ولا عن المواعيد التي تقدمت بها قبل كونها مع كثرة ذلك
واعتماد الله به ، وما سألوا إلا عن الملائكة ليأسهم من تلك / وطعنهم في هذه

ب/١٨٥

وقد تبينت خيبة أملهم في هذه أيضاً وفي شهود الملائكة مع ما قدمنا من الدلالة .

أخبار من ذلك : أن رجلين من مزينة من الكفار كانا على جبل ينظران على من تكون الهزيمة ، فقال الباقي : و كنا نحب أن يكون على قريش لأهم أكثر أموالا و متاعاً فنصيب منه فراينا سحابة قد أقبلت ، و قائل يقول : أقدم حيزوم ، فأما ابن عمي فإنه انكشف قناع قلبه فمات ، وأما أنا فتماسكت ، فأنى النبي فأخبره بذلك ، فقال رسول الله ﷺ حيزوم اسم فرس الملك (١) .

ومن ذلك أن حكيم بن حزام لما أسلم وقد كف بصره و كان يوم بدر مع الكفار قال : لو كان بصري صحيحاً لأريتكم الوادي الذي خرجت علينا منه الملائكة .

ومن ذلك أن أبا تميم الأسلمي لما رأى الحارث بن هشام يصير إلى مكة داخلا وقد انقطع فرسه فسأله عن الخبر فقال (٢) : رأينا رجلا بيضاً على خيل بلق تطير بين السماء والأرض فانهزمتنا .

ومن ذلك أن أبا سفيان بن الحرث بن عبد المطلب لما قدم مكة منهزماً قال له أبو لهب : إلى أين يا ابن أخي فعندك لعمرى الخبر فقال : يا عم قتل الناس ، قال له أكانوا أكثر منكم ، قال : لا ، ولكننا رأينا رجلا بيضاً على خيل بلق

(١) كتب في هامش الأصل : الحيزوم اسم فرس الملك .

(٢) أما أبو تميم الأسلمي فهو حمزة بن عمرو بن الحارث الأسلمي ، صحابي كان كثير العبادة شهد فتح أفريقية توفي سنة ٦١ هـ .
الأعلام : ٣١٣

وأما الحارث بن هشام فهو الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي ، صحابي ، كان شريفاً في الجاهلية والإسلام ، شهد بدرأ مع المشركين وأسلم يوم فتح مكة توفي سنة ١٨ هـ .

تطير بين السماء والأرض ، فلما رأيناهم انهزمنا ، قال أبو رافع مولى العباس ابن عبد المطلب وكان مسلماً : تلك الملائكة فوثب عليه أبو لهب فضربه .

ومن ذلك خبر أبي داود المازني قال : بينا أنا أبتغي خلف رجل من الكفار إذ سقط رأسه بين يدي من غير أن أضربه ، وقد كان المسلمون لما رأوا كثرة المشركين وعدتهم وبأسهم وضعف المسلمين وقتلهم قالوا : يا رسول الله قد تخلف عنك خلق من المسلمين بالمدينة لم يخرجوا لأنهم لم يظنوا أنك تلقى عدواً تقاتلهم / وإنما ظنوا أنك تلقى غير قريش ، ولسنا نأمن جولة العدو ، فإن رأيت يا رسول الله أن نبني لك عريشاً تكون فيه ، فأجابهم إلى ذلك وقال : اتخذوا لي عريشاً تسعني وصاحبي ، وأخذ بيد أبي بكر الصديق فأدخله معه العريش ، وجعل رسول الله ﷺ يدعو ربه ، وطالت مناجاته ربه : رب ما وعدتني ، رب إن تهلك هذه العصاة لم تعبد في الأرض ، فاحتضنه أبو بكر من ورائه وقال : بأبي أنت وأمي مناشدتك ربك ، فوالذي بعثك بالحق لينجزن الله لك ما وعدك . وجعل رسول الله ﷺ يخبر أبا بكر بما يأتيه به جبريل والملائكة ، ويقول له : أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله وعونه ، هذا جبريل معتمراً بعمامة آخذاً بعنان فرسه يقوده على ثناة النفع ، وهذه الملائكة قد سوّمت .

فأمر الملائكة عليهم السلام ، وحضورهم يوم بدر ، وقاتل من قاتل منهم ، من الأمور المشهورة ، وقد قدمنا قبل هذه الأخبار دلالة العقل على ذلك ، وقوله عز وجل : « وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً » (١) فقلل المشركين في أعين المسلمين ليتجرؤوا عليهم ولثلا يهابوهم ، وقلل المسلمين في أعين المشركين ثم ملأ

(١) الأنفال ١٤

قلوبهم رعباً منهم ليكون ذلك آية للفريقين . وقد كان المشركون من قريش خرجوا من مكة على خيولهم مستظهرين ووعيدهم أن يغلبون كل من يلقونه ولا غالب لهم من الناس ، فلما نجت غيرهم ذات الأموال ، قال عتبة بن أبي ربيعة : ننصرف فقد نجت عيرنا من محمد وأصحابه ، فقال أبو جهل : لا ننصرف ونقيم ونجزر الجزور ونأكل ونطعم الناس ونأخذ محمداً وأصحابه فإنهم في ضعف وقلة ، فلما التقى الجمعان ورأوا قلة المسلمين وضعفهم / ب/١٨٦ رهبهم وزال ما كانوا يظنون .

وقد ذكر الله للمسلمين أمرهم فقال : « ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورثاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط . وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جارٌ لكم » (١) إلى آخر القصة ولعظم الآيات بيد ما أذكر الله بها في كل موضع ، فقال عز وجل في سورة آل عمران : « وإذ غدوت من أهلك تبوءُ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم . إذ هممت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون » إلى قوله : « ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكتبهم فينقلبوا خائبين . ليس لك من الأمر شيء » (٢) معطوف على قوله : « وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » أي ليس لك ولا لغيرك شيء من هذا النصر ، وإنما هو من الله وحده في إنزال الملائكة وفيما ألقى من الرعب وفيما غشى من العاص وفيما بلغ من الرمي وغير ذلك . وكان المشركون مغيبين وحقين ومحفظين يتمنون أن يبرز اليهم رسول الله ﷺ ، وأصحابه لا يشكون في أنهم إذا وقعت عيونهم عليهم اضطلموهم واستأصلوا الإسلام وشفوا غيظهم من رسول الله ﷺ فجاءهم مالم يحتسبوا .

(١) الأنفال ٤٨

(٢) آل عمران ١٢١

وباب آخر

من آياته وهو أنه ﷺ لما نزل بالمدينة ودعا إلى ربه وبها وحولها من اليهود وخلق كثير ، فدعاهم ووعظهم وبين لهم ، فرجع الرؤساء والأتباع وتواصوا بالانحراف عنه وبالصدّة وبالقصده ، وكان عددهم كثيراً وشوكتهم شديدة ، فمشوا في الأوس والخزرج في الصدّة عنه ، ومالوا إلى عبد الله بن أبي سلول ، وكان الأوس والخزرج على أن يملكوه عليهم إلى أن جاء الإسلام فانتقض ما عزموا عليه . وكانت اليهود تدّعي أنها على بصيرة / من أمرها ، وأن الجنة لها ، وأن نعيم الجنة خالص لها ، فأخبر الله نبيّه أنهم ليسوا من أمرهم على يقين كما يدعون ، وأن رهبتهم لكم شديدة ، وأنتك إن دعوتهم إلى تمني الموت لا يتمنونه ، فقال : «قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين» . ثم قال : «ولن يتمنوه (١) أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين . ولنجدنهم أحرص الناس على حياة» (٢) إلى آخر القصة . ثم أعاد هذا التقرير والتوبيخ في سورة أخرى وفي زمان آخر فقال : «قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين» . ثم قال : «ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين» (٣) . فما تمنوه أبداً مع هذا الاقتضاء والمطالبة التي تغيظ وتغضب ، ومع شدة عداوتهم لرسول الله ﷺ وحرصهم على تكذيبه وفضيحتة وزلة تكون منه ، وقد بذلوا في ذلك دماءهم وأموالهم وأولادهم وحاربوه

(١) في الأصل : فلن يتمنونه

(٢) البقرة ٩٤ - ٩٥

(٣) الجمعة ٦ - ٧

وأعانوا علوه عليه ، وتكلفوا كل شدة وكل مشقة في ذلك وما أقدموا على
تمني الموت مع سهولته وقربه ، وهو أن يقولوا : ليتنا متنا . وهذه الآيات
العظام والأعلام الكبار الهائلة الواضحة المكشوفة الباهرة القاهرة التي ما فكر فيها
عاقل إلا ملأت قلبه علماً بنبوته ﷺ وصدقه ، وبهرت عقله ، فإنك ماتدري
أمن إقدامه ﷺ على الإخبار عنهم بأنهم لا يتمنون ذلك مع خفته وسهولته ومع
علمه بشدة حرصهم على تكذيبه وفضيحته تعجب ، أم من إحجامهم عن ذلك
مع شدة حاجتهم إليه . ولم يقل هذا من عندي ولا من مولى / بل هذا من
قول الله ربي وربكم وإلهي وإلهكم والعالم بسرکم وجهرکم ، فجعله كتاباً
يقرأ وقرآنًا يتلى ، ليكون أشد وأغيب وأبلغ في الحجة وأظهر في التنبيه ، ولتعلم
أنه ما قال هذا لهم إلا وهو عالم أنهم لا يتمنونه . وهو أعجب من قوله للعرب
أنكم لا تأتون بمثل هذا القرآن ، وهذا مقام لا يقومه مثله مع عقله وعظم
دعاويه إلا مع اليقين ، لتعلم ثقته بربه جل وعز وسكونه إلى ما يوحى إليه .

وقد تحيرت الملحدة وأعداء رسول الله ﷺ ، وتاهت عقولهم عند هذه
الآيات ، فهم يلعنون العرب لم لم يأتوا بمثل هذا القرآن ، وكون اليهود لم
لم يتمنوا الموت فيكذبونه فيستريحون ونستريح . وهذا يقوله مثل الحداد وصاحبه
أبي عيسى قبحهم الله .

فمرة يقولون : كانوا جهالاً بلهياً فقبل لهم ما قد تقدم ذكره من أن من رمى
أعداء رسول الله ﷺ من قريش واليهود والنصارى بالجهل والغباء فهو كمن
رماه ﷺ بذلك . ومرة يقولون : قد كانوا عقلاء وفطناء ولم يكونوا أهل
جدل ونظر فيعرفوا مثل هذا ، قلنا : لو كانوا مثلكم في النظر والجدل لعميت
قلوبهم كما عميت قلوبكم . وبعد فما حاجتهم إلى جدلكم ونظركم ليعرفوا
مادعاهم إليه ﷺ وهم بهذا أعلم الناس ، وهو شيء يعرفه الرجال والنساء

والصبيان من كل أمة ، فإن من استعلى على خصمه بأنه لا يأتي بمثل ما أتى من
كتابة أو سباحة أو فصاحة أو خطابة أو شعر فإنه قد عرف الوجه في ذلك ، فإن
الصبي يقول لقريبه : أنت لا تحسن تكتب كما أكتب ولا تحسب كما أحسب
ولا تطفر هذا الجدول كما أظفر ، فإن خصمه يدري ما أرادته منه وبأي شيء
قد طالبه / وما الوجه في مغالته وإكذابه ، وكذا تمنى الموت قد عرفته اليهود
وَعَرَفُوا كُلَّ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَا أَرَادَهُ ﷺ .

١/١٨٨

فذكر ابن الراوندي أن الوراق كان يقول : إنما لم يتمنوا الموت لأن
اليهود والنصارى كانوا يؤمنون بموسى وغيره ممن كان يدعي النبوة ، وقد أخبر
هؤلاء في كتبهم بنبوة محمد ﷺ فلم يقدموا على التمني لهذا . فقيل له : فهذا
يدل على نبوة أولئك ونبوة محمد جميعاً فقد لزمكم القول بكتبهم أجمعين ،
وأنتم تنكرون ذلك كله . قال : إنما إخبار هؤلاء عن محبي محمد ﷺ كما يخبر
المنجم عن ما يكون ، فيقولون ذلك . قيل له : ومتى كان مثل هذا في أخبار المنجمين
أن يخبروا عن مثل محبي محمد ﷺ ، وفي أي زمان يجيء ، وبأي شيء يجيء ،
ومن أي بلد يجيء ، ومن أي جيل ، هو وابن من هو ، على التفصيل الذي جاء
به ، مثل هذا لا يكون في أخبار حذاق المنجمين ولا ما يقاربه ولا ما يدانيه ،
وإنما يتفق لهم الإصابة في شيء مجمل قليل يسير بعد أن يكذبوا ويخطئوا (١) في
ألف شيء ، فيتفق مايتفق لهم من ذلك بطريق التجارب والزجر ، كما يتفق
للصبيان من الإصابة في إخراج الزوج والفرد وفي اللعب بالخاتم ، بل مايتفق
للصبيان في الإصابة أكثر وأسرع وأحسن وأبدع ، وكذا مايتفق للقوابل في أن
الحمل ذكراً أو أنثى ، وكذا مايتفق لمن يزجر الطير ويضرب بالحصى ، وكذا
مايتفق للمتفائلين بالثعلب والمتطيرين باليوم ولمن يزجر الطير ، فكذب المنجمين

(١) في الأصل «يكذبون ويخطئون» .

١٨٨ ب / وخطئهم أكثر من كل كبير ، وهو شيء لا يستنكر ، وهم يعترفون بهذا فيقولون : لا تعجبوا من خطئنا ولكن اعجبوا من / صوابنا ، وإنما صوابهم كمجنون نطق بحكمة ، أو صبي أتى بناذرة ، فإن الناس يحفظون ذلك ويعجبون به لأنه أتى من غير معونة ، ولا يحفظون ما يكون من المجانين والصبيان من الجهل والكذب ، فكذا ما يكون من المنجم ، يخطيء في ألف شيء ويكذب في ألف شيء فلا يحفظ عليه لأن ذلك غير منكر منه ، فإذا اتفق له الصواب في شيء واحد تعجبوا وحفظ لقلته من مثله ولأنه أتى من غير معدنه . وعلى أن الناس يكذبون المنجمين ويدعون لهم ما ليس لهم ولا في صنعتهم ، ويضايقون الأنبياء ويتعتتوهم ، وقد تقدم قبل هذا شيء على المنجمين فارجع إليه .

ثم قال هؤلاء الزنادقة : إنما لم يتمنوا الموت لأنهم لو تمنوه بألستهم لقال إنما عنيت أمنية القلوب ، فإن قالوا له : قد تمنينا بقلوبنا ، قال لهم : قد أخبرني جبريل أنكم لم تفعلوا ذلك .

قيل لهم : قد حصلوا لنا غير متمنين بألستهم ، وانتقضت العادة وقامت الحجة وظهرت البينة ، وحصلتم تعللون ما لم يكن وما لم يقع ، وقد كنتم نسبتهم اليهود في تركهم التمني إلى البله ، والآن فقد نسبتموهم إلى التميز والتحصيل وإلى غاية الذكاء والفطنة ، ومن هذه مرتبته كانوا يقولون له : أنت قلت لنا لن نتمنى ذلك أبداً وهاقد تمنيناه وهذا لكذاب لخبرك ظاهر بين ، فرجوعك إلى ما في القلوب هو الانقطاع على أنك قد نفيت التمني منا نفيًا عاماً لما كان منه باللسان وما كان منه بالقلب ، فإذا تمنيناه باللسان فقد أكذبناك وقد أفضحناك وقامت حججتنا عليك ، وقولك بعد هذا أن جبريل أخبرك أنا ماتميناه بقلوبنا قدح منك لأننا نحن نقول لك : إن جبريل ما أتاك ولا يأتيك فكيف يكون دعواك حجة علينا . فتعلم بهذا / بطلان كيد الخصوم في توكلهم لليهود

بعد أربع مائة سنة ، وبعد فكيف لم يقولوا له : أي الأمتين أخبرت إنا لانفعلها
ليبينوا للناس أنه لا حجة عليهم فيما أخبر به عنهم في أنهم لا يتمنون الموت مع
حرصهم على تكذيبه وإبطال حجته .

و باب آخر

من آياته ﷺ ، أنه مضى ومعه أبو بكر وعمر إلى اليهود في بعض الشآن ،
فلما جلسوا أرسل اليهود من يلقي عليهم صخرة لتقتلهم فلما صعد رسول
اليهود لذلك أنذره الله عز وجل فنهض من ساعته وقال لأبي بكر وعمر :
قوما فإن هؤلاء قد أرسلوا من يلقي علينا ما يقتلنا ، فخرج اليهود لذلك .

وفي ذلك يقول الله ممتناً عليهم : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم
إذ هم قوم أن يسطوا أيديهم اليكم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله
فليتوكل المؤمنون » ^(١) وهي قصة معروفة ، فلهذا جاز الامتنان بها ، ولا يجوز
أن يمتن ويقول مثل هذا إلا لما هو مشهور معروف عندهم سمعه الولي والعدو .

و باب آخر

من آياته ﷺ ، وهو أن قوماً من المنافقين ومن في قلوبهم مرض وضعف
يقين وقلة بصيرة كانوا يمالئون اليهود ويتوددون إليهم ، فيقال لهم : لا تفعلوا
هذا ، فيقولون : الصواب لنا ولكل عاقل أن يفعل ذلك ، فإننا لا نأمن أن يكون
لليهود دولة فيصيبنا منهم دائرة ، وهم كثرة ولهم نجدة وبأس وشدة ، فأنزل
الله : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض »

(١) المائة ١١

ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين « (١) من تولاهم فإنه منهم في الكفر لا من المؤمنين ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين أي لا ينجيهم من العذاب ولا يوصلهم إلى الثواب . ثم قال على نسق الكلام : « فترى الذين في قلوبهم مرض / يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة » ثم قال : « فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمرٍ من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين » (٢) والفتح هو نصر رسول الله ﷺ عليهم وغلبته لهم ، فوعده بذلك ثم أنجز له ووفى له ، وعسى من الله وأحبه . فواقع رسول الله ﷺ اليهود وقائع كثيرة فنصره الله عليهم ، وندم أولئك المنافقون في إسراعهم فيهم كما قال وكما أخبر . وقال المؤمنون حين رأوا غمَّ المنافقين بما نزل باليهود وبما آتاه الله من نصر نبيِّه ﷺ : « أهولاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم أنهم لمعكم » (٣) .

وفي هذا آيات عظيمة وأخبار بغيوب كثيرة أخبر بها قبل أن تكون على وجه يغيظ ويغضب ويبعث العدو على استفراغ وسعه وبذل مجهوده في تكذيبه وفي أعمال حيله في أن لا يتم ما قال وما أخبر ، خلافاً (٤) لتدبير عقلاء البشر ، فإنهم لا يظهرون لعدوهم وجوه مكايدهم لثلاث يسبقوهم إليها ، ولثلاث يتحرروا منها ، لتعلم أن هذا تدبير الله الغالب لكل شيء ، الذي لا يغلبه شيء ، وأن هذا القرآن كلامه وقوله لا كلام أحد من البشر . وكان ميل أولئك إلى اليهود فأنزل الله هذا في اليهود وفي النصرارى ، ونصر المسلمين عليهم أجمعين ، وكانت

(١) المائة ٥١

(٢) المائة ٥٢

(٣) المائة ٥٣

(٤) في الأصل : خلاف .

وقائع المسلمين مع النصارى أكثر ، وكان بأس النصارى أشد ، وعددهم أكثر ، ومدة محاربتهم أطول ، فكانت العقبي للمسلمين .

وباب آخر

من آياته ﷺ ودلائل نبوته ، وهو قوله عز وجل : «يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم» .

فأخبرهم أن من ارتد منهم عن دينه أتى الله بمن يغلبه ويقهره ، فلما قبض رسول الله ﷺ ارتدت / القبائل الكبيرة من العرب عامة وخاصة على وجوه من الردة كما قد تقدم شرح ذلك ، فشمروا أبو بكر الصديق لحربهم ، وأرسل المهاجرين والأنصار على قتالهم ، وقاموا على ساق ، فقهرهم وأذلّوهم وغلبوهم وظهرت كلمة الإسلام فكان العز للمسلمين ، وهذا من الآيات العظام ، فانظر كيف قال عز وجل لهم بالمواجهة : «من يرتد منكم عن دينه» ولم يقل : من يرتد عن دينه ، فكانت عِدّة تحتمل التسويف بل قال : «منكم» .

وفي هذا غيوب كثيرة ، فإن القبائل التي ارتدت تلك الأنواع من الردة كانت كثيرة ولها بأس وشدة كما قد تقدم ذكر ذلك ، وفي هذا أيضاً تأييد لإمامة أبي بكر الصديق ، وأنها حق وهدى وصواب ورشاد ودين لله ، وقد وصفه الله ومن معه بأنهم يحبون الله وأن الله يحبهم ، وأنهم يخضعون ويدلون للمؤمنين وأنهم يستعلون ويشتلون على الكافرين ، وأنهم يجاهدون في سبيل الله

ولا يخافون أحداً ولا يراقبون أحداً ولا يهابون في الله مخلوقاً وأن هذا فضل من الله ساقه إليهم وخصهم به ، وهذه صفات أعلى المؤمنين درجة عند الله ، فلو لم يقف من غلط من آتهمهم ورماهم بالريب إلا من هذا الوجه لكفى وأغنى وزاد على الكفاية (١) . ولو كان أبو بكر رضي الله عنه وأصحابه ارتدوا وكفروا كما زعم هؤلاء وادعوا لأتى الله بمن يقهرهم ويغلبهم ، وإلا كان خبر الله قد كذب وأخلف وحاشا لأخبار الله أن تكون كذلك . وعند هؤلاء الزنادقة أن هؤلاء الصحابة قد ارتدوا ، وأنهم أعداء الله وأعداء رسوله وأن أمير المؤمنين ونفراً كانوا معه على الإسلام مغلوبين مقهورين مقصودين بالإذلال والمكروه ، وأن أبا بكر وعمر وعثمان والمهاجرين والأنصار كانوا يعززون المشركين وأعداء الدين والمرتدين والمبدلين والمغيرين ويذلون المؤمنين ، وهذا ضد / التنزيل وتكذيب لقول الله فيهم كما قد شرحه الله وبينه في الآية وأظهره من ضمائر هؤلاء ونياتهم . وعلى مايقوله الخصم كان ينبغي أن يكون التنزيل : يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يبغضهم ويبغضونه يجاهدون في سبيل الشيطان فهذه صفاتهم عند هؤلاء الخصوم ، نعوذ بالله من العمى .

ب/١٩٠

والذي عند العلماء ، أن علياً رضي الله عنه كان في أيام هؤلاء أعز المؤمنين وأجلهم وأعلاهم ، نافذ الأمر مسموع الغلب ، مثلهم في سلطانه ؛ وبه قام سلطان أبي بكر وبأمثاله من المؤمنين ، وقد تولى لأبي بكر أتعاب المدينة ، وتولى له أموال رسول الله ، وسار معه إلى الربذة وإلى ذي القصة ، وغزا معه ، وأشار عليه بتلك الآراء ، وردّه إلى المدينة وأطاعه حياته وبعد موته ، ونفذ وصيته في عمر . وكان رضي الله عنه يضرب المثل لأصحابه ، وأنه كان

(١) كتب في هامش الأصل « تشيع على الروافض » .

في سلطان أبي بكر وعمر أنفذ قولاً ، وأن أولئك كانوا أعرف بحقي منكم ،
وأني لو كنت الخليفة في زمانهم لكانت طاعتهم إلي أحسن ، وكان يقول لعدوه
مثل ذلك ، ولقد كتب إلى معاوية يتمنى أولئك الذين مضوا من المهاجرين
والأنصار فقال : (١)

لو أن عندي يا ابن حرب جعفرًا أو حمزة الليث الهمام الأزهرًا
أو أن لي صديقها أو عمرًا أو من أولئك السابقين معشرًا
رأت قريش نجوم لي لي ظهرًا

١٥١/١٥ والخصم في زمانك هذا يقول : ما أسلموا قط ولا لهم إسلام ، وأنهم
ما زالوا أعداء المسلمين ، والذي يعرف أهل العلم والتحصيل أنهم كانوا خاصة
١/١٩١ رسول الله ﷺ / وبطانته ، وأمناءه وثقاته على نفسه وأهله ودينه ، وأنه كان
يحبهم ويودهم ويجلهم ويعزهم ويواليهم ، وأنه قد فرض محبتهم ومواليتهم
وأوجبها على الخلق أجمعين إلى يوم القيامة . والعلم بهذا قبل العلم بنبوته ، وهو
كالعلم بأن عقبة بن أبي معيط ، والعاص بن وائل ، والوليد بن المغيرة ، والنضر
ابن الحارث بن كلدة ، وأبي بن خلف ، وأمية بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ،
وشيبة بن ربيعة ، وأمثالهم ، كانوا أعداء رسول الله ﷺ ، وأنه قد فرض
بغضهم والبراءة منهم إلى يوم القيامة . فما يحتاج في هذا إلى تلاوة آية ولا إلى
رواية خبر ، وإن كان القرآن مملوءاً بذلك ، والحديث مستفيضاً به . فإن فعلت
ذلك فمن طريق الزيادة في الحجج والمظاهرة بالبينه . ولحكاية تلك الألفاظ عمل
الناس الكتب في تفضيل القرآن وإن كانوا يعلمون أن رسول الله ﷺ كان يفضل
ويجمله ، وكما عملوا الكتب في تفضيل شهر رمضان وإن كانوا يعلمون أن

(١) كتب في هامش الأصل : « من شعر علي بن أبي طالب رضي الله عنه » .

رسول الله ﷺ كان يفضلهُ ، وكما عملوا الكتب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي الجهاد في سبيل الله ، وكما عملوا الكتب على المبتدعين من أهل القبلة بأن القديم الأزلي هو الله وحده ، وأنه لم يزل موجوداً حياً عالماً قادراً غنياً ولا يزال كذلك ، وأن جميع ما خلقه وفعله وقضاه وقدره وشاءه وأراده وصنعه ودبره ورضيه وأحبه وأمر به ودعا إليه فكله حق وصواب وعدل وحسن من جميع وجوهه ، أين كان وفيمن كان ، وأنه يجب على العباد قبوله والصبر عليه والرضى به والتسليم له سواء كان شدة أم رخاء ، وأن الكفر بالله وشتم أنبياء الله وتكذيب رسل الله وجميع المعاصي قبيحة ، فتلوا في ذلك آيات القرآن وذكروا ألفاظ النبي ﷺ / لما ذكرنا ، فاعرف هذا ، فالعلم بأن رسول الله ﷺ مدح أبا بكر وعمر وتلك الجماعة من السابقين أقوى من العلم بأنه مدح أحداً وأثنى عليه ، أو أنكر أن يكون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وتلك الجماعة مدحوا رسول الله ﷺ وأعظموه أو صلوا خلفه ، وإنما ذكرنا هذا للحاجة إليه ولأن الناس قد أكثروا فيه في هذا الزمان فما يستغلون الآية .

ب/١٩١

وباب آخر

من آياته ﷺ ، وهو أن قريشاً والعرب تجمعوا وأعدوا الخيل والرجال والسلاح وقالوا : نسير إلى محمد فنقتله ونقتل أصحابه ونأخذ بثأرنا يوم بدر . فساروا في ثلاثة آلاف ، وقال رسول الله ﷺ ندعهم حتى يردوا المدينة ؛ فقال قوم من الأنصار قد أصابوا زروعنا فنخرج اليهم فنلقاهم وراء المدينة ، فصار رسول الله ﷺ إلى رأيهم وسار . ثم فكروا وقالوا : نأخذ بما أشار به رسول الله ﷺ ونقاتلهم في المدينة ، فقال رسول الله ﷺ : ما كان لي أن ألبس لامي فأرجع حتى ألقى العدو . فخرج في سبعمائة وفيهم عبد الله بن أبي

سلول وأمثاله ممن في قلبه مرض ، فقال رسول الله ﷺ : ستكون فيكم مصيبة ، وذلك أن النبي ﷺ رأى في المنام أن بقرأ تنحر فتأوله قتلا في أصحابه ، ورأى أن سيفه ذا الفقار قد انفصم فكان قتل عمه حمزة رضي الله عنه ، ورأى أن كبشاً أعين قتل فتأوله كبش الكتبية فكان عثمان بن أبي طلحة صاحب لواء المشركين . فلما صاروا بأحد التقوا مع المشركين عبأ رسول الله ﷺ أصحابه قال لهم : إنكم ستتهزمونهم ، وأقام الرماة من أصحابه في موضع خاف أن يدخل المشركون منه فيصيروا خلف العسكر ، وأمر عليهم عبد الله بن جبير ، وقال لهم : / إن رأيتمونا قد هزمناهم حتى بلغنا بهم بموضع بعيد فلا تبرحوا / أنتم ، فانهزم المشركون كما قال رسول الله ﷺ ووضع المسلمون فيهم السيف يقتلونهم ، ونظر الرماة إلى الهزيمة فتركوا مراكزهم واتبعوا العدو واشتغلوا بالغنائم وثبت أميرهم مع طائفة وقال : والله لا أعصى رسول الله ﷺ ، فلما زال الرماة عن مكانهم دخل المشركون وصاروا من ورائهم ونادى مناديتهم بصوت عال : قتل محمد وقتل ابن أبي قحافة وقتل ابن الخطاب . وانصرف عبد الله بن أبي سلول بمن معه ، وانهزم المسلمون ، وبقي رسول الله ﷺ مع نفر يسير ، فما برح وما برحوا مع قتلهم وكثرة المشركين ، منهم أبو بكر وعمر وعلي وطلحة وأبو عبيدة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص ونفر من الأنصار ؛ وأقبل أبو سفيان بأصحابه نحو الجبل الذي فيه رسول الله ﷺ والنفر الذين معه فصر ففهم الله فلم يقدموا عليهم ، فنادى أين ابن أبي كبشة ، أين ابن أبي قحافة ، أين ابن الخطاب ، فما أجابه أحد فقال : قتل هؤلاء ، فقال عمر : يا رسول الله ألا أجيئه ، فقال : أجيئه ، فقال أبو سفيان : اعل هبل ، فقال عمر : الله أعلى وأجل ، قال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم ، فقال عمر : الله مولانا ولا مولى لكم ، قال أبو سفيان : الأيام

دول ، والحرب سجال ، وأحد بيدر ، وحنظلة بحنظلة ، يعني ابنه حنظلة .
فقال له عمر : ولا سواء ، قتلاتنا في الجنة يرزقون وقتلاكم في النار يعذبون ،
فقال أبو سفيان يا ابن الخطاب أسألك عن شيء فأخبرني ، فقال : قل ، فقال :
ب/١٩٢ أما أنت فحيّ ، سألتك بالله أحمد حيّ وابن أبي قحافة حيّ ، قال : نعم / ،
ورسول الله يسمع كلامك ولك منه ما تكره ، فقال أنت أصدق ، فإن ابن
قمئة أخبرني أنه قتل (١) . فقال النبي ﷺ اللهم أقمه في الدنيا قبل الآخرة ،
فاعتقل عنزاً ليحلبها فنطحته فمات .

وفي هذه الواقعة يقول الله عز وجل : «ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم
بإذنه» أي تقتلونهم «حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد
ما أراكم ماتحبون» (٢) إلى آخر القصة .

فتعلم أنه لا يسوغ ولا يجوز أن يقول رئيس قوم لهم : قد كنت وعدتكم
أن تقتلوهم وقد صدقتكم فيما وعدتكم وأريتكم ماتحبون ثم عصيتم أمري
وخالفتم وصيتي وهو يعلم أنهم يعلمون أنه قد كذب في جميع ذلك ، فكيف
بمن يدعي النبوة والصدق في جميع ما يقوله ويخبر به .

وقوله : «ولقد صدقكم الله وعده» إلى قوله : «منكم من يريد الدنيا
ومنكم من يريد الآخرة» يعني أولئك الذين أدخلوا المراكز (٣) واشتغلوا
بالغنيمة «ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين .
إذ تُصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غمّاً

(١) هو عبد الله بن قمئة الليثي : جرح وجثة الرسول في أحد فدخلت حلقتان من حلق الدروع
في وجته ، وانظر لهذه المحاوراة سيرة ابن هشام ٣ : ٩٣ - ٩٤
(٢) هذه الآيات وما بعدها من سورة آل عمران ١٥٠ - ١٥٤
(٣) في الأصل : أدخلوا بالمراكز .

بغمّ لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خير بما تعملون (١) ثمّ أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاساً يغشى طائفة منكم .

وهذه أيضاً من الآيات بأحد ، فإن النعاس غشيم كما غشيم بيدر ، في الموضع الذي يطير فيه النعاس ؛ والذي يدلّك على كونه امتنان الله عليهم به ولا يجوز أن يمتن عليهم بذلك والعدو والوليّ يسمع هذا الامتنان ، وهو أمر لا أصل له وهو يعلم أنهم يعلمون أنه قد كذبهم في ذلك . إلى قوله : « إنّ الذين تولّوا منكم يوم التقى الجمعان إنّما استدلهم الشيطان / ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إنّ الله غفور حلِيم » ، وقال لنبية عليه السلام : « فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر » فأمره بالاستغفار لهم وأن يعود لهم إلى حالهم في مشاورتهم ، فإن المشورة فيما لم ينزل به قرآن مستحبة حسنة . والذين أشاروا من الأنصار على رسول الله ﷺ بأن تكون الحرب خارج المدينة كان لهم أن يشيروا بذلك ، وكان لرسول الله ﷺ أن يأخذ برأيهم ؛ ولقد اجتهد أعداء عثمان في أن يجدوا له عيباً فما قدروا عليه مع طول المخاطبة ، فقال له قائل منهم : أنت ممن تولى يوم أحد فقال له عثمان : فلم تعيرني بذنب قد غفره الله ، أما سمعت قوله : « إنّ الذين تولّوا منكم يوم التقى الجمعان » إلى آخر الآية .

وفكر في معنى قوله عز وجل : « أو لما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل : هو من عند أنفسكم إنّ الله على كل شيء قدير » (١) أي بذنبكم وتقصيركم وترككم الموضع الذي قال لكم نبيكم ﷺ سنهزمهم فلا تركوا مركزكم ولا تمسوا غنائمهم حتى تفرغوا . وقد كانوا يوم بدر

(١) آل عمران ١٦٥

قتلوا سبعين وأسروا سبعين ، فلهذا قال لهم : « قد أصبتم مثلها » لأن القتلى من المسلمين كانوا يوم أحد سبعين فلهذا قال لهم : « قد أصبتم مثلها » لأن القتلى من المسلمين كما ذكرنا . فتأمل ما تقرأ وأطل الفكر فيه تقف على المراد به ، فإن الذكر للقصة بأحد من قوله : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة » إلى قوله : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم » .

فتأمل طول هذه المراجعة والمواقفة للمؤمنين على الوفاء بما ضمنه لهم ، وعلى الصدق فيما أخبرهم وفيما كان من تقصيرهم ، / فكم فيه من آيات ودلالات .
ب/١٩٣ وانظر إلى هذا الادلال بالحق والاستطالة على العدو والولي بالحجة حتى ما يستطيع العدو المكاشف أن يدفع شيئاً من ذلك .

وانظر إلى المواقفة والمناظرة التي كانت بين عمر وبين أبي سفيان ، هل قدر أبو سفيان وأصحابه وهم يناظرون المسلمين من عسكرهم أن يقولوا : إن محمداً كذبنا في كذا وأخلف في كذا وكيف تطيعونه وتفارقون أديانكم وبلدانكم وتقتلون أنفسكم لرجل هذه سبيله وما أشبه ذلك ، وهذا موضع حاجتهم إلى ما هذه سبيله .

وانظر إلى أهل الردة على طبقاتهم ، فقد كانوا أشد الناس عداوة لأبي بكر وقد نال منهم كل منال وقتلهم كل قتلة ، فما استطاع أحد منهم أن يقول له : وأنت فقد بدلت دين محمد ونقضت عهوده فكيف أنكرت علينا ما صنعنا ، ولم تقتلنا لأننا منعنا الزكاة ، وهذا موضع حاجتهم إليه وحجتهم عليه ، ولتعلم أنه لم يكن فيه مغمز كما لم يكن في رسول الله ﷺ .

ولما رجع المشركون من أحد وصاروا بالروحاء (١) ، أقبل بعضهم على

(١) مجمع البلدان ٣ : ٧٦

بعض يتلاومون ، وأنهم صاروا في عسكر عظيم وهم لا يشكون في أنهم يقتلون رسول الله ﷺ ويستأصلون الإسلام : فخاب أملهم واختلفت أقوالهم وقالوا : لا محمداً قتلتم ولا كواعب أردفتن فبئس ما صنعتن .

وقد كان أبو سفيان نادى أصحاب رسول الله ﷺ قبل انصرافه من أحد : ما بيننا وبينكم موسم بدر الصغرى نلتقي بها ، فقال النبي ﷺ لمن كان يجيبه من الصحابة : قل نعم إن شاء الله ، فلما حضر الوقت تعذر على أبي سفيان الخروج للوعد أو كرهه ، فأتى نعيم بن مسعود فقال له : إني واعدت محمداً وأصحابه أن نلتقي بموسم / بدر الصغرى وقد بدا لي أن لا أفعل ، وأكره أن يخرج محمداً وأصحابه ولا أخرج فيزيدهم ذلك جرأة ، ولأن يكون الخلف من قبلهم أحب إليّ ، فلك عشرة من الإبل إن حبستهم عني . فقدم نعيم على أصحاب رسول الله ﷺ وهم مجهزون فجعل يشبطهم ويخوفهم ويذكر أن أبا سفيان قد جمع لهم الجمع الكبير ، وأنهم إن خرجوا لم يفلت منهم أحد . وجعل يريهم النصح لهم والإشفاق عليهم ، فما قبلوا وبادروا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل . وخرجوا وتحلف أبو سفيان عن الوعد وفيهم نزلت : «الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم» (١) الآية .

فتأمل خيبة المشركين وخلف أقوالهم وحيرتهم مع كثرتهم ، وصدق جميع ما وعدهم رسول الله ﷺ ، وجرأة المسلمين مع قتلهم وفقرهم وشدة الأمر عليهم .

(١) آل عمران ١٧٣

وباب آخر

من أعلامه ﷺ ، وهو أن نصارى نجران وغيرهم من النصارى دعاهم إلى الإسلام فقالوا : أسلمنا قبلك فكذبهم في قولهم بأنهم قالوا : لله ولد ، وعظموا الصليب ، وأكلوا الخنزير . فقال شيخ منهم كبير فيهم : من أبو عيسى ؟ فسكت النبي ﷺ وكان لا يعجل حتى يأمره الله ، فأنزل الله عز وجل « ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم إن مثَّل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له : كن فيكون » إلى قوله : « إن هذا هو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله هو العزيز الحكيم » (١) فقرأ رسول الله ﷺ عليهم ذلك ، ثم دعاهم إلى المباهلة وأخذ بيد الحسن والحسين وعلي وفاطمة رضوان الله عليهم . فقال واحد منهم لمن معه من النصارى : أنصف الرجل ، وتشاوروا وقال قائل منهم : إنه لصادق ولئن باهلتموه ليُحرقن . ب/١٩٠

فقالوا له : لا نبارزك ، وكرهوا الإسلام ، وأقروا بالجزية ، وسألوه أن يقبلها منهم فأجابهم إلى ذلك ، وقال ﷺ : «والذي نفسي بيده ، لو باهلونا (٢) لأضرم الله عليهم الوادي ناراً ، فرضوا بالجزية وانصرفوا بالخزي .

فانظر إلى هذا الاحتجاج في أن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ، احتجاج غير متكافئ ولا متعمل ولا مخالط للمتكلمين ولا هو في بلد الجدل صنعتهم . فأشار لك بهذه الإشارة التي هي من جوامع العلم ومفاتيح الحكمة كما قال ﷺ : «أوتيت جوامع الكلم واختصر لي اختصاراً» فإن خلق آدم من أكبر الحجج على النصارى ، وخلقه أبدع ، لأنه خلق من غير ذكر

(١) آل عمران ٥٩ - ٦٢

(٢) انظر لتفصيل هذه المباهلة سيرة ابن هشام ٢ : ٥٧٣

ومن أنثى وأكمل الله له قوته وأداته وعقله وتميزه ضربة واحدة ، وتولى الله عز وجل مناجاته وتأديبه وتعليمه بنفسه دون كل أحد من خلقه .

وعلى كل حال فالمسيح قد تقلب في الحشا كالأطفال ، وخرج من الفرج وكانت أمه تحتاج إلى آية في أنه مولود من غير ذكر ، وقد خلق الله حواء من آدم ، وقد خلق الملائكة من غير تناسل (١) ولا أكلوا ولا شربوا ولا بالوا ولا تغطوا ، وليس كذلك المسيح ، فإن سبيله في ذلك سبيل سائر الناس .

وقد تقدم لك ذكر أجناس الحيوان التي خلقها الله من غير ذكر ومن غير أنثى وبغير تناسل في كتابك المعروف «بالمصباح» ، وخلق اللودة والذبابة في الحجة كخلق الفيل ، فإن المخلوقين لا يتأتى منهم إنشاء علامة ظفر ولا إحياء دودة ، بل إحياء اللودة أبداع من إحياء الفيل ، كما أن نظم الخردل أبداع من نظم الحنظل .

هذا وقد قدم دلالة العقل في سورة يونس فقال عز وجل : قالوا « اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني » (٢) ، في أن الولد لا يتخذه الحكيم إلا للرزق والبقاء للذكر ، فإذا كانت الحاجات منتفية عن الله عز وجل علمنا أن اتخاذ الولد لا يجوز منه . وقد تبين أيضاً من طريق العقل أنه لا كفاء له ولا إله معه ، فقال عز وجل : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » فليس مع التضاد نظام ولا مع الشراكة استقامة .

ولما قالوا له ﷺ : كفرت أهل الكتب من النصارى ومشركي العرب بأيتما آية يا محمد جعلت الإله واحداً ؟ فأنزل الله عز وجل : « وإلهكم إله

(١) في الأصل غير واضحة ، وقد أثبتناها لاتفاقها مع سياق الكلام

(٢) يونس : ٦٨

واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم» (١) فقدم الدعوى ، ثم اتبعه بأدلة العقل فقال عز وجل : «إنَّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثَّ فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون» (٢) فتبين أنه لو كان هاهنا آلهة آخر لقدّم ما أخره هذا وآخر ما قدمه ، وسود ما بيضه وبيض ما سوده ، وإن كان جميع ذلك حكمة ، لأنه ليس بمحال أن تنبت اللحي للنساء وأن يكون ابتداء نبات اللحي أبيض كالصلع أو أخضر كالحصرم ، أو أصفر كالزعفران ، وأن تلد النساء كأولاد الأنعام وأن تلد الأنعام كأولاد النساء ، وأن يكون ماء البحر عذباً فراثاً وأن يكون ماء دجلة ملحاً أجاباً ، وأن يولد المولود كامل العقل والقوى والأدوات ، كاسياً كيساً كالفروج ، عالماً بالصنائع من غير تعلم ولا تمرين كفرخ الأوز وعلمه بالسباحة حين يخرج من بيضته ، وكعلم دود القز والعنكبوت بالنسج والنحل ببناء البيوت ، كل هذا ممكن ، فلما جاء ذلك / ١٩٥ ب على طريق واحدة فلا ينتقض بما نبهت عليه ، علمت وتيقنت أنه لا إله إلا هو ، وأنه المعترز بالقدم فلا قديم إلا هو ، وأن كل موجود ليس هو الله فكائن بعد أن لم يكن .

فإن قيل : فما ينكر أن يكون هناك آلهة جماعة إلا أنها قد وكلت التدبير إلى واحد منها فجرى تدبيره على طريقة واحدة .

قيل له : هذا خلاف ما يعقل وخلاف ما أخرجت العبرة في أن الجماعة لا يتفقون في المشيئة والإرادة والتقدير والتدبير أبداً على طريقة واحدة ، ولا فرق

(١) و (٢) البقرة ١٦٣

بين من ادعى هذا أو ادعى في الإنسان الواحد أنه جملة أحياء قادرين عالمين مدبرين غير أنهم قد اتفقوا في الإرادة فلا يختلفون ، وهذا خروج من العقل ومما شهدت به العبرة .

وقد بين أيضاً بحجة العقل أن الإله لا يكون محتاجاً ، فقال عز وجل : « ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صدّيقه كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنتي يؤفكون » (١) فقال : أنتم ترون حاجته وقره وضعفه ، وحاجة أمه وحاجته إلى أمه ، فكيف يكون من هذه سبيله إلهاً ؟ فإن كان عندكم إلهاً بكون الآيات ظهرت على يديه ، فقد خلت من قبله رسل كانت لهم آيات ومعجزات عظيمة كثيرة ، ثم قال : « أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم » (٢) فقد كان المسيح لا يدفع عن نفسه الحاجات والآفات فكيف يملك لكم .

ثم قال : « قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل » (٣) يقول : أنتم معشر النصارى قد آمتتم بنبوة موسى والأنبياء قبل عيسى ، وصدقتهم كتبهم ، وكلهم قد جاء بإخلاص التوحيد ، وأنه إله واحد غني قديم لا إله إلا هو ، لا يعرفون ما يقوله النصارى من الجوهر والأقانيم / والاتحاد وما أشبه ذلك ، وأن هذا نمط من ينكر خلق السموات والأرض والبعث والنشور وما جاءت به الأنبياء عليهم السلام فكيف تكونون من أهل الكتاب وهذه سبيلكم ؟ فينبغي أن يصدق قولكم فعلكم .

(١) المائة ٧٥

(٢) المائة ٧٦

(٣) المائة ٧٧

فتأمل رحمك الله هذه الجملة ، فإن الجوهر والأقانيم والاتحاد هو من قول أرسطو طاليس وأشباهه من القائلين بالقدم وتكذيب الرسل وبنكار البعث ، وهم قالوا : إن الإنسان إذا عرف شيئاً فقد اتحد به ، وأن العقل والعقل والمعقول يصير شيئاً واحداً ، وأن الثلاثة واحد والواحد ثلاثة ، ولهذا قالوا : هرمس المثلث ، فهذه الجهالة والحماقة هي هؤلاء وعنهم أخذ نموها ، وهم يسمون حكاهم ورؤساءهم آلهة لا الأنبياء وأهل الكتاب ، فانظر إلى هذه من مقالة هؤلاء كيف أطلع الله عز وجل محمداً عليه ولو لم يكن من آياته إلا هذا لكان عجباً .

ويبلغ من جهل أرسطو طاليس وأمثاله أنهم يقولون : إن الشمس والقمر والكواكب حية عالمة سمیعة بصيرة تخلق وترزق وتحيي وتميت ، وهي عندهم آلهة يدعونها ويسألونها ويرغبون إليها في الرزق والعافية والحياة ، ولكل كوكب منها عندهم هيكل ودعاء ونجور ودخنة ، فقد كان الناس يعجبون من قولهم في الناس أنهم آلهة حتى صاروا يقولون ذلك في الحماد والموات ، إذ لا فرق بين من ادعى ذلك في الشمس والقمر أو ادعى في البرق والغيم والريح والنار والياقوت والزجاج ، أو ادعى في شعاع الشمس ، أنه سمیع بصیر خطیب شاعر .

على أن إخوانهم من المنانية قد ادّعوا في الغيم والمطر والريح والماء وفي جميع الأجسام أنها حية سمیعة بصيرة حساسة دراکة ، وإنما ذكرنا هذا وإن لم يكن كاملاً في النبوة لتعلم أن أدلة التوحيد ونفي الشركة / والشبيه مأخوذ من القرآن ، مجتذب إلى ماني أدلة العقول من ذلك ، ولتعلم أن الخير كله

في القرآن ومن القرآن، ومنه صنفت كتب الكلام بما في العقل من ذلك، وقد تقدم لك في كتاب «المصباح» قطعة منه .

وقد طعن أبو عيسى الوراق وابن الراوندي في قصة المباهلة أنها مشائمة وأن القوم رفعوا أنفسهم عنها، وقال: وقولكم إنه قال لهم: إن باهلتُموني نزلت بكم النقمة، ليس هذا في الكتاب وإنما هو حديث من أحاديثكم.

قيل لهم: هم كانوا يلعنونه ويشتمونه ويبالغون في ذلك وفي شتم أصحابه ولعنهم ويطلبون نفسه بغير حجة، ويرحلون إلى الملوك ويستفرون أووسع في ذلك، فمتى رفعوا أنفسهم عن هذا. ولكن لما لم يجد هؤلاء في آياته صلى الله عليه وسلم مطعناً وقد بذلوا جهدهم عدلوا إلى المباهنة والمكابرة؛ وليست المباهة كما ظنوا (١)، وذلك لجهلهم باللغة كما جهلوا صنعة الكلام. فإن المباهلة في اللغة تجري مجرى المخاطرة والمبايعة والمراهنة التي يكون صاحبها يؤول أمره فيها: إما إلى الظفر، وإما إلى الفضيحة والعطب. وهو لفظ مشتق من الباهل وهي الناقة المخلوع عنها صرارها وهو ما يصير به ضرعها، أي يشد، لثلا ترضع ولا تحلب، فإذا نزع عنها ذلك الصرار فهي باهل، أي متروكة، فمن أراد حلبها نال ذلك منها، وفي الخبر عن امرأة من العرب أنها قالت لزوجها: منحتك مادومي، وأبشنتك مكتومي، وأتيتك باهلاً غير ذات صرار.

فقد علمت ثقة رسول الله صلى الله عليه وسلم بربه وسكونه إلى ما يوحي إليه، وإلا لم يكن ليقوم هذا المقام في أن الكاذب يعجل الله له خزيه وينزل به نقمته / لأن هذا ١/١٩٧ القول عليهم سهل، فكان لا يأمن أن يجيبوا إلى ذلك فلا ينزل بهم عقاب فتكون الفضيحة. وكان أيضاً قد مكنتهم من شتمه ولعنه في وجهه وبحضرة أصحابه

(١) كتب في هامش الأصل «المباهلة في اللغة» .

وهذا مقام لا يقومه عاقل ، فتعلم بدلالة عقلك أنه قد توعدهم بأنهم إن باهلوه نزلت بهم النعمة وأنهم لا ينصرفون من ذلك المقام إلا وقد بان أمرهم لأن الملاعنة لا يعجز عنها أحد ، ولو لم يكن إلا الملاعنة وحدها لأجاب إليها القوم ولكان فيها كل فائدة ورغبة ، فتعلم بدلالة عقلك أنهم هربوا منها للبور الذي توعدهم به . ومما يدل من طريق عقلك أنه قد توعدهم في المباهلة بنزول العذاب امتناعهم منها وفرارهم ، ويدل أيضاً أنه لو لم يكن إلا الملاعنة لما كان لإحضار النبي ﷺ من يعينه من قراباته دون سائر الناس ذلك الموضع معنيّ ألا ترى أن الذين حضروا ذلك الموضع ولده وولد ولده ومن يجري مجرى ذلك ، فإن الصهر ولدٌ ويعز فقده على العاقل ، لا سيما وهو ابن عمه ؛ فأحضر أمسّ الأرحام وأشدهم عليه فقلاً ، وقد قال لهم : « تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم »^(١) فإن لم يكن إلا اللفظ بالملاعنة فما وجه هذا القول وإحضار الولد ، فمن تأمل ذلك شهد عقله بأنه عليه السلام قد توعدهم عند المباهلة بالاستئصال ونزول النعمة ، وإن كان المتأمل لا يعرف لفظ الخبر كما يعلم إذا فكّر في قوله عز وجل : « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم » أنه قد وعدهم بذلك قبل أن يكون ، وأنه قد وفى لهم بما وعدهم وإن لم يعرف عين الخبر ولا لفظه ، لأنه لا يسوغ أن يقول رئيس قوم لهم إني / قد كنت وعدتكم بكذا وتمنيتم كذا وهو يعلم أنهم يعلمون أنه قد كذب في ذلك كله ؛ ولهذا قالت العلماء في قول عمر على المنبر متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما : إن تحريم المتعة قد قد تقدم من رسول الله ﷺ فعرفه عمر والمهاجرون والأنصار ، وإلا لم يكن عمر ليقوم هذا المقام على منبر رسول الله ﷺ ويحضره أصحابه والذين بهم عز

(١) آل عمران ٦١

وبهم صال واستطال ، وهم أوفر ما كانوا ، وبهم من المحافظة على دين رسول الله ﷺ ما قد عرفه أهل العلم ، هذا مقام لا يقومه عاقل ولا يختاره متمر . وبعد فهم أولئك القوم الذين صنعوا بعثمان ما صنعوا لأنه وصل سبباً وآوى طريداً فتعلم أن القول من رسول الله ﷺ في تحريم المتعة كان مؤكداً كما علمت الوعيد بالعذاب ونزوله في المباهلة .

وزعم ابن الراوندي أيضاً أنه مادعا النصارى إلى المباهلة واليهود إلى التمني^(١) على وجه الاحتجاج بذلك للنبوة ، ولو كان إلى هذا قصد لبادروا إلى إجابته .

فقيل له : أما سمعته يقول : «فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا»^(٢) فكيف تكون الحاجة إلا كذا لولا حيرتك وانقطاعك وفضيحتك .

قيل له أيضاً : كيف لا يكون متحدياً ومحتجاً بذلك على اليهود والنصارى وغيرهم وقد كان يدعى من أول أمره أنه لا يكذب فيما يأتيه عن الله عز وجل وان الكذاب لا يكون نبياً ، فإذا أخبرهم بأنهم لا يتمنون الموت فلو تمنوه لكان قد دل ذلك على كذبه وعلى خروجه من / النبوة على حكمه بأن من كان نبياً لا يكذب فأى تحدى^(١) واحتجاج يكون أقوى من هذا وكذا الحال في قولهم في المباهلة .

فإن قيل : كيف يحتج عليهم بالنساء والصبيان ؟ قيل له : لم يحتج عليهم بهؤلاء وإنما أحضرهم لأن مقدمهم يعزّ عليه وهم أقرب أرحامه إليه .

(١) في الأصل «تمني»

(٢) آل عمران ٦١

(١) الأنفال ٣٦ ، وفي الأصل : إن الذين

وباب آخر

من أعلامه صلى الله عليه وسلم ، من ذلك قوله عز وجل : «الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون» (١) .

فخبر بإنفاقهم قبل أن ينفقوا ، وبقناتهم قبل أن يقاتلوا ، وبهزيمتهم قبل أن يهزموا ، ثم كان ذلك كما قال وكما أخبر وكما فصل ، وأورد ذلك مورداً يغيظ ويغضب ويبعث على تكذيبه وعلى الممانعة من وقوع ما أخبر به ، بخلاف تدبير البشر ، فإن الحكماء يتواصون بكتمان ما يدبرونه ويعزمون عليه ويقولون : من فساد الأمر والتدبير إعلانه قبل الفراغ منه ، ثم لا يرضى أن يجعل ذلك خبراً عن نفسه بل يجعله خبراً عن ربه .

وباب آخر

من آياته وعجيب أعلامه ، وهو إخباره عن اليهود فقال : «منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون لن يضروكم إلا أذىً وإن يقاتلونكم يولّوكم الأدبار ثم لا ينصرون . ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا» (١) .

فخبر أن أقلّهم يؤمن ولو لم يكن على بينة من أمره وثقة عن خبر ربه عز وجل وما يوحيه إليه ، لم يكن ليقول هذا وهو لا يأمن أن يتبعه أكثرهم ويؤمنون ويدخلون في دينه . ثم قال : «لن يضروكم إلا أذىً» ولو لم يكن على يقين لم يقل : «وإن يقاتلونكم يولّوكم الأدبار ثم لا ينصرون» وهو لا يأمن أن ب/١٩٨ أن يتجاوزوا الأذى إلى أخذ المال أو إلى سبي / الذرية وإلى قتل الأنفس ، وأن

(١) آل عمران ١١١

يغلبوه إن قاتلوه ولا يولون الأدبار ، فقاتلوه ﷺ يوم قينقاع فنزلوا على حكمة ، وقاتلوه يوم بني النضير فأجلاهم عن بلادهم ، وقاتلوه يوم بني قريظة فولوا الأدبار فنزلوا على حكم سعد بن معاذ ، وقاتلوه يوم خيبر فهزمهم وملكهم وأخذ عنوة خيبر بالسيف فرضوا به أن يقرهم على أن يكونوا حرثة يعملون له في النخل .

فتأمل هذا الشرح وهذا التفصيل في هذه الأخبار ، فإن مثلها لا يقع اتفاقاً ولا من حذاق المنجمين ولا الكهنة ، وانظر كيف أخبرهم بها قبل وقوعها ، وأنذرهم بما يكون قبل أن يكون ، وجعلهم على أهبة ، بخلاف تدبير البشر . وقد كانوا جماعات كثيرة لهم خيول وسلاح وحصون ويمتنعون ويقاتلون من ناوأمهم وأرادهم وقصدتهم ، لتعلم أن هذا من أخبار علام الغيوب ، وهذا من الدلائل الواضحة والأعلام البينة النيرة لأن السيف إذا لقي السيف دبّ الحياء ، ولا يأمن من ليس على يقين مما يخبر به أن يقع الأمر بخلاف ما خبر ولا يحمل أحد نفسه على هذا من غير يقين إلا الغاية في الحمق والجهل والنقص .

وباب آخر

من آياته ﷺ ، وهو أنه لما كانت وقعة بدر ، وصدقت أخباره وتحققت مواعيده ، ماج أعداؤه من اليهود وغيرهم ، وقال بعضهم لبعض : ما أخلف محمد في شيء أصحابه ، وإنه لنبيّ ، وستؤول الأمور إلى ما يقول ، وسيظهر على الناس وتكون الدولة له . فلما كان يوم أحد وقتل من أصحابه من قتل اشتدت قلوبهم ورجعوا على إخوانهم الذين قالوا لهم ما قد تقدم ، وقالوا لهم : أبشروا بما كان عليه يوم أحد ، فأنزل الله عز وجل / « قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَهَاد ، (١) » ثم أذكركم بالآيات التي

(١) آل عمران ١٢

كانت يوم بدر فقال : «قد كان لكم آيةٌ في فئتين التقتا فئته تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثلهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء» (١) فغلبوهم وقهروا كما قال وإلى جهنم يحشرون كما أخبر ، فصدق إخباره بالأول يشهد بالثاني ، فتأمل هذه الأجوبة والأدلة المكشوفة الواضحة ، وانظر كيف يذكر قصة بدر ويحتج عليهم بها ويجعل ذلك عن ربه لتعلم أنها قصة قد عرفها العدو والولي .

وباب آخر

من آياته وهو قوله عز وجل : «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ . لَهُمْ فِي الدُّنْيَا نَذْرٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (٢) .

فإن مسجد بيت المقدس قد كان غلب عليه الروم الدهور الطويلة واستولوا عليه مع ملكهم بالشام وأقاموا فيه الشرك ومنعوا من ذكر التوحيد فيه ، وغلبت قريش على المسجد الحرام وغيرهم من مشركي العرب ، وقد كان أبو بكر الصديق بنى مسجداً بمكة بفناء داره قبل الهجرة فكان يتلو فيه القرآن ويدعو إلى الله وإلى رسوله ، وقد كان أجاره رجل من سادات قريش على أن يفعل ذلك . فمشت قريش إلى الرجل الذي أجار أبا بكر ، وهو معروف ولكن لم يحضرني اسمه في هذا الموضع (٣) ، فذكروا له محل أبي بكر وحلمه وبيانه ولطفه ، وأنه يمر به القيان والعبيد والنسوان فيسمعون دعاءه فلا يلبثون أن يجيبوه إلى

(١) آل عمران ١٣

(٢) البقرة ١١٤

دين محمد ، فلا تجره . فقال لهم : إنه رجل يكسب المعدم ويصل الرحم ويقري الضعيف ، فكرهت أن يخرج من بينكم ويهرب بدينه عنكم فتعدمون هذا / ١٩٩ ب / الفضل . قالوا : فيلزم بيته ولا يعلن دينه ؛ فمنعوه من ذكر الله في مسجده . فبشر الله نبيه عليه السلام وأصحابه بالظهور على هذه المساجد ، وملكهم لها ولمن فيها ، وأنهم لا يدخلونها إلا أذلاء خائفين مقهورين ، أو بأمان وعهد وإذن من رسول الله ﷺ أو من أصحابه . ثم أخبر بخزيهم في الدنيا وعقوبتهم من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ، فنزل بهم ذلك الخزي بقتل من قاتل منهم وعليهم ، والذل بأداء الجزية لمن رغب في الإقامة فيما غلب عليه الصحابة ، فكان كل ذلك كما أخبر ، وفي هذا غيوب كثيرة .

وقد كانت ممالك الروم وغيرهم قوية ممتعة فوفى الله لنبيه بتصديق هذه المواعيد ، وافتتح هذه الأمصار ، وبنزول الخزي على مشركي العرب في الدنيا وسينالهم في الدار الآخرة عذاب عظيم كما قال ، وكما صدق في الأول صدق في الثاني ، فنعوذ بالله من عذابه وسخطه .

باب آخر

من هذا الجنس ، أن رسول الله ﷺ وهو بمكة قبل الهجرة جاء ليدخل الكعبة فدفعه عثمان بن أبي طلحة العبدي ومنعه من دخولها ، فقال له النبي ﷺ : لا تفعل يا عثمان فكأنك بفتح الكعبة في يدي أضعه حيث شئت فقال له عثمان : لقد ذلت قريش يومئذ وقلت ، فقال النبي ﷺ : بل كثرت وعزت .

واعتبر رحمتك الله سيرته في المكاتبة والمراسلة فإنه فعل ذلك بجسارة الأرض وملوك الدنيا من العرب والعجم في أقطار الدنيا ، فدعاهم إلى رفض ما هم

عليه ، والدخول في طاعته ، وامتنال أمره ، والخضوع له ، وأخبرهم بذات نفسه وبما يدعو إليه ، وأخبرهم بأن الله عز وجل اصطفاه وحده واختاره وحده / ووعده بالظهور والغلبة للملوك الأرض وجبايرتها ، وأن السعيد من بادر إلى طاعته من قبل أن تسبى أمواله وتستباح حريمه ويسفك دمه ، فما ترك شيئاً مما يغضبهم ويغیظهم ويبعثهم على قتله واستئصاله وبواره وبوار أصحابه إلا أتى به وفعله ، وهذا ما لم يكن مثله ولا يقدم عليه عاقل إلا وهو على غاية الثقة بالسلامة من العواقب ، وأن العاقبة تكون له لا لعدوه .

أما ترى كيف اغتصب كسرى كتابه حين أنفذه مع عبد الله بن حذافة السهمي وهو ^(١) : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله ، أدعوك بدعاية الله فإني رسول الله إلى الناس كافة ، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، أسلم تسلم ، فإن آبيت فإن إثم المجوس عليك .

فمضى بكتابه ، وكان في طريقه وبحضرتة مالعه يرد عليك ، فلما بلغه كتابه غاظه ذلك وأغضبه ، حتى كتب إلى صاحبه باذان وهو خليفته باليمن وملكها يأمره بإشخاصه إليه ^(٢) ، فأرسل باذان في ذلك ، فسرّ ذلك أعداء رسول الله ﷺ من اليهود والنصارى وقريش والعرب واستبشروا ، وقال بعضهم لبعض : كفيتموه كفيتموه . فلما وصل الرسول إليه قال له رجل منهم انطلق معي إلى الملك باذان فنكتب معك كتاباً إلى الملك شاهنشاه ينفكك عنده

(١) كتب في هامش الأصل : « كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى » .

(٢) أثبت القاضي باذام بالميم مع أنها في معظم كتب السيرة والتاريخ : باذان ، انظر سيرة

ويكفّ عنك ، وإن أبيت فهو من قد علمت وهو مهلكك ومهلك قومك
ومغرب بلادك ، فقال له رسول الله ﷺ : أقم إلى غدٍ حتى أجيئك . فلما كان
الغد صار ، فقال ماتقول يا / محمد ؟ قال ارجع إلى صاحبك فإن ربّي قد خبرني
أنه قتل البارحة كسرى ، قتله ابنه شيرويه على كذا كذا ساعة من الليل (١) ،
فقال له هل تدري ماتقول ، إنا قد نقمنا منك أيسر من هذا ، فتكتب بهذا عنك
ونخبر الملك باذام بذلك قال : نعم ، أخبراه ذلك عني ، وقولا له : إن ديني
وسلطاني سيبلغ مابلغ ملك كسرى ، وينتهي إلى منتهى الخف والحافر ، إلى أن
قال : سيأتي هذا الدين على ما أتى عليه الليل .

وقد كان قال ﷺ لعبد الله بن حذافة لما رجع إليه وأخبره بأن كسرى
استخف به ومزق كتابه فقال ﷺ : أما إن الله عز وجل سيمزق ملكه .

فانظر إلى هذه الأقوال المغضبة كيف تتوالى لهم منه ، وانظر إلى هذه الثقة
هذا الثبات .

وقد كان راسل قيصر ملك الروم بدحية بن خليفة الكلبي ، فأكرمه وأكرم
كتاب رسول الله ﷺ ، وسأل من عنده من أهل مكة وتجار قريش عنه ﷺ وعن
أخلاقه وطرأقه وسيرته ، واستقصى ذلك ، فإذا هو النبي الذي تقدمت البشارة
به ، وردّه مكرماً ، فقال النبي ﷺ : لقد عرف الحق ولكن ضمن الخبيث
بملكه وعاجل دنياه فأثرها على دينه .

وأرسل إلى المقوقس ملك الإسكندرية حاطب بن أبي بلتعة بكتابه اليه (٢)

(١) ورد التعريف بمحادثة قتل شيرويه لكسرى في الجزء الأول من الكتاب ص ٢٨
(٢) هو حاطب بن أبي بلتعة اللخمي ، صحابي شهد الوقائع كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعثه النبي بكتابه إلى المقوقس ، ومات في المدينة سنة ٣٠ هـ . الإصابة ١ : ٣٠٠

فدفعه اليه فقرأه ، ثم أقبل على جلسائه فضحك وقال لهم : كتب إليّ يصف لي حسن دينه ويدعو اليه ، فما منعه إن كان رسول الله أن يسأل الله فيسلط البحر عليّ فيغرقني فيكفّي مؤونتي ويأخذ ملكي ، فقال له حاطب فما منع عيسى ابن مريم وهو كما زعمت إذ أخذته اليهود فربطوه في حبل وحلقوا وسط رأسه وجعلوا عليه لإكليل شوك وجعلوا على عنقه الخشبة التي صلبوه عليها ثم خرجوا به وهو يبكي حتى صلبوه / على الخشبة ثم طعنوه بالحربة حتى مات ، فما منعه أن يسأل ربه أن ينجيه منهم ويهلكهم ويكفّي مؤونتهم ويظهره وأصحابه عليهم ، وما منع يحيى بن زكريا حين سألت امرأة زانية رجلاً أن يقتله فقتله وبعث إليها برأسه حتى وضعوه بين يديها فما منعه أن يسأل ربه أن ينجيه منها ويهلك الملك .

١/٢٠١

فأقبل المقوقس على جلسائه فقال : والله إنه لحكيم ، وما يخرج الحكيم إلا من عند الحكماء ، ماتقولون ، قالوا : نقول : صدق أيها الملك ، قد رأينا ما رأيت . وعاود قراءة كتاب النبي ﷺ ، واحتبس حاطب عنده مدة ، وسأله عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه وعن سيرته ، وردّه مكرماً .

وأرسل النبي ﷺ إلى غير واحد من ملوك الشام يدعوهم إلى طاعته . وكان فيمن أرسل الحارث بن عمير الأزدي فقتله شرحبيل بن عمرو الغساني (١) فأنفذ رسول الله ﷺ بعده غير واحد ولامهم على غدريهم وقتلهم الرسل ، وقال لهم : أنتم مغلوبون وسلطاني يعلو عليكم ، فأغضب ذلك ملوك الروم ونصارى العرب . وأرسلت نصارى العرب إلى ملك الروم : انتهب الفرصة مادام هذا الرجل في ضعف ، فأنفذ جيشاً في مائة ألف قاصداً لرسول الله ﷺ بياتوقس

(١) كان ذلك في سنة ٨ من الهجرة ، فقد بعثه الرسول بكتاب إلى ملك بصرى ، فلما نزل مؤقّة عرض له شرحبيل بن عمر الغساني فقتله ، وعلى أثر مقتله كانت غزوة مؤتة .
الإصابة ١ : ٢٨٦

البطريق ، وعلى نصارى العرب من غسان وقضاة وغيرهم شرحبيل بن عمرو
الغساني ، فانتهاوا إلى مؤتة فكفاه الله أمرهم كما هو معلوم .

وأرسل إلى ملوك اليمن وملوك البحرين وعمان رسلا معروفين ، وقد
علمت رحمك الله أنه دعاهم إلى الاختلاع من ملكهم والخروج من عزهم
إلى التواضع والتذلل ، وإلى الجهاد بأموالهم وأنفسهم ، وهذا غير تدبير
البشر وحكاماء الملوك ، وهذا عندهم من سوء التدبير ، فتعلم بعقلك أنه
لم يفعل ذلك / إلا وهو على يقين من السلامة من سطواتهم وكيدهم وشرهم . ٢٠١/ب
وقد تقدم لك حال كل من جاء بعده من قريش والعرب وغيرهم ، وأنهم به
لاذوا واعتصموا وعلى ما مهده صلى الله عليه وسلم ، وأنه هو ما اعتصم بمخلوق بما فيه
كفاية ، فارجع إليه . وقد أجابه صلى الله عليه وسلم من الملوك الذين دعاهم النجاشي
وغيره .

وتأمل حال قوم في زمانك وهم من الملوك العظماء ، وملكهم واسع ،
وشأنهم عظيم ، فإنهم من تسترهم بالإسلام ومع اعتزائهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأنهم
من ولده وقد قدموا على ما مهدهم ، بأي شيء يلقون ملوك الإسلام ، وبأي
شيء يرأسلونهم ، وكيف يخضعون لهم ويخضعونهم بألوان الخدع ليستبقوا
طاعتهم لهم باللسان ، فيقول دعائهم لكل واحد من هؤلاء حتى لرؤساء الأعراب
والأكراد : أخوك فلان ابن فلان ابن رسول الله ، وقد علمت عظيم ملكه ،
وهو يدعي بأمر المؤمنين ، وقد فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك طاعته لقوله كذا
ولوصيته الفلانية ؛ وما يطالبك بحقوقه ، وما يطلب منك شيئاً ، ولكنه يرغب
في أخوتك وفي صداقتك وفي الانبساط إليك في أن تقبل هديته ، وقد علمت
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهدية ورغب في ذلك ، وإن كافأت بأقل القليل قبله

منك وشكرك عليه . ثم يهديه بالهدية النفيسة الخطيرة ويقول له : «إذا استحكمتك
الأنس وتمت الثقة فتح لك أبواباً يتضاعف بها ملكك ، وتشتد بها شوكتك ،
وما عليك في الوصول إلى ذلك مشقة ولا كلفة ولا مؤونة ولا غرامة ، وما هو
إلا الثقة بك وأن يعرف طويتك وأنتك بحيث يوثق بك .

فإذا تعلق قلبه بذلك وطمع ، قال له : قد علمت ماجاء في الكتمان والمواثيق
المأخوذة / من الأنبياء ثم يروضه بعد هذا ، فإن كان من أهل الشهوات والرغبة
في الدنيا قال له : أنت فيمن قال الله : «ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي
كانت عليهم» (١) ويبيحه المحظورات ويتقرب اليه بما يسقط عنه الكلف
ويؤمنه من كل عقاب آجلا وعاجلا ، ويذكر له ما قد أعدّه من التأويلات ،
ويتحجب اليه بهذا وأشباهه ، ويأخذ عليه كتمان السر وأن لا يخبر غيره بما عنده
ولا يسأله عن شيء وإن كان مجوسياً .

وإن رآه من المتمسكين بالشرعية زين ذلك عنده وقال له : لا تغتر بما
يقوله الإمامية القطعية أن الصلاة عند أهل البيت إحدى وخمسين ركعة فإن
هؤلاء ليسوا من دين أهل البيت على شيء ، وصلاة أهل البيت ثلاث وسبعون
ركعة ، ويأمره بذلك ، ويصلي عنده وبحضرتة وبحضرة أتباعه وحشمه ، وإن
بأت عنده لم ينم الليل من كثرة الصلاة . ويأمره بالزكاة وبكل خير بحسب
مايتفق ذلك عنده ، غير أنه يقول : للصلاة باطن ، ولكل شيء باطن .

وإن كان يهودياً زين عنده اليهودية وما فيها من إقامة السبت وجميع ما هم
عليه ، وقال : المهدي الذي ندعو اليه هو المسيح الذي تنتظرونه .

(١) الأعراف ١٥٧

وإن كان نصرانياً مدح الصليب وقال : المهدي الذي ندعو اليه هو الفارقليط الذي بشر به المسيح .

وإن كان مجوسياً مدح عنده المجوسية وقال : أنتم الناس ، وأنتم العقلاء ، وأهل الملك القديم .

وإن كان صابئاً مدح عنده عبادة الكواكب ، ويقول لكل واحد من هؤلاء الأصناف : إن الديانات كلها سواء وهي تتفق في الباطن ولكن أصحابها لا يعلمون .

ويظهرون التودد إلى كل أحد بما يهواه ، ثم يتواصون بكتمان ذلك وأن لا يظهروا^(١) ذلك إلا لمن أحبهم أو مال إليهم .

ويقصدون بالدعوة / الأعراب والأكراد والديلم والبربر والنبط والمترفين ٢٠٢/ب من الأمراء والوزراء والكتاب وأهل الجهالة ، ويستظهرون على من انتمى إلى القول بالإمامة والتشيع ، وهؤلاء يسرعون إلى إجابتهم والقبول منهم ، ويوثقون الجميع بالآيمان الغليظة والعهود المؤكدة ؛ وملوك الأرض منذ نحو مائة سنة من الديلم وبنو حمدان ومن بالبحرين وعمران في البطحية ومن باليمن والشام وأذربيجان ، وكل هؤلاء الملوك أصحاب إمامة ومشيعة ، وفي الأرض كلها ، ودولة بني العباس لم يبق منها إلا اسمها في بعض المواضع ، والموضع الذي فيه سلطانهم وملكهم وعزهم يشتم فيه العباس وولده والمهاجرون والأنصار ويلعنون ، ثم هؤلاء القوم مع الملك ومع تسترهم برسول الله ﷺ واعتصامهم ، ومع هذه الأحوال كلها التي تستروا بها وتوثقوا بها ، أنت ترى فضائحهم في الأطراف وفي أقطار الأرض في كل حين كما قد تقدم لك طرف منه. ثم هو شيء

(١) في الأصل : «يظهرون» .

يحدث في كل حين ، وتبدو فيه الفضيحة كل قليل مع الملك والقهر والغلبة
والسيف والقتل الذريع الذي قد تقدم لك طرف من ذكره ، لتعلم أن السبل التي
سلكها رسول الله ﷺ لا يسلكها عاقل ، ولا تخطر بقلبه ، ولا تسمو إليها
همته ، ولا يحدث بها نفسه ، ولا يدخل فيها طمعه ، إلا أن يكون رسولا لله
ونبياً لله وواثقاً بوحى الله . ثم هو شيء ما كان في أحد من الأنبياء قط منذ
كانت الدنيا ، على ما حصله العلماء وأحصوه وبلغهم خبره ، أن يكون إنسان
ضعيف فقير أجير وحيد معيل مبتدىء مع هذه الحال ، فيذكر ملوك
العرب وملوك الفرس وملوك الروم حتى يذكر خراسان وملوك الشرك والترك / ١/٢٠٣
وأنة يحويها ويحوزها وهو على تلك الحال ، ثم يكاتبهم ملكاً وملكاً وسيداً سيداً
وقبيلاً قبيلًا وبلداً بلداً يذكرها . ويوصيهم بالقبط وما لهم من الحرمة بمارية
القبطية فإنهم يفتحون مصر ، ويقول : أبشروا بفتح العروسين غزة وعسقلان ،
ويذكر دمشق وبيت المقدس ، ويسمع ذلك نصارى العرب ويذكرونه لملوك
الروم وغيرهم فيغتاظون من ذلك ، وتذكر قریش ذلك للفرس .

ولما دخلت رسل المسلمين إلى الشام ولقوا ملوك النصارى بها رأوا بعضهم
قد جلس على فرش عالية يرقى إليها بسلام وعليه السواد ، وفي رسل المسلمين
عبادة بن الصامت الأنصاري ، قال : ما هذا السواد عليك وما هذه المسوح التي
قد لبستها ، قال الملك لبستها نذراً لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام وأفعل
وأفعل ، فقالوا له المسلمون : سنمنعك مجلسك هذا ووالله لناخذنه منك ،
ولناخذن ملك الملك الأعظم . ثم ساروا من عنده إلى الملك الأعظم من ملوك
الروم وأبلغوه الرسالة ، فأنزلهم أكرم منزل واحتبسهم عنده مدة طويلة ،
وخلأ بهم ، وناظرهم وامتنحهم ، وسألهم عن شيء فشيء من أمر رسول الله
ﷺ ومن أمر الإسلام والمسلمين ليلاً ونهاراً ، وكان لهم معه ما هو مذكور ، إلى

أن قالوا له : إن أرضك هذه نأخذها منك ونغلبك عليها ، أخبرنا بذلك نبينا ، فسأه هذا القول وقال : مهما قال من شيء فقد صدق ، والله لو ددت أن نفسي تطيب بالخروج من ملكي وأكون عنده فأخدمه وأشد ملكه ، ولكن نفسي لا تطيب .

وقال المقوقس ملك مصر لحاطب : إنكم ستملكون ملكي هذا كما قال صاحبكم ، وملوك الروم كانت أعرف بحق رسول الله ﷺ ، فلذلك كانت ألين وإن كانت نصارى العرب تغضبها وتشيرها عليه ﷺ / ولم تكن كالجبار ٢٠٣/ب الشقي كسرى وما فعله برسول رسول الله ﷺ وتمزيق كتبهم فمزق الله ملكه كل ممزق كما قال ﷺ ، أخبر أن ابنه قتله في تلك الليلة وبينه وبين كسرى نحو ثلاثمائة فرسخ ، وذلك من آياته المعروفة التي جاءت مجيء القرآن ، يعرف ذلك أهل العلم كما يعرفون أن رسوله كان إليه عبد الله بن حذافة السهمي ، وكما يعرف ما كان بينه وبين النجاشي ، وبين صاحب عمان ، وغيرهم من الملوك. وإسلام باذان ملك صنعاء واليمن لأجل هذه الآية معروف ، وإخلاصه ومن معه في الإسلام وهم يعرفون بالأنبياء .

ولما تنبأ العنسي الكذاب باليمن ناقشوه (١) وباحثوه فلم يجدوا عنده آية ولا علامة ، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ في أمره ، فأمرهم بجهاده ففعلوا ، وقتله فيروز الديلمي الذي كان أحد رسل الملك باذان إلى رسول الله ﷺ ، ولم يكن ديلمي الأصل وإنما كان أحد عمال الفرس على ثغور الديلم .

ولما ارتدت العرب بعد وفاة رسول الله ﷺ كان لهؤلاء الأنبياء من باذان ومن معه من البصيرة في الإسلام والإقامة عليه ومجاهدة المرتدين ومعونة أبي بكر الصديق وعماله ما هو معلوم .

(١) في الاصل قانشوه

وإنما أجرينا هذا من أعلامه ﷺ عند ذكر مكاتبته ومراسلته الملوك ،
والنية ذكر أعلامه التي ليست في القرآن بعد الفراغ مما في القرآن ، فإن وهب الله
ذلك وإلا فقيما معك فوز عظيم فاحتفظ به وحافظ عليه واطلب ما بعده فإنه أكبر
الجهاد وأجل العبادة .

وباب آخر

من آياته ﷺ ، وهو ما أخبر أصحابه من أنه يمكن لهم في الأرض
ويستخلفهم كما استخلف الذين من قبلهم ، ويؤمن خوفهم ، فيخلصون في
عبادته وحده لا يشركون / به شيئاً ، فقال عز وجل : «وعد الله الذين آمنوا
منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض» ^(١) إلى آخر الآية . وهذه
نزلت في غزوة الأحزاب وفي الخندق ، وقد تحزبت العرب واليهود عليهم ،
وغدر من حول المدينة بهم وهم في حومة الموت وشدة الخوف ، وما كان
بأيديهم إلا المدينة مع من بها من اليهود والمنافقين ، فأظهر الله أصحاب رسول
الله ﷺ واستخلفهم ومكّن لهم وبدّلهم من بعد خوفهم أمناً ، وعبدوه وحده
وأطاعوه ، وفي هذا غيوب كثيرة لا تكون بالاتفاق ولا لحذاق المنجمين ، ولا
هو مما يغلب في العقل بل الغالب في العقل والظاهر في الحزم والتدبير أن يكونوا
هم المغلوبون المقهورون ، إلا أن يكونوا من قبل الله ، وأن يكون صاحبهم
رسولاً لله ، والذي يدل على أن هذا نزل وهم غير متمكنين وأنهم قد كانوا
خائفين من قوله عز وجل : «وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلتهم
من بعد خوفهم أمناً» ^(٢) فلا يجوز أن يخبرهم بما لم يكونوا عليه ويمتن عليهم بذلك
والعدو والولي يسمعه وهو يعلم أنهم يعلمون أنه قد كذبهم ثم يؤكد هذا بأن

(١) و ٢ - النور ٥٥

يقول : هذا قول الله لكم ، ووعد الله لا وعدي ، وبشارة الله لا بشارتي ، وفي هذا دلالة على صحة الخلفاء من بعده ، ألا تسمعه يقول : « وعد الله الذين آمنوا منكم » ولو قال : الذين آمنوا لكنت عدة تحتمل التسوييف والتأويل ، فلما قال : « منكم » جعلها فيهم ولهم ومنهم ، فزال الشكوك وارتفع اللبس ، ولو كان الأمر على ما يقول الإمامية لكنت هذه الأخبار قد كذبت وهذه المواعيد قد أخلفت لأنهم زعموا أن المستخلف كان علي بن أبي طالب ، وأنه ما كان متمكناً ولا آمناً بل كان مقهوراً مغلوباً خائفاً ، فأين تصديق ما وعد الله ، فنعوذ بالله من الذهاب عن الحق .

وعندنا أنه / رضي الله عنه كان في زمن أبي بكر والخلفاء قبله ممكناً غالباً قاهراً آمناً عزيزاً نافذ الأمر مسموع القول كما قد تقدم شرح ذلك لك ، وبه وبإخوانه من المهاجرين والأنصار كانت خلافة من قبله وعز سلطانهم ، فالعدة فيه وفي أبي عبيدة بن الجراح وفي سعد ومعاذ وعبد الرحمن وغيرهم من المهاجرين والأنصار ، والله عز وجل لا يستخلف إلا المتقين ولا يمكن إلا لأوليائه وأحبائه وأهل طابته ، وليس لمن أسلم في عام الفتح ، وفي هذا خبط ، لأن هذه نزلت في عام الخندق وفي غزوة الأحزاب قبل فتح مكة ، وأولئك من الطلقاء لا من المهاجرين ولا من الأنصار ، وليس هذا بنص جلي مكشوف في خلافة هؤلاء رضي الله عنهم ، ولكنه شيء يعرف بالاستنباط والاستدلال والتدبر في هذه التلاوة ، فلا يسوغ في تأويلها وتفسيرها إلا هذا .

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ حين ارتدت العرب بعد وفاته وكثر من خالفهم يستبشرون بظهور الإسلام وغلبة المسلمين بهذه الآية وقد تلاها أبو بكر الصديق عليهم في ذلك الزمان وقال لهم مالعه قد تقدم لك شيء من ذكره ، وهذا شيء قد تقدم به الإجماع وسبق به الاتفاق قبل أن يخلق هشام بن الحكم

الذي هو الأصل في الطعن على خلفاء رسول الله ﷺ والمهاجرين والأنصار. ومع هذا فقد ذكر هشام بن الحكم أنه أدرك الشيعة وكلهم يتوالى أبا بكر وعمر وعثمان ، ويقولون هؤلاء ما أنكروا فضل الوصي "علي" بن أبي طالب ولا دفعوه عن حقه ، وأن الذين دفعوه عن حقه وأنكروا فضله هم المنافقون الذين كان القرآن يهتف بهم . قال هشام وهذا كله تليق وتلفيق / دعاهم إليه هيبة أولئك القوم فما أقدموا على تهمتهم ولو عرفوهم لا تهموهم ، ثم أخذ يذكر ما عنده من تهمتهم ، فقد أقر بلسانه أنه لم يسبقه أحد إلى شتمهم ولعنهم ، ولو لم يقر لكان العقل يشهد به ويدل عليه .

١/٢٠٥

وباب آخر

من أعلامه وآياته ، وهو أنه كان يقول في أوان ضعفه وعنفوان أمره أنه سيعظم أمره ويعلو شأنه ، وتتحزب الأمم عليه ، وتقصد لقتاله وقتله واستئصاله واستئصال أتباعه ، ويأتونهم من كل وجه . وأن أصحابه يثبتون ويزدادون بصيرة ويقيناً في أمرهم عند ذلك . وأن من رآهم ورأى من سار إليهم يكون عنده وفي عقله ورأيه أنهم لا ينجون ، فكان ذلك كما قال وأخبرهم الله في تلك الحال ، أنه عز وجل سيكفيهم أمر هؤلاء وأمر من ظاهروهم من أهل الكتاب ، ويستخلفهم في الأرض ، ويؤمن خوفهم ، ويبدلهم بالضعف قوة ، ويمكن لهم في الأرض ، وكان هذا في قصة الأحزاب ، وأنزل الله فيها وفي يومها الآية التي تقدم ذكرها في سورة النور . وقد كان ﷺ أجلى بني النضير من اليهود لأذيتهم له وغدرهم به ، فرحلوا عن المدينة من جواره ، وصاروا إلى قريش وإلى عبس وذبيان وفزارة وغيرهم من القبائل ، وحرصوهم عليه بأنه أكفر أسلافكم وعاب أديانكم واستجهلكم وذهب بسيادتكم وورثاستكم وبأحسابكم

و فرق آلافيكم وحمل الأبناء على قتل الآباء، والآباء على قتل الأبناء، وهو يزعم أنه يظهر عليكم ويستأصلكم وأنتم غير آمنين مما يوعدكم به ، فبادروا مادام في ضعف قبل أن يقوى بأشد مما كتتم عليه ببدر وأحد .

و كانت لليهود بالحجاز رئاسات وضيافات ومن على العرب ، يجيرون من استجار بهم ويمنعون عن جيرانهم ويقاتلون / دونهم ؛ فأثاروا قريشاً والعرب ٢٠٥/ب على رسول الله ﷺ ، فساروا إليه في نحو عشرين ألفاً ، وجاء حيي بن أخطب اليهودي النضري إلى بني قريظة من اليهود وكانوا قد عاهدوا رسول الله ﷺ أن يسالموه ولا يعينوا أحداً عليه أبداً وكتبوا بينهم وبينه في ذلك كتاباً . فجاء حيي بن أخطب اليهودي إلى كعب بن أسد رئيس بني قريظة ، وقال له : جئتك بشرف الدنيا وبالعز ، وهذه القبائل من قريش والعرب قد ساروا إلى محمد فكن معنا ، فقال : دعني فإن هذا الرجل قد عرفناه بالصدق والوفاء ، إن قال نعم فهي نعم ، وإن قال لا فهي لا ، ما قوله خلف ، وأكره أن يغدر به ولعلكم ألا تظفروا به . فقال حيي : ليس هذا من تلك العساكر التي لقيته قبل هذا ، ونحن في كثرة وهو في قلة ، ولن ننصرف عنه أو نستأصله ، فتندم في قعودك عنا ؛ وإنما هو وأصحابه قليلون ، وهذه قريش في هذا العدد . وذكر عدد تلك القبائل وما زال بهم حتى غدرت قريظة . فأرسل رسول الله ﷺ بسعد ابن معاذ وسعد بن عباد اليهم ليعرف ما عندهم وهل غدروا أم لا . فلما بصرت قريظة بالسعدين مزقوا الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ وسبوه ، فرد عليهم سعد بن عباد ، فقال له سعد بن معاذ : كف ، فما بيننا وبينهم أجل من السباب .

فرجعا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه بغدرهم تعريضاً إشفافاً على ضعف

المسلمين ، وكانت قريظة بالقرب من المدينة وفي أحد جوانبها . وجاءت قريش والقبائل من وجه آخر ، وأشار سلمان الفارسي رحمة الله عليه بحفر خندق ، وكان هذا أول مشهد شهده سلمان . فأمر رسول الله ﷺ بحفر الخندق وأخذ كل جماعة من الصحابة قطعة يحفرونها/، فاعترضتهم صخرة صلبة لا يعمل فيها المعول فهموا بالتعريج عنها ، ثم قال قائل : عرفوا رسول الله ﷺ وقد كان ﷺ سار بالمسلمين عن المدينة وعسكر بإزاء العدو . فنزل ﷺ إلى الصخرة وأخذ المعول فضربها ضربة فثار منها برقة عظيمة ، فكبر وكبر المسلمون ، وقال : رفعت لي صنعاء واليمن فرأيت قصورها كأنها أنياب الكلاب وأنتم تفتحونها وتملكونها . ثم ضرب أخرى فبرقت برقة عظيمة فكبر وكبر المسلمون فقال : رفعت لي قصور الشام كأنها أنياب الكلاب وأنتم تفتحونها وتملكونها . ثم ضرب أخرى فبرقت برقة ثالثة فكبر وكبر المسلمون وقال : رفعت لي قصور مدائن فارس وفارس وأنتم تفتحونها وتملكونها فأبشروا . وتصعدت الصخرة فصعد رسول الله ﷺ من الخندق وهو مستبشر مسرور ، ورتب أصحابه لحراسة الخندق وجعله بينهم نواب كما هو مذکور . وكان بالخندق من الضيق ما تظفره خيول شجعانهم ، فظفره عمرو بن عبد ود ، وعكرمة بن أبي جهل ، وخالد بن الوليد ، وضرار بن الخطاب ، وأقاموا أياماً يحاربون ، ثم تواعدوا عشية أن يكونوا من غد يحملون حملة واحدة من كل جانب ، ويقتحمون على المسلمين . فأرسل الله عليهم ريحاً عاصفاً قلعت أحييتهم وأبنتهم ، ونفرت خيولهم وإبلهم ، وأخذهم من الرعب ما لم يملكوا أنفسهم ، ومروا هراباً على وجوههم ، وكفى الله المؤمنين قتالهم ، وبات المسلمون من تلك الريح في كل عافية .

فإن قيل : ومن أين لكم صحة هذا أنه جرى ، قيل له : قد جاء مجيئاً إذا

تدبره من سمعه وفكر فيه علم وتيقن أن الأمر كذلك ، فإن القرآن نزل به
مذكراً هذه النعمة ومحتجاً بهذه الآية وممتناً على المؤمنين فقال : « يا أيها الذين
آمنوا اذكروا / نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً و جنوداً^{٢٠٦} / ب
لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً . إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم
وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنون . هنالك ابتلي
المؤمنون وزُلزلوا زلزلاً شديداً » (١) .

فلو كانت هذه الريح وغيرها من الأمور التي جرت العادة مثلها (٢) لما
امتن الله به ولا احتج والعدو والولي يسمعه ، [هذا] لا يفعله عاقل فكيف بمن
يدعي النبوة . ثم يؤكده بأن يجعله قولاً لله وأن الله يذكرهم بهذه النعمة .

ثم قال : « وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ ما وعدنا الله ورسوله
إلا غروراً » (٣) لما كان قد تقدم به البشري ، فكانوا يقولون : الواحد منا
ما يستطيع أن يذهب لحاجته من العساكر التي قد أحاطت بنا وهو يعدنا بملك
اليمن وملك كسرى وقيصر . ثم أذكروهم بقول طائفة أخرى « يا أهل يثرب
لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورةٌ وما
هي بعورة إن يريدون إلا فراراً » (٤) وقد كان قوم من بني حارثة قالوا ذلك أخبرهم
الله بضمائرهم في قولهم ، ولا يجوز أن يقول ذلك إلا وهو كما قال ، ثم قال :
« ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيراً .
ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولّون الأعداء وكان عهد الله مسؤولاً » إلى
قوله : « أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم

(١) البقرة ٢١٣ - ٢١٤

(٢) هكذا في الأصل ، ولعل الأصح « بمثلها » .

(٣) الأنفال ٤٩

(٤) الاحزاب ١٣

٢٠٧/ب كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد» (١) يصف جنهم وخورهم وخذاعهم وأنهم إذا زال الخوف وأمنوا قالوا : فعلنا وصنعنا واجتهدنا ، ويظهرون احتقار العدو وإن عادوا عاودناهم ، ثم قال/ : « يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزابُ يودُّوا لو أنهم بادون في الأعراب » (٢) يحكي عن هؤلاء المنافقين وعن من قلت بصيرته وعن من في قلبه مرض ، أنهم يحسبون أن الأحزاب لم يذهبوا ولم ينصرفوا ، وأنهم سيرمون شعثهم مما نالهم من الريح ويرجعون ، وأن عسكرياً مثل هذا في الكثرة والقوة لا ينصرفون بلزائهم في ضعف وهم مع ذلك في قلة ، و« يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ، ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً » (٣) فأخبر عن أسرارهم وعن ضمائرهم وواجههم بنفاقهم وسوء نياتهم ، وهذا لا يفعله إلا نبي واثق بتأييد الله له وبنصره إياه ، لأن من صواب الرأي ومحكم التدبير عند الحكماء والرؤساء وطلاب الملك وخطاب الدنيا أن يقبلوا الطاعة ممن أظهرها لهم وإن آثموا ضمائرهم ، وأن لا يردوا ما ظهر من نصيحهم ولا يقولوا لهم ليس ظاهركم كباطنكم وأنتم أعداء ، ليس هذا من حقوق الرئاسة ولا يسوغ في تدبير السيادة ولا يقع هذا من عاقل إلا أن يكون نبياً ، لأن الرئيس إذا فعل هذا حملهم على مكروهه وبعثهم على مكاشفته واستفراغ الوسع في الإفساد عليه وفي قتله . وفي أمثال الحكماء : لا تسمه عاقباً فيعق ، وقال في وصاياها التي ترتضيها العقلاء :

أقبل مقالة من يأتيك معتدراً
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره
إن برَّ عندك فيما قال أو فجرا
وقد أجلك من يعصيك مستترا

(١) الأحزاب ١٤ - ١٥

(٢) الأحزاب ٢٠

(٣) الأحزاب ٢٠

وكان أيضاً لو لم يكن نبياً لا يأمن أن يكون باطنهم في طاعته مثل ظاهرهم ، فإذا قال لهم قد نافقتم وهم بخلاف ذلك لكان طعن في قوله ، وإن لم يواجهوه بالكذب قالوه / من ورائه وذكروه لأتباعه ولمن قد اعتقد صدقه ، ويذكرونه ٢٠٧ / ب لعدوه من اليهود والنصارى . فإنهم كانوا أشد الناس حرصاً أن يقع له كذبة أو زلة ، فهم كانوا يواجهونه بالتكذيب وليس معهم حجة فكيف إذا صار لهم حجة . فتعلم أنه لم يقل ذلك إلا عن علم ويقين ، وهذا باب كبير من الاخبار بالغيوب وهو كثير في القرآن فاعرفه ، فهو من الآيات العظام ثم قال لهم : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » (١) فقد كانوا رأوه ﷺ في تلك الشدائد والأحوال ، ساكن القلب ، طيب النفس يبشرهم بالنصر على هؤلاء وعلى أمم العرب والعجم .

ثم قال : « ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً » .

وقد كانوا يقولون عند قول النبي ﷺ وهو بمكة : أني سأصير في جماعات وعساكر فيقولون : ملكنا أوسط وحزبنا أغلب وجندنا أكثر ، فأنزل الله إذ ذاك وقيل الهجرة : « أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرشقوا في الأسباب . جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب » (٢) فلما رآهم المؤمنون ذكروا هذا الوعد من الله عز وجل فازدادوا إيماناً . ولهذا الوعد نظائر وأمثال كقوله : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا » ومثل قوله : « لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً » (٣) وغير

(١) الأحزاب ٢٣

(٢) ص ١٠

(٣) البقرة ٢١٤

ذلك . وقوله : « وذكروا الله كثيرا » لم يرد به الذكر باللسان وإنما أراد الذكر ذكر القلب والفكر في آيات الله ودلائله وحججه ، وهذا أعظم الذكركين / وأجلهما وأنفعهما ، والذكر باللسان بعده ، ولا يغني عن ذكر القلب شيء البتة . ثم قال : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » (١) فأخبر عن ضمائر المؤمنين السابقين والمهاجرين والأنصار ، وأن باطنهم في الإسلام كظواهرهم ، وسريرتهم كعلانياتهم . كما أخبر عن باطن المنافقين ومن في قلبه مرض ، وفي إخباره عن مواطن المؤمنين من الدلالة مثل ما في إخباره عن ضمائر المنافقين ، فتأمل ذلك لتعرفه فشرحه يطول .

وقوله : منهم من قضى نحبه ، أي من قتل في سبيل الله أو مات وهو مقيم على موالاة الله وإيثار مرضاته ، ومن بقي ينتظر مثله ونيته وطويته ألا يزول عن ذلك ، وما بدلوا تبديلا ولا غيروا . وفكر في قوله : « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً » (٢)

فانظر كيف تمن عليهم بأنه صرف عنهم هؤلأ الجنود وهذه العساكر بالريح وكفاهم قتالهم ، وما نال المسلمين من الريح أذى مع قرب المسافة ، بل باتوا منها في كل عافية وبات أولئك في كل بلية ، وهذا بخلاف ماجرت به العادة ، ولا يقدر على صرف الريح في الجهات وإجرائها على هذه السبيل إلا الله عز وجل .

(١) الأحزاب ٢٣

(٢) الأحزاب ٢٥

وهم النبي ﷺ بالانصراف إلى المدينة والرجوع إليها بعد انصراف الأحزاب ، فأتاه جبريل يقول له عن الله : لا تنزع درعك حتى تصير إلى بني قريظة ، فسار إليهم ونزل عليهم ، فألقى الله في قلوبهم الرعب منه ﷺ مع كثرتهم فامتنعوا بحصونهم ، وقال ﷺ : يا يهود يا إخوة القرود (١) ، فقالوا يا محمد : ما عهدناك فحاشاً ، فقال ﷺ : غدرتم بي ونبذتم / عهدي ، إنا إذا حللنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . وبعث إليهم أبا لبابة بن عبد المنذر فقالوا له : يا أبا لبابة أتنزل على حكم محمد قال : نعم ، وأومى بإصبعه إلى حلقة ، أي أنه الذبح ، فأنزل الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » (٢) وما كان من أبي لبابة إلا إيماء بإصبعه ، فأخبر الله بما كان من إشارته وما كان بينه وبينهم .

ب/٢٠٨

قال أبو لبابة والله ما زالت قدمي حتى علمت أنني قد خنت الله ورسوله ، وذهب من وجهه فأوثق نفسه بسارية في المسجد ، فقال ﷺ أما إنه لو أتاني لا استغفرت له فأما إذ فعل فلا أحلّه حتى يكون الله هو الذي يحلّه ، وما زالت سارية أبي لبابة معروفة في المسجد ، وهذه آية أخرى .

وقد كان بنو قريظة في كثرة وبأس ونجدة ، فقلذب الله في قلوبهم الرعب عند نزول رسول الله ﷺ . فقالوا : ننزل على حكم سعد بن معاذ . فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد فجاء على حمار أقمر ، وقد كان أصابه يوم الأحزاب سهم ، وكان يقول اللهم لا تمثني حتى تريني في بني قريظة ما أحب ، فقال له

(١) في سيرة ابن هشام أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دنا من حصون بني قريظة قال : يا إخوان القرود هل أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته ، قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولاً .

سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٤

(٢) الأنفال ٢٧

رسول الله ﷺ: إن بني قريظة قد رضوا بك وبالنزول على حكمك ، فقال له الأوس : يا أبا عمرو هم حلفاؤك ، فقال سعد : قد آن لي أن لا تأخذني في الله لومة لائم ؛ لينزلوا حتى أحكم . فلما نزلوا قال : قد حكمت بقتل مقاتلتهم ، وسبي ذريتهم ، وغنم أموالهم ، وأن تكون للمهاجرين دون الأنصار .

فقال رسول الله ﷺ: قد حكمت بحكم الله ، وهو معنى قوله : « وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصبيهم وقذف في قلوبهم / الرعب ب/٢٠٩ فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديراً » (١) .

فانظر كيف يمتن عليهم بهذا ، والعدو والولي يسمع ، ولا يجوز أن يمتن عليهم إلا بما قد كان وعلموه . فانظر كم علم في قصة الأحزاب ، وكم آية ، وكم دلالة ، وكم أعجوبة .

وقد دخل في هذا الباب باب آخر وهو بانفراده حجة تامة ، بل في كل موطن منه حجة ودلالة ، فمن ذلك قوله عز وجل : « سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فقل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضرراً أو أراد بكم نفعاً بل كان الله بما يعملون خبيراً بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبداً وزيّن ذلك في قلوبكم وظننتم ظنّ السوء وكنتم قوماً بوراً . » (٢)

فانظر كيف يخبر عن عدوه أنهم سيقولون ما فيه حجة عليهم قبل أن يقولوه ، فيقولون ذلك ويفعلونه كما أخبر عنهم ، وهذا من عجيب الأمور ،

(١) التوبة ١٢٠

(٢) الفتح ١١

ولها نظائر ، مثل قوله عز وجل : « فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو »^(١) وقوله : « سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا »^(٢) ومثل هذا كثير .

فإن قيل : فما ينكرون أن يكون قد أخبر عنهم بعد أن قالوا .

قيل له : هذا لا يفعله عاقل بأن يقول لأمر قد كان وقد وجد وفرغ منه هذا سيكون ، فيكذب هذا الكذب الظاهر عند قوم يعلمون أنه قد كذب وهو يدعي/الصدق والنبوة وأنه وجده حجة الله وصفوة الله وأنه لا أحد معه في ذلك ٢٠٩ / ب ولا بعده إلى يوم القيامة ، فاعرف هذا وراعه في أماكنه من القرآن إذا تلوته .

وتأمل قوله عز وجل : « يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم » وقوله : « بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبداً وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً » .

فإن العاقل لا يفعل هذا بمن أظهر له الطاعة وإن كان متهماً الباطنية ، بل يظهر له القبول ، هكذا حق الرئاسة وهو الذي تقضيه السيادة وهو الحزم ومن سوء التدبير إظهار تهمة مثله ، وهذا لا يفعله إلا من كان نبياً أو رسولا لله صادقاً كما قد تقدم شرح ذلك لك .

ومما يؤكد ذلك ، أنه ﷺ كان يوصي أمته بالمداورة وبالصفح وبترك

(١) الإسراء ٥١

(٢) الفتح ١٥

المكاشفة ، ويقول : هذا هو الحزم . وقد كان ﷺ واجداً على بعض أحياء العرب ، فوردوا عليه وهو معرض عنهم ، فقام رجل منهم فأنشده (١) :

فحي ذوي الأضغان تستبقِ ودهم تحيتك الحسنى فقد يُرفع النفل
وإن أظهروا سوءاً فأظهر كرامة وإن كتموا عنك الحديث فلاتسل
فإن الذي يؤذيك منه استماعه وإن الذي قالوا وراعيك لم يُقل

فأقبل ﷺ ورضي عنهم وقال : إن من الشعراء لحكماء ، وإن من البيان لسحراً ، وأعاد قول الشاعر : وإن الذي قالوا وراعيك لم يقل . استحساناً له واستصواباً ، فلما صار إلى أمر الله عز وجل مارضي إلا بمواطأة القلب للسان ، وأن يكون الظاهر مثل الباطن ، ثم مارضي بأ ن يكون هذا القول منه ومن عنده حتى قال هذا القول / قول الله لا قولي ، وقول خالقيكم وخالقي (٢) العالم ١/٢١٠
بضمائر كم وما أخفيتم .

وتأمل قوله : « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم » إلى قوله : « بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين » (٣)

فانظر كيف يقول لأولئك لما جاءوا معتذرين وسامعين ومطيعين : إنكم قد قلتُم بألستكم مالميس في قلوبكم ، وإن قعودكم لم يكن لشغلكم بأموالكم وأهليكم بل لظنكم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً .

ويقول هؤلاء الآخريين الذين بهم ضعف بصيرة وقد جاءوا مدعين

(١) كتب في هامش الأصل : « سبب قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إن من الشعراء لحكماء »

(٢) في الأصل : « خالقي »

(٣) الحجرات ١٧

وسامعين ومطيعين : لم تؤمنوا ، ولكن قولوا : أسلمنا . فلا يسوغهم دعوى الإيمان مع ضعف البصيرة ، ويقول : « إنما الصدقاتُ للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم »^(١) فيعطيهم العطاء الجزيل ويقول : هؤلاء الذين ضعفت بصائرهم أعطيهم أتألف قلوبهم لانحطاط منزلتهم عن منازل المهاجرين والسابقين والأنصار ، فيسميهم باسم المنقصة ويلبسهم جلباب المذلة وقد أعطاهم تلك العطايا الوافرة ، وهذا خلاف تدبير عقلاء الناس وحكماء البشر ، فإن هذا عندهم تضييع للمال وتغيير للناس وجناية على الملوك ونقض عرى الملك وهدم لأركانه .

وفي هذا المعنى قوله عز وجل : « إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله . والله يشهد أن المنافقين لكاذبون » إلى قوله : « والله العزة لرسوله والمؤمنين ولكنَّ المنافقين لا يعلمون » وهذا من ذلك الجنس الذي قدمنا ، وهي في قوم من / المنافقين معروفين وهم عبد الله بن أبي سلول الخزرجي وأتباعه ، وهذا كان سيداً في الخزرج مطاعاً عظيم الشأن ، وكان متقدماً في الأوس والخزرج جميعاً ، وكان رأس المنافقين ، يطيعونه ويرجعون إليه ، وكان قد حسد رسول الله ﷺ وسبق عليه أمره ، وكان سعد بن عبادة يقول للنبي ﷺ اصبر عليه يارسول الله واحتمله ، فوالله لقد نظمنا خرزات تاجه لنسوده حتى جاءنا الله بك .

وكان معه على النفاق جماعة من الأوس والخزرج يؤملونه ويرجون أن تكون الرئاسة له ، وكانوا يعدلون قومهم من الأنصار في محبتهم لرسول الله ﷺ وأتباعه . وكانت الأنصار تحب إسلامه وإجابته وإخلاصه ، فيذكرون له صحة الإسلام

(١) التوبة ٦٠

وحسنه ، ويوبخونه في إبطائه عنه ، فيجيبهم إلى ذلك فيسلم ؛ ثم ينظر في أمره وأنه ليس له منزلة خبّاب بن الأرت ، وسهيل بن سنان ، وزيد بن حارثة ، وبلال مولى أبي بكر الصديق ، وعمّار بن ياسر ، وأمّثالهم من الموالى مع حبه للرئاسة إذ هو رئيس وسيد قبل الإسلام ، فيتحسر ، ويحمله الحسد ، فيرجع ويتردد. وقد كان في بعض غزوات رسول الله ﷺ ، إما في غزوة المريسيع أو غيرها قد ازدحم الناس على الماء لضيقه ^(١) ، فوقع بين الجهجاه الغفاري صاحب عمر بن الخطاب وأجيريه وبين رجل من الأنصار ، فقال الغفاري : يا للمهاجرين وقال الأنصاري : يا للأنصار ، وبلغ ذلك عبد الله بن أبيّ بن سلول وهو في مجلسه وفي جماعة من خواصه وخدمته وعبيده وأهل بيته ، وكان في هذه الغزاة ، فأظهر التعجب من أن يقال يا للمهاجرين وأن يكون أحد يعازر الأنصار وقومه / من الأوس والخزرج وأخذ يلوم الأنصار في مجيئهم بهم وأنهم جاءوا بقوم فقراء فواسوهم ومطرودين فأووهم وأنزلوهم ديارهم ومخدولين فنصروهم ، فلما قوا واشتدوا واثبوهم وقالوا : يا للمهاجرين ، وهذا كما قيل : سمّن كلبك يأكلك ، وينبغي لهم أن يقطعوا النفقة عنهم حتى ينفضوا عن هذا الرجل ^(٢) ولئن رجعنا إلى المدينة لتأخذنهم بهذا ، ولننضحن لهم ، وليخرجن الأعز منها الأذل . وكان قد قال هذا بحضرة ثقافته وظن أن ذلك لن يبلغ رسول الله ﷺ ، فجاء زيد بن أرقم الأنصاري وكان من أهل بيته فأعاد على رسول الله ﷺ المجلس ، فذكر ﷺ ذلك للأنصار فجاءوا إلى عبد الله بن أبيّ بن سلول فذكروا له ذلك ، وأن زيدا بن أرقم حكى ذلك

ب/٢١١

(١) وتسمى أيضاً غزوة بني المصطلق . وفي سيرة ابن هشام يوضح أن الذي نادى أولا هو الأنصاري إذ قال : يامعشر الأنصار ، والأنصاري هو سنان بن وبر الجهني .

انظر لتفصيل الحادث سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٠

(٢) هو يتكلم عن الأنصار فيقول : ينبغي لهم

عنه ، فقال : ما قلت هذا ، وحلف ، وقال : قد كذب من ذكر ذلك عني ، وأنا أعرف بحق رسول الله ﷺ من أن أقول هذا ، وزيد بن أرقم غلام حدث لا يدري ما يقول . فقالوا له كذا الظن بك ، وأقبلوا على زيد بن أرقم يعدلون به وجاء هو إلى رسول الله ﷺ مع أصحابه وخاصته يكذبون زيدا فيما حكاه ، ويحلفون على ذلك ، وأنهم يعتقدون في قلوبهم وضمايرهم نبوة رسول الله ﷺ وصدقه ، فقبل رسول الله ﷺ إيمانهم وسمع منهم وأقبل عليهم يكذب زيد بن أرقم ولا صدقه ، بل أمسك عنه . فأخذ رسول الله ﷺ الوحي كما كان يأخذه ، فأقبل على أصحابه ودعا بأبي بكر وعمر ، وتلا السورة ، وأخبرهما بصدق زيد بن أرقم وأنه على حدائته قد أجاب وصدق . فقال له عمر بن الخطاب يا رسول الله لم لا تأذن في قتل هذا ، تقدم إلى بشر بن البر الأنصاري أو إلى غيره يقتله (١) ، وتلا رسول الله ﷺ السورة على الأنصار ، فقاموا إلى ٢١١ / ب عبد الله بن أبي بن سلول فتلوا ذلك عليه وعرفوه ما كان ، وعذلوه ولاموه ولاموا أصحابه ومن حوله ممن يريد هذا ، وقالوا : إلى كم يا ويحك ، وإلى متى تكون هذه الفضائح ويفضحكم الله مرة بعد مرة ، توبوا وارجعوا ، فقالوا نتوب ونرجع .

وجاء ابن لعبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله ﷺ وكان مخلصاً وكان برّاً بأبيه شديد المحبة له ، فقال : يا رسول الله ، قد بلغني ما كان من أبي وما أحسب ولداً أبرّ بوالدٍ مني ولكني لا أرضى له ما يأتيه ، وقد بلغني ما أشار به عمر ، فإن أردت قتله فمروني بذلك فإني والله أقتله مع حبي له وبري به ، وإن قتله غيري خشيت ألا أصبر أن أرى قاتل أبي في الناس فأقتله فأدخل النار ، فقال له النبي ﷺ لا تقتله وتأن به .

(١) في سيرة ابن هشام : عباد بن بشر الأنصاري

ولما رجع رسول الله ﷺ من هذه الغزاة يريد المدينة ، فلما قرب اعترض ابن عبد الله بن أبي بن سلول هذا أباه واعتقل جملة وثني ركبته ، فقال له أبوه : مالك يا بني وما تريد ، فقال له : والله لا دخلت المدينة أو يقول رسول الله ﷺ الأعزّ وأنا الأذلّ ، فما زال يدافعه ويسأله تركه وتخليته فلا يفعل ، ويمر به الناس على طبقاتهم في سيرهم ، فمنهم من يسأله الصّبح عنه والتخليّة له ومنهم من لا يفعل ، وأصحابه وأعداؤه يرون ذلك به ويشند حسرتهم عليه ، فما أفرج ابنه عنه حتى قال ذلك ونادى على نفسه . فتأمل ما في هذا من دلالات وعلامات وآيات بينات تدل كل عاقل استدلل بها على نبوة محمد ﷺ وصدقه وفيه من ذلك أكثر مما شرحنا فتأمل تجده وهؤلاء المنافقون كبراء ورؤساء في قومهم ، وكانوا مطاعين ولهم / أتباع ، وقد كان اليهود يجلسون إلى عبد الله بن أبي بن سلول ويعظمونه ويجلّونه ويزيدون في ذلك لأجل عداوته للنبي ﷺ ، ويعثون الأوس والخزرج على طاعته ، ويقولون : سيدكم القديم ولحكمكم ودمكم ، وإنما محمد وأصحابه دخلاء فيكم . وقد كان الجدّ بن قيس أحد السادة القداماء المطاعين في بني قبيلة من الأوس والخزرج (١) ، وقد كانت سبيله في النفاق سبيل عبد الله بن أبي بن سلول .

١/٢١٢

فإن قال قائل : قد لعمرى كان هذا من سيرة محمد ﷺ وأفعاله وهو بخلاف سيرة حزمة الملوك ، ولن يقوم الملك بمثل هذا التدبير ، ولكن إنما فعل محمد هذا في آخر أمره وحين صار بالمدينة وصار في عساكر وجماعات ، وحين استتب أمره ، فألا فعل هذا بمكة ؟

(١) كان الجد بن قيس المتخلف الوحيد عن بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان . ثم تخلف عن غزوة تبوك ونزلت فيه الآية : (ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني) . سيرة ابن هشام ج ٢ : ٣١٦ ، ١٦٦ هـ

قيل له : ما في هذا طعن ولا جئت بشيء ، بل ما حصلت ولا تدري ما تقول
 ولو سكت لكان أستر لك ، لأنك ما زدت على أن قلت : هذا كان بالمدينة
 ولم يكن بالمدينة ، وكان حين صار في عساكر وجماعات ، فما في هذا من
 الطعن ، ولو قد تدبرت لعلمت أن هذا زائد في حجته . لأنه بالمدينة ما رجع
 عن دعوى النبوة والصدق والعصمة كما كان بمكة ، وحين صار بالمدينة وفي
 عسكر وعدوه في عسكر يقصده ويطرقة ، فهو إلى الرجال وإلى التدبير بتدبير
 حزمة الملوك وطلاب الدنيا ومداراة من يتهم باطنه وترك مكاشفة مثل هذا
 أولى ، فما زدتنا بسؤالك هذا إلا قوة في الحجة . وقولك : ألا كان هذا
 بمكة ؟ فكيف يكون بمكة وما هناك منافق البتة ؟ ، وكيف ينافقونه بمكة وهو
 وأتباعه كانوا بها مقهورين مغلوبين وبها من المسلمين من يكتم إيمانه خوفاً من
 قريش ، والذين / كانوا يظهرن إيمانهم بمكة قبل الفتح أبو بكر وعمر وعثمان ٢١٢/ب
 وعليّ وأشباهم ، من تلك الجماعة المعروفة ، على ما عليهم في ذلك من الشدة
 والأذية والبلية من قومهم وسواهم من الرجال والنساء كانوا يضعفون عما يقوى
 عليه أولئك فيكتمون إيمانهم ، فمن أين يكون بمكة منافق . والأمر بالضد مما
 كان بالمدينة فكأنك تقول له ﷺ : لم لم تكذب وأنت بمكة كما صدقت وأنت
 بالمدينة ، وأيضاً فهو كان بمكة وحيداً فريداً ، ^(١) ومن معه في ذلة وقلة وقبل
 أن يتبعه أحد ، فما لان لعدوه بل كاشف وبالغ فيما يغضبهم ويغظهم وجبهمهم
 بالإكفار والتجهيل بمثل قوله : « أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون » ^(٢)
 « وقل يا أيها الكافرون » ومثل قوله : « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو
 يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً » ^(٣) ومثل قوله : « إنك لا تسمع

(١) في الأصل : وحيد فريد

(٢) الزمر ٢٤

(٣) الفرقان ٤٤

الموتى ولا تسمعُ الصمَّ الدعاء إذا ولوا مدبرين . وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم» ومثل قوله : «وما أنت بمسمعٍ من في القُبُور» إلى غير ذلك من نظائره مما لم يكاد يحصى لكثرتة ، وهذا لا يفعله حازم ولا عاقل إلا أن يكون نبياً كما تقدم لك شرحه في غير موضع من كتابك هذا .

وتدبر قوله في أصحابه ببدر : «يُجادِ لَوْنَك في الحقَّ بعدما تبيَّن كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون» (١) كيف يوافقهم على السير مما كانوا يجدونه من الشدة والخوف من عدوهم لقلتهم وكثرة عدوهم .

وفي هذا المعنى قوله : «واذكروا إذ أنتم قليلٌ مُستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكمُ الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات/ لعكم تشكرون» (٢) وقوله في قصة أحد : «ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتُم من بعدما أراكم ماتحبون ، منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة» (٣) فواقف الذين أرادوا من الدنيا المباح من الغنائم على هذا المقدار ، بخلاف تدبير البشر ومن له حرص على طلب الرئاسة والملك ، حتى قال ابن مسعود : ما شعرت أن أحداً يريد الدنيا حتى سمعت رسول الله يقول : «منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة» لأن المهاجرين والأنصار اتبعوا النبي لصدقه ونبوته لا لغير ذلك ، فإن اتفق لهم رزق مباح لم يكن بذلك بأس .

إلى قوله : «وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل : إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبلدون

(١) الأنفال ٦

(٢) الأنفال ٢٦

(٣) آل عمران ١٥٢

لك يقولون : لو كان لنا من الأمر شيء ماقتلنا هاهنا» (١)
وهذا كان قاله عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه يوم أحد وهو من ذلك
الجنس .

ومما يجري هذا المجرى قوله تعالى : «لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك
تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم» (٢) والعامل إذا تدبر علم أنهم لو لم يكونوا
كذلك في ضمائرهم وطويتهم لما قاله فيهم ولما أخبر به عنهم ، لأنهم كانوا
ألفاً وأربع مائة ، فكان لا يأمن أن تكون طويتهم غير خالصة وإن أظهروا له
ذلك ، فكان لا يأمن أن يهجم منهم على خلاف ذلك ، فيتبينون كذبه وهذا
لا يفعله عاقل ، فكيف بمثل محمد ﷺ وهو يدعي النبوة والصدق ويدعو الناس
إلى أن يعتقدوا ذلك فيه ، ويريده منهم ومع هذا فيقول إن هذا ليس بقولي
وإنما هو قول ربّي وربكم علام الغيوب . وهذا فيه علوم بغيوب كثيرة
[التي] (٣) لا يعلمها إلا الله ولا يطلع عليها إلا صفوته وأنبيأؤه . ولو كان فيهم
من ليس بخالص / الطوية لرجع إلى نفسه فكان يظهر ذلك ولو بعد حين ، ولا
يدع التحدث به وإن لم يجبه به رسول الله ﷺ وكان يتحدث مع اليهود والرؤساء
الذين ذكروا من أعداء النبي ﷺ ويخبرهم بما كان عليه وما قاله ، وكانوا
يسرون بعثرة لرسول الله ﷺ وزلة إن لو كانت وحاشاه من ذلك ، فكان يبلغ
ذلك رسول الله ، والمسلمون ويتحدثون به ، ويشيع الأمر ، كما ظهر أمثاله من قول
المنافقين مع إخفاءهم لذلك . فتعلم حينئذ بدليل عقلك أن بواطنهم له ﷺ كانت
كظواهرهم كما أخبر وكما قال .

(١) آل عمران ١٥٤

(٢) الفتح ١٨

(٣) هكذا في الأصل ، ونظنها زائدة

وقد كانوا يتعنتون ويتعلقون بالضعيف من الأمور ويسألون ، ألا ترى أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح قد كان يكتب لرسول الله ﷺ ، فكان إذا انتهى إلى آخر القصة وقد أملى عليه رسول الله ﷺ : «وكان الله» فيقول ابن أبي سرح : غفوراً رحيماً ، أو عليمًا حكيمًا ، فيقول رسول الله ﷺ : هكذا نزلت فاكتب ، فقال للناس : إنما يأتي محمد بهذا من تلقاء نفسه ، وحكى مثل هذه الصورة ، فكيف بما فيه الحجة لهم عليه . ولهذا نظائر مما قد سألوا عنه وترددوا فيه ، وليس أحد من أصحابه من أخبر عنه مع كثرتهم شك أو تردد أو أخبر عن ضميره بخلاف ما أخبر ﷺ .

ومن هذا الجنس قوله عز وجل : «للفقراء والمهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون»^(١) فأخبر عن المهاجرين المكيين بأنهم هاجروا لله وابتغاء لمرضاة الله وشهد لهم بالصدق ، ثم قال : «والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون»^(٢) فشهد لهم بالفلاح ، وهم خلق كثير ، أخبر عن طوياتهم وضمائرهم ، وهذا من الغيب لا يعلمه الا الله .

ومن هذا الجنس ، إخباره في القرآن عن عائشة وصفوان بن المعطل الذي رميت به ، فأخبر عز وجل ببراءة ساحتها وبغفلتها عما رميت به وأن ذلك لم يخطر ببالها ولا همت به فضلا عن أن تفعله ، فقال عز وجل : «إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب

(١) الحشر ٨

(٢) الحشر ٩

عظيم» (١) وقد جلد رسول الله ﷺ أولئك القذفة وقال : الله أمرني بجلدهم وأخبرني بكذبهم في قذفهم عائشة ، وتلا عليهم : «إن الذين جاءوا بالإفك عصبةٌ منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خيرٌ لكم» (٢) أي ما ضركم بل كانت عقبي لكم ، فإن الله عز وجل تولى إكذابهم بنفسه ، وأنزل فيه القرآن المعجز والآيات البيّنات التي لا إكذاب لها إلى يوم القيامة ، ثم قال : «لكل امرئٍ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم» (٣) ثم عاتب المؤمنين الذين حكوا ما قالته القذفة ووبخهم على ذلك وعلى إمساكهم عن تكذيب أولئك والرد عليهم وحسن الظن بعائشة وبصنفوان فقال عز وجل : «لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين» حتى قال : «فأولئك عند الله هم الكاذبون» . فانظر إلى هذا التعنيف النازل بالمؤمنين الذين حكوا ما قالته القذفة في عائشة وقالوا : إنما قلنا ما قيل لا انا قذفنا ولا انا شهدنا .

ثم عاد إلى من كان له في القصة هوى فقال : «إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون» فتأمل هذا الوعيد لمن كان له في هذا هوى / وقوله للمؤمنين ٢١٤ / ب الأبرياء : «يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين» .

ثم قال : «يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر» أي إن هذا مما يزينه الشيطان ويدعو إليه والشيطان لا يريد إلا الباطل ثم قال : «ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً» أي لولا لطفه بخلقه وحسن اختياره لهم وجميل تدبيره لما زكى

(١) النور ٢٣

(٢) النور ١١

(٣) النور ١١

منهم أحد أبداً ، ثم قال : « ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم » .

وهذا القول يقوله الله لأبي بكر ، فإن مسطح بن أثالة كان من بني عبد مناف وكان ابن خالة أبي بكر وكان في عياله ، وقد كان خاضع مع الخائضين في شأن عائشة ، فلما أنزل الله براءتها حلف أبو بكر ألا ينفق على مسطح وقد كان تاب وندم وكان من المهاجرين ، فلما قال الله هذا القول لأبي بكر الصديق قال : بلى ، يارب نحب أن تغفر لنا ، فرده في عياله .

فتأمل هذا النكال النازل بالقذفة والفضيحة الحالة بهم والتوبيخ لمن أصغى لحديثهم والتزكية العظيمة لهذه المقذوفة ، وقد وقع في هذه القصة جماعة كثيرة فيما يكرهون على طبقات ، وهذا قول يغيظ ويغضب ويخرج المخبات ويذكر بالأحقاد وبالأموال القديمة ويبعث على البهت فضلاً عن الإنصاف ، فكيف بأمر قريب العهد . وهؤلاء القذفة والخائضين نفوس وأكباد وعشائر وأحباب ، وفيهم مثل عبد الله بن أبي بن سلول ، ويتصلون بأعداء رسول الله ﷺ من اليهود وغيرهم ، / ولهم الحرص الشديد على كذبة أو زلة تقع منه فما قدروا ، فلو لم يكن في هذه القصة إلا إنسان واحد أو عائشة وحدها وكان هناك كذب لظهر ، فكيف وفيها جماعة ، فلو لم يكن الله قد أطلعه وأخبره بصدق عائشة وصفوان لما أخبر بهما فإن كان لا يأمن كذبهما ، هذا لا يختاره عاقل سيما وهو يدعي الصدق .

فقد علمت أن الملوك وطلاب الدنيا لا يؤمن غدوهم وكذبهم وبهتهم بل تلك عادتهم وسجياتهم ، وهم يطوون أسرارهم ولا يطلع عليه إلا الواحد بعد

الواحد من ثقاتهم ممن يشار كهم في ملكهم ونعمهم ، ثم لا يأمن إن أظهر ذلك على نعمته ودمه ، ثم لا يلبث السرّ الذي هذه سبيله أن يظهر ذلك في زمن الملك من جهته أو من جهة ذلك الثقة الذي أطلعه عليه ، وليس للناس بإظهار ذلك عناية ، وربما لم يكن في ذلك ما يتعلق بالدين وفيه معاداة الناس كلهم ، وعنايتهم به وطلب عثرات من أتى به شديدة ، ويتمنون وقوع ذلك منه . ومن لا عيب فيه ولا عادة في وقوع الكذب منه ومن يدعي العصمة فصغار الأمور كبيرة منه ، وقد يشيع عليه بما يشبه العيوب والذنوب بأنه عيب وذنوب ، ويتعلق عليه بمشاكل الألفاظ ومتشابه الكلام . وقد كان أعداؤه عليه السلام معه وبهم من الكثرة والقوة والملك والسطوة ما قد عرفه الناس ، ومع هذا فقد ارتد من ارتد من قبائل العرب بعد موته ، وناظرهم أصحابه وحاجوهم وحرابوهم فما أمكن أحد من أولئك الأعداء من المرتدين ولا المنافقين ولا اليهود ولا النصارى أن يقيموا حجة في / هفوة أو زلة أو فيما يشبه ذلك كان منه عليه السلام مع حاجتهم إلى ٢١٥ / ب ذلك وحرصهم عليه ، فكانوا يدفعون بأس أصحابه عن أنفسهم بذلك ويوقعون الخلاف بينهم بذلك ، لأن أصحابه إنما استحلوا دماء من خالفه ديانةً لأنه نبيّ ولأنه صادق لا يخطف ولا يزل ولا يكذب ، ولو وقع منه شيء من ذلك لما حلت نصرته ولا تصديقه ولا اتباعه فلو كان فيمن زكاه وشهد على ضميره ونيته من ليس كذلك لما لبث أن يخبر بذلك ويرجع عن نبوته وتصديقه ، وكان لا يسر بما أظهره من تزكيته لأنه يعلم أنما أظهر تلك التزكية والتصديق حيلة عليه وخديعة له وسخرية منه ، فكيف والذين زكاهم وشهد على ضمائرهم جماعات كثيرة في أوقات متغايرة ، وكذا من شهد بتفاقه ، فاعرف هذا فإنه باب كبير من ورائه أبواب في دلائل نبوته عليه السلام .

ثم عدت إلى ما كنت بدأت به ، فمن هذا الجنس قوله تبارك وتعالى :

« لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لا تبعوك ولكن بَعُدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون » (١) .

فتبين رحمتك الله ما في هذا ، فقد تقدم لك شرح نظائره ، ثم قال : « عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لِمَ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ . لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ . إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ » (٢) وهذا في قوم معروفين استأذنوه عليه السلام ثم قال فيهم : « ولو أرادوا الخروج لأعدوا له / عُدَّةً ولكن كره الله انبعاثهم فنبطهم وقيل اقعدها مع القاعددين . لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليمٌ بالظالمين » (٣) وهذا خلاف تدبير عقلاء البشر ، فإنهم إذا خلفوا من خلفوا خوفاً من ضرره وهربا من شره وقدموا من قدموا ليهلك فيستريحون من شره لا يفضحون بذلك ولا يظهرونه وإنما يظهرهون خلفه ، فيقولون لمن خلفوه إنما خلفتك لحاجتي لتكون من ورأي ولثقتي بك ولتعويلي عليك ، وكذا يقولون فيمن يقدمونه ، ثم قال : « لقد ابتغوا الفتنة من قبلُ وقلَّبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمرُ الله وهم كارهون » (٤) يريد ما كان من حرصهم على قتلك واستئصالك حتى طمعوا فيك ، لو حدثت ثم لضعف من اتبعك حين آمنوا بك ولقائهم حتى جاء ما وعد الله من النصر والظفر والظهور ، ثم قال : « ومنهم من يقول ائذن لي

ب/٢١٦

(١) التوبة ٤٢

(٢) التوبة ٤٣ - ٤٤

(٣) التوبة ٤٦

(٤) التوبة ٤٨

ولا تفتسي ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين» (١) وقد كان ﷺ قال للجد بن قيس : هل لك في جلاذ بني الأصفر . يعني الروم . فقال هو وغيره : بل تأذن لنا فنقيم ونتخلف ولا تفتنا فتغلظ المحنة علينا بأمرك إيانا بالخروج وترك إعفائنا منه ، ففعل ذلك أن يثقل علينا فنخالف أمرك فيه .

فقال الله : «ألا في الفتنة سقطوا» أي فيما ذكروا أنهم يحذرونه من المعصية والخلاف سقطوا ، والنار من ورأهم محيطة بهم على أفعالهم ونفاقهم وقعودهم عنك .

ثم قال : «قل أنفقوا طوعاً أو كرها لن يقبل منكم إنكم كنتم قوماً فاسقين» وليس من تدبير عقلاء البشر أن يقول لمن أظهر طاعته وأنفق فيها ماله وبذل فيها مهجته : / إن هذا لا ينفك ولا يقبل منك ثم قال : «وما منعهم أن ٢١٦ / ب تُقبل منهم نفاقهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون» وهذا من ذلك الجنس في المكاشفة ثم قال : «فلا تُعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريدُ الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون» (٢) ، فقد كان للجد بن قيس ولعبد الله ابن أبي وأضرابهما ممن نافق من الأوس والخزرج أموال ظاهرة ونعم وأولاد ، وهم جماعة كثيرة ، فأخبر الله نبيّه بسوء أحوالهم في الباطن وأن أموالهم وبال عليهم والله يعذبهم بها بما يكلفهم من إنفاقها ، فهم ينفقون أموالهم ويكدون أبدانهم ويقاتلون أولياءهم مع أعزائهم ، وهذا من ذلك الجنس . وليس يريد كفرهم ، وإنما يريد تعذيبهم بكفرهم في حال كفرهم ، كما قد يقول الرجل لصاحبه : إنما أريد أن تعودني وأنا مريض ، وإنما أريد أن تزورني وأنا محبوس ،

(١) الآيات السابقة من سورة التوبة ٤٨ فما بعدها

ولإنما أريد أن تسد خلتي وأنا فقير ، وهو لا يريد أن يكون مريضاً ولا محبوساً ولا فقيراً ، وإنما يريد أن يعامل بهذه المعاملة وهو في هذه الأحوال ، فكذا أراد الله تعذيبهم وهم كافرون ، أي في حال كفرهم ولأجل كفرهم وإن كان لكفرهم كارهاً . ثم قال : « يخلقون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيراً لهم » (١) وهذا في قوم من المنافقين معروفين اجتمعوا ، فقال بعضهم لبعض : لئن كان ما يقول محمد حقاً لنحن شر من الحمير ، فقال رجل كانوا يظنونهم منهم وهو مسلم : والله الذي لا إله إلا هو إنه لحق ولأنتم شر من الحمير . ثم أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له ، فدعاهم فقال / أنتم القائلون كذا وكذا ، فحلفوا بالله ما قالوا ، فأنزل الله ذلك ، فقال رجل منهم : قد والله قلنا ، وأرى الله قد عرض علي التوبة وبذلها لي ، والله لأقبلنها ؛ فتاب واعتذر ، وهو معروف .

وقد قلت لك : إنك بعقلك تعلم أن هناك قوماً (٢) هذه صفتهم وقد قالوا ما حكاه الله عنهم وإن لم نعرف أسماءهم وأعيانهم . وقوله : « وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » فقد كان رسول الله ﷺ يعطيهم من الغنائم إذا حضروا الحرب على ظاهر الإسلام ، ويعطيهم من الصدقات بظاهر الفقر ، فأذكروهم الله بهذه النعم ، وهذا كقولك ما لي إليك ذنب إلا نصحي لك ومحبي إياك .

ثم قال : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقاً

(١) التوبة ٧٤

(٢) في الأصل : قوم

في قلوبهم» إلى قوله: «فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم» (١) وقد كان النبي ﷺ حث الناس على الصدقة ، فجاء عمر بصدقته وجاء عبد الرحمن بصرة يعجز عنها الكف ، وجاء عثمان أيضا بما هو معروف من عظم صدقته ، وكذلك غيرهم من الصحابة . وجاء رجل يقال له أبو عقيل بصاع من تمر ، فقال المنافقون : لو كان لنا مال لأعطينا أكثر مما أعطى عبد الرحمن ، وقالوا لصاحب الصاع : إن الله لغني عن صاعك هذا ، فلمزوا من إعطاء الكثير ومن إعطاء القليل ، فلماذا قال الله : «إن الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم» (٢) فلماذا فصل الله عز وجل بين الفريقين . وأما قوله : «سخر الله منهم» فإن الله لا يفعل سخرية الساخرين ، ولا ظلم الظالمين ، ولا استهزاء المستهزين ، ولا خداع المخادعين ، ولا جور الجائرين ، ولكنهم لما جازاهم ٢١٧ / ب على سخريتهم جاز أن يقال سخر منهم ، وهذا جزاء ، كقوله : «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه» (٣) و «جزاء سيئة سيئة مثلها» (٤) فالأولى سيئة والثانية جزاء . ثم قال : «وقالوا لا تنفروا في الحرّ قل نار جهنم أشدّ حرّاً» وهؤلاء قوم معروفون بأعيانهم تخلفوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ إلى غزوة تبوك وقالوا هذا القول ، وكان قد خرج في أشد ما يكون من الحرّ ، وكانت نصارى العرب قد خرجوا إلى ملك الروم يحثونه على قصده لرسول الله ﷺ ، وقالوا له : هو وأصحابه في جهد وضرّ شديد ، فانتهاز الفرصة فيهم . فبادره رسول الله ﷺ وخرج بأصحابه وهم في ضرّ شديد وإعواز وعدم القوت ، وتوجه نحو

(١) التوبة ٧٥

(٢) التوبة ٧٩

(٣) البقرة ١٩٤ ، وفي الأصل : ومن اعتدى

(٤) الشورى ٤٠

الشام في عشرة آلاف فارس وعشرين ألف راجل ، وأقام بتبوك وملك الروم بدمشق ، فراسله النبي ﷺ ودعاه إلى إجابته والدخول في طاعته ووبخه وكان له معه ما هو معروف .

« وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم » ، والمعذر بالتشديد هو المقصر الذي لم يستفرغ وسعه ، والمعذر بالتخفيف الذي قد قدم فيما بينه وبين أخيه وصاحبه ما هو غاية في العذر (١) وكان ابن عباس رضي الله عنه يقرأ : المعذرون بالتخفيف ، ويقول : لعن الله المعذرين ، ذهب إلى الذي يعتذر بغير عذر .

ثم قال : « يخلصون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين » (٢) .

وكذا يجب على المسلم أن يرضى مارضى الله وعمّن رضي الله ويسخط ماسخط الله ، ولهذا قال رسول الله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يرضى بقدر الله » فالرضى بقدر الله واجب ، وسخط المعاصي فرض لازم ، فالويل لمن رضي بمعاصي الله والويل لمن لم يرض بقدر الله (٣) .

وقوله عز وجل : / « الذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً » إلى قوله : « إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم » .

وكان رجل من كبار الأوس يقال له أبو عامر عبد عمرو بن صيفي وكان يعرف بأبي عامر الراهب ، وقد كان أظهر الترهّب وأنه يطلب الحنيفية ودين

(١) جاء في هامش الأصل : المعذر بالتشديد : المقصر . المعذر بالتخفيف

(٢) التوبة ٩٦

(٣) جاء في هامش الأصل : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يرضى

بقدر الله » .

الحق . فلما قدم النبي ﷺ المدينة لقيه أبو عامر فقال : يا محمد إلام تدعو ، فقال إلى دين الحنيفية الذي تطلبه بزعمك ، فقال له : ما أنت عليه ؟ فقال له رسول الله ﷺ : بلى ، ودعاه فأبى ، وحسد رسول الله ﷺ ، وقال له أبو عامر : الكاذب منا أماته الله غريباً شريداً طريداً ، يعرض برسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : نعم فعل الله ذلك بالكاذب منا . ثم أقبل أبو عامر على قومه ينهاهم عن اتباع رسول الله ﷺ وعن طاعته ويجتهد ، وأعلام رسول الله ﷺ وآياته تتزايد وتظهر ويكثر أتباعه من قوم أبي عامر فيزداد غيظاً . واتخذ مسجداً يجمع إليه الناس فيحادثهم وينهاهم من اتباع رسول الله ﷺ ، ويزعم أنه على الحنيفية ، وأن دينه سيظهر ويصير في جماعة وعز ، فكان يجتمع إليه قوم من المنافقين ، ويجلس إليهم اليهود ويقوون منهم الخلاف على رسول الله ﷺ ثم إنه خرج إلى مكة وبعثهم على غزو النبي وحربه ، ويقول : أنا معكم وقومي من الأوس معكم ، فإذا لقيتم محمداً صرنا إليكم . وكان معهم في وقعة أحد ، فلما تنازلوا نادى أبو عامر قومه معاشر الأوس ، أنا أبو عامر فقالوا : لا مرحباً بك يافاسق ، وسبوه ولعنوه ، فقال : لقد أصاب قومي بعدي شر . وقد كان خرج إلى مكة من قومه جماعة كثيرة وهم على رأيه في رسول الله ﷺ ، وكانوا نحو خمسين رجلاً ، فقاتلوا المسلمين / مع قريش قتالاً شديداً ، ثم صار أبو عامر إلى الروم ولقي قيصر ملك الروم بالشام ، فدعاه إلى قتال رسول الله ﷺ والمسلمين وحرّضه على ذلك ، وهون أمرهم عنده بضعفهم وفقيرهم وقلة عددهم وكثرة علوهم ، وخوفه العواقب إن هو لم يفعل ذلك بما لا يأمنه من قوة الإسلام . ثم إن أبا عامر مات بالشام طريداً غريباً وحيداً كما دعا رسول الله ﷺ ، وهذا أيضاً من أعلامه في إجابة دعوته .

وقوله : «أولا يرون أنهم يفتنون في كل مرة أو مرتين» دلالة على أن

الفتنة بمعنى النعمة^(١) وفيها دلالة على أن الله قد أنعم على الكافرين والمنافقين بنعمة الإيمان ، وأكمل عقولهم وقواهم وأزاح عنهم ، فبدلوا نعمة الله كفرًا وأبطنوا عن التوبة والتذكر .

وانظر إلى مافي قوله : « وعلى الثلاثة الذين خَلَفُوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم »^(٢) وهذه نزلت في هؤلاء الثلاثة من المؤمنين خاصة ، وهم^(٣) : كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة ابن ربيعة وكلهم من الأنصار ، وكان هؤلاء تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، ثم ندموا واغتموا غمًّا شديدًا وحزنوا لذلك حزنًا عظيمًا ضاقت صدورهم به ، فأخبره الله عز وجل عن صدق نياتهم وخلوص ضمائرهم وما فيها من الحزن والغم بتأخرهم وما كان ليتلو ذلك إلا وقد علم وتيقن مافي ضمائرهم ، وفي هذا من الدلالة مثل ماتقدم ، والكلام فيه مثل الكلام في ذلك ، فاعرفه .

وكان^(٤) تخلف عن رسول الله ﷺ في هذه الغزاة خلق كثير من المسلمين نحو ثمانين رجلا ، وذكروا / ما أخرهم ، وصدقوا عن أنفسهم ، ومنهم من لحق به بتبوك قبل أن يرجع إلى المدينة . وكانت هذه الغزاة صعبة شديدة ، خرجوا في الحر الشديد وكانوا في إضافة^(٥) وفي قلة من الزاد ، وكان الزمان

ب/٢١٩

(١) جاء في هامش الأصل : «قوله تعالى : (أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين) دلالة على أن الفتنة بمعنى النعمة .

(٢) التوبة ١٢٦

(٣) جاء في هامش الأصل «قوله تعالى : وعلى الثلاثة الذين خلفوا » نزل في كعب بن مالك وهو وهلال بن أمية ومرارة بن ربيعة .

(٤) في الأصل ، وكان كان

(٥) هكذا في الأصل ، ولعلها ضائقة .

حريقاً ، وأقبل ﷺ من تبوك ، حتى إذا دنا من المدينة تلقاه عامة الذين تخلفوا عنه من المؤمنين ، فقال رسول الله ﷺ : لا يُكلمنَّ رجلٌ منهم ولا يُجالس حتى آذن لكم ، وأعرض عنهم رسول الله ﷺ والمؤمنون حتى إن الرجل ليعرض عن أبيه وعن أخيه ، وحتى إن المرأة لتعرض عن زوجها . فمكثوا أياماً ، ويجعلون يعتذرون إلى النبي ﷺ بالجهد ، ويخلفون له ، فرحمهم ﷺ واستغفر لهم . وقالت بنو سلمة لكعب بن مالك امش إلى رسول الله ﷺ فاعتذر إليه وبايعه لعله يقبل منك ، فأقبل معهم ورسول الله ﷺ جالس في المسجد يبايع ، فسلم عليه فأعرض عنه ، فقيل إن كعباً قال : لم تعرض عني يا رسول الله ، فوالله ما نافقت ولا ارتبت ولا بدلت ، فقال رسول الله ﷺ : فما خلفك عني ؟ قال : أما إني لا أعتذر إلى رسول الله ﷺ بعذر ، لقد كنت شاباً موسراً ولكن أصابني فتنة فتخلفت . فسمع مرارة بن ربيعة وهلال بن أمية بالذي قال كعب فقالا مثل قوله ، فأعرض عنهم رسول الله ﷺ ، فقاموا من عنده ، فقالت بنو سلمة لكعب : والله ما أصبت ولا أحسنت ولو اعتذرت لقبيل منك ، فقال لهم كعب : والله لا أجمع اثنتين : أتخلف وأكذب وقد اطلع الله على ما في نفسي فقالت بنو سلمة : والله إنك لشاعر مفوه بليغ جرىء على الكلام ، فقال كعب : لن أجترىء على الكذب .

فمكث هؤلاء الثلاثة قريباً من شهرين لا يكلمهم أحد من المسلمين / ٢١٩ ب
ولا يجالسهم ، حتى أعرض عنهم نساؤهم ، ووجلوا أشد الوجل ، وخرجوا من أهاليهم إلى البرية ، وطلبوا الفساطيط يأوون إليها بالليل ويتعبدون الله . وكتب جبلة بن الأيهم ملك غسان إلى كعب بن مالك أنه بلغنا أن صاحبك نبا بك وأقصاك هلم إلينا فإن لك متحولاً ولا تقم على الهوان ؛ فأقبل كعب بكتابه إلى رسول الله ﷺ وهو يبكي ، فقال يا رسول الله : مازال إعراضك عني حتى رغب فيَّ

المشركون يدعونني إلى الشرك ، فلم يراجعه رسول الله ﷺ . فرجع كعب
أحزن ما كان وأشدّه كرباً ، وقد أقام أياماً في الفسطاط ينتظر التوبة وهو بالحمى
فضاقت عليه برحبها ، فرجع إلى سلع ^(١) فكان يقيم به بالنهار صائماً ويأوى
إلى داره بالليل ، حتى نزلت التوبة له ولصاحبيه ورضي الله عنهم ورسول الله
ﷺ في بيت أم سلمة فقام من الليل فتوضأ واستن ثم قال لأم سلمة : الحمد لله
الذي أنزل لإخواننا التوبة ، فقالت : من هم يارسول الله ، فقال : كعب
ابن مالك وصاحباة ، فقالت أم سلمة : أفلا أبعث إليهم وأبشرهم ، فقال
رسول الله ﷺ : أصبحي ، فصلى رسول الله ﷺ الصبح وانصرف ، فاجتمع
إليه المهاجرون والأنصار فقال لهم : قد تاب الله على إخوانكم الليلة ، ففرح
المسلمون بذلك فرحاً شديداً وسعى أبو بكر وعمر بيتدران كعباً ليبشراه ، فسبق
أحدهما صاحبه ، فارتقى المسبوق على سلع فصاح : يا كعب بن مالك ، أبشر
بتوبة الله ، فقد أنزل الله فيكم القرآن . وكعب جالس في مسجد قومه فسمع
الصوت فوقع ساجداً يبكي سروراً بالتوبة واجتمعت إليه بنو سلمة رجالهم
ونسأؤهم يهتفون بالتوبة ، وأقبل كعب سريعاً إلى رسول الله ﷺ فبايعه
واستغفر / له وبشره بالتوبة التي نزلت فيه وفي أصحابه ، وقرأ عليه : « لقد
تاب الله على النبي » إلى آخر القصة .

وهذا كعب بن مالك أحد الشعراء والسادة والبلغاء وكذلك صاحباة فمن
السادة ، وكانت هذه حالهم في تخلفهم وما امتحنوا به وما صدقوا به عن
أنفسهم والإخبار عما في ضمائرهم ، لتعلم حسن هذا التدبير وإدلال رسول
الله ﷺ بالصدق والأمانة والبعد من كل ريبة ومن كل حيلة ومما جرى عليه

(١) لتفصيل حادثة الثلاثة الذين خلفوا ومنهم كعب رضي الله عنه انظر سيرة ابن هشام

أمر البشر ، فتدبر ما يقرأ ويكتب لتعرف أعلام النبوة وتظهر لك حيل المحتالين على المسلمين في تشكيكهم فيها وإخراجهم من الإسلام من حيث لا يشعرون ، فإن القوم الذين قدمنا ذكرهم حين كادوا الإسلام تستروا بالشيوع ، وقالوا : يجوز على أنبياء الله وحججه (١) تزكية المشركين ومدح الكافرين وشتيم النبيين والبراءة من الصديقين على طريق الخوف والاتقاء ، وإنما قالوا ذلك لما قد قهرهم من مدح رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين لأبي بكر وعمر وعثمان وتلك الجماعة من المهاجرين والأنصار ، فقالوا : إن هذا المدح على طريق الخفية من هؤلاء واتقاء لهم ولبأسهم ، وأنت ترى مكاشفة رسول الله ﷺ للأعداء في حال الوحدة وهو خائف يترقب ، وهو في أيديهم وفي قبضتهم مقهوراً مغلوباً ، وقد تقدم شرح ذلك ، وتقدم لك أيضاً أن هؤلاء المهاجرين والأنصار قد علمنا أنهم أحباب رسول الله ﷺ وأولياؤه وثقاته وأمنائه ، وأنه كان يحبهم ويتوالاهم ، وأن العلم بذلك قبل العلم بنبوته ، وأنه قد فرض على أمته وأهل طاعته محبتهم وموالاتهم كما فرض عليهم البراءة من الوليد بن المغيرة ، والنضر بن الحرث ، وعتبة بن ربيعة وأمثالهم من أعدائه من قريش ومن اليهود والنصارى / على ماتقدم لك من شرح ذلك ، وقد تقدم لك أيضاً أن أنبياء الله ٢٢٠ / ب وحججه لا يجوز أن يتقوا وإن خافوا وإن غلبوا وإن قهروا .

وأعجب الأمور أن رؤساء الجاهلية وأقبايل العرب والمتبوعين والمطاعين كعيينة بن حصن ، والعباس بن مرداس ، وعامر بن الطفيل . وأضرابهم قالوا لرسول الله ﷺ : إنا نحب أن نجلس إليك ونسمع منك ونحن وجوه الناس ، وإنما حولك هؤلاء الفقراء والعبيد كصهيب بن سنان ، وخبّاب بن الارت ، وعمّار ابن ياسر ، وبلال ، وأرواح ثيابهم كأرواح الجلود العظنة ، ونكره أن ترانا

(١) جمع حجة

العرب معهم ، فاجعل لنا يوماً ولهم يوماً . فهم رسول الله ﷺ بذلك ولم ير به بأساً ، رجاء لإسلام هؤلاء وأنهم متبوعون مطاعون يسلم بإسلامهم الخلق الكثير ، فأنزل الله : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين » (١) وقد كان قوم من هؤلاء الرؤساء الذين قدمنا ذكرهم قالوا : يقدم هؤلاء العبيد والموالي والفقراء علينا ، فأنزل الله : « وكذلك فتنتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين وإذ جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة إنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم » (٢)

وفي هذا المعنى نزل قوله عز وجل : « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً » (٣) .

٢٢١ / ب فانصرف رسول الله ﷺ عن ذلك العزم ولم يفرد أولئك الرؤساء / بمجلس يخصهم ، وقدّم هؤلاء الفقراء والعبيد والموالي ، فكانوا أقرب الناس إليه ، ويجلس اليهم ماجلسوا ، ولا يقوم عنهم حتى يقوموا . وقد كانوا عرفوا ذلك منه ، وكانوا إذا أقبلوا يقول لهم : سلام عليكم مرحباً بكم ، بأبي من عاتبي فيهم ربّي اللهم أحييني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرنني في زمرة المساكين . يريد المتواضعين للمسلمين .

فتأمل هذا التدبير ، وكم كان من الرؤساء من قریش وغيرهم يبطنهم

(١) الأنعام ٥٢

(٢) الأنعام ٥٣ - ٥٤

(٣) الكهف ٢٨

عن الإسلام أنهم قد علموا أنهم إذا أسلموا لم يتقدموا عند رسول الله ﷺ على هؤلاء الموالي والعبيد ، بل لم يكن رسول الله ﷺ يسوي بينهم ، وإنما كان الناس يتقدمون عنده على السابقة والهجرة والبصيرة . فلما فتحت مكة وأسلمت العرب ويشس عدو الإسلام من الطمع فيه تحدث أبو سفيان وأمثلة من بني عبد مناف ، أن الذي أخرجنا عن الإسلام أنا حسدنا بني عمنا من بني هاشم ولقد أوفى الحارث بن هشام علي مرقب حين خرج من مكة (١) ، فلم يبق بها نافع ضرمة إلا خرج مودعاً له ومستوحشاً لرفاقه ، فقال : ما بلد أحب إليّ من بلدكم ولا قوم أحب إلي منكم ، ولكن حدث هذا الأمر فسبق إليه رجال ليسوا من أقدارنا ، ولئن سبقنا عمار وبلال وصهيب إلى الإسلام فلن يسبقونا إلى الجنة ، وأنا حبيس في سبيل الله ماحييت . فكان منه ومن عكرمة ابن أخيه وغيرهما من بني مخزوم وهم كانوا أعداء رسول الله ﷺ ومن مسلمة الفتح من الجهاد في سبيل الله وفي قتال المرتدين بعد وفاة رسول الله ﷺ حتى ردوهم إلى دين الإسلام ، ومن جهاد الفرس والروم ، ومن الصبر على تلك الشدائد ، ما هو مذكور في كتب العلماء .

وفي هذا المعنى ما كان آذنُ عمر بن الخطاب يخرج ويبابه سادات العرب / ٢٢١ ب
 فيقول : أين بلال ؟ أين عمار ؟ أين صهيب ؟ أين خبّاب ؟ فينهضون مقدّمين مكرّمين ، وبالباب سهيل بن عمرو ، وحكيم بن حزام ، وعيينة بن حصن ، وأمثالهم من السادة . فنظر إليهم سهيل بن عمرو وقد تمعرت وجوههم من جلوسهم بالباب والإذن لأولئك قبلهم فقال لهم : مالكم معشر العرب تتمعر وجوهكم ، هؤلاء قوم دُعوا ودُعينا فأسرعوا وأبطأنا ، ولئن حسدتموهم اليوم بباب عمر ، لَمَا أَعَدَّ اللهُ لهم في الجنة غداً أفضل ، وهذا سهيل بن عمرو

كان من أعداء رسول الله ﷺ ومن أشدهم عليه وهو من مسلمة الفتح ، فاسمع قوله وتأمل أمره .

وكم يحدث معاوية وآل أبي سفيان وآل مروان في ملكهم وفي سلطانهم بعد مضي أمة الهدى أن الذي أخرجهم وأخر أباهم عن الإسلام الأتفة أن يكونوا كمن قد قدمنا ذكره .

ومنهم من أخره الحسد والمنافسة ، ومنهم من أخره منع إخوانه وساداته وهذا باب مفرد .

وقد علمت أن الملوك والجبابرة قد تكون لهم الهفوات والزلات فتقف عليها ثقاتهم ووزرائهم وشركاؤهم في الملك ومن يخافهم على دمه في التحدث بعيوبهم فيحدثون به في حياتهم ويلقونه إلى ثقاتهم ولا يملكون أنفسهم لثقل الكتمان على الناس ، فأما إذا مات الملك أو الرئيس فيحدثون به كل أحد مجاهرين ، هكذا جرت العادة ودلت عليه العبرة ، وهؤلاء تحدثوا بهذا في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته ، لتعلم وثاقة أمر النبوة وأن أمرها وأساسها وضع على مثل الجبال . وما كنا في هذا الباب وإنما كنا في بطلان قول الذين رموا الأنبياء بكتمان الحق وإظهار الباطل ، فاتصل الكلام بما أشبهه فخرجنا إلى هذا .

ب/٢٢٢ / ثم عدت إلى بيان بطلان قول هؤلاء فتأمل قوله : «عيس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنتعه الذكرى ، أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى ، وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى ، كلا » .

وقد كان بعض سادات العرب وأغنياؤهم قصد رسول الله ﷺ ببعض شأنه ، فأقبل ﷺ على كلامه رجاء إسلامه وأتاه في تلك الحال ابن أم مكتوم

- وكان أعمى - يكلمه ، فتشاغل رسول الله ﷺ عن جوابه بذلك السيد فعاتبه الله هذا العتاب في شيء هذا قدره .

فكيف يسوغ أن يظن عاقل متأمل بالنبي ﷺ مادعاة هؤلاء عليه ! !

وتأمل قوله : «إذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمتَ عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مُبدية وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه» (١)

وهذه نزلت في قصة زينب بنت جحش وكانت بنت عمه رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ قد زوجها بزید بن حارثة وكان مولياً .

وكان قد زوج أيضاً صباعة بنت الزبير بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ المقداد بن الأسود وكان من الموالي أراد رسول الله ﷺ بطلان مذاهب الجاهلية في الأكفاء ، وكانت زينب هذه شرسة الأخلاق كثيرة النقار لزيد والخصومة له ، وكان ذلك يشق على رسول الله ﷺ ويكره أذية زيد ، وكان زيد لا يصبر ولا يطيق أخلاقها وكان رسول الله ﷺ كالمتمندم على تزويجها به ويقول في نفسه : ليتني كنت تزوجتها فكنت أحق باحتمالها والصبر عليها من زيد وغيره

لقربها مني / وكان زيد إذا همَّ بطلاقها نهاه رسول الله ﷺ عن ذلك وقال : ٢٢٢ / ب اصبر واحتمل وأمسك عليك زوجك ، فلم يصبر زيد ، فطلقها ، فأحب رسول الله ﷺ أن يتزوجها فكره استحياء من زيد وغيره ، فقال الله عز وجل له هذا القول في شيء ليس بمعصية ، ثم أمره بالتزويج بها لما أرادته ونواه من صلة رحمه ، ولئلا يخرج المؤمنون في التزوج بأزواج أديعائهم ومن يتبنونه ولم يكن من أصلابهم ، فقال عز وجل : «فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها

(١) الأحزاب ٢٧

لكيلا يكون على المؤمنين حرجٌ في أزواج أذعياهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمرُ الله مفعولاً .

فتأمل هذه الأقوال في هذه الأمور الصغار ، وتأمل دعوى هؤلاء على رسول الله ﷺ كأنما يحدثونك عن مسيلمة أو عن كسرى وقيصر في سيرتهم ، لا عن محمد رسول الله ﷺ وسيرته وتديبر الله له .

وباب آخر

وهو قوله عز وجل : «سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب» (١) فكان ذلك كما أخبر ، حتى تم أمر المسلمين وكانت العقبي لهم ، وإن كان في خلال ذلك قد كانوا ينالون من المسلمين ويقتلون منهم إلا أن العقبي كانت لهم عليهم كما قد تبينت ولهذا قال ﷺ : «نصرت بالرعب» . وقد كان المسلمون يرون ذلك ويتحدث المشركون بما يجدونه منه وقالت بنت للحكم بن أبي العاص لجدتها : مارأيت قوماً كانوا أسوأ رأياً ولا أعجز في أمر رسول الله ﷺ منكم يا بني أمية ، فقال : لا تلوмина يا بنية لا أحدثك إلا ما رأيت بعيني هاتين . تواعدنا مع قريش لناخذه ، فلما دنونا اليه سمعنا صوتاً خلفنا ظننا أنه ما بقي بتهامة / جبل إلا تفتت ، فغشي علينا وما عقلنا حتى قضى صلاته ورجع إلى أهله ، ثم تواعدنا ليلة أخرى فلما جاء نهضنا اليه ، قال فرأيت الصفا والمروة قد التقى أحدهما بالآخر فحالاً بيننا وبينه فوالله ما نفعنا ذلك حتى رزقنا الله الإسلام . (٢) .

١/٢٢٣

(١) الأنفال ١٢

(٢) كان الحكم بن أبي العاص أحد نفر يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أبو سب وعقبة ابن أبي معيط ، وعدي بن حمراء الثقفي ، وابن الأصداء الهذلي ، والحكم ، وكانوا جيران الرسول ولم يسلم منهم إلا الحكم .

سيرة ابن هشام ١ : ٤١٦

ولقد قال لهم أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ، قالوا : نعم
قال : فالذي يحلف به لئن رأيتَه يفعل ذلك لأطأن على رقبتَه ، فقيل له ذات
يوم : هو ذاك يصلي فانطلق اليه ليفعل به ما قال ، فما رأيناه إلا وهو ينكص
على عقبيه ويتقي بيده ، قالوا له : مالك يا أبا الحكم ؟ قال : بيني وبينه حدق
وهول وأجنحة ، فقال رسول الله ﷺ لو دنا مني لاخطفته الملائكة عضوا
عضواً .

واجتمع مرة الملاء من قريش فيهم أبو جهل بن هشام ، فقالوا : قد التبس
علينا أمر محمد ، فلو علمنا رجلا يعلم الشعر والسحر والكهانة بعثنا به اليه
يكلمه ويأتينا ببيان أمره ، فقال عتبه بن ربيعة : أنا أعرف الكهانة والشعر
والسحر ، وقد علمت منه علماً فأنا آتية فلا يخفى عليّ أمره ، فأتاه فقال :
يا محمد ، أنت خير أم عبد الله ، أنت خير أم هاشم ، أنت خير أم عبدالمطلب ،
فبم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا وتفعل وتفعل ، إن كانت بك الرئاسة جعلناك
رئيساً علينا حتى تموت ، وإن كان بك الباه زوجناك عشرة نسوة تختارهن من
قريش ، وإن كان بك المال أعطيناك ماتستغي به وعقبك ، والنبي ﷺ ساكت ؛
فلما فرغ عتبه قال له رسول الله ﷺ : يا أبا الوليد قد قلت فاسمع : ثم قرأ ﷺ
« حم تنزيل من الرحمن الرحيم » حتى بلغ إلى قوله : « فإن أعرضوا فقل
أنذرتكم صاعقة مثل / صاعقة عاد وثمود » (١) فأمسك عتبه على فم رسول
الله ﷺ وقال : أشدك بالرحم لما كفت . ثم رجع اليهم فقالوا له : يا أبا الوليد
رجعت بغير الوجه الذي ذهبت ، فقال : يا قوم أمسكوا عن هذا الرجل فإن تم
أمره فشرفه لكم ، ومضى إلى منزله فقال أبو جهل : ما أرى عتبه إلا قد صبأ
واتبع محمداً ، انطلقوا بنا اليه . فأتوه ، فقال أبو جهل : ما نراك إلا قد صبأت

(١) فصلت ١٣

واتبعت محمداً ، فغضب وأقسم ألا يكلم محمداً أبداً ، ولكنني أنيته ، وقصّ عليهم ما قاله له ، قال : فقرأ عليّ : بسم الله الرحمن الرحيم « حم تنزيل من الرحمن الرحيم » حتى بلغ « أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » فأمسكت علي فيه وناشدته بالرحم وعلمت أن محمداً لا يكذب ، وخفت أن يأتيكم العذاب .

وقال الزبير بن العوام وهو يذاكر الناس بحال رسول الله وحالهم بمكة قبل الهجرة : رأيت نفرأ من المشركين حول الكعبة ورأسهم يومئذ أبو جهل ، وأقبل رسول الله ﷺ وهم يتآمرون بمناهضته ، فقال لهم : قبحتم وقبيح ما اجتمعتم له ، قال : فخرسوا فما منهم إنسان يكلمه ، ولقد رأيت أبا جهل وهو يعدو في إثر رسول الله ﷺ يعتذر إليه ويقول : يا محمد أمسك عنا ونمسك عنك ، ورسول الله ﷺ يقول : لا أمسك عنك حتى تؤمن بالله أو أقتلك ، فقال أبو جهل وأنت تقدر على قتلي ، قال له رسول الله ﷺ : الله يقتلك ويقتل هؤلاء معك ، فوالى أبو جهل وأصحابه فما بقي من أولئك أحد إلا قتل . والصحابة يتذاكرون ذلك ويتعاودونه .

وقصة أخرى كانت لقريش مع رسول الله ﷺ بمكة ، وقد قدم رجل من أراش بإبل له / إلى مكة ، فابتاعها منه أبو جهل بن هشام فمطله بأثمانها ، فأقبل الأراشي حتى وقف على نادي قريش ، فقال : يامعشر قريش ، إني غريب وابن سبيل ، وقد غلبني أبو الحكم بن هشام على حقي ، فرجل منكم يأخذ حقي منه ؟ ورسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد . فقال أهل المجلس للأراشي^(١) : ترى ذلك الرجل ، يعنون رسول الله ، إنه نديم أبي الحكم ،

(١) أراشي نسبة الى قبيلة عربية

إذ ذهب إليه فهو يأخذ لك حقتك منه ، يهزعون به لما يعلمون من شدة عداوة
 أبي جهل لرسول الله ﷺ ، والأراشي لا يعرفه . فأقبل الأراشي حتى وقف
 على رسول الله ﷺ ، فقال : يا عبد الله ، إن أبا الحكم بن هشام قد غلبني على
 حقي قبله وأنا غريب وابن سبيل ، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يأخذ لي حقي
 فأشاروا عليّ بك ، فخذ لي منه بحقتي رحمك الله ، فقام رسول الله ﷺ معه ،
 فلما رآه أهل المجلس قد قام معه قالوا لرجل منهم : اتبعه وانظر ما يصنع .
 فجاء رسول الله ﷺ إلى أبي جهل فضرب عليه بابه فقال : من هذا ؟ قال
 محمد : اخرج إليّ ، فخرج إليه وما معه روحه وقد امتقع لونه فقال له رسول
 الله ﷺ : اعط هذا الرجل حقه ، فقال : نعم ، لا يبرح حتى أعطيه الذي
 له ، فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه ، ثم انصرف رسول الله ﷺ فقال
 للأراشي : الحق بشأنك ، فأقبل الأراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال :
 جزاه الله خيراً ، فقد والله أخذ لي حقي ، وجاء الرجل الذي بعثوه معه ، قالوا
 له : ما الذي رأيت ؟ قال عجباً من العجب ، والله ما هو إن ضرب عليه بابه
 فخرج إليه وما معه روحه ، فأعطاه حقه . ثم لم يلبث أن جاء أبو جهل فقالوا
 له : مالك ، والله ما رأينا مثل ما صنعت ، وتحدثوا بأنهم هم أشاروا على
 الأراشي محمد هزأً / بالأراشي لما سألمهم وجيهاً عندك ونديماً يأخذ له حقه ، وما
 ب/٢٢٤
 ظنوا أن رسول الله ﷺ يسأله ولا إن سأله في الأراشي إلا ممنعه وحرمه ونال منه
 ومن محمد ، فقال لهم أبو جهل : ويحكم والله إن هو إلا أن ضرب على بابي
 وسمعت صوته فملتت رعباً وخرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلا من الإبل
 ما رأيت مثل هامته ولا أنيابها لفحل قط ، والله لو أبيت لأكلني .

ومرة أخرى اجتمع الملا من قريش في الحجر فتعاقدوا باللات والعزى
 بآلهتهم كلها لو قد رأينا محمد لقد قمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفرقه حتى

فقتله ، فأقبلت بنته فاطمة عليها السلام تبكي حتى دخلت عليه فقالت : يا أبت إن هؤلاء الملاء من قريش قد تعاقدوا عليك ولو رأوك لقد قاموا اليك فقتلوك فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك فقال :

يابنية أدني وضوءاً ، فتوضأ ثم دخل المسجد ، فلما رأوه قالوا : هاهوذا ، هاهوذا ، وخفضوا أبصارهم وسقطت أذقانهم على صدورهم فلم يرفعوا اليه بصراً ولم يقيم اليه منهم رجل ، فأقبل رسول الله ﷺ حتى قام على رؤوسهم وأخذ قبضة من تراب ثم قال : شأنت الوجوه ثم حصبهم بها فما أصاب رجل منهم من ذلك الحصباء إلا قتل كافراً .

ومرة أخرى كان رسول الله ﷺ يطوف بالبيت ويده في يد عثمان بن عفان ، وفي الحجر عقبة بن أبي معيط ، وأبو جهل ، وأمية فمر بهم رسول الله بين أبي بكر وعثمان ، فلما حاذاهم أسمعوه ما يكره ، وأدخل أصابعه في أصابع عثمان وطاقوا جميعاً فلما حاذاهم أيضاً قال أبو جهل : والله مانصالحك ب / ٢٢٥ مابل بحر صوفة ، أنت تنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا . ثم مضى عنهم / وصنعوا به في الشوط الثاني كذلك ، حتى إذا كان في الشوط الرابع ناهضوه ، وقام أبو جهل يريد أن يأخذ مجمع ثوبه ، فدفع عثمان في صدره فوق لقفاه ، ودفع أبو بكر أمية بن خلف ، ودفع رسول الله ﷺ عقبة بن أبي معيط ، فأفروا عن رسول الله ﷺ ، فقال لهم ﷺ :

أما والله ليحلنَّ بكم عقابه عاجلاً ، فما منهم رجل إلا رُعب وأخذه إفكك ، ثم قال لهم وهم في تلك الحال من الرعب :

بئس القوم أنتم لنبيكم ، ثم أقبل رسول الله ﷺ على أبي بكر وعثمان فقال : « أبشرا فإن الله مظهر دينه ومتمم كلمته وناصر نبيته ، إن هؤلاء الذين

ترون يجري الله ذبحهم بأيديكم عاجلا ، فقال عثمان وهو يذاكر الصحابة بهذه
القصة : فوالله لأجرى الله ذبحهم على أيدينا يوم بدر .

وقال بعض العرب : وقد كان مع عدو رسول الله ﷺ في وقعة حنين : إن
محمدأ لما أخذ كفاً من الأرض ورمانا به وقال شامت الوجوه ، وجدنا في
قلوبنا الرعب .

ولسنا نقول : إن الله كان يمنع منه ﷺ في كل وقت ويرعب عدوه منه في
جميع الحالات ، بل قد ضربوه وسحبوه وخنقوه ووضعوا التراب على رأسه
والسلا والفرث وأخافوه ، ولكن بيئنا أن الرعب قد وقع كما قال الله وقامت
به الحجة وانتقضت به العادة ، فليس يقدر في ذلك أن لا يكون في كل وقت ،
كما أن العادة انتقضت بقتال الملائكة يوم بدر ، فليس يقدر في ذلك ألا يكونوا
قاتلوا يوم أحد .

وباب آخر

في الدلالة على نبوته ، أن بني النضير من اليهود غدروا به بعد مهادنة كانت
بينه وبينهم ، فأرسل اليهم بعد أن سار اليهم ونزل عليهم : أنكم غدرتم بي
ونقضتم الصلح الذي كان بيني وبينكم ، ومع هذا يصعد عمرو بن جحاش
ليطرح عليّ صخرة ليقتلني حتى أطلعني الله على ذلك ، / فاخرجوا من
ب/٢٢٥ حواريّ . فأرسل اليهم عبد الله بن أبي بن سلول بغير واحد من أصحابه
يشجعهم ويقول لهم : لا تخرجوا من دياركم فأنا معكم ومن ورائكم ، فإن
قاتلكم محمد قاتلنا معكم ونصرناكم ، وإن أخرجكم خرجنا معكم ، فأطلع الله
نبيّه على ذلك ، فقال عز وجل : « ألم ترّ إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم

الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجنَّ معكم ولا نُطيع فيكم
أحداً أبداً ولئن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون . لئن أخرجوا
لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولنَّ الأدبار ثم
لا ينصرون « (١) .

فتلا رسول الله ﷺ هذه على الناس وأخبرهم بما كان من المنافقين وبما
أسروه إلى اليهود ونادى بفضحهم ، ثم أخرج بني النضير من ديارهم وأجلاهم
فلم يخرج معهم عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه كما ضمن لهم وقد قاتلهم
النبي ﷺ فما نصروهم .

فتأمل كيف أخبر بما أسروا وبما ترأسلوا وبما قد كان من كيدهم ومحالا
يكون إن لو كان كيف كان يكون ، ثم كان جميع ذلك كما أخبر وكما
فصل ، وفي هذا غيوب كثيرة لا تكون لاحد من المتخرصين ، إلا للنبي
صديق من الله .

ولقد ركب ﷺ إلى سعد بن عبادة يعود من مرض أصابه على حمار عليه
أكاف فوَّقه قطيفة فدكيسة مختطمة بجبل من ليف ، وأردف أسامة بن زيد
ابن حارثة ، فمر ﷺ بعبد الله بن أبي بن سلول وهو في ظل مزاحمٍ أطمه
وحوله خلق كثير من المشركين ومن اليهود ومن المنافقين ، وكان فيهم من
المسلمين عبد الله بن رواحة وسعد بن الربيع وخارجة بن زيد بن أبي زهير
وبشير بن سعد فتقدم رسول الله ﷺ من أن يتجاوزَه حتى ينزل ، فنزل فسلم
ثم جلس فقرأ القرآن ، / ودعا إلى الله عز وجل ، وذكر به ، وحذر وبشّر
وأذر ، وعبد الله زام لا يتكلم حتى فرغ رسول الله ﷺ من مقاتلته ، فقال

ب/٢٢٦

(١) الحشر ١١ - ١٢

ابن أبي سلول : يا هذا ما أحسن ماتقول إن كان حقاً ، فلو أنك جلست في بيتك فمن أتاك حديثه ولم تعرضه على من لا يريد ، وشيع بعض اليهود كلامه ، فأقبل سعد بن الربيع على اليهودي وقال : مالك ولهذا لا أم لك ، كف عن هذا المنطق ، فقال ابن أبي سلول : وما قال ؟ يذهب محمد إلى من أخرجه من بلاده ومولده فأما من لم يخرج فلا يغشاه ، وقال زيد بن اللضب معيناً لعبد الله : انظر يا محمد إلى الذين جاءوك فأخرجوك من بلادك فاتهم واترك من لم يدعك . وخاض المسلمون الذين كانوا في المجلس ، وناظروا ووعظوا عبد الله مع إكرامهم له وهيبتهم له ، إلى أن قال عبد الله بن رواحة : بل اغشنا بهذا في منازلنا ورحالنا فإننا نحب ذلك . فاغتاظ ابن أبي بن سلول مما كان وقال في ذلك :

متى ما يكن مولاك خصمك لا تزل تذل ويعلوك الذين تضارع
وهل ينهض البازي بغير جناحه وإن قص يوماً ريشه فهو واقع

ثم قام رسول الله ﷺ وركب حتى أتى سعد بن عبادة وذكر له ما كان من عبد الله بن أبي بن سلول فقال له سعد : يا رسول الله ، والذي أكرمك بالنبوة لقد اصططح أهل هذه البحيرة على أن يتوجه ، أنشدكم الله أتعلمون ذلك ، قال القوم : نعم ، فما يرى إلا أنك نزعت شيئاً في يديه ، قال سعد : والله ليرى أنك نزعت ملكه ، لقد جئت . ولإنا لنجمع الخرز لنعقد على رأسه التاج ، وأنت أحق من عفا عنه لأنه خالك (١) .

فتأمل مافي هذا وانظر كيف يتكلم كل أحد بما عنده غير خائف ولا

هاب ، / وانظر إلى عبد الله وتلك الجماعة من قومه ، واليهود الذين قد زينوا ٢٢٦ / ب
عداوته لرسول الله ﷺ . وقد دعاهم رسول الله ﷺ إلى دينه واحتج عليهم وتلا القرآن ، فما أتوا بشيء يقدر فيما تلاه واحتج به ، ولا قالوا هذا كلام

(١) انظر لتفصيل هذه الحادثة سيرة ابن هشام ٢ : ٥٨٧ ، ولحادثة مربع بن قيطي نفس المرجع ٢ : ٥٢٣

يقدر على مثله ، ولا أتوا بشيء أكثر من قولهم له : ما نريد أن نتلوه علينا ولا تدعونا إليه .

وهذا عبد الله بن أبيّ عربيّ فصيح ومفكر داهية ومملك من الملوك وكذلك من معه فصحاء بلغاء وأعداء ، لتعلم وضوح هذا الأمر ويأس الأعداء من قبح فيه ، واعرف هذه المجالس والمواطن والمقامات .

ولقد قال له مربع بن قيظيّ من بني حارثة بن الحارث حين اجتاز رسول الله ﷺ عليه في حائطه ومعه أصحابه عامداً إلى أحد ، لأحل لك يا محمد إن كنت نبياً أن تمر في حائطي ، وأخذ في يده حفنة من تراب ثم قال : والله لو أعلم أني لا أصيب بهذا التراب غيرك لرميتك به ، فابتدره القوم ، فقال لهم رسول الله ﷺ : دعوه فهذا أعمى القلب .

وكم كان القوم يقولون للأنصار جئتم بغريب وغرباء فقراء وعاديتهم الأمم وطمعتم في الجنة ، جنة لعمرى من حرمل ، وطمعتم في الحياة بعد الموت ، وهيهات لما توعدون . وترد الأجوبة عن ذلك مما هو في القرآن من أنه إن لم يكن ها هنا إعادة ومجازاة فخلق العباد هو ولعب كقوله : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ^(١) » وقوله : « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لا عبثاً . لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين . بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون ^(٢) » .

ب / ٢٢٧ / أي ليس هذا الأثر / وهذا الفعل فعل من يجوز أن يكون منه لعب أو هو أو عبث أو ظلم أو جور . ثم بيّن اقتداره على الإعادة مما هو مذكور في سورة

(١) المؤمنون ١١٥

(٢) الأنبياء ١٨

بني إسرائيل ، وفي سورة يونس ، وفي سورة الروم ، وفي سورة الواقعة ، إلى أن قال رسول الله ﷺ : يا عجباً كل العجب للشاك في قدرة الله وهو يرى خلقه ، ويا عجباً كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الأولى ، ويا عجباً كل العجب للمكذب بنشور الموت وهو يموت كل يوم وليلة ويحيا . ويا عجباً كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور ، ويا عجباً كل العجب للمختال الفخور وإنما خلق من نطفة وهو يعود جيفة وهو بين ذلك لا يدري ما يفعل به ، إلى غير ذلك مما كان يذكره ﷺ ويذكره أصحابه رحمهم الله مما أصله في القرآن ، ولم تكن العناية تشد به استغناء بالقرآن ولأنه تنبيه على ما وضعه الله في العقول فهو متحلٍ بمن نظر ثم فكر واعتبر .

وقد كان لعبد الله بن أبي سلول حين أظهر الإسلام مقام يقومه كل جمعة ، إذا جلس رسول الله ﷺ ليخطب الناس فيقوم عبد الله ويقول : أيها الناس ، هذا رسول الله بين أظهركم كرمكم الله وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ، ويجلس ، حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ، ورجع بالناس ، قام يوم الجمعة يفعل ما كان يفعل ، فأخذ الأنصار بثيابه من نواحيه وقالوا : اجلس أي عدو الله ، لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت ، فخرج يتخطى رقاب الناس ويقول : والله لكأنا قلت هجراً أن قمت أسدده أمره فوثب علي أصحابي يحدبوني ويعنفوني كأنني قلت / هجراً ، قالوا : ارجع ب/٢٢٧ يستغفر لك رسول الله ، قال : والله ما أتبعني أن يستغفر لي ، فاجتمع إليه قومه ممن على رأيه وفي نفاقه ، واليهود يتوجعون له ويقعون في رسول الله ﷺ والمسلمين ، ويدبرون الرأي ويعملون الخيل في شيء يصنعونه بالأنصار ليصدوهم عن اتباع رسول الله ﷺ فلا يجدون ، وهذا من تلك المواطن وموضع الحاجة .

ولما أخذ أولئك المنافقون في التبع على رسول الله ﷺ ، والتعرف لأخباره ،

والتحفظ لما يكون منه مع المسلمين ومع غيرهم ، وقد اختلطوا بالمسلمين وأظهروا الإسلام ، فينقلون الأخبار إلى إخوانهم وأمثالهم من المنافقين واليهود ، ويحلون معهم . وكان هؤلاء المنافقون أكثر من ستين رجلا ، فلما كثر منهم ذلك تقدم رسول الله ﷺ بإخراجهم من المسجد ، فقام الأنصار فأخرجوهم وسحبوهم واحداً واحداً ، وأذلوهم ، وقالوا لهم : يا أعداء الله ، قد اختلطتم بنا وصلبتم معنا ، وأصغيتم إلى حديثنا مع رسول الله ﷺ ، فلا أنتم وجدتم ما تحبون وتمنون ، ثم لا تنتهون ولا تخلصون . وهذا من تلك المواطن التي قد تقدم نظائرها وأنها لا تكون من تدبير البشر ، فانظر إلى هذه المكاشفة ، فلو وجدوا عثرة أو زلة أو ما يشبه ذلك لذكروه واحتجوا به ، فهذا موضع الحاجة إلى ذكره ، وهؤلاء المنافقون الذين سحبوا وأخرجوا من المسجد أسماؤهم معروفة وكذلك أنسابهم واحداً واحداً .

ب/٢٢٨ وفي هذا تكذيب لمن زعم أن رسول الله ﷺ كان يداهن أصحابه واتباعه ويظهر تزكيتهم ومدحهم وتعظيمهم / وإجلالهم ولا ينطوي على ذلك ولا ينويه ولا يضمره ، وهذا يقوله من زعم أنه من المسلمين ، وإنما وضع هذا من أراد الطعن في الإسلام وتحجير المسلمين وتشكيكهم وإخراجهم من الإسلام من حيث لا يشعرون .

ثم انظر إلى اليهود : منهم من بني قينقاع ، مثل زيد بن الصليب ، وسعد ابن حنيف ، وسويد بن الحارث ، ورفاعة بن قيس ، وعزيز بن أبي عزيز ، وغيرهم من رؤساء بني قينقاع إلى بني النضير ورؤسائهم ، كحبيبي بن أخطب ، وأخيه أبي ياسر ، وجددي بن أخطب ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن أبي الحقيق ، وسلام بن أبي الحقيق ، وأمثالهم من رؤساء بني النضير . وإلى بني

قريظة ومن رؤسائهم ، كعب بن أسد وهو صاحب عقد بني قريظة الذي نقض عام الأحزاب ، والزبير بن باطن وهب ، واعزال بن شماويل ، وقزوم ابن كعب ، ونافع بن أبي نافع ، ووهب بن يهوذا ، وأسامة بن حبيب ، وغيرهم من رؤساء بني قريظة . فهؤلاء كانوا مع رسول الله ﷺ بالمدينة وحول المدينة وإلى من يجذبون ^(١) رؤسائهم ، فقد كانوا حين سمعوا برسول الله ﷺ وهو بمكة وما ادعاه من النبوة ثقل ذلك عليهم سيما على أخبارهم ورؤسائهم ، فجردوا في عداوته وظاهروا قريشاً والعرب عليه ونهوه عن أتباعه وتصديقه .

وكانت قريش تشكوههم إليهم ، وكان من يجتاز من أهل مكة في متجرهم إلى الشام يذكرون لهم ذلك ، وفي قريش من يقصدهم لهذا ، كالنضر بن الحارث وأمثاله يطلبون منهم ما يكون فيه تكذيب لرسول الله ﷺ وما ينفر الناس عنه وعن القبول منه مما يجدونه في كتبهم ، ويأثرونه عن أنبيائهم ورؤسائهم ، / ٢٢٨ ب فيقولون لهم : سلوه عن يوسف وما كان من أمره وإلى أي شيء انتهى ، فينزل القرآن بذلك ، فإذا أخبروهم قالوا لهم : سلوه عن أصحاب الكهف من هم وكم عدتهم ، فينزل القرآن بذلك ، فإذا أخبروهم قالوا لهم : فاسألوه عن رجل مؤمن سار من مغرب الشمس إلى مشرقها ، فينزل القرآن في ذي القرنين ، إلى غير ذلك . فلما نزل رسول الله ﷺ لمدينة وجاورهم وصار معهم ، كانت عداوتهم أشد ، وشغلهم به ﷺ وبالسلمين والدخول بينه وبين الأوس والخزرج والنهي عن أتباعه . وكانوا معدن الشر والشبه والفتح على العرب أبواب الضلالة ، وفيهم شجاعة وثروة ، وكان كيدهم أحداً من

(١) في الأصل ، يجذبو

سيوفهم وأنفذ من رماحهم . وقد رحل بنو النضير حين أجلاهم رسول الله ﷺ إلى قريش وبعثوهم على حربته وقصده ، وكان من بني قينقاع وقريظة وخيبر ما هو مذکور وشرحه يطول .

فانظر هل ظفروا مع طول هذا الطلب والحرص بزلة أو هفوة أو عثرة أو ما يشبه ذلك . وقد كان منهم باليمن وبعدن وبوادي القرى خلق كثير يمدون هؤلاء الذين بالمدينة ويصنعون صنيعهم في إلقاء الشبه للعرب ، فتأمل هذا فكلم فيه من نور وهدى .

ولقد كان هؤلاء وجميع أعداء رسول الله ﷺ يتراجعون أمره فيما بينهم ، فإذا هم لا يجدون مطعناً ولا مغمراً . كالذي كان من بني قريظة قبل النكث ونقض عهد رسول الله ﷺ ، حين قال عمرو بن سعد للزبير بن باطا :^(١) أطيعوني وتعالوا نتبع محمداً ، فوالله انكم لتعلمون أنه نبيّ قد بشر به علماؤنا ، منهم ابن الهبيار ، وأبو عمير بن حواش ممن قدم إلينا من علماء بيت المقدس يتوكفان قدمه^(٢) ، وأمرانا باتباعه وأن نقرئه /منهما السلام ، ثم ماتا على دينه ودفناهما بجزيرتنا هذه . فأمسك القوم فلم يتكلم منهم أحد . فأعادوا الكلام ، فقال الزبير : قد قرأت صفته في كتاب باطا التي أنزلت على موسى .

وذكروا صلاح بن الهبيار ، وأنه حين حضرته الوفاة قال : ما الذي ترون ؟ أخرجوني من أرض الخمر والحمير إلى أرض البؤس والجوع ، فقالوا : أنت أعلم ، قال : أتوكف خروج نبيّ قد أظلكم زمانه ، هذه البلدة مهاجرة ،

(١) هو الزبير بن باطابن وهب ، يهودي عدو للإسلام ، انظر سيرة ابن هشام ٢ : ٥١٥
(٢) جاء في لسان العرب مادة وكف : توكف الأثر تتبعه ، والتوكف التوقع والا انتظار ، وفي حديث ابن عمير : أهل القبور يتوكفون الأخبار ، أي ينتظرونها ويسألون عنها . يقال : هو يتوكف الخبر ، أي يتوقعه .

فكنت أرجو أن أدر كه فأتبعه ، فإن سمعتم به فلا تُسبِّقوا اليه فإنه يسفك الدماء ويسبي الذراري ، فلا يمنعكم هذا منه ، فقال له كعب بن أسد : فما يمنعك من اتباعه ، قال : أنت ، قال : كعب : ولم؟ ما حلت بينك وبينه ، قال : أنت صاحب عقدنا وعهدنا ، فإن اتبعته اتبعنا وإن أبيت أبينا . فأقبل عمرو بن سعدى على كعب فقال : أما والتوراة إنه للعزّ والشرف ، وإنه لعلى منهاج موسى وننال معه شرف الدنيا وننزل معه ومع أمته غداً في الجنة . قال كعب : نقيم على عهدنا ولا يخفر محمد لنا ذمة ، ومنتظر ما يصنع حيي بن أخطب ، فقد أخرج لإخراج ذل وصغار ولا أراه يقر حتى يغزو محمداً ، فإن ظفر فهو ما أردنا أقمنا على ديننا ، وإن ظفر بجيبيّ فما في العيش خير . وتحولنا من جواره . قال عمرو : ولم تؤخر الأمر وهو مقبل ، قال كعب : ما على هذا فوت ، متى أردت هذا من محمد أجبني . قال عمرو : بلى إن عليه لفوتاً إذا سار الينا وتحصّنا في حصوننا هذه التي هي قد خدعتنا فلا نفارق حصوننا حتى ننزل على حكمه فيضرب أعناقنا . قال كعب : ما عندي في أمره إلا ما قلت ، ما تطيب نفسي أن أصير تابعاً بقول هذا الاسرائيلي لا يُعرف لي فضل البتة ولا قدر النعال ، قال عمرو بن سعدى : بلى ، / لتعرفن ٢٢٩/ب ذلك لك ، وطال ما بينهم ، ونزل قوم منهم ولحقوا برسول الله ﷺ وأسلموا . فانظر إلى طول البحث والمراجعة بينهم ، وإلى أعداء رسول الله ﷺ من رؤسائهم وأخبارهم وهم يصلون عن اتباعه بجهدهم ، هل يقول قائل منهم هذا الذي من غدراته ونكثه كذا وكذا ، وكذبه يوم كذا ، وهذا موضع الحاجة اليه وإلى ذكره ، أو أن موسى قد وصّى بأن شريعته لا تنسخ ، وأن السبت لا يعطل مما يدعيه اليهود ، والمناظرة والمراجعة تذكر بالأمور المتقدمة وتخرج الأسرار ، فتعلم أنه لم يكن لجميع أعداء رسول الله ﷺ فيه مطعن ولا مغمز بوجه من الوجوه ، وكم لليهود معه ﷺ من مشهد وموقف بهم الحاجة

إلى ما قد ذكرنا وبيّنا .

وقد علمت مقامه بمكة وقد تفرغوا له وجعلوا شغلهم كله في طلب عثراته وفي الصد عنه ، وفيهم مثل أبي لهب ، وأبي جهل ، وأخيه العاص ، والعاص ابن سعيد ، والحكم بن أبي العاص ، وعدي بن الحمراء ، وابن الأصد الهذلي ، وعقبة بن أبي معيط ، والأسود بن عبد يغوث ، وابن العيظلة وهو الحارث ابن قيس بن عدي السهمي ، والوليد وأبي وأمّية ابنا خاف ، وأبي قيس بن الفاكه والعاص بن وائل ، والنضر بن الحارث ، ومنبه بن الحجاج ، وزهير بن أبي أمية ، والسائب بن صيفي ، والأسود بن عبد الأشد ، هؤلاء جيرانه ، وكانت عداوة أبي سفيان صخر بن حرب ، وعتبة وشيبة بن ربيعة وسهيل بن عمرو ، مسلمة ، والحارث ابني هشام ، وأمثالهم ، تصغر في جنب عداوة هؤلاء وهو معهم وأسير في أيديهم بمكة ، يضربونه ، ويخنقونه ، ويطرحون / التراب الفرث على رأسه ، ويطرحون الحيف ببابه ، فيقول : يا بني عبد مناف ، أي وجوار هذا .

ب/٢٣٠

وكان الموسم إذا جاء يخرج إلى الموسم فينذر ويدعو إلى الله تعالى ويقول :

أيها الناس ، إن الذي أنتم عليه ليس لله ولا من الله ، هلموا إلى عبادة الله وحده ، ویتلو القرآن فيتبعوه ويضربوه ، ويرمي عمه أبو لهب أعقابه حتى يدميها ، ويتفرقون في الشعاب وعلى الطرق إذا جاء الموسم ، ويلقون الناس ليصدوهم عن رسول الله ﷺ ؛ فيقتسمون الطرق على عقاب مكة ، فيقول لهم الوليد بن المغيرة : تفرقوا حيث يمر بكم أهل الموسم ، فإذا سألوكم عنه فليقل بعضكم : كاهن ، وبعضكم ساحر ، وبعضكم شاعر ، وبعضكم غاوٍ يفرق بين الأب وابنه وبين الأخ وأخيه ، فإذا انتهوا إليّ صدّقتكم . وهؤلاء

الذين كانوا يفعلون هذا : حنظلة ، وأبو سفيان ، وعتبة ، وشيبة ، وأبو جهل
والعاص بن هاشم ، وأبو قيس بن الوليد ، وقيس بن الفاكه ، وزهير بن أبي
أمية ، وهلال ، والسائب ، والنضر بن الحارث ، وأبو البخري بن هشام ،
ومنبه بن الحجاج ، وأميه ، وأوس بن المغيرة مولى وهب بن حذافة ، وزمعة
ابن الأسود .

وكان أصحاب رسول الله ﷺ ممن أسلم بمكة يخرجون فيتفرقون مع هؤلاء
المقتسمين ، فإذا ذكروا ما عندهم في رسول الله ﷺ قال لهم المسلمون : كذب
هؤلاء ، بل محمد رسول الله صادق يدعو إلى عبادة الله وحده ، وإلى صلة
الرحم ، ورحمة اليتيم ، وإلى كذا ؛ ويتلون القرآن وأولئك يمنعونهم ويضربونهم
في الموسم الذي يأمن فيه الناس فلا يأمن فيه رسول الله ﷺ ولا أصحابه وهم
يدعون إلى الله ويقولون هذا مع كونهم مقهورين مغلوبين وقليلاً وضعفاء / ٢٣٠ / ب
يخافون أن يتخطفهم الناس .

فتأمل هل قدرت قريش أو أهل مكة أن يقولوا فيه ﷺ أنه غدر أو كذب
أو احتال أو أتى بفاحشة أو شيئاً مما يدعيه أعداؤه وملحده زمانك ، مع طول
تلك السنين التي كان مقيماً فيها بمكة منذ ادعى النبوة وهي خمس عشرة سنة ،
فما زادوا في الطعن فيه على التكذب عليه . وكان أهل الموسم إذا سمعوا
قول أصحاب رسول الله ﷺ يقول بعضهم لبعض : قول هؤلاء أحسن وخير .

فتأمل رحمك الله الأمور ، وأطل الفكر والتأمل وأصرّ على ذلك ، لتعلم
حقائق الأمور ، فقد بليت في زمانك بمن يقول في الصحابة المكيين والمهاجرين
والذين بنوا الإسلام وشيدوه أنهم ما اعتقدوا الإسلام قط ولا اتبعوا رسول
ﷺ لبصيرة ولا لحجة ولا اعتقدوا نبوته ولا أضمرّوا محبته وتعظيمه وما اعتقدوا

إلا تكذبه ولا أضمره وإلا سقوطه واحتياله .

وهؤلاء قوم اتبعوه وهو وحيد فقير ذليل خائف مقهور مغلوب وأهل الارض يدٌ واحدة في عداوته وعداوة أتباعه ، فخرجوا باتباعه من الأمن إلى الخوف ، ومن الغنى إلى الفقر ، ومن العزّ إلى الذل ومن الكرامة إلى الهوان ومن الراحة إلى النصب ، ومن الأوطان إلى الغربة . وزعم ملحده زمانك أنهم فعلوا نفاقاً وأنهم كانوا منافقين فمن ينكر بعد هذا أعجوبة ، أو ينفي عن الناس حماقة أو يحسن يأخذ ظناً ، وهل هذا إلا كقائل قال : إن محمداً نبياً المسلمين كان يتافق قريشاً والعرب تدافعهم وإن كان قد خرج معهم إلى تلك الأمور ، وأنّ السحرة قد نافقوا فرعون وداهنوه في اتباعهم موسى / ب/٢٣١ وانصرفهم عنه ومكاشفتهم له حين قال لهم : « إنّه لكبير كم الذي علمكم السحر » (١) و « فلا تقطن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبناكم في جنوع النخل ولتعلمنّ أيّنا أشدّ عذاباً وأبقى . قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البيّنات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاضٍ إنما تفضي هذه الحياة الدنيا . إنّنا آمنّا بربّنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى » (٢)

والأعجب من هذا ، أنه ﷺ قد أوجب على العباد موالاة هؤلاء المهاجرين السابقين وفرض محبتهم وتعظيمهم وإجلالهم ، وحرّم سوء الظن بهم إلا أن يظهر منهم كبيرة ، كما أوجب معاداة اليهود والنصارى والمجوس وأمثالهم ومن سلك سبيلهم وفرض بغضهم إلا أن يظهر منهم الإيمان .

هذا معلوم من دينه ﷺ ودعوته غير ما قد ضمنه الله كتابه من مدح

(١) طه ٧١

(٢) طه ٧١ - ٧٢

المهاجرين والأنصار وملاً القرآن به ، وهذا كله خلاف ما يدعيه هؤلاء الذين غرَّهم من لقنهم هذا ، فإنه كاد بهذا الصنيع للإسلام والمسلمين من حيث لا يشعرون . وإنما أردنا ذكر حال أعداء رسول الله ﷺ من أهل جيرته وبلده وأهل بيته من طبقات قريش مع الدهاء ، وأنهم قد توكلوا لجميع أعدائه وكفوهم وزادوهم على الكفاية ، فما وجدوا شيئاً يكون لهم حجة أو شبهة الحججة في إبطال أمره ، فبطل كيدهم مع طول العناء وبار مكرهم كما قال الله : « ومكر أولئك هو يبور » (١) .

وقد خرج ﷺ إلى الطائف ودعا إلى الله وقال : أجيروني حتى أبلغ رسالة ربي ودعوا ما أنتم / عليه فإن الله يسخط ، وعاب دياناتهم وما كان عليه آبائهم ، ٢٣١ / ب ودم قريشاً بما تأتيه من تكذيبه ، فما كان عندهم في ردّه شيء إلا أن قالوا له : كيف اختارك الله من بين أهل مكة ومن بين الناس كلهم وهناك من الحكماء والعقلاء كفلان وفلان ، وفي أهل الطائف فلان وفلان ، وإذا كان الله قد اصطفاك فكيف أحوجك إلى نصرته الناس ، إلى غير ذلك مما لقوه به من الجفاء وقد غاظهم وأغضبهم ما ذكره من قبح أديانهم وتضليل آبائهم .

فانظر هل يرجعون في تكذيبه إلى حجة أو ما يشبه الحججة ، وهل يجدون مطعناً أو مغزماً مع حاجتهم إلى ذكر ذلك في هذه المواضع .

ومن هذا الجنس ، لما أمر الله عز وجل رسوله بعرض نفسه على القبائل وهو أمر معروف ، وقد ذكره الناس وتحذثوا به ، ومن كان يتحدث به علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : لما أمر الله رسوله ﷺ بعرض نفسه على القبائل ، خرج وأنا معه وأبو بكر الصديق حتى دفعنا إلى مجلس (١) من مجالس العرب

(١) فاطر ١٠

(٢) في الأصل مجالس ، ولعل الصواب ما أثبتناه

فتقدم أبو بكر فسلم ، قال علي : وكان أبو بكر مقدماً في كل خير ، وكان رجلاً نساباً ، فقال : ممن القوم ؟ فقالوا : من ربيعة ، قال : ومن أي ربيعة ؟ ثم ذكر علي رضي الله عنه ما كان بينهم وبين أبي بكر قال : ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار ، فتقدم أبو بكر فسلم وقال : ممن القوم ؟ قالوا : من شيبان بن ثعلبة ، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله ﷺ ، فقال : بأبي أنت وأمي ، هؤلاء غرر قومهم ، وفيهم مفروق بن عمرو وقد غلبهم خصالا ولساناً ، وكانت له عذبتان تسقطان على تربيته (١) ، وكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر ، فقال له أبو بكر : كيف / العدد فيكم ؟ فقال مفروق : إنا لنزيد على ألف ولن تغلب ألف عن قلة ، فقال أبو بكر : فكيف المنعة فيكم ؟ فقال مفروق علينا الجهل ولكل قوم جَلٌّ ؟ قال أبو بكر : فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم ؟ فقال مفروق : إنا لأشد ما نكون غضباً حين (٢) نلقى ، وإنا لأشد ما يكون لقاء حين نعضب ، وإنا لتؤثر الجياد على الأولاد ، والسلام على اللقاح ، والنصر من عند الله : يدبل علينا مرة ، ويدبل لنا مرة . لعلك أخو قريش ؟ فقال أبو بكر : وقد بلغكم أنه رسول الله ، وها هو ذا . فقال مفروق : قد بلغنا أنه يذكر ذلك فيلبي ما يدعو يا أبا قريش ؟ فتقدم رسول الله ﷺ ، وقام أبو بكر يظلمه بثوب . فقال عليه السلام : أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأني رسول الله ، وأن تؤوني وتنصروني ، فإن قريشاً قد ظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق ، والله هو الغني الحميد ، قال مفروق : وإلى ما تدعو أيضاً يا أبا قريش ؟ قال رسول الله ﷺ : «قل تعالوا أتت ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ،

ب/٢٣٢

(١) لعل هنا سقطاً تقديره : موضع ، فتكون العبارة : موضع تربيته .

(٢) في الأصل : لحين

ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ، ولا تقربوا الفواحش
ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ذلكم وصّاكم
به لعلكم تعقلون» (١)

قال مفروق : وإلى ما تدعو يا أخا قريش فوالله ما هذا من كلام أهل
الأرض ، ولو كان من كلامهم لعرفناه ، فتلا رسول الله ﷺ : « إن الله يأمر
بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم
لعلكم تذكرون » (٢) فقال مفروق :

دعوتَ الله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ولقد أفك
قوم كذبوك وظاهروا عليك ، وكأنه / أحب أن يشرّكه في الكلام هانيء بن ٢٣٢ / ب
قبيصة ، فقال مفروق : هذا هانيء بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا ، فقال
هانيء : قد سمعت مقالتك يا أخا قريش ، وإني أرى إن تركنا ديننا واتبعناك
على دينك لمجلس جلسته لنا ليس له أول ولا آخر ، هذا زلة في الرأي
وقلة نظر في العاقبة . وإنما تكون الزلة مع العجلة . ومن ورائنا قوم نكره أن
نعقد عليهم عقداً ، ولكن ترجع ونرجع ، وتنظر وننظر ، وكأنه أحب أن
يشرّكه في الكلام المثني بن حارثة ، فقال :

وهذا المثني بن حارثة شيخنا وصاحب حزبنا ، فقال المثني : قد سمعت
مقالتك يا أخا قريش ، والجواب فهو جواب هانيء بن قبيصة في تركنا ديننا
واتبعناك على دينك لمجلس جلسته لنا ليس له أول ولا آخر ، وإنما نزلنا بين
ضربتين ، التامة والشامة . فقال رسول الله ﷺ ما هاتان الضربتان فقال : أمهاتان

(١) الانعام ١٥١

(٢) النحل ٩٠

كسرى و مياه العرب ، نزلنا بينهما على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثاً ولا نؤوي محدثاً ، وإنّا نرى يا قرشيّ أن هذا الأمر الذي تدعو أنت اليه مما يكرهه الملوك ، فإن أحببت أن نؤوبك وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا ، فقال رسول الله ﷺ : ما أسأتم في الردّ إذ أفصحتم بالحق ، وإن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه ، رأيتم لو لم يلبثوا إلا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم أتسبحون الله وتقصدسونه ؟ فقال النعمان بن شريك : اللهم لك . فنهض رسول الله ﷺ ، وهو آخذ بيد أبي بكر ويقول : يا أبا بكر أية أحلام في الجاهلية - أو أية أخلاق شكّ الراوي الراوي أيهما قال - ما أشرفها ، بها يدفع الله بأس بعضهم ببعض وبها يتحاجزون فيما بينهم . قال علي رضي الله عنه / : ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج فما نهضنا حتى بايعوا رسول الله ﷺ وكانوا صدقاء صبراء وأنفذ رسول الله ﷺ معهم بعد أن تردد إليه منهم قوم بعد قوم يسلمون وينصرفون : مصعب بن عمير رضي الله عنه لتلاوة القرآن والتفقيه في الدين ، وكانت الأوس والخزرج قبائل كثيرة وعدداً جماً فأسلموا طوعاً بهذا الشرط وغلب عليهم الإسلام . ولغلبة الاسلام على هذه القبائل ولاستبصار أهلها ما كان في الأوس والخزرج منافقون لما رأوا قومهم وقد عمهم الإسلام وكانوا كثيراً والمنافقون قليل فأحبوا أن يحقنوا دماءهم وأن يشاركوا قومهم في العز فأظهروا الإسلام وإن كانوا لا يعتقلونه .

ب/٢٣٣

ثم انظر إلى صنيع قريش فيمن هاجر إلى أرض الحبشة ، فقد كان صار بها نحو المائة من كبار المهاجرين ، واستجاروا بالنجاشي ملك الحبشة فأجارهم وقبلهم ، فعبدوا الله آمنين مطمئنين واستراحوا من المكاره التي كانت تجرى

عليهم من قريش فقد كانت عظيمة ، فلما بلغ قريشاً أمرهم قلقوا لذلك وقاموا
وقعدوا ، ثم ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فيهم رجلين منهم ، وأن يهدوا إلى
النجاشي هدايا مما يستظرف من متاع مكة ، وكان من أعجب ما يأتيه منها
الأدم فجمعوا له أدماً كثيراً ثم لم يتركوا من بطارقتهم بطريقاً إلا أهدوا له
هدية ، ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي ، وعمرو
ابن العاص بن وائل السهمي ، وقالوا لهما : لإدفعنا إلى كل بطريق هديته قبل أن
أن تكلموا النجاشي ، ثم قدّموا للنجاشي هداياه ثم سلوه بأن يسلمهم اليكم قبل
أن يكلمهم . فخرجوا فقدموا على النجاشي فلم يبق من بطارقتهم بطريق إلا دفعوا
إليه هديته قبل أن يكلموا الملك ثم قالوا لكل بطريق منهم أنه قد ضوى إلى بلد
الملك منا / غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم ، وجاءوا بدينهم
بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا فيهم إلى الملك أشراف قومهم
ليردّهم إليهم ، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم
فإن قومهم أعلاّ بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم ، فقالوا لهما : نعم . ثم لانهما
قرّباً هداياهما إلى الملك فقبلها منهما ، ثم كلماه فقالا : أيها الملك ، إنه قد ضوى
إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا ديننا ولم يدخلوا في دينك^(١) ، وجاءوا بدين
مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك أشراف قومهم من آبائهم
وأعمامهم وعشائرتهم لتردهم إليهم ، فهم أعلم بما عابوا عليهم وما عابوهم
فيه . ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله وعمرو وسائر قريش من أن يسمع
النجاشي كلام المسلمين ، فقال بطارقتهم وهم حوله صدقاء : أيها الملك ، قومهم
أعلاّ بهم عيناً فسلمهم إليهما ليرداهم إلى بلادهم وقومهم . فقال النجاشي :

(١) ضوى : لجأ

لا أسلمهم إليهما ولا أكاد قوم^(١) جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم وأسألهم مايقول هذان في أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان سلمتهم إليهما ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ماجاوروني . ثم أرسل اليهم فدعاهم اليه . ثم قال بعضهم لبعض : ماتقولون للرجل إذا أجبتموه ؟ فقالوا : نقول والله ما علمنا وأمرنا به نبينا ﷺ كائن في ذلك ما هو كائن . وكان عمرو بن العاص صديق النجاشي قديم المعرفة به والمهاداة له ، وكان يرفعه في مجلسه ويكرمه الكرامة الكبيرة . فدخلوا عليه ، وعمرو بن العاص عن يمينه ؛ فلما بصر بهم من حول الملك قالوا لهم : اسجدوا للملك ، وكان الصحابة قد جعلوا أمرهم إلى جعفر بن أبي طالب ليكلّم الملك عنهم . فقال جعفر : لا نسجد إلا لله وحده ، فزيرهم من حول الملك فما سجدوا^(٢) فقال لهم الملك : ماهذا الدين الذي فارقتم / فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من هذه الملل ، فقال له جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه : أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسبي الجوارى ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكفّ عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ؛ فعدد عليه جعفر أمور الإسلام . ثم قال

(١) أكاد ، من الكيد ، وقوم على هذا الأساس منصوبة لأنها مفعول به

(٢) زبره : نهره وغلظ له بالقول

له : فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به ، فعبدنا الله فلم نشرك به شيئاً ، وحرمتنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحلّ علينا . فعدا علينا قومنا فعدبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث . فلما قهرونا وظلمونا وضيعوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك ، واخترناك على من سواك ، ورجبنا في جوارك ، ورجونا أن لا نظلم عندك .

فقال النجاشي : هل معك مما جاءك به عن الله من شيء ؟ فقال جعفر : نعم ، فقال النجاشي : فاقرأه عليّ فقراً عليه صدرّاً من « كهيعص » فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكى أساقفته حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال النجاشي : هذا من عند الله انطلقوا فوالله لا سلمتكم إليهما . فورد على عمرو والبطارقة الذين أعانوه وهاداهم ما كرهوا ، وغلظ عليهم . فلما خرجوا من عنده قال عمرو : والله لأبيّتنه غداً / بما أستأصل به خضراءهم ، والله لأخبرنه ب / ٢٣٤

أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد الله . ثم غدا عليه من الغد فقال : أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً فأرسل إليهم واسألمهم عما يقولون فيه . وبلغ ذلك المسلمين ولم ينزل بهم مثلها . فاجتمع المسلمون ، فقال بعضهم لبعض : ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ، فقالوا : نقول والله فيه ما قال الله وما جاء به نبيّنا عليه السلام كأن في ذلك ما هو كائن فقال : فأرسل إليهم النجاشي ، فلما دخلوا عليه قال لهم : ماتقولون في عيسى بن مريم ؟ فقال جعفر : نقول فيه الذي جاء به نبيّنا هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول الحصيّنة . وقد كان رسول الله ﷺ أرسل عمرو بن أمية الضمري بكتابه إلى النجاشيّ يدعوه إلى الإسلام ويقول له : عندك أصحابي فأجرهم وقرّبهم ولا تتجبر عليهم ، وأرسل إلى المسلمين

بما أنزله الله عليه : « إنَّ مَثَلَ عيسى عند الله كمثل آدم » فلما سمع النجاشي ذلك ضرب يده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال : ماعدا عيسى بن مريم بما قلت هذا العود ، فتأخرت بطارقه حوله حين قال ذلك فقال لهم : وإن نخرتم ، ثم أقبل على المسلمين فقال : اذهبوا فأنتم سيئوم بأرضي ما أحب أني أذيت رجلا منكم بجبل ذهب . ردوا على هذين هداياهما فلا حاجة لي بها ، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردَّ عليَّ ملكي فأخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه ، فنال بطارقتهم من هذا ما غمَّهم وساءهم ، وخرج عمرو وصاحبه من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ماجاء به ، وأقام المسلمون عنده بخير دار عند خير جار . ثم أقبل عليهم وبسطهم ورفع منهم ولم يزل يسمع ، وأسلم ، وأجاب / رسول الله ﷺ عن كتابه بأني قد أسلمت ، وترددت رسله وكتبه إلى رسول الله ﷺ مع هداياه ، وأنفذ ابنه إلى النبي عليه السلام فغرق في البحر قبل أن يصل إليه ، وكان من أمر النجاشي ما هو من المعلوم من إسلامه .

ب/٢٣٥

والذي أردنا من هذا أن مثل عمرو بن العاص قد تباهى في سب رسول الله ﷺ والتنفير عنه والصد عنه عند النجاشي .

فانظر هل أمكنه أن يذكر في ذلك حجة أو ما يشبه الحجة ، أو غدره ، أو زلة . وقد كان رسول الله ﷺ هاجر وكان له مع قريش واليهود والنصارى تلك الوقائع والمشاهد وقد شهدها عمرو وبلغه ما لم يشهده ، فانظر هل كان عنده في ذلك شيء ينفر به عن رسول الله ﷺ أو يحتج به على المسلمين وقد استفرغ . ومنام عمرو فوق يقظة هؤلاء السفلة من زنادقة زمانك كالحداد والوراق وابن الراوندي والكندي والباطنية وطبقات القرامطة . وكم مثل عمرو من قريش

سبيلهم سبيله في عداوة رسول الله ﷺ والمسلمين ، وكم له مع النجاشي من المراجعات في أمر عمرو بن أمية الضمري ليتمكن منه ليقتهل فما مكنه ، ثم عاد بعد ذلك إلى النجاشي بمدة طويلة وسفرة بعد سفرة ، فوعظه النجاشي ودعاه إلى الإسلام ورغبه في الهجرة ، وقد كان أخوه هشام بن العاص أفضل منه وأجل قدراً فأسلم وهاجر وجاهد في حياة رسول الله ﷺ وبعد موته واستشهد رحمة الله عليه .

فانظر إلى تدبير قريش في مهادة البطارقة ليكونوا معهم على المسلمين وليصرفوا النجاشي عن المسلمين ، فإن هذا تدبير العقلاء والدهاة والمنكرين ، ولا يمكن العاقل الكامل المتأني أن يفعل أكثر من هذا ليعرف عقول قريش وخصوم رسول الله ﷺ من العرب على غيرهم ، ثم ما أغنى عنهم فيما راموه من / الطعن على رسول الله ﷺ .

٢٣٥ / ب

وانظر كيف لما ذكره المسلمون بأنا نعرف أمأنته وصدقه وعفاهه إلى غير ذلك هل تهباً لعمرو أو لغيره من أعدائه أن يقدح فيه أو ينكره ، ورسول الله ﷺ انهم وهم ولدوه وهم ربّوه ومعهم نشأ ومعهم أقام وسافر .

وباب آخر

أن معجزاته ﷺ والآيات التي نقضت العادات يغني بعضها عن بعض ويسد بعضها مسد بعض . فإن من استدل ببلاغة القرآن وفصاحته على نبوة النبي عليه السلام عرف صدقه وإن لم يعلم ما في القرآن من الاخبار بالغيوب ، ومن لم يستدل بالفصاحة واستدل بما فيه من التنبيه على ما في العقول يحصل عالماً بنبوته وإن لم يستدل بالفصاحة ولا بالإخبار عن الغيوب ، وليس كذلك النصوص على

الأمر التي يعم فرضها ويشمل وجوبها ، فإن بعضها لا ينوب عن بعض ولا يغني بعضها عن بعض ، ولا بد من أن يحصل العلم بكل واحد منها ويكون مجيء جميعها مجيئاً واحداً . بيّن لك ذلك أن النص على القبلة لا يغني عن النص عن شهر رمضان ، والنص على الجمعة لا يغني عن النص على غسل الجنابة ، وكذا في الخمر ، والخنزير ، والزنا ، واللواط ، والأمهات ، والأخوات ، والبنات ، وجميع الفروض العامة الوجوب ، فاعرف ذلك .

وإنما ذكرنا هذا لأن قوماً من الإمامية والرافضة ادّعوا أن رسول الله ﷺ نصّ على إمامة رجل بعينه ، وأوجب على جميع الخلق من الذكور والإناث والعبيد والأحرار والمسافرين والمقيمين والمرضى والأصحاء طاعته واعتقاد ولايته وموالاته .

فقيل لهم : لو كان الأمر كما يدعونه لجاء العلم بذلك مجيء أمثاله من الفروض العامة الواجبة ، لأن قوله ﷺ : هذا إمامكم / وهذا حجة الله عليكم بعدي يجري في شمول وجوبه مجرى نصّه على نبوته ، وقوله : أنا رسول الله اليكم فهذا أعم في الفرض من القبلة وشهر رمضان ، فإذا علمنا نصّه على القبلة وشهر رمضان فقد كان ينبغي أن يكون العلم بما يدعون أقوى .

قالوا : فاجعلوا ما يدّعيه من النص كالمعجزات التي هي غير القرآن . قيل له : إن إخراجكم هذا النص عن نظائره وأمثاله من النصوص من أدل الدليل على ضعف يقينكم فيه ويأسكم من صحته ، وكفى بهذا بياناً منافياً في بطلان ما يدّعون .

وأيضاً ، فقد علم كل من سمع الأخبار أنه ﷺ قد ادّعى النبوة وادّعى أن معه آيات ومعجزات ودلالات لا يرتاب بذلك من صدّقه ولا من كذّبه ،

فوازن ذلك ونظيره أن يعلم كل من سمع الأخبار أن رسول الله ﷺ قد نص
النص الذي تدعونه ، وهذا فليس بمعكم ولا لكم ، فقد صار ما صرتم اليه من
أمر هذه المعجزات عليكم لا لكم .

وأيضاً ، فإن هذه المعجزات التي مع النبي فيها ما يعلم كل من سمع الأخبار
أنه عليه السلام قد ادعى أنها حجة له في نبوته ، ومنها ما اجتمعت الأمة عليه ،
وما تدعونه فلا يعلم باضطرار ولا فيه إجماع ، فهذا كما ترون في بعده
مما تدعون .

وجواب آخر ، أنه ينبغي أن تعلم أن كثيراً من المعجزات التي ليست في
القرآن يعلمها كثير من الناس كعلمهم بالقرآن ، وهذا تجده فيمن كثر سماعه
واشتدت عنايته بمبعث رسول الله ﷺ وبمقامه بمكة وبهجرتة إلى المدينة وبسيرته
وبمكاتباته وبمراسلاته وبغزواته ، ولهذا تجد أبا الهذيل ، وعمرو بن بحر الجاحظ
ومحمد بن شبيب ، وأمثالهم من القدماء يدعون في كتبهم التي صنفوها
في النبوة في المعجزات التي ليست في القرآن العلم الضروري ، وكذا أبو
عمر / الباهلي ، وقد ذكر أبو هاشم في نقض الفريد نحو هذا ، فادعى في ٢٣٦ / ب
استسقاء النبي وفي إخباره عن المقتولين في غزاة مؤتة وفيما كان بين النبي ﷺ
وأهل مكة من المراجعة في غلبة الروم على فارس علم الاضطرار ، فاعرف
ذلك ، ولتشتد عنايتك بهذه الأمور لتساوهم في العلم بذلك .

وباب آخر

كتاب رسول الله ﷺ إلى ملك الروم كما كتب إلى كسرى ملك فارس .
وكان كتابه إلى ملك الروم مع دحية بن خليفة الكلبي ؛ وكان رسول الله ﷺ

قد أمر دحية إلى أن يدفع كتابه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر ملك الروم .
فلما قرىء على قيصر فيما يدعوه إلى الله وعبادته وحده ، وأن لا يرض
بملكه ، وأن لا يتحمل آثام الروم مع إثمه .

وكان ملك الروم بالشام بمحص ودمشق يشتم في بلد ويصيّف في بلد ،
فطال فكره في رسول الله ﷺ وفي كتابه ، ووجد قلبه يخشع ، فقال لأصحابه :
التمسوا لي هل هاهنا من قوم هذا العربي الذي يزعم أنه نبيّ من أحد لنسأله
عنه ؟ فوجدوا بالشام رجلاً من قريش قدموا تجاراً في الهدنة التي كانت بين
رسول الله ﷺ وبين كفار قريش وفيهم أبو سفيان صخر بن حرب ، فأشخصوا
إليه وقد صار إلى بيت المقدس . فأدخلوا عليه وهو جالس في مجلس ملكه ، وعليه
التاج ، وحوله عظماء الروم . فقال لترجمانه أيهم أقرب نسباً إلى هذا الرجل
الذي يزعم أنه نبيّ فقال أبو سفيان : أنا أقربهم إليه ، فقال ملك الروم : ما قرابة
ما بينك وبينه ؟ قال أبو سفيان : هو ابن عمي ، وما كان في الركب يومئذ رجل
من بني عبد مناف غير أبي سفيان ؛ فقال ملك الروم له : ادن مني ، ثم أمر
أصحابه من قريش فجعلوا خلف ظهره عند كتفه ، ثم قال لترجمانه : قل
ب / ٢٣٧ / لأصحابه إني سائل هذا الرجل / عن هذا الذي يزعم أنه نبيّ فإن كذب
فكذبوه ، فقالوا : نعم .

ثم قال لترجمانه : قل له : كيف نسب هذا الرجل فيكم ؟ فقال أبو
سفيان : هو فينا ذو نسب ، فقال ملك الروم : فهل قال هذا القول فيكم أحد
قبله ؟ قال : لا ، قال ملك الروم : فهل كان في آبائه من ملك ؟ قال أبو
سفيان : لا ، قال ملك الروم : أفأشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ قال

أبو سفيان : بل ضعفاؤهم . قال ملك الروم : أفيزيدون أم ينقصون ؟ قال أبو سفيان : بل يزيدون ، قال ملك الروم : فهل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قال أبو سفيان : لا ، قال ملك الروم : فهل يغدر ؟ قال أبو سفيان : لا ، ونحن الآن منه في هدنة ونحن نخاف أن يغدر . قال ملك الروم : فهل قاتلتموه وقاتلكم ؟ قال أبو سفيان نعم . قال ملك الروم : فكيف كانت حربكم وحربه ؟ قال أبو سفيان : كانت دولا سجالا ، يدال علينا مرة ويدال عليه الأخرى ، قال : بما يأمركم به ؟ قال أبو سفيان : يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا ، وبينها عن كل ما يعبد آباؤنا ، ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة . قال : وأولئك الملاء من قريش يسمعون قول أبي سفيان ، فصدقوه ، فقال ملك الروم لترجمانه : قل له : إني سألت عن نسبه فيكم فزعمتم أنه فيكم ذو نسب ، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها . وسألتك هل قال هذا القول أحد فيكم قبله فزعمت أن لا ، فقلت لو كان قال هذا القول منكم أحد قبله لقلت رجل يأتى بقول قيل قبله ، وسألتك هل كنتم تتهمونونه في الكذب قبل أن يقول ما قال فزعمت أن لا ، فقد عرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله وسألتك هل كان من آباءه ملك فزعمت أن لا ، فقلت لو كان في آباءه ملك لقلت يطلب ملك آباءه . وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فزعمت أن ضعفاء هم اتبعوه ، وهم أتباع الرسل . وسألتك هل يزيدون / أم ٢٣٧/ ب ينقصون فزعمت أنهم يزيدون ، وكذلك الإيمان حتى يتم .

وسألتك هل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن دخل فيه فزعمت أن لا ،

وكذلك الإيمان حتى يخالط القلوب لا ينقضه أحد . وسألتك هل يغدر فرعمت أن لا ، وكذلك الرسل لا يغدرون . وسألتك هل قاتلكم وقاتلموه فرعمت أن قد فعل وأن حربكم دولا ، وكذلك الرسل قد تبلى ويكون لها العاقبة . وسألتك عما يأمركم فرعمت أنه يأمر أن تعبدوا الله وحده وبينهاكم عما كان يعبد آباؤكم ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء وأداء الأمانة ، وهذه صفة النبي قد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم . وإن يكن ماقلت حقاً فيوشك أن يملك موضع قدمي هاتين ، والله لو أرجو أن أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت قدميه . قال أبو سفيان : ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فأمر به فقرأه إلى أن انتهى منه إلى قوله : « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » (١) قال أبو سفيان : فلما قضى مقالته علت أصوات الذين حوله من عظماء الروم وكثر لغظهم فما أدري ماقالوا ، وأمر بنا فأخرجنا ، فلما خرجت مع أصحابي وخلصت بهم قلت : لقد أمرَ أمر بن أبي كبشة ، هذا ملك بني الأصفر يخافه .

وقال أبو سفيان لأصحابه : والله لولا الحياء من أن يأتروا عني الكذب لحدثته عنه حين سألتني ، ولكني استحيت أن يأتروا عني الكذب فصدقت عنه ، ولم يمكنني كلمة (٢) أدخل فيها شيئاً أنتقص محمداً فيه أخاف أن يؤثر عني غيرها حين قال لي : فهل يغدر قلت : لا ، ونحن الآن / منه في هدنة ، ونحن نخاف أن يغدر .

١/٢٣٨

(١) آل عمران ٦٤

(٢) لعلها : إلا كلمة لأن سياق الكلام يستدعي ذلك .

فهذا أبو سفيان عدو رسول الله ﷺ إذ ذاك، وهذا كان قبل إسلامه وفي حال عداوته ، والذين معه من قريش على حاله في العداوة ، وهذا ملك الروم عاقل حازم .

وانظر كيف استظهر في أن يسأل عنه ﷺ أعداءه . فأحضرهم وهم لا يدرون ما يريد منهم ، وسألهم عنه على تلك السبيل التي استنطقت واحداً منهم بحضرة جماعة بغتة على حال يبعد فيها المواطأة .

ثم قول أبي سفيان لأصحابه : لولا خوفاً منكم أن تأثروا عني الكذب واستحيائي منكم لما صدقت ملك الروم عنه ولكذبت عليه ، وما قدرت أن أطعن عليه إلا بقولي : ونحن نخاف أن يغدر ، ما قدرت على أكثر من هذا . وخاف أبو سفيان أن لو كان وحده أن يسأل ملك الروم غيره فيتين كذبه . وتأمل قول ملك الروم : هل يرتد أحد سخطة لدينه أي لعثرة أو زلة تكون منه . ولما أسلم أبو سفيان كان يعيد هذا الحديث ثم يقول : فوالله ما زلت ذليلاً مستيقناً أن أمر محمد ﷺ سيظهر حتى أدخل الله قلبي الإسلام وأنا له كاره .

وجعل ملك الروم كتاب النبي ﷺ بين يديه ، وراجع الفكر فيه ، وأدام المسألة عنه ﷺ . فقدم عليه أمية بن أبي الصلت الثقفي ، وحكيم بن حزام القرشي ، فسألهما عنه ، فأخبراه بحاله ودعوته على نحو ما أخبر به أبو سفيان وأولئك نفر ، فقال لأمية بن أبي الصلت : آمنت به ؟ قال لم أكن لأومن لنبي إلا أن يكون من ثقيف .

وكان هذا الملك متخشعاً ، ولما انكشف عنه جنود فارس مشى من حمص إلى بيت المقدس شكراً لله .

وكانت القصة المعروفة التي قد تقدم ذكرها لك لقوله عز وجل : « ألم غلبت الروم في / أدنى الأرض » فرجع ملكهم اليهم في عام الحديبية ، وأرسل ملك الروم إلى رجل كان برومية يقرأ بالعبرانية ويعرف الكتب القديمة ، فكتب إليه يخبره بورود كتاب النبي ﷺ عليه ، وبما ذكر فيه ، وبما وقف عليه حين سأل عنه . فكتب إليه صاحب رومية أنه النبي الذي كنا ننتظر لاشك فيه ، فلما وقف ملك الروم على هذا أمر بطارقه فجمعوا له في دسكرة ملكه (١) ، فأمر بها فأشرجت عليهم بأبوابها (٢) ، ثم اطلع عليهم من عليّة له خوفاً على نفسه ، فقال : يامعشر الروم ، إني قد جمعتمكم لخير ، إنه قد أتاني كتاب هذا الرجل يدعوني إلى دينه ، ووالله إنه النبي الذي كنا ننتظر ونجده في كتبنا ، فاهلموا فلتتبعه ونصدقه وتسلم لنا دنيانا وآخرتنا . فنخروا نخرة رجل واحد ، ثم ابتدروا باب الدسكرة ليخرجوا فوجدوها مغلقة ، فقال : كرّوهم عليّ ، فلما رجعوا قال :

يامعشر الروم ، إنما قلت لكم هذه المقالة لأنظر كيف صلابتكم على دينكم لهذا الأمر الذي قد حدث ، وقد رأيت منكم الذي أسرّ به . فوقعوا له سجّداً ، وأمر بباب الدسكرة ففتحت لهم . وكان الناس يتحدثون بذلك ، ويقول الروم : إن الملك [فعل] (٣) هذا امتحاناً لأصحابه ، ويقول غيرهم من النصارى : ما فعل هذا إلا لورود كتاب صاحب رومية عليه بما ورد . وقد كان بقي منهم من أدرك خلافة عبد الملك بن مروان ، غير أن الحملة التي لاريب فيها عند أهل العلم إكرام ملك الروم لكتاب رسول الله ، ومسألته عنه ، ومدحه له ، وقوله إنه للنبي الذي كنا ننتظر ، وما صنعه في الدسكرة ،

(١) الدسكرة: بناء كالقصر فيه منازل وبيوت للخدم والحشم ، ويكون للملوك اللسان: مادة دسكرو

(٢) أي فأغلقت عليهم

(٣) هذه الكلمة زيادة مبي على الأصل اقتضاها سياق الكلام .

وما قاله لبطارقتة والروم بعد ذلك من محاسنها وحزم ملوكها . والعلم بذلك كالعلم بكتابه عليه السلام إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي ، وتمزيق كسرى للكتاب واستخفافه / به وبرسوله . وكانت كتبه ﷺ في أكارع الأدم يكتبها جهاراً بعلم عدوه ووليه ، وينفذها جهاراً ، ويعلم العدو والولي بما يكون من الجواب .

ب/٢٣٩

فتأمل الحال في ذلك وحال الملوك في زمانك ، الذين يزعمون أنهم من ولده ، وكيف يسترون مكاتباتهم عن أوليائهم فضلاً عن أعدائهم ، ويكتمون ذلك بجهدهم ، ويعظمون الكتاب ويزينونه ويصورونه ويهولونه ، ويضمنونه المخاريق والخدع ، هذا مع تسترهم بالإسلام ، وأنهم من ولد النبي ﷺ والأئمة الذين وصى اليهم النبي ﷺ . ويكون مع تلك الكتب الأموال والهدايا والتحف العجيبة ، ويذكرون للمكتوب اليه ملكهم ، وأنهم قد وجدوا ذلك في كتب الحدثان وفي الملاحم والأبار ، ويُطمعون المكتوب اليه في المشاركة في الملك ، وإن كان ملكاً قالوا نقرّك ونزيد في ملكك ، ويخلفونه في كتمان ذلك وكتمان مايلقونه اليه ، ويهولون عليه بأن فلاناً الملك ، وفلاناً الأمين ، وفلاناً السلطان ، قد أجابونا ، وهم أهل دعوتنا ، وقد عرفوا حقيقة ماقلناه لهم ؛ فبادروا في الإجابة لتكون لكم الوسيلة قبل ظهور الدعوة ، وقبل ملك الإمام لجميع الأرض ، وقبل انغلاق باب التوبة . وإنما يكتبون بهذا إلى الملوك الذين هم في الإسلام ، والذين يزعمون أنهم شيعة ، وقد تواطئوا لهم من كل وجه ، وقد لاذوا برسول الله ﷺ ، وأظهروا الاعتصام به ، ويقولون : السنة السنة تكون الغلبة ، وظهور الأمر على جميع الأرض ، فلا يكون لذلك أصل ، ويموت من عدوه ذلك ، ويُتناسى ، ويبتدئون فيسخرن بقوم آخرين فيبطل ذلك ولا يكون ، ويبتدئون بقوم آخرين ، ويموت / ذلك الذي قالوا لهم إنه

ب/٢٣٩

الإمام الذي يظهر ، ويدعون إلى آخر ويموت الذي بعده ، ثم الذي بعده كذلك .

كما وعدوا نصر بن أحمد أمير خراسان ، ومرداويج الحالي ، وأسفار بن شيرويه ، وابن أبي الساج ، وأمثالهم ، ثم من بعدهم . ومات أولئك الذين كانوا يقولون في كل واحد منهم في زمانه أنه الإمام الذي يقوم ويغلب ويملك الأرض كلها من أولها إلى آخرها .

فتأمل وفكر ، فبالفكر تكون البصائر . وإنما عرض هذا في ذكر كتبه ومكاتباته فضلا على ماتقدم لتعلم أن أحواله كلها مخفوفة بالعصمة ، (١) مكنونة بالحجة الظاهرة والبيينة القاهرة . وإنما ذكرنا أحوال هؤلاء الملوك الذين في زمانك بعد ذكر من تقدم من ملوك بني أمية وبني العباس ، لأن هؤلاء معك وفي زمانك ، وهم يدعونك ويدعون الناس كلهم ، فتأمل أحوالهم ، فإنك إن ذهبت عما في زمانك كنت عما فاتك زمانه أذهب .

ولما ذكر الله عز وجل نعمه على بني آدم بما سخره لهم حين قال : «ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيماً» إلى قوله «ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً» (٢) وهو كما قال عز وجل ، فإن العاقل إذا ترك الفكر فيما يشاهد ، وذهب عن معرفة النعم التي عليه في الدنيا ، فهو عما أراده الله به من نعم الآخرة أذهب .

ومن جنس ماتقدم أن جرير بن عبد الله البجلي سمع بأرضه من رجل تاجر من اليهود قدم عليهم بمتاع يشترونه منه : لا والذي أنزل التوراة على موسى ، فقال له جرير : من موسى هذا ؟ وما التوراة ؟ فقال اليهودي : موسى بن

(١) يقصد الرسول عليه الصلاة والسلام .

(٢) الاسراء ٦٦

١/٢٤٠ عمران رجل من بني إسرائيل / أرسله الله إلى بني إسرائيل وأنزل عليه كتاباً يُسمى التوراة ، فقال له جرير : فأخبرني خبره ، فقص عليه شأنه ، فقال له جرير : فهل أرسل الله أحداً قبله ، قال : نعم ، فقص عليه قصة نوح ، قال له : فهل أرسل الله بعد نوح أحداً ، قال : نعم ، فقص عليه قصة إبراهيم ، فقال له جرير : فهل غير هؤلاء؟ قال : كثير ، فجعل يُسم له الرسل ، فقال له جرير : بأي شيء يرسلون ، وما يقال لهم؟ قال : يُرسلون أن يُعبّد الله وحده ، وبالصدق ، وأداء الأمانة ، وغير ذلك ، قال له جرير : فكيف صنع قومهم بهم؟ قال : آذوهم وضربوهم وقتلوا بعضهم ، ودخل في دينهم ناس من قومهم ؛ وجرير يستزيده من حديثهم ويعجب ، ويعجب قومه من ذلك ، وهو شيء ما سمعوا به أصلاً ، ولا سمعوا أسماء هؤلاء الرسل ، فضلاً عن غير ذلك .

فقال جرير : والله ما سمعت بهذا قط ولا ظننته ، ففعل محمداً هذا القرشي رسول مثل هؤلاء ، فقد سمعنا خبره ثم عذبنا ذكره ، وقد خفي علينا أمره . ثم شاور جرير من يعقل من قومه في الرحيل إلى النبي ليسمع منه وينظر فيما يقوله ، فقيل له : إنه قد ساجل قومه الحرب ولا يؤمن عليك ، ومن الرأي أن ينتظر الأشهر الحرم فيخرج للحج مع الحاج ؛ فلما دخلت الأشهر الحرم رحل مع قومه فوافي إلى عكاظ وإلى ذي المجاز وإلى منى ،^(١) وصدروا إلى مكة ، فعمدوا إلى مجلس من قریش أكثره كهلاً وأبداه شرفاً ، فجلسوا إليهم ، وتحدثوا معهم ، وباسطوهم في الحديث . فقال جرير : ما فعل صاحبكم هذا ، الذي يزعم أنه رسول الله؟ قالوا : فعل شرّاً ، شتمناه وشتمنا ، وفعل وفعل ، ثم حاربنا فقتلنا وقتلناه . فقال جرير : وما نقتم عليه؟ قالوا : نقتمنا

(١) ذو المجاز : موضع سوق بعرفة

٢٤٠ ب / سحره وكذبه ، / قال جرير : : فكيف علمتم أنه ساحر ؟ قالوا : سحر
قلوب فتياننا حتى اتبعوه وعصونا ، قال جرير : ما علمتم إلا بهذا ؟ قالوا : لا ،
قال جرير : فما دلکم علی كذبه ، هل حدثکم شيئاً فوجدتموه باطلا ؟ قالوا
لا والله ، إلا أنه يكذب على الله ، ويزعم أنه أرسله أن آلهتنا باطل ، وأن سلفنا
ضلال من أهل النار . قال جرير : دعوا هذا فما ذا يقول سوى ذلك ؟ قالوا :
والله ما يقول إلا حسناً ، إنه ليأمر بصلة الرحم ، والكف عن المحارم ، والخلق
الجميل ، والعفو عن المسيء ، وأخلاق سوى ذلك جميلة لو قالها من عند نفسه
ولم يزعم أن الله أرسله بها ما أنكرنا عليه ، قال جرير : فلعله رسول الله ، فقد
أرسل الله رسلا قبله : إبراهيم ونوحاً وموسى ، قالوا : وأين هو من موسى ؟
قال جرير : له ؟ فأنتم خير وأكرم أم قوم موسى ؟ قالوا : لا بل
نحن ، قال : فما أنكرتم أن يرسل الله منكم رسولا كما أرسل من قوم موسى ؟
وجادلهم عنه ﷺ . فنظر بعضهم إلى بعض ثم قالوا : ساحر وكذاب ، ثم
قالوا لجرير : ألقيته قط ؟ قال : لا والله ما لقيته قط ولا كلمته ، ولكن هذا
هكذا فغلظوا في شتم رسول الله ﷺ وسبه ، قال جرير : أنتم أعلم . ورجع
إلى قومه وعشيرته بمن معه ؛ فجاء قومه يسألونه عن الموسم ، وعن العرب وما
كان بينهم ، فحدثهم بذلك ، ثم قال : وغير ذلك قالوا : وما هو : فحدثهم
عن رسول الله ﷺ ، وأنه بيثرب ، وما كان من قريش ، وأنه ما وجد عند
عدوه مطعناً غير السفاهة ، ووجدت قومه قد خافوه ، فهل لكم في خير ، قالوا
ما هو ؟ قال جرير : قد أرسل الله قبله رسلا ، فهل لكم أن أخرج قبلكم وترسلوا
معي رسلا تأمنونهم وتتقون بعقولهم وتطمثنون إليهم وإلى خيرهم ، فأنابته /
٢٤١ ا / ونسائله ، فلا يخفى أمره علينا ، إن كان صادقاً سالمناه وآمننا به ودخلنا في
دينه وأخذنا لكم منه سبباً وجبلاً ، وإن كان غير ذلك أريناكم برأينا . قالوا :
ما بما قلت بأس . فأرسلوا معه من اختاروه ، وخرجوا حتى قدموا عليه

المدينة ؛ وقد كان رسول الله ﷺ قال لأصحابه : أتاكم خير ذي يمن ، على وجهه مسحة ملك ؛ وكان جرير جميلاً سيماً . فلما قدموا المدينة نزلوا منزلاً ثم لبسوا أجمل ثيابهم وخرجوا ، فلقوا رسول الله ﷺ ، وجلسوا إليه ، وكلموه ، وساءلوه عما يقول وما يدعي ، وما يدعو اليه . فذكر ذلك وشرحه ، وتلا القرآن ، وبيّن لهم . فقال جرير : رضينا منك ، وأسلم ، وأسلم أصحابه ومن معه .

فتأمل ما في هذا ، فإن بجيلة هي حي عظيم وقبائل كبيرة يجاورون مكة ما سمعوا باسم موسى فضلاً على أن يعلموا هل أرسله الله بل لم يعلم جلهم وأكثرهم أن هناك من يدعي له الرسالة والنبوة ، وهذا قد يكون من قلة الطلب والمساءلة ، ومن قبل عدم من يقصد الناس ويدعوهم إلى ذلك ويذكرهم به ، ومن قبل غير ذلك مما يطول شرحه .

وقد كان أبو الحسن عليّ بن محمد بن بكر الاسفداني صاحب أبي علي رضي الله عنهما ^(١) ، حج ، وكان كثير الحج ، فأسرت القرامطة مرة ثم أرسلوه ، فحصل في البوادي ، فأجرى ذكر رسول الله ﷺ فلم يعرفوه ، وقالوا : ماسمعنا به ، فتعجب من ذلك . وهذا أبو الحسن كان كبيراً من فقهاء أصحاب أبي حنيفة ، وكبيراً من أصحاب الحديث ، غزير الرواية زاهداً ، واعظاً مجيداً ، وكان خلا لأبي الحسن الكرخي رحمة الله عليهما ، وكان يلقي جابرة الملوك من البريديين / والديلم بالموعظة ، ويصدقهم ويعظهم ، وله كتب كثيرة في العلم ، ولعل أكثرها في خزانة الوقف بالري . وكان يكثر تعجبه وهو فارسي من بلاد العجم ، ومن أهل عسكر مكرم ، وهو أعلم الناس أو من أعلمهم بنبوة ^(٢) رسول الله ﷺ وبآثاره وبأخلاقه وشريعته ،

(١) يقصد أبا علي عبد الوهاب الجبائي المعتزلي المعروف .

(٢) في الأصل : ونبوة ، ولعل الصواب ما أثبتناه

وقومه من العرب وجيرانه في البلد لا يعلمون شيئاً من ذلك ، وهذا إنما صار كذلك لترك السلطان العناية بالدين وإرسال العلماء والفقهاء في البوادي والآفاق كما كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك وخلفاؤه ولا يخلون القبائل من مقرىء وفتية وساعي ، ومع هذا فابتلى الناس ببيحيى الطحاني وبأبي سعيد الجنابي وولده وأمثالهم من القرامطة في جزيرة العرب ، فزعموا أنهم شيعة ودعاة إلى المهدي ابن رسول الله ﷺ ، فقتلوا المسلمين ومن يقيم شريعة الإسلام ، وسبوا المسلمين ، وغزوا مكة وغيرها ، وأحرقوا المصاحف ، وصنعوا ماهو معلوم ، فلهذا خفي على أولئك ذكر رسول الله ﷺ وإذا تدبرت هذا إن دارت بصيرتك بصدق قوله في قصة نوح عليه السلام : « تلك من أبناء الغيب نوحياها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين » (١).

فهذا جرير وبجيلة يقولون : ومن موسى ، وما التوراة ؟ وإن كنت قد علمت بعقلك بما تقدم لك ، أنه ﷺ ما عرف ما أقصه من قصة نوح وغيره من الأنبياء إلا بالوحي . وانظر كيف صنع جرير وبجيلة في معرفة أخبار رسول الله ﷺ ، فإنهم ابتدؤوا فسألوا عنه أهل بلده ، وأهل بيته ، ومن رباه ، ومن ربّي معه ، وأعداءه ، ومن ناصبه وطلب عثراته ، فعرف ما عندهم ، فلم يجد عيباً ولا مطعناً ، فرجع إلى قومه بمن معه فأخبروهم بما سمعوا ، ثم تخيروا عقلاءهم وفضلاءهم فأرسلوهم إلى المدينة فسألوه وسمعوا منه ، وهذا غاية ما يفعله العاقل الحازم المرتاد الطالب .

فتأمل هذا وما قبله من تلك المحافل والمقامات والمواطن التي تقدم لك ذكرها ، مما كان بمكة وبأرض العرب وبأرض الحبشة وبالشام عند ملوك الروم وبالعراق عند ملوك الفرس ، وأحضره فهمك ، وواصل درسه ، وتدبر

قول قريش لحرير وبجيلة في رسول الله ﷺ أنه ساحر ، فإنهم لما سمعوا القرآن ورأوا غيره من آياته ودلالاته ﷺ فلم يمكنهم دفعها بالحجة ، قالوا : سحر وهذا ساحر ، وإنما يقولون ذلك لما لطف وغمض ودقّ وأخذ بالعقول : هذا سحر وهذا ساحر ولهذا قال أبو جهل حين خرجوا ومعهم القافة في طلب رسول الله ﷺ حين هاجر ومعه أبو بكر في قصة الغار : والله إني لأراه معنا في بعض هذه الشعاب يرانا من سحره وما نراه ، ولما نزل قوله عز وجل : « وأنذر عشيرتک الأقربين »^(١) سأل ﷺ عمه أبا طالب ليجمعهم له ، فكان يراجعه ويدافعه ، ثم أجابه لما يعرف من صدقه ولشدة محبته له فجمعهم ، فلما حضروا ، أطعمهم حتى امتلثوا شبعاً من يسير من الطعام ، وسقاهم حتى أرواهم من عسّ لبن ، ثم ابتداء بدعوتهم وإنذارهم لأن الله أمره بذلك ، وأنه قال للملك : إني إن فعلت ذلك تفلق قريش رأسي فلق الخبزة^(٢) ، فقال لي : يا محمد ، إنك إلا تفعل ذلك تُعذّب ، وإن الله قد اتخذ لك جنداً تبعثهم ، وإن الله ينزل عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرأه نائماً ويقظان ، وإن قريشاً والعرب ليست على شيء من الله ولا لله ، وإن الله / يقول : « إني خلقت عبادي جميعاً حنفاء مسلمين ، وجعلت ما يحلهم من رزق فهو لهم حلال ، فأحالتهم الشياطين على دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم ، وأمرتهم أن لا يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً ، وأمرتهم أن لا يغيروا خلقي . فقطع أبو لهب كلامه وأمر أصحابه بالقيام فقاموا وخرجوا ، وتحادوا أنه أشبعهم وأرواهم من ذلك الطعام والشراب اليسير الذي لا يكاد يشبع الواحد ولا يروي ، فقال أبو لهب : هذا من سحره ، وهذا بعض سحره ، كالذي قالوه لحرير وأولئك الرهط من بجيلة .

وهذا المقام الذي كان له مع قريش كنتك المقامات التي قد تقدم ذكرها من

(١) الشعراء ٢٤٧

(٢) فلق الخبزة : كسرتها أو شطرها

شأن الإسراء وقصة الروم وغير ذلك ، لا يرتاب بها العلماء ولا يشكون فيها . وقد علمت أن إسلام الأنصار كان في الاستقصاء وطول السؤال والمراجعة أشد من استقصاء جرير وبجيلة ، وفي نحو ذلك كان إسلام قبائل عبد القيس ، وهذه كانت سبيل قبائل طي . وتأمل أحوال قريش من أعداء رسول الله ﷺ فيما كان يظهر من آياته ، ويصدق من أقواله ، كيف كان يرجع بعضهم إلى بعض في الرؤساء خاصة ، إن هذا الرجل ماتزل له قدم ، ولا يخلف في شيء قاله ، ولا يغني كيدنا له شيئاً ؛ متأسفين ومتحسرين على ما يجيب من سعيهم ، فيقول بعضهم لبعض : فلعله نبي كما يقول ، فنحن جميع وهو وحده ، ونحن أغنياء وهو فقير ، فيقول بعضهم لبعض : هذا من سحره .

ولما دخل سعد بن معاذ الأنصاري رحمة الله عليه مكة بعد هجرة النبي ﷺ اليهم ، نزل على أبي بن خلف وكان خلاً له ، فأراد أن يطوف بالبيت ، فخاف عليه ابن خلف قريشاً ، فقال له : اصبر إلى أن يخف الناس ، فلما خفوا خرجوا وطاف ، فأبصره / أبو جهل فقال له : أتطوف بالبيت آمناً وقد آوتهم محمداً ، لأفعلن ولأفعلن ، فخاصمه ابن معاذ وجادله ولامه في عداوته لرسول الله ﷺ ، وذكر عذرهم في قبولهم منه ﷺ ، وأنه جاءهم بالنور والهدى ، وأنكم على ضلال في تكذيبه ، فلم يكن عنده ولا عند قريش حجة ولا ما يشبه الحجة ، من ذكر زلة أو هفوة يصرفون سعد بن معاذ والأنصار عنه مع حاجتهم إلى ذلك . واستطال سعد على أبي جهل ، فقال له أبي بن خلف : أترفع صوتك على أبي الحكم وهو سيد البطحاء ، فقال له سعد : أما أنت فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله يقتلك ، فراع ذلك ، ودخل على امرأته كئيباً ، فقال لها : أما تسمعين ما قال أخي الثيربي ، زعم أنه سمع محمداً يقول إنه يقتلني وما كذب محمد قط . فلحق المرأة من الرعب أكثر مما لحق أبيتاً ؛ فلما

١/٢٤٣

كانت بدر ، قال له أبو جهل : اخرج معنا ، فقالت له امرأته : اذكر ما قال أخوك اليربوعي ، فكره الخروج ، فما تركه أبو جهل حتى أخرجه ، فقتل كما قال رسول الله ﷺ .

والذي بدأنا به وأردنا ، خوض أهل مكة في عداوته ﷺ واجتهادهم في صرف الناس عن اتباعه بكل وجه وحيلة فلا يجدون مطعناً ، واتصل بهذا ، اخباره ﷺ عن قتل أبي بن خلف فكان كما قال ، وهذا آية أخرى .

وكم لا موانعهم فيما بينهم لما نزل بهم ببدر ، وقد كانوا خرجوا واثقين بالظفر برسول الله ﷺ وأصحابه لقتلهم وضعفهم ، ولقوة قريش بالكراع والسلاح والمال وكثرة العدد ، وكم تلاوموا فيما بينهم حين رجعوا من أحد وقد خرجوا في ثلاثة آلاف ، وهم لا يشكون أنهم يظفرون برسول الله ﷺ وأنهم يسبون المدينة ، ومعهم أبو عامر الراهب / كما تقدم لك .

ب/٢٤٣

ولما رجعوا مع الأحزاب والخندق وقد جمعوا تلك الجموع ، فنزل بهم من الريح والربع ما قد تقدم لك ذكره ، تجمع كل قوم إلى رئيس وصاحب يتعجبون من ذلك ، فقال عمرو بن العاص للذين اجتمعوا إليه : والله إني لأرى أمر محمد يعلو على الأمور علو المنبر ، فتشاوروا فيما يصنعون ، فقال عمرو : إني قد رأيت رأياً ، قالوا : وما رأيت ؟ قال : رأيت أن نلحق بالنجاشي — وكان له صديقاً — فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي فإننا أن نكون تحت يده أحب اليانا من أن نكون تحت يد محمد ، وإن ظهر قومنا فتحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير . وصاروا إلى النجاشي ، فأقاموا عنده . وورد على النجاشي عمرو بن أمية الضمري رسول رسول الله ﷺ (١) ، وأفاضوا في ذكر رسول الله ﷺ وما أتى به وما دعا إليه ، فأجمعوا على حسن

(١) انظر سيرة ابن هشام ٢٢٤ و ٣٢٤

ذلك ، وعذلم النجاشي في إبطأهم عنه ، فما وجدوا في رسول الله ﷺ غميرة
يذكرونها أو يحتجون بها ، فكروا راجعين إلى مكة . وقد رحلوا إلى النجاشي
غير مرة ، وكانت له معهم في هذا الشأن محافل ومجالس .

ولقد قال خالد بن الوليد بن المغيرة لأصحابه وأهل أنسه قبل إسلامه وقبل
هجرته : والله لقد استقام الميسم ، وإن الرجل لنبىّ فحتى متى ؟ ثم هاجر وأسلم
بعد الحديبية ، وهاجر بعده عمرو بن العاص وأسلم ، وكان منهما ما هو
معلوم .

ولما قسم رسول الله ﷺ شعره على أصحابه في حجة الوداع ، مازال خالد
ابن الوليد يضرع ويقول : يارسول الله ناصيتك ، يارسول الله ناصيتك ، فيها
أرجو النصر ، فنأدى أبو بكر الصديق في الناس متعجباً ومعتبراً ومنبهاً ، وقال :
أيها الناس ، هذا / خالد بن الوليد الذي لقينا منه بيدر وأحد والخذق
والحديبية مالمقينا ، انظروا اليوم إليه وإلى بصيرته .

ولما قسم رسول الله ﷺ غنائم أوطاس ، وأعطى المؤلف ما أعطاهم ، قال
عبيدة بن حصن : أنا ابن الأشياخ ، أنا عبيدة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، فقال
ﷺ : خير الناس يوسف بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم ؛ وكان ﷺ يقول
في عبيدة بن حصن : الأحمق المطاع ، وكان من أمره معه ، ومع الأقرع
ابن حابس ، والعباس بن مرداس المسلمي ، وتلك المؤلف ، ما هو معلوم (١)

ولما أعطاهم من تلك العناية ما أعطاهم ، وحرّم السابقين والبدرين
والمهاجرين والأنصار ، قال قائل من الأنصار : نظهر على هذه الغنائم بأسياننا
ويأخذها هؤلاء دوننا ، وبلغه ذلك ، فأرسل ﷺ ، وجمع الأنصار ، وقال :

(١) سيرة ابن هشام ٤ : ٤٩٢

أخبروني عنكم معشر الأنصار ، ألم تكونوا ضللاً فهداكم الله بي ؟ قالوا بلى ، قال : ألم تكونوا أعداء فألف الله بين قلوبكم بي ؟ قالوا : بلى ، قال : فما مقالة بلغتني عن بعضكم ؟ وأعاد عليهم القول ، فقالوا : يارسول الله أيما كان ، هذا من بعض أحداثنا ، فأما نحن فراضون . فقال ﷺ : هذا مال تألفت به قلوب هؤلاء الذين عهدهم بالإسلام حديث ، وببصائرهم ضعف ، أما ترضون أن يرجع الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله إلى رجالكم ؟ قالوا : بلى ، رضينا ؛ وبكوا ، فقال رسول الله ﷺ : لو شئتم أن تقولوا أتيتنا طريداً فأويناك ، ومخدولاً فنصرناك ، لقلتم ، فزاد بكأؤهم وخشوعهم ، وقالوا : المنّة علينا في ذلك لله ولرسوله .

وكم قد كان مثل هذا ، فتأمل هذا المقال والفعال للفريقين من المؤلفّة ومن الأنصار ، ففيه / العبرة الكبيرة والبصائر النيرة ، وتأمل سيرته ﷺ في السابقين والبدرين ، لأهل بيته ، وفي ولده وأزواجه ، كيف حرّمهم الدنيا وحماهم منها ؟ ، وكيف ملأ قلوبهم بالوعيد والمخاوف ؟ ، وكيف جعلهم أسوة الناس كلهم في الأحكام والقصاص والحلال والحرام ، وفي أن من حازت شهادته من العجم والموالي على الحاكمة والحجّامين والزباليين ، حازت شهادته على القرشيين والهاشميين والسابقين والبدرين ، وكيف حرّم الصدقات على أهل بيته وأوجبها في أموالهم للناس ، وكيف شرع وبين أن الخطأ والزلل جائز على كل واحد من أصحابه وأهل بيته وخاصته ، ووصى بمراعاة أفعالهم وأقوالهم وأن يذكروا وأن يعلموا وأن يتفقوا حين جعلهم قواماً على المسلمين ، ووكلاء وخداماً ، لما علم الله عز وجل أن الأتقياء والأولياء الأذكياء من قريش ، أحرص على رشاد المسلمين وصلاتهم من سائر الناس ، فقال فيهم : استقيموا لقريش

ما استقاموا لكم ، وتلك الأقوال التي قد تقدم لك ذكرها ، فأحضرها فهمك
وتأمل ما فيها .

ثم لم يجعل العصمة والأمانة من الزلزل في دين الله إلا له وحده إلى يوم القيامة ،
لا يشاركه أحد فيه ، ولا يقوم مقامه ولا يسدّ مسدّه ، فقبلوا كل ذلك
منه ، وخضعوا له ، وتدينوا به ، وأجابوه إلى ذلك على تلك الشرائط التي تقدم
ذكرها ، لتعلم بمكان الاعلام والدلائل والبراهين التي انتقضت بها العادة
فبهرت عقولهم ، وقد كانوا من أعظم الناس نخوة وأنفة وحمية ، ثم لا تجدهم
لما صحبوه واختصوا به وأجابوه حدث لهم نبوه عنه ، ولا نفور منه ، ولا طعن
ب/٢٤٥ عليه في دينه / لشيء وقفوا عليه ، أو وقف عليه واقف ، أو استراب فيه
مريب في شيء من أحواله ، لا من الرجال ولا من النساء ، ولا من الخدم ، ولا من
الأزواج ، لا في حياته ولا بعد وفاته ، وأزواجه عدد كثير وهن ضرائر ،
وفيهن بنات أصحابه وخاصته ، وفيهن بنات أعدائه .

فإن قيل : أوليس الرافضة تدّعي أنه قد شهد بالعصمة لابن عمه عليّ
ابن أبي طالب ، وأنه كالأنبياء في أن الخطأ والزلزل لا يجوز عليه البتة في حال
من الأحوال ، ولا يلحقه سهو ولا غفلة ، وأنه يسدّ مسدّه ويقوم مقامه ،
وأنه مفزع الخلق ، وكذا ولده بعده ، فيهم من يقول ثلاثة ، ومنهم من يقول
سبعة ، ومنهم من يقول اثنا عشر ، ومنهم من يقول أكثر .

قيل له : إنا لم نقل أن هؤلاء ادّعوا هذا ، ولا أخبرنا عنهم ، وإنما
أخبرنا عن شرعه صلى الله عليه وسلم وستته ووصاياهم ، لا عما يقول هؤلاء . وقد تقدم لك
الأدلة على بطلان دعاويهم ، وأن أصحابه كلهم من أولهم إلى آخرهم
أطبقوا على ذلك قرناً بعد قرن ، ثم الذين يلونهم ثم التابعين لهم ، ثم الذين يلونهم
في القرون والاعصار ، إلى زمن هشام بن الحكم ؛ فإنه ابتدع هذا القول ، ثم

أخذ عنه الحداد ، والوراق ، وابن الراوندي ، وأرادوا به كيد رسول الله ﷺ وإفساد دينه ، وتشكيك الناس في نبوته ، وأحوالهم في شدة عداوته معروفة ، وقد تقدم لك بيان ذلك والبرهان عليه بما لا حاجة لك إلى إعادته .

وقد ذكر أبو علي رحمه الله طرفاً من ذلك في «التفسير» وفي «نقض الإمامة على ابن الراوندي» ، وذكره غيره من العلماء . والعلماء يقولون : إن من قال : إن رسول الله ﷺ جعل مفرع الدين أرسل اليهم ، واتباعه في العلم بالحلال والحرام إلى واحد ، كمن قال ما أرسل إلا إلى ذلك الواحد ، / ولا آمن به ولا اتبعه إلا ذلك الواحد ، ولا زكّى ولا مدح إلا ذلك الواحد ، ولا شهد بالجنة إلا لذلك الواحد ، قالوا : وإنما تكلم من قال إن بعض أصحابه أعلم من بعض وأوعى وأحفظ ، وأنه ما استخلف على أمته واحداً بعده كما استخلف أبو بكر ويدله على ذلك .

فأما من قال ذلك القول فسبيله ما ذكرنا ، ونظيره ما مثلنا . وهؤلاء يدعون أن رسول الله ﷺ بين عصمته وعصمة ولده ، ونصّ لأمته على ذلك ، وأداه لهم بحسب وجوبه على كل واحد منهم من عبد وحر ، وذكر وأنثى ، وحضهم على ذلك ، وأن الاعلام والمعجزات كانت تظهر عليه وعلى ولده ، وأنها ظاهرة إلا على إمام الزمان الذي هو معنا وحجة علينا .

وقد علم كل عاقل سمع الأخبار أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قد ابتلى من الخلاف والتضليل والتخطئة والإكفار ما لم يُسبَلْ بمثله أبو بكر ، ولا عمر ، ولا عثمان ، فما احتج لنفسه بأنه معصوم لا يجوز عليه الخطأ ، ولا أن النبي نصّ عليه ووصى إليه واستخلفه ، ولا بأن المعجزات ظهرت عليه مع حاجته إلى ذلك ، ولا احتج له من يخاصم عنه في زمانه مثل الحسن والحسين ، وعبد الله بن العباس ، وقيس بن سعد وأبي أيوب

الأنصاري ، وصعصعة بن صوخان ، وعدي بن حاتم ، وعثمان بن حنيف ،
 وسهل بن حنيف ، وجهر بن عبد الله ، وعمران بن حصين ، وشريح بن
 هاني ، والأحنف بن قيس ، وأبي الأسود الدؤلي ، وغيرهم ممن أرسلهم إلى
 من خالفه من أهل البصرة ، ومن أرسله إلى أهل الشام ، ومن أرسله إلى الخوارج ،
 ومن أرسله إلى أهل الكوفة يستنفرهم حين قعدوا عنه بمشورة عامله أبي
 موسى ، وكان يجادل عنه بحضرة من كان يرد عليه من رسل معاوية ، ويجادل
 الخوارج ، لا يعرفون شيئاً مما يدعيه هؤلاء بوجه من الوجوه ، ولا يرجع فيما
 يحتاج به رضي الله عنه إلا إلى الاجماع ، فيقول : وجبت طاعتي كما وجبت /
 طاعة أبي بكر وعمر وعثمان ، لأنه قد بايعني من بايعهم ، وإنما الأمر
 في الإمامة إلى السابقين والبدرين من المهاجرين والأنصار ، لا إلى الطلقاء
 وأبناء الطلقاء ، ويحتج بأنه من أهل الشورى التي وضعها عمر ، ويحتج في
 التحكيم بالقياس ، ويردّه إلى الاجتهاد ، ويقول : قد أمر الله بإرسال الحكّمين
 في شقاق يقع بين المرأة وزوجها وفي أرنب تصاب في الحرم قيمتها ربع
 درهم ، فكيف بإمامة قد أشكلت على المسلمين ، ويشير عليه ولده وأهله
 وأصحابه وخاصته الذين قدمنا ذكرهم وغيرهم ، ويقولون : له : الرأي أن
 تفعل كذا وقد فعلت كذا ولم يكن الرأي أن تفعله ، كما قال له الحسن ابنه
 وابن عباس حين قبل البيعة ، و كما قال له قيس بن سعد في شأن مصر ، وحين
 قال له الأحنف في شأن التحكيم ، ففي آرائهم ما يأخذ به ويدع رأيه لرأيهم ،
 ومنه ما يقيم على رأيه دون رأيهم ، ويقول : هو أصوب . وإذا فعل الشيء
 يسأل الناس عنه ، هل هو صواب أم خطأ ، ويسمع منهم ، ويجادلهم ، ويعتذر
 إليهم ، ويبين وجه الصواب . كما قال لبعض أصحابه لما حكّم بالشام ورجع
 إلى العراق فقال لخاصته : ما يقول أهل الرأي ؟ :

١/٢٤٦

فقيل له : أما أهل الرأي فيقولون : إن علياً كان له بناء فهدمه ، وكان له جمع ففرقه ، فحتى متى يبني مثل ما هدم ، ويجمع مثل ما فرق ، فلو أنه إذ عصاه من عصاه مضى بمن أطاعه فيما فتح وإما قتل ، فكان أعذر مما صنع ؛ فقال رضي الله عنه : أنا هدمت أم هم ؟ ، أنا فرقت أم هم ؟ وأما قولهم : لو مضى بمن أطاعه من أصحابه إذ عصاه من عصاه ففتح أو قتل فكان أعذر ، فوالله ما غيبي عليّ هذا الرأي ولا ذهب عني ، ولكن كان هذان ، يعني الحسن والحسين ، متى حملت اتباعاني ، وهذان: يعني محمد بن الحنفية وعبد الله ابن جعفر / بن أبي طالب يقدماني فكرهت أن يهلك هذان فلا يبقى لرسول الله ﷺ ذرية ، وكرهت أن يهلك هذان فإنهما شابان ومن أجلي أقدم ، وسترين إذا عدت إن شاء الله إلى الشام ، لا أدع هؤلاء في عسكري .

فانظر كيف يباحث أهل الرأي ويقبل الصواب ويحمده ويبين عذره لما هو .

ولما قال له قائل بالكوفة : ذهبت إلى الشام ورجعت فلم تصنع شيئاً ، فيكون من جوابه ، أن على الانسان أن يجتهد رأيه ، ولا لائمة عليه بعد ذلك .

ولا يحتاج في شيء من ذلك بنص ، ولا حكمة ، ولا عصمة ، ولا آية ولا معجزة ، ولا يقول : هكذا وصاني رسول الله ﷺ وقال لي : ينبغي أن تفعل كذا ، ويقول لأهل الكوفة : اخترتكم على أهل البصرة وظننت أن عندكم ما أحب من الطاعة والنصرة ، فقلت لابن عباس هؤلاء أشد شوكة ، وهم أزالوا كسرى عن ملكه ، فلم تكونوا كما ظننت .

وخطبهم مرة فقال :

ليتني لم أركم ولم أعرفكم معرفة والله جرت ندماً ، وملائم قلبي غيظاً ،

وجرعتوني بكأس التهام أنفاساً .

ويقول في بعض أقواله : ندمت على كذا ، ويقول (١) :

إني عثرت عثرة لا أجتبر — سوف أكيس بعدها أو أستمر

وأجمع الرأي الشيت المنتشر

وقد قال في الجدل بأقوال مختلفة ، ورجع من قول إلى قول ، وكذا في الخلية والبرية ، وفي أمهات الأولاد ، وفي غير ذلك ، وهو في الاجتهاد وفي الرجوع من قول إلى قول أشهر من أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وابن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وكان يستقضي ويستعمل من يخالفه في الاجتهاد والرأي ، ويحكم بغير قوله ، مثل ابن عباس ، وشريح بن الحارث ، وأبي مسعود البدري ، وأبي موسى الأشعري ، وغيرهم . وكان الناس في سلطانه وفي بلدان ملكه / وحيث ينفذ أمره ، والبلدان التي هو فيها وفيها عماله ، يفتي الناس فيها بالرأي والاجتهاد ، بما يخالف اجتهاده ورأيه ، مثل من كان بالكوفة من أصحاب عبد الله بن مسعود ، ومن بالمدينة من زيد بن ثابت وغيره ، ومن بالبصرة ، ويعلم بذلك ويجاريهم فيه ، فلا ينكره ولا يردّه ، بل يسوغهم ، ويصوب الأحياء ويترحم على الموتى ، حين حكم أهل الكوفة في إبل ابني عم ، أحدهما أخ لأم ، فجعلوا أهل الكوفة المال كله للأخ للأم ، فقال لهم : لم فعلتم ذلك ؟ قالوا : هكذا فعل ابن مسعود ، فقال : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، وكان مذهبه غير هذا ، إلى ما لا يحصى كثرة .

ولقد قالت العلماء : العلم بأن النبي عليه السلام مانصّ على عليّ ولا استخلفه ، ولا كان علي يدعي النصّ والوصية والعصمة ، أقوى من العلم بأنه

(١) كتبني هامش الصفحة « من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه » .

مانصّ على عمار ، ولا على بلال ، ولا على أبي ذرّ ، لأنّ علياً قد كان في زمن أبي بكر وعمر وعثمان ، وبقي بعدهم خليفة وسلطاناً مائة ألف سيف تطيعه وتنقاد لأمره ، وقد خوصم وخولف ونوزع ، وجادل وخاصم أصحابه وأهله عنه ، فما احتج قط بنص ولا وصية ولا عصمة مع حاجته إلى ذلك ، ولا احتج له أحد من أولئك .

ومن عجيب أمر هؤلاء الإمامية أنهم يقولون : إن رسول الله ﷺ قد كان عرفه عدوّه ووليّه وما يجري عليه بعده ، وأنّه خرج إلى صفين وهو يعلم أنّه لا يظفر بمعاوية ، وأن معاوية سيرفع المصاحف ، وينقض تدبيره ، ويفسد عليه أصحابه ، ويرده كئيباً حزيناً ، وأن عمرو بن العاص سيغلب صاحبه أبا موسى إذا أنفذه للحكومة ، ويجعل ذلك حجة لأهل الشام . وأن عبد الرحمن ابن ملجم سيقتله في تلك الساعة ، وأنّه خرج إليه وهو يعلم أنّه ينتظره ليقتله ، وأن الحسين عليه السلام ، وجه بابن عمه مسلم بن عقيل إلى أهل الكوفة ليأخذ البيعة عليهم / وهو يعلم أنّه لا يتم له أمر ، وأن عدوه سيقتله ، وأن أهل الكوفة لما كاتبوه بالمصير اليهم وضمنوا له النصر فقبل كتبهم وقولهم وسار اليهم وهو يعلم أنّهم لا يفون له ، وأنّه إذا صار اليهم ومن معه سيقتلونهم ويقتلون إخوته ، ويحملون رأسه وذريته إلى الشام ، وأن أمير المؤمنين استعمل مصقلة بن هبيرة الشيباني واثمنه على كورة أردشير حرة وعلى مال بني ناحية ، وهو يعلم أنّه سيغدر به ويخونه ويصير إلى معاوية ، وأنّه استعمل زياد بن سمية الثقفي على كورة اصطخر ، وهو يعرف عداوته له ، وما يؤول إليه أمره من مصيره بعده إلى معاوية ، وقتله لشيعته ، وإظهاره للعهن ، وقتل ابنه عبيد الله للحسين عليه السلام ، وكذا خالد بن المعمر السدوسي وسائر من خانه من عماله ، الذين استعملهم واختارهم فخانوه وغدروا به ، وأنّه استعمل قيس

ابن سعد على مصر ، ثم أظهر تهمته وتفصيله والخوف من خيانتة فعزله ، مع شهامته وكفايته وأمانته وثقل وطأته على عدوه معاوية ، واستعمل على مصر بدلا منه محمد بن أبي بكر الصديق ، وهو يعلم أنه يقصر عن منزلة قيس ، وأن معاوية سيقتله ويقتل أصحابه ، وأنه بعد قتل محمد أنفذ الأشر والياء على مصر ، وهو يعلم أن صاحب القلزم سيقتله ، وأنه والأئمة من ولده كانوا يعلمون ضمائر الخصوم الذين يرتفعون اليهم ، ومن المحق منهم ومن المبطل ، ويعرفون ضمائر الشهود والذين يشهدون عندهم ، ومن هو الكاذب من الصادق .

والعلم رحمك الله إنما يحتاج إليه لاجتلاب المنافع ودفع المضار ، فهذه موضع الانتفاع بتقدمة المعرفة ، ولولا ذلك لكان طلب العلم جهلا ، والرغبة في المعرفة عناء ، والله عز وجل يقول لنبيه : قل يا محمد : « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء » (١) ويقول له في قوم كانوا يظهرون له الحيل فيظن ذلك بهم : « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام » (٢) وقال له في آخرين ظن بهم هذا الظن : « وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم » إلى قوله : « هم العدو فاحذروهم » (٣) وقد قال ﷺ (إنكم لتختصمون إليّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، وإنما أحكم بالظاهر والله هو المتولي للسرائر ، فمن قضيت له بشيء بغير حق فلا يأخذه ، وإنما أقطع له قطعة من النار) وهذا باب لا يتكلف نقضه على الخصوم ، وإنما ذكرناه على طريق التعجب ، فإن من عرف أمير المؤمنين وولده رضي الله عنهم ، يعلم أنهم كانوا لا يعلمون مايدعيه هؤلاء عليهم ، وأنهم كانوا يعملون فيها بظنونهم

١/٢٤٨

(١) الأعراف ١٨٨

(٢) البقرة ٢٠٤

(٣) المنافقون ٤

وما يغلب على رأيهم ، وهؤلاء يزعمون أنهم كانوا يقصدون ما يفسد أمرهم
ويقتل نفوسهم وأحبابهم ، ويشمت عدوهم ، ويميت سلطانهم ، ويكسر
عساكرهم ، ويمكن لعدوهم على علم ويقين ؛ فإذا الجهال من أعدائهم الذين
يعملون بالجهل والخط ، ويختارون لأنفسهم بجهلهم ونقضهم أسلم على
عمالهم وأصحابهم من معاوية وبني أمية من هؤلاء العالمين المعصومين . فلو أراد
مريد أن يبالغ في سب هؤلاء السادة صلوات الله عليهم لما بلغ منهم ما بلغ هؤلاء
الذين زعموا أنهم لهم شيعة وأولياء . ولكن العلماء قالوا : إن أوائلهم أشدّ
الناس عداوة لرسول الله ﷺ ولدينه ولأهل بيته ، فلم يمكنهم المكاشفة بذلك ،
فادّعوا أنهم شيعة ، وتسترأ بذلك ، وسبّوهم هذا السبّ ، وطعنوا عليهم
هذا الطعن ، الذي لم يبلغه العدو المكاشف بعداوتهم من الحرورية وبني أمية (١) .

وكذا يقول العلوية من بني الحسن ، والزيدية من بني الحسين ، والقاسمية ،
والناصرية : الرافضة أضّرّ علينا وأنكأ فينا من الحرورية وبني أمية الذين ولغوا
في دماننا .

ب/٢٤٨

ومما يزيدك في العجب قولهم : إن النبي ﷺ ، / وأمير المؤمنين ، والذين
يدّعون لهم الإمامة من ولده يعرفون اللغة الفارسية والرومية والهندية
والقبطية والتركية والديلمية وسائر اللغات ويتكلمون بها ، ولا يجوز أن يكون
في أهل هذه اللغات أحد أعلم بها منهم ؛ قالوا : يجب أن يعلموا ذلك بدليل
العقل ، ولو لم يعلموا ذلك لكان نقصاً فيهم وهم حجج الله على خلقه ، والإمام
لا يترجم له ولا يحتاج إلى ترجمان إذا حضره الخصوم ، ولا بد من أن يكون
علماً بجميع اللغات ؛ قالوا ويجب أن يعلم جميع الأقلام ، ويكتب بها ، ويقرأ
ما كتب بها ، ويخط بالأقلام كلها ، ولا يجوز أن يكون أحد أكتب منهم فقد
سبّوهم وانتقصوهم ، وأنهم قد كتبوا الكتب كلها ، وكتبوا بالأقلام كلها

بالخطوط التي لا يكون أحسن منها ، ونطقوا باللغات كلها ، وأن النبي ﷺ قد كان قرأ صحف إبراهيم ، وما نزل على آدم ، ونوح ، ودوسى ، وداوود ، وعيسى ، وجميع الأنبياء ، بتلك الألسن ، وكتبها بتلك الأقلام .

وأنت تجده ﷺ يحتج في نبوته على عدوه حين تلا عليهم ما في كتبهم بأنه من قبل الله وعلمه ، وأنه ما تلا قبله كتاباً ولا خطه بيمينه إذ لا رتاب المبطلون . ويدلّ بذلك ، ويستطيل على الخصوم ويقول : إن الله قد نعتة ووصفه للأنبياء قبله بأنه النبي الأمي ، وهؤلاء يقولون لم يكن الأمر كذلك ، وزعموا أنهم يمدحونه بهذا القول وفيه تكذيبه . فتأمل ما يجلب هؤلاء على رسول الله ﷺ وعلى دينه من المكاره وهم يتجاوزون هذا إلى أن هؤلاء القوم يعلمون ما تريده السباع بعوائها ، وكذا جميع الطير والبهائم ، وهذا لهم مسطور ، وأنت فقد علمت بدليل عقلك أن رسول الله ﷺ ما قرأ كتاباً قط ولا خطه بيمينه كما تقدم ذلك ، وبأي

شيء تعلم أن أبا بكر وعمر وعثمان والعباس / وعبد الرحمن وأمثالهم ما كانوا (١) يكتبون بهذه الأقلام ولا يحسنون هذه اللغات إلا والعلم بأن رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين والحسن والحسين رضي الله عنهم ما كانوا يحسنون ذلك أقوى وأظهر ، وأن هؤلاء ما كانوا يكتبون إلا بالعربية ، وأن رسول الله ﷺ ما كان يكتب لا بالعربية ولا بغيرها من الأقلام ، وهم يدعون على رسول الله ﷺ وعلى هؤلاء الذين يدعون لإمامتهم أنهم كانوا يحسنون الصنائع كلها ، وأنهم أعلم الناس بها ، من النجارة والحياطة والصباغة ، وكل صناعة في الدنيا صغرت أو كبرت ، ارتفعت أو اتضعت ، وأن رسول الله ﷺ كان أعلم بالشعر من كل شاعر ، وقد علم أهل المعرفة بعقولهم أنه ما كان يحسن شيئاً من ذلك البتة ، ولا يروي لغيره شيئاً منه البتة ، وأنه كان لا يقيم بيتاً واحداً يرويه لغيره كما يرويه

(١) في الأصل « كان » ولعل الصواب ما أثبتناه

العرب والعجم ، والفصيح والأعجم ، ولا يستقيم له ، ولا يجري على لسانه ،
والله عز وجل يقول : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له »^(١) فمن هذا الجنس
مدائحهم لرسول الله ﷺ وأهل بيته ، وهو الغاية في تكذيبه والظعن في
نبوته .

وانظر إلى قولهم فيهم أنهم كانوا يعلمون المكاره التي كانت تنزل بهم ،
وتفسد أمرهم ، وتشمت عدوهم ، وكانوا يسعون إليها على عمد وعلم ، والله
قد أقامهم حتى يحفظوا عباده ويمنعوهم من الفساد ، ولا يمكنوا من غفر حمار
يهودي ، وهم يمكنون من أنفسهم وعايهم على علم ، والله يقول : « ولا تلقوا
بأيديكم إلى التهلكة »^(٢) ويقول : « ولا تقتلوا أنفسكم »^(٣) « وخذوا حذركم »^(٤)
ويقول في قصة سليمان ﷺ : « فلما قضينا عليه الموت مادّهم على موته إلا
دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرّ تبينّت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب
مالبثوا في العذاب المهين »^(٥) يقول عز وجل : إن الجن / وعفاريتها كانت
تدعي علم الغيب ، وفي الانس من يدعي ذلك لها ، وكان سليمان عليه السلام
واقفاً بإزائها ، ويستعملها في تلك الأعمال الشاقة المؤذية المهينة ، وهي تعمل
خوفاً منه ، وهو متكئ على عصاً كانت في يده ، فتوفاه الله عز وجل على
تلك الحال ، والشياطين لا تعلم ، وهي تعمل وتظن أنه يراها ويشاهدها ،
وكانت إن قصرت عدبها ، فهي تخاف نكاله بها ، فبقيت على هذا حيناً من
الدهر تظنه حياً وهو قد مات ، فلما أكلت دابة الأرض عصاه صلى الله عليه ،

(١) ياسين ٦٩

(٢) البقرة ١٩٥

(٣) النساء ٢٩

(٤) النساء ٧١

(٥) سبأ ١٤

تبيّنت الجن أنه قد مات منذ حين طويل وهو حذاءها ولا تعلم ، ولو علمت لا تنتفع بهذا العلم ، ولتخلصت من العذاب المهين ، فإنما يراد العلم بالعواقب لينتفع به ، وهؤلاء يدعون على القوم أنهم كانوا يعلمون العواقب ويلقون أنفسهم في المهالك ، وقد بيّن عز وجل أن يوسف عليه السلام لما أعلمه بالعواقب في تلك السنين انتفع بذلك العلم واستعمله ، فدفع به المضار ، واجتلب به المنافع ، وصار به إلى ملك الأرض ، وإلى أن خضعت له الملوك وألقت تقاليدها إليه فقرت عينه ، وعيّن كل وليّ له وسجنت عيون أعدائه وماتوا كمدأ فقال لهم : ستوالى عليكم سبع سنين خصبة ، فلا تغتروا واخزنوا الطعام ، فسيأتي بعدهن سبع شداد قحطة تأكلون فيها جميع ماخزنتم في السبع الخصبة وليكن ماخزنونه في سنبله وتبنه لثلا يعفن أو يقع فيه السوس ، ولا تخرجوا من السنبل إلا ما تتدبرونه ، حين قال لما سأله رسول الملك عن رؤيا الملك .

والله عز وجل يقول : « الذين قالوا لآخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين » ^(١) بيّن عز وجل ، أن العاقل إذا علم العواقب بدأ بنفسه فتحرز من المضار سلم من المكاره ، ثم بعد ذلك / ينتفع غيره إن شاء ، ففي وقوعهم في المكاره من أدلّ الدليل على أنهم لا يعلمون العواقب ، فلم قالوا لغيرهم : لو أطاعونا ما قتلوا ، ما في هذا فضيحتهم . وهذا مثل قصة سليمان مع الجن .

١/٢٥٠

فتأهل ما في هذا الكلام من الحكم البالغة ، فإنه وإن كان كلاماً في توبيخ الشيع فيما أضافوه إلى النبي صلى الله عليه وآله وإلى أهل البيت ، ففيه بيان شافٍ في تكذيب المنجمين والرد عليهم ، فقد قال لهم أبو الهذيل رحمه الله حين استدعاه المأمون

(١) آل عمران ١٦٨

وسأله الكلام عليهم فقال لهم : أخبروني أيما أيسر عندكم ، العلم بما سيكون ، أو العلم بما قد كان ^(١) ، فقال لهم : فأخبرونا عما قد كان ، إن شئتم بالبصرة ، وإن شئتم بالكوفة ، وإن شئتم ببغداد ، وإن شئتم في هذا القصر ، بأن تقولوا في خزانة الكسوة كذا وكذا صندوقاً أو رزمة أو عدلا ، وفي الصندوق الفلاني كذا وكذا قميصاً وكذا وكذا قباء ، وكذا وكذا عمامة ، وفصلوا ما في كل واحد منها ، وهو شيء قد كان ووجد ، وعرفه الخزان والفراشون ، ولكم الكلام . فسكتوا فما أحراروا جواباً ، وهذا شاف كاف بل زائد على الكفاية فما تحتاج معه إلى غيره في بيان فضيحتهم ، فاعرف ذلك .

وكذا قال لهم أبو الفضل جعفر بن حرب رحمه الله : إذا قلت إن النجوم تدل على ما كان ويكون ، وما هو موجود ومعدوم ، فما يمنعكم أن تستدلوا على كنوز كسرى وقيصر فتستغنوا بها عن خدمة الملوك ، وطلب ما في أيدي الناس ، والتدلل لهم لأجل ما عندهم ، وكذلك معادن الذهب والفضة والغوص على الدر ، فيجعلون للملوك عليه الجعل الثمين ، ويخبروهم بمبلغ ما فيها . وقد سألم أبو علي الجبائي عن مثل هذا ، وسألم أصحابه ، وهذا ما لا حيلة لهم فيه ، وإنما أنطق هؤلاء القرآن وما نبه الله عليه / عباده مما تقدم ذكره ، فعليك بمداومة درسه والفكر فيما تدرسه والتدبر له ، ولو كان للمنجمين فطنة الشيع وما عندهم لما انقطعوا في يد أحد ، فإنهم كانوا يقولون : قد علمنا ما كان وما يكون ولكن لا نقول ، ونخطيء على عمد ، ونفضح أنفسنا على عمد ، ونشمت أعداءنا على عمد ، ولو شئنا لا استغنيا وأغنينا من شئنا ولكن لا نفعل على ضرب من التدبير . وعلى قول الشيع لا يفتضح كذاب ، ولا تقوم حجة على محتال وكذاب ومتكهن ومتنبئ ، فإن كل واحد من هؤلاء يقدر أن يقول أنا نبي ، ولو شئت لأحييت الموتى وأخبرت بالغيوب ، ولكن لا أفعل لضرب

(١) لعل هنا نقصاً تقديره : «فقالوا بل العلم بما قد كان»

من التدبير ، ولمحنة امتحني الله بها كما تقول ذلك الشيع في أئمتها ، فلا يكون للشيعه معهم كلام ، ولا من قولهم انفصال .

فأما أنت رحمك الله ، فلو قال لك قائل من المنجمين أو المحتالين المتكسبين هذا لكان من جوابك أن تقول : أنا أعلم أنك تكذب لأنك مضطر ملجأ إلى أن تغني نفسك وعيالك ، وإلى أن لا تفضح نفسك وتشتت عدوك ، فأنت لا تعلم شيئاً مما ادعيت ولا تقدر عليه ، ولا تجد سبيلا اليه .

والعجب أن الشيع تزعم أن الله أطلع الأئمة على هذه الغيوب لأنهم حجج الله على خلقه ، ولتقوم حججتهم عليهم بهذه العلوم ، ثم لا يظهر من هؤلاء القوم شيء مما يدعون . مع حاجتهم إلى ذلك ، بل أفعالهم تشهد أنهم لا يعلمون ذلك ، وأنهم كغيرهم من طلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن ، فسبيل أمير المؤمنين سبيلهم ، بل الأمر في بابه عليه السلام أوضح في كذب هؤلاء عليه في ادعائهم له النص والعصمة والمعجزات ، وقد خالفه من ذكرنا ونازعهم في ٢٥١/ب وخصصهم فما احتج بشيء من ذلك مع حاجته اليه كما تقدم ذكر / ذلك في غير موضع من هذا الكتاب .

والعجب أن أمير المؤمنين رضي الله عنه يسأل عما كان من طلحة والزبير ، فيقال له : قد سارا مع عائشة إلى البصرة ، فيعجب ويقول : ماظنت أنهما يفعلان هذا ، ويسأل عن معاوية وأهل الشام ويتعرف بأخبارهم من واحد بعد واحد ، ويتعجب من إخراج من بالبصرة عامله عثمان بن حنيف منها بعد أن بايعوه ، وأنه ماظن أنهم يفعلون ذلك ، ولما سار إلى البصرة وصار بالريزة قال (١) : من له هداية بندي قار يهدينا ويعرفنا الطريق ، فجاء رجل فقال له : أنا من أهدي الناس بندي قار ، فسار بين يديه حتى جاء إلى ذي قار .

(١) الريزة من قرى المدينة على بعد ثلاثة أميال في طريق مكة . معجم البلدان

ولما اشتبكت الحرب بالبصرة قال للحسن ابنه عليهما السلام : يا حسن ، أما ترى ، ودَّ أبوك أنه قد مات قبل هذا اليوم بعشرين سنة ، قال له الحسن : قد أمرتك وخوفتك فعصيتني ، فقال : والله يا بني ما ظننت أن الامر يصير إلى هذا .

وكان ابن عباس يقول : كان علي رضي الله عنه لسابقته وقرابته يرى أنه لا يخالف ولا يريد أمراً إلا بلغه ، فلم يكن كما ظن .

ورأى عليه السلام على بنت له لؤلؤة من المال فعرفها ، فانزعج ، فقال : من أين لها هذه لله ، عليّ أن أقطع يدها ، فقال له أبو رافع خازنه على بيت المال لما رأى جدّه في ذلك : أنا والله يا أمير المؤمنين زينتها بها ، ومن أين كانت تقدر عليها لو لم أعطها ، فهدأ وسكت .

ودخل على الحسن عليه السلام رجل فقال له : من أنت ومن تكون ؟ فقال له : أنا رسول معاوية إليك ، فقال له : أو هكذا يدخل الناس على الناس ، اخرج فاستأذن وسلم ، ففعل ذلك ودخل / بعد أن أذن له ، فقال له : في أي ٢٥١ / ب شيء أرسلك معاوية ، فقال له : يقول لك أنت من أهل العراق على غررٍ ، قد راسلني ^(١) رؤساؤهم بأنهم يسلمونك إليّ ، وهذه كتبهم ، فألقاها بين يديه ليقرأها ، فلما وقف على ذلك قال : حتى أعرف ما عند الناس ، فخرج وعلا المنبر ، وجمع الناس ، ثم قال : يا أهل العراق ، الله الله في جيرانكم وضيغانكم من أهل نبيّكم ، فبكى الناس ، ثم خطبهم فقال : إنه والله ما ثنانا عن قتال معاوية شكّ ولا ندم ، وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر فشيبت السلامة بالعداوة ، والصبر بالجزع ، وقد كنتم في مبدئكم إلى صفيين ودينكم أمام دنياكم ، وقد أصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم ، وإنا كما كنا لكم

(١) في الأصل : أرسلني

ولستم كما كنتم لنا ، وقد أصبحتم بين قتيلين : قتيلا بصفين تبكون عليه ،
وقتيلا بالنهروان تطلبون بثأره ، والباكي خاذل ، والطالب ثائر ، وإن معاوية
قد دعا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة ، فإن أردتم الموت ردنا عليه وحاكمناه
إلى الله ، وإن أردتم البقية أخذنا لكم بالوثيقة فنادوه البقية البقية يا أمير المؤمنين ،
فجلس ، وتعجب أن معاوية قد صدق عليهم ، وقال : يا أهل العراق سخا
بنفسي عنكم قتل أبي وجراحتكم لي وانتهابكم متاعي .

ولما مات معاوية عزم الحسين عليه السلام على المسير إلى الكوفة ، أتاه عبد
الله بن عمر بن الخطاب فسأله عن رأيه ، فأخبره أن أهل الكوفة قد راسلوه
وبايعوه ، فقال له عبد الله بن عمر : لا تقبل منهم ولا تسر إليهم ، ولا تأمن
بني أمية ، فإنهم طغاة ضلال طلاب دنيا ، لا يباليون من قتلوا ، فلا تغتر
بأهل الكوفة فإنهم قتلوا أباك / وخذلوا أحاك ، وهم يسلمونك في طاعة بني
أمية . فقال الحسين : هذه كتبهم ، وقد بايعوني ، وأخذ عليهم مسلم بن عقيل
البيعة لي ، وكاتبوني بالقدوم عليهم ، وأنهم ينصروني ؛ وابن عمر يقول له
لا تثق بهم فإنهم يسلمونك ، والحسين عليه السلام يكذب عنهم ويذكر ثقته
بهم ، وأنه قد راجعهم ووجههم بما كان منهم ، وأنه وثق منهم أنهم لا يسلمونه
ولا يصنعون به ما صنعوا بأبيه وأخيه ، فلما رآه ابن عمر واثقاً بهم لا يقبل منه
فيهم ، قال له : استودعك الله من قتيلا .

وأتاه عبد الله بن عباس فنهاه عن المسير إليهم ، وقال له نحو قول ابن
عمر ، فأخرج كتبهم وأقرأه إياها ، يقولون : قد اخضرّ الجنب فأقدم ، فإنما
تقدم على جند مجتد . فقال له ابن عباس : لا تقبل منهم ، فإنما يدعونك إلى
القتال وهم يسلمونك ، والحسين يقول : ما كانوا ليفعلوا هذا وقد بايعوني
وعاهدوني وهذه كتبهم ، وأشار إلى خرج مملوء بكتبهم ، فقال له لا تفعل

فإنهم لا يفون . فلما رآه ابن عباس لا يقبل منه قال له : فلا تسر بعيالك معك فتقتل وهم يرونك .

فسار بعياله معه واثقاً بهم ليستوطن الكوفة ، مسروراً مستبشراً بأنه لا يلقي قتالا ، ولا من أهل الكوفة خلافاً ولا غدرآ ، وأنه يدخلها مع عياله بغير دافع ولا مانع .

ولم يكن عبید الله بن زياد بالكوفة بل كان بالبصرة ، فسار إلى الكوفة فأخذ مسلم بن عقيل فقتله ، وقتل هانيء بن عروة المرادي ، والحسين قاصد إلى الكوفة لا يعلم بشيء من ذلك . وأرسل أخاه من الرضاة إلى الكوفة ليعرف مسلم بن عقيل / وأهل الكوفة بأنه عليه السلام قد سار اليهم وقرب منهم ، فأخذه عبید الله بن زياد فقتله ، والحسين عليه السلام لا يعلم بشيء من ذلك .

ب/٢٥٢

فلما قرب من الكوفة لقيه من قد جاء من الكوفة يريد البادية ، فسأله عن الخبر فأخبره بقتل مسلم وهانيء والرضيع ، وأن أهل الكوفة مادافعوا عبید الله بن زياد عنهم ، وأنه قد تمكن . فبقي عليه السلام كئيباً حزيناً ، وصار في نسائه مآثم بمسلم ابن عمه وكان زوج أخته ، فقال له من لقيه : ارجع ، فقبل منهم وهم بالرجوع . فقال له بنو عقيل إخوة مسلم : يقتل أخونا ونرجع وما أخذنا بثأرنا ، سر بنا حتى نلقى أهل الكوفة . فسار معهم وظن أن أهل الكوفة إذا رأوه نصره وصاروا معه على ابن زياد ، وهو يسير وكل من يلقاه يقول له : ارجع فإن أهل الكوفة قد غدروا بك ، وهو يظن أنهم إذا رأوه صاروا معه .

فلما قرب من الكوفة وجه عبید الله بن زياد بأهل الكوفة فأحاطوا بالحسين ومنعوه من الرجوع ، فقال لهم : ويلكم بكتيكم جئت ، ومنكم قبلت ،

وناداهم يا فلان ابن فلان ، ويا فلان ابن فلان ، هذا كتابك ، قد كنا ساكتين وعدونا عنا ممسك ، فسألتم علينا سيفاً كان مغموداً عنا ، وفعلتم وفعلتم ، فما زالوا يحاربونه ، وعياله يضحجون ويبكون ، ومن معه من إخوته وولده وبني عمه يقتلون ، وهو يبكي ويذكر قول ابن عمر ، وكلما ضج نساؤه يقول : لا يبعد الله ابن عباس ، وقد أيقن بالقتل ، وهو يودع عياله ويوصيهم بأن لا يشقوا عليه جيباً ؛ ولا يظهر^(١)وا عويلا ، وأخته زينب تقول له : يا أبا عبد الله ، يا أبا عبد الله ، أنا الفداء لك ، أنتغصب نفسك على القتل ، / ويقول كيف أصنع يا أختي ، اصبري واحتسبي ، قتل أبي وهو خير مني ، ومضى أخى وهو خير مني ، ويحتسب على أهل الكوفة وأنهم غروه وكذا أبوه ، ويندم على قبوله منهم وعلى قدومه ، وأنه ما علم أنهم لا يفون ، وأنه ليته لم يقدم ، وأنه حين قدم لم يقدم بعياله . وكم مثل هذا من أفعالهم وأقوالهم لو أردت أن تحصيه لاحتجت فيه إلى الطوامير الطوال^(٢) ، ثم كنت لا تأتي على جميعه لكثرة .

والعلم بأن هؤلاء كانوا يحتاجون إلى المعرفة بما في نفس عدوهم ووليهم مثل غيرهم من الناس أقوى من العلم بأنهم يحتاجون إلى الطعام والشراب .

ولا يزال هؤلاء الشيع يقولون : الدلالة على أن أمير المؤمنين خير من أبي بكر وعمر وأن المعجزات كانت تظهر عليه ، أن قوماً في زمانه قد ادَّعوا فيه أنه إله العالمين ورب السموات والأرضين ، وأن مثل ذلك ما قيل في أبي بكر وعمر .

قيل لهم : فقد ادَّعى قوم من الهند والعرب وغيرهم في الأصنام والبددة أنها آلهة وأرباب وعبدوها ، وادَّعى قوم في الكواكب مثل ذلك ، فينبغي على

(١) في الأصل: يظهرون

(٢) الطامور والطومار : هو الصحيفة وهو لفظ فارسي الأصل . لسان العرب مادة : طمر

قياسكم أن يكون قد ظهر منها آيات ومعجزات ، وأن تكون خيراً من الأنبياء
وقد ادعى قوم لخلق بما تقدم ذكره .

ومن عجيب الأمور ، أن أفعال هؤلاء وأقوالهم ، تشهد بأنهم عليهم
السلام ما ادّعوا . ماتدعيه الشيع لهم من النصوص والوصايا والمعجزات ، وقد
تيقن ذلك كل متوسم ومتأمل ، فقالوا : ننصرف عن هذا كله لقول جاهل
لا يعرف الربوبية من الانسانية ، فإن الذي ألقى هذا في عسكر أمير المؤمنين
لمى قوم جهال لا يعرفون عبد الله بن سبأ^(١) ، وهو / المعروف بابن السوداء ، ٢٥٣/ب
وكان يهودياً من ناحية اليمن ، وكان خبيثاً منكرآ ، فأظهر الإسلام في زمن
عثمان ، وسار حتى أتى الحجاز ، وأظهر التقشف والأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر والاختلاط بالمسلمين . وكان يطلب الرئاسة فلم يقم له سوق ، ولم
يؤبه له . فرحل إلى الكوفة فأقام مدة يطلب ذلك ، فلم يقم له سوق فرحل إلى
الشام وأقام يطلب ذلك واختلط بالصحابة ، وتقرب إلى أبي الدرداء ، وعبادة
ابن الصامت ، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فظن أولئك له فنهوه ،
وأوقع بين أبي الدرداء وبين قوم بالشام شراً ، وتبين أمره بالشام فرحل إلى
مصر ، وكان على هذا ، واغتر به قوم فأوقع خلافاً بين الناس ، ووافى عمار
ابن ياسر رسولا لعثمان إلى مصر ، فحمل أقواماً على أن بلغوا عماراً رحمه
الله عليه من بمصر عن الولاية مكروهاً ، فثار من ذلك فتنة

وسار ابن السوداء هذا إلى المدينة مع المصريين الذين تظلموا من عمال
عثمان ، وأقام بالمدينة معهم ، وما زال يغري بعثمان إلى أن اغتاله قوم من
المصريين ، فتسلقوا عليه في السحر فقتلوه ، وقاتله لا يعرف إلى هذه الغاية .

(١) كتب في هامش الصفحة : أول من ألقى في عسكر علي بن أبي طالب أنه إله العالمين ، عبد
الله بن سبأ المعروف بابن السوداء اليهودي .

ثم وثب المصريون ، فأثاروا فتنة عظيمة بعد قتل عثمان ، ولما نفر طلحة والزبير وعائشة من أفعالهم وصاروا إلى البصرة ، راسلهم أمير المؤمنين بالقعقاع بن عمرو ، وبابن عباس ، وبمحمد بن حاطب ، وبكليب الجرمي ، واصطلحوا على أن يصير أمير المؤمنين إلى البصرة ويجتمعون وينظرون ، فدىس ابن السوداء أصحابه وقال لهم : أوقعوا الفتنة حتى تنشب الحرب ، فإنهم إن اصطلحوا فما يصطلحون إلا عليكم ، فكانت الفتنة ، وكل هذا فقد ذكره غير / واحد من العلماء وشرحوه طويلا مفصلا ، وحاله هذه معروفة .

١/٢٥٤

وكان بالكوفة يظهر تعظيم أمير المؤمنين بما لا يرضاه أمير المؤمنين ويستغوي بذلك من ليست له صحة ولا فقه في الدين ، وكالبوادي وأهل السواد ، ويتحدث بينهم ، وربما استقصر عندهم فعل أبي بكر وعمر وعثمان ، ويقدم أمير المؤمنين عليهم في الفضل ، لأنه كان يدعي ما ادعاه أبو الخطاب وهشام بن الحكم . وكان يدعي عند أمثال هؤلاء أن أمير المؤمنين يستخصه ويخرج اليه بأسرار لا يخرج بها إلى غيره ، وأمير المؤمنين لا يعلم بذلك .

ولقد قال قائل لأمير المؤمنين عجبت لقوم كنت فيهم كيف ولّوا عليهم وعليك غيرك ؟ فقال له أمير المؤمنين : أرأيت أبا بكر الصديق ؟ قال : لا ، قال أما إنك لو قلت لي أنك رأيتته لفعلت بك وفعلت .

وكان ابن سبأ هذا يقول لأصحابه : إن أمير المؤمنين قال لي : إنه يدخل دمشق ويهدم مسجدها حجراً حجراً ، ويظهر على أهل الأرض ويكشف له أسراراً ويعرفهم أنه ربهم ، وليس لهذا كأبي بكر وعمر وعثمان .

ولقد أتى أمير المؤمنين رضي الله عنه سويد بن عقلة ، وكان من خاصته وكبار أصحابه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، مررت بنفير من الشيعة يتناولون

أبا بكر وعمر بغير الذي هما من الأمة له أهل ، ويرون أنك تضمّر لهما على مثل ما أعلنوا، فقال : أعوذ بالله أعوذ بالله، مرتين ، أن أضمر لهما إلا الذي أتمنى المضي عليه ، لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل ، أخوا رسول الله ﷺ وصاحبا ووزيرا ، رحمة الله عليهما . / ثم نهض دافع العينين ٢٥٤/ب يبكي ، قابضاً على يدي سويد ، حتى دخل المسجد ، فصعد المنبر فجلس عليه متمكناً ، قابضاً على لحيته ، وهي بيضاء ، حتى اجتمع الناس . ثم قام فتشهد بخطبة موجزة بليغة ، ثم قال : ما بال أقوام يذكرون سيّدَي قريش وأبوي المسلمين بما أنا عنه فمتزّه ، ومما قالوا برىء ، وعلى ما قالوا معاقب ، أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، لا يحبهما إلا مؤمن تقي ، ولا يبغضهما إلا فاجر رديء صحبا رسول الله ﷺ على الصدق والوفاء يأمران وينهيان ، ويقضيان ويعاقبان ، فما يجاوزان فيما يصنعان رأي رسول الله ﷺ ، وكان لا يرى مثل رأيهما رأياً ، ولا يحب كحبهما أحداً ، مضى رسول الله ﷺ وهو عنهما راض ، ومضيا والمؤمنون عنهما راضون ، أمر رسول الله ﷺ أبا بكر على صلاة المؤمنين ، فصلى بهم تلك الأيام في حياة رسول الله ﷺ ، فلما قبض الله نبيه عليه السلام واختار له ما عنده ، مضى مفقوداً ﷺ ، ولاه المؤمنون ذلك ، وفوضوا إليه الزكاة لأنهما مقرورتان ، ثم أعطوه البيعة طائعين غير مكرهين ، أنا أول من سنّ له ذلك من نبي عبد المطلب وهو لذلك كاره ، يودّ لو أن بعضنا كفاه ، فكان والله خير من بقي رافة ، وأرحمه رحمة ، وأيسره ورعاً ، وأقدمه سلماً وإسلاماً ، شبهه رسول الله ﷺ بميكائيل رافة ورحمة ، وبإبراهيم عفواً ووقاراً ، فسار فينا سيرة رسول الله ﷺ ، حتى قبضه الله على ذلك . ثم ولّى الأمر بعده عمر ، واستأمر / في ذلك المسلمين ، فمنهم من رضي ومنهم من ٢٥٥/أ كرهه ، فلم يفارق الدنيا حتى رضي به من كان كرهه ، وأقام الأمر على منهاج النبي

صلى الله عليه وسلم ، يتبع أثرهما كاتباع الفصيل أثر أمه ، وكان والله رفيقاً رحيماً لضعفاء المسلمين ، وبالمؤمنين عوناً وناصرأ على الظالمين ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ضرب الله بالحق على لسانه ، وجعل الصدق من شأنه ، حتى إن كنا لنظن أن ملكاً ينطق على لسانه ، أعز الله بإسلامه الإسلام وجعل هجرته للدين قواماً ، ألقى الله له في قلوب المؤمنين المحبة وفي قلوب المشركين المنافقين الرهبة ، شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبريل فظناً غليظاً على الأعداء ، وبنوح حقناً معتاضاً على الكفار ، والضراء على طاعة الله أثر عنده من السراء على معصية الله ، فمن لكم بمثلهما رحمة الله عليهما ورزقنا المضي على سبيلهما ، فإنه لا يبلغ مبلغهما إلا بالحب لهما ، واتباع آثارهما ، فمن أحبني فليحبهما ، ومن لم يحبهما فقد أبغضني وأنا منه بريء ، ولو كنت تقدمت اليكم في أمرهما لعاقبت على هذا أشد العقوبة ، فمن أوتيت به بعد هذا اليوم فإنه عليه ما على المفترى ، ألا وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر ، ثم الله أعلم بالخير أين هو ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

فإن قالوا: لا نصدق بهذا، قلنا: العجب أنكم تصدقون قوله عليه السلام: من كنت مولاه فعليّ مولاة ، ولا تصدقون بهذا ومجيئه أقوى من مجيء ذلك . والحال التي وصفها أمير المؤمنين في هذا الحديث بيّنة معلومة قد شهد بها العقل ، وقد تقدم بيان ذلك ، وإنما ذكرنا هذا عند ذكر كم للتفضيل وتعلقكم بصحته / مما ادعته السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ ، وهو ابن السوداء .

ب/٢٥٥

ولقد قال أبو القاسم البلخي في كتابه الذي نقض به اعتراض ابن الراوندي على كلام أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في أن القرآن سليم من الزيادة والنقصان: إن قول أمير المؤمنين: ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر (١)

(١) في الأصل: أبي بكر

وعمر قد جاء مجيئاً لا ينكره من له في العلم نصيب ، وذكر جماعة ممن رووا فضلهم ونبلهم وكثرتهم وجلالتهم ثم قال : ولكن عندنا ما أراد نفسه .

ثم ذكر أبو القاسم رحمة الله عليه أن شريك بن عبد الله كان من كبار الشيعة ^(١) ، وكان يقول : خير هذه الأمة أبو بكر وعمر وهما خير من عليّ ، ولو قلت غير هذا ما كنت من شيعة علي ، لأنه قد قام على هذه الأعواد فقال : ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر ، فنكذبه ، والله ما كان كذاباً .

قال أبو القاسم : الخبر صحيح ، ولكنه عندنا مخصوص ، ولم نقصد لذكر ما قاله أمير المؤمنين في فضلها ، فإن ذلك أوضح من الشمس وهو كثير ، وله كتب كثيرة مفردة طويلة ، وإنما ذكرنا هذا عند ذكر عبد الله بن سبأ وما كان منه ، وبما أفسد به على أمير المؤمنين ، وربما ألقى عبد الله بن سبأ هذا ما ألقاه ، وظهر إلى قوم كان يلقيه اليهم من أنه إله ، واستتابهم أمير المؤمنين فما تابوا فأحرقهم ، وكانوا نفيراً يسيراً ، ونفى عبد الله بن سبأ عن الكوفة إلى المدائن ، فلما قتل أمير المؤمنين عليه السلام قيل لابن سبأ قد قتل ومات ودفن فأين ما كنت تقول من مصيره إلى الشام ؟ فقال : سمعته يقول : لا أموت حتى أر كل برجلي من رحاب الكوفة فأستخرج منها السلاح وأصير إلى دمشق ، فأهدم مسجدها حجراً حجراً ، وأفعل وأفعل ، فلو جئتمونا بدعاغه سروداً لما صدقنا أنه قد مات . / ولما افتضح بهت ، وادّعى على أمير المؤمنين ٢/٢٥٦ ما لم يقله .

والشيخ الذين يقولون بقوله الآن بالكوفة كثير ، وفي سوادها وفي العراق كله يقولون : أمير المؤمنين كان راضياً بقوله ، ويقول الذين حرقهم ، وإنما

(١) يقصد بأبي القاسم : عبد الله بن أحمد بن محمود الكمي البلخي ، من كبار المعتزلة ، له آراء ومقالات انفرد بها ، أخذ عنه قاضي القضاة عبد الجبار كثير في كتابه طبقات المعتزلة .

أحرقهم لأنهم أظهروا السرّ ، ثم أحياهم بعد ذلك . قالوا : وإلا فقولوا لنا
لم لم يحرق عبد الله بن سبأ ؟

قلنا : عبد الله ما أقر عنده بما أقر أولئك ، وإنما اتهمه فنفاه ، ولو حرّقه
لما نفع ذلك معكم شيئاً ، ولقلتم إنما حرّقه لأنه أظهر السر .

وأنت رحمك الله ، إذا شاهدت الإمامية مع هؤلاء ومع من يقول في أمير
المؤمنين وولده أنهم أنبياء ، فإن الإمامية تقول لهم : قد كان هؤلاء الأئمة بين
الناس فما ادّعوا النبوة ، فيقولون لهم : قد كانوا بين الناس فما
ادّعوا ولا أظهروا ما يدّعون عليهم من الإمامة والنص والوصية والعصمة
والآيات والمعجزات ، فإن كان ما يقولون لنا من أنهم ما أظهروا النبوة
حجة ، فهذا حجة عليكم لمن خالفكم ، فإن قلتم : قد أظهروا ما يدّعون
بهتم الناس وليس مع المباهمة مناظرة ، وقلنا لكم : أيضاً قد أظهروا ادعاء
النبوة ، فإن قلتم بالعقل قد علمنا أنه لا بد من إمام معصوم ، قلنا لكم : بالعقل
علمنا وبالسمع جميعاً أنه لا تخلو الدنيا من نبيّ موجود فيها قائم العين ولا تقوم
شريعة نبيّ إلا بنبيّ مثله ، ولا يبلغ شريعة نبيّ إلا نبيّ مثله ، وقد قال الله : « ثم
أرسلنا رسلنا تترى »^(١) وقال : « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا
صالحاً »^(٢) فإن قلتم : هذا انصراف عن الضرورات بالظواهر والتأويلات ،
لأن رسول الله ﷺ قال : لا نبيّ بعدي ، قلنا : فما حالنا نحن وقد ادّعينا /
ذلك ، فإن ادعيتم علينا المكابرة ادّعينا عليكم مثله ، وبعد فنحن ندّعي أن
هؤلاء القوم قالوا لنا ولسلفنا أنهم أنبياء وقد ذكرنا لكم بحجة العقل وحجة
السمع ، فكيف يريد النبيّ أنه لا نبيّ بعده . وأيضاً فنقول لكم : ما في العقل
وجوب إمام معصوم ، وإنما هو ظن يظنونه بما ألقاه هشام لكم ، وقد بينا لكم

ب/٢٥٦

(١) المؤمنون ٤٤

(٢) المؤمنون ٥١

من أفعال رسول الله ﷺ وأقواله ، وأفعال أمير المؤمنين وأقواله ، أن الإمامة بالاختيار ، وأن الإمام يجوز أن يخطيء ويعصى . فإن قلت لنا : أنتم كفار عندنا . قلنا لكم : هذا أول انقطاعكم وأيضاً فإنكم عندنا كذلك ، فإنه لا حجة تقوم لكم ، ونحن نروي أن النبي ﷺ قال لعليّ : لا نبيّ بعدي إلا أنت وولدك ، فإن قلت هذا كذب ولدتموه ، قالت لكم المعتزلة والفقهاء وأصحاب الحديث : قولكم : إنه لا بد من نص ووصية من النبيّ ، وبيان شخص الإمام ، وأنه معصوم ، وأن الآيات قد ظهرت عليه ، شيء وضعه هشام وقرية ابتدعها ، والعقل والسمع يشهد بكذبه ، فلا يجدون فصلاً ، وإذا كلم هؤلاء الإمامية من يقول أمير المؤمنين إله فإنهم ينقطعون في أيديهم أيضاً كما انقطعوا في أيدي الذين قالوا إنه نبيّ ، لأنهم إن قالوا : لهم جسم لا يكون قديماً قالوا لهم فهشام بن الحكم وأمثاله من الإمامية يقولون في الله إنه جسم ذو نهاية ، وأنه نور وأنه يتحرك ويرى ويلمس ، قالوا : والعقل يشهد بذلك .

قالوا : ومع هذا فإننا أخذنا هذا عن الأئمة بالمشافهة ، قالوا لهم : دعوا ما حكته المعتزلة عن هشام وأصحابه في أن الله جسم ونور يتحرك ويرى ويصعد وينزل ويلمس وأنه لا يعلم الشيء قبل أن يكون ، وخذوا فيما / حكاه عنهم ١/٢٥٧ أبو عيسى الوراق وابن الراوندي وأبو محمد الحسن بن موسى النوبختي وأبو سهل النوبختي والسوس النجردي ، وأمثالهم من الإمامية ، وكتبهم مملوءة بذلك ، ويذكرونه عن كل من سبق وتقدم من الإمامية ، وكذا أيضاً يذكرون عنهم القدر ، قالوا لهم : ونحن نروي أن أمير المؤمنين قال في خطبته وعلى منبره : أنا رفعت سماءها وحفرت بحارها ونصبت جبالها ، فإذا قالوا لهم : هذا لا يصح ، قالوا : هذا أصح من قول النبيّ : (من كنت مولاه فعليّ مولاه) فيقول الإمامية لهم : فقد قال : أنا عبد الله وأنا أخو رسول الله ،

قالوا : ما هكذا قال ، قد حرفتم القول ، إنما قال أنا عبد الله ، أنا أخو رسول الله ، على طريق الإنكار لقول من يحكي هذا عنه ، فينتقطع الإمامية في أيديهم .

وهؤلاء يروون عن أبي الخطاب محمد بن أبي زينب قال : كنت عند جعفر بن محمد فأستأذنت عليه ، هذه الإمامية الذين يقولون فيه إنه إمام وحجة الله على أهل زمانه ، فقال : ائذن لهم ، عليهم لعنتي و غضبي ، فلما دخلوا قطع الكلام الذي كان يتكلم به قبل أن يدخلوا ، فلما خرجوا أتبعهم اللعن وقال : يا أبا الخطاب ، ما خلقت خلقاً أبغض إلي من هذه الإمامية ، وإني لأتقيهم أكثر مما أتقي الناصبة ، واتبعهم اللعن وقال : يا أبا الخطاب ، أنا إلهك وأنت رسولي إلى خلقي . وكان أبو الخطاب إذا لبى يقول : لبيك جعفر لبيك .

وإنما أوردنا هذا لأنه مثل ادعاء الإمامية وروايتهم أن أمير المؤمنين وولده كانوا يدعون أنهم يعلمون الغيب وما في نفس عدوهم ووليهم ، ويظهرون المعجزات ، ويدعون العصمة ، فليس لكذبهم عليه غاية ، وفي كل حين قد ولد أهل ذلك العصر / من الإمامية على أهل البيت غير ما ولده من قبلهم ، ويدعون أن هذا مما قاله النبي عليه السلام ونص عليه ومما هذا سبيله ، وقد أذاعوه في هذا العصر ووضعوا أن النبي ﷺ قال : إن بنتي فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار ، فلا يجوز أن يدخل النار أحد من ولد فاطمة . فأعداء رسول الله ﷺ يطعنون عليه بمثل هذا . قلنا : لو كان هذا من نصوصه لجاء مجيء أمثاله ممن نص عليه ﷺ أنه لا يدخل النار وأن النار لا تمسه مثل آدم ونوح وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم ، بل كان يجب أن يكون العلم بما ادعوه لولد فاطمة عليها السلام أقوى من العلم بنصه على أولئك ، لأن عهد هؤلاء

أقرب من عهد أولئك ، وهم خلق كثير وأمم عظيمة ، أحياء بين الناس ، وهذا نص فيهم وحجة لهم ، فالعلم به كان ينبغي أن يكون أقوى ، فلما لم يكن كذلك علمت أنه أمر لا أصل له ، وهو كادعاهم النص والعصمة والمعجزات لأمتهم .

ولقد قال عظيم من ولد فاطمة عليها السلام وملك من ملوكهم لأبي عبد الله محمد بن علي بن زيد بن رزام الطائي الكوفي : نحن أمرنا على يقين ، فإن فاطمة أهدنا حصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار ، فقال له ابن رزام فهل بلغك أن حواء زنت قط ؟ لا كانت إلا حصينة الفرج ، فذريتها محرمة على النار ، فسكت . وهو كما قال ابن رزام ، وفي هذا كلام كبير .

والذي يعرف العلماء أن النبي ﷺ ، قال : يا فاطمة بنت محمد ، ويا صفية عمة محمد ، ويا عباس عم محمد ، اعملوا لما عند الله فإني لا أغني عنكم شيئاً^(١) لا تأتونني بالأنساب ويأتي غيركم بالأعمال ، فمن قعد به عمله / لم ينهض به نسبه ، إن الله لا ينظر إلى صوركم وإنما ينظر إلى أعمالكم ، كلكم لآدم وادم من تراب ، والناس سواء كأسنان المشط ، ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى ، فخيركم من اتقى الله .

وكم مثل هذا من قوله ، وكم في القرآن مثل هذا ، وأنت تعرفه ، والذي جعله الله في عقول العلماء من عباده هو الذي قاله رسول الله لا يجوز غيره ، وهؤلاء القراءطة يدعون أنهم شيعة أهل البيت ، وهم فيما بينهم يتواصون بقتل العلوية أين تمكنوا ، ويقول بعضهم لبعض : هؤلاء شر من ولد العباس ، وأشد في الإدلال على الناس بجدتهم من أولئك ، وقد سلطهم على الناس . وهذا

(١) كتب في هامش الأصل : قال النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة ولسفية ولعباس رضي الله عنهم .

مذكور لهم في البلاغ السابع والنيموس الأعظم الذي فيه حقيقة مذهبه الذي يخرجون به إلى من قد بلغوه ، وهو وصيتهم لأبي طاهر بن سعيد الجنابي .

ومما يذكرونه الآن للناس مما هذا سبيله ، قولهم للمعتزلة : إنكم تقولون إن هذا الرجل الذي هو نبيكم قد زهد في الدنيا وحمل أهل بيته عنها ، وولد العباس وولد أبي طالب لا يتدافعون انهم قد جعل لهم خمس الأرض وخمس ما في أيدي الناس كلهم ، حتى يقولوا عظماؤهم وأغنياؤهم وملوكهم وأهل الثروة منهم : لنا في أموال الناس كلهم الخمس ، حتى الأرملة الفقيرة التي تعيش بغزها لنا فيه الخمس .

ف قيل لهم : لو كان صلى الله عليه وسلم قد نص على هذا وفرضه ل جاء مجيء أمثاله من النصوص ، وكان العلم به أقوى من العلم بقسم الصدقات ، لقوله : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » (١) إلى آخر الآية ، ومن قسمة الموارث بقوله : « يُوصيكم الله في أولادكم » (٢) إلى آخر الآيات ، لأن هذا نص في رجال سادة / أشراف معروفين ، وكان ينبغي أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قسم فيهم خمس جزيرة العرب فقد ملكها ، وأن يكون أمير المؤمنين قد قسم فيهم خمس الأرض فقد كان ملك الإسلام كله إلا كورة فلسطين وحدها ، ونقد أمره فيها خمس سنين .

ب/٢٥٨

فإن قالوا : قد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، وفعله أمير المؤمنين حين ملك ، قلنا : فقد كان ينبغي أن يكون العلم بذلك حاصل لمن سمع الأخبار ، ويكون أقوى من العلم بدخوله البصرة ومحاربه لمن حارب بها ، ومن دخوله إلى الشام ومحاربه لمن حارب بها ، ومن كونه بالكوفة وبالنهروان ، وما كان له مع من

(١) التوبة ٦٠

(٢) النساء ١١

حاربه بها ، لأن قسمة ما ادعوه فعل يتكرر على رجال ونساء صفتهم ما قدمنا ، ولا فرق بين من ادعى هذا أو ادعى أنه عليه السلام كان قد أقطع عبيد الله اليمن حين ولاه إياها لتكون له ولولده مما يستحقه من الخمس ، وكذا فعل بابن عباس حين ولاه البصرة ، وبتمام بن العباس حين ولاه المدينة ، وبقثم حين ولاه مكة ، وبمعبد بن العباس حين ولاه خراسان ، وأنه أقطع عقيل ابن أبي طالب أصبهان ، وولد جعفر بن أبي طالب الجبل ، والحسن ابنه مصر ، والحسين عليه السلام عمان والهند ، أو ادعى أن رسول الله ﷺ قسم ذلك عليهم في حياته وتقدم إلى أمته بذلك .

والذي يعرف أهل العلم أن رسول الله ﷺ حرم عليهم الصدقات وأوجبها على أغنيائهم لفقراء المسلمين من ليس من بني هاشم ، وجعل للفقراء من بني هاشم من خمس الخمس من الفيء بمقدار ما يسد به الخلة .

وقد كان يمنعهم إذا سألوه ، فكان أمير المؤمنين يتحدث بذلك فيقول :
 ألا أحدثكم عنا وعن رسول الله ﷺ ، / إن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قمت البيت حتى أثر بثوبها (1) ، وطحنت حتى أثر بكفها ، واستقت بالقربة حتى أثر بنحرها ، فقيل لها : إن أباك قد أتاه سبي وهو يقسمه بين الناس فلو سألتيه خادماً يكفيك ، فاستحيت أن تسأله ، فمشى معها عمات رسول الله ﷺ وهشينا معها ، فأتيناه وهو مشغول بالناس ، وطال انتظارنا فرجعنا ، فلما فرغ ، أخبر بذلك فأتانا ، فقال : ماجاء بك يا فاطمة ، فاستحيت أن تقول ، فقلنا جاءتك يا رسول الله لتخدمها من السبي الذي أتاك خادماً ، فإنها قد قمت البيت حتى أثر بثوبها ، وطحنت حتى أثر بكفها ، واستقت بالقربة حتى أثر بنحرها ، فقال لها : يابنية أيتام بدر أحق منك ، ألا أعلمك ماهو خير لك

١/٢٥٩

اللسان ، مادة : قسم

(1) قم البيت : كسه

من هذا ، تسبحين الله كذا وتحمدينه كذا ، وذكر الحديث ، وهي قصة معروفة طويلة .

وأته فاطمة مرة أخرى بالحسن والحسين ، فقال : يا نبي الله أنحلها ، فقال : نحل هذا الكبير المهابة والحلم ، ونحل هذا الصغير المحبة والرضا ، فما زاد على هذا .

وكم قد سأله ﷺ غير واحد من بني هاشم فمنعهم ، وتفصيل ذلك يطول ، وهو مذكور في كتب العلماء . وما كان يعطي المحتاجين منهم إلا من خمس الخمس من النية ، وربما دفعه إلى العباس ليقسمه عليهم .

وكانت لرسول الله ﷺ ثلاث صفايا ، فكانت أرض بني النضير حبساً لنوائبه ، وجزأ خير ثلاثة أجزاء ، وكانت فدك لأبناء السبيل ، فكان عمر ابن عبد العزيز يعجب من إقطاع معاوية إياها مروان بن الحكم وهي لأبناء السبيل ، وقد سأله إياها فاطمة بنته ﷺ فمنعها ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة خطب الناس فقال : إن فدك كانت مما أفاء الله على رسوله ، لم يوجف المسلمون عليها بنخيل ولا ركاب ، فسألته / إياها فاطمة رضي الله عنها ، فقال : ما كان لك أن تسأليني وما كان لي أن أعطيك . فكان ﷺ يضع ما كان يأتيه منها في أبناء السبيل .

ثم ولي أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فوضعوا ذلك بحيث وضعه رسول الله ﷺ ، ثم ولي معاوية فأقطعها مروان بن الحكم ، فوهبها مروان لأبي ولعبد الملك ، فصارت لي وللوليد وسليمان ، فلما ولي الوليد سأله حصته فوهبها لي ، وسألت سليمان حصته فوهبها لي ، فاستجمعتها ، وما كان لي مال أحب إلي منها ، فاشهدوا أنني قد رددتها إلى ما كانت عليه .

فعادة رسول الله ﷺ في منع أهله معروفة ، وكان يعطي الناس الجزيل الكثير ، ويمنع أهله . ولقد سأله رجل غنماً ما بين جبلين فأعطاه إياها كلها ، وكم من رجل قد أعطاه مائة بعير وأكثر ، وكان إذا أتاه المال لا يدخل بيوته حتى يقسمه كله ثم يدخل ، وربما أمسى عنده منه شيء فيبيت في المسجد إلى أن يقسمه . وكان أصحابه من السابقين الأولين يتذاكرون سيرته ﷺ في هذا ، وأنه كان يأتيه الفياء العظيم فيمسي وإن بيوته لصفر ما أدخلها حلوأ ولا مرأ حتى يرد عليه من بيوتنا .

ولقد دخلت من الأنصار امرأة على عائشة فرأت فراس رسول الله ﷺ عباءة مثنية ، فانطلقت فبعثت إلى عائشة بفراس حشوه الصوف ، فدخل عليها رسول الله ﷺ فقال : ما هذا يا عائشة ؟ قالت : يارسول الله ، إن فلانة الانصارية دخلت عليّ فرأت فراسك ، وذهبت فبعثت إليّ بهذا ، فقال : رديه ، فلم تردّه ، وأعجبها أن يكون في بيتها ، فراجعت فقال لها ذاك ثلاث مرات ، وكم مثل هذا مع أزواجه في ستر يراه وغيره مما يطول شرحه ، وقد عرفت شرطه / على أزواجه وما أنزل الله في سورة الأحزاب ، وقد تقدم لك ذكر ذلك ، وإنما هذا وأمثاله من الأحاديث التي يضعها الملحدة ويتقربون بها إلى بني هاشم ليغروهم بالناس ، وليلبسوا عليهم دينهم ، ثم يأتون العلماء فيسألون عنها في المطاعن على رسول الله ﷺ ، فيشغبون من كل وجه ، فقلّ ملحداً إلا وهو يدعي التشيع ويصنف الكتب في نصرة الرفض كما هو معروف ، وقد تقدم لك ذكر ذلك . والذي يجب على رسول الله ﷺ البيان ، وليس يجب عليه ألا يكذب عليه أحد ولا يلزمه ذلك .

وكان أبو الفتح بن فراس الكاتب وهو أحد الشيعة ومن كبار الإمامية يقول للإمامية : فدك التي أعطاه رسول الله ﷺ ليست تلك النخيلات التي

بالحجاز وإنما فذك التي نحلها رسول الله ﷺ فاطمة هو ماسقته الفرات والنيل ودجلة وسيحون وجيحون ، فلأولادها يأكلون من مال أمهم ، والشيعه يأكلون من مال مواليهم ، وكأنك بهذا قد انتشر وصار له إسناد ، وادعوا فيه التواتر .

وكان أبو الفتح هذا ينزل ببغداد في الجانب الشرقي في سوق يحيى ، وقريبه مات ، وكانت الشيع ترجع اليه في الرواية ويعرض عليه شعراؤهم شعرهم ، مثل أبي الحسن علي بن وصيف الجلاء الذي تسمى بالناشيء وحمام بن فراس في هذا الموضع معروف (١) .

وقد وضعوا أن رسول الله ﷺ قال : إن الصلاة والصوم والزكاة والحج لا تجب على أهل بيتي ولا على شيعتي ، ولا يحرم عليهم شيء من هذه المحرمات وإنما هذه عذاب على أعداء أهل النبي وأهل بيته ، وما كان الله ليجمع بين أوليائه وأعدائه في الفروض .

وزور لهم في ذلك الروايات ، وتأولوا في ذلك القرآن ، وقد انتشر هذا وانبت وعليه خلق كثير / منهم بسواد الكوفة وبالبحرين وببغداد وبنواحي اليمن وبالشام ، ولا يكاد أحد من هؤلاء يصلي إلا إذا حضره الناس ولأجل الناس وفي المشاهدة ليغتر به الناس ، وبينما ترى الواحد وقد ادعى التشيع حتى قد تبرأ من أبي بكر وعمر والمهاجرين والأنصار حتى قد ادعى أن القرآن مغير ومبدل ، حتى ادعى أن له باطناً غير ما عليه العلماء والفقهاء والعامه ، ثم لا يلبث أن يدعي أنه ما يحرم عليه لا زنا ولا لواط ولا ربا ، ولا تجب عليه عبادة ، إلى غير ذلك مما يطول شرحه . وقد علم كل من سمع الأخبار أن رسول الله ﷺ أوجب هذه الفرائض على كل عاقل بلغته دعوته ، وأنها بركة ورحمة من الله على عباده ، وأنها لا تسقط عن أحد يستطيعها ، ولا يحل

٢٦٠/ب

الزنا والاشتراك في الزوجات واللواط وغير ذلك لأحد البتة ، وأنها على البررة والخاصة ، والعلماء ومن أهل البيت أوجب وألزم منها للعامّة الفجرة ، وأنها ليست بعذاب على أحد ، وأن لمن فعلها وقام بحقوقها ولم يبطلها ولم يحبطها الثواب والمدح والإجلال والكرامة في الدنيا والآخرة . والعلماء يعرفون من سنة محمد ﷺ أن تكاليفه الثقيلة إنما هي على خاصته والسابقين ، وأنه كان يولي على أهل بيته ويلزمهم الطاعة لولاته ، فقد ولي عتاب بن أسيد مكة وبها من بني هاشم خلق كثير فكانوا له رعيةً ، وقد ولي على المدينة في غزواته وأسفاره غير واحد من المهاجرين والأنصار وبها من بني هاشم ومواليهم رجال كثير وقد ولي زيد بن حارثة على عسكر مؤتة وعلى جعفر بن أبي طالب ، فكان هو الأمير دون جعفر ، وقد كان هناك غير جعفر هذا . وجعفر رضي الله عنه قديم الإسلام ، قديم الهجرة ، وقد ولي رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب وجعله خليفة / على عسكره وجيشه يوم الطائف ويوم الفتح ويوم حنين ، وكان ١/٢٦١ علي بن أبي طالب رضي الله عنه في ذلك العسكر وفي هذه المواطن كلها ، وقد ولي رسول الله ﷺ على عسكره وجيشه أبا بكر الصديق في غزوة تبوك ، وأقام بالمدينة يحرص الناس على غزو الروم ، وفي ذلك الجيش الذين أمرهم غير واحد من بني هاشم ، وكان أبو بكر يصلي بهم ويأمرهم وينهاهم .

ولما سار رسول الله ﷺ إلى تبوك قدم أبو بكر وعمر على معظم جيشه وقدمهما أمامه وسار في آخر الناس في نفر يسير ، وفي ذلك العسكر غير واحد من بني هاشم ، وهي قصة معروفة ، وفيها يقول رسول الله ﷺ لمن معه : كيف ترون الناس صنعوا حين أرهقتهم صلاتهم وفقدوا نبيهم ، قالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال رسول الله ﷺ : أليس في القوم أبو بكر وعمر ، إنهما

سيرشدان الناس ، فإن أطاعوهما فقد رشدوا ورشدت أمهم ، وإن عصوهما فقد غووا وغوت أمهم ، يقولها ثلاثاً .

وقد ولي رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق على الموسم سنة تسع وفيه عليّ ابن أبي طالب وغير واحد من بني هاشم ، وأبو بكر الأمير والمصلي والخطيب والدافع بالناس دون عليّ ، ودون أحد من بني هاشم . وقد استخاف رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق على الصلاة في مرضه ، فصلّى ببني هاشم وبالمهاجرين والأنصار وبالناس كلهم وهناك من بني هاشم خلق كثير ، فكانوا في كل ذلك سامعين ومطيعين وما كلفهم من الشدائد فأعظم ، ولمثل هذا قال أمير المؤمنين لمعاوية في كتابه إليه ، وقد ذكر فيه الشدائد التي كلفها رسول الله ﷺ بني هاشم : فكان إذ حمي الناس ودُعي إلى البراز قدم رسول الله ﷺ أهل بيته فوقتي بهم / أصحابه حرّ السيف وحرّ الأسنّة ، فقتل عبيدة بن الحارث يوم بدر ، وحمزة يوم أحد ، وقتل أخي جعفر يوم مؤتة ، وقتل زيد بن حارثة يوم مؤتة ، وأراد من لو شئت لذكرت اسمه مثل الذي أرادوا من الشهادة مع نبيّ الله ﷺ غير مرة غير أن آجالهم عجلت ومنيته تأخرت ، فما سمعت ولا رأيت أحداً هو أنصح ولا أطوع لله ولرسوله في طاعة ربه ، ولا أصبر من أهل بيته ، وفي المهاجرين خلق كثير يعرفونه لهم ، فجزاهم الله خيراً .

ب/٢٦١

فتأمل رحمك الله هذه السيرة من رسول الله ﷺ ، فإنها ضد سيرة طلاب الدنيا وخطاب الملك في أولاهم وأقاربهم وأهل بيتهم ، وفي هذا كلام كثير ، وقد تقدم له نظائر وأمثال ، وقد تقدم ذكر وصايا لأصحابه في مرضه فارجع إليها وتأملها .

وتأمل حالهم حين قبض رسول الله ﷺ ، وقد خاضروا فيمن الخليفة بعده كما قد تقدم لك فيما كان من بني هاشم والعباس وأبي سفيان مع أمير

المؤمنين ، وما كان من السقيفة ، وقد جرت تلك الخطوب التي قد تقدم لك ذكرها يوم موت رسول الله ﷺ على وجه الأرض لم يدفن بعد ، وقد تذاكروا وخاضوا وأدلى كل قوم بما لهم من الفضائل وبما قاله رسول الله ﷺ في كل فريق ، وقد تجاذبوا الامارة وفيمن تكون الرئاسة ، فانظر كيف أجمعوا كلهم على تزكية رسول الله ﷺ ، والتسليم لأوامره ، والافتاء بأثره ، والطلب لوصاياه فما هناك أحد منهم أظهر معتبة أو شك في شيء من أمره وأفعاله ﷺ ولا سأل على طريق الاستفهام عن شيء من أموره بوجه من الوجوه ، هذا والعهد قريب ، وفيهم من يريد شرف / الرئاسة في قومه ، فما رجعوا إلا إلى وصاياه في أن يكون في الأخيار من قريش ، وهذا موضع يخرج في الأضغان ويظهر الشحناء .

٢/٢٦٢

ثم انظر كيف جعلوها فيمن كان يجله ويعظمه ويقدمه ، وفي أهل السابقة ، وهناك من سادات العرب وذوي الشرف والنخوة والعدد والعدة وكثرة العشيرة وظهور الثروة مالا يحصى كثرة ، ثم هناك من الأقارب من سادات بني هاشم خلق كثير ، ولو لم يكن إلا العباس مع فضله وعقله الذي كان يدعى حلیم قريش ، وإذا كان حلیم قريش وقريش أحلم العرب إذ ذاك وأعقل العرب فهو حلیم العرب كلها ، فجعلوها في أبي بكر وهو أضعف حي في قريش وأقله عدداً وأظهر فقراً ، فقد كان له مال فأنفقه على رسول الله ﷺ وفي نوائب الإسلام ، حتى لم يكن له ثوب يكفن فيه حين مات فوصى أن يكفن في أطماره الرثة ، فلما قيل له : ألا تشتري لك ثوباً جديداً يكفيك فيه ، فقال : الحي أحوج إلى الجديد .

ولما استخلف ، غدا إلى السوق وعلى عاتقه أثواب يبيع ويشترى ، فاجتمع أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا : هذا خليفة رسول الله ﷺ أصبح غادياً يبيع

الناس في الأسواق ، وله بشأن المسلمين شغل ، ولن يبلغ أحداً خبره من سادات العرب وملوك العجم إلا احتقروا أمركم ، فأتوه وكلموه في ذلك (١) ، وقالوا له قولاً غليظاً شديداً ، فقال : إنما أنا كاسب أهلي ، فإن أنا أضعتهم فأنا لمن وراءهم أضيع ، وقد كرهت أمركم وحرصت أن أكون وزيراً فأبيتم إلا يبعني وأكرهتموني . و كان من أمرهم معه ما هو مذكور .

فتأمل هذه المواطن والمقامات ، فكم فيها من دلائل وعلامات على سلامة / النبوة من كل دنس ، وطهارتها من كل لبس . ب/٢٦٢

فإن قيل : أوليس الرافضة تدعي أن أبا بكر غلبهم وقهرهم ، وأنهم في السقيفة اتزروا بالأزر الصنعانية واقتتلوا على الملك والخلافة ؟ قلنا : قد فرغنا من هذا ، وبيننا بطلان هذه الدعوى ، وأن القوم الذين اعتقدوا نبوة النبي ﷺ وتدينوا بصدقه واتبعوه بتلك الشرائط التي قدمنا ذكرها ، هم الذين اجتمعوا على خلافة أبي بكر واستخلفوه واعتقدوا إمامته فطهارته ، وتقربوا إلى الله بطاعته وامثال وصاياه وأوامره ، فلا فرق بين من ادعى هذا وأن أبا بكر غلبهم وقهرهم وخدعهم وسحرهم ، وبين من ادعى ذلك في رسول الله ﷺ وادعى ذلك في أمير المؤمنين ، ومن أطاعه واعتقد إمامته . ولا فرق [بين] (٢) من ادعى أنهم لبسوا الأزر الصنعانية أو ادعى أنهم تقاتلوا عليها بالسيوف والرماح على الخيول ، فإن الملك يمثل هذا يؤخذ لا بالأزر ، وإنما هذه دعاوى من يريد تشكيك المسلمين في دينهم لتستوي له المطاعن في نبوة نبيهم ﷺ .

وأهل المعرفة يعلمون أن أبا بكر مضى إلى الأنصار وهم أهل العدد والعدة

(١) جاء في الهامش « لما استخلف أبو بكر رضي الله عنه غدا إلى السوق على عاتقه أثواب يبيع ويشترى ، فاجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم »

(٢) زيادة مني على الأصل اقتضاها السياق

والبأس والنجدة ، وهم أكثر من جميع المهاجرين وجميع قريش الذين بالمدينة وتبعه عمر وأبو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة ، فكيف كان يغلب الأنصار بهؤلاء الثلاثة ؟ ولو أراد أن يغلبهم بكل من بالمدينة من قريش لما أطاقوا ذلك ، ولكن الأنصار رحمهم الله طلبوا في بدء الأمر الخلافة فلما بين لهم أبو بكر أنه لا ينبغي ذلك رجعوا عنه لله وابتغاء وجه الله .

قال متكلم الشيع : خدع أبو بكر / الأنصار بأن قال : منكم الوزراء ومنا الأمرء ، فأطعمهم ثم غدر بهم ، فما استوزر أحداً منهم لا هو ولا من بعده من الخلفاء ، فلهذا أجابوه واتبعوه .

قلنا : هذا من دعاويكم التي لا دليل عليها ، والوزارة التي ذكرها أبو بكر لهم إنما هي المعونة والمؤازرة في طاعة الله لمن يلي الأمر من قريش ، فهذا زيادة في كلفة الانصار في شدة الوطأة عليهم والمشقة الشديدة فيما ألزمهم من معونة الخلفاء ، فأين الإطماع الذي ادعيتم عليهم ؟ وهذا الذي شرطه أبو بكر عليهم إلى النفور عنه وإلى الإيحاء منه أقرب ، فهذه الوزارة التي شرطها عليهم .

وهذا مثل قوله لهم في السقيفة حين قالوا له : اقبل البيعة فأبى ، وقال : ولتوا الإمارة عمر أو أبا عبيدة ^(١) ودعوني أكون لهم وزيراً ، وكذا قال عند وفاته : ليتني يوم سقيفة بنى ساعدة لم أقبل البيعة وجعلتها في عمر أو في أبي عبيدة ، وكنت وزيراً لا أميراً يريد معيناً ، وكذا قال أمير المؤمنين حين مشوا إليه بعد عثمان وقالوا له : نوليك أميراً فابسط يدك نبايعك ، فقال : انظروا غيري تبايعوه وأبايعه معكم ، ودعوني أكون لكم وزيراً ، فلأن أكون لكم وزيراً خيراً من أن أكون أميراً ، يريد معيناً .

(١) في الأصل : أبو عبيدة

ولكن هؤلاء القوم نظروا إلى من يقال له الوزير في زمن ملوكتنا ممن يريد سلطان الزمان منه جباية الأموال ، وترتيب أصحاب الضرائب والمواصير في ظلم الناس ، وإقامة المستخرجين والمصادرير للناس في ديوان الاستدراك ، وتمدحه الشعراء ، ويجلس وحوله القيان وأصحاب الملاهي ، وله القصور على الأنهار والبحار ، كابن كلّس بمصر ، وابن بقية ببغداد ، وفلان وفلان بالعراق وفارس ، فظنوا أن الوزارة التي ذكرها أبو بكر / هكذا ينبغي أن تكون ، ^(١) أو ما علموا أن موسى سأل ربه فقال : « واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشد به أزرى وأشركه في أمري » ^(٢) وقال رسول الله ﷺ : وزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل ، ومن أهل الأرض أبو بكر وعمر ، ولولا فساد الزمان وغلبة الجهل لما كان يجاب عن مثل هذا الكلام .

وبعد فإن العاقل يعلم بطلانه من كل وجه ، فإن الأنصار لو كان غرضهم الدنيا لقالوا لأبي بكر : ولم ندع الأمانة ونصير تبعاً لك والدار دارنا والبلاد بلادنا والبادية باديتنا والعدد والعدة فينا والبأس والنجدة لنا ، وأنت وصاحبك وجميع قريش جثتمونا هراباً إلينا مستجبرين بنا ، فما بنا حاجة إليك أن تكون من أتباعنا وحاشيتنا فكيف تكون أميراً علينا ، وما حاجتنا والدنيا طلبتنا ونيتنا والعاجلة بغيتنا أن نتكلف هذه التكاليف الشديدة التي أتانا بها صاحبك ، من الصلاة والصيام والزكاة والحج والمواساة والحدود ومعاداة الأمم والمجاهدة للملوك حتى يقيموا دينه ويتمسكوا بشريعته ، ونسفك دمانا في ذلك ، ونكفر أسلافنا الذين خالفوا دينه وشريعته .

(١) ابن كلّس : هو يعقوب بن كلّس كان أحد وزراء الاخشيديين وهرب إلى الفاطميين وكان من أهم أسباب دخولهم مصر . أما ابن بقية فهو أبو طاهر محمد بن بقية وزير ببغداد سنة ٣٦٢ هـ .
(٢) طه ٣٠

وهذا مثل دعوى من ادعى أن رسول الله ﷺ خدع المهاجرين والأنصار بغير ما ادعى هؤلاء عليهم ، فقال عز وجل : « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون » (١) فأخبر عن نياتهم وشهد بصدقهم ، وقال في الأنصار : « والذين تبوءوا الدار والایمان من قبلهم يحبون من هاجر / إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » (٢) فأخبر أنهم يؤثرون الفقير في طاعة الله ، ويواسون المحتاجين في ذات الله ، مع ما بهم من الخصاصة ، وشهد لهم بالفلاح ، وقال رسول الله ﷺ : لو سلك الناس شعباً ووادياً وسلكت الأنصار شعباً ووادياً لسلكت شعب الأنصار وواديتهم ، وقال لهم : إنكم لتكثرن عند الفزع وتقلون عند الطمع ، إلى غير ذلك مما قاله فيهم رضي الله عنهم .

فهذه الشيع تقول فيهم بخلاف ما دل عليه العقل وبخلاف ما قال الله وبخلاف ما قال رسوله ، ولكن الأنصار رحمهم الله لما علموا أن الإمامة لا تكون فيهم جعلوها في الفاضلين من مهاجرة قريش ، ولو أرادوا الدنيا والملك لكذبوا أبا بكر حين قال لهم إن رسول الله ﷺ قال : « الأئمة من قريش » أو كانوا يقولون : وإن قال هذا فإننا لا نقبل ، فقد كانوا على ذلك قادرين والغلبة والعز لهم وفيهم ، ولو أرادوا الدنيا والملك لقدحوا في رسول الله ﷺ وكذبوا عليه ولقالوا فيه كما يقول هؤلاء ، فتعلم بهذا صحة النبوة وسلامة رسول الله ﷺ من كل عيب ، وطهارة أبي بكر والمهاجرين وبراعتهم في صغير القبيح وكبيره ،

(١) الحشر ٨

(٢) الحشر ٩

وإن الأنصار ما أرادوا إلا الله والدار الآخرة في تصييرهم للخلافة في أبي بكر وأمثاله من قريش ، وأنهم قدموه لأن رسول الله ﷺ قدمه ، ولقوله ﷺ :

« ليلني منكم أولو الأحلام والنهي ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم »^(١) فكان أبو بكر وعمر هما اللذان يليانه إذا قام ب/٢٦٤ لصلاته ، وإذا استوى في مجالسه ، ولهذا قالوا / وهم يصفون مجالس رسول الله ﷺ ومنازل أصحابه عنده ، قالوا : إن كانت حلقة رسول الله ﷺ لتشتبك حتى تكون كالأسوار ، وإن مجلس أبي بكر منها لفارغ ما يطمع فيه أحد ، فإذا جاء أبو بكر جلس ذلك المجلس ، وأقبل إليه رسول الله ﷺ بوجهه وألقى إليه حديثه ، وسمع الناس .

ولقد أقبل العباس يوماً ففتح له أبو بكر وأجلسه معه ، فعرف السرور في وجه رسول الله ﷺ بتعظيم أبي بكر للعباس ، فاعرف هذا فإن الإمامية اليوم يروون عن رسول الله ﷺ أنه كان يلحن أبا بكر وعمر وعثمان وأمثالهم من المهاجرين والأنصار ، وأنه كان يتلوه في ذلك القرآن كما كان يتلوه في لعن فرعون وهامان وقارون وإبليس وأبي لهب وأبي جهل ، وهذا باب ينبغي أن تراعيه ، فإن الأدلة تشهد ببراءة هؤلاء من كل عيب ، كما تشهد ببراءة رسول الله ﷺ ، والكلام على الفريقين ممن كشف قناعه في الطعن على رسول الله ﷺ واعتقد افتعاله واحتياله ونسب الطعن عليه بتهمة أصحابه .

وأيضاً فإن أبا بكر ما قبض الأموال لنفسه ولا لولده ولا لأصحابه ولا لأهل بيته ، ولا أقطعها القواد والجند فتوجه في ذلك تهمة ، وإنما جعلها لأبناء السبيل الذين لا يعرفهم ولا يدري من هم ، وإنما هم غرباء فقراء يطرقون ويحتازون .

(١) جاء في هامش الأصل «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ليلني منكم أولو الأحلام والنهي»

وقد قال أبو علي محمد بن عبد الله العلوي المصري الفاطمي الحسيني أفقه أهل بيته في زمانه ، وأرواهم لأحاديثهم وأخبارهم ، وكان رحمة الله عليه من الزهد والنزاهة والعبادة بالمنزلة التي لم يكن في أهل بيته وزمانه مثله ، فقال رحمه الله : من الدلالة على براءة ساحة أبي بكر الصديق مما رمته / الرافضة ٢٦٥/أ به أنه منع العباس وفاطمة وأزواج النبي ﷺ أموال رسول الله ﷺ وجعلها في سبيل الله ، فإنه إنما فعل هذا وتم له وأقدم عليه مدلاً بالحق الذي كان عليه ، ولو كان مبطلاً لأعطاهم إياها وأكثر منها ، لأنه برسول الله ﷺ عزّ ، وبه تقدم ، وبه كانت له الرئاسة ، وبه صار صديقاً ، وأصحابه وأنصاره جعلوه خليفة ، فلو كان مبطلاً وطالب دنيا لأعطاهم ذلك وأرضاهم بكل ما يقدر عليه ل يتم له ما يطلبه من الملك ، فليس من الحزم أن يمنعهم هذا المقدار وينفرهم ويوحشهم لأجل شيء هذا قدره ، وقد كان عاقلاً حازماً بالأمر عارفاً بالأمر لا يدفعه عن هذا من عرفه ، وإنما منعهم ذلك لأن رسول الله ﷺ منعهموه^(١). ذكر أبو علي رحمه الله هذا ومعناه في رسالته التي بين فيها من الرافضة ، ومن الناصبة ، ومن الشيعة .

يزيدك بذلك علماً ، أن معاوية بعد أن قاتل بني هاشم وقتل منهم ومن شيعهم ، وملك الأرض ، واستتب له الأمر ، حتى ما بقي أحد يقاومه أو يدفعه ، جعل لأعدائه من بني هاشم ومن كان يخافه من قريش العطاء الجزيل ، استكفاً لهم ، وليتم له ملكه ، وليستقيم له أمره وسلطانه . فكان يعطي الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم لكل واحد منهم في كل سنة ألف ألف درهم ، ويقضي حوائجهم ، ويتبع ذلك بغيره من الألفاظ والهدايا . وأبو بكر رضي الله عنه لم يعطهم شيئاً من ذلك ، بل كان يعطيهم

(١) في الأصل : ممنموه

على قدر الحاجة ، ويسوي بين الناس كلهم في العطاء .

ولما اتسعت الأموال في زمن عمر ، ودون الدواوين ، وأعطى من شهد بدرأ ، / وسوى بين الموالي والعرب ممن شهدا في ذلك ، سأله الصحابة في أن يجعل للحسن والحسين مثل ذلك ، وكان مقدار خمس مائة دينار ، تقرباً إلى رسول الله ﷺ ، وبراً به ﷺ فقد كان يجبهما ، فأشاروا عليه بذلك ، وأذنوا له فيه ، فجرى أمر عمر على ذلك ، وعليه عمل عثمان ، وعليه عمل أمير المؤمنين حين صارت الخلافة إليه .

ولقد سأل خالد بن المعمر السدوسي أمير المؤمنين في أن يزيدهما رضي الله عنهما في عطائهما فلم يفعل ، وراجع ، فغضب أمير المؤمنين فقال : ما كنت لأزيدهما على ما فرض لهما عمر ، وسأله عبد الله بن جعفر في أن يزيد عائشة وهي بالبصرة فقال : ما كنت لأزيدها عما فرض لها عمر . وسأله أخوه عقيل ليزيده على ما فرض له عمر فلم يفعل ، وراجع فلم يفعل . وسأله جعدة بن هبيرة المخزومي وهو ابن أخته أن يعطيه فما زاده على ما فرض له عمر ، وقال له أتريد أن يكون خالك سراًقاً . وكان رضي الله عنه لا يأخذ في خلافته وسلطانه إلا ما فرض له عمر ، ومثل هذا كثير .

فإن قيل : ولم لا عرف رسول الله ﷺ أمته وأزواجه أنهم لا يرثونه فكانوا لا يحتاجون أن يسألوا أبا بكر ؟ قيل لهم : الذي يلزم رسول الله ﷺ أن يقيم الحجة ، ويقول ، وقد فعل ، وعند حاجة أهله إلى ذلك عرفوه ووجدوه قد قاله وعلموا ذلك ، ومن كان الحق طلبته ففي أقل قليل مما ذكرنا كفايه ، ولو لم يكن إلا فعل أمير المؤمنين رضي الله عنه وشبهه .

وقد علم أهل التحصيل أن فاطمة وأهل بيت رسول الله ﷺ أحب إلى أبي بكر وعمر وعثمان وأولئك السابقين من أولادهم وأسماعهم وأبصارهم ، وهم

فتحوا الدنيا ودعوا / أهلها إلى حب رسول الله ﷺ وبنينا هاشم ، وسلموها اليهم . ولم نقل هذا من طريق حسن الظن بهم ، ولكن بدلائل العقول التي قد تقدم ذكرها في غير موضع من هذا الكتاب .

وقد سأل موسى أخاه هارون عليهما السلام وأخذ برأسه يجره إليه ، ثم رجع إليه حين عرف الجواب عند حاجته إليه . فعير منكر أن تعرف فاطمة وأهل رسول الله ﷺ ما احتاجوا إليه من أبي بكر .

ولم يكن لقائل أن يقول : فلم لا عرف الله موسى الحال قبل مصيره إلى أخيه فكان لا يحتاج أن يجر برأس أخيه ويعاتبه ذلك العتاب ، ولم لا عرفه وجه الصواب في حرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الحدار ، فكان لا يحتاج إلى أن يلقي العبد الصالح الذي كان يتعلم منه بذلك الجفاء ثم يعتذر إليه بأنه نسي . ولم لا عرف سليمان عليه السلام حال المرأة الملكة ، ولم لا أغناه عن تعريف المهدهد ومساءلته وطول مراجعته ؟ ولكن من وضع هذا غرضه ما قدمنا ، وعنده أن أبا بكر وعمر وعثمان وأمثالهم وأشباههم من المهاجرين والأنصار ، ما صحبوا رسول الله ﷺ للإعلام التي كانت معه ، ولا لبصيرة في دينه ، وما اعتقدوا قط نبوته ولا صدقه ، ولا انطوا على تعظيمه وإجلاله ، ولا عرفوا له قدراً ولا أقاموا له وزناً ، وإنما كانوا يراؤونه ويرائيهم ، وينافقونه وينافقهم ، وإنما كان غرضهم الدنيا والعاجلة ، وكانوا يتربصون به وينتظرون موته ليكونوا ملوكاً بعده ، وأنهم قد اغتصبوا مصلاهم ومقامه في حياته وفي جوف بيته ، ونحووا خليفته ووصيته في حياته وبعد موته ، وضربوا / بنته وقتلوا جنينها في بطنها .

وقد علمت رحمك الله على أي وجه كانت إجابته لرسول الله ﷺ ومتى أجابوه ومالقه في إجابته ، وقد علمت بما تقدم لك في دلائل العقول أنهم قد اعتقدوا نبوته وصدقه ، وأن المتأمل يعلم ذلك قبل العلم بنبوته ، ويعلم أنه

كان يحبهم ، وأنه قد فرض موالاتهم ومحبتهم كما فرض بغض أولئك الذين قدمنا ذكرهم ، وعلمنا أنه لم يكن له حرص في الإمارة إلا بمقدار القيام . محدود الله ، وأن كل واحد منهم قد تمتع وود أن غيره قد كفاه ، فقد امتنع أبو بكر منها واجتهد أن يكون في غيره فأكرهوه عليها ، ولم يكن لعمر فيها رغبة ولا منه لها طلب فاختره أبو بكر وأدخله فيها ، وعاتبه طلحة وغيره على ذلك وقالوا له : عمر رجل مهيب فاستعمل علينا أحمد طريقة في حسن الخلق منه ، فقال : لا ، هو خير لكم وأقواكم عليكم . وقال : اللهم إني وليتهم ولم أرد بذلك إلا صلاحهم ، وخضت عليهم الفتنة ، وقد حضرني من أمرك ما حضر ، اللهم عملت فيهم بالعدل جهدي ، وآثرت محبتك على محبتي ، واجتهدت لهم الرأي ، فوليت عليهم خیرهم لهم ، وأقواهم عليهم ، وأحرصهم على رشدهم ، ولم أرد به صحابة عمر وأنا خارج من الدنيا داخل في الآخرة ، فأخلفني فيهم فهم عبادك ، ونواصيهم بيدك ، أصلح لهم ولاتهم ، واجعله من خلفائك الراشدين ، يتبع هدى نبيه نبي الرحمة ﷺ ، وهدى الصالحين بعده ، وأصلح له رعيته ، وأسلم لعمر أن لا يكون تلبس من هذا الأمر بشيء ، وذلك أن الفارغ من أمر الناس يُقبل على شغل نفسه ، وأن والي الناس يتعرض فيما لا يدري ما ينتج له به في آخر عمره ، فإن هذه الدنيا قد / غرّت من كان قبلكم وتنافسوا فيها فأوردتهم موارد الهلكة ، فندموا حيث لا تنفعهم الندامة ، قد انقطعت الآمال ، وعانينا أعمالهم ، فلا يقبل من محسن عمل ولا من مسيء نزوع عن خطيئة ، فمن استطاع أن يقدم عملا يعيذه الله به من مساوئ يوم القيامة فليفعل .

أ/٢٦٦

فما حقد عمر على طلحة ما قاله ولا تنكر له ساعة قط ، ولقد جعلها عمر شورى في ستة من غير رغبة كانت من واحد منهم اليه في ذلك ولا مسألة ، ولم

يقول أحد من أولئك السابقين الذين لم يدخلهم في الشورى لم لا أدخلتنا فيها ، ولا قالوا هذا بعد موته ، ولا عيب أحد عليه ، وقد جعلهم كلهم لصهيب رعية وهو مولى ، فصلى بهم ثلاثة أيام إلى أن استخلفوا عثمان ، فما أنكروا ذلك . لتعلم زهدهم فيها ، وأنهم كانوا يرونها مع الكلف الثقيلة ، فإذا وجدوا من يقوم بحقوقها ويحمل أثقالها استراحوا اليه وتمنوا مكانه .

ولما دفن عمر ، وأخذ أهل الشورى في الانصراف ، ناداهم المهاجرون والأنصار إلى أين أيها الرهط ، أما سمعتم عهد أمير المؤمنين ، اجلسوا واختاروا واحداً منكم ، فجلسوا ناحية يتشاورون ، فقال أبو طلحة الخزرجي : أبرموا أمركم أظنكم تتنافسونها ، لقد كنت أرى أنكم تتدافعونها ، فتبرءوا من المنافسة فيها ، وأنهم إنما يديرون الرأي في واحد منهم .

فتعلم من ذلك أن أمرهم الزهد فيها ، وأن الطريف الغريب أن يرغبوا فيها ، فردوا الأمر إلى عبد الرحمن ليختار واحداً منهم ، فأخرج نفسه وابن عمه منها ، وأخرج الجماعة واختار عثمان وقال : قد شاورت ونظرت ، فما رأيت الناس يعدلون بعثمان أحداً ، فبايعه الناس وعبد الرحمن / وبايعه عليّ ^{ب/٢٦٧} بعده ، فما أنكروا ذلك أمير المؤمنين ولا طلحة ولا الزبير ولا سعد بن أبي وقاص ولا تعتبوا ، ولهذا كان يقول عثمان للذين تنكروا له في آخر عمره : أدخلت في الشورى من غير طلب مني ولا رغبة ، ثم اجتمع الناس عليّ من بين أهل الشورى من غير طلب ولا رغبة فبايعوني ، فعملت فيهم بما يعرفون ولا ينكرون متبعاً غير مبتدع .

وأما أمير المؤمنين رضي الله عنه فقد عرضت عليه ، وعرضها عليه (١) العباس وبنو هاشم وبنو عبد مناف يوم وفاة النبيّ وبعد عثمان فأبأها وردّها ،

(١) في الأصل : على

واختلفوا إليه أياماً كثيرة فامتنع منها ، ومد يده فقبضها وقال : اختاروا غهري
أبايعه وتبايعونه .

وما كان من طلحة والزبير من المصير إلى البصرة فلم يكن للرجبة في الإمارة
ولكن للطلب بدم عثمان ، فقد كان حرقوص بن زهير وتلك الجماعة أفحشوا
فيما أتوه ، وقد كانوا شكوا إلى طلحة عمال عثمان فأعانهم على عثمان ، وظن
أنهم صادقين ، فتجرؤوا على عثمان بمعاينة طلحة له ومعونته إياهم عليه .

فلما اغتالوه وقتلوه ، ندم طلحة أشد الندم على ما كان منه إلى عثمان . ولما نزل
هو والزبير وعائشة ومن كان معهم حين ساروا إلى البصرة الجفير أرسل عثمان
ابن حنيف الأنصاري عمران بن حصين وأبا الأسود الدؤلي إلى عائشة فقال :

انطلقا فاعلما علمها وعلم من معها ، فقالا : يا أم المؤمنين ، أخبرينا عن مسيرك
هذا أعهد عهده رسول الله ﷺ أم رأي رأيتيه ، فإن أميرنا بعثنا إليك ، فهل
أنت مخبرتنا ؟ قالت : ^(١) بلى هو رأي رأيتيه والله مامثلي يسير بالأمر المكتوم ،

ولا يعطى لبنيه الخمر ، إن الغوغاء من / أهل الأمصار ونزاع القبائل غزوا حرم
رسول الله ﷺ فأحدثوا فيه الأحداث وآووا فيه المحدثين ، واستوجبوا لعنة
الله ولعنة الرسول ، مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا تره ، ولا عذر أنا نقمنا

عليه ضربة السوط ، وموقع النحاية المحماة ، وإمرة الوليد وسعيد ، فعدوا عليه
فاستحلوا منه الحرم الثلاث : جرمة البلد ، وحرمة الخلافة ، وحرمة الشهر
الحرام ، بعد أن مُصناه كما يماص الإناء ^(٢) فركبوا هذه منه ظالمين ، ومزقوا

الأعراض والجلود ، وأقاموا بدار قوم كارهين لمقامهم ، ضارين غير نافعين
ولا مبقين ، لا يقدرن على الامتناع ولا يأمنون ، فخرجت في المسلمين أعلمهم

(١) في الأصل : قال

(٢) ماص الإناء : غسله ، وفي حديث عائشة رضي الله عنها في عثمان رضي الله عنه ، مصتموه
كما يماص الثوب ثم عدوتم عليه فقتلتموه .
اللسان ، مادة ماص

ما أتى هؤلاء القوم ، وما فيه الناس وراءنا ، وما ينبغي لهم أن يأتوا ، وقرأت : « لا خير في كثير من نجواهم » (١) إلى آخرها ، ثم قالت : غضبنا لكم من سوط عثمان فما أنصفنا عثمان إذ لم نغضب له من سيفكم ، فهذا شأننا ، معروف نأمركم به ونحضكم عليه ، ومنكر نخشكم على تغييره وننهاكم عنه .

فخرجنا من عندها فأتينا طلحة فقالا له : ما أقدمك ؟ قال : الطلب بدم عثمان ، قال : أولم تباع علياً ؟ قال : بلى ، وذكر شغب المصريين - الذين غزوا عثمان - في البيعة ، وقولهم للناس : من لم يبايع قتلناه ، ثم قال : وما أستقبل علياً إن هو لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان . ثم أتيا الزبير فسألاه ، فقال مثل ما قال طلحة سواء . فهذا الذي أخرجهما لا طلب الإمارة والمنافسة فيها . ثم أقاما بالبصرة وترددت الرسل بينهم وبين أمير المؤمنين ، وتقرر الأمر بينهم على أن يقدم أمير المؤمنين عليهم البصرة ، ويكون الأمر له ، ويستقبلون النظر فيمن غزا المدينة ، فأفسد الأمر عليهم ابن السوداء / وأمثاله ، كما تقدم ذكره .

ب/٢٦٨

فإن قيل : كيف تقولون ما كان لهم في الإمارة رغبة وهذا عثمان قد قال له عبد الرحمن بن عدس في المصريين ليملاً الكتاب الذي وجدوه عن عثمان إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح في ضرب المصريين المتظلمين وحبسهم ، وأن لا يسلم الأمر إلى محمد بن أبي بكر الصديق ولا يلتفت على الكتاب الذي معه ، فقالوا له : إمام المسلمين يكتب بضرب المسلمين وحبسهم ويظهر شيئاً ويبطن خلافه ، فقال : ما كتبت ولا أمرت ولا علمت ، قالوا : نصدقك ، ولكن تختلع لضعفك عن القيام بها ، ونحبث بطانتك . فقال : لا أنزع قميصاً قمصنيه الله ، فما خلعتها (٢) حتى قتل .

(١) النساء ١١٤

(٢) في جعلها ، في الأصل

وهذا علي قد خولف عليه ، ورجع أصحابه عنه الذين صاروا خوارج ، وأرادوه أن يتوب عن الحكومة أو يعتزل الأمر فما فعل ، وقاتلهم وقتلوه وما نزل عن الخلافة . وقد سأله أهل الشام أن يعتزل لينظروا في الأمر ، وفيمن قتل عثمان ، ثم يولون الأمر بعد ذلك من يرون ، فما اعتزل ، وقد خلعه رسوله وصاحبه الذي أرسله حكماً في دومة الجندل فما قبل حكمه .

وقد تولاهما الحسن فما اعتزل حتى اضطهده معاوية ، وقد أرسل الحسين إلى أهل الكوفة وطلبها ، وخرج اليهم لأجلها ، فلما أحاط به عدوه أرادوه أن ينزل على حكم عبيد الله بن زياد وعلى حكم يزيد بن معاوية وبياعه ويقر له بالخلافة ويبرأ من الخلافة ، فما فعل حتى قتل ، فأية رغبة تكون أشد من هذه الرغبة .

قلنا : الذي عمله عثمان وعليّ والحسن والحسين هو الصواب ، وما كان يحل لهم أن يختلعا ، ولو فعلوا لعصوا ربهم ، لأنهم كانوا أحق بالأمر ممن ينالهم الاختلاع ، وهو فرض قد تعين عليهم القيام به ، وقد كانوا أدخلوا فيه / وصحت البيعة لهم ، وإنما قلنا إن المهاجرين الأولين لم يكونوا يرغبون فيها إذا وجدوا من أمثالهم من يقوم بها ، فأما بعد دخولهم فيها فلا يحل لهم الإفراج عنها وتركها لأجل الجهال الذين خالفوهم فيها ، بل يجب عليهم مجاهدتهم إذا وجدوا أعواناً ، فإذا لم يجدوا كان لهم أن يعتزلوها إلى أن يجدوا أعواناً كما فعل الحسن رضي الله عنه حين أسلمه أهل الكوفة .

وما يحل لمسلم أن يخلي أئمة الضلالة وولاية الجور إذا وجد أعواناً وغلب في ظنه أنه تمكن من منعهم من الجور كما فعل الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وكما فعل القرءاء حين أقاموا ابن الأشعث في الخروج على عبد الملك بن

مروان ، وكما فعل أهل المدينة في وقعة الحرة ، وكما فعل أهل مكة مع ابن الزبير حين مات معاوية ، وكما فعل عمر بن عبد العزيز ، وكما فعل يزيد ابن الوليد بن عبد الملك ، فيما أنكروه من المنكر .

وبزهد المهاجرين الأولين في الخلافة كان يضرب المثل كما قد تقدم ذكر ذلك ، وعثمان وعليّ رضي الله عنهما فما عهدا في أحد البتة وأبو بكر وعمر لما عهدا لم يكن العهد في أحد من أولادهما ولا من أهلها .

ولما عزم معاوية في العهد لابنه يزيد فرق الأموال ، وأخذ له على أهل الشام ، وأرسل إلى المدينة وكان أميرها من قبله مروان بن الحكم وأبا زرعة روح بن زنباع الجندامي ، ففرق الأموال ، وقام مروان في الناس خطيباً وقال لهم : إن أمير المؤمنين معاوية قد جعل لكم ملجأ تلجئون إليه بعده وهو ابنه يزيد فقوموا وبايعوا ، فلکم كذا وكذا ، وذكر ما لمن أطاعه ، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق : يا بني أمية إن هذا الأمر كان لرسول الله ﷺ ، وقد كان في أهله من لوجعله فيه لكان أهلاً فلم يفعل ، وكان لأبي بكر / ٢٦٩ ب/ وكان في أهله من لو جعله فيه لكان له أهلاً ، وقد كان في عمر وقد كان في أهله من لو جعله فيه لكان له أهلاً فلم يفعل ، فأعدتموها يا بني أمية أعجمية ، كلما هلك هرقل قام هرقل ، فانقلّ الجمع ، فقال له مروان : أنت الذي أنزل الله فيك : «والذي قال لوالديه أف لكما أتعداني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي» (١) إلى آخر القصة ، فسمعت عائشة من وراء الحجر فقالت : كذبت ، في غيره نزلت ، وأما أنت فقد لعن رسول الله ﷺ أباك وأنت في ظهره .

فاعرف كم في هذا من معنى ودلالة من وجوه كثيرة منها : أن ولد أبي

(١) الأحقاف ١٧

بكر وغيرهم ينطقون بالحق في زمن الجبايرة الذين قد أفنوا الأمم بالسيف وما يكاد أحد ينطق إلا بما يهون ويريدون ، ومنها إدلال هؤلاء بصحة إمامة أبي بكر وعمر وبراءتها من كل عيب ، فما نطق مروان ولا أحد من بني أمية بعيب مع حاجتهم إلى ذلك ، وفيهم الملك ولهم الامر ، والذي قد غاظهم وأغضبهم ولد أبي بكر .

ولما حج معاوية أخذ من كان يصلح للإمامة من قريش ومن كان يخافهم مثل الحسين وعبد الله بن الزبير وابن عمر ، فقال لهم : بايعوا ليزيد ، فقال له ابن الزبير : ارض منا بسيرة رسول الله ﷺ فإنه ترك الناس فاخترأوا لأنفسهم بعده من رأوه أهلاً لها ، أو بسيرة أبي بكر فتنص على رجل مرضي عند الأمة ليس من أهلك ، أو كما فعل عمر فتجعلها شورى من قوم مرضيين معروفين ليس فيهم أحد من أهلك ، فلك ولنا بهؤلاء أسوة . فغضب معاوية ، وهددهم ، وتوعد الناس وقال : لستم في زمن أبي بكر وعمر وإنما هم بنو أمية ، من عصاهم أو جلوه السيف ، فلاذت تلك الجماعة بعائشة وخافوه على أنفسهم فأرسلت إليه فجاءها وكلمته في أمرهم / وقالت له : قد كان لمن يقدمك بنون ما ابنك مثلهم ، فما رأوا في بنينهم ما رأيت في ابنك ، فما زال يخرجها من باب وتخرج معه حتى أبيضت ريقه انقطاعاً في يديها ، إلى أن قالت : إنما هو ملك بباطل تجعلونه بني أمية فيمن تهوونه .

وفي هذا مثل ما في الذي قبله وأكثر ، قال قائل من الإمامية : أنتم تزعمون أن علياً كان يرضى سيرة أبي بكر وعمر وقد قال له عبد الرحمن بن عوف في الشورى : أوليك هذا الأمر على أن تقضي بكتاب الله وبسنة رسول الله وسيرة أبي بكر وعمر قال : أما بكتاب الله وسنة رسول الله فنعم ، وأما سنة أبي بكر وعمر فلا ، فما الذي يبقى بعد هذا ؟

قيل له : هذا يبطل من وجوه منها : أنكم تقولون أن علياً رضي الله عنه (١) ، كان في زمن هؤلاء في تقية وخيفة ، يمثل أمرهم ولا يجسر يردّ عليهم ولا يظهر خلافهم ، وكذا كان بعد موتهم ، وفي سلطانه وخلافته ومعه مائة ألف سيف ، يقولون : ماجسر أن يظهر مخالفتهم ولا عيبهم ولا الرد عليهم ، لأن أعوانه ومن كانوا معه كانوا يهدنون بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان ، فلو عابهم أو اتهموه بعيبيهم لقتلوه .

قلتم : إنه خرج من الدنيا وما أظهر ما في نفسه ، وإنه سار في أموال رسول الله ﷺ في خلافته بسيرتهم ، وقرأ هذا القرآن ، وصلى التراويح ، وحيا الأرض كما حيوها ، ومدحهم على منابرهم بالمدح العظيم الذي قد امتلت الكتب به ، وإذا سألناكم قلتم : هذا كله صحيح قد فعله عليّ وقاله ، إلا أن باطنه فيه خلاف ظاهره ، وإنما قاله تقرباً إلى أنصاره وأعوانه لأن ذلك كان يعجبهم ، ويرون إمامة هؤلاء فقالوا خوفاً منهم وتقرباً إليهم ، فكتب أسلافكم مملوءة بأنه قد فعله تقية وخيفة ، والآن تذكرون بأنه قد كاشف في البراءة منهم ومن أفعالهم في زمن عثمان وقبل / أن تصير الخلافة إليه ، فأنتم لا تعملون علي ٢٧٠/ب
تحصيل ، ولقلة حيلتكم وأنه ليس معكم حجة في مذهبكم (ما) (٢) تأتون بالشيء تظنون حجة لكم فتتقصون به على أنفسكم من حيث لا تشعرون ، ففي هذا كفاية .

ومنها : أنه قد علم كل من سمع الأخبار أن علياً رضي الله عنه قد استن بسنن أبي بكر وعمر وعمل بها ، وأطاعهما حياتهما ، ونفذ وصاياهما بعد موتهما ، فأطاعهما حيّين وميتين ألا ترى أنه بايع أبا بكر وعمل له على أموال

(١) في الأصل : علي

(٢) كذا في الأصل ، ونظنها زائدة

رسول الله ﷺ ، وعمل له على الاتعاب بالمدينة وضبطها له ، وغزامه ، وأشار عليه ، ونفذ وصيته في عمر ، وأطاعه أحسن طاعة ، وخلفه على المدينة غير مرة ، وصاهره ، وأتى في طاعته ومزضاته ما يطول ذكره ، وأدخله في الشورى فدخل ، وجعله رعية لصهيب فقبل ، وردّه إلى عبد الرحمن فرجع ، وغير ذلك مما يطول شرحه ؛ فكيف يقول : لا أسير بسيرة أبي بكر وعمر ، أو يصدق عاقل سمع الأخبار مثل هذا الظن ؟ ومن ذا الذي يدع المعروف المشهور بالمكاتبات ويرجع عن المعروف بمجهول التأويل .

وإنما قال ذلك^(١) ، لأن كتاب الله وسنة نبيه لا يحتمل الزيادة ولا النقص البتة .

وسنة الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر الذي قال له عبد الرحمن هو اجتهادهما في الدين وحياطته وحفظه ، والزهد والعفاف الذي هو مشهور عنهما ، فلو قال نعم للزمه الدخول في ذلك من غير زيادة ولا نقص ، وقد لا يجد الشخص من نفسه القيام بما يقوم به غيره ، ثم الفتيا في المسائل التي ليس فيها نص كتاب ولا سنة والعمل فيها بالقياس والاجتهاد من الإمام ما كان يمكنه التقليد فيه وترك نفسه من الاجتهاد ، ولهذا المعنى أشار ، وله أراد ، هذا لا يشك فيه من له فطنة ولا دراية ، والله أعلم . / وأيضاً فليس هاهنا إلا أنه قيل إن عبد الرحمن قال لعلي تقضي بسنة أبي بكر وعمر .

لأنه جاء أن عمرو بن العاص أتى علياً ليالي الشورى فقال له : إن عبد الرحمن رجل مجتهد ، وإنه متى أعطيته العزيمة كان أزهده فيك ، ولكن الجهد والطاقة فإنه أرغب له فيك ، ثم لقي عمرو بن العاص عثمان فقال

(١) كتب في الأصل : حاشية

له : إن عبد الرحمن رجل مجتهد ، وليس والله يبايعك إلا بالعزيمة ، فاقبل . قال : فلما قال عبد الرحمن لعليّ : هل أنت ياعليّ تباعني على كتاب الله وسنة نبيّه وفعل أبي بكر وعمر ، قال له عليّ : اللهم لا ، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي ، ومن يطيق ذلك . فقال لعثمان هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيّه وفعل أبي بكر وعمر ، فقال : نعم ، فبايعه . فقال عليّ ، خدعة ، يعني أن ابن النابغة خدعه ، فهكذا جاء الحديث ، فإن كان صحيحاً فاقبلوه ، فأنتم أول من يقول لا يجوز أن يقال لأمر المؤمنين بكتاب الله وسنة رسول الله فيقول هذا القول ^(١) ، ولا يجوز أن يخدعه عمرو بن العاص فأنتم لا تقبلون ما قد ذكر ، وإذا دُعيتم إليه نفرتم عنه ، ثم تدعون ما لم يكن وتجعلونه أصلاً تنصرفون به عن المعروف من اتباع أمير المؤمنين لهؤلاء القوم وتصويبه لهم ؟ على أن الذي ثبت عند العلماء أن عبد الرحمن قال لأهل الشورى : إني قد نظرت وشاورت واستخرت فما وجدت الناس يعدلون بعثمان أحداً .

وأيضاً فقد كان في الصحابة من يخالف أبا بكر وعمر في مسائل الاجتهاد . ولا يحتشم ذلك ، ولا ينكر أبو بكر وعمر ذلك ، وقد خالفهما ابن مسعود ، وأبي ، ومعاذ ، وزيد بن ثابت ، وابن عباس ، وغيرهم . فتعلم أن ما يتعلق به هؤلاء باطل .

ومن عجيب ما يدعونه أن عمر احتال على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه / حتى أدخله في الشورى ، وقال : إنه يصلح للخلافة ، وأنه قال إذا صار أهل الشورى ثلاثة وثلاثة فاقتلوا الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن ، وأن عبد الرحمن كان عدواً لعليّ وصرفها عنه إلى عثمان ، وأن عمر إنما قال هذا حرصاً على أن ينصرف عن عليّ ويصير إلى عثمان .

(١) لعل هنا نقصاً بعد كلمة أمير المؤمنين تقديره : هل تعمل ، وذلك حتى يستقيم المعنى .

وليس معهم في هذا دلالة ولا برهان ، إنما هو البهت والفرية وظنون
كاذبة كغيرها من أقاويلهم ، وقد تقدم لك الدلالة على أنه لم يكن بين عليّ
وأبي بكر وعثمان وعبد الرحمن وتلك الجماعة عداوة ، بل كان بينهم من
الموالة والمودة في الدين والإسلام ما فيه كفاية .

ثم يقال لهم : لو أرادها عمر لعثمان وحده أو لعبد الرحمن أو لأحد يريده
لنص عليه كما تقدم النص من أبي بكر أو كما نص هو على صهيب في الصلاة ،
فكان الناس يمثلون ذلك وقد استراح مما ادعيتموه ، ولم يكن عليه خوف ،
كما لم يكن على أبي بكر خوف .

والعجب أنكم تقولون : إن أبا بكر وثب بمقام رسول الله ﷺ ، فقام فيه
في حياته وفي بيته وبحضرتة وبحضرة جميع بني هاشم والمهاجرين والأنصار ، اغتصاباً
وقهراً ، وتم له ذلك ، واغتصبهم بعد موته ، وساعده الناس ، ونصّ على
عمر فقبلوا منه فأنفذوا وصيته ، ولم يقبلوا من رسول الله ﷺ ولم ينفذوا
وصيته ، وقبلوا من عمر في الشورى وفي كل ما وصى به ، ولم يقبلوا من
رسول الله ﷺ وصيته ونصه على وصية علي رضي الله عنه ، وقد بين لهم
الفرض في ذلك ، وهو من فرض الكافة .

وهاهنا يقولون : إن عمر خاف ولم يكشف ماأراده وأخفاه ودلّسه ،
كصنيع المغلوب المقهور الخائف المترقب ، فأقاويلكم يكذب بعضها بعضاً ،
وأنتم تنقضون مذاهبكم وأصولكم بأيديكم ، وتبعثون / خصومكم على
النقض عليكم ، فلستم ممن يستقر له قول ولا يتقرر له مذهب .

وقد علمت رحمك الله في الجملة أنه ما كان يجري في ذلك الزمان وبحضرة
أولئك السابقين ولا يقبل ولا يمثل إلا الصواب ، وإن من أتى بغيره ردّوه
وأنكروه ، وقد تقدم لك بيان ذلك وبرهانه ، فكلما بلغك عنهم مما له ظاهر

تنكره ، فأما أن لا يكون له أصل البتة ، وأما أن يكون إن كان حقاً المراد به
والنية فيه والتقصيد غير الظاهر الذي أنكره الخصم وأوله ، فقد علمت حالهم في
تمسكهم بدين رسول الله ﷺ ووصاياه والقيام على نصوصه وعهوده ، وأن
أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً لو أرادوا في سلطانهم أن يغيروا نصاً لرسول
الله ﷺ في امرأة أرملة ذمية لما تمكنوا منه ، وإن سلطان هؤلاء لم يكن كسلطان
معاوية ومن بعده من الملوك .

فاحفظ هذا الأصل وارجع اليه فيما ذكروه عن عمر في قتل أهل الشورى ،
وفي ادعائهم على أبي بكر أنه أمر خالد بن الوليد بقتل عليّ بن أبي طالب ثم
بدا له فقال لا تفعل ، بحضرة المهاجرين والأنصار ، وأنه وجه بالنعمان بن
بشير ، والمغيرة بن شعبة فقتلا سعد بن عبادة الأنصاري ، وأن أبا سفيان وبني
أمية كانوا في زمن عثمان يظهرون بين الناس بتكذيب النبيّ ، وأنه ما هاهنا
معادٌ ولا جنة ولا نار ، ولهم في هذا روايات كثيرة عن الصحابة من الرجال
والنساء ، وذكرها يطول ، غير أنك تعلم كذبهم فيها بالدليل الذي تقدم من
تمسك المهاجرين والأنصار بدين النبيّ ﷺ ، وأن الغلبة في زمانهم كانت
للمقيمين على دينه وللمعتقدين على تصديقه .

ب/٢٧٢ على أن هذا الانكار والتكذيب له وبالبعث / والنشور والحساب والجنة
والنار وما أشبه ذلك ، ما كان أحد يجسر على إظهاره في زمن معاوية وأئمة
البحر من بني أمية ، ولا في زمن ملوك بني العباس وحيث كان الملوك منهم ،
فإن الملوك من بني أمية وبني العباس ما كانوا ملحدة ولا زنادقة ولا أعداء
لرسول الله ﷺ بل كانوا على ملة الاسلام ويحبون رسول الله ﷺ ودينه ،
ويبرؤون من أعدائه وإن شابوا ذلك بحب الدنيا وببئثار العاجلة وقتل من
يأمرهم بالقسط من الناس ، وغير ذلك من الكبائر والمناكير التي ارتكبوها .

فقل كان لهم تعظيم القرآن وجهاد العدو وعمارة الثغور ، وقد كانوا كلهم يعيبون المسرفين منهم ، وقد كانوا في مجالسهم يتذاكرون أعلام رسول الله ﷺ وآياته ، وكانت أظهر وأقهر من أن يعتقدوا خلافها ، وقد كانوا يوصون أولادهم بالإسلام .

ولم نقل هذا فيهم من طريق حسن الظن بهم ، ولكن إذا اعتقدوا عداوته أو تكذيبه أو عيبه أو عيب شيء من طرائقه وأخلاقه ومذاهبه ﷺ لظهر ذلك ولبدا في أخلاقهم وطرائقهم وفتلت ألسنتهم وفي سقطات أعمالهم ، فبهذا جرت العبرة والعادة سيما وهم ملوك .

ولقد تفاعل الوليد بن يزيد بن عبد الملك وهو خليفة وملك جبار ، وهو أغنى بني مروان (١) ، فخرج له في المصحف ما يكرهه فرمى بالمصحف من يده و تسخط ماخرج له ، فقام إليه ابن عمه فضرب عنقه في هذا المقدار ، وجعله حجة في قتله ، وأنت تتبين ذلك وأن مثله لا يخفى بمثل ابن العميد وزير ركن الدولة ، وبأبي جعفر بن بانو السجزي ملك سجستان ، وأبي علي بن إلياس ملك كرمان ، وأمثالهم ، فإن هؤلاء وقعت عليهم الباطنية فما زالوا بهم / ١/٢٧٣ حتى خرجوا من الإسلام ، وما أمكنهم المجاهرة والمكاشفة بعبادة رسول الله ﷺ ، غير أن ذلك بدا في فتلت ألسنتهم وسقطات أعمالهم وإن اجتهدوا في كتمانهم .

فأما من بالأحساء ومصر والمغرب فما يظهر منهم من عداوته ﷺ والقصد إلى إطفاء نوره وإماتة شريعته فعظيم ، وكان مما ادعوه على المهاجرين والأنصار أنهم كانوا ممن يبغض أمير المؤمنين لقتل من قتل من المشركين ، قالوا فلماذا

(١) في الأصل : « وهو أغنى بني مروان »

أخروه ولم يقلدوه الخلافة ، قالوا ومع هذا فحسدوا بني هاشم أن يجتمع فيهم الخلافة والنبوة جميعاً .

وهذا كأمثاله من الافتراء الذي لهم على المهاجرين والأنصار ، فقد علمت أحوالهم وكيف أجابوا النبي عليه السلام من تلقاء أنفسهم تصديقاً له وإيماناً بما أتاه ، وقد كان لهم بمكة وبالمدينة وبأرض الحبشة ما قد تقدم ذكره لك ، ويشهد عندك ببطلان هذه الدعوى .

وبعد فقد علمت ما كان للمهاجرين والأنصار من الخوض في باب الإمامة في حياة النبي ﷺ ، وفي مرضه ، وبعد موته ، وقبل دفنه . وفيما جرى بين أبي سفيان والعباس وبني هاشم ، وفي السقيفة ، وعند استخلاف عمر ، وفي الشورى ، وفي غير ذلك . فما ذكر ذاكر أن هذا يكرهه لأنه قتل الآباء والأبناء ولا بالألأ يجب أن تكون النبوة والخلافة جميعاً في بني هاشم ، وما نطق أحد من خلق الله بحرف من هذا ولا خطر ببالهم .

وقد دخل أمير المؤمنين رضي الله عنه في الشورى فما أنكر أحد دخوله ، ولا نفر أحد ، ولا نطق أحد في ذلك بحرف ، بل رضي الناس كلهم بذلك كما رضوا بغيره ممن كان في الشورى ، وقد تبادر الناس إليه بعد عثمان ، وأكبوا عليه ومدوا يده ، فقبضها مرة بعد مرة / وحرصوا به وأجبوا خلافته ٢٧٣ / ب وبيعته ، فما نطق أحد بحرف مما يدعيه هؤلاء ، وفي كل هذا تكذيب لدعاويهم وفريتهم . وقد علمنا أنه لم يكن له رضي الله عنه في زمن رسول الله ﷺ ولا في زمن أبي بكر وعمر وعثمان عدو من المهاجرين ولا من الأنصار ، حر ولا عبد ، ولا ذكر ولا أنثى ، لأن ذلك لو كان كذا لظهر ، ولكان العلم به كالعلم بغيره من الأمور ، وكالعلم بمن قعد عنه ، وكالعلم بمن عاداه من أهل الشام ، وكالعلم بمن رجع عنه من أصحابه كما قد تقدم .

وليس معاداة من عاداه بعد ذلك وبريء منه دليلاً على أنهم قد كانوا أعداءه في زمن رسول الله ﷺ وزمن أبي بكر وعمر وعثمان فقد عادى قوم عثمان رضي الله عنه وخالفوه ونازعوه في آخر أيامه ، ولا يدل هذا على أنهم كانوا عدوه في زمن رسول الله ﷺ ، ولا فرق بين من ادعى هذا أو ادعى أن الخوارج إنما خالفوه وأكفروه لأنه قتل المشركين ، ولأنه كسر الأصنام ، ولأنهم كرهوا أن تكون النبوة والخلافة في بني هاشم . وكذا أهل الشام في خلافهم عليه ، وهذا كله بهت واختلاط ممن ادعاه ، بل الأمور التي لها ومن أجلها خالفه من خالفه من أهل الصلاة معروفة ، كما أن الأمور التي لها ومن أجلها خولف عثمان معروفة .

وبعد فإن المهاجرين والأنصار ، إنما كانوا يقدمون من قتل المشركين ويحلونه ويعظمونه ويعظمون من كانت وطأته على المشركين أشد ، ولهذا جلّ عندهم من شهد بدمراً والمشاهد التي كانت في قتال المشركين وقتلهم ، ولم تكن منزلة غيرهم من مسلمة الفتح ومن أسلم بعد الفتح منزلتهم ، وكان مما يجلب به عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه احتز رأس أبي جهل / وكان مما يجلب به عمر عندهم أنه يوم بدر ما أسر أسيراً وأن كل من وقع بيده من المشركين قتله ، وكان فيمن قتله العاص بن هشام وكان خاله ، وطلب خاله الحارث ابن هشام فأفلت من يده ، ومما كانوا يقدمونه فيه أنه يوم بدر أشار على النبي ﷺ بقتل الأسرى وقال له : سلم كل رجل منهم إلى أقاربه وأهل بيته فليضرب عنقه ، فهم رؤوس الشرك ، وهم كذبوك وأخرجوك ، فسلم عقيلاً إلى أخيه عليّ ليقته ، وفلاناً إلى فلان ، ولقتل المشركين تقدم عندهم الزبير ، وأبو دجاجة ، وبنو عفرة ، والبراء بن مالك وأمثالهم . كما قد كان يتقدم عندهم من جمع القرآن وحفظه ، بل كان من كانت نكايته في المشركين

١/٢٧٤

أشد تقدماً عندهم ممن جمع القرآن وقرأه ، وما دعوى من ادعى هذا إلا كمن ادعى أن المهاجرين والأنصار كانوا يبغضون علياً لقراءته القرآن ولصلاته الطويلة ولكثرة ما كان يقول لا إله إلا الله .

وقد كان هناك من المهاجرين والأنصار من قد قتل القتل الكثير غير من ذكرنا ، وهم أكثر مما يحصون ، وما كان هناك أحد من مسلمة الفتح ممن قتل له أمير المؤمنين قتيلًا إلا أبو سفيان صخر بن حرب ، فإن أمير المؤمنين قتل ابنه حنظلة يوم بدر ، وأبو سفيان فهو الذي كان أشد الناس حرصاً يوم مات النبي ﷺ أن تكون الخلافة في بني عبد مناف ، وأن يكون عليّ بن أبي طالب هو الخليفة دون أبي بكر وقد تقدم لك ذكر ذلك .

فأما المهاجرون والأنصار والسابقون فهم كانوا يتولون قتل أحبائهم وأهلهم ، ولقد برز أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة إلى أبيه يوم بدر ليقتله فمنعه النبي ﷺ من ذلك ، وقال له : دعه يقتله غيرك ، فقتل أبوه وعمه وأخوه وابن أخيه وغير واحد / من أهله وهو صابر راض يشكر الله على ذلك وبما وهبه الله لرسوله من النصر ، وهذا من أولاد سادات قريش ومن أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة ثم إلى المدينة ، وكم مثله فيهم رضي الله عنهم .

فإن قالوا : وما حرص أبي سفيان أن تكون الخلافة في عليّ ؟ قلنا : لأنه من رهطه وبني عمه فأحب أن تكون الخلافة في بني عبد مناف ، وكذا أحب العباس وخالد بن سعيد بن العاص ، وغير هؤلاء من بني هاشم . غير أن خالد ابن سعيد لم يكن من مسلمة الفتح بل كان ممن أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة وإلى المدينة ، وقد تقدم لك ذكر إسلامه ، فتعلم بطلان دعاويهم من كل وجه .

فإن قالوا : فإننا لا نصدق أن أبا سفيان حرص في أن تكون في عليّ دون

أبي بكر ، قلنا : لا فرق بين من ادعى هذا فيه أو في العباس ، وأنه جرى بينه وبينه في ذلك قول ولا خوض ولا مراجعة ، ولا فرق بين من أنكر هذا أو أنكر السقيفة والشورى ، ويمثل ما علمت أنه لم يكن لعلي ولا لعثمان في المهاجرين عدو ولا مخالف منهم ولا من غيرهم ، تعلم أنه لم يكن لأبي بكر ولا لعمر ولا لأولئك السابقين عدو من المهاجرين ولا من الأنصار ولا من بني هاشم ولا من أحد من الصحابة ولا من السابقين ولا من سائر المسلمين إلى أن حدث من أمر هشام بن الحكم وأمثاله ما حدث ، فاعرف ذلك فإنه لو كان يعرف الناس الحال فيه كما عرفوه في غيره مما قد تقدم ذكره من شأن من خالف على عثمان وعليّ وعاداهما ، وما كان من شأن سعد بن عبادة فإن من ادعى هذا كمن ادعى أنه قد كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمن أبي بكر رافضة وخوارج لتأكد لك المعرفة من كل وجه ببطلان دعاوى هؤلاء على القوم / الخلاف يوم موت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غير ذلك من دعاويهم . وقد تقدمت لك أدلة العقول قبل أدلة القرآن بمحبة النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء ، وأنه قد فرض محبتهم على الأولين والآخريين من أمته .

١/٢٧٥

فأما دعوى عبد الله بن سبأ وأصحابه فلم تكن من دعوى هشام بن الحكم بسبيل ، إنما كان في التفضيل ، ثم كان من إنكار أمير المؤمنين ما هو مذكور ثم خرجوا إلى ما خرجوا إليه هؤلاء ، وما هم من المهاجرين ولا الأنصار ولا من التابعين ، ولا يعرفون بشيء من الخبر البتة .

وقد تقدم لك شدة تمسك المهاجرين والأنصار بدين رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظ شريعته بعده ، ولقد خرجوا إلى حرب مسيلمة وأهل الردة مبادرين للإنكار عليهم من مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يملكون أنفسهم

غضباً على من خالفه أو خرج من دينه حتى يقول الأخ منهم لأخيه والوالد لولده إذا قال أحدهما لصاحبه أقم أنت حتى أخرج أنا ، فيقول الآخر : أنا أريد من الشهادة والجهاد مثل ما تريد ، فيودعون الأهل والأحباب ويقولون لعلنا لا نرجع إليكم ، ولا يلوون على شيء من الدنيا . ولقد التقوا مع مسيلمة فأنكشفوا ، فقالوا عودنا الاعراب الفرار ، ما هكذا كنا نقاتل مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وقالوا لخالد بن الوليد وهو أميرهم أخلصنا بعدونا فأخلصهم ، وحفروا الحفائر وثبتوا فيها يقاتلون إلى أن ظفروا ، وقتل مسيلمة وقتل أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وثابت بن قيس ، وزيد بن الخطاب ، وغيرهم من المهاجرين والأنصار نحو أربعمائة ، فيهم من حفاظ القرآن سبعين رجلاً ، وفيهم ممن شهد له النبي عليه السلام بالجنة وأنه يقتل شهيداً ، وهذا من آياته وكلهم قتل في طاعة أبي بكر .

ولأجل هذه القضية وهذا الزحف اجتمع الصحابة / إلى أبي بكر وقالوا ٢٧٥/ب له : اجمع القرآن في مصحف واحد ليناله كل أحد ، فقد قتل في هذا الزحف خلق كثير ممن حفظ القرآن ، ولا نأمن زحفاً مثله يقتل فيه آخرون ممن قد جمع القرآن ، فيذهب منه أو يضيع ، وهؤلاء ما يملكون أنفسهم ، ولا يصبرون عن الجهاد ولا عن الموت في طاعة الله ، [وللموت في طاعة الله] (١) أحب إليهم من الحياة ، أفعلى هؤلاء يدعى أنهم كانوا يعادون من قتل المشركين ، أو أنهم تغيروا بعد نبئهم .

ولقد انطلق أبو الجهم بن حذيفة العدوي يوم اليرموك يطلب ابن عم له ومعه شيء فيه ماء ، فإن كان به رمق سقاه ومسح بالماء على وجهه . فأتاه فقال له : أسقيك ؟ فما كان به طرف يتكلم ، فأشار أي نعم ، فإذا صوت

(١) زيادة مني على الأصل اقتضاها السياق

رجل يقول : أوّه ، فأشار ابن عمه إليه أن انطلق إليه واسقه ، فأتاه فإذا هو هشام بن العاص بن وائل السهمي ، فقال له : أسقيك ؟ فسمع آخر يقول : أوّه وما بهشام طرف يتكلم فأشار هشام أن انطلق إليه ، فجاءه فإذا هو قد مات ، فرجع إلى هشام فإذا هو قد مات ، ثم أتى ابن عمه فإذا هو قد مات . وكم مثل هذا لو أخذت أذكره لظال ذلك ، وأنت تجدها في أماكنها . وهؤلاء هم الذين كانوا أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول أمره حين دعا إلى الله عز وجل وأولاد أعدائه .

وانظر إلى مسلمة الفتح . فهذا الحارث بن هشام ، وعكرمة بن أبي جهل ، وعباس بن أبي ربيعة ، فإنهم هجروا الأوطان ، وفارقوا الأهلين ، ورفضوا الأموال ، وأقاموا على الجهاد، حتى أسعدهم الله بالشهادة ، وأوجب لهم الكرامة .

ولقد استلحموا ، وجلت عنهم المعركة وقد أصابهم أشد العطش من حر السلاح ، فمد الحارث يده يستسقي ، ومد عكرمة يده ، فقال الحارث : اسق عكرمة ، فمد عياش يده فقال عكرمة : اسق عياشاً / فلم يصل إلى أحد منهم حتى مات الآخر مما كان بهم من الطعن والضرب وحرّ الحديد ، فكيف يتوهم على هؤلاء الحقد والضغن ، وهل شيء يؤمن من ذلك إلا وقد كان معهم ؟ وهؤلاء قد قتل رسول الله ﷺ أباهم وأبناءهم وإخوانهم وأذوه وحاربه قبل إسلامهم ، فلما أسلموا أخلصوا ، وكان هؤلاء وأمثالهم أشد الناس على أهل الردة وعلى جميع أعدائه ﷺ .

ومثلهم سهيل بن عمرو ، والمهاجر بن أبي أمية ، وعتاب بن أسيد ، وجبير ابن مطعم ، فهؤلاء من ردّ الردة ، وقتل مسلمة ، وأسر طليحة ، وقتل أهل ردة عمان ، ورجال أسد وغطفان ، وما قنعوا بقتلهم حتى أحرقوهم

بالنار غضباً لرسول الله وحمية لدينه ، وهم كانوا أشد الناس عليه ، ولكن لما أسلموا زال ذلك كله ، وأخلصوا أشد الاخلاص . وهؤلاء وأمثالهم قد كانوا عرفوا الحق فمنعهم من الدخول في الاسلام الحمية وحب الرئاسة ، وقد كانوا علموا أن رسول الله ﷺ لا يقدمهم على الفقراء والموالي الذين سبقوا إلى الاسلام كما قد تقدم ذكر ذلك لك ، فلما قهرهم الحق وجاء الفتح أسلموا ، وكانت نفوسهم أبية يأنفون من النفاق والفسق والغيبة ، فأسلموا وهذه أخلاقهم فأخلصوا ونصحوا .

وقد تقدم لك ما قاله الحارث بن هشام حين خرج من مكة مهاجراً في سبيل الله ، ولهذا المعنى قال أبو جهل لابن مسعود حين أكب عليه ليجهز عليه : ألت رويعياً بتهمة ، لقد ركبت مركباً صعباً . وقد تقدم لك للأسباب نزول قوله عز وجل : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه » .

ولقد ذكر سهيل بن عمرو ، أن الحمية والأنفة وحب الرئاسة مما منعهم من الدخول في الاسلام ، وكان يقول : وأبو سفيان يعرف من هذا / الحق ب/٢٧٦ ما أعرف ، ولكن حسد بني عبد المطلب قد ختم على قلبه . وقد كان أبو سفيان يتحدث بمثل ذلك فيقول : خرجت وأميه بن أبي الصلت الثقفي ، وطليق بن سفيان بن أمية تجاراً إلى الشام^(١) ، وكان أميه بن الصلت يأتي النصراني ويسمع من علمائهم ، فقال لي : هل لك في عالم من علماء النصراني إليه يتناهى علم الكتب تسأله عما بدا لك ؟ قلت : لا أرب لي به ، والله لئن حدثني ما أحب

(١) كلمة سفيان ليست واضحة في الأصل

لا أثق به ، ولئن حدثني ما أكره لأوجلن منه . فأقام عندهم أمية ثم رجع
كثيباً حزيناً ، فلما سرنا قال لي [: هي عن عتبة بن ربيعة يجتنب المحارم والمظالم ،
قلت إي والله ، قال ويصل الرحم ويأمر بصلتها ، قلن نعم ، قال ومحوج ،
قلت نعم ، قال فهل تعلم قرشياً أشرف منه ، قلت لا والله ما أعلم ، قال :
كم أتى له قلت : سبعون هو لها هو ابنها] ^(١) . قلت : وأنت قائل
شيئاً فقله ، قال : والله لا تذكر حديثي حتى تأتي منه ما هو آت ،
قلت لا أذكره ، قال : إني جئت هذا العالم فسألته عن أشياء ، فأخبرني
عن نبيّ من العرب منتظر ، وأنه من أهل بيت يحجه العرب ، قال :
قلت فينا بيت تحجه العرب ، قال : لا ، هو من إخوانكم وجيرانكم قريش ،
قال : فأصابني والله شيء ما أصابني مثله قط ، فكنت أرجو أن أكون أنا
هو ، قلت فإذا كان ما كان فصفه لي ، قال : شاب ، حين دخل في الكهولة
بدأ أمره ، إنه يجتنب المحارم والمظالم ، ويصل الرحم ويأمر بصلتها ،
وهو محوج ، ليس بذراع الشرف ، كريم الطرفين في العشيرة ، أكثر جنده
من الملائكة . قال : قلت : ما آية ذلك ؟ قال : قد رجف الشام منذ هلك
عيسى ثمانين رجفة كلها فيه مصيبة عامة وبقيت رجفة عامة فيها مصيبة ،
نخرج على أثرها . قال أبو سفيان : قلت : إن هذا والله هو الباطل ، لئن
بعث الله رسولا / إلا شريفاً مسناً ، قال : ثم رحلنا حتى إذا كان بيننا وبين
مكة ليلتان ، أدركنا راكب من خلفنا فسألناه فإذا هو يقول : أصابت الشام
رجفة دمرت أهلها وأصابتهم فيها مصيبة عظيمة ، قال أمية : كيف ترى
يا أبا سفيان ؟ قلت : والله ما أظن صاحبك إلا صادقا .

٢٧٧/أ

وقدمنا مكة فتفضيت مما كان معي ، ثم انطلقت حتى جئت أرض الحبشة

(١) الكلام بين القوسين غير منسجم إذا اتصل مع ما قبله وما بعده ، ولذا وضعته بين قوسين
على أن الكلام مستمر بين كلمة : سرنا وكلمة : قلت .

تاجراً فكشمت بها خمسة أشهر ثم أقبلت حتى قدمت مكة ، فبينما أنا في منزلي
 جاءني الناس يسلمون علي حتى جاءني آخرهم محمد بن عبد الله وعندي هند
 جالسة تلاعب صببية لها ، فسلم عليّ ورحّب بي وسألني عن سفري ومقدمي
 ثم انطلق ، فقلت : والله إن هذا الفتى للعجب ، ما جاءني أحد من قريش له
 معي بضاعة إلا سألتني عنها ، وما بلغت ، والله إن له معه لبضاعة ما هو بأغناهم
 عنها ثم ما سألتني عنها ، فقالت هند أو ما علمت شأنه ؟ قلت : وفرعت : ما
 شأنه ؟ قالت : والله إنه ليزعم أنه رسول الله .

فذكرت قول النصارى ، ووجمت ، حتى قالت لي : مالك ؟ فأنتهيت ،
 فقلت : إن هذا والله هو الباطل ، هو أعقل من أن يقول هذا ، قالت بلى والله
 إنه ليقول ، وإن له لصحابة على أمره معه ، قال : قلت : هذا الباطل فخرجت ؛
 فبينما أطوف إذ لقيته فقلت : إن بضاعتك قد بلغت وكان وكان فيها خير ،
 فأرسل إليها فخذها ، ولست آخذ فيها ما آخذ من قومك . قال : فاني غير آخذها حتى
 تأخذ مني ما تأخذه من قومي ، قال : قلت : ما أنا بفاعل ، قال : فوالله لا
 آخذها ، فأرسلت إليها وأخذت منها ما كنت آخذه من غيره ، وبعثت إليه
 ببضاعته .

ولم ألبث أن خرجت تاجراً إلى اليمن ، فقدمت الطائف ، فنزلت على أمية
 فتغديت معه ، / ثم قلت : يا أبا عثمان ، هل تذكر حديث النصراني ؟ قال : ٢٧٧/ب
 أذكره ، قلت فقد كان قال : ومن هو ، قلت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب .
 ثم قصصت عليه خبر هند ، قال فالله يعلم أنه تصيب عرقاً ، ثم قال : والله يا
 أبا سفيان لعله قال . ومضيت إلى اليمن فلم ألبث أن جاءني هناك استهلاله ،
 فأقبلت حتى قدمت الطائف ، فنزلت على أمية ، قلت : قد كان من أمر هذا
 الرجل ما قد بلغك وسمعت ، قال : قد كان ، قلت : فأين أنت ؟ قال :

والله ما كنت لأومن لرسول ليس من ثقيف ، قال : وأقبلت إلى مكة فوجدته هو وأصحابه يضربون ويقهرون ، فجعلت أقول : فأين جنده من الملائكة ؟ ودخلي ما دخل الناس من التعاسة .

ولهذا نظائر من حديثهم ، وقد كان معاوية يتحدث به في زمن ملكه وسلطانه ، ويتحدث به عنه مروان بن الحكم ، ويتحارون الأسباب التي أبطأت بهم عن الهجرة من الأنفة والرجال الذين كانوا يصدون عن ذلك من بني أمية ، مثل عقبة بن أبي معيط ، ومثل الحكم بن أبي العاص ، ومثل أبي سفيان من بني أمية ، ومن كان كذلك من بني مخزوم ، وما كان يلحق من أسلم منهم من الأذى من هؤلاء .

كما كان يتحدث بذلك سهيل بن عمرو ، وعمرو بن العاص ، وغيرهم ، ويذكر بعضهم بعضاً في حياة النبي عليه السلام وبعد وفاته وبعد مضي الخلفاء الراشدين ، فتعلم بصائر مسلمة الفتح والذين أبطؤوا عن رسول الله ﷺ ، وإذا تأملت وجدت لبني أمية ، وبني مخزوم من المهاجرين منهم ، ومن مسلمة الفتح آثاراً كثيرة عظيمة في نصره الاسلام في حياة رسول الله ﷺ ، والذي لهم بعد وفاته أعظم . ولم يكن الخلفاء الذي كان بين أولئك القوم وبين أمير المؤمنين رضي الله عنه لشك في النبوة ولا لضعف / بصائرهم فيها ، لأن ذلك لو كان لبان كما قدمنا الدلالة على ذلك ، لأنه لا يمكن أن تقول إن عبد الله ابن وهب الراسبي وأصحابه من الخوارج إنما خالفوا أمير المؤمنين وأكفروه وقتلوه لبغضهم لرسول الله ولا لشكهم في نبوته ، وقد كانت لهم عبادة وقراءة القرآن وصوم وأمور كثيرة حسنة ، جميلة ، يطول تفصيلها ، غير أنهم أحبطوا ذلك كله . بمخالفتهم لأمر المؤمنين .

وكذلك معاوية ، قد استعمله رسول الله ﷺ ، واستعمله غير واحد من

الخلفاء بعده على ثغور الروم ، فضبطها وفتح الفتوح وغزا معه في تلك المغازي خلق كثير من المهاجرين والأنصار والبدرين و كانت فيه عفة عن أموالهم . وكان عمر رضي الله عنه كثير التصفح لأحوال العمال والاستبدال بهم ، فما وجد عليه ولا استبدل به ، فلما مضى عثمان فكان من أمر معاوية ما كان من الخلاف على أمير المؤمنين رضي الله عنه انصرف عنه البديون ، وصاروا في حملة أمير المؤمنين ، ولم يبق معه منهم أحد من البدرين خاصة ، وأقام على خلاف أمير المؤمنين فأحبط عمله وضل ضلالاً بعيداً . فليس أحد من هؤلاء خالف أمير المؤمنين لشكه في النبوة ، ومع هذا سار أمير المؤمنين في قتال هؤلاء سيرة من شك في النبوة ، ولا أخرجهم من أن يكونوا من أهل الصلاة وأهل القبلة ، وما زاد على تضليلهم .

وقد دعا عبد الله بن الزبير إلى نفسه بأمره المؤمنين ، وأقام على حرب بني أمية تسع سنين وتقاتلوا بالقتل ، وقتل بنو أمية آل الزبير وأفنوهم وصلبوهم ولم يكن ذلك لشك من أحد الفريقين ، في النبوة والعجب أن عبد الله بن وهب الراسبي وأصحابه أكفروا أمير المؤمنين فما أكفروهم هو ولا زاد على تضليلهم / وكذا سار القراء والتابعون الذين قاموا مع ابن الأشعث وأنكروا شأن عبد الملك والحجاج ، وإنما أنكروا فسقهم وجورهم لا أن أحد الفريقين شك في النبوة ، ومثل هذا كثير فاعرفه ، فإن قوما قد دخلوا بين الناس وألقوا إليهم مثل هذا لشدة عداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم ، حتى قالوا في العباس ابن عبد المطلب انه كان عدواً لرسول الله ﷺ ، وأن رسول الله ﷺ كان يمقته ، وكان اذا سلم عليه لا يرد عليه ويقول له : لعنك الله ولعن أباه ، وأنه لم يكن من بني هاشم ولا ولد عبد المطلب ، وأنه لتلك العداوة التي كانت في نفسه صارت في ولده ، فهذا قتل أبو جعفر المنصور من ولد أبي طالب من قتل ، وكذا غيره من بين العباس .

وأهل المعرفة يعلمون أن رسول الله ﷺ كان يعظمه ويحله ويقول فيه :
ما كان لي أن أرفع صوتي بحضرة عمي ويجعله بما لا يتهيأ له لإحصاء لطوله في
هذا الموضع ، وقد كان أمير المؤمنين يحله ويعظمه ويقدمه ولا يقطع أمراً
دونه ، وكان ولده هم خاصة أمير المؤمنين وبطانته ، وخلفاء على رعيته كما
هو معلوم .

وكذا كان ولده عليه السلام مع ولد العباس بعده ، وكلمتهم واحدة ،
إلى أن وقع الخلاف بين عبد الله بن حسن بن حسن وبين أبي جعفر ، وراموا
أخذ الأمر منه وانتشبت العداوة منذ ذاك بينهم ، ^(١) لا لشك في النبوة ولا
لعداوة قديمة كانت بين رسول الله ﷺ وبين أبيهم ، ولا بين عليّ والعباس ،
وها أنت تجد بني العباس يشب بعضهم ببعض ، ويقتل بعضهم بعضاً ، يقتل
الأخ أخاه والعم ابن أخيه ، أتراها لعداوة في الأصل أو في الآباء والأجداد ،
وتجد من ولد أبي طالب مثل ذلك ، ألا ترى إلى من بطبرستان وبلاد الديلم
منهم كيف / يشب بعضهم ببعض ، ويقاثل بعضهم بعضاً ، وكذا من منهم
بصعدة من أرض اليمن ، وكذا من منهم بالعراق ، يقتتلون في الرئاسة لا لعداوة
كانت في الآباء والأجداد ، وإنما أكثرنا من ذكر هذا وشبهه وما تعلق بالامامة
لأن أكثر الملحدة من هذا الباب يدخلون في خديعة المسلمين وإفسادهم في الدين .
وقد تقدم لك ذكر أوائلهم .

١/٢٧٩

وفي هذا الزمان منهم مثل أبي جبلة إبراهيم بن غسان ، ومثل جابر المتوفي ،
وأبي الفوارس الحسن بن محمد الميمليّ وأبي الحسين أحمد بن محمد بن
الكميت ، وأبي محمد الطبري ، وأبي الحسن الحلبي ، ^(٢) وأبي يتيم

(١) يقصد الخلاف الذي نشب في خلافة أبي جعفر المنصور بينه وبين عبد الله بن علي المطالب بالخلافة

(٢) جاء في هامش الاصل : « في ذكر كبار أئمة الشيعة في زمان صاحب الكتاب »

الربلبي ، وأبي القاسم النجاري ، وأبي الوفا الديلمي ، وابن أبي الديس ،
 وخزيمة ، وأبي خزيمة ، وأبي عبد الله محمد بن النعمان ، فهؤلاء بمصر وبالرملة
 وبصور ، وبعكا وبعسقلان ودمشق وبيغداد وبجبل البسماق . وكل هؤلاء
 بهذه النواحي يدعون التشيع ومحبة رسول الله ﷺ وأهل بيته ، فيكون على
 فاطمة وعلى ابنها المحسن الذي زعموا أن عمر قتله ، ويذكرون لهم تبديل
 القرآن والفرائض ، ويذكرون ما قد تقدم ذكره من أن خلافتهم له وقتلهم
 إنما هو لعداوته ﷺ وللشك في نبوته (١) ، ويقيمون المنشدين والمناحات في
 ذلك ، ويأخذون على الناس العهود ، ويحلفونهم بالإيمان الغليظة ، فإذا حصلوا
 كذلك قالوا لهم : إياكم ومجالسة الفقهاء ، واستماع الحديث من أصحاب
 الحديث ، واستماع القرآن من العامة ، وعليكم برواية الخاصة ، فقد قال
 جعفر بن محمد كتابة : حديث العامة يعمي القلب ، وإياكم وفقه أبي حنيفة
 ومالك والثوري والحسن البصري وأمثالهم فإنهم كفره وأعداء أهل البيت ،
 والرشد كله في خلافتهم ، وإذا عمى على أحدكم الصواب فلينظر ما عليه
 الفقهاء فيعمل / بخلافه فإنه يصيب الحق .

ب/٢٧٩

ثم يأخذونهم في مجلس يسمى مجلس التغذية بأن لكل شيء باطنا علمه عند
 مولاكم العزيز بالله ، يظهره لكم إذا ترقيتم الدرجات في طاعته ، ثم يأخذونهم
 بأن يقولوا لهم : لم صلاة الصبح يجهر بها والظهر لا يجهر فيها ، ولم حوصة
 سعفة النخلة طويلة ، وورقة الكرم مستديرة ، وورقة الموز طويلة عريضة ،
 فإذا سألوهم الجواب قالوا لهم : أنتم من المجريين ومن المبتدئين ، والمبتدئ
 كالطفل يُغذى باللبن ثم بعد اللبن بما هو أقوى منه ، ويقولون لهم : أليس قد

(١) جاء في هامش الأصل : « وما دعواتهم في التشيع ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وما قولهم » .

قال الله : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الميتة » ونحن وأنتم لا تأكل لحم الذبيحة حتى تموت ، ولا تأكل السمك حتى يموت ، وإنما معنى هذا ان النبي ﷺ قد مات وحرام أن تقام شريعته (١) ، وينبغي أن يمثل أمر العزيز مولانا الذي هو حجة الله ، وهذا علم الخاصة . ولكن الفقهاء الحمير وأهل الظاهر لا يعرفون هذا ، لذا بهم على إمامهم ولي الله وحجة الله على خلقه .

ويقولون لطائفة أخرى : ما عليكم صلاة ما دام في الدنيا لكم عدو يمنعكم من التمكن في الأرض ، فإن الله يقول : « الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » (٢) ويقولون لآخرين الصلاة شخص ، والصلاة عذاب على أهل الظاهر ويرقون الناس بحسب طبقاتهم واحتمالهم للشك والحيرة ، وهذه مجالس الترقية كما هو مذكور لهم ومرسوم في البلاغ السابع والناموس الأعظم ، ثم يرقون من يتقون به بأنه لا يحرم عليه أمه ولا بنته ولا أخته ، ولا خمر ولا خنزير ولا زنا ولا لواط ولا ربا ، ولا شيء البتة ، وأنه لا يحل لك أن تمنع أخاك ومن هو مثلك في البلاغ السابع / والعلم الباطن من زوجتك فإنها تحل له كما تحل لك ، والاشتراك في الزوجات كالاشتراك في الطعام ، والكريم هو الذي (٣) تنكح زوجته بحضرتها كما يؤكل طعامه بحضرتها ، وقد قال افلاطن الغيرة شح في الطبيعة .

فيقال لهؤلاء الدعاة : قد ادّعى على رسول الله ﷺ وعلى إخوانه من الأنبياء أنهم كذابون محتالون طلاب دنيا ورياسة ، ونحن فقد ذكرنا لكم مجيئه وسيرته وطرفاً من آياته وأعلامه ، وأن أهل الأرض بأسرهم قد خاصموه

(١) في الأصل «حرام» وقد أضفنا الواو قبلها لأن سياق الكلام يقتضي ذلك .

(٢) الحج ٤١

(٣) أثبت في الأصل بعد كلمة الذي «هو» وقد حذفناها لأنها زائدة .

وطلبوا عثرةً تكون له فما وجدوا ، ولو كان كما قد ادعيتم لكانت سبيله سبيل
أثمتكم ، فقد علمتم حال سعيد ، (١) الذي زعم ان ابن الحسين بن محمد بن
أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح بن ديسان بن سعيد الغضبان الحرمي ،
وأبو القاسم بن الأبيص العلوي ، وغيره من أهل هذه الدعوة ويزعمون (٢)
ان سعيداً هذا ليس هو ابن الحسين وإنما هو ابن امرأة الحسين هذا ، وأبوه
يهودي حداد من أهل سلمية من أرض الشام ، وأن الحسين لما تزوج بأمه
حظيت عنده ، فأحب ولدها سعيداً هذا ، وإنما رغب فيها لفرط جمالها
وكمالها .

وكان سعيد ابنها هذا يشبهها في الجمال ، وكان له ذكاء وفطنة ، فتولى
الحسين زوج أمه تربيته وتعليمه وتخرجه على ما يحب ويختار ، فقبل منه وأخذ
عنه ، فعرف حال هذه الدعوة ورجالها وأسرارها ودعاتها ، وأين هم وكم هم ،
وكيف كان أولها وابتداؤها ، وزوجة الحسين زوج أمه بنت أبي الشلعل ،
وأبو الشلعل هذا من ولد عبد الله بن ميمون القداح ، وكان ذلك ، فولدت
لسعيد ابن فسماه عبد الرحمن .

ثم صار سعيد إلى سجلماسة / من أرض المغرب (٣) ، وتسمى بعبيد الله (٤)
واكتنى بأبي محمد ، وادعى أنه من نواحي الأهواز ومن بناتها ورؤسائها
وأنه هرب هو وأبوه من جور عمرو بن الليث ، وأن ضياعهم بكور الأهواز
كثيرة ، ولهم بها (٥) ، وأن المواد تأتيه منها ، وكان يقول لمن يثق به ويأنس به في

(١) جاء في هامش الأصل : «ابتداء ظهور الفاطميين في المغرب بدعوى التشيع» .

(٢) في الأصل : «يزعمون»

(٣) سجلماسة مدينة في جنوب المغرب ، في طرف السودان

(٤) في الأصل : «تسمى» .

(٥) يظهر أن هنا نقصاً في العبارة

ابنه عبد الرحمن أنه يتيم في حجره ، وأنه وصي أبيه ، وأن أباه من أهل البيت ، وكان يحتال على اليسع ابن المدرار أمير سجلماسة وعلى أهل بيته بالدعوى . فلما تمكن وأمكته الحيلة بأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن زكريا الكوفي الداعية غدر ببني المدرار ، وقد كانوا اجاروه وأحسنوا إليه ، فغدر بهم ذلك الغدر الفاحش ، فقال له أبو عبد الله : قد كانت كتبك ورسائلك تأتيني بأنك مع بني المدرار بكل خير وأنك ما نزلت بأكرم منهم ، وقد قتلتهم فما أبقيت منهم رجلا ، حتى قتلت صبياً من صبيانهم واستبحت أموالهم ونساءهم فقال له : هو كما كتبت إليك ، ولكن اليسع ما ألعقني لعقة غسل إلا ومعها لعقة صبر ، وأما هذا الصبي ، فإنه جاءني برسالة من عمه ، أحمد بن المدرار جافية ، فكانت هذه أول فضائحه ولها تفصيل طويل .

وسمى ابنه عبد الرحمن الحسن ، ثم لما تمكن وملك قال هو ابني ، وسماه محمداً ، وكناه بأبي القاسم .

ولما أراد الرحيل من سجلماسة إلى القيروان وأفريقية من أرض المغرب دخل المغاربة أصحاب أبي عبد الله لإخراج رجله ، فوجدوا ملابس الحرير والديباج وأواني الذهب والفضة وخصيان رومة وآثار الانبذة ، فأنكروا ذلك في أنفسهم مع بلادة البربر ، وسألوا أبا عبد الله الداعية عن ذلك ، وإنما / ٢٨١
أنكروا ذلك لأن أبا عبد الله هذا كان مقيماً سنين كثيرة في كتامة يدعوهم إلى المهدي الذي هو حجة الله ويزعم أنه صاحبه ، وكان أبو عبد الله يتكشف ويلبس الخشن ويأكل الخشب ، ويعددهم عن المهدي بمثل ذلك ، فلهذا أنكروا وسألوا ، فقال لهم أبو عبد الله هذه الآثار لأصحابه وأتباعه وكان معه أتباع كثير .

ثم إن أبا عبيد الله بعد قتل أبي موسى هرون بن يونس شيخ المشايخ ،

وأبي عبد الله الحسن بن أحمد بن زكريا الداعية ، وأخيه أبي العباس محمد بن أحمد بن زكريا، وأبي زاكى تمام بن معارك وكان من كبار الشيعة ، بعد قتله لهؤلاء وتمكنه بالمغرب ، استصفى أهل الثروة وأخذ أموالهم كلها، وأرسل ابنه وجعله ولي العهد بعده والخليفة ، وسماه القائم ، فكان ينزل في العساكر على بلد بلد فيستصفي أمواله ، ويهدم حصونه وقلاعته ، ويأخذ ما فيه من الأسلحة والأمتعة ، ويقتل الرؤساء والوجوه والفقهاء وأصحاب الحديث ، ويتخذ جهالهم ويجعل لهم الاحوال والأموال ، ويسلطهم على أهل الفضل ، ويضع المكوس والضرائب ، ويتوصل إلى ازالة النعم ، والتضييق على المسلمين بكل ما يقدر عليه وما يطول شرحه .

وكان يرسل على الفقهاء والعلماء فيذبجون في فرشهم . وأرسل إلى الروم وسلطهم على المسلمين . وكان الشيعة ببغداد ، مثل بني بسطام ، وبني أبي البغل، وآل الفرات ، يرجفون أن المهدي قد ظهر بالمغرب ، وهو هناك يحيى الموتى ويقف على المقبرة فينادي الموتى فيقومون من قبورهم ، وكان أبو الحسن محمد بن أحمد النسفى صاحبهم بخراسان ، فذكر لنصر بن أحمد مثل ذلك ، وأبه حاتم أحمد بن حمدان يذكر مثل ذلك بالريّ لأسفار بن شيرويه .

ب/٢٨١

/ وكثرت الروايات عن رسول الله ﷺ وأهل بيته في أن المهدي يظهر بالمغرب ويملك الأرض كلها من أولها إلى آخرها ، وينفذ أمره فيها وأحكامه على أهلها في سنة ثلثمائة للهجرة ، وهو معنى ما جاء في الحديث من طلوع الشمس من مغربها ، وكم كان لهم من الخطب المنسوبة إلى أمير المؤمنين بأن ولده المهدي يظهر من المغرب ويملك الأرض في سنة ثلثمائة للهجرة ، وأن هذا موجود في الملاحم .

وصلت رسل بني بسطام وغيرهم من الشيعة إلى المغرب : بادر فإن

الأرض كلها لك والخليفة ببغداد يومئذ جعفر المقتدر بالله ، وهو صبي ونحن
أجلسناه ، وله اثنتا عشر سنة ، وأولياؤه ومن حوله شيعته ، من آل الفرات
وآل بسطام وآل القاسم بن عبد الله وآل أبي البغل والكرخيين وآل نوبخت ،
فسير ابنه في سنة ثلثمائة في عساكر عظيمة من البر والبحر ، وعنده أنه يظهر
على الأرض كلها بسبب ما تقدم ذكره ، ولأجل من بخراسان والبحرين من
أهل هذه الدعوة .

فقدم مصر ونزل عليها في سنة اثنين وثلثمائة ، وإذا أبو سعيد الجنابي قد
قتل بالبحرين وقد ظهرت الفضيحة بها ، ولقيه بظاهر مصر القاسم بن سيما
الفرغاني في سبعة الاف فردّ تلك العساكر كلها ورجع ابن عبيد الله إلى أبيه
بالمغرب بالحبيبة والهزيمة ، وذهبت تلك الاموال ، وجاءت جواسيسه إلى الشيعة
المقدم ذكرهم بالعراق تعنفهم فيما كان من إطماعهم له وما كان من القاسم
بن سيما الفرغاني ، فاعتذروا إليه وقالوا له : ارجع ، فرد ابنه في سنة سبع
وثلثمائة بأكثر من تلك الجيوش في البر والبحر ، فنزل على مصر سنين متوالية ،
ونزل على / عسكره في الماء ثمّمل الخادم من طرسوس في ثمانية عشر مركبا
فهزمهم ، فرجع إلى أبيه بالحبيبة والهزيمة ، ثم ردّ العسكر إلى مصر . وقد قتل
المقتدر ، فرجع بالحبيبة والهزيمة . وكان مع هذه الحال يشتد على أهل القيروان
وما يملكه من أرض المغرب بالبحر وقاتل الرجال واستصفاء الأموال وقصد
الفقهاء والعلماء ، وقد كان بثّ دعائه فيها يدعون الناس إليه وإلى طاعته ،
ويأخذون عليهم العهود ، ويلقون إلى الناس من أمره بحسب عقولهم واحتمال
كل طبقة منهم ، فمنهم من يلقون إليهم أنه المهدي ابن رسول الله وحجة الله
على خلقه ، ومنهم من يلقي أنه رسول الله وحجة الله ، ومنهم من يلقي أنه الله
الخالق الرازق ، فكان إذا ضج الناس من هذا وظهر منهم الانكار يأخذ

الدعاة ، فمرة يجبس بعضهم ، ومرة يقتلهم ، ويقول : ما أمرتُ بهذا ، ويقول الدعاة هو أمرنا وبأمره فعلنا ، وله أن يمتحننا . وكان من جوره وكذبه وفصاحجه ما يطول ، فإنه مكث في ملكه نيفا وعشرين سنة .

ولما هلك ، قام ابنه الذي قد تقدم ذكره مقامه ، وتسمى بالقائم أمير المؤمنين ، وزاد شره على شر أبيه أضعافا مضاعفة ، وجاهر بشتم الأنبياء ، فكان ينادي في أسواق أفريقية والمهدية وهي مدينة كان بناها أبوه وحصنها ، فكان يقال : العنوا عائشة وبعلها ، العنوا الغار ومن حوى ، وقتل الفقهاء والعلماء القتل الذريع ، واستولى من بلدان المغرب على أكثر ما استولى عليه أبوه ، فإن بلدان المغرب واسعة عظيمة وهي تشبه بخراسان في السعة وكثرة الرجال وهي في يد عدة من الملوك ، وكانوا ^(١) يقولون في هذا أنه هو الذي يظهر ويملك الأرض ، وأنه هو الحججة والمهدي ، وكتب إلى أبي طاهر القرمطي المقيم بالبحرين البلاغ / السابع والناموس الأعظم ، وهو سر الدعوة وحقيقتها ، وبعثه على قتل المسلمين ، واحراق المساجد والمصاحف ، وكان قد كتب هذا في الكتاب في حياة أبيه ، وكان أبوه في أول أمره يقول : إن هذا يتيم في حجري وهو علوي من ولد اسماعيل بن جعفر بن محمد ، وكان في أول أمره يظن أنه لا يتم له أمر الملك فلما تمكن وفعل هذا قال : هذا ابني وهو علوي . وشرح ظلم هذا القائم وقسوته وفجوره يطول ، وهو أكثر مما أتى أبوه .

وكان لهذا الذي يسمى بأمر المؤمنين القائم بن المهدي ابن يقال له القاسم ، وكان قد تأدب وقال الشعر ، وكان فارساً ، فاستخلفه ونص عليه ، وقال : هذا القائم الامام الذي أمر باستخلافه عليكم ، وهو القائم بعدي ، فاسمعوا له وأطيعوا . فمات هذا القاسم في حياة أبيه ، فكان يقال بالقيروان ما أكثر كذب هؤلاء المشاركة .

(١) في الأصل : « كان »

ولكثرة ما كان من جور هذا وقتله للناس واستصفائه الأموال ، اجتمع قوم من أهل الجبل بالمغرب على رجل من الأباضية يقال له أبو يزيد مخلد بن كيداد فبايعوه ، وكان شيخاً كبيراً ضعيفاً لا يمكنه لضعفه أن يستمسك على فرس . فكان يركب حماراً ، وكان له وزير يستشيره أعمى ، فأنفذ إليه هذا الذي تسمى بالقائم بن المهدي بعسكر فكسره وردّه ، وتسامع به الناس ، وأنه ينكر المنكر ، فاجتمعوا إليه وأتوه ، وسار من الجبل إلى الأمصار ، ولقيته العساكر فكسرها كلها ، ودخل أفريقية ، وأزال الظلم والمكوس ، وملك كل ما كان في أيدي هؤلاء القرامطة من أرض المغرب إلا المهديّة ، فإنه حاصرهم فيها ، والاسقلية وطرابلس من أرض المغرب . ومات هذا المتسمي بالقائم بن المهدي في الحصار وعرض له وسواس وزال عقله مما نزل به من اللذ ، / ١/٢٨٣
وقتل الرجال ، وزوال الملك ، وجوع من بقي معه بالمهديّة بالحصار .

وقام بعده ابنه أبو طاهر إسماعيل ، وضمن للناس تغيير سيرة أبيه وجده ، وأنه لا يتعرض لدياناتهم ، وحلف على ذلك ، وأكد واشهد ، واستعان بأبي الحسين بن عمار ، فأشار عليه بهذه الأمور . وقد كان أبو يزيد مخلد بن كيداد ملك خمس سنين ، وكثرت عساكره ، فانتشر عليه أمره ، وأظهر أصحابه دين الأباضية ، فكرهه الناس وخرج أبو طاهر إسماعيل وحاربه وكبسه في صحراء وأخذه وسلمه وصلبه ، ووفى للناس بما وعد ، وعدل وأنصف وأخذ الدعاة الذين كانوا لهم فحلّق لحاهم ، ونفاهم ، وقال لأهل القيروان : من سمعتموه ينال من أصحاب رسول الله ﷺ فاقتلوه فإني معكم ومن ورائكم . وأطلق المحدثين في الحديث ، والناس في إقامة التراويح ، وأطلق الناس في غزو الروم ، وأذلوهم ، وأعزّ المسلمين والثغور على يدي أبي القاسم ابن أبي الحسن بن عمار ، والثغور في يد أولاده إلى هذه الغاية ، وهم قوم

مسلمون فيهم خير كثير ، والشرك مقموع بهم هناك ، ولهم سيرة حسنة طويلة
مذكورة .

واشتغل اسماعيل بأهل الجبال يقتلهم ويشردهم خوفاً من أن يثور عليه
ثائر مثل أبي يزيد مخلد بن كيداد ، وتقدم لإسماعيل إلى الفقهاء بأن يتركوا
له حلقة في الجامع خاصة له يقعد فيها أصحابه تكون حلقة لجعفر بن محمد ، فجلس
فيها جماعة لا يختلطون بالفقهاء ، وكانوا يتذاكرون في حلقتهم ذكر أفلاطن
وبطليموس وأرسطو ، فقال الناس : هؤلاء ملحدة وزنادقة وأعداء الأنبياء
فكيف تكون هذه الحلقة حلقة جعفر بن محمد ، وإذا نية إسماعيل غير صافية
في الاسلام ، وإنما أظهر الرجوع عن سيرة أبيه / وجدته خوفاً مما جرى .

ب/٢٨٣

وكان لإسماعيل أخ يقال له يوسف ، وكان ينظر في الكتب ويسأل
العلماء ، وكان فيه فضل ، وكان يقول : إنا أولاد النبي ولا نعظم إلا أعداء
الأنبياء من الفلاسفة ، ودعاتنا كل سفلة كذاب ، ركاب لكل فاحشة ، ولو
كنا من أولاد الأنبياء ونجب الأنبياء ما كانت هذه حالنا ، ثم يسمى الدعاة واحداً
واحداً ويذكرهم بما فيهم ، فقد كان فيهم أبو الأسود وكان ينكح بنته .
وقصة يوسف هذا معروفة ومات بأحدابيه في مصيره إلى مصر ، وفيما أظن
أن ولده بمصر إلى هذه الغاية . ثم إن اسماعيل استخلف ابنه أبا تميم معداً وجعله
وليّ عهده ، وسماه بالمعز لدين [الله] (١) . ومات إسماعيل في سنة إحدى
وأربعين وثلاثمائة ، وقام أبو تميم بعده ، وسار سيرته ، ورفق بالناس وتمكن ،
وصفت له المغرب فما تحرك عليه أحد ، واتسع ملكه وجبى الأموال . ثم تغير
وقرب الدعاة فقالوا : هذا هو المهديّ ، وهو الذي يملك ، وهو الشمس التي

(١) زيادة من اقتضاها الكلام

تطلع من غربها . واتفق أن الروم أخذت ثغور المسلمين من طرسوس وأذنة
والمصيصة وعين زربة وغيرها في أيامه ، واحتوت عليها ، فاشتد طمعه في
الاسلام ، وسره المصائب التي نزلت بالمسلمين ، وبلغه أنه قد كتب على المساجد
بيغداد لعن خلفاء رسول الله ﷺ ، فطار سروراً بهذا وطني وتجبر ، وهمّ
بغزو مصر لأن فيها شيعة كثرا ، وإنما سلطانها خصي أسود مولى لموالي بني
العباس وقال : عقله عقل امرأة ، والذين معه من الجند أسوأ حالا منه ، قد
اعتادوا الترفه والأكل والشرب ، وليست لهم بالحرب عادة ، ومن بها من
الشيعة يكاتبنا ويهون أمر هذا الخصي ، والثغور فقد ذهبت ، وما بقي للاسلام
سلطان ولا / ملك ، والديلم الذين بالعراق والجهال شيعة لنا ومن قبلنا . فكان
يقول له من حوله مثل ولد أبي الحسين بن عمار وجعفر بن فلاح بن مرزوق ،
ومحمد بن سليمان : يا أمير المؤمنين ، مصر قد أفنت رجالكم وفرغت بيوت
أموالكم ، وقد طمع فيها آباؤك مرة بعد مرة فما تم ما أرادوا . وكان الدعاة
يقولون : إذا زال الحجر الأسود ملك مولانا المعز لدين الله الأرض كلها ،
وبيننا وبينكم الحجر الأسود ، وليس هذا كغيره ، فإن لم نملك هذه الأرض
كلها فكلما نقول لكم باطل . يعنون بالحجر الأسود كافوراً الخصي الأسود
أمير مصر .

٢٨٤/أ

فمات كافور في سنة ست وخمسين وثلثمائة ، واختلف العسكر بمصر ،
وكان أميرهم ابن عبيد الله بن الأخشيد وكان شيعياً قد دخل في الدعوة ،
وكان رخواً مخنثاً ، فقال له أبو جعفر بن نصر . أيها الأمير ، أمير المؤمنين
أبو تميم المعز لدين الله هو لك كالوالد ، والجند فقد طمعوا فيك ، فإن شئت
أن تدع الأمر له حتى يدبره لك ، فإنه أبصر بتدبير الجند وأقدر ، فقال :
إي والله أريد الراحة منهم ، وأقبل على أبي يعقوب بن الأزرق الكاتب الأنباري

فقال له : يا أبا يعقوب ، قد جعل هؤلاء الجند في فؤادي كل دودة مثل هذه ، وأشار إلى إصبعه ، وأخذ ابن نصر كتابه إلى أبي تميم بذلك .

فأرسل أبو تميم صاحبه وهو عبد كان لهم من الروم يقال له جوهر ، فخرج في مائة ألف فوافى مصر ودخلها بلا حرب ولا قتال ولا خلاف في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، واستولى على الكنوز وبيوت الأموال ، وخرج أميرها أبو محمد الحسن بن عبيد الله بن الأخشيد فأقام بالرملة ، فخرج إليهم جعفر بن فلاح في عسكره فكبسه وأنفذه / إلى جوهر ، فأنفذه إلى المغرب (١) ، إلى أبي تميم . فلما حصل عنده أظهر له البشر والبشاشة وقال له : أنت ولدي ولحمي ودمي ، وإنما أنفذت جوهرًا لنصرتك وطاعتك ، والله يا بني ما حصل جوهر بقلشانة حتى لزمني عليه أربعة ألف ألف دينار وخمس مائة ألف دينار ، وقلشانة هو منزل بالغرب من أفريقيه . فظن ابن عبيد الله أن الأمر كما قال ، فقعد يسعى بجوهر والقواد الذين استأمنوا إليه من المصريين ، مثل نحرير الأزغلي ، ونحرير شويزان ، وشمول ، وغيرهم من القواد والأمراء ، وكان كل واحد منهم كقارون في الغنى ، فكتب المنز إلى جوهر فقبض عليهم وغدر بهم أجمعين ، وحملهم إلى المغرب وقبض نعمهم وكنوزهم . وحصلوا بالمغرب مع ابن عبيد الله بن الأخشيد فما يعرف لهم خبر إلى هذه الغاية . ووافى أبو تميم معدّ بن اسماعيل مصر في سنة اثنين وستين وثلاثمائة .

وقد كان للقراطة الذين بالأحساء عليه أتاوه وجزية يأخذونها منه عن أعماله وما في يده ، فأخرها عنهم واستطال عليهم وعلى الناس كلهم بملكه مصر . وقال جوهر وقد ذكرت له قرامطة الأحساء والجزية التي لهم عليهم ،

(١) في الأصل : « أنفذه »

فقال: من هؤلاء الكلاب، الآن أنفذ كتاباً إلى الأحساء فيشدون برأذنيهم على أبوابهم ويسبونهم .

واحتجب المعز بمصر ، فكان لا يصل إليه إلا الواحد بعد الواحد من خواصه ، وبث جواسيسه وعيونه وثقاته من الرجال والنساء في الناس يتعرفون له أخبارهم ، من الجند والعامّة ، ويأتون بها ، ويلقون من الأراجيف في الناس ما يوصيهم به . وطال استنثاره حتى أرجف الناس بموته ، وهو متوفر على التنعم والأغذية التي تشحّم وتسمّن ، والأطعمة التي تنقى / البشرة وتحسن اللون والصورة . ثم ظهر للناس بعد مدة طويلة ، وجلس لهم في حرير فائق رائق أخضر مذهب وعمامته منه ، وعلى وجهه الجواهر والياقوت وهي تلمع كالكوكب ، وأوهم أنه كان غائبا في السماء ، وأن الله رفعه إليه ، وكان يتحدث بما كان يأتيه به أصحاب أخباره في حال استنثاره ، ويوهم أن الله أطلعه على تلك الغيوب ، ويعرض بالجميل دون التفصيل ، ويقول : قوم : قالوا كذا ، وقوم قالوا كذا ، وقوم عزموا على كذا ، وبث الجواسيس بالأراجيف بأنه كان في السماء وأن الله استنثاره ورفع له إليه ، فامتألت قلوب العامة والجهال منه ، وظنوا ذلك ، وأن كل ما يتوعد به ويعد به من تلك الأرض كلها حق .

ووافى العراق أبو عليّ الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنّابي من الأحساء في عسكر ، والسلطان ببغداد أبو منصور بختيار بن معز الدولة ، فسأله أبو عليّ هذا القرمطيّ أن يأخذ له عهداً ولواء من الخليفة المطيع لله ولايةً على مصر والشام ، وقال لهم : أنا أعرف بهذا المخرق أبي تميم منكم ، وأعرف أصله وأبوتة ومخاريق عبد الله بن ميمون القدّاح وأولاده ، وأن أبلغ به أقصى المغرب وأردّه من حيث جاء . فقال الخليفة المطيع لله لبختيار وقد سأله ذلك : لا

أفعل هذا ، هؤلاء كلهم قرامطة ، وهؤلاء قتلوا الحجاج بمكة ، فإن تابوا من ذلك وبرئوا ممن فعله وتركوا التسمي بالسادة وليتهم ، وإلا لم أفعل . فثقل على أبي عليّ هذا وكان يعترف بالتقصير وبريء من فعل إخوته وبنى عمه من من أبي سعيد وأبي طاهر وغيرهما من آباءه وأخذ يعتذر لما صنعوا بمعاذير طويلة ، وأنهم ما فعلوا ذلك عداوة للإسلام ولا خروجاً عن طاعة الخلفاء من بني العباس ، فما قبل / ذلك المطيع ، وأقام على منعهم . وطال خضوع أبي عليّ هذا فما أجابهم المطيع ، فأشار عليه بختيار أو غيره بأن يذهب ويدعي أن المطيع قد ولاك ، وقيل له : العسكر الذين معك جندك وأهلك وأصحابك ومن مالك تنفق عليهم ، ولست تطمع في أن يعطيك المطيع شيئاً من مال ولا جند ، فقبل ذلك .

وما كان رغبته في تقليد المطيع إلا لتقبله العامة بالشام ومصر ، فلما لم يجبه المطيع إلى ذلك اتخذ هو لنفسه اعلماً سوداً ورايات ، وكتب عليها المطيع لله أمير المؤمنين ، وتحتة : السادة الراجعين إلى الحق ، ثم سار إلى الشام . فلقى عساكر أبي تميم وواقعهم وقتلهم ، وقتل أميرهم ابن فلاح ، وقتل أصحابه ، واستولى على الشام ، وأقام الدعوة للمطيع ولخلفاء بين العباس ، وأظهر تعظيمهم ووجوب طاعتهم ، وأخذ في لعن أبي تميم ، وذكر آباءه واحداً واحداً ، وأنهم ولد القداح ، وأنهم ما كانوا قط إلا كذابين ممخرقين أعداء الإسلام ، يذهبون مذاهب الزنادقة . وأبو تميم قد انحجز مع عساكره بمصر ، ومع هذا فيبذل له من الجزية والاتاوة أكثر مما ^(١) كان يأخذ قبل هذا ، والحسن هذا يقرأ كتبه على الناس ويبين فيها عيبه ومخاريقه ، وبلغ بأبي تميم الخوف منه إلى أن حصن مدينته بمصر وهي التي يسمونها القاهرة ، وشيد سورها وأوثقته ،

(١) في الأصل : « ما » .

وحفر خندقها وعمقه ، والحسن يبلغه ما ينادي به أبو تميم من فضائحهم تحريضاً للناس عليه ، فيقوم بالشام وينادي بفضائحهم وعداوتهم للإسلام كما هو مذكور في كتبه وأشعاره فيهم .

ولكثرة ما قال وبيّن من ذلك ، قال أبو بكر النابلسي / رئيس الفقهاء بالشام : جهاد هؤلاء أولى من جهاد الروم ، وغزو هؤلاء أولى وأوجب من غزو الروم ، إذ الروم أهل كتاب وهؤلاء كفار مشركون ليسوا أهل كتاب بل هم أعداء جميع الأنبياء وجميع الكتب التي أنزلها الله ، والروم لا تكتم دينها بل تفضح بما تدعوا إليه ، وهؤلاء يضمرون الشرك ويخدعون الناس بإظهار التشيع .

وسار الحسن هذا حتى نزل على خندق القاهرة وحاصر أبا تميم وأشرف على أخذه ، فبذل أبو تميم الأموال لابن الجراح الطائي هذا الذي هو حيّ وهو كثير العشيرة ، فغدر بالحسن هذا ، وأخذ سواده من ورائه وشغله بنفسه ، وأفسد تدبيره فانصرف عن الخندق وانهمز بمن معه، ولحق أبو تميم المنهزمين من أصحاب الحسن فأخذهم وأخذ أتباع العسكر وأهل السوق في العسكر ، وأرسل إلى الشام وأخذ أبا بكر النابلسي الفقيه ، وسأله عما بلغه عنه وما أفتى فيه ، فاعترف به وقال له ما هو أغلظ منه ، فأمر بسلخه حياً فسلخ ، وهذه عادة لهم في سلخ المسلمين أحياء ، قد فعل ذلك سعيد وغيره ، وأخذ من ظفر به من قرانتلة الاحساء فأكرمهم ووصلهم وخلع عليهم وعاتبهم وردهم مكرمين إلى الاحساء .

وضمن أبو تميم لابن منجا القرمطي صاحب الحسن الأموال له خاصة إلى أن أصلح بينه وبين الحسن وبين أهل الاحساء فضمن ابن المنجا ذلك له ، وكان

من الماسورين فأطلقه وأطلق غيره من الاسارى ، فذهبوا وأصلحوا بينهم ،
وقبلوا الأموال والأتاوة من أبي تميم وأجراها لهم في كل سنة ، فكفوا عنه ،
وأخذوها منه في حياته إلى أن مات ، وأخذوها من ابنه هذا المتسمى بالعزيز ،
وهو نزار أبو المنصور بن معدّ ، إلى أن حاصر الأصفر العقبلي / القرامطة ب/٢٨٦
بالاحساء وقتل من يخرج منهم ، فهم إلى هذه الغاية ما يخرج لهم سرية خوفاً من
الأصفر (١) .

وبادر نزار بن أبي تميم هذا فهادى الاصفر بهدايا كثيرة نفيسة ، وحمل
إليه أموالاً عظيمة ، وسأله أن يرسل إليه ثقة له ، فأرسل الأصفر ابن أخته
فأكرمه نزار الكرامة التامة ، وحمل على سرج من ذهب ، وقاد بين يديه
الخيول ، وأعطاه الأموال على أن يدعو خاله للدخول في دعوتهم على أن
يقطعه البلدان العظيمة من أرض الشام . فمنع الأصفر من ذلك رجل معه من
أصحاب أبي حنيفة يقال له أبو بكر محمد بن محمد النيسابوري ، فقال له :
لا تغتر بما يظهره نزار من أنه من المسلمين وأنه يدعو إلى الإسلام وإلى الحق ،
فإنه شر من هؤلاء القرامطة الذين بالاحساء ، وهم الأصل في الفساد الذي وقع
في الاسلام ، وخذ الاموال التي أعطوك فإنما هي هدايا أهدوها لك ، وابتدؤوك
بها . فأرسل الاصفر إلى نزار في جواب الرسالة : إني لست أجيبك إلى قبول
ما بذلت من الاقطاع بالشام إلى أن أفرع من الاحساء وأهلها وأعرفك ما
عندي .

فيقال لهؤلاء الدعاة : قد تفرغتم لشتم رسول الله ﷺ ، وأكثرتم الطعن
فيما أتى به والتعجب من اتباعه والاقامة على دينه ، من غير أن تجدوا له
كذبة أو عثرة أو زلة كما لم يجده أسلافكم من اعدائه قبلكم ، ولو كان كما

(١) انظر الجزء الأول من الكتاب ، الصفحة ١٠٧

تزعمون لا فتضح كما تفتضحون في كل طرفة عين فضائح لا تحصى لكثرتها ، ولو اعلمتم النظر والتفكر والتدبر لعلمتم صدقه ونبوته ، وكان علمكم بذلك يزيد على علم غيركم ، فإنكم مع تستركم في ابتداء أمركم به صلى الله عليه ، وإظهاركم الاعتصام بشريعته والدعاء إلى المهدي من ولده ، ومع أخذكم له العهود والمواثيق بستر ما يلقونه إلى الناس ، / ومع كونكم في الاطراف والبوادي ومعدن الجهل والغفلة من المغرب ، ومع تجنبكم الفتناء والأدباء وأهل البحث والنظر قد افتضحتم هذه الفضائح ، فلو كان كاذبا ومحتالا كما تقولون لكانت سبيله سبيلكم .

١/٢٨٧

قالوا : إذا حقت الحقائق وحصلنا مع من قد نظر واعتبر اعترفنا بأننا مبطلون ومحتالون ، وأنا قد سُخرنا حين دُعينا ، وسخرنا من الناس بالتشيع ، وخذعناهم كما خدعنا وماها هنا إلا مبطل .

قلنا : أما أنتم فقد صدقتم عن أنفسكم وثبتت فضائحكم ، فهاتوا له (١) هفوة أو زلة أو كذبة حتى يكون في مثل حالكم ، فإنكم ومن تقدمكم لا تجدون ذلك ولا تهتدون اليه .

فقال الزنجاني القاضي وهو رئيس من رؤسائهم وله أتباع ، كتاب ورؤساء (٢) فأين الشعر الذي هجى به .

قيل له : في الشعر الذي هُجى به ، الدعوى عليه بأنه كذاب وساحر مثل

(١) في الأصل : لهذا

(٢) يوجد هنا نقص في العبارة ، ولعله كلام سقط من الناسخ ، ولما كانت هذه النسخة التي نعمل عليها هي الوحيدة المعروفة حتى الآن لم يكن هناك مجال لمعرفة نص هذا النقص ، لكن تقديره أن الزنجاني احتج بأن الرسول قد وجهت إليه تهمة عن طريق شعر قيل فيه ، ويرد القاضي على احتجاجه هذا .

ما تدعي أنت وأمثالك عليه ، وفي القرآن مما أدعوه عليه أكثر مما في شعر أولئك الشعراء ، من ادعائهم عليه أنه ساحر وكاهن ، وأنه قد اكتتب أساطير الأولين وأعانه على ذلك قوم آخرون ، وأحد لا يكون كاذبا بدعوى خصومه عليه كما لا يكون نبياً بدعوى أوليائه له ، وإنما يكون نبياً بالحجة كما قدمنا ويكون كاذبا بأن يشار إلى أكاذيبه وحيله ، وتذكر وتفصل كما أشرنا إلى أكاذيبكم وحيلكم وفضائحكم وبيئاتها مفصلة .

وإنما أشرنا إلى هذا الزنجاني القاضي لأنه كبير فيهم ، ومن اتباعه زيد ابن رفاعه الكاتب ، وأبو أحمد النهرجوري ، والعوقى ، وأبو محمد بن أبي البغل الكاتب المنجم ، وهؤلاء بالبصرة أحياء وغيرهم في غير البصرة . / ٢٨٧ ب
تميم : يا أمير المؤمنين : إن ابن رزام قد وقف على سر الدعوة وعرف أصولها ، قال : أليس مع هذا قد صرنا جماعة وصارت لنا مقالة .

قالوا : فإذا كنا مبطلين ولنا من الحيل والفضائح والأكاذيب أكثر مما عرفه ابن رزام ، وأكثر مما عرفه من بعده ، ومع هذا فقد صرنا جماعة وصار لنا ملك وصار الخلق الكثير أتباعاً لنا يدعون لنا المعجزات والآيات والدلالات وأن صاحبنا المهدي وحجة الله على خلقه وإن كان لا أصل لذلك ، فأمرنا من أدل الدليل على كذب كل من ادعى النبوة وأطاعه الناس وكانت له جماعة ومقالة وشريعة .

وقد قال أبو تميم مرة : لا يهولنكم ما صنعه ابن رزام ، فما تحوي الأرض كلها مثي إنسان يعرف ذلك ، فاستغلوا بطلب الملك فإن الناس في غفلة ، فإذا ملكتم الناس قبلتم هؤلاء الذين يعرفون سرّ مقاتلتكم .

قالوا : وهذا نزار يخطب له في الحرمين والمواسم ، وينادى في الحرمين أمير المؤمنين العزيز نزار صاحب الدلالات والعلامات والمعجزات ، فلا ينكر ذلك منكر ، وما يعرف له من المعجزات إلا بيع الخمر وإقامة دور الزواني والقوادين ونكاح الذكران وأخذ المكوس . فإن قلتم لنا : إن السيف أسكت الناس عن الإنكار ، قلنا : وكذا حال من قبلنا من الذين ادّعيتهم لهم النبوة . قيل لهم : مع كونكم قاهرين غالبين وتمام حيلكم على الناس لستم تخرجون من أن تكونوا مبطلين مفتضحين ، وإن قل من يعرف فضائحكم ، ولو لم يكن واحد من الناس كلهم اشتغل بطلب عيوبكم / لما خرجتم من أن تكونوا مبطلين مفتضحين ، حتى لو رام كل عاقل في الأرض أن يعرف فضائحكم وكيف كان ابتداء أمركم لعرف ذلك ، ولو طلبه لوجده ولأحاط به من أوله إلى آخره ، فليس تمام حيلكم على من خدعتموه وسخرتم منه بجاعلكم من المحقين ، ولو تمت حيلكم على أهل الأرض أجمعين ، ولو أسكتهم خوفكم وسيفكم ، وهو كما قال بعض الناصحين للملوك الظالمين : إنكم إن قدرتم على ختم أفواه الرجال فلا قدرة لكم على أن تجعلوا القبيح حسناً . وإن غلبتم الناس على ذات أيديهم فلن تغلبوهم على عقولهم ، فما أثمرت غلبتكم وتمام حيلكم ووصايا أبي تميم لكم إلا الويل الطويل والخزي المقيم الذي يسكت أولكم وآخركم ، وما أنتم في هذا إلا كمن خدع رجلاً وعاهده وبذل له غليظ الأيمان أنه من أنصح الناس له ، حتى وثق به واثمنه على نفسه وماله . ثم وثب به فقتله واحتوى على نعمته ، ثم أخذ يفتخر بما ملكه واحتوى عليه ، فقيل له : أنت وإن وصلت إلى هذا فلست تخرج من أن تكون كاذباً غادراً . وقولكم : إن من ادّعى النبوة في مثل حالنا في الباطل ، وقول رئيسكم : أفسد أمور الناس ثلاثة : راعي وطبيب وجمّال وأغیظهم لنا الجمّال^(١) فإنه أفسد سائر

١/٢٨٨

(١) جاء في هامش الأصل « قول رئيس القرامطة أفسد أمور الناس ثلاثة »

الناس ، يعنون بالراعي موسى ، وبالطبيب عيسى ، وبالجمال محمد صلوات الله عليهم أجمعين ، فهل معكم إلا الدعوى والتكذب عليهم والغيبز منهم . وانظروا في أمر هذا الذي غيظكم منه أشد ، فعهدته أقرب ، وأعلامه أظهر وهو ما قد ذكرناه لكم من القرآن ففيه آتم الحجة ، وما جاء مجيء القرآن ففيه زيادة الحجة ، / فيجدون أول أمره كآخره ، وظاهره كباطنه ، وسريته كعلانيته ، وكيف يفضح الله الطاعنين عليه من الأولين والآخرين ولا تزداد حجته إلا قوة ولا برهانه إلا إنارة . وانظروا في أول أمركم وفي آخره ، وفي ظاهره وباطنه ، فإنكم تجدون ذلك في غاية الفضيحة ، فإنكم في مبتدأ أمركم وظاهره تدعون اليه وإلى التمسك بشريعته ، وباطن أمركم خلاف ذلك ، فما لبثتم أن افتضحتم تلك الفضائح .

ب/٢٨٨

وبعد ، فلو صدقتم الناس عن دعو تكم وكاشفتموهم بها ، كما فعل رسول الله ﷺ فيما دعا إليه والأنبياء قبله ، لما اتبعكم مسلم ولا يهودي ولا نصراني ولا مجوسي ، ولا كان يتبعكم من يقر بالربوبية ، فأمركم أصدق شاهد في سلامة النبوة من كل عيب ، فتركتم هذا وقلتم : دعونا منه وخذوا فيما تم لنا وفيمن خدعناه وان افتضحنا ، ونحن فما قلنا : إن أحداً لا تم عليه حيلة ولا يسخر منه ولا يخدع ، وان المبطل لا يتبعه أحد . وكانوا قديماً إذا وعدوا الناس سرعة خروج المهدي فأخلف ذلك عن ميثاقته الذي ذكروه قالوا لمن يستبطن ذلك ويسأل عنه ، فيقول : ألم تقولوا لنا إن الفرج يكون في هذه السنة وما رأينا فرجاً ، فيقولون له : استغفر الله وتب اليه فهذا كفر ، ويتلون قوله تعالى : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي (١) »

(١) الأعراف ١٨٧

ومثل قوله : « إن الله عنده علم الساعة » (١) فيتحير ذاك اليائس وفي عنقه
أيمان قد قيدته عن الشكوى ولقاء العلماء ويخاف أيضاً مما قد توعدوه به من أن
جعفر بن محمد قال : من أفشى سرنا أذاقه الله حر الحديد في الدنيا والنار في
الآخرة ، وربما قالوا قد سخط الله على أهل الأرض فبدا له من إظهاره / في ١/٢٨٩
الوقت الذي وعد أن يظهر فيه ، والله يؤخر المقدم ويقدم المؤخر . وجواباتهم
تحسب ما يرون في السائل من فطنة أو بلادة أو فقر أو غنى ، أو عز أو ذل ،
فيورون عن فضأحهم بألوان الحيل .

فيقال لهم : قولكم أخرج الله خروجه عن الوقت الذي وقته لذنوب العباد
ولسخطه عليهم ، كل هذا سخرية وفضيحة لكم ، فإن الله عز وجل لا يعاقب
عباده بإخلاف مواعيده وبكذب إخباره ، وإذا قال الله إنه يفعل كذا وكذا
في وقت كذا وكذا ، أو أن فلانا سيفعل كذا وكذا في وقت كذا وكذا ، فإن
ذاك يكون كما أخبر وكما قال في الوقت الذي قال لا يتأخر عن ذلك ولا يتقدم
عليه ، لأنه عز وجل عالم لنفسه لم يزل كذلك ولا يزال ، يعلم ما سيكون قبل
أن يكون وما لا يكون إن لو كان كيف كان يكون : وقولكم : هذا مما بدا
لله فيه ، فإنما يجوز البداء على المخلوقين ، وعلى من لا يعلم العواقب ، وأما
علام الغيوب ومن يعلم ما يكون قبل أن يكون ، فلا تعرض له البدوات ،
ولكن الله عز وجل أبدى للعباد كذبكم وأظهر بهذا فضأحكم ، فأحلتكم كذبكم
على ربكم وبرآتم منه أنفسكم .

ومما يسألون عنه ، ما جاء في الرواية من قوله ﷺ : « بيت لا تمر فيه
جياح أهله » . وهذا قصر مولانا العزيز ما فيه أحد يأكل التمر ولا يشتهيه ،
وما هم جياح بل شباع (٢) قلنا : قد علم هو ﷺ وأصحابه الذين قال لهم

(١) لقمان ٣٤

(٢) جاء في هامش الأصل « تأويل قوله عليه السلام بيت لا تمر فيه جياح أهله »

هذا أن ها هنا أماً كثيرة لا تجد التمر وفيهم من لا يشتهيها، وهم شباع ، وإنما أراد بذلك أهل المدينة وأمثالهم من بلدان النخل ، والقوم الذين هم أكلة التمر ، وأقواتهم التمر ، فحضرهم على اتخاذ النخل لقوت عيالهم ، وهذا من مسائل أهل الحبيبة / والافلاس .

ب/٢٨٩

ومما يسألون عنه ، ما جاء في الرواية من قوله : صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الشفاء في لعقة عسل أو شرطة حجام أو آية من كتاب الله » وقوله : « الكمأة من المنّ وماؤها شفاء للعين » فقالوا : نحن لو أطعمنا العسل المحموم والمبرسم أضررنا به وربما قتلناه ، وكذا صاحب الصفراء ، ولو حجمنا المفلوج والملقو وصاحب الرطوبة لضره ذلك وأسقمه ، قالوا : وقد يُقرأ القرآن كله على العليل فلا يبرأ ، وربما مات ، ولا يعرف الناس في أدوية العين ما الكمأة .

قلنا^(١) : ما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا دواء إلا هذا ولا شفاء إلا في هذا ، وإنما قال : في هذا الشفاء ، وقد صدق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فإن الناس يجدون في العسل من الشفاء في الأدوية والأغذية والمطاعم ما يعم نفعه ولا يمكن دفعه ، وفي الحجامة شفاء عظيم خلقت كثير ، ولم يأمر صلى الله عليه وسلم بذلك في كل مرض فيكون لقاتل مقال ، وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ماذا في الأمرين من الشفاء : الصبر والشقاء . وذكر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشفاء في أشياء كثيرة من فواكه ونبات يطول شرحها ، ونهى عن أكل أشياء كثيرة في أمراض ، ونهى الرمذ عن أكل التمر ، إلى غير ذلك مما جاء عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما يطول شرحه ، وإن لم يكن معالجا طبيا فما وجد في قوله مع كثرة ما قاله كذب ، وقد علم هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والذين قال لهم هذا الذي أراده ، وأن الناس قد يتداوون بهذه الأشياء ومع هذا فيموتون ويهرمون ، وعلى أن هذه الأدوية

(١) جاء في هامش الأصل : « تأويل قوله صلى الله عليه وسلم : الشفاء ، في لعقة عسل أو شرطة حجام أو آية من كتاب الله ، وقوله : الكمأة من المنّ وماؤها شفاء للعين » .

لا تفعل الشفاء بل لا تفعل شيئاً البتة لأن الفعل لا يكون إلا من الحيّ القادر وهذه الأدوية موات ، والشفاء لا يفعله إلا الله عز وجل ، وقد يفعله بلا دواء ويفعل السقام مع التداوي ، ولكنه / عز وجل قد أجرى العادة بأن يفعل الشفاء عند التداوي في بعض الأحوال والأوقات دون بعض ، كما قد يفعل النبات عند البذر والسقي وقد لا يفعله مع ذلك ، وقد ينبت ما لا يحرقه العباد وقد أجرى العادة بالشفاء من الأمراض المتفاوتة المتضادة بالدواء الواحد وهو القرآن فما كان للناس دواء في القديم غيره ، حتى لا يكاد يحصى من شفاه الله بذلك لكثرتهم ، ولا يحصي عددهم إلا الله وحده ، وكانوا يستحيون من الله أن يصفوا أمراضهم للأطباء والمخلوقين وإن كان في ذلك رخصة ، لأنهم قد علموا أن السقام والشفاء من الله لا يفعله غيره ولا يقدر عليه سواه ، فكانوا لا يشكون ذلك إلا إليه ولا يعرفون قارورة ولا ذكر طبيعة .

ولما مرض أبو بكر الصديق رضي الله عنه قيل له : ألا ندعو لك طبيباً؟ فقال : لا الطبيب أمرضني . ولما مرض الربيع بن خيثم قيل له : ألا شاورت طبيباً؟ فقال : قد أردت هذا ، ثم ذكرت عاداً والقرون الخالية وقد كان لهم أطباء فماتوا ومات الأطباء .

وقال الحسن : أدركت أقواماً والله ما كانوا يعرفون الهليلج ولا التليج (١) وهذا ماء زمزم وهو غليظ وهو لما شرب له ، ولو جمع جميع من داواه المتطيّبون فماتوا عن علاجهم لما كانوا أشطر من وهب الله له الشفاء من عاتيه عند شرب ماء زمزم وحده .

وعلى أن ذلك الماء وحده يصلح للأمراض المتفاوتة المتضادة المختلفة ، وهذا الذي ادّعينا في القرآن وفي ماء زمزم هو ما كان عليه الصحابة في الصدر الأول ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، إلى تابعي التابعين والذين بعدهم ، يعرفه

(١) ثمران يستعملان في العقاقير

ب/٢٩٠ كل من سمع أخبارهم وتصفح سيرهم ، وخلق / كثير على مثل طرائقهم في بلدان الاسلام يستشفون بالقرآن وبماء زمزم من أمراض متفاوتة .

وربما ادّعوا ذلك عند سماع كلامنا ، فيقولون : الترياق الكثير قد نعطيه في الأمراض المتفاوتة ، ولو كان ذلك كما ادّعوا لكان آكد لما قلنا ، ولكن ما يكاد يوجد ذلك في أدويتهم وأخلاطهم كما وجد الناس ذلك في القرآن وفي ماء زمزم .

فأما قولهم ليس في أدوية العين ماء الكمأة فإن هذا قول من لا يعرف الربوبية ولا العادة ولا الطب ولا الأطباء ، فان أدوية الأمم مختلفة غير متفقة ، فطبّ الهند غير طبّ العرب ، وطبّ الروم غير طبّ الفرس ، وطبّ سكان المدن غير طبّ سكان القرى ، وطبّ البوادي وسكان الجبال وبيوت الشعر والوبر غير طبّ أهل القرى، ولحنين ابن إسحق كتاب ذكر فيه أدوية كثيرة لا يعرفها بقراط ولا جالينوس ولا ذكرها ، منها : الجدرى والحصبة ، وزعموا أنه لا يعرفها ، حتى قال ابن زكريا الرازي : يشبه أن يكون قد عرفها . فإنه قال : العدس جيد لغليان الدم ، فليل له : كذا تظن أنت يا ابن زكريا . فإن قيل : مثل هذه الأمراض الهائلة العامة الشاملة حتى لا يكاد ينجو منها إنسان إلا القليل ، وحتى صارت تعرض لبعض البهائم ، وهي خطيرة ، لا تقتصر من جالينوس وبقراط وطب الروم واليونانيين على هذا المقدار مع كثرة كلام جالينوس في كتبه في صفة الأمراض والمرض ومن داواه .

وكثير من بلدان خراسان يتداوون من الحمایات الحادة باللحمان وبالشواء والاسفيداج وهو الشفاء عندهم ، وأهل هراة / وقاين وما إلى ذلك ، (١)

(١) قاين : بلد بين نيسابور وأصبهان ، وهراة : من أمهات مدن خراسان
معجم البلدان

يتداوون من الحمایات بتلویب الإلیة والشحوم ویتحسنونه حاراً ویستشفون به ، وأهل نیسابور یتخذون من ورائهم فی الحمایات بالسمن ، وأهل طبرستان یتداوون من الأمراض بالثوم فی الشتاء والصیف ویقولون : هو فی الشتاء حار وفی الصیف بارد ، وأهل جبال فارس یتداوون من الحمایات بالفراخ ولا یتدافعون أنها باردة .

وحتى أن كثيراً من الادویة تنفع حیناً ثم لا تنفع بعد ذلك بل یكون داء قاتلاً ، لا لشیء أكثر من انهم وجلوه كذلك . ألا ترى أن جالینوس كان یعالج المقروحین ومن فی صدره قرحة السعال وحمی الدق بالفلفل والزنجبیل وما أشبه ذلك ، وهذا عند غیره ، وفی هذا الزمان ، وفی هذه الأمراض من الادواء القاتلة .

ولقد عرض ببغداد فی زمن موسی بن سنان ، وإبراهیم بن بكس أبو ابن بكس هذا الضریر الطیب ، والحسن الیهودی وأمثالهم من حذاق المتطبیین ببغداد وهي إذ ذاك أعمار ما كانت ، وهؤلاء القوم علی البیمارستانات وخدمة الملوك ، فعرض القفّاع وكثر ، فقال موسی بن سنان لإبراهیم بن بكس خذ یا أبا إسحق الی ساعورك من هؤلاء المقفّعین مائة وتقاسموهم ، فقال ابن بكس فرجعت فی علاجهم الی أدویة جالینوس وأوصافه ، فما داویت أحدا منهم إلا مات ، وما زالت الجنازات حتی مات منهم ستون ، فكففت عن علاج الباقی وهم أربعون ، فما مات منهم أحد .

والكتاب المعروف بالمیمر لجالینوس وهو سیفه وتجاربه الذي كان یداوي به المرضى ، لا یقر به المتطببون ولا یداوون أحداً به ، وكذا الكثير من كتبه^(١) ،

(١) مكررة في الأصل

وقد كان أبو الحسن بن زهرون الصابي الحراي واحد الطب ببغداد ورئيسه يتسقط جالينوس في صناعة الطب ويستجهله لما ذكرنا من علاجه . وكان أبو الحسن بن / نقيس وهو أحد رؤساء المتطبيين . (وهو أستاذ ابن بكس هذا)^(١) . ب/٢٩١

يعتذر هو وغيره بجالينوس بأن الادوية ما تجري على سنن واحد ، وأنها قد تنفع في أمراض بعينها في زمن من الأزمان ثم تضر في تلك الأمراض في زمن آخر .

وكانوا يقولون : اعتبروا بما وجدنا في سني نيف وثلاثين وثلثمائة لما حدث القحط والغلاء ببغداد ، وعدم أكثر الناس الاقوات وصاروا مرضى مطرّحين على الطرقات لا دواء لهم ولا غذاء ، ونحن نتردد إلى المياسير والملوك نداويهم ونصف لهم التفاح الشامي والبنفسج ويجدون ويتداون بما نصف لهم ، ولهم من يمرضهم ويخدمهم فيموتون ويبرأ الكثير من أولئك الذين على الطرقات .

واختلاف الأدوية كاختلاف الأغذية ، ألا ترى أن أجناس الانعام وذوات الخوافر تغتذي بالاحطاب والأتبان والحشائش المرة الكرهة القاتلة لحيوان آخر من الانس والنوى ، فيصير هذا الحطب وغيره شحماً ولحماً ولبناً .

والسمك والخنازير والدجاج وكثير من الحيوان يأكل القذرة ويخلق الله بذلك في أجوافها شحماً ولحماً ولبناً ، والنعام يغتذي بالحصا والنار والحديد ويحمي له سيخ الحديد فيبلعها فتذوب في قوائمه ويخلق الله من ذلك شحماً ولحماً وبيضاً ويدرق الثفل مثل الماء الجاري ، والظبي يغتذي بالحنظل ويشرب ماء البحر ، والأرانب تغتذي بالأيهل وهو سم قاتل ، والسقمونيا ترعاه البهائم

(١) في الأصل : « وهو أستاذ هذا ابن بكس »

والاقتنيمون الأقریطشي ترعاه البهائم وثخيا به والبيش تأكله البهائم التي هي على هيئة الفأر وهي معروفة به ، وكل هذه سموم قاتلة لحيوان الانس ، والحيات يأكلها قوم ، ويأكلها الأيبل والقنفذ والسنور وغير هذا من الحيوان ، / ولا ينكر اختلاف الأغذية والأدوية إلا جاهل .

على أن الطب ليس بعلم ، وإنما هو شيء وجد بالتجارب ، ثم لا تدوم تلك التجارب ولا تمضي على طريقة واحدة ، بل تختلف اختلافاً كثيراً متفاوتاً كما قد رأيت وسمعت ، وذلك من آيات الله ودلائل توحيده وإنما أجرى به عز وجل العادات ولا يديمه على طريقة واحدة بل يزيد فيه وينقص منه ويجعله في وقت ولا يجعله في آخر ، حراسة للحق ، ولئلا يلتبس الدليل بما ليس بدليل ، لأنه عز وجل لا يفعل الجهل والضلال .

وقولنا في الطب ليس بعلم لأن كان علما لا يتغير قط ، كالعلم بأن الفعل لا يكون إلا من فاعل ، ولا بد من أن يكون قبل الفعل ، ويكون حياً قادراً ، وإن كان فعله منسقاً محكماً فلا بد أن يكون عالماً .

ولهذا يقول حذاق الطب : إذا قيل لهم في مريض قد أجمعوا على دوائه بدواء معين ، فيقال لهم : إن سقيناه هذا يعافى ولا بد ؟ قالوا : لا ندري . قيل لهم : فإن لم نسقه يموت لا محالة ؟ قالوا : لا ندري ، ونحن فقد يطبعنا القليل فنداويه ونرى أمارات الصلاح فيه ثم يرد من زيادة المرض ما لا نحتسبه ، وقد يعصينا ونرى أمارات الهلاك ويرد من العافية ما لا نحتسبه .

هذا معروف مذكور في كتبهم ، ولسنا مع ذلك ننهي عن التداوي ، بل سبيل كل أحد أن يرجع إلى الله عز وجل ويستشفي بالقرآن وبماء زمزم وبالصدقة فمن شاء أن يقتصر على ذلك فعل ، ثم إن كانت له عادة بالتداوي

تداوى بعد أن يقدم ما ذكرنا ، فقد جاءت الرخصة بالتداوي بما يحل من الشريعة لأنه قد جاء في الأثر : « ما جعل الله شفاءكم فيما حرّم عليكم ، ^(١) » وجاء : « عود بدنأ ما اعتاد » ^(٢) .

ب/٢٩٢ ثم ليس إلى السلامة / سبيل وإن دامت الصحة ، وقد قال ﷺ كفانا بالسلامة داء ، وهذه كلمة قصيرة كثيرة المعاني ، فإن الانسان وإن دامت صحته فهو معها يهرم ويبل ويغير وإن كان طبيياً حاذقاً مقتدرأ ، وكان أبو عثمان عمرو عبيد كثيراً ينشد قول القائل :

يهوى البقاء فان مُدَّ البقاء له وصادفت نفسه فيه أمانيتها
أبقا البقاء له في نفسه شغلاً مما يرى من تصارييف البلى فيها
وقال آخر :

إذا مات المعالج من سقام فأحرى بالمعالج أن يموتا
وقال آخر :

يعيش راعي الضأن في جهله عيشة جالينوس في طبه
وربما كان راعي الضأن في جهله أدوم صحة وجلداً وبقاء من جالينوس ومن حذاق الأطباء ، وأنت تجد هذا عياناً من الرعاة والملاحين والزبالين وأشباههم ، وقل ما يوجد طبيياً حاذقاً سليماً من الأمراض ، هذا أبو الحسن بن بكس عرض له الرمد وأبوه حيّ وبالغ في علاجه ، فذهبت إحدى عينيه ، ثم طب وحذق وزادت صناعته وذهبت الأخرى بعد ذلك ، والمعروف بالتلميذ ،

(١) جاء في هامش الأصل من حديث ابن مسعود ، وروي مرفوعاً من حديث له .
(٢) جاء في هامش الأصل تعليقاً على هذا : « هذا من كلام الطبيب الحارث بن كلدة : ومن رفعه إلى رسول الله أخطأ » .

به فتق وغيره من الأمراض ، وابن سابور قد عرضت له في خصيته أذرة
قد أثقلته لا يمكنه أن يركب ، وسان الصابيء أكثر أسقاماً ، وتلميذه
أبو عبد الله بن المعلم ها أنت تشاهده أصفر سقيماً قد نهكته البواسير ، وابن
المهزول وأبوه طيب حاذق مات وما بلغ ثلاثين سنة ، وابن بنت أبي الحسن
ابن بكس امرأة أبي الحسين الطيب عرض لها مرض أشب ما كانت ، وأبوها
طبيب ، وزوجها طبيب ، وعمها طبيب ، وحموها طبيب ، قد اجمعوا على
علاجها فماتت بأسرع من ذلك .

٢٩٣/أ وهذا بيت بني زهرون / الصابئين ومحلم في الطب والعلم بصنعتهم المحل
العظيم ، ولهم من القيام على أنفسهم والمراعاة للطب وتوفيته حقه ، وهم خلق
كثير ومنزلتهم في الجانب الشرقي من سوقة عباسه ، وأمراضهم وأسقامهم
تكاد تزيد على أمراض الجهال الفقراء الذين تقل مبالاتهم بالحياة والصحة ،
وأكثرهم يموتون في الشباب والكهولة ، ويقل فيهم من تلو سنة ويهرم ،
والذي يبلغ منهم نيفاً وثمانين سنة هو أبو الحسن بن هرون أبو أبي الخطاب ، وابنه
أبو الخطاب دفنه شاباً في حياته ، وهذا أبو الحسن بن أبي الخطاب يحيا وهو
شاب وبه مرض عظيم ، وهؤلاء حذاق الطب وأبناء الحذاق .

ولم تعيرهم بالأمراض فإنها من فعل الله ومما يبتلي به عباده ، ولكن ذكرنا
هذا للاعتبار والتنبيه على آيات الله عز وجل وهو المبتلي والمعافي ، ولأن أكثر
هؤلاء الأطباء يعتقدون أن الأدوية تفعل ، ولها طبائع تفعل الصحة ، وتنفي
الأمراض ، وغير ذلك من الجهالات ، وينكرون النبوات ، ويكذبون الانبياء
ويستجهلون المسلمين وأهل الشرائع ، وينكرون الربوبية والبعث والنشور ،
وعندهم من الحمق والجهل والعجب ما لا يبالون بمن قتلوا من المرضى وأسقموا
من الأصحاء ، ويقولون في أنفسهم وفيما بينهم إن التقينا فاقصوا منا كيف

شتم ، وإلى غير ذلك من جهلهم وحمقهم وإرصادهم للمسلمين بما يطول شرحه .

وقد عرفت حال من تقدم في زمانك من أسلافهم وتجريدهم في الإلحاد مثل قسطا بن لوقا ، وحنين بن اسحق ، وابنه اسحق ، وأشباههم . وقد عرفت مكاشفة ابن زكريا الرازي ، فهذا كان نصرانياً بن نصراني ، يتستر بالنصرانية ويذهب مذاهب الملحدة ، ثم أظهر الإسلام وتسمى / بمحمد ، وكان اسمه يوحنا . وإنما فعل ذلك مكيدة للإسلام ، وكان يقول : محال أن يقدر الله أن يخلق الانسان من غير تناسل ويكمل له عقله وقوته ضربةً ، وأنه لو قدر على ذلك لفعله ولم يفعله كما نرى حالا بعد حال ، وليس ما يشاهده العقلاء من خروج الفروج من بيضته كاسياً كاسباً غنياً عن أبيه وأمه وعن أمثاله ، وخروج فرخ الوز ساجحاً لا يحتاج إلى ما يحتاج اليه العقلاء من المعلمين للسياحة ، وما يبينه النحل ، وينسجه العنكبوت ودود القز ، وكل هذا ضربة واحدة ، وقد تقدم لك ذكر أمثاله في المصباح .

ونسي ما خلقه الله ضربة واحدة من السموات والأرضين والجبال ، ومن بياض القطن والطيور والحليل ، وما خلق الله ألوانه ضربة واحدة ، وكذا طعومه وأرائحه ، فإنه كان ينكر القدرة على خلق العنب وأمثاله ضربة ، وكان يقول : لا بد من أن يكون أولاً حصرماً أخضر ، ثم بدت فيه بعد ذلك الحلاوة الحلاوة والسواد . وكان يقول في الشيب : إنه من تعفن الرطوبات في أصول الشعر ، فيقال له : الخيول والطيور وغيرها من المخلوقات بيبضاء ضربة ولا رطوبة .

وكان يقول : ليس لله نعمة في خلقهم ، وما خلق الله من الصحة والاسماع والأبصار والقول والجلد والشهوات وما يجردونه من اللذات ، ويقول : هؤلاء

الذين اعتقدوا هذا جهال حمير لا يميزون ، وإنما الذي يجدونه من اللذة راحة من ألم فيهم ووجع يعترهم ، كالذي يجد من الراحة من أثقله بوله وغائطه حين يضعه ، وكالذي يستريح بحك جربه ويضع المرهم على شجّته وجرحه . وكل عاقل في الدنيا يفرق بين ما يلتذ به وبين ما يتداوى به من جرحه ، ويتمنى بقاء ما فيه من شهوة وشباب وجلد ويحرص على اجتلابه ، / ويأسا على ما فاته منه ، ويبكي وينوح على ما فاته منه كما يبكي على فقد أحبابه ، ولذهاب سمعه وبصره ، ويتمنى ردّ ذلك عليه ، ويستوصف الأطباء ما يقوي الشهوة ويعيدها وهو لا يتمنى الحرب ليحتك ، ولا القروح والجراح ليتداوى ، ولا أثقال الغائط والبول له ليقعد لإخراجه . وهذا من الجهل الواضح الذي يعرف بالحس ، والعجب أن لابن زكريا في مواضع من كتبه في الطب أبواباً في حفظ الشهوة والصحة والشباب والجلد والقوة ، ويوصي بذلك أمّ الوصايا .

١/٢٩٤

ثم فهم ينسون المشاهدات ، ويدفعون الضرورات ، وقد شغلهم الغيظ على من جعل هذه نعماً من الله ووعد بأمثالها في الجنة ، ويدعون لأنفسهم ولمن أطاعهم في ظنهم أنهم يبرّونه ويديمون صحته وجلده ، وحالمهم وحال الملوك الذين استلبوهم وأطاعوهم ما قد عرفه الناس .

وبنزار هذا الذي زعم أنه العزيز وفرعون مصر ظهرت بثرة في مشط قدمه قد أضنته ونغصت عيشه وقد جمع لها حذاق الأطباء ، وبذل لهم الرغائب ، وهم حوله ومعه لا يفارقونه ، وهم آثر الناس وأوجبهم عنده ، وما يزداد مرضه إلا قوة ، وهو جلد وسيم جسيم .

وقد كان سلطان بلخ عرض له مرض فوصف له ابن زكريا الرازي مارغبه حتى رحل إليه ، فاقترح على هذا السلطان مسألة أبي القاسم البلخي رحمة الله عليه إجابته عما يسأله ، ففعل السلطان ذلك ، وألزم أبا القاسم هذا فأجابته ،

ثم قال لابن زكريا : قبل كل شيء فما رأيت أحقق منك ، فقال له ابن زكريا : ليس هذا من خلقك وأنت موصوف بالحلم وحسن الأدب ، فقال له أبو القاسم رحمه الله : أنا أبين لك ذلك ، أنت رجل تنكر ما يقوله المسلمون وأهل الشرائع / في الربوبية والنبوات وتراه جهلا ، وهم يرون ما أنت فيه ككفرآ يحل دم من ذهب اليه وراه ، وأنت بينهم وهم معك وحوالك في ألوف فراسخ ، وأنت تبدي ذلك وتناظر فيه ولست تحسب الأجر والثواب في المعاد ولا في العاجل على ذلك لأنك لا ترى بالمعاد والجزاء ، فهذه واحدة . وأخرى ، أنك تدعي صحة الكيمياء ، وأنتك تجعل الحجر والمدر ذهباً وفضة ، ولك في ذلك كتب تنكر على من أنكر ذلك وكذّب به ، ومع هذا فقد خاصمتك امرأتك في نفقتها ونفقة ولدك وأحوجتها إلى أن رفعتك إلى الحكام ليفرضوا عليك كما يفعل ذلك بأفقر الناس وأقلهم حيلة ، فهذه ثانية . وأخرى ، أن ينصرك من الضعف ، ويعينك من المرض اللازم ماهو بيّن ، وأنت تدعي علم الطبائع ولك حذق في الطب والتقدم فيه والازراء على من تقدمك من الأطباء ، كابن ماسويه وغيره ، وعلى أطباء أهل زمانك ، فكان من عذر الرازي في سقم بصره حُبّه الباقلاء وكثرة أكله له ، وأنه يفضله على اللوز ، وأنه أطيّب منه ، ثم من بعد هذا نزل الماء في عيني الرازي هذا وعمي ، وكان يجيء بمن يقدح الماء منه ويجيء بمن عمي من نزول الماء في عينه فيستوصفهم كيف عموا ، ومتى نزل الماء في أعينهم ، وما كانت أغذيتهم ، ويجيء بمن يقدح الماء من عيونهم عنده ويدبرهم على أحوط ما يكون في ذلك ليجرب وينظر كيف الأثر في ذلك ، وكد وبذلّ وجمع الأطباء فما رجع عليه بصره ، ومات أعمى . وقد كان يعرض له من وجع أذنه ما يقلق القلق العظيم ، ويمنعه النوم والقرار ، ويتداوى بكل ما ذكره المتطبيون في ذلك وهو على كل حال / يتقدم في صنعة الطب ،

ب/٢٩٤

١/٢٩٥

كثير الكتب والمقالات في ذلك ، حتى دخلت امرأة على امرأته ورأت مابه من القلق ، فسألت امرأته عن ذلك فقالت : من وجع أذنه ، فقالت المرأة الداخلة : هذا وهو طيب ، وقد سمعت أن الخنفساء الميتة إذا أغليت مع دهن الورد وقطر في الأذن من ذلك الدهن منع من وجع الأذن ، فقالت له امرأته ذلك ، فقال : افعلوا وبادروا لعله ينفعني ، ففعلوا وقطروا في أذنه فزعم أنه نفعه .

ومثل هذا من الأدوية يحكيه جالينوس كثيراً أنه استفاده من القوابل ومن الأكرة ومن الملاحين ، وكم قد عرض لحذاق الطب من الأمراض التي لا تظهر ، وكم هي فيهم وبأي أمراض ماتوا ، فنعوذ بالله من الذهاب عن الله ومن التوكل على غير الله ، وإنما ذكرنا هذا لكثرة دعاوى هؤلاء الجهال .

وكم قد بقي الناس وهم لا يعرفون الفصد ، وكانوا أطول أعماراً وأصح أجساماً ، والروم لا تعرف اليوم لا الفصد ولا الحجامة ، ولا الدواء المسهل ولا القيء ، ولا تتداوى بشيء من ذلك ، هذا الغالب عليهم ، وأجسامهم صحيحة وصحتهم وجلدهم متصل حتى يقال إن أكثرهم إنما مرضهم مرض موته ، ولو أراد المسلمون أن يستغنوا عن الأطباء بمعرفة صنعة الطب لفعلوا ، وكان مطلب ذلك والوقوف عليه أقرب وأيسر من معرفة اللغة والنحو والعروض ، وهو أن يقرأ شيئاً^(١) من كتبهم ، وطول مشاهدة المرضى ، ولو تكلف هذا من قد عرف صنعة الكلام ، وأن الفعل لا يكون من الجماد ولا من الموات ، ولا يقع إلا من الحي القادر ، وأن هذه الأدوية إنما هي بمجرى العادة ، وأنه قد يكون ولا يكون ، وينفع ولا ينفع ، وأراح المسلمين من هؤلاء / الأطباء فإنهم جهال بالأصول ، والغالب عليهم الاحاد والقسوة وقلة

ب/٢٩٥

(١) في الأصل : شرأ

المبالاة ، ومن كان منهم يظهر المجوسية فليس بمجوسي ، أو يظهر النصرانية فليس بنصراني ، أو يظهر اليهودية فليس بيهودي ، أو يظهر الإسلام فليس بمسلم ، هذا الغالب عليهم ، وكذا وجدهم من خالطهم وبحث عنهم ، فما أحوج الناس إلى من يجعل الطب في أمناء المسلمين الأتقياء ، فإنها أمانة عظيمة ، وإن كان ليس في البقاء مطمع ، ولا إلى السلامة سبيل ، ولكن يتخلص المرضى من تعذيب الملحدین لهم ، ومن يتمنى الاستقام ليأخذ أموالهم وتسؤه صحتهم وسلامتهم ، فما في الأرض أغيب من دوام صحة الناس من هؤلاء الأطباء ، لما في ذلك من الاستغناء عنهم ، وعلى أن الناس ممن هو طبيب نصراني وليس بملحد في مكاره وكذا الصيدلاني وبائع الدواء إذا كان ذلك .

وقد كان الشيخ أبو عبد الله الحسن بن علي البصري رحمه الله (١) يذكر عن ثقة حدثه أن قوماً من النصارى قالوا لعبد الله غلام إسرائيل الصيدلاني النصراني ، وكان في المخرم في الجانب الشرقي ببغداد ، أن فلاناً يؤذي النصارى ومنك يشتري الأدوية فأكفيناه ، فقال : أفعل .

وأبو الحسن بن كعب الأنصاري أحد علماء المسلمين ، وكان صديقاً للشيخ أبي بكر أحمد بن علي الرازي رحمهما الله ، وكان بينه وبين الصابئين المتطبين خصومة في صنيعه ، فلدسوا إلى طبيبه وأعطوه مجمعاً للمباضع ففصده وأشار بالفصد عليه فقتله .

وذكر الشيخ أبو عبد الله عن حنون المتطبب وكان صديقه وصديق أبي الحسن الكرخي رحمه الله ، وحنون هذا ، هو أبو أبي الطيب المؤمل هذا الذي يحيا وأسلم .

(١) هو شيخ قاضي القضاة عبد الجبار الهمداني توفي حوالي سنة ٣٦٧

/ قال حنون قال لي المروزي الطبيب وكان أستاذاً : يا حنون ، اذهب إلى فلان فقل له : عني ينبغي أن تفصد ، وافصده ولا تكثر فضولك ، قال : فذهبت وأبلغت الرجل هذا فقبل وفصدته ورجعت إليه ، وقلت له : ما كان به حاجة إلى الفصد ، فقال لي : كذا هو ، ولكن كان لي عليه وظيفة من دراهم يحملها إليّ ، وقد قطعها عني ، فأردت أن يحتاج إليّ فقصدت إسقامه بالفصد .

وأما أبو هاشم بن أبي علي رحمهما الله ^(١) ، فقتله أبو حسن اليهودي المتطبب لا اعتراضه ونقضه لكتب أرسطاطالس ، وكان جاره يؤنسه ويخالطه ويريه المحبة ، فشكى إليه يوماً شيئاً يجده ، فقال : المصلحة أن تفصد ، فركن إلى قوله ، واستدعى حسن أخاه موسى ففصده ، فلما خرج الدم ، قال له أبو هاشم هذا دم جيد صافي فلم تخرجه ، فقال له موسى هو جيد الكيفية إلا أنه كثير الكمية ، فمرض أبو هاشم عقيب ذلك ومات .

وكان حسن هذا ظاهر اليهودية وهو ملحد ، وكان أحد أطباء الملوك ببغداد . أما موسى هنا ، فذكر عنه أحد تلاميذه أنه دخل على عليل وسأله عن خبره فأخبره بما يتداوى به وبما يغتذى به فقال له موسى من أشار عليك بهذا قال فلان الطبيب ، قال : نعم ما أشار عليك ، وقام وخرج وركب ، قال تلميذه وهو يعقوب بن يوحنا هذا الواسطي ، منزله الجانب الشرقي في دار الروم وفي درب البصرى ، فلما ركب موسى مشيت مع البغل وجاريتته في أصل ذلك المرض من غير أن أشير إلى العليل ، واستفتيته في أدويته فأفتاني بضد ما كان ذكر له ذلك المريض ، فقلت له فهذا / العليل هذا مرضه وقد أخطأ

(١) أبو هاشم هو عبد السلام الجبائي المعتزلي المشهور ويعرف أتباعه بالبهشية وقد تأثر به قاضي القضاة كثيراً ، حتى أنه يعتبر ممثلاً لمدرسته في كثير من الأمور .

عليه طبيبه واستصوبته أنت قال : نعم على عمدٍ ، قلت له : [قلت]^(١) ولم ؟ قال : عليك بين طبيبين اقتل حتى يمر .

وكم لهم مثل هذا ولقد قال طيب لسلطان كبير وهو موفق بن المتوكل ، وكان جسيماً وسيماً أكلوا ، وهناك من يكره حياته ، فأكل يوماً ألباناً كثيرة في ألوان كثيرة ، قال طبيبه وأنا واقف وهو يأكل ولا أنهاه وأقول في نفسي هذا يفلج اليوم ، لأنه زمن ويأكل هذا لا محالة ، فإن لم يفلج ، فالطب باطل . فلما أكل وفرغ دخل الخيش ونام فيه ، وصرت إلى منزلي ، فلما كان بعد قليل سمعت قعقة بغل البريد فقيل لي : أجب الأمير ، فقلت في نفسي : فلج لا محالة فركبت وحثيته ؛ فإذا هو في حمى عظيمة مطبقة دموية ، فاحتاج أن يفصد من يديه ويخرج من الدم أربعمئة درهم ، فكان ذلك بالضد من صناعة الطب وقوانينه .

ومن تدبر وجد العجائب من آيات الله في كل شيء ، وخيانات هؤلاء كثيرة ، وقد أساء إلى نفسه من استعملهم في الطب والجراح واتمّنهم . وهذه الصفة مما ذكرنا أن هذه الصنعة ليست بعلم وإنما هي تجارب بحسب ما أجرى الله العادة .

وفي الأفاعي ما يلسع بعضها بعضاً فيموت الملسوع ، وتلسع بعض الناس فتموت الأفاعي ولا ينال الملسوع مكروها ، وقد تلسع الإبل والقنفذ والسنّور وابن عرس وغيرها فلا تضرّ ، هذا عام في الحيوانات ، فأما في الإنسان فنادر . وزعم الكندي المتطبب^(٢) ، أن الخليفة المعتصم استدعاه قال فقال لي من

(١) كذا في الأصل ، وهي زائدة

(٢) هو أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي من أوائل الذين كتبوا في الفلسفة والطب عند العرب

تكون : قلت : أنا يعقوب ابن اسحق الكندي ، فقال لي : عندنا إنسان يرسل عليه الأفاعي فإذا لسعته / ماتت ولم يضره ، وأنا أحب أن تشاهد ذلك . قال : فأتى برجل طوال نحيف أسمر خلّاسي^١ ، ثم دعا بسلال الأفاعي فقال : يا فتى نرسلها عليك ؟ فقال : على اسم الله ، رسمى قبله . فأقبل عليّ المعتصم وقال : رسمه علينا أن نطعمه الكباب ونسقيه النبيذ وتعطيه ديناراً ، أحسبه قال على كل أفعى . قال : ففعلوا ذلك ، وأرسلوا عليه الأفاعي فأبي لسعته ماتت مكانها وهو كأنشط ما يكون ، فقال لي المعتصم : ما عندك في هذا ؟ فقلت : أنظر فيه وأعاود الفكر وأعرّف أمير المؤمنين ، قال الكندي : وقد عمل رسالة في هذا الباب ، فعدت إلى المعتصم فأخبرته أن هذه الأفعى قد طال مكنتها وقد ضعف سمّها وشربت الماء ، فهات الأفاعي التي ما شربت الماء قال الكندي : فجيء بها وأرسلت عليه فمات .

وهذه غفلة من الكندي ، هب الأمر كما قال وسمّها قد بطل أصلاً فما السبب أنها تموت إذا لسعت ، وقد كان ينبغي أن تجرب هذه الأفاعي في غير هذا الرجل ، فإن لم تضر أحداً غيره فقد أصاب الكندي .

وعقارب الفاطول^(١) يموت بعضها من لسع بعض ولا تموت عن لسعها غير العقارب ، ومن عجيب العقارب أنها تلسع الأفعى فتموت الأفعى ، وقد تلسع أكثر الناس فلا تموت ، والعقرب التي يحدث من لسعها الموت على غايته ضعف الخلقه ، ولعلها أن تكون أضعف من العنكبوت الصغير وأبرتها كالشعرة ، وهي توجد بالبندنجيين^(٢) وبرامهرمز وبعسكر مكرم من كور الأهواز ، والأطباء يرجعون في التداوي من لسعها إلى أهل تلك البلدان ، فيقولون لهم :

(١) لعلها : الناقلين ، انظر معجم البلدان ، الجزء الخامس

(٢) انظر معجم البلدان الجزء الأول

بأي شيء جرت عادتكم بالتداوي من هذه العقارب ، فيذكر شيوخهم
وعجائزهم للاطباء ، / فيعلمونهم ويكتبونه في كتبهم . وعقارب (١) (٢٩٧ ب/
قتالة ، و ثم عقارب كبار تضرب القمقم وغيره فتحرقه بإبرتها ولا يكاد يموت
أحد من لسعتها ، بل ربما ماتت هي ، وكل ذلك من آيات الله عز وجل . وفي
الحيوان من يعرض له عند لسع العقارب البرد والحدرد ، ومنهم من يعرض له
الحمى والالتهاب . ولقد لسعت العقرب رجلا مفلوجاً فذهب عنه الفالج ،
وهي مشهورة ذكرها الأطباء في كتبهم . وكم يجدون في تجاربهم وما يحدث
على الأيام مما ليس في كتب المتطببين ولا في تجاربهم بل هو بالضد مما كتبوه
فيكتبونه ويخلدونه وكل ذلك من آيات الله ، ويزيدك علما أن الطب تجارب ،
وشيء قد أجرى الله به العادة لقوم خلاف قوم ، ثم لا يستمر كما قد تقدم لك
بيانه . ومن الناس من يأكل العقارب والحيات .

وهذا الكندي هو أحد الملحدة الذين ظاهرهم الاسلام ، وهو كوفي ،
وكان أحد المياسير ، فأنفق أمواله كلها (٢) في مكاره الاسلام وفي الطعن على
الأنبياء أجمعين ، وله رسالة يدعي فيها أن سبب المد والجزر إنما هو زيادة
القمر ، وفي الأرض بحار كثيرة ليس فيها من المد والجزر ما في بحر فارس ،
وكلها تحت السماء ، وعلى جميعها يطلع القمر . وكم لهذا الكندي من الجهالات
كما لابن زكريا الرازي في الخواص والكيمياء ، فاطلب كتبه في الكيمياء وقف
عليها وما يحكيه عن نفسه وغيره ، لتعرف غباء أعداء الاسلام وكذبهم
وفضائحهم .

والرازي يزعم أنه خرج إلى ملك بخارى ليعالجه وأن الثلج منعه في طريقه

(١) كلمة محية من الأصل

(٢) في الأصل : «كله» ولعل الأصح ما أثبتناه

من الاجتياز ، فنزل على رجل كبير واسع النعمة ، وكان له ابن قد أضناه المرض فطال عليه فصار كالحيال لطول الضنا ، قال / فأرانيه وشاورني فيه ، فلم يكن له دواء ولا فيه رفق ، فيئست منه وأمرت بمداراته والرفق به لقرب أجله ، وخرجت إلى بخارى وأقمتُ طويلا ، ثم عدت فنزلت عليه ، وإذا بحضرته فتى ذكيّ حرك ظريف فأعجبني ذكاؤه وحركته ، فسألته عنه ، فقال : هذا هو العليل الذي كنت رأيت ، فاشد تعجبي ، فقلت ، كيف كان ؟ وبأي شيء داوَيْتموه ؟ فقال : ضاق صدره وأشدت ضجره ، فقال لامرأة كانت ربه قد حمل إليها يوما سكباج : أطعميني ، فأبت وبقي السكباج في الدار مكشوفاً^(١) ، فأقبلت حية فأكلت ما في الصفحة ثم قذفته في الصفحة وتقايأته ، فمشى الغلام الى الصفحة فشرّب ما فيها وأكله ليقبل المرض ولعله يستريح ، ثم أن المرأة جاءت ورأت الصفحة فهتت تأكل ما بقي فيها فنهاها الغلام ، وأخبرها الخبر فأرمت^(٢) القصعة ثم عرض للغلام عرق وألقى من جلده كالنمشاء ثم أفاق وقام ، وهذا كما ترى ، فقال الرازي : أنا ما يدريني أن في دارك حية عمرها خمسة آلاف سنة .

فانظر إلى كذبه وقله تحصيله وقلة حياته وتحزره مما يتحرز منه العقلاء فيها ، أنه لا يعلم ان الأمر كما أخبر الغلام وإن غلب الظن على صدقه ، وأخرى أنه لو كان يعرف أن دواء هذا العليل في شيء حية عمرها خمسة آلاف سنة لوصفه لهم لما رأى العليل ، وأخرى إخباره بعمرها كأنه قد حصل ذلك واضطر إلى العلم به ، وما يدريه لعل عمرها ثلاث سنين ولشبابها نفع سمها ولو كانت هرمة لما انتفع ، فهو لا ينفصل من الدعاوي ، وهذا من جنس قولهم : إن

(١) في الأصل «مكشوف»

(٢) كذا في الأصل

أفعى ولغت في خمر وقذفته / في وعائه ، وأن رجلاً مَجْدُوماً^(١) شربه ٢٩٨/ب
فبرىء ، وهو سبب إيجادهم أقراص الأفاعي . فإن كانوا صادقين فهذا من
الجنس الذي أخبرنا عنه من آيات الله في إجراء العادة وما تقدم من ذكر ذلك .
ويحيى بن خالد صاحب أربعة الأحنف يذكر أن العقارب لسعت أصحاب^(٢)
ضروب من الحميات فافاقوا .

• ويحيى بن خالد هذا [كان]^(٣) طبيباً حاذقاً مأموناً معروفاً بالصدق ،
وكان يعالج ولا يتكسب بصناعة الطب ، ويحفظ له الناس من اللطائف وحسن
التأني شيئاً كثيراً .

وكم تجد منهم من يصف الدواء للعليل وهو حريص على برئه فيقول له :
إن قبلت رأيي وشربت هذا الدواء وفصدت عوفيت من ساعتك ، فيطيعه
فيموت . فإن قيل له في ذلك أخذ في التخريج والدعاوي ، وإذا قيل للعلاء
منهم : ما السبب أن الإنسان إذا صب عليه الماء الحار بوله ؟ قال : نريد عللاً
مشدودة بخوص إن أردتها ذكرناها .

وكذا قيل لهم ما السبب المثير للعطش عند أكل السمك واللبن والبقلاء
وهذه كلها باردة رطبة بطبع الماء ، وما السبب في انقطاع العطش عند
أكل الثوم وهو حار يابس والعطشان يدخل الحمام فينقطع عطشه ويدخله
الريان فيحدث له العطش ، فأما الجاهل الملحد المعاند فيأخذ في البهت والكذب
والدعوى الباطلة .

(١) في الأصل : «مجدوم»

(٢) في الأصل : «صاحب»

(٣) زيادة مني على الأصل تقتضيها صحة العبارة

١/٢٩٩
ومن جنائياتهم أنهم يرسمون في الطب والمدخل الى الطب الكذب الذي ليس من الطب بسبيل ، كمسائل حزين في المدخل إلى الطب ، أن أجسام هذه الحيوانات مركبة من الهواء / وهو حار رطب ، والعقلاء كلهم إذا أرادوا أن يبردوا شيئاً أو يجففونه أبرزوه للهواء ، ثم يقول : ومن الأرض وهي باردة يابسة ، والأرض جسم من الأجسام تجوز عليه الحرارة والبرودة وكذا الماء وكذا النار يجوزان يغلبها الله ويخلقها شجراً ومدراً وثلجاً ويخرجها من أن تكون ناراً ، وحزين لا يدري أمن هذه الأشياء خلق الله السماء وغيرها من الأجسام أم من شيء آخر أم من لا شيء ، كما خلق النار لا من نار ولا من شيء ، وكما خلق الماء لا من ماء ولا من شيء ، وكما خلق الأرض لا من أرض ولا من شيء ، وكما خلق الشمس لا من شمس ، وكذا القمر والكواكب خلقها لا من كواكب ولا من شيء ، وقد خلق السماء من دخان كما خلق كثيراً من الحيوان من الماء ، وإنما فعل ذلك عز وجل ليعتبر العقلاء من الملائكة والانس والجن ، ولو شاء أن يخلق كل ذلك لا من شيء لفعل كما خلق ما قدمنا ذكره وما لم يذكره لا من شيء ولا لشيء .

أما ترى الإنسان المدبر المصنوع كيف يفعل الاصوات والحركات والتأليف والإرادات والاعتقادات والسكون لا من شيء ، فيكتب ويبنى ويصوغ ويحيط وينسج وغير ذلك من أفعاله لا من شيء ، فكيف للقديم الأزلي سبحانه وتعالى الحي القادر العالم الحكيم الغني عن كل شيء الذي لم يزل ولا يزال . على أنه عز وجل . إن كان قد خلق الرمان والتفاح والسفرجل وأشباه ذلك من النار والماء والهواء والأرض أو من الكواكب والسماء فهو أبداع من خلق أعيانها لا من شيء ، وأدل على القدرة وسعة العلم ، ولكن نحتاج في هذا إلى خبر منه عز وجل .

فإن قالوا وجدنا في هذه / الاجسام ماء ورطوبة ، قلنا : غير منكر أن ٢٩٩/ب
يخلق الماء الذي فيها لا من هذا الماء كما خلق هذا الماء لا من ماء بل خلقه لا
من شيء .

وإذا قيل لهم زعمتم أن الهواء حار رطب فتبردون البارد بالحر ، وزعمتم
أن الصفراء حارة يابسة والعقلاء يجدونها رطبة سيالة يطفأ بها النار ، قالوا :
إنما قلنا الهواء حار رطب والصفراء حارة يابسة بالطبع قلنا : فهذا طبع وقول
يكذبه الحس واللمس ، وهذا كما قيل لابن عبد الوهاب الكاتب وكان قصيراً
معجباً : أنت وإن كنت عند الناس قصيراً فأنت في الحكومة والطبيعة والحقيقة
وعند الله طويل ، وعلى أن القول : من أي شيء خلق الله عز وجل هذه
الاجسام ؟ ليس من الطيب بسبيل بل هو مشغلة عن الطيب ؛ وقد فطن لهذا
حذاق الأطباء فانصرفوا عنه وتوفروا على معرفة العادات والتجارب ، وعلى
أن فرط الجهل والحيرة تحمل هؤلاء على الكلام في مثل هذا ، ولقرط غيظهم
من الأنبياء والمسلمين لقولهم : إن الله خلق الأشياء لا من شيء ، واخترعها بغير
شيء .

وأنت تجدهم يغتاضون من تحريم الخمر والأنبذة ولحم الخنزير ، يشيرون
بذلك على المرضى ، فإن وجدوا مسلماً يتوقى شرب الأنبذة كلها قالوا : الأنبذة
من دوائك ، وأهل العراق يبيحون لك . وإن وجدوا من يترخص ويأخذ
بقول أبي حنيفة في الأنبذة ، ذموا عنده التمر وما يكون من التمر ، فإن
وجدوه يشرب مطبوخ العنب ويتوقى ما سواه قالوا : ليس المطبوخ بشيء وإنما
الشفاء في الذي لم تمسه النار ، ولذا قال جالينوس : وبها تعجن الأدوية ، كل
هذا عداوة / لرسول الله ﷺ ، ويذكرون عن أفلاطن أنه قال : ما دخل جوف
ابن آدم شيء شر من الماء .

وكان أبو جعفر المنصور وجد مرضاً ، فذكر له طبيب بجند يسابور فأخضره ، فمكث في داره زماناً وأقام فيها لعلاجيه ، فلما طعم طلب من الخدم خمرأ ، فقالوا له : ما في هذا القصر خمر ولا شيء من الأنبذة ولا لك إلى هذا ، سبيل فقال : أنا رجل ذمى وأستحله وبه أحفظ صحي ، وما شربت ماء مذكذا وكذا خوفاً من شره ، وأنا أخشى إن عدمت الخمر أن أمرض وأموت ، فقليل له : ما شاء فليصكب مالك إلى هذا سبيل ، فشرب الماء على كره فلما أصبح أخذ قارورته فإذا هي كما كانت وهو يشرب الخمر ، فاشتد تعجبه وذكر ذلك لإخوانه .

وعندهم أن الحرارة الغريزية تقوى بشرب الخمر وتضعف بشرب الماء ، حتى قال قائل منهم : والله ما حرم نبيّ العرب الخمر والأشربة على أتباعه إلا لفضل عقله ، فإنّ الأنبذة المسكرة مضرّة بالعقل جداً محيلة له وكذا الغناء ، وما شيء أفضل من العقل ، فكل ما أضربه وأثر فيه فخيث رديء ، وقد وجد في العسل وغيره ما ينوب عن الخمر وسائر الأنبذة في إسخان المزاج وتعديل الطبع مع سلامة العقل ، فجناية الأشربة المسكرة في تغيير العقل أعظم الجنایات وأكبر الأمراض ، وليس الطبيب من داوى مرضاً بدواء أعقب مرضاً هو أعظم منه .

قال فأما ما يحدث لشارب السكر وسامع الغناء من الطرب وسرور النفس والنزاقة والخفة فما هو إلا لتقصان عقله ولا فضلة لها ولا خير منها ، فنبيّ العرب أطب الأطباء وأفطن العقلاء ، هذا قول من كان له عدواً ومكذباً .

٣٠٠/ب وقد ذكر الناس / فضل عقول أكلة التمر ولحم الجزور على أكلة لحم الخنزير بما هو مذکور في غير هذا الموضع ، والناس يعاينون حياة الحيوان والنبات بوجود الماء وتلفهم مع عدمه ، ولا يغنيهم عنه خمر ولا غيره ، بل تزيد الخمر

في بلائهم ، وهم ، يذمون النخلة ، وخيرات الدنيا مقسومة بين النخلة والنعجة والتمور من الأغذية الشريفة النافعة التي يحيا بها الحيوان الأنس وغيره .

وفي التمر مع اللذة بأكله إخراج التعب وراحة للمكدود ، والملاحون يسمونه لأجل هذا مسامير الركب ، ولما قيل للأعرابي : صف النخلة قال : جذعها بناء وكرها صلاء وسعفها ضياء وثمرها غذاء ، ومقدار النعمة بالنخلة يضيق هذا المكان عنه وعن شرحه ، ولأبي عثمان عمرو بن بحر رحمه الله (١) كتاب في فضيلة النخلة على كل نبات ، وهو كتاب كبير حسن جدا ، وجهل هؤلاء عظيم وجنبايتهم لا تستقال ، ولعل من قد قتلوه بأدويتهم مع حسن نيتهم فيه وحرصهم على برئه أكثر ممن أفاق عند علاجهم ، وكم فيهم من قد غلط في نفسه وأولاده وأهله بعلاج هذا لخدائهم فضلا عن المبتدئين .

ولهم إصابات في الحمایات إذا ابتدأت وكم تلبث ومتى تنصرف وكم دور يكون وبأي شيء يكون بجرانها ، إما بالعرق أو بالرعاف أو بالقيء أو بالبول أو بغير ذلك ، هذا يعرفونه بالتجربة ، ويغلب في العادة ، وقد لا يكون .

كما يعرف الملاحون الريح متى تسقط وكم تلبث ، يعرفون هذا في البحار وفي الأودية ويعرفون أزمانه كما يعرفون أوقات المدّ وأزمان زيادته ، وأوقات الجزر ، وينتظرون ذلك ، / وكما تعرف القوابل غيره من الحمل ، وذكر هو أو أنثى ، وكم تلد أمه بعده من ذكر وأنثى مما يتفق لهن فيه إصابات حسنة ، وكل هذه عادات وتجارب . فإن قيل : فاذا كان الدواء والسم لا يقتل ، فلم تذمون الساقى لذلك والشارب له ؟ قلنا : نذمه ونؤثمه على ما حدث من فعله من الشرب والإسقاء ، وان كان ما يحدث من الموت من فعل الله ، لأن الله

(١) يقصد أبا عثمان الجاحظ

أجرى العادة بفعل الموت عند ذلك ، وندمته كما يندم من إلقاء غيره إلى السباع ،
وكما يندم من سعى بالناس إلى الولاة ودل على أموالهم وإن لم يأخذه الولاة ولا
أكلهم السباع ، لأن الغالب من ولاة الجور أخذ الأموال ومن السباع الأكل ،
كذا الغالب فيما أجرى الله به العادة : الموت عند شرب الدواء المسموم
والسم ، فليس لأحد أن يفعل ذلك ، وكذلك لا تلم الساقى ولا الشارب إذا
تناول ما جرت العادة بالسلامة معه وإن حدث عقيبه الموت ، ألا ترى من أظعم
غيره طعاماً لذيذاً ينفعه به فمرض عقيب ذلك ومات لم نلمه لأن الغالب في العادة
السلامة .

ونلوم من سقى غيره سماً قاتلاً فعوفي وانتفع بذلك أتم منفعة ، فإننا
نلومه ونضلله ونؤثمه ، والرجوع في جميع ذلك إلى غالب العادة .

فان قيل : فلم ابيتم أن يقع الفعل من الجهاد والموات بالطبع ، قلنا : لو
وقع الفعل بأي وجه كان من الجهاد والموات ومن ليس بحج ولا قادر لكان لا
اعتبار بأن يكون الفاعل حياً قادراً ، ولا حاجة بالفعل إلى أن يكون فاعله حياً
ب/٣٠١ قادراً ، ولوجد البناء والكتابة / والصياغة وغير ذلك من الانسان وإن جهل
وإن عجز وإن اجتهد في أن لا يقع ذلك منه وان مات ، فلما لم يقع ذلك منه
وهو ميت ، وقد علمت وتيقنت أن الفعل لا يقع إلا من الحيّ القادر ، وإن
كان متسقاً محكماً ففاعله لا بد عالم .

ولو وقعت الأفعال من الجهاد والموات بالطبع أو بغير ذلك ، لوقع من
الحجارة والسحر والماء والنار والهواء وغير ذلك البناء والصباغة والنجارة والكتابة
على أن هذه الأشياء كلها دون ما أضافوه إلى الأدوية والسموم من الأفعال ،
لأن الموت والحياة والعافية والسقم أعظم من الخياطة والكتابة وجميع ما ذكرنا ،
والعجب لجهل هؤلاء إجازتهم وقوع الحياة والموت والصحة والسقم من الجهاد

بالطبع ولا يقع منها كتابة ثلاثة أسطر ولا نساجة بارية طولها ثلاثة أذرع .
فإن قيل : إنكم قد دفعتم الضرورة بقولكم إن الفعل لا يقع من الجماد
والموات فنحن نجد الشبع يأكل الخنزير ويزول معه الجوع ، وكذا الريّ عند
شرب الماء وكل هذا معلوم باضطرار .

قيل له : المعلوم باضطرار زوال الجوع بأكل الخبز والعطش بشرب الماء ،
هذا لا ينكر ولا ينكره عاقل ، فأما من ادعى أن الفعل للخبز والماء ، وأنه
قد علم ذلك باضطرار ، فقد ركب جهلاً ، لأن الحيّ الناطق العاقل المستطيع
ليس يعلم ما يقع منه من الكتابة والبناء أن فعله باضطرار ، وإنما يعلم ذلك
باستدلال .

ألا ترى أن العقلاء يختلفون في ذلك ، فيقول المنجمون ان من وقع منه
الوفاء والعدل فذلك من فعل / المشتري ، ومن وقع منه الجور والغدر فذلك من
فعل المريخ فيه ، ويقسمون الأفعال كلها على ذلك ، ويجعلونها لغير من ظهرت
منه .

وكذا تقول المنانية ، فتجعل ذلك للنور والظلام ، ويقولون آخرون إنه
لحملة الفلك والكواكب في حيوان الأرض ، ويقول المجبرة : إنه من فعل الله
فيهم ، فإذا كان فعل الحيّ القادر العالم ليس يعلم أنه هو الفاعل له باضطرار ،
فكيف صرتم أنتم تعلمون باضطرار أن الاحراق فعل النار ، والشبع فعل الخبز ،
والذي فعل الماء والعافية فعل الدواء بالضرورة ، وهذا قول من لم يعرف فعلا
ولا فاعلا قط .

وان كان حكم النار مخالفا لحكم الدواء والخبز والماء ، لأن النار قد خلق
الله فيها الحرارة والاعتماد صعداً ، فهي اله للعباد في الاحراق والتقطيع ،

والانسان المثير لها هو المحرق بها لا هي ، كما أن القاتل بالسهم الذي يرميه وينفذه في المقتول هو القاتل لا السهم ، وكذا الضارب بالسيف والقاتل به هو المفرق لأجزاء المقتول بالسيف لا السيف ، وكذا القاتل بالحجر هو القاتل به لا الحجر .

وقد قال أبو هاشم وغيره : إن العاقل يعلم باضطرار أن الجماد لا يقع منها فعل ولا تفعل ، كما يعلم أنها لا تسمع ولا تبصر ، وإن كان ماني القس الذي تقدم ذكره يقول إنها تسمع وتبصر وتحس .

ولكن لما وقع الاسهال عقيب شرب بعض الأشياء ظن هذا الجاهل أن ذاك فعل الدواء ، كما ظن هذا عند صوت الخشبة إذا شقت ونشرت أن ذاك صحيح منها لتألمها ، فاحتجنا أن ننبه على فرط جهلهم ، وإن كان الأمر في الوضوح كما قال ابو هاشم / وهم في هذا كمن قال للبيضة فعل الديك ، والحيوان فعل أبيه ، لأن ذلك يؤخذ عقيب سفاد هذه الفحولة ، كما أن الاسهال يكون عقيب شرب الدواء .

فإن قالوا : فقد يكون السفاد ولا يكون الولد وقد يكون ولا يكون ، قيل له : وقد يكون الاسهال عقيب الدواء وقد لا يكون ، حتى أن الطبيب يعطي لمن بدنه مملوء بالصفراء دواء ليسهله عشر مجالس فقد لا يسهله ، وقد يريد يسهله مجلس واحد ، وربما جاءه عشرة مجالس ، وربما أسهله مائة ، وقد وجدنا الحنظال والسقمونيا يأكلها كبير الحيوان فلا يقتلها ولا يسهله ، بل يغذوها ويحييها كما قد تقدم شرح ذلك .

وكذا قال أبو علي رحمه الله للفلكيين والمنجمين حين قالوا : إن النبات فعل الشمس لأننا نجدها إذا طلعت على الأرض ظهر نباتها ، فقال لهم : ولم

إذا كان ذلك وجب أن يكون هذا الفعل وهذا الأثر للشمس ، ثم قال : وقد تطلع على جميع الأرض و الجبال وأكثرها لا ينبت شيئاً ، وقد تغيب الشمس عن الأرض مثل مقدار طلوعها عليها من الزمان ، فلم وجب أن يكون هذا الأثر لطلوعها دون أن يكون لغيابها ، والنبات بحاله .

وقال لهم : قد يحرق الحراث الأرض في وقت الحرث ويسوق إليها الماء ويلقي لها السمد والتراب بحسب حاجتها فتنبت وتريع عند هذا الفعل منه ، ومتى لم تحرث ولم تبذر ولم يسق الماء إليها لم تنبت قليلاً ولا كثيراً وإن طلعت عليه الشمس والقمر والكواكب ، فلو جعلتم هذا الانبات والريع فعلاً للفلاح الحراث كان أشبهه / وأقرب من جعله فعلاً للشمس لأن الحراث حي قادر عالم ، ولو كانت الشمس حية قادرة عالمة فإن النبات والريع يجدونه عند فعل الحراث لا عند طلوع الشمس . فكيف والشمس والقمر والكواكب جماد وموات ، والعلم بأنها جماد وموات ، كالعلم بأن الغيم والبرق والماء والريح والنار والذهب والياقوت والزجاج جماد وموات .

وماني يدعي في أجسام السماء والأرض كلها قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها بأنها سمیعة بصيرة حساسة دراکة ، ولا فرق بين من ادعى هذا أو ادعى لشعاع الشمس والقمر كذلك ، وأنه كاتب وخطيب ، وإنما ذكرنا هذا لتعجب من جهله وجهل أتباعه ومن قال بقوله .

فإن قيل : فلم لا قلتم : إن النبات والريع فعل الحراث كما ألزمتموه مخالفكم ؟ قيل له : لو كان ذلك فعله لفعله في كل وقت ولبت في كل وقت وبلقاء على ما يدبره من القوة والكثرة ، فلما لم يكن كذلك علمت ، أنه ليس يفعله وإنما هو شيء قد أجرى الله العادة به عند حرث الحراث وعند طلوع الشمس وقد لا يكون كما قد تقدم ذكر ذلك .

وكان مما يسأل عنه هؤلاء الدعاة الذين قدمنا ذكرهم قوله ﷺ : « صوموا تصحوا » قالوا (١) : « فيها هنا من يصوم فيسقم وربما تلف ، قيل لهم : هذا القول قاله لمن يصلح بالصوم ويحتاج إلى الصوم ، وقد عقل المخاطبون ذلك عنه ، ألا ترى أنه قال لهم بأن المسافر والمريض والهرم لاصيام عليه ، وأن الفرض يسقط عنه ، وهكذا شرع وبين ، فتلا عليهم ما أوحى إليه ربه عز وجل / . ٣٠٣ ب

وكان مما يسألون عنه ، قوله ﷺ « سافروا تغنموا » و « بورك لأمتي في بكورها » قالوا : وقد وجدنا من يسافر فلا يغم ومن يبكر فربما سلب أو قتل (٢) ، قيل لهم : قد مضى الجواب في مثل هذا ، وهو أنه ﷺ أمر بذلك من يحتاج إليه ليفعله على الوجه الذي يغلب على عقله أنه يسلم ويتنفع ، ألا ترى أنه ﷺ لم يأمر بذلك المرضى والزمنى ولا في الأوقات المحرقة ، بل قد نهى عن ذلك وتلا عليهم الوحي قوله عز وجل : « ولا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ (٣) » وقوله « وخذوا حذركم » (٤) فقد عقل أولئك الذين خاطبهم عنه ﷺ مراده في ذلك ، وأنه ما أمر بذلك في كل حال ، وإن كان هناك مطر مانع أو برد أو حر أو عدو مخوف ، وقد نهى ﷺ عن ركوب البحر وعن كل ما فيه غرر وخطر ، حتى جاء عنه أن من يأت على سطح غير محجر فقد برئت منه الذمة ، وأن من ركب البحر عند هيجانه فقد برئت منه الذمة .

ومما يطيعون عليه ﷺ قوله : « لو أهديت إليّ ذراع لقبلت ، ولو دعيت إلى كراع لاجبت » قالوا : فهذا تعرض بالناس ورغبة في أموالهم وحيلة على

(١) جاء في هامش الكتاب « تأويل قوله عليه السلام : صوموا تصحوا »

(٢) جاء في الهامش : تأويل قوله عليه السلام : «سافروا تغنموا »

(٣) البقرة ١٩٥

(٤) النساء ١٠٢

على ما في أيديهم ، أي هاتوا لي شيئاً وأهدوا لي شيئاً واطعموني شيئاً ، قيل لهم :
إن نزاهته وترفعه شيء معلوم من انه صلى الله عليه ملك جزيرة العرب وهي
أوسع من جزيرة الروم ، وهي من شجر عُمَان إلى أوائل الشام في الطول
وفي (١)

منهم عظيم الشأن ، وهي الآن باقية فا (٢)

أ / وحازه وجى له وحمل ما له إليه ، فحرم نفسه وأزواجه وأهل بيته من ذلك / ٣٠٤ /
كله وبذله ووهبه للناس كما تقدم شرحه لك في غير موضع من كتابك هذا .
والمعلوم من سيرته انه كان يكافيء المهدي بأضعاف هديته ، والمنصف لا
ينصرف عن الأمر المعلوم المتيقن باللفظ المحتمل ، فكيف وهذا القول منه صلى الله عليه وسلم
من الآداب الشريفة والوصايا الكريمة ، ونهي منه عن احتقار الفقراء والمساكين ،
وأنه يجب على الأغنياء أن يقبلوا منهم ما يهدونه إليهم وإن كان حقيراً قليلاً ،
وأن يجيبوهم إذا دعوهم في ولائهم ، وإن قل ذلك ، وأن يظهروا لذلك
البشاشة والمسرة والطلاقة ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « إياكم والتكلف ، وإذا
حضر عند أحدكم زائر فلا يتكلف له ما ليس عنده ، وبئسما لأحدكم أن
يتكلف ما ليس عنده ، وبئسما له أن يحتقر ما عنده ، وبئسما لأحدكم أن
يحضر عند أخيه فيحتقر ما يقدمه إليه . » (٣) وهذا معروف من وصاياه ، وقد
أخذه عنه أصحابه ، فلهذا قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه
لرجل دعاه في وليمة شرط أن لا تتكلف لنا ما ليس عندك ، ولا تؤخر عنا ما

(١) بياض في الأصل حوالى نصف سطر

(٢) بياض في الأصل حوالى نصف سطر

(٣) في هامش الأصل « قال عليه السلام : إياكم والتكلف وإذا حضر عند أحدكم زائر فلا

يتكلف له ما ليس عنده . »

عندك . ولهذا قدم سلمان الفارسي رحمه الله لزواره خبزاً وملحاً جريشاً وقال لهم : كلوا فهذا الذي حضر ، ولولا أن رسول الله ﷺ نهانا عن التكلف لتكلفنا ، وكان سلمان أميراً في ثلاثين الفا من قبل عمر بن الخطاب (١) .
عظيمة (٢)

٣٠٤ ب / قد يحمله ذلك على اغتصاب أموال الناس / وعلى احتقار الفقراء فيوقعه في كل ما يكره من تنغيص العيش والكد في العاجل والعذاب الآجل ، ولو أخذت في شرح قدر المنفعة بهذه الوصية لطال به الكتاب ، فكم فيها من نفي الكبر الذي لا يليق بالإنسان ، وهو المعطب له والجالب عليه مقت الله ومقت عباده ، وهو المعرض لزوال نعمته ، وهذا من تواضعه صلى الله عليه ومن بركاته على العالمين بوصاياه الشريفة النافعة في الدين والدنيا ، التي قد ذهب الناس عنها يمينا وشمالا ، ولو طلبوها واستعملوها لأغنتهم وأعانتهم على الدين والدنيا .

وقد جمع أبو أحمد الحسن بن سعيد العسكري رحمة الله عليه ألف وصية فاطلبها واكتبها ، فهذا من المحاسن التي قد ظننها هؤلاء أنها من المساويء ولكن الخيبة والافلاس أحوجهم إلى ذلك حين لم يجدوا فيه عظيم طعنا .

وكذا طعنوا في قول أبي بكر الصديق حين أراد أن يستخلف عمر وقال له طلحة أو غيره : ما تقول لربك وقد استخلفت علينا فظاً غليظاً؟ فقال : أرببي تخوفي؟ إذا سألتني قلت له : استخلفت عليهم خيرهم وأنفعهم لهم وأحرصهم على رشدهم وأقواهم عليهم ، فقال هؤلاء الطاعنون : هذا تجبر

(١) بياض في الأصل حوالى نصف سطر

(٢) بياض في الأصل حوالى نصف سطر

وتكبر منه وليس كما ظنوا ، ولكن هذا قول واثق بالحجة مُدل بالحق ، وهذا نظير ما قال الله لرسوله ﷺ أن يقوله لأعدائه : « قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون »^(١) ونظيره قول هود عليه السلام لقومه^(٢)
 أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه لك^(٣)

/ سقط عليّ .

وطعنوا في قوله ﷺ : « إذا سقط الذباب في إناء أحدكم فافعلوه فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر دواء » وهو يبدؤنا بالذي فيه الداء وهذا ليس بمنكر ، وقد تشاهد ذباب النحل وفي شعرته الذي يلسع بها الدواء^(٤) وفي جوفه العسل وهو الشفاء .

ويطعنون عليه بأنه كان إذا أكل لطح إصبعه ، قالوا هذه هي القذارة ، وأين هو عن آداب كسرى والفرس ، فإنهم كانوا لا يأكلون إلا بالبارشين وبما قطع بالسكين ..

وهذا أيضاً من محاسنه وفضائله في أنه كان يلطح إصبعه ، ويردف خلفه ، ويرقع ثوبه ، ويخصف نعله ، ويعين خادمه ، ويمشي مع الضيف والأرملة والفقير في حاجتهم ، ويصنع لهم ، وكم له في ذلك من وصية ، وكذا كان خلفاؤه وأمرأه لرعيتهن ، وذلك مذكور في موضعه ، والانسان لا يعاف ريقه ولا ريق ولده وأحبابه ، والريق أحد النعم العظيمة من الله على خلقه وفي جفافه

(١) الأعراف ١٩٥
 (٢) بياض في الأصل حوالى نصف سطر
 (٣) بياض في الأصل حوالى نصف سطر
 (٤) كذا في الأصل ولعل الأصح : الداء

وإبطالانه من فم الانسان هلاكه ، وبه يسيغ طعامه ، وما في ذلك من النعم أكثر من أن يحصى ، وهذا من تواضع الأنبياء وتعريف الناس أقدارهم ، ولهذا بصق ﷺ يوماً على كفه ثم وضع أصبعه عليه وقال : يقول الله تبارك وتعالى .

« ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه ، حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد ، جمعت ومنعت ، حتى إذا بلغت التراقي قلت : أتصدق وإنى أو إن (١) »

يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك (٢)
للظلمة وبيت الوحدة وبيت اللود ، ما / ٣٠٥ ب
غرّك بي إذ كنت تمر بي قداداً . [وهو الذي يخطر في مشيته ويقدم رجلاً ويؤخر أخرى ويتكبر .]

ولهذا قال مالك بن دينار للمهلب بن أبي صفرة وهو يمشي وكان ملكاً عظيماً وسلطاناً كبيراً ، ما هذه المشية التي يملكها الله إلا بين الصفيين ، فقال له المهلب : أو تعرفني قال : نعم ، قال ومن أنا ؟ قال مالك : أنت الذي أولك نطفة مذرة ، وأخرك جيفه قدرة ، وأنت بينهما تحمل العذرة . فاستحيا المهلب وقال له : قد عرفتي حق المعرفة ، وكم مثل هذا في وصايا السلف وآدابهم رضي الله عنهم ، وهؤلاء يعيبونهم ويطالبونهم بالعجب والكبر ، الذي لا ينبغي لمن صفته ما قال مالك بن دينار ، كما يعيبونه ﷺ بأنه حرم المسكر والغناء ، ولبس الحرير والديباج ، واستعمال أواني الذهب والفضة ، وكشف العورة والاشترار في الزوجة .

(١) بياض في الأصل حوالى نصف سطر

(٢) بياض في الأصل حوالى نصف سطر

ونزار المتسمي بالعزیز لا یحرم ذلك ویتزین بالجواهر ، ویركب إلى الصلاة بالمزاهر ، وین ینذیه العبید والملاهی مجردین ، ویستقذرونه ﷺ ویستنطقون کسری والمجوس ، وهم یتزهون عن الماء ویتطهرون بالبول ، فالبول طهورهم والمیة طعامهم ، وأمه امرأته وصدیقة وکیله فی وطنها اذا غاب عنها ، والهربذ یطهرها بالبول حین یعاین فرجها ویباشر ذلك بیده ، وأکل المیة هو ما یشدونه من البقر فی عید لهم ویأمرونها بعد الشد الوثیق (١)

. حتی تموت وحل أكلها وهو (١)
. فانظر من قد استضعفوا و (٢)

١/٣٠٦

/ ولا الطهور كما قد تقدم ذكر ذلك ، وهم لا يأكلون مع المسلمین فی بلادهم فی صفحة واحدة ، فاعرف هذا من أحوال هؤلاء وتعديهم علی الله وعداوتهم لرسول الله صلی الله علیه وسلم .

وكان الحسن بن احمد ملك البحرين قال لأبي الحسن الحرزي حين أخذ جوهر مصر وجاء أبو تميم بعده . يا أبا الحسن ، ما ترى أبا تميم يفعل إذا دخل مصر ؟ وما الرأي له ن يفعل ؟ فقال له الحرزي : إن هو قدم ورفع حجابه وتواضع وأنصف الرعية وتباكى وقال إنما خرجت لغزو الروم وارتجاع الثغور ورحمة للناس من جور الديلم فهو يملك الأرض ، فما بين يديه أحد ، إنما هو ولد سيف الدولة ، وناصر الدولة ، ومعز الدولة ، وهم في غفلة وبطر ، وجندهم الديلم وهم شيعة ، فرجعت جواسيس الحسن بن أحمد من مصر فذكروا دخول أبي تميم وزية وركبه الذهب وملابسه المذهبة حتى خفه وما

(١) بياض في الأصل حوالى نصف سطر
(٢) بياض في الأصل حوالى نصف سطر
(٣) بياض في الأصل حوالى نصف سطر

على رأسه وفي عمامته من الجوهر وما في أذنى دابته ، وأنه أطعم الناس على موائد من ذهب وفي أواني الذهب ، وكثرة حجابيه ، فقال : الحسن لأبي الحسن الحرزي : قد سمعت ما هو عليه فما عندك؟ فقال له الحرزي : اصفح قفاه فما بين يديك أحد ، كلكم قد ظهرت مخرقته وماتت فضيحتة ، وكان الحرزي جريئاً عليهم يحتملونه ويستنصحوونه ويحدّثهم بجيلهم ومخاريقهم ويكشفونها له ويستزيدون له في الحيل ثقة به . فأكب الحسن على أبي تميم كما ذكرنا وطمع فيه ذلك الطمع ونصحه تلك النصيحة وتشاعما وتفاضحا (١)

به ومات عقيب ذلك واغتنم أبو تميم (٢)

ب/٣٠٦ وأعطاهم ما أرادوا قبل أن يبعثوا / عليه غيره ، وأخرج إليهم أربعين كتاباً من كتبهم إلى آبائه وإليه وما بينهم من المخالصة وأن الدعوة واحدة كما تقدم .

وإنما جر هذا الكلام عيب هؤلاء الجهال على رسول الله ﷺ بلطع إصبعه وكونه لم يفعل من التجبر والتكبر ما يفعله الملوك ، وهذا من محاسنه وآثار نبوته .

وكقوله ﷺ : « من أحب أن يمثّل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار » ، وما أكل متكئاً قط وكان يجلس على الأرض ويقول : « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبيد وأجلس كما يجلس العبيد » ويلبس الصوف ويعقل العنز ، ودخل مكة حين فتحها في عشرة آلاف وهو على رحل رثٍ ، وإن عشوته لينال واسطة رجله من التواضع ، ما زاده الله تسليطاً وتمكيناً إلا ازداد

(١) بياض في الاصل حوالي نصف سطر

(٢) بياض في الاصل حوالي نصف سطر

لله هيبة وإجلالا ، ومن المساكين قرباً وبهم رأفة وملايسه معروفة ، وقبض
صلواته وحاله معروف ، وبردته التي يتجمل بها الخلفاء تساوي دانقين .

ويوسف بن دحية ملك عمان وحدها يلبس الوشي المثقل بالذهب ، ويستعمل
أواني الذهب والفضة وله العبيد والكرراع والأثاث والخزائن ، وكذا ملك
البحرين وملك عدن ، وكذلك ملك صنعاء واليمن ، وقد ملك صلواته هذا كله
ونجران وتيماء وتبوك ووادي القرى ، وغير ذلك مما يطول تفصيله ، فلو أراد
ما أراده هؤلاء لقدر على أكثر مما قدروا عليه ، وقد ذكرنا ذلك وغيره من
حال خلفائه وزهدهم فهؤلاء ^(١)

واعلم ان قول الحرزي وعيسى ابن ^(٢)

لأبي طاهر ولأبي تميم ولأبي ^(٣)

التدبير فكلكم قد افتضح مع تستركم به، إنما هو غباوة عن معجزاته ودلائل
نبوته ، وأنه شيء تولى الله حراسته ونقض العادة به ، فما زلت له قدم ، ولا
بارت له حجة ، ولا أسكته خصم ، ولا أخجله عدو ، مع كثرتهم وجلدهم
وطول مقارعتهم كما قد تقدم لك ، ولكن هؤلاء الجهال لا يشعرون ، قد
جعلوا ما أعطاه الله من النصر والحجة أنه شيء ناله بوفور عقله وسداد تدبيره .

كما يقول هشام بن الحكم وابن الراوندي وأمثالهما في أبي بكر الصديق
رضي الله عنه بأنه كان ناقصا وجباناً وجاهلاً ومجنوناً ، وأنه ما يباعه أحد ولا
أطاعه كثيراً أحد كما هو مذكور لهم ومشروح في كتب الامامية .

فقليل لهم : فكيف استوى له أن يغلب بني هاشم وشيعتهم وأتباعهم

(*) ١ و ٢ و ٣ : بياض في الأصل حوال نصف سطر

وهم أعقل الناس وأشجع الناس وأفطن الناس وأشرف الناس حتى أطيع في حياته ونفذت وصيته بعد وفاته ، فأطيع خليفته بعده ووصايا خليفته بوصاياهم فنفذت بعد موته فأطيعا حين وميتين .

قالوا هذا عجز فيه الدهر ، فكان عذرهم في انقطاعهم أن سموا ما أعطاه الله من الحجّة عجز فيه الدهر ، كما قال أولئك في حجة رسول الله ﷺ أنه وفور العقل وسداد الرأي والتدبير .

ومما يطعن هؤلاء الدعاة على رسول الله ﷺ ويعيدونه ويبدونه ، أنه جاء مرة يطلب مولاة زيد بن حارثة ولم يكن في بيته ، وكانت امرأته تحجز ، فأخرجت رأسها من التنور وخرجت إليه (١)

وأخرج زيد بن حارثة في سرية ليقتله (٢) من المشيخين إنما معنى قوله : « وتخفي / في نفسك ما الله مبديه » أي قد زينت .

ب/٣٠٧

والمأمل يعرف كذبهم في ذلك قبل أن يعلم أنه نبي صادق ، لأن زيد بن حارثة رحمه الله مولاه وصاحبه قديما قبل النبوة وقبل الوحي ، خصيص به محب له ، يسافر معه ويقيم معه . وامرأته زينب بنت جحش هي بنت عمّة رسول الله ﷺ وهو زوجة بها ، وقد رأها صغيرة وكبيرة ، لو قال قائل إنه رآها ألف مرة لما خشي أن يكذب . وكانت زينب رحمها الله امرأة سيئة الخلق كثيرة النفار لزيد ، وكان رسول الله ﷺ يشق عليه ذلك ، ويكره أذية زيد ، وينهي زينب عن ذلك ، ويعذلها ويأمر زيد باحتمالها والصبر عليها ، وكان ﷺ

(١) بياض في الأصل حوالى نصف سطر
(٢) بياض في الأصل حوالى نصف سطر

ودَّ لما يرى من نقارها لزيد أنه لم يزوجها به لما يلقى زيد من أذاها ، وأنه كان ﷺ قد تزوجها فكان أولى بالصبر على قرابته من الغريب ، فأوحى الله إليه أنها مع خلقها مؤمنة ، وإن زيدا سيطلقها ، فإذا طلقها فتزوجها أنت وضمها إليك . فلم يلبث زيد أن طلقها وجاءه فأعلمه ﷺ ذلك ، فقال رسول الله ﷺ لزيد : راجعها وأمسكها ، وستر عن زيد ما أوحى الله إليه ، فعوتب في ألا عرفه ما أوحى إليه ، فلم يؤثر زيد مراجعتها ، واعتدت ، فتزوجها رسول الله ﷺ ، وكان من قصتها ما قد ذكره الله في سورة الاحزاب ، فبين الله ذلك والسبب فيه وعاتبه الله كونه ستر ما أوحى إليه عن (١) وما زال زيد مقيما على طل (٢) وبذل النفس في طاعته (٣)

/ مؤتة باذلاً نفسه في نصرة رسول الله ﷺ ، وقد ودَّع الأحبَّة . وقد قال ١/٣٠٨ رسول الله ﷺ لجنود زيد ومن معه : زيد أميركم ، فإن هلك فجعفر بن أبي طالب ، فإن هلك فعبد الله بن رواحة . فغزا زيد الروم وأقحم في قتالهم ، وتصيبه الطعنات والضربات والجراحات فلا يرجع ولا ينثني ابتغاء مرضات الله ونصرة لرسوله إلى أن قتل ، وقتل بعده جعفر بن أبي طالب ، وبعدهما ابن رواحة ، في القصة المعروفة ، ونال رسول الله ﷺ من فقدهم ما يألم له الألم المعروف . وأسامة بن زيد منزلته من الاختصاص برسول الله ﷺ والقرب منه منزلة أبيه ، وكان حب رسول الله كما كان أبوه ، وكان يقال له أسامة الحب ، وقد أمره رسول الله قبل مرض موته على خلق كبير ليخرج إلى الروم ، فخرج في خلافة أبي بكر ، وغزا الروم وجاهد في احياء دين رسول

(*) ١ و ٢ و ٣ : بياض في الأصل حوالى نصف سطر

الله ﷺ ، وقصد اعداءه وأطاع حلفاءه ﷺ بعده ، وجاهد وناصح ومضى لسبيله بعد مضي خلفاء رسول الله لا يرى لما يدعيه هؤلاء أثراً ولا اماراة لا في حياة زيد ولا بعد وفاته ، ولا في حياة ابنه ولا بعد ذلك ، وهم في المناصحة والالفة والاختصاص والمحبة بعد تزويج رسول الله بزینب كما كانوا قبل ذلك وفي جميع الاحوال ، وفي حياة رسول الله وبعد وفاته ، وفي حياة خلفائه وبعد وفاتهم ، وهناك من اعداء رسول الله ﷺ (١)
 المعروفة وأعينهم مادة إلى مطعن (٢)

٣٠٨/ب انواع هذا وهو أنه قد اغتصب / رجلا

من خاصته امرأته فزنا بها وقبله لعداوته له ، وهو يدعي النبوة والأمانة وأنه اختاره لأمانته وثقته على الخلق أجمعين ، وأنه وحده صفوة الله وأنه لا نظير له في ذلك إلى يوم القيامة . فأين كانوا عن هذا ، وأين كان الصحابة الذين قد اتبعوه لأنه نبي وصادق وقد جاءهم بتحريم الزنا وتحريم قتل النفوس بغير حلها ، فإن قالوا : قد تكلموا وقد أنكروا ، قيل لهم : لو كان كذلك لجاء مجيء أمثاله ، ولا فرق بين من ادعى هذا أو ادعى أن زيد بن حارثة قد تكلم في ذلك وضج وخطب وصار معه جماعة في ذلك ، وحاربوا وصاروا إلى الروم مجلبين على رسول الله وراجعين عن دينه ، وكذا كانت قصة ابنه أسامة بعده إلا أن هذا قد خفي علينا وخذعنا وظهر لكم أنتم وعرفتموه بفضل عقولكم وفتنتكم ، وقد قلنا لكم غير مرة لو اعتبرتم ما جرى على أمتكم وعليكم من الفضائح مع تسركم بالاسلام وأنكم من الفاطميين لكفاكم في الدلالة على نبوته ﷺ وأنتم تدعون ما هو في الظهور أعظم من هذا ، من أن فاطمة عليها

(*) ٢٠١ بياض في الأصل حوالى نصف سطر

السلام ضربت وقتل جنينها في بطنها جهارا بمشهد من العباس وعليّ وجميع
بني هاشم وبمشهد من المهاجرين والانصار وهم أكثر ما كانوا وأوفر ، وهذه
وقعة أعظم من وقعة كربلاء ، ومن شهدها أكثر فكيف لا يدعون عليّ
رسول (١)

نجد أبا بكر وعمر وبني هاشم (٢)
بين زيد وأسامة ورسول (٣)

1/309 / بعضا كما قد تقدم شرح ذلك حتى ينقل عليّ بن أبي طالب إلى عمر أم
كلثوم بنت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فيزوجه ويفترشها ويولدها ، وهذا
الذي زعمتم أنه ضربها وقتل جنينها في بطنها ، وقد قلنا فيما تدعون من البقية
وجوها في بعضها كفاية .

وتدعون أن أبا بكر أنفذ المغيرة بن شعبة والنعمان بن بشير الانصاري في قتل
سعد بن عبادة الانصاري وهو سيدهم فقتلاه وهذا أظهر مما ادعيتم في زيد ،
فكيف لا تدعون ذاك وقد ادعيتم ما هو أظهر منه . ونحن نجد الخزرج رهط
سعد بن عبادة أطوع الناس لأبي بكر وعمر ، يعتقدون إمامتهما ويتقربون إلى
الله في الجهاد معهما ، حتى ان قيس بن سعد وسعيد بن سعد من أخص الناس
بهما ومن أنصارهما وأمراء سراياهما ، فما تأمل متأمل ولا تدبر متدبر إلا وجد
من الادلة على أكاذيب هؤلاء وأكاذيب أسلافهم الذين قدمنا ذكرهم كهشام
وأتباعه .

ومما يخدعون به المترفين والمستجيبين لهم بأن يقولوا : هل علمتم لم حرم
محمد أزواجه أن ينكحن بعده ، ولهذا سر لطيف باطن خفيّ وهو أن أزواجه

(*) ١ و ٢ و ٣ بياض في الأصل حوالى نصف سطر

قد كن وقفن على سحره وحيله فخاف أن يتزوجهن أحد بعده فيتحدثن بذلك لما في النساء من الرقة والضعف فعلم هو بهذا فحرمهن ، وهذا من حكمته وفطنته ، وقلنا قبل كل شيء من أين لكم صحة هذه الدعاوي ، أهو شيء علمتموه بالخبر والنقل أو بالالهام (١)

مسائلكم وشبهكم ليست من شبه (٢)

الزبالين والكساحين ، ولعمري

ب/ ٣٠٩ / إن من كان قاده وسادته وأتمته الذين قدمنا ذكرهم وسيرتهم ومن لهم مثل هذا العزيز فهكذا تكون شبهه ومسائله ودعاويه وحججه ، وقد حرم ﷺ على الرجال أمهاتهم وبناتهم وأخواتهم وعماتهم وخالاتهم وبنات الأخ وبنات الأخت ، فإذا إنما حرمهن لمثل ما قلتم وهو السر اللطيف والباطن الخفي هاتوا حكمتكم وفطنتكم .

ثم نسائلكم وتقول لكم : قولوا لنا ما هذه الحيل وما هذا السحر والذي وقف عليه النساء ، اذكروه لنا ، فإن قالوا: ما ظهر ولا عرفناه، قلنا : فما يدريكم أن التحريم كان لهذا ، وإن قالوا قد ظهر ، قلنا : فما أغنى تحريم الأزواج شيئاً ، وهاتوا هذا الذي وقفتم عليه فإنكم لا تذكرون إلا ما يشبهكم ويشبه أسلافكم ، فأما هو ﷺ فأمره في الظهور والانكشاف والبعد من كل ريبة كما قدمنا وذكرنا .

والعقلاء يزدادون بصيرة في أمره ﷺ ، أنه جمع بين الضرائر من بنات الاعداء والأولياء وفطمهن من الدنيا ، ومما تتناوله يده ، وكذا صنع بأهله ، وإن هذا

(*) ١ و ٢ : بياض في الأصل حوالى نصف سطر

الاقدام إقدام الأبرياء من كل ريبة وذنبة .

ومن مسائلمهم أن أبا القاسم المصري الاقليدسي المهندس النازل في قطيعة
النصارى ، المنقطع إلى (١)

جميلة كانت (٢)

فما تعرفها فيقوم (٣)

عقيب هذا و (٤)

من المسلمين ، ويذهب في هذا أن امرأة كانت تختلف إليه ﷺ في الريب ،
فيخدع أصحابه وأزواجه بقوله : هي العافية ، وكان هذا من أكبر المطاعن
عليه عندهم ، وسرورهم بها أتم السرور .

ومن عجيب أمرهم أن رؤساءهم وأهل العقل منهم إذا افتضحوا يأخذون (٥)
في الصلاة عليه والوصف له بالحكمة ووفور العقل وملك النفس وطول
الصبر حتى لم يفتضح ، وأنا من أولنا إلى آخرنا مع التستر به نفتضح في كل طرفة
عين .

فانظر إلى اختلاطهم وحيرتهم وفضيحتهم في كل ما يأتون به ويتعرضون
له ، وكيف ينقضون على أنفسهم ويكذبون أقوالهم بألستهم .

ثم يقال لهم : هذا رجل قد أسخط الامم وعادها وغازبها وأغضبها ،
وادعى رئاسة ليس فوقها رئاسة لمخلوق ، وفرض طاعته ، وألزم الناس
إقامة شرائعه وإنفاق أموالهم في إحياء دينه وسفك دماءهم في مجاهدة عدوه ،

(*) ١ و ٢ و ٣ و ٤ بياض في الأصل حوالي نصف سطر

(٥) في الأصل « يأخذوا »

و كلف تلك التكاليف الشاقة الصعبة الذي قد تقدم شرحها ، وقال ان من أنكرها
أو تسخطها كفر بالله وحل دمه ، وكان له في الآخرة العذاب الدائم .

وأتباعه إنما أطاعوه لأنه عندهم نبي صادق ، وتقربوا إلى الله بما أصابهم في
اتباعه على ما قد تقدم من شرحه ، وهو بزعمكم يكذب ويناقض في الآيات
والأحاديث (١)

(٢) ليزني بنسأهم

(٣) عن تدييره ولا ينفر

لا يستوحش

٣١٠/ب / منه خاصته وبطانته ، وقد اختلف على الرؤساء وعلى من لم يدع ما
ادعاه في أقل القليل كما شرحنا وقدمنا من المحققين والمبطلين ، وسلم هو هذه
السلامة التامة ، وكان له أصحابه في حياته وبعد موته ، إن هذا هو أكبر
معجزاته وأعظم آياته وقد انتقضت له العادات في هذا أيضاً كما انتقضت في
غيره ، فهذه شهادة منكم له يتأكد بها حجته عليكم .

وينبغي أن تعلموا أن الآيات التي يسأل عنها هؤلاء وأمثالهم من أعدائه
ﷺ ، والأحاديث التي صحت عنه ما أراد بها ما يظنونه ولا ما يذهبون إليه ،
إذ لو كان كذلك لكان أولئك الأعداء الذين كانوا معه وفي بلده وفي زمانه
من قريش والعرب واليهود والنصارى ، وأحوالهم في الفطنة والعداوة والدهاء
والكيد ما قدمنا وشرحنا ، ينطقون بذلك ويحتجون به ويجادلونه ويجادلون
أصحابه ، وكان هذا أسهل عليهم مما تكلفوه من إبطال أمره واطفاء نوره

(*) ١ و ٢ و ٣ بياض في الأصل حوالى نصف سطر

وتفريق الناس عنه بمفارقة أوطانهم وإنفاق أموالهم وسفك دماهم ، وبهذا الاحتجاج كان أبو الهذيل والشحام يسكتون الخصوم .

وابن الراوندي والحداد والوراق (١) رسول الله ﷺ

ليس ممن يطعن عليه (٢)

ذلك عليه وتحت (٣)

على الشدائد من (٤)

من البلاغة فيجد (٥)

/ واسع الحلم ، عنده من الصبر ما ليس عند غيره ، فهذا ضبط نفسه من ٣١١ / أ
أول أمره وقبل ادعاء النبوة ، فما عرفوه إلا بالنزاهة والطهارة والثقة والأمانة ،
فكان يعرف عندهم بمحمد الأمين ، فبفضل العقل تم له ما تم ، واستترت
عيوبه وحيله ، وإن لم تقطع عليه فنحن نجوزه ، فأخرجوا معشر المعتزلة هذا
التجويز من قلوبنا وإن كان ضعيفاً . ذكر هذا المعنى ابن الراوندي في الفريد في
غير موضع منه . فيقال لهم : إن هذا الذي ذكرتموه فإنما المعنى فيه شهادتكم
له بالمعجزات والآيات التي لم تجدوا فيها مطعناً فعبرتم عنها بفضل العقل والحزم
والصبر والحلم وقد سلمتم سلامتكم من كل فضيحة .

وقولكم إنه منذ أول أمره قد كان أحسّ بفضل عقله وصبره وحزمه
وفصاحته فأمسك عن ذلك ولم يظهره إلى وقت ادّعى فيه النبوة ، كمن ادّعى
عليه وله أنه ولد كامل العقل وافر الحلم ، وأنه أحسّ بذلك من نفسه فلم

(*) ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ نقص في الأصل حوالي نصف سطر .

يظهره إرصاداً للنبوّة ، وأظهر التصابي (١)

وقد كان صلى الله عليه وسلم (٢) ...

(٣) يقصد إلى

(٤) حالهم

(٥) يحيط بهم

(٦) واحداً

(٧) له على أن

٣١١ / ب / الله اختارني وحدي على العالمين إلى يوم القيامة، أن أحداً لا يأتي بمثل ما معي ولا بمثل سورة منه إلا وهو على يقين أن أحداً لا يأتي بذلك ، هذه قضية العقل ، فتعلم أنه قد كان على يقين أنهم لا يأتون بذلك ولا بما يقاربه ، وقد تقدم نظير ذلك ، وإنما يقال فيمن أراد السلامة من الناس فطلب رضاهم ، وانحط في هواهم ، وتجنب ذمهم وسخطهم ، وتودد إليهم بما يهونونه أنه عاقل ، وقد سلم من ذمهم بعقله ، كما قيل استحق اسم العقل من رضي عنه الجميع المختلفون .

وهذا صلى الله عليه وآله أتى بما يسخط الأمم كلها فأكفرها وشرع جهادها ، وفرض قتالها وقتلها ، واستباحة حريمها وسبي ذريتها ، وإهانة ملوكها وجبايرتها ، حتى كذبوه وشتموه وضربوه وحصلوه وأجاعوه وطلبوا نفسه وقتلوا أتباعه وبذلوا الوسع كله في مكارهه ، إلى غير ذلك ، فكيف يقال في هذا صلى الله عليه وآله أنه

(*) ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ نقص في الأصل حوالي ثلاثة أرباع السطر .

ناله من (١)

/ فاذا حصل فعلوا فيه فعل طلاب الدنيا كما فعل غيرهم ممن قدمنا ذكره ٣١٢ / أ
فما منهم أحد في ابتداء أمره وفي أول طلبه إلا وقد تودد إلى العامة بأنه يريد
الدين والدار الآخرة ، فإذا قدر وملك واستولى أثر في نفسه وأهله وولده
وتنعم وتمرغ في الدنيا ، فكيف انتقضت العادة بهؤلاء ولو ادعى مدع في
زهد رسول الله ﷺ ومنعه نفسه وأهله وولده وكذا في علي بن أبي طالب رضي
الله عنه مثل ما ادّعى في هؤلاء كان يكون الجواب فيه إلا الجواب في هؤلاء .
وأخرى أنكم معشر الامامية تدّعون أن رسول الله ﷺ نصّ نصوصاً
تلزم الخاصة والعامة والرجال والنساء والاحرار والعبيد والمرضى والأصحاء
والمقيمين والمسافرين ، وأنه عليه السلام بينّ لهم هذا الفرض وبلغهم إياه
بحسب وجوبه وشموله وعمومه ، فأعلمهم إياه ، وجعلهم على يقين من وجوبه .
وأن هؤلاء اغتصبوه ﷺ مصلاه ومقامه في حياته وفي بيته ونصب عينيه
وبحضرتة وبحضرة أهل بيته وخاصته (٢)

/ حياتهم وبعد موتهم ، كما قد بينا من إنفاذ وصية أبي بكر وعمر ، فامثلوا ٣١٢ / ب
ذلك كله حتى أن من يدعون النص والإمامة دخل في ذلك وأظهر السمع والطاعة
لهم في حياتهم وبعد موتهم خوفاً من أتباعهم وشيعتهم وأنصارهم ، فمن بقي
يتقونه أو يخافونه أو يجدعونهم ، وكل شيء قد ادعوه ودعوا إليه قد أجبوا إليه ،
وقد أطيعوا فيه بغير حجة بزعمكم ، مع علم الناس أن ذلك خلاف رسول
الله ﷺ وخلاف دينه ، إذ هو من الفروض العامة ، وهم يأخذون الناس بحج

(*) ١ و ٢ نقص في الأصل حوالي نصف سطر .

رسول الله ﷺ وموالاته وموالاته من والاه ومعاداة من عاداه ، وهم بزعمكم يبغضونه ويعادونه ويبغضون من أحبه ووالاه، ومن كان يوالي ويحب، فهل سُمع بأعجب من أمر هؤلاء القوم فيما يدعون، فبخلاف العقل والنقل والأثر كدعوى الملحدة على رسول الله ﷺ.

ومما يصول به هؤلاء الدعاة وأتباعهم من المتصلة بالشام ومصر، أن يقولوا للمسلمين : اسمعوا منا ما نقوله في إلهكم الذي تعبدونه ثم . . . (١)

يطول شرحه (٢)

وفعل فإن الحا (٣)

إن ما لكم اله (٤)

ففيه تبارك (٥)

السموات والا (٦)

٣١٣ / أ / حلماً عنهم ورحمة وإيها لاهم ليتوبوا، وأنهم إنما ينقلبون في قبضته وبقدرته التي أعطاهم لطاعته، أولم ينظروا إلى الجبارة والفراغة كيف اصطلمهم؟ « هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً » .

ومما يغيظهم في شأن رسول الله ﷺ أن يقولوا : انظروا إليه كيف لم يبشر بأحد بعده، ولا علق القلوب بمن يأتي بعده كما فعل من كان قبله من ابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، وأمثالهم ، فطم الناس كلهم وقال : لانيّ بعدي ، فصار من يدعي هذا قد أكفرته أمته وبادروا إلى قتله ، فهذا الحسد والشره .

(*) ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ بياض في الأصل حوالي ثلاثة أرباع السطر .

فيقال لهم : ابراهيم وموسى وعيسى وأمثالهم كذابون عندكم أصحاب
حيل وطلاب رئاسة ، وما هاهنا عندكم رب ولا نبي ولا باعث ولا مبعوث ،
ومن قال إني رسول الله فقد كذب عندكم ، ومن قال يأتي من بعدي رسول
الله فقد كذب عندكم ، فكأنكم عتبتم عليه إذ لم يكذب ولم يزد في الكذب ،
هذا على (١)

(٢) شراً ..

(٣) الين من بعده

(٤) كما قال

(٥) سود

(٦) به فافتضح

(٧) ابن خويلد

(٨) وكاهناً

/ فأرسل إليه أبو بكر الصديق بمن يجاهده ، وأحاطوا به ، فقال قومه : أين ما ٣١٣ / ب
كنت تعدنا من النصر والظهور ، فأردف
من استطاع أن يكون هكذا فليفعل وولى هارباً
أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأخذوه أسيراً وأتوا به أبا بكر الصديق
رضي الله عنه .

(*) ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ نقص في الأصل حوالي ثلاثة أرباع السطر .

هذا آخر ما وجدته في النسخة التي نقلت منها

. . . . إن شاء الله أن عليه بل

كتابة بغير تحيز، ومن

أراد تحصيله العبد الفقير إلى الله علي بن محمد بن علي

بن عبد الرحمن البكري في ربيع الأول سنة

وستمائة ، (١) وهو يتوسل إلى الله عز وجل

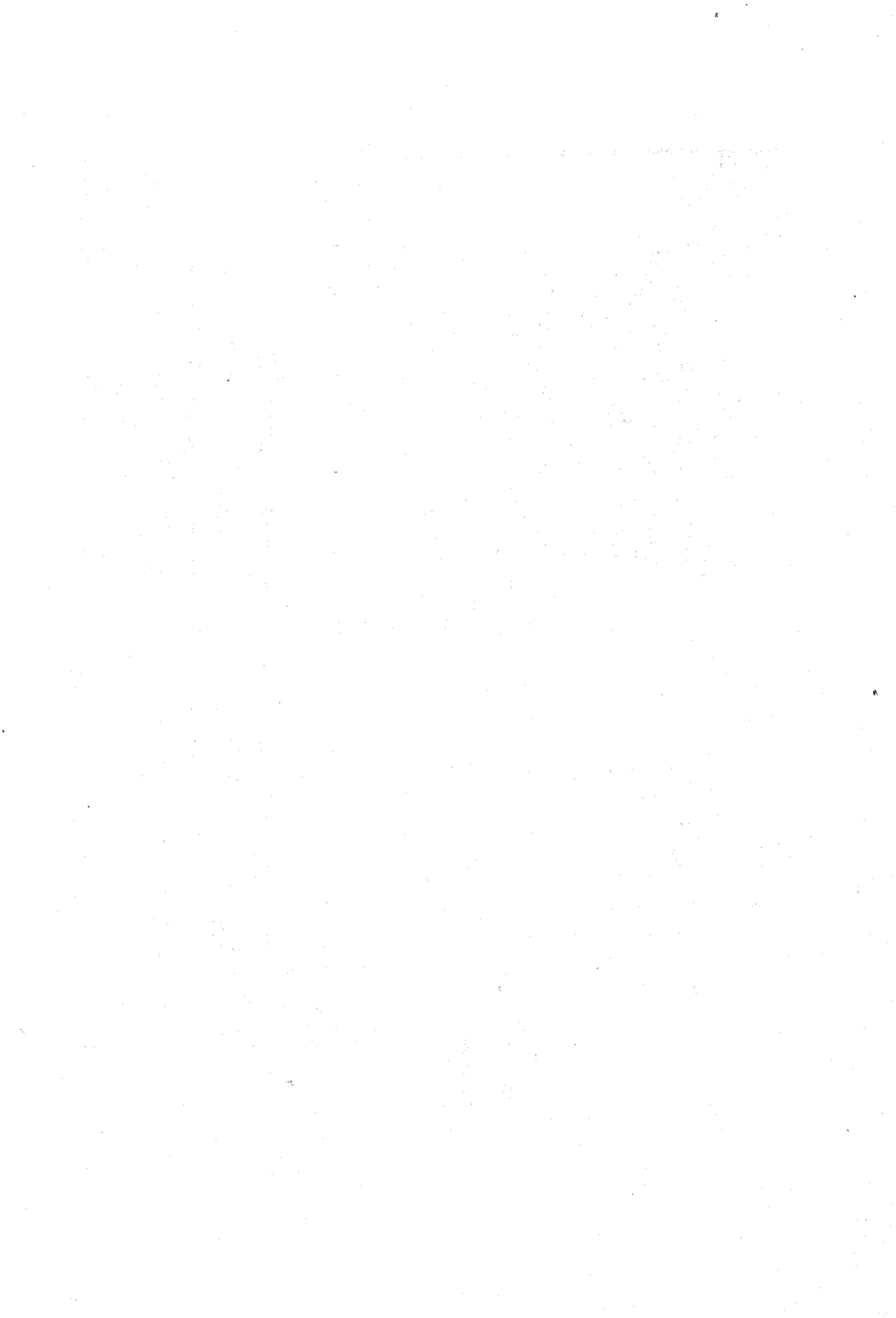
بجاه محمد صلى الله عليه وسلم أن يجعله من

المتقين حتى يتوفاه على ذلك ويبعث عليه إن شاء

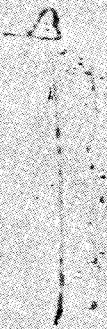
الله تعالى . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تم بحمد الله

(١) المتوفي سنة ٥٦٨٤هـ. شوزت الذهب ٥: ٣٨٨



۱۳۰۰



بناچار
موردی

۱۰۶۰

Handwritten notes or signatures in Persian script, possibly including a name and a date.

Handwritten notes or signatures in Persian script, possibly including a name and a date.

فهرس موضوعات الجزء الثاني

الموضوع	الصفحة
ما توعد الرسول قريشاً به من الظهور عليهم وتحقق ذلك .	٣١٣ -
ما أشار اليه الرسول وهو في حال ضعفه من أن دينه سيغلب على الأديان كلها ويقهر الملوك جميعاً .	٣١٤ -
حول الآية الكريمة « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين »	٣٤٤ -
حول الآية الكريمة « فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون »	٣٤٥ -
حول الآية الكريمة « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » وكيف ورثها أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم	٣٤٦ -
حول الآية الكريمة « وأنذر عشيرتك الأقربين » .	٣٥٦ -
حول الآية الكريمة « وقل ربّ أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق »	٣٥٩ -
ما في الآية الكريمة « إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد » من وعد تحقق .	٣٧١ -
ما في الآية « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ... » من تحد دائم لم يستطع أحد الوقوف أمامه .	٣٧٢ -
علم الرسول صلى الله عليه وسلم حين تحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن أنهم لن يستطيعوا .	٤٠٠ -
محاولة اليهود والنصارى في المدينة القضاء على الإسلام وفشلهم .	٤٠١ -
بدر وما فيها من آيات	٤٠٣ -

- ٤١١ - حول موقف اليهود والنصارى وعبد الله بن أبي سلول
- ٤١٥ - محاولة اليهود قتل الرسول بالصخرة واخباره تعالى بذلك .
- ٤١٥ - توعد اليهود والنصارى في وقت كثر فيه مماثلوهم .
- ٤١٧ - اخباره تعالى عن المرتدين وأنه سيأتي بقوم يحبهم ويحبونه يجاهدون في سبيله .
- ٤٢٠ - حول غزوة أحد
- ٤٢٦ - دعوة الرسول لنصارى نجران للمباهلة وخضوعهم له .
- ٤٣٤ - حول الآية « الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فيسيفقونها ثم تكون حسرة ثم يغلبون »
- ٤٣٤ - اخباره عن اليهود .
- ٤٣٥ - ما أرجف به المشركون بعد هزيمة المسلمين في أحد
- ٤٣٦ - حول الآية « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه »
- ٤٣٧ - قوله صلى الله عليه وسلم لعثمان بن أبي طلحة العبدري بأن مفاتيح مكة ستكون له وحصول ذلك .
- ٤٤٦ - اخبار الرسول أصحابه أن الله سيمكن لهم في الأرض ويستخلفهم .
- ٤٤٨ - قوله صلى الله عليه وسلم في أوامر ضعفه أنه سيعظم أمره ويعلو شأنه .
- ٤٨٤ - حول الآية الكريمة « سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب » وكيف كان كما أخبر تعالى .
- ٤٨٩ - في اخراج يهود بني النضير من المدينة وما فيه من آيات .
- ٥٠٩ - كيف أن معجزات الرسول يغني بعضها عن بعض وليس كذلك الأمور التي يسلم فرضها ويشمل وجوبها .
- ٥١١ - كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملك الروم وملك فارس ، وما فيها من دلالات
- ٥١٨ - بين جرير بن عبد الله البجلي واليهودي
- ٥٢٧ - سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام في السابقين والبدريين

- ٥٢٨ - الرد على دعوى العصمة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه
- ٥٣٧ - الرد على علي أن الأئمة كانوا يعلمون المكاره التي كانت ستنزل بهم
- ٥٣٩ - الرد على أن النجوم تدل على ما كان ويكون، أو أن الأئمة يعلمون الغيب
- ٥٤٤ - الرد على ما تدعيه الشيع من المعجزات لعلي رضي الله عنه وأئمتهم من بعده وبيان أن علياً كان منكرًا لمثل هذه الأقوال إنكاراً شديداً .
- ٥٥٣ - حول قولهم بأن الله حرّم ذرية فاطمة رضي الله عنها عن النار .
- ٥٥٤ - حول الادعاء بأن لأهل بيت الرسول خمس أموال المسلمين
- ٥٥٨ - الرد على الروايات التي زوروا من أن الفروض لا تجب على أهل بيته عليه الصلاة والسلام وشيعته
- ٥٦٠ - حول تولية الخلفاء الراشدين صحابة رسول الله
- ٥٧٧ - عليّ رضي الله عنه استن بسنن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وعمل بها
- ٥٨٢ - الرد على دعوى القرامطة أن الصحابة أخرجوا علياً لكرهتهم له
- ٥٩٤ - حول أقوال الباطنية ووسائلهم في استدراج المسلمين الى التخلي عن حقائق الايمان والفرائض .
- ٥٩٧ - كيف ظهرت الباطنية وقامت دولتهم في المغرب ثم في غيرها .
- ٦١٤ - حول بعض الشكوك التي يطلقها الباطنية عن أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام
- ٦١٥ - كحديث « بيت لا تمر فيه جياع أهله » وغيره ، وتعليق واسع حول التداوي والأدوية واستعمالها .
- ٦٥٠ - ما شكك به الباطنية من زواج الرسول بابنة مولاه زيد بن حارثة
- ٦٥٥ - دعوهم أن رسول الله عليه الصلاة والسلام كان يتستر على نفسه ببعض أفعاله .

فهرس الأعلام

٣٤٦ ، ٤١٩ ، ٤٩٨ ، ٥٢٤ ،

٥٢٥

ابن أبي الديقس ٢ : ٥٩٥
أبو أحمد الحسن بن سعيد العسكري

٦٤٤ : ٢

أحمد بن حمدان الرازي الكلابي

٣٩٢ : ٢

أحمد بن المدرار ٢ : ٥٩٨

أحمد بن حنبل ١ : ٢١٠

أبو أحمد النهرجوري ٢ : ٦١١

أحمد بن يحيى المنجم ٢ : ٣٤٣ ،

٣٥٢

الأحنف بن قيس ٢ : ٥٣٠

ابن الأخشيد ١ : ١٤٨ ، ١٩٨

الأخنس بن شريق ١ : ٥٣

آدم ١ : ٨٦ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ،

١٠٨ ، ١٩٠ ، ٣٨٦ ،

٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٥٠٨ ، ٥١٨ ،

٥٣٦ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣

أردشير بن بابل ١ : ١٦٣

أرسطوطاليس ١ : ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ،

حرف الألف

أبان بن عبد الحميد اللاهقي ١ : ٧٢

ابراهيم (الإمام) ١ : ١٦

ابراهيم بن بكس ٢ : ٦١٨

ابشاوش ١ : ١٧٩ ، ٢٨٠

ابراهيم الصائغ ٢ : ٣٧٨ ، ٣٧٩

ابراهيم عليه السلام ١ : ٣٤ ، ٨٧ ،

٩١ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ،

١٠٤ ، ١٠٨ ، ١١٤ ، ١١٥ ،

١١٦ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٠ ،

١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٧٠ ، ١٩٠ ،

١٩٧ ، ٢١٨ ، ٢ : ٣٨٦ ،

٤٠١ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٣٦ ،

٥٤٧ ، ٦٦٠ ، ٦٦١

ابراهيم بن محمد عليه السلام ١ : ٣٨

ابراهيم النظام ١ : ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ،

٥٨ ، ٧٠ ، ١٤٨

ابراهيم بن ورقاء الشيباني (أبو اسحاق)

٢ : ٣٨٣

ابليس ١ : ٨٧ ، ٢ : ٣٣١ ، ٣٣٢

أبي بن خلف ١ : ٣٠ ، ٦٠ ، ٢ :

أبو الأسود ٢ : ٦٠٣
 أبي الأسود الدؤلي ٢ : ٣٩١ ،
 ٥٣٠ ، ٥٧٢
 الأسود بن عبد الأشد ٢ : ٤٩٨
 الأسود بن عبد يغوث ٢ : ٣٤٤ ، ٤٩٨
 الأسود بن مطلب الأسدي ٢ : ٣٤٤
 أسيد بن صفوان ٢ : ٣٧٠
 الأشتر ١ : ٢٧٥ ، ٢ : ٤٩٥
 ابن الأشعث (عبد الرحمن) ٢ :
 ٥٧٤ ، ٥٩٣
 أشعيا النبي ١ : ١٩٥
 ابن الأصد الهنلي ٢ : ٤٩٨
 الأصفر ١ : ١٠٧ ، ٢ : ٣٩٥ ،
 ٣٩٦ ، ٣٩٧
 الأصفر العقيلي ٢ : ٦٠٩
 الأصفهاني ١ : ١٧٨
 اعزال بن شماويل ٢ : ٤٩٥
 أفلاطون ١ : ٧٥ ، ٢ : ٥٩٦ ،
 ٦٠٣ ، ٦٣٥
 الأقرع بن حابس ٢ : ٥٢٦
 اللات ٢ : ٤٨٧
 إليا ١ : ١٤٢ ، ١٦٥
 اليسع بن المدرار ٢ : ٥٩٨
 أبو أمامة الباهلي ٢ : ٣٢٥
 امرئ القيس ١ : ٧٠
 أمية بن خلف ١ : ٣٠ ، ٤٠ ، ٢ :
 ٣٤٦ ، ٣٦٦ ، ٤١٩ ، ٤٨٨ ،
 ٤٩٨ ، ٤٩٩

١٧٧ ، ١٩٣ ، ٢٠٩
 ٢ : ٤٢٨ ، ٦٠٣ ، ٦٢٨
 أرميا (النبي) ١ : ١٠٠
 آريوس ١ : ٩٨
 أزربان بن أميد الموبذ ١ : ١٧٩
 أسامة بن حبيب ٢ : ٤٩٥
 أسامة بن زيد ١ : ٢١٤ ، ٢٢٧ ،
 ٢٥٧ ، ٢ : ٤٩٠ ، ٦٥١ ،
 ٦٥٢ ، ٦٥٣
 الأسباط ١ : ٨٧ ، ١٠٨ ، ١٩٠ ،
 ٤٠١ : ٢
 اسحق عليه السلام ١ : ٣٤ ، ٨٧ ،
 ٩١ ، ١٠٨ ، ١٩٠ ، ٢ : ٤٠١
 اسحق بن حزين ١ : ١٩٢ ، ٢ : ٦٢٣
 اسحق بن فليت اليهودي ١ : ٧٢ ،
 ٧٣ ، ٧٤
 اسرائيل ١ : ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٤ ،
 ١٢٠
 أسفار بن شيرويه ٢ : ٥١٨ ، ٥٩٩
 أسفنديار ١ : ٥٣ ، ٢ : ٣٦٣
 اسكندر ١ : ١٧٧
 أسماء بنت عميس ١ : ٢١ ، ٢٤٦
 اسماعيل عليه السلام ١ : ١٠٨ ،
 ٢١٧ ، ٢ : ٣٥٢ ، ٤٠١
 اسماعيل بن جعفر ٢ : ٣٨٦
 ولد (اسماعيل بن جعفر بن محمد)
 ٦٠١ : ٢
 اسماعيل بن بن سعيد ٢ : ٣٩١ ، ٣٩٢

- أبو أميمة (سعيد بن العاص) ٢ :
 ٣٥١ ، ٣٥٠
 أمية بن الصلت الثقفي ٢ : ٥١٥ ،
 ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١
 أنس بن مالك ١ : ٥٨ ، ٢٥٨
 أوس بن المغيرة ٢ : ٤٩٩
 أولد فريانوس ١ : ١٦٣
 أونامس ١ : ١٦٣
 أيحج ١ : ٨٧
 إيرلس ١ : ١٦٣
 ايل عازار ١ : ١١٣
 أبي أيوب الأنصاري ٢ : ٥٢٩

حرف الباء

- بابك الحرمي ٢ : ٣٤٠ ، ٣٩٥
 بادوس ١ : ١٤٦
 باذان ٢ : ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٥
 بجكم الديلمي ٢ : ٣٩٣
 بجران ١ : ١٥٩
 بخت نصر ٢ : ٣٥٣
 أبو البخري بن هشام ٢ : ٤٩٩
 بختيار بن معز الدولة (أبو منصور)
 ٦٠٧ : ٢
 البراء بن عازب ١ : ٢٥٨
 البراء بن مالك ٢ : ٥٨٤
 بسر بن أرطأة ١ : ١٧ ، ١٨
 بشتاسف بن بهراسف ١ : ١٧٩
 بشر بن البر الأنصاري ٢ : ٤٦١
- أبو بشر بن يونس ١ : ١٩٢
 بشير بن سعد الأنصاري ١ : ٢٦٥ ،
 ٢٦٦ ، ٢ : ٤٩٠
 بطرس ١ : ١٠٠
 بطليموس ١ : ١٧٦ ، ٢ : ٦٠٣
 ابن أبي البغل (أبو محمد) ١ : ٤٢
 بقم ٢ : ٥٥٥
 بقرات ٢ : ٦١٧
 أبي بكر أحمد بن علي الرازي ٢ :
 ٦٢٧
 أبي بكر حماد الموصل ٢ : ٣٩٢
 أبي بكر زكريا يحيى بن نبهان ٢ :
 ٣٧٩
 أبو بكر الزهيري الكاتب ٢ : ٣٥٢
 أبو بكر الصديق (ابن أبي قحافة)
 ١ : ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ،
 ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٩ ،
 ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ،
 ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٢ ،
 ١٣١ ، ١٣٤ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ،
 ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ،
 ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ،
 ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ،
 ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ،
 ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ،
 ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ،
 ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ،
 ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥

٦٢١ ، ٦١٩
بلال : ١ : ٣٣ ، ٢٥٧ ، ٢ : ٣١٨ ،
٥٣٣ ، ٤٨١ ، ٤٧٩ ، ٤٦٠
بولص : ١ : ١٢٠ ، ١٤٣ ، ١٥٠ ،
١٥٨ ، ١٥٧ ، ١٥٦ ، ١٥١
١٧٠ ، ١٦٩ ، ١٦٠ ، ١٥٩

٢٣٨ ، ١٨٢

بياتوقس البطريق : ٢ : ٤٤٠

بيرن : ١ : ٢١٦

بيلاطس : ١ : ١٥٩

حرف التاء

تاج الأصفهاني : ١ : ٧٧

تمام بن العباس : ٢ : ٥٥٥

أبا تميم الأسلمي : ٢ : ٤٠٨

أبا تميم معد بن اسماعيل (المعز لدين

الله) : ٢ : ٦٠٣ ، ٦٠٥ ، ٦٠٧ ،

٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١١ ، ٦١٢ ،

٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩

حرف التاء

ثابت بن قيس : ١ : ٤٦ ، ٢ : ٥٨٧

ثمود : ٢ : ٤٨٥ ، ٥٨٦

الثوري : ٢ : ٥٩٥

حرف الجيم

جابر بن حيان : ١ : ٢٣٢

جابر المتوفي : ٢ : ٣٩٩ ، ٥٩٤

٢٧٠ ، ٢٦٩ ، ٢٦٨ ، ٢٦٦

٢٧٤ ، ٢٧٣ ، ٢٧٢ ، ٢٧١

٣١٨ : ٢ ، ٢٧٧ ، ٢٧٥

٢٣٨ ، ٣٢٧ ، ٣٢٠ ، ٣١٩

٣٥٣ ، ٣٥٢ ، ٣٥٠ ، ٣٤٨

٣٦٥ ، ٣٦٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٤

٣٧١ ، ٣٧٠ ، ٣٦٩ ، ٣٦٦

٤١٧ ، ٤١٤ ، ٤٠٩ ، ٣٧٢

٤٢١ ، ٤٢٠ ، ٤١٩ ، ٤١٨

٤٤٥ ، ٤٣٦ ، ٤٢٤ ، ٤٢٢

٤٦٣ ، ٤٦١ ، ٤٦٠ ، ٤٤٨ ، ٤٤٧

٤٨٨ ، ٤٧٩ ، ٤٧٨ ، ٤٦٨

٥٢٦ ، ٥٢٣ ، ٥٠٢ ، ٥٠١

٥٣٣ ، ٥٣٢ ، ٥٣٠ ، ٥٢٩

٥٤٧ ، ٥٤٦ ، ٥٤٤ ، ٥٣٦

٥٥٨ ، ٥٥٦ ، ٥٤٩ ، ٥٤٨

٥٦٢ ، ٥٦١ ، ٥٦٠ ، ٥٥٩

٥٦٦ ، ٥٦٥ ، ٥٦٤ ، ٥٦٣

٥٧٠ ، ٥٦٩ ، ٥٦٨ ، ٥٦٧

٥٧٨ ، ٥٧٧ ، ٥٧٦ ، ٥٧٥

٥٨٣ ، ٥٨١ ، ٥٨٠ ، ٥٧٩

٦١٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٦ ، ٥٨٤

٦٥٩ ، ٦٥١ ، ٦٤٩ ، ٦٤٤

٦٦١

أبو بكر محمد بن محمد النيسابوري

٢ : ٦٠٩

أبو بكر النابلسي : ٢ : ٦٠٨

ابن بكس (أبو الحسن) : ٢ : ٦١٨ ،

(ولد) جعفر ١ : ١٧ ، ٢ : ٥٥٥
أبو جعفر الاسكافي ١ : ١٤٨ ، ١٩٨
أبي جعفر بن بانو السجزي ٢ : ٥٨٢
جعفر بن عبد المطلب ٢ : ٤١٩
جعفر بن فلاح بن مرزوق ٢ : ٦٠٤ ،
٦٠٥
جعفر بن محمد ٢ : ٥٥٢ ، ٥٩٥ ،
٦٠٣ ، ٦١٤
جعفر بن المقتدر ٢ : ٦٠٠
أبو جعفر المنصور ١ : ١٦ ، ١٧ ،
٢ : ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٦٣٦
أبو جعفر بن نصر ٢ : ٦٠٤ ، ٦٠٥
الجلندي بن كركر ١ : ٢٣
جمشاذ الفارسي ٢ : ٣٣٢
أبو جندل (ابن سهيل بن عمرو)
٢ : ٣٥٠
الجهجاه الغفاري ٢ : ٤٦٠
جهر بن عبد الله ٢ : ٥٣٠
أبو جهل ١ : ١٤ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٥٢ ،
٦٢ ، ٢ : ٣٤٦ ، ٣٥١ ،
٤١٠ ، ٤٨٤ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ،
٤٨٨ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٢٣ ،
٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٦٦ ، ٥٨٤ ،
٥٨٩
أبو الجهم بن حذيفة العدوي ٢ : ٥٨٧
جوهر ٢ : ٣٩٧

جالينوس ٢ : ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ،
٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٣٥
جانان ١ : ٧٢ ، ٧٣ ، ١٧٥
جبريل ١ : ٤٧ ، ١٠١ ، ١٠٢ ،
٢ : ٣٤٤ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ،
٣٦٦ ، ٤٠٩ ، ٤١٤ ، ٤٥٥ ،
٥٤٨ ، ٥٦٤
ابن جبلة ٢ : ٣٩٩
أبي جبلة (ابراهيم بن غسان) ٢ :
٥٩٤
جبلة بن الأيهم ٢ : ٤٧٧
جبير بن مطعم ١ : ٥٨ ، ٢ : ٣٦٨ ،
٣٦٩ ، ٥٨٨
الجد بن قيس ٢ : ٤٦٢ ، ٤٧١
جدي بن أخطب ٢ : ٤٩٤
ابن الجراح الطائي ٢ : ٦٠٨
جرجس (مار) ١ : ١٤٣ ، ١٨٢ ،
٢٠٥ ، ٢٠٩
الجرمقاني ١ : ١٩٢
جرير بن عبد الله البجلي ١ : ٢٧٣ ،
٢ : ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ،
٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤
جعلة بن هبيرة المخزومي ٢ : ٥٦٨
جعفر بن أبي طالب ١ : ١٧ ، ٢١ ،
٣٧ ، ١٢٤ ، ١٣٤ ، ٢١٧ ،
٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ ، ٢٧٣ ،
٢ : ٣٥٠ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ،
٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٦٥١

حذيفة بن اليمان ٢ : ٣٢٧ ، ٣٣٣
 ابن حرب ٢ : ٤١٩
 الحرث بن زمعة ٢ : ٣٤٥
 حرقوص بن زهير ٢ : ٣٣٧ ، ٥٧٢
 الحسن (رضي الله عنه) ١ : ١٧ ،
 ٢١٢ ، ٢٣٨ ، ٢٤٩ ، ٢٧٧
 ٢ : ٤٢٦ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ،
 ٥٣١ ، ٥٣٦ ، ٥٤١ ، ٥٥٥ ،
 ٥٥٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٧٤
 الحسن بن أحمد ٢ : ٦٤٧ ، ٦٤٨
 أبو الحسن بن أبي الخطاب ٢ : ٦٢٢
 الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنبلي
 (أبو علي) ٢ : ٦٠٦ ، ٦٠٨ ،
 ٦١٦
 الحسن البصري ٢ : ٥٩٥
 أبو الحسن بن بكس ٢ : ٦٢١ ،
 ٦٢٢
 أبي الحسن الحرزي ٢ : ٦٤٧ ،
 ٦٤٨ ، ٦٤٩
 أبو الحسن بن زهرون الصابي الحراني
 ٢ : ٦١٩
 أبو الحسن بن كعب الأنصاري ٢ :
 ٦٢٧
 أبي الحسن الحلبي ٢ : ٥٩٤
 الحسن بن سئبر ٢ : ٣٨٧ ، ٣٨٨
 الحسن العسكري ٢ : ٣٩٠
 أبي الحسن (علي بن وصيف الجلاء
 الناشئ) ٢ : ٥٥٨

حرف الحاء
 أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي
 الكلابي ٢ : ٣٩٢ ، ٣٩٨ ،
 ٥٩٩
 الحارث بن الطلائع ٢ : ٣٤٤ ،
 ٣٤٥
 الحارث بن عمير الأزدي ٢ : ٤٤٠
 الحارث بن قيس بن عدى (ابن العيطة)
 ٢ : ٤٩٨
 الحارث بن هشام ٢ : ٤٠٨ ، ٤٨١ ،
 ٤٩٨ ، ٥٨٤ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩
 حاطب بن أبي بلتعة ٢ : ٣٦٣ ،
 ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤٥
 حاييم اليهودي ١ : ١٥٦
 الحباب بن المنذر بن الجموح ١ : ٢٦٤
 حبيب بن عمرو ١ : ٢١
 أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان ٢ :
 ٣٥٠
 الحجاج ١ : ١٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ،
 ٢ : ٣٢٨ ، ٥٩٣
 حجر بن عدي ١ : ١٧ ، ٢٤٠
 الحداد (عمر بن زياد) ١ : ٥١ ،
 ١٢٨ ، ١٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢ :
 ٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٤١٢ ، ٥٠٨ ،
 ٥٢٩ ، ٦٥٧
 أبو حذيفة بن عتبة ١ : ٢١ ، ٢ :
 ٣٥٠ ، ٥٦٣ ، ٥٨٥ ، ٥٨٧

أبو الحسن علي بن محمد بن بكر
الاسفداني ٢ : ٥٢١
أبي الحسن الكرخي ٢ : ٥٢١ ، ٦٢٧
أبو الحسن محمد بن أحمد النسفي ٢ :
٥٩٩
الحسن بن محمد المهدي ٢ : ٣٩٩
الحسن بن موسى ١ : ٢٢٥ ، ٢ :
٥٥١
أبو الحسن بن نفيس ٢ : ٦١٩
أبو الحسن بن هرون ٢ : ٦٢٢
الحسن اليهودي ٢ : ٦١٨ ، ٦٢٨
أبو الحسن اليهودي ٢ : ٦٢٨
الحسين (رضي الله عنه) ١ : ١٨ ،
٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٩ ،
٢ : ٤٢٦ ، ٥٢٩ ، ٥٣١ ،
٥٣٣ ، ٥٣٦ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ،
٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ،
٥٧٤ ، ٥٧٦
الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون
القداح ٢ : ٣٧٧ ، ٣٧٨
ابن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن
ميمون القداح ٢ : ٥٩٧
أبي الحسين أحمد بن محمد بن الكميت
٢ : ٥٩٤
الحسين الأهوازي ٢ : ٣٧٧
الحسين بن صقر (أبو عبد الله) ١ :
١٧١
أبي الحسين الطيب ٢ : ٦٢٢

أبو الحسين بن عمار ٢ : ٣٩٢
ولد (أبي الحسين بن عمار) ٢ :
٦٠٢ ، ٦٠٤
أبي الحسين محمد الفضل ١ : ١٣٠ ،
٢ : ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ،
٣٨٩
الحصري ١ : ٥١ ، ١٢٩ ، ٢٣٢ ،
٢ : ٣٧١ ، ٣٧٤
أبو حفص عمر بن زرقان ٢ : ٣٨٥ ،
٣٨٧
الحكم بن الصلت ١ : ١٨
الحكم بن أبي العاص ١ : ٢٣١ ،
٢ : ٤٨٤ ، ٤٩٨ ، ٥٩٢
حكيم بن حزام ٢ : ٤٠٨ ، ٤٨١ ،
٥١٥
ابن حماد ٢ : ٣٩٨
حمام بن فراس ٢ : ٥٥٨
حمدان بن الأشعث (قرمط) ٢ :
٣٧٩
حمزة (رضي الله عنه) ١ : ٣٧ ،
١٢٤ ، ١٣٤ ، ٢٧٣ ، ٢ :
٤١٩ ، ٤٢١ ، ٥٦٠
حنظلة بن أبي سفيان ٢ : ٤٢٢ ،
٤٩٩ ، ٥٨٥
حنون (أبو أبي الطيب المؤمل) ٢ :
٦٢٧ ، ٦٢٨
أبو حنيفة ٢ : ٥٢١ ، ٥٩٥ ، ٦٠٩ ،
٦٣٥

أبو الحسن علي بن محمد بن بكر
الاسفداني ٢ : ٥٢١
أبي الحسن الكرخي ٢ : ٥٢١ ، ٦٢٧
أبو الحسن محمد بن أحمد النسفي ٢ :
٥٩٩
الحسن بن محمد المهدي ٢ : ٣٩٩
الحسن بن موسى ١ : ٢٢٥ ، ٢ :
٥٥١
أبو الحسن بن نفيس ٢ : ٦١٩
أبو الحسن بن هرون ٢ : ٦٢٢
الحسن اليهودي ٢ : ٦١٨ ، ٦٢٨
أبو الحسن اليهودي ٢ : ٦٢٨
الحسين (رضي الله عنه) ١ : ١٨ ،
٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٩ ،
٢ : ٤٢٦ ، ٥٢٩ ، ٥٣١ ،
٥٣٣ ، ٥٣٦ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ،
٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ،
٥٧٤ ، ٥٧٦
الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون
القداح ٢ : ٣٧٧ ، ٣٧٨
ابن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن
ميمون القداح ٢ : ٥٩٧
أبي الحسين أحمد بن محمد بن الكميت
٢ : ٥٩٤
الحسين الأهوازي ٢ : ٣٧٧
الحسين بن صقر (أبو عبد الله) ١ :
١٧١
أبي الحسين الطيب ٢ : ٦٢٢

أبو الخطاب (محمد بن أبي زينب)

٢ : ٥٥٢ ، ٥٤٦

أبو الخطاب بن أبو الحسن بن هرون

٢ : ٦٢٢

ابن خلاد : ١٩٨

ابن خويلد : ٢ : ٦٦١

حرف الدال

داود (عليه السلام) : ١ : ٩٩ ، ١٠٠

١١٤ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٤٨ ،

١٤٩ ، ١٥١ ، ١٩٠ ، ٢٤٩ ،

٢ : ٥٣٦

ابن داود : ٢ : ٣٨٤

أبي داود المازني : ٢ : ٤٠٩

دحية بن خليفة الكلبي : ٢ : ٣٦٣ ،

٤٣٩ ، ٥١١ ، ٥١٢

أبو الدرداء : ٢ : ٥٤٥

أبو دلف : ٢ : ٣٨٧

دوروثيوس : ١ : ١٧٦

حرف الذال

أبو ذاكي تمام بن معارك : ٢ : ٣٩٠ ،

٣٩١ ، ٣٩٤ ، ٥٩٩

أبي ذر : ٢ : ٥٣٣

ذكية الأصفهاني : ١ : ٢٨ ، ١٠٧ ،

٢ : ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ،

٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥

ذهل بن شيبان : ١ : ٢٢

حنين بن اسحق : ١ : ٧٦ ، ١٩٢ ،

٢ : ٦١٧ ، ٦٢٣ ، ٦٣٤

حواء : ٢ : ٤٢٧ ، ٥٥٣

حوشب : ١ : ٢٧٤ ، ٢٧٥

حيزوم : ٢ : ٤٠٨

حيي بن أخطب : ٢ : ٤٤٩ ، ٤٩٤ ،

٤٩٧

حرف الحاء

خارجة بن حصن : ١ : ٢٣

خارجة بن زيد بن أبي زهير : ٢ :

٤٩٠

خاقان ملك الترك : ١ : ٢٤٧ ، ٢ : ٣٣٠

خالد بن سعيد بن أحيحة : ١ : ٢١ ،

٢ : ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢

خالد بن سعيد بن العاص : ١ : ٢٧١ ،

٢ : ٥٨٥

خالد بن معمر السدوسي : ٢ : ٣٧٥ ،

٥٣٣ ، ٥٦٨

خالد بن ملجم : ٢ : ٣٣٧

خالد بن الوليد : ١ : ٣٢ ، ٢٤٠ ،

٢ : ٣٢٧ ، ٤٥٠ ، ٢٥٤ ،

٥٢٦ ، ٥٨١ ، ٥٨٧

خباب بن الأرت : ٢ : ٤٧٩ ، ٤٨١ ،

٢ : ٣٣٨ خديجة بنت خويلد

الخزرجي : ١ : ٢٦٦

خزيمة : ٢ : ٥٩٥

بي خزيمة : ٢ : ٥٩٥

رملة بنت أبي سفيان ٢ : ٣٥٠
روح بن زنباع (أبو زرعة) ٢ : ٥٧٥

حرف الزاي

زاذان ٢ : ٣٢٨
الزبير بن باطا بن وهب ٢ : ٤٩٢ ،
٤٩٦
الزبير بن العوام وآل الزبير ١ : ١٨ ،
٢١ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ،
٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣
٢ : ٣٥٠ ، ٤٠٣ ، ٤٨٦ ،
٥٤٠ ، ٥٤٦ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ،
٥٧٣ ، ٥٧٣
زرادشت ١ : ١٢٥ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ،
١٧٩ ، ١٨٥ ، ١٩٢ ، ٢ :
٣٣٢ ، ٣٣١
ابن زرارة ١ : ٨١
أبا زرعة (روح بن زنباع) ٢ : ٥٧٥
ابن زكريا الرازي ٢ : ٦١٧ ، ٦٢٣ ،
٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٣١ ، ٦٣٢
أبو زكريا محمد بن أحمد بن زكريا
٢ : ٣٩٠
ابن زكريا النوبختي ١ : ٧٣
زمعة بن الأسود بن المطلب ٢ :
٣٤٥ ، ٤٩٩
الزنجاني القاضي ٢ : ٣٥٥ ، ٦١٠ ،
٦١١
زهير بن أبي أمية ٢ : ٤٩٨ ، ٤٩٩

ذبي القرنين ٢ : ٤٩٥
ذبي الكلاع (سميفع بن ناكور) ٢ :

٣٧٥

حرف الراء

الرازي ٢ : ٣٧٤
الراضي (الخليفة) ٢ : ٣٩٣ ، ٣٩٤ ،
أبو رافع ٢ : ٤٠٩ ، ٥٤١
ابن الراوندي ١ : ٥٦ ، ٦٣ ، ٦٤ ،
٩٠ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ٢٢٢ ،
٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٢ ، ٢ :
٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٤ ،
٤٠٧ ، ٤١٣ ، ٤٣١ ، ٤٣٣ ،
٥٠٨ ، ٥٢٩ ، ٥٤٨ ، ٦٤٩ ،
٦٥٧
ابن رائق ٢ : ٣٩٤
ربيعة ١ : ٢٧٢
الربيع بن خيثم ٢ : ٦١٦
ابن رزام ٢ : ٣٨٧ ، ٣٩٣ ، ٦١١ ،
رستم ١ : ٥٣ ، ٢ : ٣٢٠ ، ٣٢١ ،
٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ ،
٣٣٠ ، ٣٦٣
رفاعة بن قيس ٢ : ٤٩٤
رقية بنت الرسول عليه السلام ٢ :
٣٣٨ ، ٣٥٠
رقية بنت العباس ١ : ٢٤٦
رقية بنت عثمان رضي الله عنه ١ : ٢١
ركن الدولة ٢ : ٥٨٢

حرف السين

- سابور ٢ : ٣٢١
 ابن سابور ٢ : ٦٢٢
 ابن أبي الساج (يوسف) ٢ : ٣٨٢ ،
 ٣٨٤ ، ٣٩٦ ، ٥١٨
 سالم مولى أبي حذيفة ٢ : ٥٦٣ ،
 ٥٨٧
 سالم بن عبد الله ١ : ٢٥٨
 السائب بن صيفي ٢ : ٤٩٨ ، ٤٩٩
 ستاسف بن هواسف ٢ : ٣٣١
 سراقه بن مالك ٢ : ٣٦٧
 سعد بن حنيف ٢ : ٤٩٤
 سعد بن الربيع ٢ : ٤٩٠ ، ٤٩١
 سعد بن عبادة الأنصاري ١ : ٢١٣ ،
 ٢١٦ ، ٢٢٦ ، ٢٦٥ ، ٢ :
 ٤٤٩ ، ٤٥٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ،
 ٥٨١ ، ٥٨٦ ، ٦٥٣
 سعد بن مالك ١ : ٢١٤
 سعد بن معاذ ٢ : ٤٣٥ ، ٤٤٩ ،
 ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٥٢٤
 سعد بن أبي وقاص ١ : ٣٣ ، ٦٢ ،
 ٢ : ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ،
 ٣٢٥ ، ٣٣٠ ، ٣٣٧ ، ٤٢١ ،
 ٤٤٧ ، ٥٤٠ ، ٥٧١
 أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنبابي
 ١ : ١٢٩ ، ١٣٠ ، ٢ : ٣٤٢ ،
 ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١

- زهير بن أبي سلمى ١ : ٧٠
 ابن الزيات ١ : ١٧ ، ٢ : ٣٩٧
 زياد ٢ : ٣٧٥
 زياد بن سمية الثقفي ٢ : ٥٣٣
 زيد بن أرقم الأنصاري ٢ : ٤٦٠ ،
 ٤٦١
 زيد بن ثابت ٢ : ٥٣٢ ، ٥٧٩
 زيد بن حارثة ١ : ٢١٧ ، ٢٥٤ ،
 ٢ : ٤٦٠ ، ٤٨٣ ، ٥٥٩ ،
 ٥٦٠ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ،
 ٦٥٣
 زيد بن الخطاب ٢ : ٥٨٧
 زيد بن رفاعه الكاتب ٢ : ٦١١
 زيد بن سهل بن الأسود التجاري
 ٢ : ٣٣٨
 زيد بن الصليت ٢ : ٤٩٤
 زيد بن العباس ١ : ٢٤٦
 زيد بن علي ١ : ١٨ ، ٢٤
 زيد بن اللبيب ٢ : ٤٩١
 زينب بنت جحش ٢ : ٤٨٣ ، ٦٥٠ ،
 ٦٥٢
 زينب بنت الرسول عليه السلام ٢ :
 ٣٣٨
 زينب بنت أبي سعيد الجنبابي ٢ :
 ٣٨٧ ، ٣٨٨
 زينب بنت علي بن أبي طالب ٢ :
 ٥٤٤

* * *

أم سلمة ١ : ٢٤٣ ، ٢ : ٤٧٨ ،
 سليمان عليه السلام ١ : ١١٧ ، ٢٠١ ،
 ٢٤٩ ، ٢ : ٣٢٣ ، ٥٣٧ ،
 ٥٦٩ ، ٥٣٨
 سليمان بن عبد الملك ٢ : ٥٥٦
 سنان الصابي ٢ : ٦٢٢
 سهل بن حنيف ٢ : ٥٣٠
 أبو سهل بن نوبخت ١ : ٢٢٥ ،
 ٥٥١ : ٢
 سهل بن هارون بن رجوة ١ : ٧٢
 سهلة بنت سهيل بن عمرو ١ : ٢١
 سهيل بن سنان ٢ : ٤٦٠
 سهيل بن عمرو ١ : ٢٦٠ ، ٢ :
 ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٥٠ ، ٤٨١ ،
 ٤٩٨ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٢
 ابن السوداء (عبد الله بن سبأ) ٢ :
 ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٨ ، ٥٧٣
 سودان بن حمران ٢ : ٣٣٧
 سودة بنت زمعة ٢ : ٣٣٨
 السوس النجردي ٢ : ٥٥١
 سويد بن الحارث ١ : ٣٤ ، ٢ :
 ٤٩٤
 سويد بن عقلة ٢ : ٥٤٦ ، ٥٤٧
 سيف الدولة علي بن حمدان ٢ : ٣١٥
 سيف بن ذي يزن ١ : ٢٤
 حرف الشين
 أبي شاذان الديصاني ١ : ٢٢٥ ،
 ٣٧١ : ٢

٣٨٥ ، ٣٨٧ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ،
 ٥٢٢ ، ٦٠٧ ، ٦٠٠ ،
 ولد أبي سعيد ٢ : ٣٩٦ ، ٣٩٧ ،
 سعيد بن الحسين بن محمد بن أحمد بن
 عبد الله بن ميمون القداح ٢ :
 ٥٩٧ ، ٦٠٨
 سعيد (أبو طاهر) ٢ : ٣٤٢ ،
 ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٨ ،
 ٥٧٢
 ابن سعيد ٢ : ٣٩١ ، ٣٩٦ ،
 سعيد بن زيد العلوي ١ : ٦٢
 سعيد بن سعد ٢ : ٦٥٣
 سعيد بن العاص ١ : ٤٥ ، ٢٤٢ ،
 ٢٤٣ ، ٢ : ٣٥٠
 أبي سفيان وآل أبي سفيان ١ : ٢٢٦ ،
 ٢٥٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ،
 ٢٧١ ، ٢ : ٣٥١ ، ٤٢١ ،
 ٤٢٢ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٨١ ،
 ٤٨٢ ، ٤٩٨ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ،
 ٥١٥ ، ٥٦٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٣ ،
 ٥٨٥ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ،
 ٥٩٢
 أبا سفيان بن الحرث بن عبد المطلب
 ٢ : ٤٠٨
 سلام بن أبي الحقيق ٢ : ٤٩٤
 سلام بن مشكم ٢ : ٤٩٤
 سلمان الفارسي ٢ : ٣٢٧ ، ٣٣٣ ،
 ٤٥٠ ، ٦٤٤

صفية بنت عبد المطلب ٢ : ٥٥٣
صلاح بن الهيار ٢ : ٤٩٦
صهيب ١ : ٢٤٦ ، ٢٥٢ ، ٢٧٧ ،
٢ : ٣١٨ ، ٥٧١ ، ٥٧٨ ،
٥٨٠

صهيب بن سنان ٢ : ٤٧٩ ، ٤٨١

حرف الضاد

ضباغة بنت الزبير بن عبد المطلب ٢ :
٤٨٣
ضرار بن الخطاب ٢ : ٤٥٠

حرف الطاء

أبي طاعة ٢ : ٣٩١
أبو طالب ١ : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٥ ،
٢٦ ، ٢٨ ، ٣٧ ، ٥٠ ، ٢ :
٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٦ ،
٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٥٢٣
ولد أبي طالب ١ : ٢٥٠ ، ٢ :
٥٥٤ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤
أبو طالب بن عيسى بن موسى ٢ :
٣٩٢

ابن أبي طاهر ١ : ٧٧
أبو طاهر اسماعيل بن القائم ٢ : ٦٠٢
٦٠٣ ، ٦٤٩
أبو طاهر بن أبي سعيد الجنابي ٢ :
٣٤٣ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ،
٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩

شاهنشاه ٢ : ٤٣٨
شاوؤل ١ : ١٥٦ ، ١٥٧
الشحام (أبو يعقوب) ٢ : ٦٥٧
شرحبيل بن حسنة ١ : ٣٣ ، ٢ :
٣٣٧ ، ٣٢٦

شرحبيل بن عمرو الغساني ٢ : ٤٤٠ ،
٤٤١

شريح بن الحارث ٢ : ٥٣٢
شريح بن هاني ١ : ٢٧٥ ، ٢ : ٥٣٠
شريك بن عبد الله ١ : ٦٣ ، ٢ :
٥٤٩

أبو الشلعل ٢ : ٥٩٧
بنت أبي الشلعل ٢ : ٥٩٧
شمعون ١ : ١٤٤ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ،
٢٠٠ ، ٢٠١

شمول ٢ : ٦٠٥
شيبان بن ثعلبة ٢ : ٥٠٢
شيبية بن ربيعة ١ : ٣٠ ، ٢ : ٤١٩ ،
٤٩٨ ، ٤٩٩

شيرهويه ١ : ٢٨ ، ٢ : ٤٣٩

حرف الصاد

صاحب الزنج ٢ : ٣٤١ ، ٣٩٥
صعصعة بن صوخان ١ : ٤٥ ، ٤٦ ،
٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢ :
٥٣٠

صفوان بن المعطل ٢ : ٤٦٦ ، ٤٦٧
صفية بنت حبي ٢ : ٣٣٨

عامر بن شراحيل الشعبي ١ : ٢٥٦
 عامر بن الطفيل ١ : ٢٨ ، ٢ : ٤٧٩
 عائشة رضي الله عنها ١ : ٢٤٣ ،
 ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ،
 ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣
 ٢ : ٣٣٨ ، ٣٩١ ، ٤٦٦ ،
 ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٥٤٠ ، ٥٤٦ ،
 ٥٥٧ ، ٥٦٨ ، ٥٧٢ ، ٥٧٥ ،
 ٥٧٦ ، ٦٠١
 عبادة بن الصامت الأنصاري ٢ :
 ٤٤٤ ، ٤٤٥
 العباس ١ : ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢ ،
 ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ،
 ٢٧٧ ، ٢ : ٤٠٩ ، ٤٤٣ ،
 ٥٣٦ ، ٥٥٣ ، ٥٥٦ ، ٥٦٠ ،
 ٥٦١ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٨٣ ،
 ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ،
 ٦٥٣
 ولد العباس ١ : ٢٥٠ ، ٢٥٦ ، ٢ :
 ٥٥٣ ، ٥٩٤
 أبو العباس (الخليفة العباسي) ١ : ١٦
 عباس بن أبي ربيعة ٢ : ٥٨٨
 العباس بن عمرو الغنوي ٢ : ٣٨٠ ،
 ٣٩٥
 أبي العباس محمد بن أحمد بن زكريا
 ٢ : ٥٩٩
 العباس بن مرداس ٢ : ٤٧٩ ، ٥٢٦
 عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري

٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ،
 ٥٥٤ ، ٦٠٧
 أبي طاهر القرمطي ٢ : ٦٠١
 ططس ١ : ١٥٩
 طفيل الغنوي ١ : ٢٢٩
 أبو طلحة (زيد بن سهل بن الأسود)
 ٢ : ٣٣٨ ، ٥٧١
 طلحة بن عبد الله ١ : ٢٤٧ ، ٢٧٢ ،
 ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٣
 ٢ : ٤٢١ ، ٥٤٠ ، ٥٤٦ ،
 ٥٧٠ ، ٥٧٣ ، ٥٧٢ ،
 ٦٤٤
 طليحة ١ : ٦٣ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،
 ٢١٦ ، ٢٦٧ ، ٢ : ٣٧٢ ،
 ٥٨٨
 طليق بن سفيان بن أمية ٢ : ٥٨٩
 أبو أبي الطيب المؤمل ٢ : ٦٢٧

حرف العين

العاص (أخو أبي جهل) ٢ : ٤٩٨
 العاص بن سعيد ٢ : ٤٩٨
 العاص بن هاشم ٢ : ٤٩٩
 العاص بن هشام ٢ : ٥٨٤
 العاص بن وائل ١ : ١٥ ، ٣٠ ، ٢ :
 ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٤١٩ ، ٤٩٨ ،
 ابن عامر ١ : ٢٤٢
 أبو عامر عبد عمرو بن صيفي الراهب
 ٢ : ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٥٢٥

٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٧٣ ،
 ٥٨٦
 عبد الله بن سعد بن ابي سرح ٢ :
 ٤٦٦ ، ٥٧٣
 عبد الله بن سلام ٢ : ٣٣٧ ، ٣٥٢
 عبد الله بن ابي ساول ٢ : ٤١١ ،
 ٤٢١ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ،
 ٤٦٢ ، ٤٦٥ ، ٤٦٨ ، ٤٧١ ،
 ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣
 ابن عبد الله بن ابي سلول ٢ : ٤٦٢ ،
 عبد الله بن العباس بن عبد المطلب
 ١٧ ، ٥٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٩ ، ٢٥٨ : ١
 ٢٧٠ ، ٢٧٦ ، ٢٨٠ ، ٢ :
 ٤٧٤ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ،
 ٥٣٢ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ،
 ٥٤٤ ، ٥٤٦ ، ٥٥٥ ، ٥٧٩
 عبد الله بن عبد المطلب ٢ : ٤٨٥
 عبد الله بن عمر بن الخطاب ٢ :
 ٥٤٢ ، ٥٤٤ ، ٥٧٦
 ابو عبد الله محمد بن زيد الواسطي الكاتب
 ٢ : ٣٥٢
 ابي عبد الله محمد بن علي بن زيد بن
 رزام ٢ : ٥٥٣
 ابي عبد الله محمد بن النعمان ٢ :
 ٥٩٥
 عبد الله بن مسعود ١ : ٥٨ ، ٨٢ ،
 ٢٥٨ ، ٢٧٨ ، ٢ : ٤٦٤ ، ٥٣٢ ،
 ٥٧٩ ، ٥٨٤ ، ٥٨٩

٢٥٦ : ١
 عبد الله (غلام اسرائل الصيدلاني)
 ٢ : ٦٢٧
 ابي عبد الله البصري ١ : ١٩٨
 عبد الله بن ابي بكر ١ : ٦٠
 عبد الله بن جبير ٢ : ٤٢١
 عبد الله بن جعفر بن ابي طالب ١ :
 ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٨٠ ، ٢ :
 ٥٣١ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨
 عبد بن الجلندي ١ : ٢٣
 عبد الله بن حذافة السهمي ٢ : ٣٦٣ ،
 ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٥ ، ٥١٧
 عبد الله بن حسن بن حسن ٢ : ٥٩٤
 ابو عبد الله الحسن بن علي البصري
 ٢ : ٦٢٧
 ابو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد
 ابن زكريا الكوفي ٢ : ٣٨٩ ،
 ٣٩٠ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩
 عبد الله بن حمدان (أبو الهيجاء)
 ٢ : ٣٨٢
 عبد الله بن ابي ربيعة بن المغيرة
 المخزومي ٢ : ٥٠٥
 عبد الله بن رواحة ١ : ٢١٧ ، ٢٥٤ ،
 ٢ : ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٦٥١
 عبد الله بن الزبير ١ : ١٨ ، ٢٨٢ ،
 ٢ : ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٩٣
 عبد الله بن زمعة ١ : ٢٥٨
 عبد الله بن سبأ ٢ : ٥٤٥ ، ٥٤٦ ،

عبد ياليل بن عمرو ١ : ٢١
 عبد يسوع بن بهرين ١ : ١٤٦
 ابن عبيد الله بن الأخشيد ٢ : ٦٠٤
 ابن عبيد الله ٢ : ٦٠٠
 عبيد الله بن زياد ١ : ٢٤٠ ، ٢ : ٢
 ٥٣٣ ، ٥٤٣ ، ٥٥٥ ، ٥٧٤
 أبو عبيدة ١ : ٣٣ ، ٦٢ ، ٢١٩ ،
 ٢٥٨ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ،
 ٢٧٨ ، ٢ : ٣٢٧ ، ٣٣٥ ،
 ٣٣٧ ، ٤٢١ ، ٤٤٧ ، ٥٦٣
 عبيدة بن الحارث ٢ : ٥٦٠
 عتاب بن أسيد ٢ : ٣١٧ ، ٥٥٩ ،
 ٥٨٨
 عتبة بن خلف ١ : ٤٠
 عتبة بن ربيعة ١ : ٢١ ، ٣٠ ، ٢ : ٢
 ٤١٠ ، ٤١٩ ، ٤٧٩ ، ٤٨٥ ،
 ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٩٠
 عتبة بن غزوان ١ : ٣٣ ، ٢ : ٣٣٧
 عثمان بن حنيف ٢ : ٣٢٨ ، ٥٣٠ ،
 ٥٤٠ ، ٥٧٢
 عثمان بن أبي طلحة العبدري ٢ :
 ٤٢١ ، ٤٣٧
 عثمان بن عفان ١ : ٢١ ، ٢٩ ،
 ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٤٦ ،
 ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٢ ، ١٣٤ ، ١٢٩ ،
 ١٣١ ، ١٣٤ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ،
 ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ،
 ٢٢٦ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٣

أبو عبد الله بن المعلم ٢ : ٦٢٢
 عبد الله بن ميمون بن ديسان بن سعيد
 الغضبان ٢ : ٣٨٦
 عبد الله بن ميمون القداح ٢ : ٥٩٧ ،
 ٦٠٦
 عبد الله بن وهب الراسبي ٢ : ٥٩٢ ،
 ٥٩٣
 عبد الرحمن صاحب ابن الزيات ١ :
 ١٩١ ، ٢١٩ ، ٢٤٦
 عبد الرحمن بن أبي بكر ٢ : ٥٧٥
 عبد الرحمن الحسن ٢ : ٥٩٨
 عبد الرحمن بن سعيد ٢ : ٥٩٧ ،
 ٥٩٨
 عبد الرحمن بن عدس ٢ : ٥٧٣
 عبد الرحمن بن عوف ١ : ٦٢ ،
 ٢ : ٣٣٧ ، ٤٢١ ، ٤٤٧ ،
 ٤٧٣ ، ٥٣٦ ، ٥٤٠ ، ٥٧١
 عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ١ :
 ١٨ ، ٢ : ٥٧٤ ، ٥٩٣
 عبد الرحمن بن ملجم ٢ : ٥٣٣
 عبد القيس ١ : ٢٣
 عبد المطلب ٢ : ٣٦٧ ، ٤٨٥
 ولد عبد المطلب ٢ : ٥٩٣
 عبد الملك ١ : ١٣٤ ، ٢١٢
 عبد الملك بن عمير ٢ : ٣٧٠
 عبد الملك بن مروان ١ : ١٨ ، ٢ :
 ٥١٦ ، ٥٥٦ ، ٥٧٤ ، ٥٩٣
 ابن عبد الوهاب الكاتب ٢ : ٦٣٥

أبو عقيل ٢ : ٤٧٣	٢٤١ ، ٢٤٠ ، ٢٣٩ ، ٢٣٤
ولد عقيل ١ : ١٧	٢٤٧ ، ٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٢
عقيل بن الأسود بن المطلب ٢ : ٣٤٥	٢٥٢ ، ٢٥١ ، ٢٥٠ ، ٢٤٩
عقيل بن جعفر ٢ : ٥٦٨	٢٧٤ ، ٢٧٣ ، ٢٧١ ، ٢٧٠
عقيل بن أبي طالب ١ : ١٧ ، ٢٤٠ ،	٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٨٣ ، ٢ : ٢
٢ : ٥٨٤ ، ٥٥٥	٣٣٧ ، ٣٥٣ ، ٣٥٠ ، ٣٥٤
عكرمة بن أبي جهل ٢ : ٤٥٠ ،	٣٥٥ ، ٣٧٥ ، ٤٠٢ ، ٤١٨
٥٨٨ ، ٤٨١	٤٢٠ ، ٤٢٣ ، ٤٣٣ ، ٤٤٨
أبو العلاء بن الحضرمي ١ : ٢٥٤	٤٦٣ ، ٤٧٣ ، ٤٧٩ ، ٤٨٨
أبي علي بن الياس ٢ : ٥٨٢	٤٨٩ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣٢
أبو علي الحسن بن أحمد بن أبي سعيد	٥٣٣ ، ٥٣٦ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦
الجنابي ٢ : ٦٠٦ ، ٦٠٧ ،	٥٥٦ ، ٥٦٣ ، ٥٦٦ ، ٥٦٨
٦٠٨	٥٦٩ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣
علي بن الحسين ١ : ٢٤٩	٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨
علي بن حمدان ١ : ١٦٨	٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٣
علي بن أبي طالب رضي الله عنه ١ :	٥٨٤ ، ٥٨٦ ، ٥٩٣
١٧ ، ١٨ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٣٢ ، ٣٣ ،	أبي عثمان عمرو بن عبّيد ٢ : ٦٢١
٣٧ ، ٤٥ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٣ ،	عدي بن حاتم ١ : ٢٧٥ ، ٢ : ٥٣٠
٧٢ ، ١٢٤ ، ١٣١ ، ١٣٤ ،	عدي بن الحمراء ٢ : ٤٩٨
٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ،	العزير (نزار بن معد) ١ : ١١٧ ،
٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ،	٢ : ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٦٠٩ ،
٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤٠ ،	٦١٤ ، ٦٥٤
٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ،	عزير بن أبي عزيز ٢ : ٤٩٤
٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ،	عطية ٢ : ٣٨٧
٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ،	ابن أبي العقب ١ : ٧٥
٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ،	عقبة بن معيط ١ : ١٥ ، ٢٨ ، ٣٠ ،
٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٩ ،	٤٠ ، ٦٢ ، ٢ : ٣٤٦ ، ٤١٩ ،
٢٧١ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ،	٤٨٨ ، ٤٩٢ ، ٤٩٨

٢ : ٥٢١ ، ٥٢٩ ، ٥٣٩ ،

٦٢٨ ، ٦٤٠

علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن

البكري ٢ : ٦٦٢

علي بن مسمار ٢ : ٣٧٩

علي بن وصيف الجلاء (أبو الحسن)

٢ : ٥٥٨

عمارة بن جيفر ١ : ٢٣

عمارة بن الوليد بن المغيرة ١ : ٤٩

عمار بن ياسر ١ : ٢١ ، ٣٣ ،

٢٣٩ ، ٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٢

٣١٨ ، ٣٢٧ ، ٤٦٠ ، ٤٧٩ ،

٤٨١ ، ٥٣٣ ، ٥٤٥

عمران بن الحصين ٢ : ٥٣٠ ، ٥٧٢

أبو عمر الباهلي ٢ : ٥١١

عمر بن الخطاب رضي الله عنه ١ : ٢٤ ،

٢٥ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٩ ،

٦٢ ، ٦٣ ، ٧٢ ، ١٢٤ ، ١٣١ ،

١٣٤ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ،

٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ،

٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ،

٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٣٤٠ ، ٢٤١ ،

٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ،

٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ،

٢٥٢ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٥ ،

٢٦٦ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ،

٢٧٨ ، ٢ : ٣١٨ ، ٣٢٠ ،

٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ،

٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢ : ٣٤١ ،

٣٤٨ ، ٣٥٣ ، ٣٦٥ ، ٣٦٩ ،

٣٧٠ ، ٣٧٥ ، ٣٨٦ ، ٤٠٢ ،

٤١٨ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٦ ،

٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٦٣ ، ٥٠١ ،

٥٠٢ ، ٥٠٤ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ،

٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ،

٥٣٦ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٤ ،

٥٤٦ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ،

٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٦ ، ٥٥٩ ،

٥٦٠ ، ٥٦٨ ، ٥٧١ ، ٥٧٣ ،

٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ،

٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ،

٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ،

٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٩ ، ٦٤٣ ،

٦٤٥ ، ٦٥٣ ، ٦٥٩

ولد علي ١ : ١٧ ، ٢٥٦

علي بن عبد الله بن العباس ١ : ١٦

أبو علي عمر بن يحيى العلوي ٢ :

٣٩٤

علي بن عيسى بن داود الجراح ٢ :

٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢

علي بن محمد بن بكر الاسفداني ٢ :

٥٢١

أبو علي محمد بن عبد الله العلوي ٢ :

٥٦٧

أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي

١ : ٦٤ ، ٦٩ ، ٧٨ ، ١٩٨ ،

٣٧٥ : ٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٤
٥٠٨ ، ٥٠٧ ، ٥٠٦ ، ٥٠٥
٥٣٣ ، ٥٢٦ ، ٥٢٥ ، ٥٠٩
٥٩٢ ، ٥٧٩ ، ٥٧٨
عمرو بن عبد ود ٢ : ٤٥٠
عمرو بن الليث ٢ : ٥٩٧
ابن العميد ٢ : ٥٨٢
أبو عمير بن حواش ٢ : ٤٩٦
العنسي الكذاب ٢ : ٤٤٥
العوتي ٢ : ٦١١
العويميل العقيلي ٢ : ٣٨٨
عياش ٢ : ٥٨٨
عيدان القرني ٢ : ٣٧٩
عيسى (عليه السلام) ١ : ١٩ ، ٢١ ،
٢٦ ، ٣٤ ، ٨٧ ، ٩١ ، ٩٢ ،
٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ،
٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ،
١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ،
١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٤ ،
١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٩ ،
١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ،
١٢٦ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ،
١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ،
١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،
١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،
١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،
١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ،
١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ،

٣٥٣ ، ٣٣٦ ، ٣٣٥ ، ٣٣٤
٤٠٢ ، ٣٥٨ ، ٣٥٥ ، ٣٥٤
٤٢٠ ، ٤١٩ ، ٤١٨ ، ٤١٤
٤٣٢ ، ٣٢٤ ، ٤٢٢ ، ٤٢١
٤٦٣ ، ٤٦١ ، ٤٦٠ ، ٤٤٨
٥٢٩ ، ٤٨١ ، ٤٧٩ ، ٤٧٨ ، ٤٧٣
٥٣٦ ، ٥٣٣ ، ٥٣٢ ، ٥٣٠
٥٤٨ ، ٥٤٧ ، ٥٤٦ ، ٥٤٤
٥٥٩ ، ٥٥٨ ، ٥٥٦ ، ٥٤٩
٥٦٩ ، ٥٦٨ ، ٤٦٦ ، ٥٦٤ ، ٥٦٣
٥٧٦ ، ٥٧٥ ، ٥٧١ ، ٥٧٠
٥٨٠ ، ٥٧٩ ، ٥٧٨ ، ٥٧٧
٥٨٦ ، ٥٨٤ ، ٥٨٣ ، ٥٨١
٦٥٣ ، ٦٤٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٣
٦٥٩
عمر بن عبد العزيز ٢ : ٣٧٦ ، ٥٥٦ ،
٥٧٥
عمر بن علي بن الحسين ١ : ٢٤٩
عديرو بن أمية الضمري ٢ : ٥٠٧ ،
٥٢٥ ، ٥٠٩
عمر بن بحر الجاحظ (أبو عثمان)
١ : ٦٣ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٨ ،
١٤٨ ، ١٩٨ ، ٢ : ٥١١ ،
٥٤٨ ، ٦٣٧
عمر بن جحاش ٢ : ٤٨٩
عديرو بن جرmoz ١ : ٢٨٠ ، ٢٨٢ ،
عمر بن سعد ٢ : ٤٩٦ ، ٤٩٧ ،
عمر بن العاص ١ : ٢٣ ، ٤٩ ،

الفاضل ١ : ٩٩
فاطمة بنت الرسول (عليه السلام) :
٢٢٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،
٢٤٦ ، ٢٦١ ، ٢ : ٣٣٨ ،
٤٣٦ ، ٤٨٨ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ،
٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٨ ، ٥٦٧ ،
٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٩٥ ، ٦٥٢
أبو الفتح بن فراس الكاتب ٢ : ٥٥٧
٥٥٨

ابن فرخان ١ : ٧٣
فرعون ١ : ٢٦ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ،
١١٧ ، ٢٠٩ ، ٢ : ٣٤٥ ،
٣٤٦ ، ٥٠٠ ، ٥٦٦ ، ٦٢٤

الفضل ١ : ٧٤
أبو الفضل جعفر بن حرب ٢ : ٥٣٩
الفضل بن العباس ١ : ٢٤٦
أبي الفضل العباس بن عمرو
الغنوي ٢ : ٣٨٠ ، ٣٩٥
ابن فلاح (علي بن جعفر بن فلاح
الكتامي) ٢ : ٣٩٧ ، ٦٠٧
أبي الفوارس الحسن بن محمد الميمدي
٢ : ٥٩٤

فولوص ١ : ٩٨
فيروز الديلمي ٢ : ٤٤٥
فيلاطس الرومي ١ : ٩٤ ، ٩٩ ،
١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ،
١٤٢

١٧١ ، ١٧٣ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ،
١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ،
١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ،
١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ،
٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ،
٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٨ ، ٢٢٣ ،
٢٤٩ ، ٢ : ٣٨٦ ، ٤٠١ ،
٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٤٠ ،
٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ،
٥٣٦ ، ٦١٣ ، ٦٦٠ ، ٦٦١

عيسى بن داود الجراح ٢ : ٣٤٣
عيسى بن موسى ٢ : ٣٨٣ ، ٣٨٩ ،
٣٩٢

أبي عيسى الوراق ١ : ١٢٨ ، ١٢٩ ،
١٩٨ ، ٢٢٥ ، ٢٣٢ ، ٢ :
٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٤٠٧ ، ٤١٢ ،
٤١٣ ، ٤٣٢ ، ٥٠٨ ، ٥٢٩ ،
٥٥١ ، ٦٥٧

ابن العيطلة ١ : ٣٠ ، ٢ ، ٤٩٨
عينة بن حصن ٢ : ٤٧٩ ، ٤٨١ ، ٥٢٦

حرف الغين

غلام زحل ١ : ٧٣
أبو الغيث بن عبيدة العجلي ٢ : ٣٨٣ ،
٣٩٢

حرف الفاء

الفار قليط ٢ : ٤٤٣

حرف القاف

قارون ٢ : ٥٦٦ ، ٦٠٥

أبو القاسم بن الأبيض العلوي ٢ :
٥٩٧

القاسم بن أخشيد الفرغاني ٢ : ٣٩٦

أبي القاسم البخاري ٢ : ٥٩٤

أبو القاسم البلخي ١ : ٦٢ ، ٦٣ ،

٢ : ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٦٢٤ ،

٦٢٥

أبو القاسم الحسن بن حوشب ١ :

١٠٧ ، ١٣٠ ، ٢ : ٣٧٦ ،

٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠

أبي القاسم بن أبي الحسن بن عمار

٢ : ٦٠٢

القاسم بن سيما الفرغاني ٢ : ٦٠٠

أبو القاسم عيسى بن موسى ٢ : ٣٨٣ ،

٣٨٩ ، ٣٩٢

أبا القاسم المصري الاقليدي ٢ : ٦٥٥

القاهر ٢ : ٣٩٣

القائم ٢ : ٥٩٩ ، ٦٠١ ، ٦٠٢

أبو قبيس ١ : ٢١٥

أبو قتادة (قتادة بن النعمان الأنصاري)

٢ : ٣٣٨

ابن قتيبة ٢ : ٣٥٢

أبو قحافة ١ : ٢٧١ ، ٢٧٢

ولد القداح ٢ : ٦٠٧

قرظة بن كعب ١ : ٢٧٩

قزوم بن كعب ٢ : ٤٩٥

قسطا بن لوقا ١ : ٧٥ ، ١٩٢ ، ٢ :

٦٢٣

قسطنطانوس ١ : ٩٣ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،

١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٩٣ ،

١٩٤

الققعاق بن عمرو ٢ : ٥٤٦

ابن قمئة ٢ : ٤٢٢

قويري ١ : ٧٦ ، ١٩٢

قيس بن سعد ١ : ٢٧٥ ، ٢ : ٥٢٩ ،

٥٣٠ ، ٥٣٤ ، ٦٥٣

قيس بن الفاكه ٢ : ٤٩٩

أبو قيس بن الفاكه ٢ : ٤٩٨

أبو قيس بن الوليد ٢ : ٤٩٩

قيصر ١ : ٤٣ ، ١٥٧ ، ٢ : ٣١٤ ،

٣٣٦ ، ٣٦٣ ، ٤٣٩ ، ٤٥١ ،

٤٧٥ ، ٤٨٤ ، ٥١٢ ، ٥٣٩

حرف الكاف

كافور الحصي ٢ : ٣٩٦ ، ٣٩٧ ،

٦٠٤

ابن أبي كبشة ٢ : ٥١٤

كسرى ١ : ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٤٣ ،

٧٣ ، ٨١ ، ١٧٥ ، ٢ : ٣١٤ ،

٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٦٠ ، ٣٦٣ ،

٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٥ ، ٤٥١ ،

٤٨٤ ، ٥٠٤ ، ٥١١ ، ٥١٧ ،

٥٣١ ، ٥٣٩ ، ٦٤٥ ، ٦٤٧

حرف الميم

- مارية القبطية ٢ : ٤٤٤
ابن ماسويه ٢ : ٦٢٥
ما شاء الله بن أبري اليهودي ١ : ٧٤
مالك ٢ : ٥٩٥
مالك بن الأشتر ١ : ٤٦
مالك بن دينار ٢ : ٦٤٦
المأمون ١ : ٧٢ ، ٧٤
ماني ١ : ٨٠ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ،
١٨٤ ، ٢ : ٦٤٠ ، ٦٤١
متى ١ : ١٢٠ ، ١٥٥ ، ١٩٩ ،
٢٠٠
متى بن يونس ١ : ٧٦ ، ٢٠٨
المتقي (الخليفة العباسي) ١ : ٢٨
المتوكل ١ : ٢٨
مثنى بن حارثة ٢ : ٥٠٣
المحسن ١ : ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،
٢ : ٥٩٥
مدينة بن مالك ١ : ٥٨
مرارة بن ربيعة ٢ : ٤٧٦ ، ٤٧٧
مربع بن قبيط ٢ : ٤٩١
مربعة بن الأحنف ٢ : ٦٣٣
مرداويج ٢ : ٥١٨
مرقس ١ : ١٤٣ ، ١٥٥ ، ١٨٢
مروان بن الحكم ١ : ٢٣٩ ، ٢٤٢ ،
٢٤٣ ، ٢٤٩ ، ٢ : ٥٥٦ ،
٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٩٢

- كعب بن أسد ٢ : ٤٤٩ ، ٤٩٥ ،
٤٩٧
كعب بن مالك الأنصاري ١ : ١٦٩ ،
٢ : ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨
أم كلثوم زوج الرسول عليه السلام
٢ : ٢٤٦ ، ٣٣٨ : ١
أم كلثوم بنت فاطمة رضي الله عنها
١ : ٦٥٣
ابن كلس ٢ : ٥٦٤
كليب الجرمي ٢ : ٥٤٦
ابن الكميت ٢ : ٣٩٩
كميل بن زياد النخعي ١ : ٤٦
كنانة ١ : ٧٠

- كنانة بن أبي الحقيق ٢ : ٤٩٤
الكندي (يعقوب) ٢ : ٣٧٤ ،
٥٠٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٢٠ ، ٦٣١

حرف اللام

- ابن لاوي اليهودي ٢ : ٣٥٧ ، ٤٠٧
أبو ليابة بن عبد المنذر ٢ : ٤٥٥
أبو لهب ١ : ١٤ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٣٠ ،
٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٢٣٥ ، ٢ : ٤٩٧ ،
٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤٩٧ ،
٥٢٣ ، ٥٦٦ ، ٥٩٣
لوط عليه السلام ١ : ١١٧ ، ١٩٠ ،
٢١٨
لوقا ١ : ١٥٥ ، ١٩٦

معاذ بن جبل ١ : ٣٣ ، ٢ : ٣٢٦ ،
 ٣٣٧ ، ٤٤٧ ، ٥٧٩
 معاذ بن الحصين النهائي (أبو كامل)
 ١ : ٢١١ ، ٢١٦ ،
 معاوية ١ : ٣٢ ، ١٢٨ ، ١٣٤ ،
 ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٢١ ،
 ٢٣٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ،
 ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ،
 ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٨١ ،
 ٢٨٢ ، ٢ : ٣٧٤ ، ٣٧٥ ،
 ٤١٩ ، ٤٨١ ، ٥٣٠ ، ٥٣٣ ،
 ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ،
 ٥٤٢ ، ٥٥٦ ، ٥٦٠ ، ٥٦٧ ،
 ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٨١ ،
 ٥٩٢ ، ٥٩٣ ،
 معبد بن العباس ٢ : ٥٥٥ ،
 المعتصم ١ : ٢١٠ ، ٢ : ٣٤٠ ،
 ٦٢٩ ، ٦٣٠ ،
 المعتضد ٢ : ٣٨١ ،
 المعتمد ٢ : ٣٤١ ،
 المعز لدين الله ٢ : ٦٠٣ ، ٦٠٤ ،
 ٦٠٦ ،
 معمر ١ : ٧٧ ،
 المغيرة بن شعبة ١ : ٢٤٢ ، ٢ :
 ٥٨١ ، ٦٥٣ ،
 مفروق بن عمرو ٢ : ٥٠٢ ، ٥٠٣ ،
 ابن مقاتل ٢ : ٣٩٤ ،
 المقندر بالله ٢ : ٣٤٢ ، ٣٨٠ ،

مروان بن عبد الملك ١ : ٢١٢ ، ٢٥٠ ،
 المروزي ٢ : ٦٢٨ ،
 مريم عليها السلام ١ : ٢٦ ، ٩٢ ،
 ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،
 ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ،
 ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ،
 ١٦٧ ، ١٩٠ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ،
 ٢٠١ ، ٢ : ٥٠٧ ،
 مريم المجدلية ١ : ١٤٤ ، ١٤٩ ،
 المستكفي ١ : ٢٨ ،
 مسطح بن أثالة ٢ : ٤٦٨ ،
 أبي مسعود البدري ٢ : ٥٣٢ ،
 مسعود بن عمرو ١ : ٢١ ،
 أبي مسلم بن حماد الموصلي ٢ : ٣٩٢ ،
 مسلم بن عقبة ١ : ١٨ ،
 مسلم بن عقيل ١ : ١٨ ، ٢٤٠ ،
 ٢ : ٥٣٣ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ،
 مسلمة بن الحارث ٢ : ٤٩٨ ،
 مسيلمة ١ : ٣٢ ، ٦٣ ، ٢١٣ ،
 ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧٢ ،
 ٢ : ٣٧٢ ، ٤٨٤ ، ٥٨٦ ،
 ٥٨٧ ، ٥٨٨ ،
 مصباح الطائي ١ : ١٧١ ،
 مصعب بن الزبير ١ : ٢٨٢ ،
 مصعب بن عمير ٢ : ٥٠٤ ،
 مصقلة بن هبيرة ٢ : ٣٧٥ ، ٥٣٣ ،
 مضر ١ : ٨٠ ،
 المطيع لله ٢ : ٣٩٦ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ،

محمد (صلى الله عليه وسلم) ١ : ٥ ،
 ٦ ، ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ،
 ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ،
 ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ،
 ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ،
 ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ،
 ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ،
 ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ،
 ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ،
 ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ،
 ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ،
 ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٩ ،
 ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ،
 ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ،
 ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ،
 ٩١ ، ٩٢ ، ٩٩ ، ١٠٩ ، ١١٦ ،
 ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٢ ،
 ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،
 ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ،
 ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،
 ١٣٦ ، ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٥٢ ،
 ١٦٩ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٩ ،
 ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ،
 ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،
 ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ،
 ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ،
 ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،
 ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ،

٣٨١ ، ٣٩٣ ، ٦٠٠ ،
 المقداد ٢ : ٤٠٣ ،
 المقداد بن الأسود ٢ : ٤٨٣ ،
 مقدونيوس ١ : ١٦٣ ،
 ابن المقفع ١ : ٧٢ ،
 المقوقس ٢ : ٤٤٠ ، ٤٣٩ ، ٣٦٣ ،
 ٤٤٥ ،
 المكتفي ٢ : ٣٨١ ،
 ابن أم مكتوم ٢ : ٣٢٦ ، ٤٨٢ ،
 ابن ملجم ١ : ٢٧٦ ، ٢ : ٤٠٢ ،
 ابن أبي المليح القرني ٢ : ٣٧٩ ،
 محمد بن اسماعيل بن جعفر ٢ : ٣٧٧ ،
 ٣٨٦ ، ٣٩٠ ،
 أبو محمد بن أبي البغل ٢ : ٦١١ ،
 محمد بن أبي بكر الصديق ١ : ٢٤٤ ،
 ٢ : ٥٣٤ ، ٥٧٣ ،
 محمد بن جعفر بن أبي طالب ١ : ٢٤٧ ،
 محمد بن حاطب ٢ : ٥٤٦ ،
 أبو محمد الحسن بن عبيد الله بن
 الأخشيد ٢ : ٦٠٥ ،
 محمد بن الحسين بن جهار بنخنان
 (بندار) ٢ : ٣٨٦ ،
 محمد بن الحنفية ٢ : ٥٣١ ،
 محمد بن أبي زينب (أبو الخطاب)
 ٢ : ٥٥٢ ،
 محمد بن سليمان ٢ : ٦٠٤ ،
 محمد بن شبيب ٢ : ٥١١ ،
 أبي محمد الطبري ٢ : ٥٩٤ ،

المنتصر ١ : ٢٨	٥٥٩ ، ٥٥٨ ، ٥٥٧ ، ٥٥٦
ابن منجا القرمطي ٢ : ٣٩٧ ، ٦٠٨	٥٦٤ ، ٥٦٢ ، ٥٦١ ، ٥٦٠
أبو منصور بختيار بن معز الدولة	٥٦٨ ، ٥٦٧ ، ٥٦٦ ، ٥٦٥
٢ : ٦٠٦ ، ٦٠٧	٥٧٢ ، ٥٧١ ، ٥٧٠ ، ٥٦٩
المنصور ١ : ١٣٤ ، ١٨٣ ، ٢١٢	٥٧٨ ، ٥٧٧ ، ٥٧٦ ، ٥٧٥
المهاجر بن أبي أمية ٢ : ٥٨٨	٥٨٢ ، ٥٨١ ، ٥٨٠ ، ٥٧٩
المهدي ١ : ١٠٧ ، ١٣٤ ، ٢١٢	٥٨٦ ، ٥٨٥ ، ٥٨٤ ، ٥٨٣
٢ : ٢٢٥ ، ٣٤٢ ، ٣٧٧	٥٩١ ، ٥٨٩ ، ٥٨٨ ، ٥٨٧
٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١	٥٩٥ ، ٥٩٤ ، ٥٩٣ ، ٥٩٢
٣٨٣ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠	٦٠٢ ، ٦٠٠ ، ٥٩٩ ، ٥٩٦
٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٤٤٢	٦١٣ ، ٦١٠ ، ٦٠٩ ، ٦٠٤
٤٤٣ ، ٥٢٢ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩	٦٣٥ ، ٦٢١ ، ٦١٥ ، ٦١٤
٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣	٦٤٥ ، ٦٤٤ ، ٦٤٣ ، ٦٤٢
٦٠٩ ، ٦١١ ، ٦١٣ ، ٦٤٣	٦٤٩ ، ٦٤٨ ، ٦٤٧ ، ٦٤٦
ابن المهزول ٢ : ٦٢٢	٦٥٣ ، ٦٥٢ ، ٦٥١ ، ٦٥٠
المهلب بن أبي صفرة ٢ : ٦٤٦	٦٥٧ ، ٦٥٦ ، ٦٥٥ ، ٦٥٤
موبدان موبدان ١ : ١٩٢	٦٦٢ ، ٦٦٠ ، ٦٥٩ ، ٦٥٨
أبي موسى الأشعري ١ : ٢٥٤	محمد بن عبد الله العلوي (أبو علي)
٢ : ٥٣٠ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣	٥٦٧ : ٢
موسى بن جعفر ٢ : ٣٩٠ ، ٣٩٨	محمد بن عبد الله بن محمد بن الحنفية
موسى بن سنان ٢ : ٦١٨	٣٧٩ : ٢
موسى عليه السلام ١ : ٨ ، ٩	محمد بن علي بن زيد بن رزام ٢ : ٥٥٣
٢٦ ، ٣٤ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩١	محمد بن علي بن عبد الله بن العباس
١٠٤ ، ١٠٨ ، ١١٤ ، ١١٥	١٦ : ١
١١٦ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٤	محمد بن الليث ١ : ٧٧
١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٢ ، ١٣٣	محمد بن مسلمة ١ : ٢١٤
١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٤٥ ، ١٤٩	محمد بن المعتضد ١ : ٢٨
	منبه بن الحجاج ٢ : ٤٩٨ ، ٤٩٩

٦٤٧ ، ٦٢٤ ، ٦١٢ ، ٦٠٩
 نستورس ١ : ١٦٤
 النسفي ٢ : ٣٢٥
 نصر بن أحمد ٢ : ٥١٨ ، ٥٩٩
 النصر بن الحارث بن كلدة ١ : ٣٠ ،
 ٤٠ ، ٤٣ ، ٥٣
 ٢ : ٤١٩ ، ٣٦٣ ، ٣٤٦
 ٤٩٩ ، ٤٩٨ ، ٤٩٥ ، ٤٧٩
 النعمان بشير الأنصاري ١ : ٣٢ ،
 ٢ : ٦٥٣ ، ٥٨١
 النعمان بن شريك ٢ : ٥٠٤
 النعمان بن شريك ٢ : ٥٠٤
 النعمان بن مقرن ١ : ٣٣ ، ٣٤ ،
 ٢ : ٣٢٩ ، ٣٢٠
 النعمان بن المنذر ٢ : ٣٢٥
 نعيم بن مسعود ٢ : ٤٢٥
 نوح عليه السلام ١ : ٦٩ ، ٨٧ ،
 ٨٨ ، ١٠٨ ، ١١٩ ، ١٨٩
 ١٩٠ ، ٢١٨ ، ٢ : ٣٨٦
 ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢٢ ، ٥٣٦ ،
 ٥٥٢ ، ٥٤٨

حرف الهاء

هارون عليه السلام ١ : ٣٤ ، ٨٧ ،
 ٩١ ، ١٠٨ ، ١١٤ ، ١١٥ ،
 ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٣٣ ،
 ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٩٠ ، ٢٠٩ ،
 ٢١٦ ، ٢٢١ ، ٢٣٧ ، ٢٤٩

١٥٠ ، ١٥١ ، ١٦٥ ، ١٨٨ ،
 ١٩٠ ، ١٩٤ ، ٢٠٩ ، ٢١٦ ،
 ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٣٧ ،
 ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٩ ، ٢٥٧ ،
 ٢ : ٣٢٥ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ،
 ٣٥٣ ، ٣٧٩ ، ٣٨٦ ، ٤٠١ ،
 ٤١٣ ، ٤٢٩ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ،
 ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ،
 ٥٢٢ ، ٥٣٦ ، ٥٦٤ ، ٥٦٩ ،
 ٦١٣ ، ٦٦٠ ، ٦٦١
 أبو موسى هرون (شيخ المشايخ)
 ٢ : ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٥٩٨
 موسى اليهودي ٢ : ٦٢٨
 موفق بن المتوكل ٢ : ٦٢٩
 مؤنس الخصي ٢ : ٣٨٢ ، ٣٨٣
 ميخائيل الراهب ١ : ١٨٣
 ميكايل ٢ : ٥٤٧ ، ٥٦٤

حرف النون

ابن النابغة (عبد الرحمن) ٢ : ٥٧٩
 نافع بن أبي نافع ٢ : ٤٩٥
 النجاشي ١ : ٢١ ، ٤٣ ، ٤٩ ، ٢ :
 ٣٥٠ ، ٣٦٣ ، ٤٤١ ، ٤٤٥ ،
 ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ،
 ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦
 تحرير الأزغلي ٢ : ٦٠٥
 تحرير شويران ٢ : ٦٠٥
 نزار (أبو المنصور بن معد) ٢ :

أبي الهيجاء (عبد الله بن حمدان)

٣٨٢ : ٢

هيرودس ١ : ٢٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،

١٤٢ ، ١٣٩

هيلانة ٩٣ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ،

٢٢٣

حرف الواو

واصل بن عطاء ١ : ١٨

وانس ١ : ٩٩

أبي الوفا الديلمي ٢ : ٥٩٥

الوليد ٢ : ٥٧٢

الوليد بن عبد الملك ١ : ١٣٤ ، ٢١٢ ،

٥٥٦ : ٢

الوليد بن عقبة ١ : ٢٤١ ، ٢٤٢ ،

٢٤٣

الوليد بن المغيرة ١ : ١٥ ، ٣٠ ،

٤٠ ، ٥٤ ، ٢ : ٣٣٨ ، ٣٤٤ ،

٤٧٩ ، ٤٩٨

الوليد بن يزيد ١ : ١٩ ، ٢ : ٥٨٢ ،

وهب بن حذافة ٢ : ٤٩٩

وهب بن يهوذا ٢ : ٤٩٥

حرف الياء

أبي ياسر بن أخطب ٢ : ٤٩٤

أبي يقيم الربايي ٢ : ٥٩٤

يحيى بن خالد ٢ : ٦٣٣

يحيى عليه السلام ١ : ٩١ ، ١٠١ ،

٢٥٧ ، ، ٢٢ ، ٧٧ : ٣٧٢ ،

٥٦٤ ، ٥٦٩

هارون الرشيد ١ : ٧٧ ، ٢٢٤ ،

هاشم ٢ : ٤٨٥

أبو هاشم (عبد السلام بن محمد

الجبائي) ١ : ٦٩ ، ١٩٨ ، ٢ :

٥١١ ، ٦٢٨ ، ٦٤٠ ،

هامان ٢ : ٥٦٦

أم هانئ بنت أبي طالب ١ : ٤٦ ،

٥٠

هانئ بن عروة المرادي ٢ : ٥٤٣

هانئ بن قبيصة ٢ : ٥٠٣

أبو الهذيل ٢ : ٥١١ ، ٥٣٨ ، ٦٥٧ ،

الهربذ ٢ : ٣٣٠ ، ٦٤٧ ،

هرقل ٢ : ٣٢٦ ، ٥٧٥ ،

هرمس المثلث ٢ : ٤٣٠

هشام بن الحكم ١ : ١١٨ ، ٢١١ ،

٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ،

٢٢٦ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢ : ٢

٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٥٢٨ ، ٥٤٦ ،

٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٨٦ ، ٦٤٩ ،

٦٥٣

هشام بن العاص ٢ : ٥٠٩ ، ٥٨٨ ،

هلال بن أمية ٢ : ٤٧٦ ، ٤٧٧ ،

٤٩٩

هند ٢ : ٥٩١

هود عليه السلام ١ : ٩١ ، ٢ : ٣٧ ،

٤٠١ ، ٦٤٥

٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢١٠ : ٤٠١
يعقوب بن كلثوم : ٢ : ٥٦٤
يعقوب النجار : ١ : ١٩٩
يعقوب بن يوحنا : ٢ : ٦٢٨
يهوذا : ١ : ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ،
٢٠٠ ، ٢٠١
يوحنا السليح : ١ : ١٠٠
يوحنا الصائغ : ١ : ١٤٢
يوحنا : ١ : ١١٢ ، ١٥٥ ، ١٩٩
يوحنا القس : ١ : ٧٦
يوسف بن دحية : ٢ : ٦١٤٩
يوسف بن عمر الثقفي : ١ : ١٨
يوسف عليه السلام : ١ : ٨٠ ، ٨٩ ،
٩١ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ٢٥٩ ،
٢ : ٤٩٥ ، ٥٢٦ ، ٥٣٨
يوسف بن الغروي : ٢ : ٣٩٦
يوسف بن القائم : ٢ : ٦٠٣
يوسف النجار : ١ : ٢٦ ، ١٤٢ ،
١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١
يوشع عليه السلام : ١ : ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٩٠
يونان النبي : ١ : ٢٠١
يونس عليه السلام : ٢ : ٤٢٧ ، ٤٩٣

١١٠ ، ٢ : ٤٤٠
يحيى الطحاني : ٢ : ٥٢٢
يحيى الطمامي : ٢ : ٣٧٩
يحيى بن عدي : ١ : ٧٦ ، ١٩٣
يحيى بن حسين العلوي : ٢ : ٣٧٨
يحيى بن علي : ٢ : ٣٧٩
يزدان كشت : ٢ : ٣٣٣
يزدجرد بن شهريار : ١ : ٣٢ ، ٢٤٧ ،
٢ : ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ،
أبو يزيد محمد بن كيداد : ١ : ١٠٧ ،
٢ : ٣٩٠ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣
يزيد بن معاوية : ١ : ١٨ ، ١٣٤ ،
٢١٢ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،
٢ : ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦
يزيد بن الوليد بن عبد الملك : ١ : ١٩ ،
٢ : ٥٧٥
أبي يعقوب بن الأزرق الكاتب
الأنباري : ٢ : ٦٠٤ ، ٦٠٥
يعقوب بن اسحق الكندي : ٢ : ٦٣٠
أبو يعقوب الشحام : ٢ : ٣٤١
يعقوب عليه السلام : ١ : ٣٤ ، ٨٧ ،
٩١ ، ١٠٨ ، ١٦٤ ، ١٩٠ ،

فهرس الأماكن والقبائل والأمم

	حرف الألف
أردشير حرة ٢ : ٥٣٣	
الأردن ١ : ١٩٩	أحد ٢ : ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٢١ ،
أرطاس ٢ : ٥٢٦	٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ،
الأرمن ١ : ١٥٤ ، ١٥٩ ، ١٨٥ ،	٤٣٥ ، ٤٤٩ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ،
٢٠٧ ، ٢٢٠	٤٧٥ ، ٤٨٩ ، ٤٩٣ ، ٥٢٥ ،
أرمينية ١ : ٣٢ ، ١٨٢ ، ٢ : ٣١٤	٥٦٠ ، ٥٢٦
٣١٥ ، ٣٣٣ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠	أحدابية ٢ : ٦٠٣
أرواد ١ : ١٨٢	الأحزاب ٢ : ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ،
الأسباط ١ : ٣٤	٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ،
بني أسد ١ : ٢١٦ ، ٢٧٢ ، ٢ :	٤٩٥ ، ٥٢٥ ، ٥٥٧ ، ٦٥١ ،
٥٨٨	الأحساء ١ : ١٠٧ ، ٢ : ٣٣٩ ،
بنو إسرائيل ١ : ٨ ، ٩ ، ٢٦ ،	٣٨٣ ، ٣٨٥ ، ٣٨٩ ، ٣٩٥ ،
١٠٠ ، ١١٣ ، ١٢٠ ، ١٢١ ،	٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٥٨٢ ، ٦٠٥ ،
١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ،	٦٠٦ ، ٦٠٩
١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ،	آل الأخيصر العلويين ٢ : ٣٨٠
١٥٩ ، ١٦٥ ، ١٨٨ ، ٢٠٩ ،	أذربيجان ١ : ٣٢ ، ١٨٢ ، ٢ : ٣٣٩ ،
٢١٠ ، ٢٧٧ ، ٢٣٩ ، ٢٧٧ ،	٣٤٠ ، ٣٨٦ ، ٤٤٣ ،
٢ : ٣٤٥ ، ٣٥٣ ، ٣٥٩ ،	أذرعات ٢ : ٣٣٦
٥١٩ ، ٤٩٣	أذنة ٢ : ٦٠٤
اسقلية ٢ : ٦٠٢	أراش ٢ : ٤٨٦
الاسكندرية ٢ : ٣٤٣ ، ٤٣٩	

حرف الباء

- بني أبي البغل ٢ : ٥٩٩ ، ٦٠٠
بجيلة (قبيلة) ٢ : ٥٢١ ، ٥٢٢ ،
٥٢٣ ، ٥٢٤
البحرين ١ : ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٥ ،
١٨٠ ، ٢١٦ ، ٢٥٤ ، ٢٧٢ ،
٢ : ٣٤٢ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ،
٣٨١ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ،
٣٨٨ ، ٣٩٢ ، ٤٤١ ، ٤٤٣ ،
٥٥٨ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٤٧ ،
٦٤٩
بجاري ٢ : ٣٣٩ ، ٣٩٢ ، ٦٣١ ،
٦٣٢
بلدر ١ : ٥٤ ، ٨٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٦ ،
٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ،
٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٥ ، ٤٣٥ ،
٤٣٦ ، ٤٤٩ ، ٤٦٤ ، ٤٨٩ ،
٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٥٥ ، ٥٦٠ ،
٥٦٨ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٩٣ ،
البدن ٢ : ٣٤٠
برامهرمز ٢ : ٦٣٠
البربر ١ : ٢١٦ ، ٤٤٣ ، ٥٩٨ ،
البرجان ١ : ١٨٣
البرغر ١ : ١٨٣
بريدة ٢ : ٥٢١
بنو سظام ٢ : ٣٨١ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ،
البسماق (جبل) ٢ : ٥٩٥

- أسلم (قبيلة) ١ : ٢٣
اصطخر ٢ : ٣٣٤ ، ٥٣٣
الأصفر ٢ : ٤٧١ ، ٥١٤
أصفهان ١ : ٢٤٧ ، ٥٥٥ ،
الأعراب ٢ : ٤٤٠ ، ٤٤٣ ، ٤٥٢ ،
٤٥٦ ، ٤٥٨ ، ٤٧٤ ، ٥٨٧ ،
٦٣٧
أفريقية ١ : ٢٤٣ ، ٥٩٨ ،
٦٠١ ، ٦٠٥
أقريطش ١ : ١٨٢ ، ٢٠٠ ،
الأكراد ٢ : ٤٤١ ، ٤٤٣ ،
الأمقاب ٢ : ٥٧٨
بنو أمية ١ : ١٦ ، ١٧ ، ٧٣ ،
١٢٨ ، ١٣١ ، ٢٥٠ ، ٢٨٢ ،
٢ : ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٤٨٤ ،
٥١٨ ، ٥٣٥ ، ٥٤٢ ، ٥٧٥ ،
٥٧٦ ، ٥٨١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ،
الأندلس ١ : ١٦ ، ٢٣٩ ،
٢ : ٣٨٦ ، ٣٩٢
أنطاكية ١ : ١٥ ، ٢ ، ٣٢٣ ،
٣٢٦
الأهواز ١ : ٣٢ ، ١٤٦ ، ١٨٠ ،
٢ : ٣٧٨ ، ٥٩٧ ، ٦٣٠ ،
أورشليم ١ : ١٩٧ ، ١٩٨ ،
الأوس ١ : ١٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٦٧ ، ٤٠١ ،
٤٠٢ ، ٤١١ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ،
٤٦٢ ، ٤٧١ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ،
٤٩٥ ، ٥٠٤

٤٤٤ ، ٣٥٤ ، ٣٣٠ ، ٣١٥

٥٣٥

تغلب ٢ : ٣٢٦

تنوخ ٢ : ٣٢٦

تهامة ٢ : ٤٨٤ ، ٥٨٩

نبي تيم ١ : ٢٧٢

تيماء ٢ : ٦٤٩

حرف الجيم

الجاية ٢ : ٣٣٥

الجيل ٢ : ٥٥٥

جرجان ١ : ٣٢ ، ٢٤٧

الجزيرة ١ : ٣١ ، ٥٩ ، ٦٣

١٤٦ ، ١٦٢ ، ١٩١ ، ٢١٠

٣١٤ : ٢

جزيرة العرب ١ : ٣٢ ، ١٥٣

٢٣٦ ، ٢٥٣ ، ٢ : ٣١٤

٣٨٦ ، ٤٠٢ ، ٥٢٢ ، ٥٥٤

٦٤٣

الجزيرية ٢ : ٣٣٩

الجفير ٢ : ٥٧٢

جنابة ٢ : ٣٧٩

الجند ١ : ١٣٠ ، ٥٥٨

جند يسابور ٢ : ٦٣٦

جهينة (قبيلة) ١ : ٢٣

جور ٢ : ٣٣٤ ، ٥٩٧

جيحون ٢ : ٥٥٨

بصرى ٢ : ٥١٢ ، ٦٢٨

البصرة ١ : ٤٩ ، ١٧٩ ، ٢٢١

٢٤٨ ، ٢٧٤ ، ٢٧٨ ، ٢٨٢

٣٣٩ : ٢ ، ٣٤١ ، ٣٤٣ ، ٣٨١

٣٨٢ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢

٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٣

٥٤٦ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٨

٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٦١١

البيطحاء ٢ : ٥٢٤

البيطحة ٢ : ٤٤٣

بغداد ١ : ١٧٩ ، ٢ : ٣٨٠

٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٤ ، ٣٩٦

٥٣٩ ، ٥٥٨ ، ٥٦٤ ، ٥٩٥

٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠٤ ، ٦٠٦

٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨

بلخ ٢ : ٣٢٦ ، ٦٢٤

البندنجيين ٢ : ٦٣٠

بيت المقدس ١ : ٤٧ ، ٤٩ ، ٨٨

١٢٥ ، ١٣٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠

١٥٦ ، ١٦٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨

٢٢٣ ، ٢ : ٤٣٦ ، ٤٤٤

٤٤٩ ، ٥١٢ ، ٥١٥

حرف التاء

التامة ٢ : ٥٠٣

تبوك ٢ : ٤٧٤ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧

٥٥٩ ، ٦٤٩

الترك (بلاد) ١ : ١٧٨ ، ٢ :

حرف الخاء

- خراسان ١ : ١٧ ، ١٩ ، ٣٢ ،
١٧٩ ، ١٨٠ ، ٢٤٩ ،
٢ : ٣٢٠ ، ٣٣٠ ، ٣٣٣ ،
٣٣٥ ، ٣٤٢ ، ٣٨١ ، ٣٨٥ ،
٣٨٦ ، ٤٤٤ ، ٥١٨ ، ٥٥٥ ،
٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦١٧ ،
خزاعة (قبيلة) ١ : ٢٣ ، ٢ : ٣٤٤ ،
الخزرج ١ : ١٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٦٧ ،
٢ : ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤١١ ،
٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦٢ ، ٤٧١ ،
٤٩٥ ، ٥٠٤ ، ٦٥٣ ،
الخلدق (غزوة) ٢ : ٤٤٦ ، ٤٤٧ ،
٤٥٠ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ،
خوارزم ٢ : ٣٩٨ ،
خيبر ١ : ٣٠ ، ٢ : ٤٣٥ ، ٤٩٦ ،
٥٥٦

حرف الدال

- دار الندوة ٢ : ٣٦٤ ،
دجلة ٢ : ٥٥٨ ،
دمشق ١ : ١٥٦ ، ٢ : ٣٢٣ ،
٣٣٦ ، ٤٤٤ ، ٤٧٤ ، ٥١٢ ،
٥٤٦ ، ٥٤٩ ، ٥٩٥ ،
دومة الجندل ٢ : ٥٧٤ ،
الدليم ١ : ٧٣ ، ١٠٧ ، ١٨٠ ،
٢ : ٤٤٣ ، ٤٤٥ ، ٥٢١ ،
٥٣٥ ، ٥٩٤ ، ٦٠٤ ، ٦٤٧

جيشان ١ : ١٣٠ ، ٢ : ٣٧٦ ،
٣٨٩

حرف الحاء

- بني حارثة ٢ : ٤٥١ ، ٤٩٢ ،
الحبيشة ١ : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٤٣ ،
٤٩ ، ٦١ ، ٢٠٧ ، ٢٣٦ ،
٢٤٦ ، ٢٤٨ ،
٢ : ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٦٣ ،
٥٠٤ ، ٥٢٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٥ ،
٥٩٠ ،
الحجاز ١ : ٣١ ، ٩٢ ، ١٨٠ ،
٢ : ٤٠٢ ، ٤٤٩ ، ٥٥٨ ،
الحجر ٢ : ٤٨٧ ، ٤٨٨ ،
الحديبية ١ : ٦٠ ، ٢ : ٣١٨ ،
٥١٦ ، ٥٢٦ ،
حران ١ : ١٠٨ ، ١٤٦ ، ١٦٢ ،
١٦٣ ،
الحرّة ١ : ١٨ ، ٢ : ٥٧٥ ،
بني الحسن ٢ : ٥٣٥ ،
بني الحسين ٢ : ٥٣٥ ،
بني حمدان ٢ : ٤٤٣ ،
حمص ١ : ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢ : ٥١٥ ،
٣٢٣ ، ٣٢٧ ، ٥١٢ ،
حنين (وقعة) ٢ : ٤٨٩ ، ٥٥٩ ،
الحيرة ١ : ٣٢

١٧٨ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ،
١٩٠ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ٢١٠ ،
٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ،
٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ ،
٢٦٧ .

٢ : ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٢٠ ،
٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ،
٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ،
٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ،
٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ،
٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٦٠ ، ٣٧٢ ،
٣٨٦ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٤٠١ ،
٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ،
٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٧١ ، ٤٧٣ ،
٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٨١ ، ٤٩٣ ،
٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ،
٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥٢٢ ،
٥٢٤ ، ٥٣٥ ، ٥٥٩ ، ٥٩٩ ،
٦٠٢ ، ٦٠٤ ، ٦٠٨ ، ٦١٧ ،
٦٢٦ ، ٦٢٨ ، ٦٤٣ ، ٦٤٧ ،
٦٥١ ، ٦٥٢ .

رومة ٢ : ٥٩٨

رومية ٢ : ٥١٦

الري ١ : ٢٤٧ ، ٢ : ٥٢١ ، ٥٩٩

حرف الزاي

بنوزرقان ٢ : ٣٨٧

زمزم ٢ : ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٩

حرف الذال

ذا الفقار (سيف النبي صلى الله عليه

وسلم) ٢ : ٤٢١

ذيان ٢ : ٤٤٨

ذي قار ٢ : ٣٢٥ ، ٥٤٠

ذي القصة ٢ : ٤١٨

ذي المجاز ٢ : ٥١٩

حرف الراء

الراذة ٢ : ٣٧٨

الريذة ٢ : ٤١٨ ، ٥٤٠

ربطرة ٢ : ٣٤١

ربيعة ١ : ٢٢ ، ٢٣ ، ٢١٦ ،

٢٣٥ ، ٥٠٢

رقادة ١ : ١٠٧ ، ٢ ، ٣٤٢ ، ٣٩٠

الرقة ١ : ١٤٦ ، ٢ ، ٣٨٣

الرملة ٢ : ٥٩٥ ، ٦٠٥

الروحاء ٢ : ٤٢٤

الروم ١ : ٣٠ ، ٣٢ ، ٤٣ ، ٤٨ ،

٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٧١ ،

٧٧ ، ٨٨ ، ٩٣ ، ١٢١ ،

١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ،

١٤١ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،

١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،

١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،

١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ،

١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ،

٢٤٨ ، ٢٤٦ ، ٢٣٠ ، ٢٢١
٢٧٦ ، ٢٧٥ ، ٢٧٤
٢ : ٣٢٩ ، ٣١٥ ، ٣١٤
٣٣٦ ، ٣٣٥ ، ٣٣٤ ، ٣٣٣
٣٩٧ ، ٣٩٦ ، ٣٤٣ ، ٣٤٠
٤٤٤ ، ٤٤٣ ، ٤٤٠ ، ٤٣٦
٥١٢ ، ٤٩٥ ، ٤٧٥ ، ٤٥٠
٥٣٣ ، ٥٣١ ، ٥٣٠ ، ٥٢٢
٥٤٩ ، ٥٤٥ ، ٥٤١ ، ٥٤٠
٥٧٥ ، ٥٧٤ ، ٥٥٨ ، ٥٥٤
٥٩٠ ، ٥٨٩ ، ٥٨٤ ، ٥٨٣
٦٠٨ ، ٦٠٧ ، ٦٠٦ ، ٥٩٧
٦٦٠ ، ٦٤٣ ، ٦١٩ ، ٦٠٩

الشامة ٢ : ٥٠٣

الشرارة ٢ : ٣٩١

شيبان بن ثعلبة (قبيلة) ٢ : ٥٠٢

حرف الصاد

صعدة ٢ : ٥٩٤

الصعيد الأعلى ١ : ٣٢ ، ٢ : ٣٤٣

الصفاء ٢ : ٤٨٤

صفين ٢ : ٥٣٣ ، ٥٤١ ، ٥٤٢

صنعاء ١ : ٢٤ ، ٢ : ٤٤٥ ، ٤٥٠

٦٤٩ ، ٥٦٢

صور ٢ : ٥٩٥

الصين ١ : ١٧٩ ، ٢ : ٣٦٠

٣٨٦

بنو زهرة ١ : ٥٣ ، ٢٤٩

بني زهرون ٢ : ٦٢٢

حرف السين

الساقية ٢ : ٣٣٤

سجستان ١ : ٣٢ ، ٢ : ٣٣٠

٥٨٢

سجلماسة ٢ : ٣٨٩ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨

السرجان ١ : ١٦٠

سر من رأى ١ : ١٧٩

سقيفة بني ساعدة ٢ : ٥٦١ ، ٥٦٢

٥٨٦ ، ٥٦٣

سلع ٢ : ٤٧٨

بني سلمان ٢ : ٣٨٧

بنو سلمة ٢ : ٤٧٧ ، ٤٧٨

سلمية ٢ : ٥٩٧

سمرقند ١ : ١٧٥

سميصاط ١ : ١٨٣

بنو سنبر ٢ : ٣٧٩

السند ٢ : ٣١٥

السواد ١ : ٣٢ ، ٢٣٠

سولاسم ٢ : ٣٣٣

سويقة عباسية ٢ : ٦٢٢

سيحون ١ : ١٨٣ ، ٢ : ٥٥٨

حرف الشين

الشام ١ : ٣٢ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٦٣

١٥٠ ، ١٨٠ ، ١٩١ ، ٢١٠

حرف الطاء

الطائف ١ : ٢٤٠ ، ٢ : ٣٥٠ ،

٥٩١ ، ٥٥٩ ، ٥٠١

طباطبا ٢ : ٣٨٢ ، ٣٨٣ ،

طبرستان ١ : ٣٢ ، ٢٤٧ ،

٦١٨ ، ٥٩٤ : ٢

طرابلس ٢ : ٦٠٢ ،

طرسوس ٢ : ٦٠٠ ، ٦٠٤ ،

طي (قبيلة) ٢ : ٥٢٤ ،

حرف العين

عادي ١ : ٥٣ ، ٨٥ ، ١٠٧ ، ١٢٣ ، ١٣١ ،

١٥٣ ، ١٤٧ ، ١٣٦ ، ١٣٢

٤٨٦ ، ٤٨٥ : ٢

بنو العباس ١ : ١ ، ١٧ ، ١٩ ،

٢٨ ، ٣٧ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٥ ،

١٣١ ، ١٧٥ ، ١٨٦ ، ٢٢٤ ،

٢٥٢

٣٨٣ ، ٣٧٥ ، ٣٤٢ : ٢

٥١٨ ، ٤٤٣ ، ٣٩٧ ، ٣٩٥

٦٠٤ ، ٥٩٤ ، ٥٩٣ ، ٥٨١

٦١٦ ، ٦٠٧

بنو عبد الدار ١ : ٥٣ ،

عبد القيس (قبيلة) ١ : ٢٣٥ ،

٥٢٤ : ٢

بنو عبد المطلب ٢ : ٣١٧ ، ٥٤٧ ،

٥٨٩

بنو عبد مناف ١ : ٢٢٦ ، ٢٥٥ ،

٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ،

٢ : ٣٤٦ ، ٤٦٨ ، ٤٨١ ،

٤٩٨ ، ٥١٢ ، ٥٧١ ، ٥٨٥ ،

العبرانية ٢ : ٥١٦ ،

عبس ٢ : ٤٤٨ ،

العتيق ٢ : ٣٢٥ ،

العجم ١ : ١٣٥ ، ٢٥١ ،

٢ : ٣٢٤ ، ٤٣٧ ، ٤٥٣ ،

٥٥٣ ، ٥٣٧ ، ٥٢١ ، ٥٧٥ ، ٥٦٢ ،

عدن ١ : ١١٣ ، ٢ : ٣٧٦ ، ٣٨٩ ،

٤٩٦ ، ٦٤٩ ،

العذيب ٢ : ٣٢١ ،

العراق ١ : ٣١ ، ٣٢ ، ٤٩ ،

١٤٦ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٧٨ ،

١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٩١ ، ٢ : ٣٣٩ ،

٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ،

٣٨٧ ، ٣٩٢ ، ٥٢٢ ، ٥٣٠ ،

٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٩ ، ٥٦٤ ،

٦٠٠ ، ٦٠٤ ، ٦٠٦ ، ٦٣٥ ،

العرب ١ : ١٣ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٧ ،

٣٧ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٦٦ ، ٧١ ،

٨٥ ، ١٠٧ ، ١٢٣ ، ١٣١ ،

١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٤٧ ، ١٥٣ ،

٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ،

٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ،

٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٦٧ ، ٢٧٤ ،

٢ : ٣٢٢ ، ٣٤٤ ، ٣٦٠ ،

٣٦١ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ،

٥٢٣ ، ٦٠١
غزة ٢ : ٤٤٤
غسان (قبيلة) ١ : ٢١٠ ، ٢ : ٣٢٦
٤٤١ ، ٤٧٧
غطفان ٢ : ٥٨٨
غفار (قبيلة) ١ : ٢٣
حرف الفاء

فاران ٢ : ٣٥٢
فارس ١ : ٢٨ ، ٣٢ ، ٥٣ ،
٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٧٢ ،
١٦٤ ، ١٨٠ ، ١٩١ ، ٢٣٦ ،
٢٤٧
٢ : ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ،
٣٢٣ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ،
٣٣٠ ، ٣٣٧ ، ٣٦٠ ، ٣٦٣ ،
٣٧٢ ، ٣٧٨ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ،
٤٣٨ ، ٤٥٠ ، ٥١١ ، ٥١٥ ،
٥٢١ ، ٥٣٥ ، ٥٦٤ ، ٦١٨
فدك ٢ : ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨
الفرات ٢ : ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٥٥٨
آل الفران ٢ : ٥٩٩ ، ٦٠٠
الفرس ١ : ١٣ ، ٣٠ ، ٤٣ ، ٥٣ ،
٧١ ، ١٣١ ، ١٥٤ ، ١٦٤ ،
١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٨٠ ، ١٩٢ ،
٢٢٠ ، ٢٢٦ ، ٢٣٢ ، ٢٤٧ ،
٢ : ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ،
٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٨ ،

٤٠٠ ، ٤١٢ ، ٤١٧ ، ٤٢٠ ،
٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٤١ ، ٤٤٤ ،
٤٤٦ ، ٤٤٩ ، ٤٥٣ ، ٤٦٩ ،
٤٧٩ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٩ ،
٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ،
٥٠٤ ، ٥٠٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢٢ ،
٥٢٣ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٤٤ ،
٥٥٣ ، ٥٦٢ ، ٥٦٨ ، ٥٩٠ ،
٦١٧ ، ٦٣٦ ، ٦٥٦
العريش ١ : ٢٥٨
بنو العزاقري ٢ : ٣٨١
العزي ٢ : ٤٢١ ، ٤٨٧
عسقلان ٢ : ٤٤٤ ، ٥٩٥
عسكر مكرم ٢ : ٥٢١ ، ٦٣٠
بنو عفرة ٢ : ٥٨٤
بنو عقيل ٢ : ٣٩٥ ، ٥٤٣
عكا ٢ : ٥٩٥
عكاظ ٢ : ٥١٩
عُمان ١ : ٢٣ ، ٣١ ، ٢٧٢ ،
٢ : ٣٨٦ ، ٤٤١ ، ٤٤٥ ،
٥٥٥ ، ٥٨٨ ، ٦٤٣ ، ٦٤٩
عمران ٢ : ٤٤٣
عين التمر ١ : ٣٢
عين ذربة ١ : ١٨٢ ، ٢ : ٦٠٤
عين الوردية ١ : ١٨
حرف الغين
الغار ٢ : ٣٦٥ ، ٣٦٩ ، ٣٩١ ،

، ٣٦٠ ، ٣٥٥ ، ٣٥١ ، ٣٥٠
 ، ٣٦٥ ، ٣٦٤ ، ٣٦٢ ، ٣٦١
 ، ٤٠٢ ، ٣٨٤ ، ٣٦٨ ، ٣٦٧
 ، ٤١٠ ، ٤٠٩ ، ٤٠٧ ، ٤٠٣
 ، ٤٣٦ ، ٤٢٠ ، ٤١٩ ، ٤١٢
 ، ٤٤٤ ، ٤٣٩ ، ٤٣٨ ، ٤٣٧
 ، ٤٥٠ ، ٤٤٩ ، ٤٤٨ ، ٤٤٧
 ، ٤٨٤ ، ٤٨٠ ، ٤٧٩ ، ٤٦٣
 ، ٤٩٥ ، ٤٨٨ ، ٤٨٧ ، ٤٨٦ ، ٤٨٥
 ، ٥٠١ ، ٥٠٠ ، ٤٩٩ ، ٤٩٦
 ، ٥٠٨ ، ٥٠٥ ، ٥٠٤ ، ٥٠٣ ، ٥٠٢
 ، ٥١٥ ، ٥١٣ ، ٥١٢ ، ٥٠٩
 ، ٥٢٤ ، ٥٢٣ ، ٥٢٠ ، ٥١٩
 ، ٥٦١ ، ٥٤٧ ، ٥٢٧ ، ٥٢٥
 ، ٥٦٦ ، ٥٦٥ ، ٥٦٤ ، ٥٦٣
 ، ٥٩٠ ، ٥٨٥ ، ٥٧٦ ، ٥٦٧
 ، ٦٥٦ ، ٥٩١
 ، ٤٣٥ : ٢ ، ٣٠ : ١ بنو قريظة
 ، ٤٥٦ ، ٤٥٥ ، ٤٥٠ ، ٤٤٩
 ، ٤٩٦ ، ٤٩٥
 ، ١٦١ ، ١٥٧ : ١ القسطنطينية
 ، ٣١٥ : ٢ ، ٢٣٨ ، ١٧١
 ، ٣٩٧ ، ٣٨٦
 ، ٤٤١ : ٢ ، ٢١٦ : ١ قضاعة
 ، ٣٨٠ : ٢ القظيف
 ، ٥٣٤ : ٢ القلزم
 ، ٦٥٠ : ٢ قلشانة
 ، ١٧٩ ، ١٠٧ : ١ القيروان

، ٣٤٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٠ ، ٣٢٩
 ، ٤٨١ ، ٤٤٤ ، ٣٦٣ ، ٣٥٤
 ، ٦٤٥ ، ٦١٧ ، ٥٢٢
 فزارة (قبيلة) ١ : ٢٣ ، ٢١٦
 ، ٤٤٨ : ٢
 ، ٤٧٨ ، ٤٧٧ : ٢ الفسطاط
 ، ٥٥٤ : ٢ فلسطين
حرف القاف
 ، ٣٢١ : ٢ ، ٣٢ : ١ القادسية
 ، ٣٢٥ ، ٣٢٢
 ، ٦٠٠ : ٢ آل القاسم بن عبد الله
 ، ٦٠٨ ، ٦٠٧ : ٢ القاهرة
 ، ٦١٧ : ٢ قاين
 ، ١٨٢ : ١ قبرص
 ، ١٠٩ ، ١٠٦ ، ٧١ : ١ القبط
 ، ٢٠٩ ، ٢٠٧ ، ١٧٦ ، ١٦٢
 ، ٢١٠ ، ٢٢٠ ، ٢٣٢ ، ٢ : ٥٣٥
 ، ٢٢ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٩ : ١ قريش
 ، ٣٩ ، ٣٠ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٥
 ، ٤٤ ، ٤٣ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٤٠
 ، ٥١ ، ٥٠ ، ٤٩ ، ٤٨ ، ٤٧
 ، ٨٤ ، ٦٨ ، ٦٦ ، ٥٩ ، ٥٣
 ، ١٣٦ ، ١٣٣ ، ١٣٢ ، ٨٨
 ، ٢٦٣ ، ٢٦٢ ، ٢٥٣ ، ٢٣٥
 ، ٣١٣ ، ٢٦٧ ، ٢٦٥ ، ٢٦٤
 ، ٣٤٨ ، ٣٤٦ ، ٣٤٤ ، ٣١٧

حرف اللام

لاعة ١ : ١٣٠ ، ٢ : ٣٧٦ ، ٣٨٩
لؤلؤة ٢ : ٣٤١

حرف الميم

المخرم ٢ : ٦٢٧
بنو مخزوم ١ : ٣٣ ، ٢٧٢ ، ٢ : ٢
٣٤٦ ، ٤٨١ ، ٥٩٢
المدائن ١ : ٥٨ ، ٢ : ٣٣٠ ، ٥٤٩
بنو المدرار ٢ : ٥٩٨
مدين ١ : ٩٠

المدينة ١ : ٢٥ ، ٢٧ ، ١٣٤ ، ٢٢٢
٢٢٧ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،
٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٨ ، ٢٦٨ ،
٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٣١٨ ، ٣٢٤ ،
٣٢٦ ، ٣٢٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٧ ،
٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧٢ ،
٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٩ ، ٤١١ ، ٤١٨ ،
٤٢٠ ، ٤٢٣ ، ٤٤٦ ، ٤٥٠ ،
٥٥٤ ، ٤٦٠ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ،
٤٧٧ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٥١١ ،
٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٣٢ ، ٥٤٥ ،
٥٥٥ ، ٥٥٩ ، ٥٦٣ ، ٥٧٣ ،
٥٧٥ ، ٥٨٣ ، ٥٨٥ ، ٦١٥

المدنيرة ١ : ١٣٠ ، ٢ : ٣٧٦
مرو ٢ : ٣٣٠
بنو مروان ٢ : ٤٨٢ ، ٥٨٢

٢ : ٣٨٦ ، ٥٩٨ ، ٦٠٠ ،
٦٠٢ ، ٦٠١
بنو قبيلة ٢ : ٤٦٢
بنو القينقاع ١ : ٣٠ ، ٢ : ٤٣٥ ،
٤٩٤ ، ٤٩٦

حرف الكاف

كابل ٢ : ٣٨٦
كتامة ٢ : ٣٩٠ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ،
٥٩٨ ، ٦٠٦
كرايس ٢ : ٣٣٦
كربلاء ١ : ١٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤٩ ،
٦٥٣ : ٢
الكرخ الكرخيين ٢ : ٦٠٠
كرمان ١ : ٣٢ ، ٢ : ٥٨٢
الكعبة ٢ : ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٨٥ ،
٤٣٧ ، ٤٨٦
كنانة (قبيلة) ١ : ٢٣
الكوفة ١ : ٨٢ ، ١٧٩ ، ٢٣٩ ،
٢٤١ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٣٣٩ ،
٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ ،
٣٨٣ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ،
٣٩٠ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٥٣٠ ،
٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٩ ، ٥٤٢ ،
٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ،
٥٤٩ ، ٥٥٤ ، ٥٥٨ ، ٥٧٤ ،
٦١٣

٥٣ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ٦٨ ،
٨٢ ، ٨٤ ، ٩٢ ، ١٣٠ ،
١٣٥ ، ٢٢٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ،
٢٣٩ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٣١٣ ،
٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٤ ،
٣٣٨ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ،
٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٢ ،
٣٦٨ ، ٣٧٢ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ،
٣٩٠ ، ٤٠٢ ، ٤٠٨ ، ٤١٠ ،
٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤٧ ،
٤٥٣ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٧٥ ، ٤٨١ ،
٤٨٦ ، ٤٩٥ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ،
٥٠١ ، ٥٠٥ ، ٥١١ ، ٥٢١ ،
٥٢٢ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ،
٥٥٥ ، ٥٧٥ ، ٥٧٨ ، ٥٨٣ ،
٥٨٥ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ،
٥٩٢ ، ٦٠٧

ملطية ٢ : ٣٤٣

المنصورة ٢ : ٣١٦

منى ٢ : ٥١٩

المهدية ٢ : ٦٠١ ، ٦٠٢

مؤته ٢ : ٤٤١ ، ٥١١ ، ٥٥٩

٥٦٠ ، ٦٥١

الموصل ١ : ١٤٦ ، ١٥٣

مولتان ٢ : ٣١٦

موليان ٢ : ٣٩٨

مروة ٢ : ٤٨٤

المريسيح ٢ : ٤٦٠

مزينة ٢ : ٤٠٨

مشجر عمان ٢ : ٣٨٦

مصر ١ : ٣٢ ، ٦٣ ، ١٠٦ ، ١٦٢

١٦٨ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠

١٩١ ، ٢١٠ ، ٢ : ٣١٤ ، ٣١٥

٣٢٣ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٤٠

٣٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٥ ، ٣٦٣

٣٨٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٤٤٤

٤٤٥ ، ٥٣٤ ، ٥٣٠ ، ٥٤٥

٥٤٦ ، ٥٥٥ ، ٥٦٤ ، ٥٧٣

٥٨٢ ، ٥٩٥ ، ٦٠٠ ، ٦٠٣

٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧

٦٢٤ ، ٦٤٧ ، ٦٦٠

المصيصة ١ : ١٨٢ ، ١٨٣

٢ : ٦٠٤

المغرب ١ : ١٦ ، ٣٢ ، ١٠٧

١٣٠ ، ١٤٩ ، ١٨٠ ، ٣١٤

٣١٥ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٧٨

٣٨٣ ، ٣٨٦ ، ٣٩٠ ، ٣٩١

٣٩٢ ، ٣٩٨ ، ٥٨٢ ، ٥٩٧

٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١

٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦

٦١٠

بنو المغيرة ١ : ٢٧٢

مكة ١ : ١٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧

٢٨ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥٢

حرف النون

بني ناحية ٢ : ٥٣٣

النبط ١ : ٧١ ، ٢ : ٤٤٣

بنو النجار ٢ : ٣٦٧

نجران ٢ : ٦٤٩

بنو النضير ١ : ٣٠ ، ٢ : ٤٣٥

٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩٤ ، ٤٩٦

٥٥٦

نهاوند ١ : ٢٤٧ ، ٢ : ٣٣٠

النهروان ٢ : ٥٤٢ ، ٥٥٤

آل نوبخت ٢ : ٦٠٠

بنو نوفل ١ : ٣٣

نيسابور ٢ : ٣٩٦ ، ٦١٨

النيل ٢ : ٣٧٩ ، ٥٥٨

هبل ٢ : ٤٢١

هجر ٢ : ٣٨٠

هراة ٢ : ٦١٧

همدان ١ : ٢٤٧

الهند ١ : ١٣ ، ٣٠ ، ٣٥ ، ٤٩ ، ٧١ ،

١٠٦ ، ١٣١ ، ١٥٤ ، ١٧٥ ،

١٧٧ ، ١٨٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٦ ،

٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٣١٥ ، ٣٢٤ ،

٣٣٨ ، ٣٨٦ ، ٥٣٥ ، ٥٤٤ ،

٥٥٥ ، ٦١٧

حرف الواو

وادي القري ٢ : ٤٩٦ ، ٦٤٩

واسط ١ : ١٧٦ ، ٢ : ٦٢٨

حرف الياء

يترب ٢ : ٤٥١ ، ٥٢٠ ، ٥٢٤ ،

٥٢٥

سوق يحيى ٢ : ٥٥٨

بنو يربوع ١ : ٢١٦

اليرموك ٢ : ٥٨٧

أرض اليمامة ١ : ٢١٦ ، ٢٧٢ ،

٣٨٠ : ٢

اليمن ١ : ٢٣ ، ٣١ ، ١٣٠ ،

١٨٠ ، ٢٤٠ ، ٢٤٨ ، ٢٧١ ،

٢٧٢

٢ : ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٣٧٦ ،

حرف الهاء

بنو هاشم ١ : ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ،

٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ،

٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ،

٢٥٨ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٧٠ ،

٢٧١ ، ٢ : ٣٢٧ ، ٣٦٢ ،

٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٧٤ ، ٣٨٣ ،

٤٨١ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ،

٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٧ ،

٥٦٩ ، ٥٧١ ، ٥٨٠ ، ٥٨٣ ،

٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٩٣ ،

٦٥٣ ، ٦٤٩

٥٥٨ ، ٥٥٥ ، ٥٤٥ ، ٥٢١

٦٤٩ ، ٥٩٤ ، ٥٩١

اليونان ١ : ٧١ ، ١٦٤ ، ٢ : ٦١٧

٣٨٦ ، ٣٨٥ ، ٣٧٨ ، ٣٧٧

٤٤١ ، ٤٣٨ ، ٣٩٢ ، ٣٩٠

٤٩٦ ، ٤٥١ ، ٤٥٠ ، ٤٤٥ ، ٤٤٣

فهرس العقائد والملل والنحل

- ٥٧٤ ، ٥٣٠ ، ٣٤١ : ٢
 ٥٩٢ ، ٥٨٦ ، ٥٨٤
 الدهرية : ١ : ١٠٨
 الديصانية : ١ : ١٩٠ ، ٢٢٥
 الرفضية : ١ : ٢٤ ، ٤٥ ، ٩٠
 ٩١ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٤
 ٢١١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٢
 ٢٣٤ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٥٠
 ٢٥٢ ، ٣٥٤ : ٢ ، ٣٧١
 ٣٩٨ ، ٥١٠ ، ٥٢٨ ، ٥٣٥
 ٥٥٧ ، ٥٦٢ ، ٥٦٥ ، ٥٦٧
 ٥٨٦
 الراوندية : ١ : ٢٥١
 الزنادقة : ١ : ٩٠ ، ١٠٦
 ١٠٨ ، ١٢٩ ، ٢ : ٤١٤
 ٤١٨ ، ٥٠٨ ، ٥٨١ ، ٦٠٣
 ٦٠٧
 الزنج أو (الزط) : ٢ : ٣٤١ ، ٣٩٥
 الزيدية : ٢ : ٥٣٥
 السبئية : ٢ : ٥٤٨
 السريانية : ١ : ١٠٠ ، ١٥٤
- الإباضية : ٢ : ٦٠٢
 الأشعرية : ١ : ٩٠
 الإمامية : ١ : ٥١ ، ١٣٤ ، ٢١١
 ٢١٢ ، ٢٢٦ ، ٢٣١ ، ٢٤٥
 ٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٨١
 ٣ : ٣٥٤ ، ٣٧١ ، ٣٩٨
 ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٧ ، ٥١٠
 ٥٣٣ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢
 ٥٥٧ ، ٥٦٦ ، ٥٧٦ ، ٦٤٩
 ٦٥٩
 أهل الردة : ٢ : ٥٨٨ ، ٥٨٦
 الباطنية : ١ : ٨٠ ، ١٠٦ ، ١١٨
 ١٣٥ ، ٢ : ٣٧٤ ، ٤٥٦
 ٥٨٢ ، ٥٠٨
 بدعة (القدر) : ١ : ٢٤
 البهشية
 الحرورية : ٢ : ٥٣٥
 الحنبلية : ١ : ٢١٠ ، ٢١١
 الحنيفية : ٢ : ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٥٢٣
 الحرمية : ٢ : ٣٤٠ ، ٣٩٥
 الحوارج (بدعة الخارجة) : ١ : ٢٤

١٧٠ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ،
 ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٩٢ ، ٢١٥ ،
 ٢ : ٣٣٠ ، ٣٣٣ ، ٣٦١ ،
 ٤٣٨ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٥٠٠ ،
 ٦١٣ ، ٦٢٧ ، ٦٤٧ ،
 المرجئة (بدعة الارحاء) ١ : ٣٤
 المشهية ١ : ٩٠ ، ٩١
 المعتزلة ١ : ٥١ ، ٧١ ، ٧٢ ،
 ٧٧ ، ٣٤١ : ٢ ، ٥٥١ ، ٥٥٤ ،
 ٦٥٧
 الملحدة ١ : ٥٢ ، ١٠٨ ، ١٢٩ ،
 ١٣١ ، ١٩٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ،
 ٢ : ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٥٧ ،
 ٥٨١ ، ٥٩٤ ، ٦٠٣ ، ٦٢٣ ،
 ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٣٠ ،
 ٦٣٣ ، ٦٦٠ ،
 الملكية ١ : ٩٦ ، ٩٧ ، ١٧٥ ،
 المثانية ١ : ٣٥ ، ٨٠ ، ١٠٦ ، ١٧٥ ،
 ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ،
 ٢ : ٤٣٠ ، ٦٣٩ ،
 الناصبة ٢ : ٥٦٧ ،
 الناصرية ٢ : ٥٣٥ ،
 النسطورية ١ : ٩١ ، ٩٦ ، ٩٨ ،
 ١٠٤ ، ١١٠ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ،
 ١٦٤ ، ١٧٥ ،

السوفسطائية ٢ : ٣٦١
 الشيعة ١ : ٢٩ ، ٣٥ ، ٤٢ ، ٦٢ ، ٦٣ ،
 ١٠٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢ : ٣٤٢ ،
 ٣٥٥ ، ٣٥٩ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨ ،
 ٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٦ ،
 ٣٨٧ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ،
 ٣٩٤ ، ٤٧٩ ، ٤٤٣ ، ٥١٧ ،
 ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٣٥ ، ٥٣٨ ،
 ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ،
 ٥٤٦ ، ٥٤٩ ، ٥٥٣ ، ٥٥٧ ،
 ٥٥٨ ، ٥٦٣ ، ٥٦٧ ، ٥٩٥ ،
 ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠٤ ، ٦٠٨ ،
 ٦١٠ ، ٦٤٧ ، ٦٤٩ ، ٦٥٩ ،
 الصابئة ٢ : ٦٢٢ ، ٦٢٧ ،
 العلوية - العلويين ٢ : ٣٧٧ ، ٣٨٠ ،
 ٥٣٥ ، ٥٥٣ ، ٦٠١ ،
 الفاطميين ٢ : ٦٥٢ ،
 القاسمية ٢ : ٥٣٥ ،
 القرامطة ١ : ٤٢ ، ١٠٦ ، ١٣٠ ،
 ١٣٥ ، ٢ : ٣٣٩ ، ٣٤٣ ،
 ٣٥٣ ، ٣٦١ ، ٣٧٩ ، ٣٨٣ ،
 ٣٩٥ ، ٥٠٨ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٥٣ ،
 ٦٠٢ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ،
 ٦٠٩ ، ٦١٢ ،
 الكاملية ١ : ٢٥٠ ،
 المجبرة ١ : ٩١ ، ٢ : ٦٣٩ ،
 المجوس ١ : ٣٥ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ،
 ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٦٩ ،

٣٥٩ ، ٣٣٤ ، ٣٣٣ ، ٣٢٧
٤٠٧ ، ٤٠٢ ، ٤٠١ ، ٣٦١
٤١٦ ، ٤١٥ ، ٤١٣ ، ٤١٢
٤٢٩ ، ٤٢٧ ، ٤٢٦ ، ٤١٧
٤٤١ ، ٤٤٠ ، ٤٣٨ ، ٤٣٣
٤٦٩ ، ٤٥٣ ، ٤٤٥ ، ٤٤٤
٥٠٨ ، ٥٠٠ ، ٤٧٩ ، ٤٧٣
٦١٣ ، ٥٩١ ، ٥٨٩ ، ٥١٦
٦٥٦ ، ٦٥٥ ، ٦٢٧ ، ٦٢٣

المشامية ١ : ٢٥٠

اليقوية ١ : ٩١ ، ٩٦ ، ٩٧
١٧٥ ، ١٦٤ ، ١٤٧ ، ١٠٤

٢ : ٣١٤

اليهود ١ : ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٥

٤١ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٦٦
٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٨ ، ٩٩
١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٢١ ، ١٢٢
١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨
١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٦
١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤١
١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٨ ، ١٥١
١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦
١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠
١٦٤ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٩٥
١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢١٥
٢٢٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٦٧
٢٧٨

٢ : ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣٥٩

النصارى ونصارى العرب ١ : ٢٦

٢٧ ، ٢٨ ، ٣٥ ، ٤١ ، ٤٣
٤٩ ، ٦٦ ، ٧٥ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١
٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨
٩٩ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١٠٩
١١٠ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١١٥
١١٦ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٠
١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤
١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٢
١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٤١
١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥
١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩
١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣
١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٨
١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٥
١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩
١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٥
١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٠
١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥
١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩
١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣
١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨
١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢
٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧
٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٥ ، ٢٢٣
٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٩ ، ٢٦٧
٢٧٩
٢ : ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣٢٦

ε 70 ε 79 ε 78 ε 70
ε 91 ε 90 ε 89 ε 79
ε 00 ε 97 ε 96 ε 93
ε 09 ε 08 ε 07 ε 06
70 ε 72 ε 71 ε 73

ε 11 ε 07 ε 02 ε 01
ε 17 ε 10 ε 13 ε 13 ε 12
ε 38 ε 30 ε 33 ε 33
ε 38 ε 37 ε 32 ε 30
ε 72 ε 00 ε 03 ε 39

